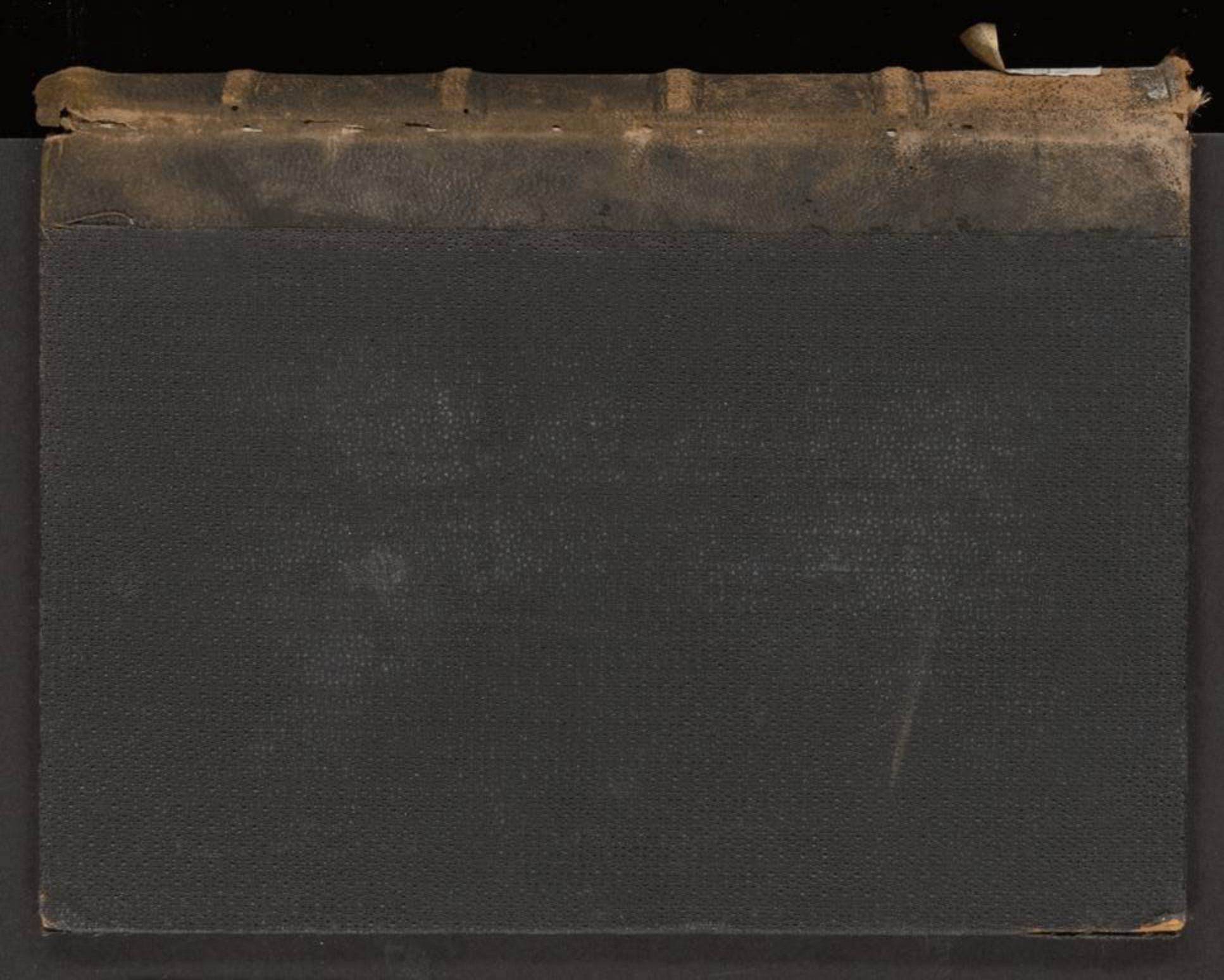

BOBST LIBRARY
3 1142 01083 6438

New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *		

Bobst Library
MAY 28 1998
JUN 0 1998
CIRCULATION

108385

Majmū'at al-muḥarrarāt al-siyāsiyah ...

مجموعة

المحررات السياسية والمفاوضات الدولية

عن سوريا ولبنان

من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٩١٠

الجلد الاول

من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٨٦٠

تعريب فيليب وفريد الخازن

صاحبي جريدة الارز

« حقوق الطبع محفوظة »

طبع في مطبعة « الصبر » في جونية سنة ١٩١٠

DS
42
.M33
1910
v. 1-2

Near East

~~DS
42
.M3
v. 1-2
c. 1~~

المقدمة

الحمد لله موئي النعم . ومحقق الامال . الموصوف بالقدم . وجلال الاستقلال . على ايثارنا بايتائنا . ارضَ اثارِ ابائنا . بلدًا طيبًا غير مُشارَك . في اسمهِ الوسيم المبارك . مجلى غُرر العزّ الشوادخ . و مظهر اعلام المجـد الشوامخ . ومنبت شجر الارز البواسق . في ممتنعات ذراه الشواهق . وطنًا قدسيًّا لا تجد لهُ سميًّا . وكفى بذكرهِ الطنّان . ما طلع القمران

فل هو لبنان

يا حبذا وطني لبنان من وطنٍ كما نحبيه بالايمان حيّانا
وحبذا نفحات من شواهقهِ تأتي فتحيي أماني الحيّ احيانا

وبعدُ لمّا كان هذا الجبل المقدس قد استمرّ بعناية الله على تقلبات الايام وتداول الاحوال حائزًا خصائص الاستقلال التام بادارة شؤونهِ الداخلية وما كان ليرهق في معاقل استقلاله العريق المتوغل في القدم بمتعاورات الدول المتعاقبة عليهِ وما كان ليغرق في تيّار خطوب الحروب الاهلية وبلاياها وارزائها الجسام المنهالة على هامهِ فأصابت الكبير وأشابت الصغير وكان لها شأن خطير وشرر شرّ مستطير . ولقـد أجملنا ما تفرّق وتفرّع من ذلك بلمحة تاريخية عنوانها « استمرار استقـلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح العثماني سنة ١٥١٦ » أيّدناها بأقوال المؤرخين المحققين وتصريحات اساطين ساسة الدول في الغرب وممثليها في الشرق وكان ابناء الوطن العزيز قد استساغوا وشلاتها العذبة فهم يتلهبون ظمأً إلى ورود منهلها الصافي النمير من منبعهِ الغزير لما ان الكلام الصادر عن الاعيان والوزراء ـ الاّ ما ندر والنادر

لا يقاس عليه ـ هو انطق بالصدق وأصدع بالحق لجلالة قدر صاحبه وترفعه عن كلام صعاليك الناس لضعفهم وعن الملقى منه على عواهنه المتمشية في منا كبه أقاويل الهوى إذ بين الماء النمير والماء الكدر من التفاوت العظيم كما بين الصمصام والكهام اهابت بنا الرغبة في خدمة الحقيقة التاريخية إلى تعريب المحررات السياسية التي تناوحت رياحها وتجاوبت اصداؤها بين دول اوربا الأُوَل والباب العالي في جانب هذا الجبل العزيز والوطن المحبوب « لبنان » متناولة مفاوضاتهنّ اذيال الكلام في البلاد السوريّة وأمواج الفتن في احشائها متلاطمة تنزل بساكنيها من موبقات القتل والنهب والسلب والتدمير بالسيف والنار ما هو متشاهر معلوم .

ولقد نشدنا فوجدنا ضالتنا هذه في الكتابين الاصفر لفرنسا والازرق لانكلترة المنشورين في تلك الازمنة المشؤمة أخذاً لانباء هاتيك الخطوب من مظانها ولم يكن اذ ذاك غير هاتين الدولتين تذيعان محرراتهما السياسية في رجال ندوتيهما النيابيتين ايقافاً لهم على حساب اعمال وزارتيهما فيتسنى لهم ارسال أسهم النقد القصيّ بالنظر الجلي عن تروية بالغة في تضاعيف مندرجاتهما السياسية

بيدَ أنهُ قبل بلوغ الغاية من ادراك ضالتنا هذه المنشودة ساق الينا حسن الجد كتاب « معاهدات الباب العالي لجامعه البارون دي تستا » اودع الجزء الثالث والسادس منه ما جلّ قدرًا من منتقيات كتب قناصل الدول المشار اليهنّ ورجال سياستهنّ ومن مفاوضات هؤلاء الباب العالي بين سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦١ في مسائل سورية ولبنان اقتطافاً من الكتابين المذكورين فوجدنا ثمة بلةً ناقمةً لبعض الغلة فعرّبنا ما حوياه وصدّرنا كتابنا هذا بتعريب ما جاء في الجزء الثالث ثم اضفنا اليه الرسائل المخطوطة مما لهُ علاقة بمادة موضوعنا وقد عثرنا عليها في المحفوظ من مدخرات خزائن ذوي قربانا سالماً من جائحة لسان الحريق وغائلة الضياع فاثبتناها بحرفيتها مشيرين في اخر كل محرر الى مأخذه ما خلا المحررات المعربة عن مجموعة

دي تستا السابقة الذكر فان كل محرر خالٍ من اسنادٍ هو منقول عنها

وقد تعمدنا في هذا الجزء اثبات اخبار كوائن سنة ١٨٥٨ — ١٨٥٩ نقلاً عن الكتاب الازرق خاصةً لما ان انكلترة كانت صديقة الحكومة التركية منذ زمن بعيد فوعدتنا هذه على يدها بحفظ امتيازاتنا لقاء مساعدتنا لها على تمكين قدمها في سوريّة فلا يحمل نعيها على عمالها مساوئهم محمل التسوية عن سوء نية . ثم نظمنا كتابنا ورتبناه على حسب مناظم تواريخ تلك المحررات فهو يشمل المفاوضات الدولية في شأن نزع سوريّة من يد محمد علي باشا خديوي مصر وعرائض الاهلين المرفوعة الى الباب العالي ودول اوربا الأوّل الضامنة استقلال لبنان ومراسلات وزراء خارجيتها وسفرائها الباب العالي ومذاكراتهم في الجلسات التي عقدوها ورسائل القناصل الى حكوماتهم انباء بفتن سنة ١٨٤١ و ١٨٤٥ و ١٨٥٨ وبتولد جراثيم الثورة وهميمها وانتشارها حتى سنة ١٨٦٠ فأوبات واوبقت

ولقد راعينا الاصل في كل ما عربناه توفيةً للامانة حقها متحامين التعاليق والتحشيات تأييداً لما فيهِ من الروايات أو تخطئتها احتفاظاً بحرمة شرط النقل . وفي كثير من هذه الرسائل والخطب والمفاوضات كلمات تقريع تجاوز قائلوها تقبيح مساوي الذين اخذوا بوساوس شيطانية فأقدموا على اتيان المستفظعات التي تولّد عنها تفرق الكلمة وانصداع بناء الالفة الذي كان يأوي اباؤنا إلى ركنهِ الشديد إلى مؤاخذة طوائف سوريّة ولبنان جمعاء بعمل أولئك خلطاً لمن أذنب بمن لم يذنب . ثم ترامي هذه الطوائف بالمثالب والمطاعن وانواع السباب اطلاقاً لالسنة الوقيعة الذاتية . ولقد ذكرنا تلك الكلمات على علّاتها كما وردت في محالها غير محاشين طائفتنا المارونية وعائلتنا الخازنية من لواذع سهامها دلالةً على حسن قصدنا وذلك لعلل أوّلها : حفظ الاصل المعرَّب دفعاً لتهمة التحريف . ثانيها : لان تحامي ذكرها هنا لا يمحو وجودها هناك . ثالثها : ان يتعظ الخلف بغلط السلف فيتجنب الصرعة

في تلك المهاوي التي اورثتنا الذلة والضعف وخسارة كل علقٍ نفيس من امتيازاتنا لان حوادث التاريخ تتجدد . بيدَ اننا سنفرد كتاباً تاريخياً مستقلاً برأسهِ تتناسق اخباره فننقد الكلام الصادر عن بوادر الحدة والغضب

ولقد اخترنا لكتابنا من الالفاظ ما ليس متوعراً حوشياً ولا ساقطاً عامياً وهو الوسط بين ذلك تأديةً للمعنى المراد على قدر انقياد تلك الالفاظ لنا بين السهولة والحزونة

وسنودع الجزء الثاني كل ما ورد في الجزء السادس من مجموعة دي تستا انباء بفظائع السنة الستين في سوريّة ولبنان اذ هو موردنا الاول وما فاته منها نستوفيه استدراكاً من الكتابين الاصفر فالازرق السابق الايماء اليهما . وبما ان المجال غير متسع لاستيعاب جميع المتفرقات من هذا القبيل فسنلحقهُ بجزء ثالث ان شاء الله نضيف اليهِ نظائر هذه الرسائل جمعاً لكل ما بهِ فائدة للراغبين بالنفائس التاريخية

فمأمولنا ان يكون لهذا الكتاب جليل فائدة تعمّ ابناء وطننا المحبوب لعلهم إذا علموا ان ما بقي لهم من الامتيازات هو ثمن دماء اجدادهم الكرام يحرصون عليها كل الحرص فان ما يكتسب بالتعب والنصب تكون المحبة لهُ أشد والضنّ بهِ اكثر

هذا وقد أزّرنا كتابنا بفهرس يشمل تاريخ كل محرر وملخصه هدايةً للمطالع الى مطلوبهِ من أقرب الطرق وأسهلها بدون تصفح صفحاته

فعسى ان يكون هذا السفر للمؤرخ شرعةً وللكاتب نجعةً ولأولي الالباب عبرةً فما اكثر عبره لمن نظر وأنفعها لمن اعتبر

تذكرة ابرهيم باشا الى سكان لبنان في ٦ حزيران سنة ١٨٤٠
(٦ ربيع الآخر سنة ١٢٥٦)

نصدر هذا المرسوم الى المسيحيين والدروز المتوطنين في جبل لبنان ليحيطوا به علماً

لقد توالت عليَّ منذ ايام واليوم عدة تقارير منبئة برفضكم تسليم أسلحتكم وقد كانت أبقيت معكم موقتاً فدفعكم طلبها إلى الخروج عن حد طاعة السلطة العليا فلم تخف كوامن ضمائركم وأعلموا أجمعين باني محيط علماً بمقاصدكم وبالطريقة التي انتهجتموها في ثورتكم هذه الغير العادية ولها عندي سببان أثنان ليس لهما ثالث أو ان بعض ذوي الآراب المضلة أوهموكم بانكم ستجندون وقد استندوا على سذاجتكم لخدع إبائكم وبسالتكم بهذا الايهام الكاذب او انكم ركبتم ظهر الفتنة عفواً بدون سبب فاذا كان الاول أي إذا كانت أثيرت مخاوفكم من جراء الخدمة العسكرية في الجبل فلا تعيروا ذلك أقل تصديق . فوَرأس أبي خديوي مصر ورأسي لقد كذب المبلِّغ وما كنا لنرمي قط إلى إكراه الجبليين ولا غيرهم في سائر الاقطار السوريَّة على التجند وأؤكد لكم اليوم عهدي هذا ولقد سبق لي ان نصحتكم بلزوم بيوتكم ناعمي البال لا تزعجكم هذه المخاوف فانزعوها من افكاركم واحذروا خراب الجبل واراقة دمائكم . بيد انهُ اذا ما كانت فتنتكم ناتجة عن خيانة اختياريَّة وباطلة فلقد سقنا عليكم خمسة عشر لواء من المشاة ما عدا الفرسان والمدفعية لتبيدكم وتدمر بيوتكم فاذا ما وقفتم على مرسومنا ورجعتم الى الطاعة منقادين مقصين عنكم كل الغايات الملتوية فانكم تلجئون الى حرزٍ حريز من الطمأنينة وتغنمون النجاة والسرور بوقاية حياتكم ومقتنياتكم الاَّ انه اذا ما اصررتم على عنادكم فان جيشنا المنصور الموجَّه بعناية الله اليكم يستأصلكم عقاباً لكم فاطيلوا الفكرة واعملوا الرأي بما يوافق صالحكم

وباختياركم الانقياد كونوا مطيعين أميركم ليتسنى له تنبيه قوّاد الجيش الاّ يتوغلوا في البلاد وبهذا تأمنون نبال الخطر ونحن نرمي بهذه الاذاعة الى ايقافكم على الحقيقة ليتمهد لكم اختيار ما يؤاتيكم قطعاً في الامر وحذارِ حذارِ ان تعصوا فتندمون ولات ساعة مندم

٢ – اتفاقية الدروز والنصارى في انطلياس في ٨ مزبر الله سنة ١٨٤٠ و٨ ربيع الاخر سنة ١٢٥٦

الداعي لتحريره

انهُ يوم تاريخهِ قد حضرنا الى ماري الياس انطلياس نحن المذكورة اسماؤُنا بهِ بوجه العموم من دروز ونصارى ومتاولة واسلام المعروفين بجبل لبنان من كافة القرى وقسمنا يمين على مذبح القديس المرقوم باننا لا نخون ولا نطابق بضرّ احدٍ منا كائناً من يكون القول واحد والرأي واحد ونحن جمهور الدروز اذا حدث منا ادنى خلل نكون بارين من ديانتنا ومقطوعين من شركة الدروز والحظوظ الخمسة وتكون نساؤُنا طالقة من السبعة مذاهب ومحرمة علينا من كافة الوجوه وايضاً يشهد علينا ماري الياس ويكون خصمنا وقد اقمنا علينا شيخاً جناب الشيخ فرنسيس ابن جناب الشيخ حنا هيكل الخازن من غوسطا ونحن جمهور النصارى الذي يخون منا يكون ماري الياس خصمه ولا يكون لهُ موتة على دين المسيح . حرر في ٨ ربيع آخر سنة ١٢٥٦ الف ومايتين وستة وخمسين . صح صح صح (كذا)

المقرّ بما فيهِ

جمهور الدروز في جبل لبنان ونصارى ومتاولة واسلام بوجه العموم

صح

انهُ قد حضروا المدوّنة اسماؤُهم اعلاه وقسموا يمين على مذبح القديس ماري

الياس بحسبما هو محرر اعلاه حرفياً ولليان حررنا بيدنا هـذه الشهادة تحريراً في ٧ حزيران سنة ١٨٤٠ مسيحية

كاتبه

القس اسيريدون عراموني خادم

(مكان الختم) ماري الياس انطلياس انطونياني

(عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخ يوسف فرنسيس أبي نادر الخازن)

٣ – نشرة الثوار اللبنانيين الى مواطنيهم بتاريخ ٨ حزيران سنة ١٨٤٠ (و ٨ ربيع الاول سنة ١٢٥٦)

ايها المواطنون الاعزاء

في علم جميعكم المظالم التي انزلتها الحكومة المصرية بنا والضرائب الباهظة والمعانت وضروب الاستعباد التي رزحت تحتها سوريا باسرها وقد جرّت الخراب على كثير من العيال على ان سكان لبنان رغماً عمّا هم فيهِ من الانفة وروح الاستقلال احتملوا بصبر مظالم السلطة الجائرة مراعاة لخاطر الامير بشير الشهابي على امل ان يضمن لهم صبرهم هذا حفظ شرفهم وحريتهم وكيانهم . واذا كنا لم نلجأ قبل الان الى السلاح للتخلص من السلطة الجائرة فلاننا كنّا نبني كل آمالنا على ان توسط اميرنا الامير بشير الصادر عن اريحية ووطنية يخفف من شقائنا انما لسوء الحظ هذه الحكومة المستمرة على غيها وظلمها لم تحفظ جميلاً لاميرنا على ما ادّى لها من الخدم بتهدئته ثائرنا بل لما اراد ان يشفع فينا مجدداً هددته واسأت معاملته بصورة مذلة في طرسوس كما علمتم جميعاً . ومنذ ذلك الحين نهجت هذه الحكومة نهجاً مشوماً مضراً في بلادنا بتفريق عصبتنا متوسلة الى غايتها هذه بالاكاذيب والمواعيد المرقوبية فطلبت سلاحنا ونزعتهُ اولاً من الانحاء الضعيفة ثم جمعته تدريجاً من الجميع واستعانت بذات وسائل الخداع

لتجنيدنا فتسنى لها استعباد عدد وافر من اخواننا فثقل نيرها عليهم بحيث آثر الجميع الموت على البقاء تحت سيطرتها فثاروا وقتل في سبيل اخضاعهم كثير من الجنود النظامية

فلترقد بسلام رفات أخواننا الذين ماتوا في سبيل الحرّية فانهم ضاهوا بشجاعتهم الفرنسويين الذين عندما هددوا بالاستئصال إذا لم يستسلموا فضلوا الموت فخاضوا غمرات الوغى وقتلوا ١٥٠ الف رجل . فهذا أيها الاخوان حادث تاريخي يجب الاّ يذهلكم فان مواطنينا الذين قاتلوا في حوران كانوا قليلي العدد ومع ضعف وسائلهم كما تعلمون قد فاقوا الفرنسويين وبما أننا مثلنا بذات المغارم وطلب الينا تسليم اسلحتنا التي اعطتنا اياها الحكومة وبما ان الخبرة وهي أعظم معلم تعلمنا ان أخذنا للجندية يكون نتيجة ضعفنا وجب الاّ ننتظر دلائل أخرى على سوء المصير الذي يهددنا وبما ان الموت ينزل بالذين ينتظرونهُ جبنًا في بيوتهم كما ينزل بالذين يقومون لرفع نير الظلم عنهم فلا تترددوا بل فاتحد اتحادًا وثيقًا لحمته وسديته العواطف ولننهض بغير خوف فان الاستبداد الذي يهددنا حتى آخر ساعة من حياتنا هو على وشك ان يهدم وطننا أليس ذلك من الجلاء بمكان ؟ ولنكن على يقين تام ان الندامة المتأخرة لا تنقذنا اذا لاسمح الله افترقنا أو ترددنا لحظة طرف عن توحيد قوانا لاستعادة حريتنا ولكي نسلك بحزم وفقًا لما تقتضيه ظروف خطيرة كهذه مطبقين عملنا على الحكمة والرزانة الجديرتين بشعب حرّ مثلنا يجب أن نعقد اجتماعًا من الرجال المعروفين بعلو المنزلة وسمو المدارك . ويكون قوام هذه الجمعية خمسة رؤساء ينتخبون بأكثرية الاصوات في كل اقطاعة فيعقدون كلهم أو بعضهم مجلسًا في مكان مناسب للاتفاق على وضع إدارة منظمة وينتق عشرة آلاف من رجالنا البواسل لمقاومة كل الدسائس والحركات العدائية المسددة نحو حريتنا ولتخصص الضرائب — التي كان في نية الحكومة استيفاؤها من الذين كانت تريد تجنيدهم لو لم ننهض عليها —

لشراء المؤن اللازمة للعشرة آلاف مقاتل الذين سيقتدون ببسالة المكابيين وقد كان كل فرد منهم يحارب عشرة . فمن كان الحق في جانبه لا يقهر . ويقتضي أن تكون روابط أعضاء هذا المجلس مع بعضهم متواصلة ليتسنى لنا اتخاذ التدابير العاجلة لحماية مواطنينا المحدق بهم الخطر وانقاذاً لانفسنا من العبودية والظلم واخفاقاً لجميع مؤامرات وحيل سلطة مكروهة تقصر عن تفريقنا عن بعضنا . وقد سبق لليونان ان كانوا أحسن قدوة لنا فحصلوا على حريتهم وكان الله معينهم . وان أهالي دير القمر هم في مقدمة من تسلح للدفاع عن دعوانا المقدسة والعادلة فليسمع نداؤهم الوطني في كل الانحاء . أما نحن فان عزيمتنا وطيدة لا تتزعزع فقد أقسمنا على استعادة استقلالنا أو نموت في هذ السبيل

٤ – تقرير الموسيو بازيلي قنصل الروسية في بيروت الى الموسيو بوتينيف مندوب الروسية في الاستانة بتاريخ ١١ مزبر الله سنة ١٨٤٠ (١١ ربيع الاخر سنة ١٢٥٦)

ياحضرة المندوب

لقد لفحت سموم الفتنة في لبنان من جرّاء اصدار ابرهيم باشا امره بتجريد الموارنة من اسلحتهم رغماً عن توالي نصايح الامير بشير له بتحامي جمعها لانهُ كان يتوقع سوء مغبة ركوب هذه المخاطرة الغير المؤاتية . لا مراء ان استشفت قبائل الجبل اخوان الحرب من وراء جمع اسلحتهم – بينا ان محمد علي يسلح ويستنفر جميع المصريين للقتال – رغبة منه في تجنيدهم

فانهُ منذ ثلاث سنوات بعد ان توفق ابرهيم باشا لنزع السلاح بالخديعة من الجبليين جرى توزيع ٧ آلاف بندقية على الموارنة حصولاً على مساعدتهم في المسألة الحورانية وقد جاءت اليوم الحكومة تطلب بشدة استعادة هذه الاسلحة ومن المفترض ان ابرهيم باشا وقد زاده نجاحه الاول جرأة سيوجب الخدمة العسكرية

على الرجال المسلحين بتلك البنادق

وفي ١٧ و٢٩ ايار حدث ان طوقت بيروت بنطاق صحي من جراء ظهور الطاعون في دمشق فرأى اللبنانيون في هذه الوسيلة الجائرة مقدمة للانتقام منهم على تمنعهم من تسليم اسلحتهم لاسيما وان الطاعون لم يكن وطأ ارض لبنان . فاحتشد بضعة آلاف منهم في جوار المدينة وخرقوا النطاق وجرّدوا الجنود التي وقعت في ايديهم من اسلحتها وسلبوا بردُ الحكومة . وبعد يومين سلمت الحكومة البيروتية الى قناصل الدول اذاعة تشتمل على امرٍ من سليمان باشا يحظر بهِ على السفن نقل اللوازم المعاشية إلى مراسي الجبل تحت عقاب تغريقها لما ان اهاليه قد عقدوا رايات الفتنة . ومن الغد ما كاد ينتشر خبر هذه الاذاعة حتى حاصروا المدينة وتوالت الحملات على موقع المحجر الصحي المحصن بيدَ انها امتنعت عليهم بفضل بسالة خمسين الباني من جنود محمد علي فانهم ردوا هجمات الجبليين المتوالية اذ ان العساكر المنظمة لم تخاطر قط بنفوسها خروجاً من الاسوار . وما كان اطلاق النار يومياً من المدينة والسفن الحربية الراسية في الميناء ليؤذي الثوار وعلوات الارض ومنهبطاتها تحميهم

وهذه الحالة هي شاملة طرابلس وصيدا وسائر المدن الساحلية اللبنانية وثورتهم هذه لخطيرة لان اللبنانيين قد تجنبوا الاستسلام للسلب اقتصاراً على مناهضة الحكومة دون ان يلحقوا أقلّ ضرر بالسكان . ولقد رفع الثوار منذ أيام نشرة الى قناصل الدول مجاهرين باحترامهم الاوربيين واعدين باجازة مرور المؤن اذا ما كانت مرفوقة بتذكرة من القنصلية فانهُ رغماً عن وفرة الحنطة في المدينة قد زاد ارتفاع الاسعار بسبب قطع المواصلات مع الجوار وهي مورد سوقنا وبالنظر لكثرة الملتجئين الى المدينة

وقد اعاد الثوار لقنصلية انكلترة اكياس المال المرسلة من دمشق وقد كانت نُهبت غلطاً مع اكياس بريد الحكومة . ورأيت أثناء تجولي في ضواحي المدينة عدة مئات من هؤلاء الثوار تعلو وجوههم سيماء العزم والسكون في حين كانت مدافع

المدينة تطلق قنابلها على رفقائهم المحتشدين في أماكن أخرى . ومن ثمه ليست هذه الحوادث إلاَّ مقدمة لغيرها لانهُ متى رأت الحكومة من نفسها قوة على المخاطرة بسوق حملة الى الجبل ينبغي توقع حدوث كل فظائع الحرب الاهلية في ميدان واسع يتعذر فيهِ إعادة الراحة واستتباب الامن العام وها قد بدأ الالبانيون الذين نجدوا الحكومة بالاستسلام للنهب في القرى والاعتداء على الاوربيين اثناء تجولهم

هذا وان سليمان باشا محصور في صيدا وقد كسرت غير مرة الفصائل التي ارسلها لحفارة قوافل المؤن اللازمة للمدينة ولا يزال هذا القائد وشريف باشا والي دمشق يخابران الامير بشيرًا امير الجبل الكبير ويفاوضانه في الوسائل الكافلة قمع الثورة على ان الامير المشار اليه وكثيرين من افراد اسرته يجاهرون باخلاصهم لمحمد علي . اما سلوك الامير بشير الملتبس فيزيد الحكومة ارتيابًا به بحيث يخشى عليه من فقدان سيطرته في لبنان على ان غيره من الامراء قد انضموا الى الثوار ولا رئيس للثورة حتى الان بل تتخذ جميع القرارات جمهوريًا بعد مداولات عمومية وعلنية . وقد انفذوا عدة رسائل الى حوران ونابلس وجبل حبرون والى ما وراء الاردن والى كل الاماكن المعروفة بنزعات اهاليها العدائية نحو الحكومة المصرية وفي وسع رجالها حمل السلاح. ان والي دمشق قد اكد لقنصل فرنسا فيها ان الاهالي لم يظهروا أدنى ميل للاشتراك بالثورة بل ان الثوار ذاتهم التمسوا العفو لتقديم خضوعهم . بيد انه من الثابت ان قد حدثت قلاقل في حوران . وخلا ما تقدم فعلى ابرهيم باشا أن يتوقع مهاجمة قبائل بلاد مابين النهرين لانها كانت مستعدة منذ حين ان تحمل عليه بجيش قوامه عشرون الف مقاتل . وكما ان انضمام اللبنانيين الى جيش ابرهيم باشا في سنة ١٨٣٢ قد جرَّ معه خضوع كل سوريا فلا يبعد ان ثورتهم اليوم ستؤول الى طرد المصريين نهائيًا من هذه البلاد الاَّ اذا ما أخمدت نارها حالاً بالتساهل مع اهالي الجبل المذكورين واعطائهم ضمانات على المستقبل . وحتى الان لا يظهر ان للثوار غاية معروفة ولو كانوا

جروا بحسب العادة المرعية في لبنان فاقسموا الايمان على بقائهم متحدين ومخلصين للصالح العام الى أن يتم طرد المصريين

أمّا ابرهيم باشا فقد أوقف على الكوائن الجارية في الجبل فاثبت الامر الناهي عن اصدار الحبوب والحاجات المعاشية . وقد اتصل بي أيضًا ان باخرة وصلت أمس الى صيدا حاملة رسائل هامّة جدًّا من محمد علي لسليمان باشا والامير بشير ونرجح ان التعليمات المنطوية عليها تشير الى استعمال اللين . وممّا يؤيد هذا الامل انهُ فور وصول الباخرة حمل أحد انجال الامير بشير الى الثوار كلام سلم محرضًا اياهم على ترك ضواحي بيروت فلم يذعنوا لهُ بل ازدادوا جرأة وفي ليل امس تقدموا الى اسوار المدينة فاهانوا الخفرا القائمين على حراستها واستنزلوهم للقتال ولا يزالون يهددون بتسلق الاسوار ودخول المدينة

٥ – كتاب اهالي جبل لبنان الى الامير امين نجل الامير بشير بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٨٤٠ (١٢ ربيع الاخر سنة ١٢٥٦)

ماخفاكم كما لم يغرب عن حاكمنا الامير بشير ما اصاب اهالي جبل لبنان من المظالم والاستبداد وما فُرض عليهم من الضرائب الباهظة . فانهُ منذ بُسط حكم سمو محمد علي على هذه البلاد فان اهالي لبنان كانوا في مقدمة من ادّى الطاعة وذهبوا مع جيشهِ الى فتح دمشق ومقاتلة الجنود في حماه وطرابلس ولما نزع اهالي صفد ونابلس والنصيرية والمتاولة الى الثورة توجه اهالي هذا الجبل مع سعادة الامير بشير فكسروهم واخضعوهم لحكومة الباشا المشار اليه ممّا زاد اللبنانيين املًا في اعفائهم من الضرائب وجعلهم بنجوة من المظالم لكنهُ مكافأة لهم على قمعهم الثورة في البلدان المذكورة وارجاعها اليهِ طلب اليهم تسليم سلاحهم والتجند في عسكره فألحقت بهم هذه المعاملة اضرارًا جسيمة تنبو عنها الاسماع اذ سُبيت نساؤهم وأُنزل بهم اشد انواع

العذاب وعُلقوا على الاشجار ثم ضرب عليهم « الفردة » وأوجب استيفاءها حتى من الذين ماتوا او قُتلوا في الحرب في خدمة حكومته . ولمَّا أكتشف منجم الفحم الحجري في الجبل أمر أحد أهاليه بتعدينه وتقديم الادوات اللازمة للعمل دون بدل وأنتدب رقباء على هذه الاعمال مكتفيًا بدفع اجرة المكارين الذين كانوا ينقلون الفحم الى بيروت على ان ذلك التعويض كان قليلًا بالنسبة الى ما أكرهنا الى دفعه من الاكلاف وتقديم الاخشاب والاكياس اللازمة للعمل في المنجم المذكور فانهُ لم يدفع لنا سوى ربع أثمانها امَّا أجور نقلها من قرانا حتى المنجم فلم تدفع لنا . فلو شئنا تعداد هذه المظالم بالتفصيل لضاق بنا المقام ناهيك عن ضرب العصي والاهانات التي أنزلت بنا وقبح معاملتنا كالفلَّاحين المصريين الى غير ذلك من النفقات الباهظة التي تحملناها في سبيل الامراء والبلوكباشية . ومنذ بديء بانشاء المحجر الصحي حتى الان أكره الجبليون على تقديم الكلس ببدَل تافه وعلى نقله مجانًا على دوابهم وفُرضت رسوم جديدة على المطاحن وأرسل البنَّاءون بالقوة الى قولاق بوغاز في عكا والى المحجر الصحي ولم يُدفع لهم سوى ربع اجرتهم المعتادة وزادت السخرة في المدن والقرى وحيثما ذهبنا ممَّا أوقعنا وعدة عيال في الفقر المدقع إذ لم يبقَ لنا لا مال ولا أولاد ولا حيوانات لان أولادنا أخذوا للخدمة في الجند النظامي ومحصولات اراضينا لا تكفي لحاجاتنا ودفع الضرائب المذكورة وجميع حيواناتنا هي في سخرة مستمرة (بحيث ان كثيرين رموا بغالهم وجمالهم من علو شاهق لاهلاكها وآخرين باعوها بثمن بخس) وأوقفنا حياتنا لخدمة المنجم الفحمي والجنود . هذا ومنذ زمن لمَّا أعلنت الحرب على اخواننا أبناء أمتنا سكَّان حوران الذين أرهقوا بالمظالم وزعت علينا الحكومة سلاحًا وأرسلتنا لقتالهم فحاربناهم مدة سنتين متواليتين فمات منا كثيرون إن من جرَّاء الاتعاب وان في المعارك وقد كلفتنا هذه الحملة خلا النفقات والاضرار نحوا من الفي كيس

وقصارى القول اننا لما كنا قد فقدنا أموالنا وأولادنا وحريتنا ولم يبقَ لدينا شيء من حطام هذه الدنيا واستولى علينا اليأس والقنوط اضطررنا إلى إجابة داعي الثورة تخلصاً من الاستبداد واستعادة لراحتنا وحريتنا. إنما إذا التفتت الحكومة الى الله ورفعت عنا المظالم فنحن مستعدون للخضوع لها واطاعة أوامرها إذ لا نقصد بنهضتنا انشاء حكومة بدلها بل جل غايتنا التملص من ربقة هذا الاستبداد الذي لا يطاق اذ لا نقوى على غير دفع الميري عن أملاكنا وجوالة واحدة فاذا صادف رجاؤنا أذناً صاغية وأنقذنا من المظالم المذكورة كما نرغب فهاك ما نلتمسه من سمو الخديوي : ان يقتصر على أخذ «ميري وجوالة» ويرفع عنا كل مظلمة وسخرة وان يتعهد بذلك على يد سفيري انكلترة وفرنسا أو على يد قناصلهما في هذه البلاد حتى اذا لم يعمل بهذه العهود تماماً يتسنى لنا رفع الشكوى إلى هذين المرجعين وعليه فنحن موطدو النية على البقاء حيث نحن إلى أن يرد الجواب فإذا كان موافقاً عاد كلٌّ منا إلى بيته والاَّ نحن مصممون العزيمة على الاستماتة مؤثرين التفاني على الحياة في الحالة الحاضرة . لقد بسطنا حالتنا فلتأمر الحكومة بما ترتأيه

٦ ــ كتاب محمد علي باشا الى بوغوس بك عن الاسكندرية بتاريخ ١٦ تموز سنة ١٨٤٠ (١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٥٦)

ان المركب بولاق المصفح بالحديد القادم من سوريا حمل إليَّ رسائل من صاحبي السعادة الامير بشير وعثمان باشا وبها ينبآني انهُ في العاشر من الجاري نهض عثمان باشا بعسكره زاحفاً على الجبل وما سار قليلاً حتى التقى بالثوار وهم بموقف المستنزلين قتاله ففرَّق شملهم في لمحة طرف وطاردتهم الجنود الظافرة على مسافة ستة فراسخ ولم تقف إلاَّ في قرية بوارج لقضاء ليلها وان أهالي قضاء المتن تراكضوا للاستسلام وتسليم أسلحتهم وان الجبليين يأتون جماهير غفيرة زرافات ووحداناً من سائر الانحاء

لتقديم الطاعة وتسليم أوزار القتال

وزاد سعادة الامير بشير على ما تقدم إن سكّان دير القمر قد انقادوا طائعين أسوة باخوانهم المذكورين آنفًا وان الثوار الموجودين في جوار صيدا أقتدوا بهم وتسارعوا الى تسليم أسلحتهم والتماس العفو

فأجيز لك ابلاغ اصدقائنا حضرات قناصل الدول العامين انهُ يمكن اعتبار الاضطرابات المذكورة قد زالت تمامًا

٧ – عريضة اهالي جبل لبنان وسوريا الى السلطان عبد المجيد بتاريخ تموز سنة ١٨٤٠ (جمادى الاولى سنة ١٢٥٦)

نرفع بتمام الخضوع هذه العريضة الى اعتاب ديوان السلطان العظيم الرؤوف العادل ذي السلطة المحترمة والاسد الغضنفر صاحب السيف والقلم ظل الله على الارض سلطاننا المعظم عبد المجيد خان أيّد الله ايام ملكه الزاهر امين

ان محمد علي الذي يدعي انهُ أحد عبيد جلالتكم وقد تجرأ على ان يسلك مع المرحوم والدكم المعظم الخالد الذكر مسلك الخيانة أنزل بنا أنواع المظالم وضروب الاستبداد. وهذا ما الجأنا إلى أن ننطرح أمام عرشكم السلطاني المستنير بأشعة العدالة والرأفة باسطين اكفّ الضراعة إلى حنان جلالتكم الابوى لتتنازل إلى رمقنا بنظرها السامي فتحمينا وتنقذنا لاننا نعرف عظم عدالة حكومة جلالتكم وبسطة رأفتها الغير المحدودة. ان قلوبنا لمضطرمة رغبةً في الحصول على السعادة التي يتمتع بها جميع الذين يفاخرون بشرف انتمائهم إلى رعيتكم . فما هو الذنب الذي اقترفناه فحوّل عنا انظار جلالتكم واستهدفنا لنبال استبداد وجور لا تطاق آلامها في حين ان آباءنا واجدادنا قد تمتعوا منذ اربعمائة سنة بنعمة التفيوء في ظل علَم جلالتكم السلطاني ! فنحن أولادهم مستعدون لاقتفاء آثارهم لنرث مثلهم النعمة التي غنموها مدة قرون ممّا عاد بالفخر

على سلالة آل عثمان

وعليهِ نلتمس ونسترحم من فيض حنانكم الابوي ورأفتكم الملوكية بألاَّ تهملنا وألاَّ تسمح بان يقال ان قد ضحّي شعب كبير في سبيل تحقيق اطماع رجل واحد ظالم خالٍ من كل عاطفة انسانية موصوف بالانانية والبخل فانهُ لم يكتفِ بجحد النعمة ونسيان مكارم جلالتكم نحوه بل تجرأ أيضًا على شقّ عصا الطاعة وتسديد سلاحه بخيانة ضد شخصكم المقدس . ولمَّا رأينا ذواتنا في هذا الموقف السيء المحزن المشرف بنا على هاوية الدمار والابادة قد نهضنا ونشرنا راية جلالتكم لحماية حقوق سيادتكم الشرعية التي سنحارب لاجلها متهالكين في سبيلها إلى النفس الاخير واتكالاً على العون الالهي ومساعدة جلالتكم نؤمل التغلب على عدو جلالتكم وهو عدونا وطرده من اراضي السلطنة

ولهذا نكرر استرحامنا مستغيثين برأفة جلالتكم أن تلفت نظرها الشاهاني نحونا لمساعدتنا ومدّ يد العون الينا لاسيما وان العدو المذكور قد أحاط بنا من كل جانب ومنع وصول ذخائر الحرب الضرورية الينا . ولمَّا كان ليس لنا اسطول لمقاومة اسطولهِ فنلتمس بلجاجة من جلالتكم أن تساعدنا على فتح طرق المواصلات وغيرها إذ بدونها نقع لا سمح الله في حالة حرجة منذرة بهلاكنا العاجل . ومعاذ الله ان يسمح حلم جلالتكم الابوي الشاهاني بوقوع هذا الشرّ . فنضرع إلى الله القادر على كل شيء أن يحفظ شخصكم المقدّس ويطيل ايام ملككم المجيد محفوفًا بالسعد والنصر

٨ ـ عريضة(١) اهالي جبل لبنان الى الكونت دي بوتنوى سفير فرنسا في الاستانة بتاريخ .. تموز سنة ١٨٤٠ (جمادى الاولى سنة ١٢٥٦)

ان الاخبار المكدرة التي حملتها الينا صحف الاخبار قد كان لها وقع سيء ممتد الصدى في سوريا فمزّقت لفائف قلوب الرجال والنساء والاطفال وأمسوا الان مهددين بالاستئصال من محمد علي الذي تنازلت فرنسا فاظلتهُ بحمايتها الظليلة. فهل جهات فرنسا الاضرار التي ألحقها بنا هذا الرجل وأنواع المظالم التي أرهقنا بها منذ ساعدته الاقدار على امتلاك سوريا ؟ ان هذه الشرور لا تحصى ويكفي أن نقول ان مظالمه الفظيعة وضروب استبداده وجوره دفعتنا إلى اليأس وأحيت بنا الرغبة الشديدة في الرجوع إلى كنف حكومة جلالة سلطاننا عبد المجيد الابويّة . أليس هذا الميل طبيعي في نفوس شعب مخلص ؟ إن فرنسا هذه الامة العظيمة المشهورة بكرم أخلاقها الناشرة في كل مكان أعلام الحريّة المريقة الدماء في مدى قرون طويلة لتأييدها في حكومتها تأبى علينا اليوم مدّنا بنفوذها الفعّال للتمتع بمثل هذه النعمة !

جاء في جوانب الاخبار الفرنسوية : « ان فرنسا لا تقبل بكل اتفاق مبني على اعادة سوريا إلى سلطانها الشرعي . » هل هذا ممكن ؟ ان السوريين لا يمكنهم تصديقه ولا يخطر ببالهم صحته اذ ان الامة الفرنسوية المشهورة بنبالتها وشهامتها وتمدنها تلك الامة التي نحبها ونجلها لا يمكنها ان تريد بقاءنا محنيي الرقاب تحت نير استبداد عمدي وهو الصفة المميزة للحكومة المصرية عن سائر الحكومات . فنطلب ان يسمح لنا بالعودة إلى ملاذ حماية سلطاننا الشرعي الذي لم ننقطع عن الخضوع له منذ اربعماية سنة وجلّ رغبتنا الاشتراك في النعم والحقوق الممنوحة في الخط الشريف الذي اصدره

---

(١) وقد رفع نسخة أخرى من هذه العريضة إلى السير ستراتفورد كانين سفير انكلترة في الاستانة

جلالة سلطاننا وأولاها جميع تبعته الصادقة دون استثناء ولا تمييز

فنحن نستغيث بعدالة الحكومة الفرنسوية ونسأل الامة الفرنسوية جمعاء ان تساعدنا على تحقيق مطالبنا . ان أشد ضروب المظالم والجور الجأتنا إلى حمل السلاح للذود عن حياتنا وشرف عيالنا وجعلها بمأمن من اعتداءات الجنود المصرية والاستماتة في هذا السبيل تحت انقاض بلادنا . ولما كان الغرض الذي نرمي اليه عادلاً فلنا ملء الثقة بان الحكومة الفرنسوية لا تحرمنا عضدها في هذا الوقت الحرج واستنادًا على هذا الامل رفعنا لسعادتكم عريضتنا هذه ملتمسين ابلاغ رجائنا هذا الى امام عرش مليككم المعظم حليف سلطاننا الحليم عبد المجيد

٩ — مذكرة سلمها المسيو غيزو الى اللورد بلمرستون رئيس وزارة انكلترة بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٨٤٠ (٢٤ جمادى الاولى سنة ١٢٥٦)

ان فرنسا قد رغبت دائمًا أن تسير بالاتفاق مع بريطانيا العظمى والنمسا وبروسيا والروسية في المسألة الشرقية فصدرت في الخطة التي انتهجتها عن حب السلم فقط ولم تنظر في الاقتراحات التي عُرضت عليها الاّ الى الصالح العام ولم تلتفت قط الى صالحها الخاص اذ ليس يوجد دولة مثلها مجردة عن كل غاية في الشرق . ولذلك لم تستحسن كل المشاريع المقصود بها ان تنزع بالقوة من يد محمد علي اقسام السلطنة العثمانية التي يحتلها الان . ففرنسا لا ترى ذلك موافقًا لجلالة السلطان لانهُ يؤول الى اعطائهِ مالا يستطيع تولي ادارته او حفظه. ولا تعده موافقًا لتركيًا بوجه العموم ولحفظ التوازن الاوربي خاصةً إذ يضعف دون فائدة للسلطان اميرًا تابعًا يمكنهُ ان يساعد كثيرًا في الدفاع عن السلطنة

وما كان هذا المشروع المقترح سوى مذهب يمكن أن تتباين الآراء فيهِ .

بيدَ ان فرنسا قد جهرت بما كستها كل مشروع يجرّ الى استعمال القوة لانها لا ترى جلياً الوسائل التي في استطاعة الدول الخمس التذرع بهـا . وكانت ترى ان هذه الوسائل غير كافية أو اكثر ضرراً من الحالة التي يراد معالجتهـا ولا تزال على اعتقادها السابق ولديها أسباب تدعوها الى التيقن بأنها غير منفردة في رأيها . ومن ثمه لم يعرض عليها في الظروف الاخيرة أدنى اقتراح جازم لابداء رأيها فيهِ وعليهِ يجب ألا ينسب بلاغ انكلترة لها باسم الدول الاربع الى رفضها أموراً لم تعرض عليها

وفضلاً عمّا تقدم فان فرنسا تصرح مجدداً ـ وهي تضرب صفحاً عمّا يمكن ان ينتج عن طريقة معاملتها بهذه الصورة ـ انها تعتبر كل نهج قوامه اتخـاذ قرارات لا سبيل لتنفيذها إلاّ بوسائل غير كافية أو مخطرة كعملٍ خالٍ من الروية والفطنة

لا ريب في أن ثورة بعض سكّان لبنان هي الفرصة التي أعتقد فريق امكان انتهازها لايجاد وسائل التنفيذ التي عدمها حتى الان . فهـل هذه الذريعة إلاّ شائنة أو هي مفيدة للسلطنة العثمانية ؟ وهل من حسن التصرف السعي بهذه الصورة ضد الخديوي ؟ يريد قوم تمتيع سائر اجزاء السلطنة بقليل من الراحة وتعليمها الطاعة وفي الوقت ذاته يثيرون المشاغب والفتن ! فيزيدون اضطرابات جـديدة على الاضطراب العام الذي تأسف الدول المحبة السلم على وجوده . وهل يرجون ان يتوفقوا إلى اخضاع هؤلاء السكّان إلى الباب العالي بعد ان اخرجوهم عن طاعة الخديوي ؟

فجميع هذه المسائل لم تُحلّ . أمّا إذا قُمعت هذه الثورة وتوطدت دعائم سلطة الخديوي مجدداً في سوريا وازداد من جرّاء ذلك حنقاً بحيث يصعب اقناعه فيقابل الانذارات الموجّهة اليهِ بالرفض فما هي الذرائع التي لدى الدول الاربع لاقناعه ؟

لا مراء ان الدول بعد ان قضت سنة في البحث عن هـذه الوسائل لم تتوفق اليها اليوم بغتةً وعليه تكون اوجدت خطراً جديداً أعظم ممّا تقدمهُ لان في

وسع الخديوي الذي ساعدت فرنسا على ايقاف زحفه أن يجتاز جبال طورس ويهدد الاستانة مجدداً لاستياءه من الطرق التي استعملت ضده

فماذا تفعل الدول الاربع اذ ذاك ؟ وما هي طريقة الدخول الى السلطنة لانجاد السلطان ؟ .ان فرنسا تعتقد ان الدول بعملها قد أوجدت خطراً على استقلال السلطنة العثمانية والسلم العامة أشد خطورة من الذي كان يهددهما به طمع الخديوي

إذا كانت الدول الاربع لم تتوقع جميع هذه الطوارق التي لا بد ان تنتج عن الخطة التي اعتمدت على الجري عليها تكون قد توغلت في طريق مظلمة محفوفة بالمخاطر أمّا إذا كان سبق لهنّ النظر في عقبى هذه الحوادث واستدراكها وادخرت لها الوسائل فعليها ان تعلنها لاوربا لاسيما لفرنسا ـ وهي لم تنفك عن الاشتراك معهنّ في الغاية العامة ـ التي يطلبنَ اليوم مساعدتها الادبية ويستغثنَ بما لها من النفوذ في الاسكندرية

أجل انه كان على فرنسا ان تبذل عضدها الادبي لو كانت السياسة مشتركة أمّا في الخطة الحاضرة التي انتهجتها الدول فلا يتوجب عليها ذلك وعليه لا يمكنها ان تصدر من الان وصاعداً في أعمالها إلاّ عمّا هو متوجب عليها للسلم ولذاتها . فالخطة التي ستجري عليها في موقف اوربا الحرج الذي أوصلتها اليه الدول الاربع متوقفة على كيفية حل جميع المسائل المبسوطة آنفاً وستجعل دائماً قيد نظرها حفظ السلم والتوازن الحالي بين دول اوربا وتوجه كل عنايتها الى ادراك هذه الغاية المزدوجة . اه

١٠ـ رسالة البارون دي سنورمر سفير النمسا في الاستانة الى البرنس دي متزنيخ وزير خارجية دولته بتاريخ ١٧ اب سنة ١٨٤٠ و١٨ جمادى الاولى سنة ١٢٥٦

سيدي الامير: ان حضرة ناظر الخارجية العثمانية ارسل الموسيو فرنشيسكي إلى

رصفائي سفراء انكلترة والروسية وبروسيا والي لابلاغنا ما يأتي :

ان حضرة سفير فرنسا ارسل أمس في ١٦ الجاري ترجمانه الى رشيد باشا ناظر الخارجية فابلغهُ انهُ مأمور باخباره ان الحكومة الفرنسويَّة والملك والامة يعدّون توقيع المعتمد العثماني في فرنسا صك الاتفاقية المبرم في لندرة على غير علم المعتمد الفرنسوي ودون مشاركته اهانة لهم في حين انهُ يتعلق بمسألة اشتركت فيها فرنسا منذ البدء . وان الحكومة الفرنسويَّة تعارض بكل ما لديها من الوسائل استعمال القوة ضد باشا مصر . وانها تنتظر للاقدام على ذلك نتيجة المفاوضات التي فاتحت بها وزارات خارجية ڤينا وبرلين حصولاً على الغاء صك الاتفاقية المذكورة وانها بدلاً من استخدام ما لها من النفوذ الادبي على الباشا لاقناعه بالرضوخ كما سئلت ستبذل له ما بطاقتها من العضد لمساعدته على مقاومة التدخل الاجنبي . وانها تضمّ مساعيها إلى مساعيه لاثارة سكّان اسيا واوربا على الادارة التركية الحالية التي تجاهر الحكومة الفرنسويَّة بمعاداتها . وان السفير الموسيو دي بونتوى سيخبر السلطان وجميع الامة الاسلامية ان فرنسا لم تشترك فى الاتفاقية لانها موجهة ضد مصالح الامة الاسلامية فهي ترذلها وتمانع في تنفيذها .»

فأجابهُ رشيد باشا: ان هذا الكلام أدهشهُ كثيرًا لانهُ قد سبق لفرنسا ان اشتركت في النطاقة الاجماعية المؤرخة في ٢٧ تموز من السنة المنقضية . فردَّ عليه الترجمان ان الموسيو دي بونتوى توقع هذا الاعتراض فاذا كانت الحكومة الفرنسويَّة سكتت عن اشتراك سفيرها مع سائر السفراء في البلاغ المذكور فهي لم توافق عليهِ مطلقاً . وعدا ما تقدم فان الاتفاقية الجديدة تقضي باتخاذ وسائل عنف لا ذكر لها في البلاغ السابق الايماء اليه وان فرنسا تقصد باحتجاجها هذه الوسائل الاكراهية

فقال الباشا: « اني متأسف كثيرًا من تصريحاتك هذه لاني كنت اعتبر دائمًا فرنسا كأقدم صديقة للباب العالي ولا يتعلق بي منع تنفيذ أمر لم يعزم هو عليه

الأ بمساعدة حليفاته الاربع وعليه فالحكومة التركية تقدم عليه ولو مهما نتج عنه .» ثم اردف قائلاً « انهُ اذا كان الموسيو دي بونتوى يريد ايقاف السلطان على ما ابلغهُ اياه بواسطة ترجمانهِ فهو مستعد لمرافقتهِ عند مقابلته جلالته فهو لا يكتمهُ شيئاً »

ولا اراني بحاجة إلى ان اصف لسموك مقدار استياء رشيد باشا من هذا الكلام الجافّ العدائي الذي عهدت الحكومة الفرنسويَّة الى سفيرها بأن يخاطب بهِ الباب العالي في هذه الظروف

وقد قصَّ عليَّ الموسيو فرنشيسكي ان رشيد باشا أستدعي أمس للمثول بحضرة السلطان فاطلعهُ جلالته على تحرير وارد على والدته من امير الاسطول السابق (قبودان باشا) لا يُعلم بأية طريقة والارجح انه وصل مع الباخرة الفرنسويَّة التي قدمت الاستانة في ١٤ الجاري . وفي هذا الكتاب يؤكد احمد فوزي باشا ان محمد علي موطد العزيمة على المقاومة ولا ينثني عنها وان في طاقتهِ تهييج جميع ولايات اسيا ويستحلف حضرة والدة السلطان ويلتمس ويسترحم منها ان تستخدم ما لها من النفوذ لدى ابنها لوقاية الامة من الاخطار التي تهددها وربما من خراب السلطنة

وقد رأيت هذه الانباء بمكان من الاهمية توجب ان ارسلها الى سموك بواسطة رسول خاص يسافر عند فجر غدٍ

١١ — تقرير ابارودو دي نسنا كاتب اسرار سفارة النمسا الى ابارودو دي سنورمر بتاريخ ١٧ اب سنة ١٨٤٠ و١٨ جمادى الاخرة سنة ١٢٥٦

ان دولة رشيد باشا قال لي اليوم ان حضرة سفير فرنسا ابلغه بواسطة الموسيو كور ترجمان السفارة ما يأتي :

انه منذ ارتقاء السلطان عبد المجيد الى العرش لم ترضَ فرنسا عن تدخل الدول

الاجنبية في الخلاف بين تركيا ومصر وان الباب العالي وقّع في لندره خلافاً لنصائحها المتكررة اتفاقية تعتبرها فرنسا اهانة لها فيما انها كانت تأمل ان شكيب افندي يخبر سفير فرنسا في لندره عنها قبل توقيعها ولذلك فلقد امست ضد الادارة الحالية في تركيا. وانها ستعلن الامة الاسلامية نياتها. وانها تساعد كل الاشخاص الذين هم ضد السياسة الحالية وتعضد جميع الاعمال الموجهة ضدها . وانها ليس فقط لاتستخدم ما لها من النفوذ على محمد علي وفقاً لرغبة الدول الاربع بل بعكس ذلك تعضده اذا كانت مصالح فرنسا وشرفها يقتضيانه . وان الموسيو دي بونتوى سيطلب مقابلة جلالة السلطان عند اللزوم لبسط كل ما تقدم بين يديه . وختم كلامه بان هذه اللهجة ليست صادرة من الموسيو تيارس وحده بل ان الامة الفرنسوية باسرها تشاطره اياها . اه .

وقد ذيّل رشيد باشا هذا التقرير بما يأتي :

« وجدت كل ما تضمنهُ هذا التقرير صحيحاً وهو يحتوي على كل ما قاله لي الموسيو كور » . عن بلطه ليمان في ٢١ آب سنة ١٨٤٠

١٢ — نظافة الكونت دي بونتوى الى رشيد باشا عمه طرابيا في ١٩ اب سنة ١٨٤٠ و٢٠ جمادى الاخرة سنة ١٢٥٦

يادولة الوزير : اتصل بي ان قد أُوقف حضرات ممثلي حكومات النمسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية على تصريح زعم انهُ أبلغ باسمي لحكومة جلالة السلطان وهو يتضمن بيان نية فرنسا في الانتصار لمحمد علي واثارة الاهلين الموجودين تحت سلطة الباب العالي

فأرى من واجبي يادولة الوزير ان اعلن لك رسمياً انهُ اذا ما كان أبلغ سفراء

الدول حقيقةً مثل هذا الكلام فهو مؤسس على تأكيدين كاذبين ومنذ الان ألقي مسئولية كل ما ينتج عنهما على مذيعهما

١٣ – فقرة من كتاب الموسيو بارين الى الموسيو غيزو بتاريخ ٢٣ اب سنة ١٨٤٠ و ٢٤ جمادى الاخرة سنة ١٢٥٦

لم يفرح امبراطور الروسية منذ تبوأ العرش فرحه اليوم . فهو يغتبط لا لانه سيضطر الى ارسال جنوده الى الشرق بل لأنه افسد بين فرنسا وانكلترة ويعدُّ هذه النتيجة فوزًا عظيماً ولا يكتم الامال التي يرجوها من وراءها . وعندي انه يستصعب الاشتباك في حرب في الشرق اذا ما الجأته الظروف اليها لانه غير متأهب لها كما يريد ان يوهم . لكنه سيبذل جهد طاقته ولا يهمل وسيلة لايقاع الخلاف بين فرنسا وانكلترة في اخر الامر.

وقد قال انه يقوم وحده بتنفيذ احكام اتفاقية ١٥ تموز اذا ما دعت الحاجة

١٤ – نشرة الامير بشير عمر بتاريخ ٣ ايلول سنة ١٨٤٠ (٦ رجب سنة ١٢٥٦)

ان وصول الانكليز الى ثغر بيروت غايته خدعكم وأخذكم بالحيلة لاضلالكم وعليه فكل من قبل منهم كتابات ترمي إلى التحريض على الثورة يجب عليه ان يسلمها لاولادي الامراء حتى اذا لم يفعل عوقب بالموت

وكل من يأخذ منهم سلاحاً أو ذخيرة أو مونة دون اذن من حكومتي فعقابه الموت

وكل من يضيف الجواسيس الذين يأتون للحض على شق عصا الطاعة أو يصغى اليهم فعقابه الموت ايضاً . فحذارِ من مخالفة أوامري إذ عليكم وحدكم تقع تبعة مخالفتكم والله يحفظكم. صدر عن قصرنا في بيت الدين

١٥ ... الفرمان السلطاني الى الامير بشير قاسم بتاريخ ٣ ايلول سنة ١٨٤٠ (٦ رجب سنة ١٢٥٦) (١)

نوجه أمرنا هذا السلطاني الواجب القبول والاتباع في جميع البلدان البعيدة والقريبة إلى نسيب الامير بشير الذي نعينه منذ الان أميرًا لجبل الدروز أريد به الامير العظيم المكرّم بشير قاسم زيد مجده والى مشايخ عشائر الدروز وعين أعيان الجبل زادهم الله طاعةً

لدى وصول أمرنا هذا ليكن معلومًا: إنه كان من المتوجب على الامير بشير ان يأتمر بالاوامر التي صدرت اليه ويظهر دائمًا بمظهر التابع المخلص خاضعًا لجلالتنا الشاهانية المحسنة اليه ويطيع أوامرنا ويبذل جهده في عمل كل ما يطابق رغائبنا ويجتهد في حماية الاهالي والعشائر التي وُكلنا اليه أمر رعايتها ويوجه كل عنايته وحكمته مستعملًا كل الوسائل التي لديه لحمايتهم ووقايتهم من كل اذىً ومظلمة وفقًا لما توجبهُ عليهِ تابعيته . بيدَ إنهُ اتصل بنا ان الامير بشيرًا لم يقم بهذه الشروط الاساسية وانهُ لا يزال مصرًّا على اتباع مقاصد محمد علي باشا ومأموريه والجري وفقًا لنصائحهم وتعليماتهم سالكًا مسلكًا مخالفًا لما كنا ننتظره منه . أما أنت ايها الامير فبانتهاجك منهج الامانة وحسن الفطنة والدراية المفطور عليها قد برهنت على اخلاصك لذاتنا الشاهانية اخلاصًا يستحق المكافأة واثبتَّ طاعتك وانت تعرف واجبات التابعية ولذلك فان بابنا العالي على ثقة من انك إذا عُينت اميرًا للدروز فلا تحجم عن أتيان دلائل خضوع جديدة لاوامرنا وتزداد صفات الامانة والاخلاص والنشاط

---

(١) ان الانكليز استصحبوا هذا الفرمان دون تاريخ لكنهم أذاعوه في ١٠ ت ٢ من السنة المذكورة وأرخوه في ٣ ايلول انتقامًا من الامير بشير عمر على نشرته الصادرة بالتاريخ ذاته وارهابًا للاهالي بان لهم السلطان المطلق

الغريزية فيك نماء ولهذا نعلمك خلعنا الامير بشيراً ونسميك مكانه أميراً لعشائر الدروز وعليهِ صدر أمرنا السلطاني هذا من ديواننا الهمايوني. فعليك فور وصول فرماننا العالي الشأن أن تتلوه على مسامع من يلزم ثم تقوم بواجبات منصبك هذا بامانتك المعتادة وتدير الشؤون التي من اختصاصك بحكمة وعدالة وفقاً لرغائب جلالتنا السلطانية ومصالحها . وفي عداد الواجبات المفروضة عليك حماية الاهالي وعشائر الدروز الذين ما فتئنا نسهر عليهم ونلحظهم بعين الرعاية ثم تحذيرهم من مقاومة تنفيذ حقوقنا على الامة والسلطنة ومن كل ما يناقض فروض الطاعة والاخلاص المتوجبة عليهم للباب العالي ومنعهم من أن يشايعوا محمد علي وأعوانه

وقصارى القول يجب عليك أن تبذل كل ما في طاقتك وتسهر ليل نهار على إتمام ما ينتظره الباب العالي من فطنتك وأمانتك بحيث تستحق مواصلة استمرار النعمة التي منحناك اياها . وأنتم يامشايخ الدروز متى علمتم اننا عيّنا الامير بشير قاسم أميراً للدروز يقتضي عليكم كما هو الواجب أن تتحدوا معهُ قلباً وروحاً لاتمام ارادتنا وان تمتثلوا إلى منطوق فرماننا هذا محافظين على حقوقنا الشرعية فاحترسوا من أن يشاهد منكم أدنى مخالفة لارادتنا السلطانية من شأنها الاجحاف بسلطتنا في ممالكنا الموروثة

١٦ — فقرة من كتاب المسيو بارس وزير خارجية فرنسا الى المسيو غيزو سفير دولته في لندرة بتاريخ ٨ ايلول سنة ١٨٤٠ (١١ سنة ١٢٥٦)

اكلفك ان تسأل الحكومة الانكليزية كيف استحلت الحكومات المتحالفة اجراء مظاهرة بحرية في بيروت قبل ان يتم توقيع الاتفاقية ولاسيما قبل انقضاء المهلة المضروبة ولعمر الحق فان هذا السلوك لاينطبق على حقوق الامم بل هو منافٍ لادابها. وعلى كلٍ

لم يبقَ سبيل لاستعمال وسائل العنف والاكراه اذ ان سوريا لم تحرّك ساكناً والامير بشير باقٍ على امانتهِ لمحمد علي وابرهيم باشا عائد بكل قواه لسحق الرجال الذين يخاطرون بالنزول الى البر . فاذا جرت الامور على هذا المنوال فلا يبقى سوى ان يبسط امام الشعب الانكليزي مشهد يرضيه ألا وهو تدخل الحكومة الروسية

١٦ – كتاب اللورد بونسونبي سفير انكلترة في الاستانة الى الكونت دي بوتنوى سفير فرنسا فيها بتاريخ ١٨ ايلول سنة ١٨٤٠ (١٩ رجب سنة ١٢٥٦)

ياحضرة السفير : استأذن سعادتكم بان اخبركم بصفتكم سفير ملك مرتبط بصداقة وثيقة بالملكة التي لي الشرف بأن اخدمها انه لمّا كان جلالة السلطان قد طلب مساعدة قوات جلالتها البحريّة فسيصير استخدامها لحصر مرافي مصر واوربا وفقاً لاوامر الباب العالي وقد تجرأت على ازعاج سعادتكم بهذه الافادة اتقاء ان يلحق المصالح الفرنسويّة ضرر من جهلها هذا الامر

١٧– جواب الكونت دي بوتنوى بتاريخ ١٧ ايلول سنة ١٨٤٠ و ٢٠ رجب سنة ١٢٥٦

ياحضرة السفير : اتشرّف بانباء سعادتكم بوصول الكتاب الذي تفضلتم بتحريره لي بتاريخ أمس لايقافي على مشاركة قوات جلالة ملكة انكلترة البحريّة في حصر مرافي مصر وسوريا وفقاً لاوامر جلالة السلطان فارجوك ان تتفضل بقبول شكري على هذه الافادة لكني ارى من واجبي ان انبهك ياحضرة السفير الى أنهُ يتعذر عليّ ان استخدمها للغرض الذي تشيرون اليهِ في تحريركم واتشرّف بالفات نظركم ـ دون الدخول في نقد هذه الوسيلة من وجهتها السياسية وما ينجم عنها من الاعتراضات ـ إلى ان حصر الثغور لا يعتبر شرعاً ولا تلتزم التجارة الاجنبية بالخضوع

لاحكامه الأ بعد انقضاء المهلة التي يجب ان تعقب اعلانه وبالطريقة القانونية وفقاً للعادة ولقانون حقوق الامم

١٨ – نطاقة الكونت دي بوتنوى الى رشيد باشا بتاريخ ١٧ ايلول سنة ١٨٤٠
(٢٠ رجب سنة ١٢٥٦)

ان سفير فرنسا تلقى النطاقة الرسمية التي أنفذها اليهِ الباب العالي لانبائه عن عزمه على حصر ثغور مصر وسوريا وسيعجل بارسالها الى حكومته مبدياً الاسف على عدم تمكنه من افادتها ايضاً عن صفة هذه الوسيلة وقواعد الحق البحري التي يجرى عليها والنتائج التي تنجم عنها للتجارة الاجنبية

فسفير فرنسا يرى من واجبهِ ان يلفت نظر الباب العالي منذ الان ـ دون الدخول في نقد هذه الوسيلة من وجهتها السياسية وما ينجم عنها من الاعتراضات ـ الى ان حصر الثغور لا يعتبر قانونياً ولا تلتزم التجارة الاجنبية والاجانب بالخضوع لاحكامه إلاّ بعد اتمام المعاملات وانقضاء المهلة التي يجب أن تعقب اعلانه رسمياً وفقاً للعادة ولقانون حقوق الامم

١٩ – نشرة محمد سليم باشا قائد جيوش الدولة العلية الى اللبنانيين بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٢٥٦

اعلاماً إلى العسكر المتوجه من الجبل صحبة فخر ملته سر عسكر الذميُّون الشيخ فرنسيس الخازن حالاً زيدت شجاعتهم

انهُ نصدر أمرنا هذا الدستوراني بتوجهكم لمضاربة الدوشمان القوم الخاسرين وبربهم كافرين فيلزم تغمدوا سيوفكم في اعناقهم وتجعلوهم غنيمةً لكم وقد اصدرنا

لكم تعيين مانده كل يوم غرشين ولكل نفر نصف اوقة بقصمات وانعطى لكم الان مانده شهر مسبق فيقتضي تكونوا مطيعين لمتوليكم الشيخ المذكور واي من خالف كلامه أو توجه لقضاء مصلحة تخصه بدون اذنهِ فجزاه الموت وقسماً بالله العظيم وبرأس مولانا السلطان الاعظم لايحصل عفو عن دمه دقيقة الفرد . بل كونوا ثابتين متوشحين بدرع البسالة والشجاعة وبحولهِ تعالى انتم الفايزين الغانمين ولكم من بعد ذلك الانعامات الوفية من فيوضات بحور مكارم حضرة افندينا الدولة العلية ومن عواطفها الدستورانية فاعتمدوا هذا المأمورية واياكم والخلل فتندموا حيث لا يفيدكم الندم تعلموه وتحذروا مخالفته

(منقولة بحرفيتها عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخ يوسف فرنسيس ابي نادر الخازن)

٢٠ ــ نشرة محمد عزت باشا سرعسكر الى اهالي ناحية بيت شباب وتوابعها في غزة شعبان سنة ١٢٥٦

صدر مرسومنا هذا المطاع واجب القبول ولازم الاتباع الى كامل رعايانا مشايخ واختيارية واهالي ناحية بيت شباب وتوابعها بوجه العموم يحيطوا به علماً

الان امرنا بارسال رافع مرسومنا هذا الشيخ صالح الخازن وجعلناه عقيد محلاتكم جميعها فيلزم بوصوله تكونوا باطاعته وانقياده وبالحال تجمعوا كامل رجال البلاد وتمشوا بها معه وحسبما يرتبكم تسلكوا وتضربوا العسكر المصري وتهجموا عليه هجمة الاسود كما هو ملحوظ بكم وتأخذوه بدفعة واحدة وربنا من كرمه ينصركم ويأيدكم ويعطيكم الفوز والتوفيق واسرعوا بذلك غاية المسارعة ولا يختلف منكم احد وما يلزم لكم بذلك زيادة نؤكد . في غزة ش سنة ١٢٥٦ محمد عزت

(عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخين صالح وقيصر الخازن)

٢١ ــ رسالة الموسيو بارس وزير خارجية فرنسا الى المسيو غيزو سفير دولته في لندرة بتاريخ ٣ ت ١ سنة ١٨٤٠ و٦ شعبان سنة ١٢٥٦

يا حضرة السفير : لقد اوقفتك على منطوق الرسالة التي أنفذها اللورد بلمرستون الى الموسيو بولڤر (سفير انكلترة في باريس) وفيها يوضح سلوك الحكومة الانكليزية في المفاوضات الخطيرة التي خُتمت بابرام معاهدة ١٥ تموز . بيدَ ان هذه الرسالة التي يحلو لي ان اعترف بلهجتها المعتدلة الاديبة تحتوي على تأكيدات وآراء يتعذر على حكومة الملك ان تدعها ترسخ في العقول . أجل انهُ لافضل ترك الماضي في زوايا النسيان وعدم الرجوع الى مجادلات سبق تكرارها مراراً حباً بتلافي زيادة احراج الحالة عمَّا هي لكنهُ خلا انهُ يحق للورد بلمرستون ان يستاء من عدم الجواب على بلاغه فيجدر بيان حقيقة خطة كل دولة اثناء هذه المفاوضات لاسيما وانهُ أبلغ الى جميع السفارات مطبوعاً وذاع أمره وعليهِ اصبح من المتحتم الجواب عليهِ . واني لارجو ان يرضي هذا الجواب الذي ارسله اليك الان الحكومة الانكليزية ويكشف الغطاء عن المداولات التي تبودلت بين الوزارات ويوليها معناها الحقيقي . فتفضل بتسليم وزير خارجية جلالة ملكة الانكليز صورة عنهُ

اذا ما كنت أحسنت فهم مآل رأي اللورد بلمرستون فيمكنني تلخيصه كما يلي :

« ان بريطانيا العظمى وهي منزهة عن كل غاية في المسألة الشرقية لم تسعَ إلاَّ لغرض واحد وهو استقلال السلطنة العثمانية وسلامة كيانها وهذا ما اقترحتهُ على جميع الدول فقبلنَ بهِ أجمع وسعينَ الى تحقيقه على السواء وفي عدادهنَّ فرنسا . ولذلك كان من الواجب تخفيف مطالب خديوي مصر وابعاد حدود املاك هذا التابع الطماع وجيوشه ما أمكن عن جبال طوروس وكان الافضل جعل الصحراء حدًّا فاصلاً بين السلطان وتابعهُ الخديوي والاقتصار على اعطاء مصر لمحمد علي واعادة

سوريا الى السلطان عبدالمجيد بحيث تمسي صحراء سوريا حاجزًا بين البلادين فتأمن السلطنة العثمانية واوربا المهتمة بخلاصها من اطماع الاسرة المصرية

« وهذا ما عالنتهُ انكلترة في جميع ادوار المداولات . وكان قد خُيِّل ان فرنسا وافقت الدول على رأيها وصرّحت مثلهنَّ باستقلال السلطنة العثمانية في النطاقة الاجماعية الموقعة في الاستانة في ٢٧ تموز سنة ١٨٣٩ وفي نشرتها المنفذة في ١٧ منه الى جميع الحكومات . بيدَ انها حبًّا بصالح الخديوي خالفت هذه القاعدة فيما بعد وطلبت تجزئة السلطنة ممَّا ينافي سلامة كيانها . فالدول الاربع الموقعة نطاقة ١٥ تموز رغبةً في الحصول على مساعدة فرنسا ألحنَ عليها تكرارًا لاستمالتها الى رأيهنَّ حتى انهنَّ اكثرن من التساهل معها فاضفنَ الى مصر الموهوبة الى سلالة محمد علي باشاوية عكا ما خلا موقعها ثم رضينَ بالحاقه بآلايالتين السابقتي الذكر . فذهبت جميع هذه المساهلات سدىً لان فرنسا أصرّت على مخالفة القاعدة التي رأت الدول الخمس أن تعلنها بالاشتراك

« وعليه لم تتمكن الدول المذكورة من اقتفاء اثرها.بيد انه مع شدة رغبتهنَّ في الحصول على عضدها اضطررنَ الى الافتراق عنها وتوقيع صك يجب ألاَّ تستغربه لما انها نُبهت غير مرة الى انه اذا لم يحصل اتفاق الجأها الامر الى الاقتصار على حل المسألة بواسطة الدول الاربع فقط . ولما كانت الدول الاربع متفقة على مسألة هي على جانب من الخطورة فلم يكن بوسعهن الاستمرار على تضحية رأيهن ونياتهن المنزهة عن كل أرب ذاتي في سبيل دولة خامسة.ولذلك فان اللورد بلمرستون اوضح مرارًا عديدة الى سفير فرنسا ان الاقتراح الذي تضمنه صك اتفاقية ١٥ تموز هو بمثابة انذاره النهائي حتى اذا رفضته فرنسا فلا يعرض غيره . فأضطر في آخر الامر الى تركها وشأنها لئلَّا تفنى السلطنة العثمانية من جراء التسويف والتردد . فلا يمكن والحالة هذه اتهام الدول الاربع بانها ارادت اهانة فرنسا بهذه المناسبة.وخلا ما تقدم فان الدول الاربع

قد نهجت هذا النهج وهي تذكر ان فرنسا كانت قد عرضت بلسان سفيرها في لندره في شهر ايلول سنة ١٨٣٩ مشروع تسوية مؤسس بوجه التقريب على ذات دعائم اتفاقية ١٥ تموز وانها لما عاكست فيما بعد مشروع انكلترة اعترفت بافضلية الثاني على غيره اذا ما أستثني منه صعوبة تنفيذه وخطر الوسائل المراد استعمالها. وبجمل القول انها اظهرت في كل آن قصدها عدم عرقلة وسائل تنفيذه وعليه كان يحق للدول المشار اليها ان تعتقد انه اذا كانت فرنسا قد رفضت لاسباب خاصة الانضمام اليهنّ لاكراه محمد علي على الامتثال لارادتهنّ بالقوة فعلى الاقل لا تعاكس مساعيهنّ وانما تساعدهنّ باستعمال نفوذها الادبي في الاسكندرية . ولا تزال الدول الاربع ترجو أنه متى نُفذت اتفاقية ١٥ تموز تنضم فرنسا اليهنّ مجددًا لضمان بقاء السلطنة العثمانية بطريقة نهائية اه . »

فهذه اذا لم اخطاء خلاصة أقوال اللورد بلمرستون والدول الاربع في المفاوضات التي جرت في المسألة التركية المصرية أوردتها بكل دقة

فيتضح من قول اللورد بلمرستون المتقدم بيانه ان فرنسا ناقضت ذاتها بذاتها . فقد شاءت حفظ كيان السلطنة العثمانية واستقلالها ثم عدلت عن ذلك . وان الدول الاربع تساهلت معها كثيرًا وجارتها في غير واحد من آرائها . وانهنّ اضطررنَ أخيرا إلى ابلاغها انذارًا نهائيًا مبنيًا على اقتراح سابق لسفيرها. وانهنّ لم يتركن فرنسا إلاّ بعد رفضها هذا الانذار . وانهُ يحق لهنّ أن يبدينَ تعجبهنّ من الطريقة التي قابلت بها فرنسا اتفاقية ١٥ تموز لانهُ كان يُنتظر منها ألا تقتصر على الرضا بهذه الاتفاقية بل تمدها بنفوذها الادبي قيامًا بوعودها

بيدَ ان ايراد المسألة على جليتها سيمزّق ما حاكتهُ الرواية السابق الايماء اليها وعليهِ اقول :

لمّا اغترّ الباب العالي بنصائح مضلة فهاجم الخديوي مجددًا وخسر في الوقت ذاته

جيشه واسطوله ثم تلت هذه الخسائر وفاة السلطان محمود فما هو الخوف الذي اعترى فرنسا وانكلترة وكانتا إذ ذاك على أتمّ وفاق ؟ هو أن يريا ابرهيم باشا المنتصر مجتازًا جبال طوروس ومهددًا الاستانة ممّا يجرّ الى دخول الجند الروسي حاضرة السلطنة العثمانية وقد شاركهما في هذا القلق جميع أصحاب العقول الراجحة في اوربا

فاذا اقترح إذ ذاك اللورد بلمرستون ؟ انهُ اقترح على فرنسا أولاً باسمهِ الخاص وثانيًا باسم حكومته ضم الاسطولين الانكليزي والفرنسوي وتوجيههما الى شواطي سوريا وانذار الفريقين المتحاربين بايقاف رحى القتال وتأييد هذا الانذار بالوسائل البحرية ثم استجازة الباب العالي بدخولها الدردنيل أو اجتياز هذا المضيق الشهير عنوةً اذا كان القتال بين الخديوي والسلطان قد أوصل الجند الروسي إلى الاستانة

وبناءً على ما تقدم فان الذي كانت تعنيه إذ ذاك انكلترة وجميع الساسة البصيرين بعواقب الامور « بسلامة كيان السلطنة العثمانية وحفظ استقلالها » هو وقايتها من استئثار الجيوش الروسية بحمايتها ومنع الخديوي من الزحف على الاستانة تلافيًا لهذا الخطر

فاستصوبت فرنسا هذا الرأي واستخدمت نفوذها لدى محمد علي ونجله لايقاف زحف الجيش المصري الظافر فتمّ لها ذلك ثم انها رغبةً في استدراك الخطر الاعظم القائم بدخول الجيوش الروسية الاستانة رأت انهُ يخلق قبل الاقدام على اجتياز مضيق الدردنيل عنوةً ان تستحصل من الباب العالي اذنًا بدخول الاسطولين فيما لو عبر فيلق من الجنود الروسية البوسفور

فقبلت انكلترة هذه المقترحات وتعاهدت الحكومتان على السير بموجبها . وهنا يحسن بنا أن نوضح ان الفاظ « استقلال السلطنة العثمانية وسلامة كيانها » لم يكن معناها نزع بعض الانحاء التي احتلها محمد علي من يده بل صدّه عن الزحف على حاضرة السلطنة لئلّا يجرّ وجود الجنود المصرية فيها إلى دخول الجنود الروسية

ولقد اعترف حضرة وزير خارجية جلالة ملكة الانكليز اثناء محادثتهِ المسيو بوركنه بهذا الشأن في ٢٥ ايار و٢٠ حزيران بوجود ميل في فرنسا وانكلترة إلى الاسرة المصريَّة وان هذا الميل في فرنسا أعمُّ منهُ في انكلترة . وان على الحكومة الفرنسوية أن تكون من جراء ذلك موالية لحكومة محمد علي اكثر من الحكومة الانكليزية. وانه لا ينكر ان هذه العقدة من العقد الصعبة الحل لكنها ثانوية إذ يجب اخضاع هذه البواعث لداعٍ أعلى وأعظم أهمية وهو انقاذ السلطنة العثمانية من استئثار دولة واحدة بتظليلها بحماية قتَّالة لها عاجلًا أو آجلًا إذا لم تتفق فرنسا وانكلترة

وكانت فرنسا تشاطر هذه الآراء وهي ترمي بسياتها هـذه إلى بلوغ غرضين أحدهما ايقاف الخديوي يوم يحاول أن ينتقل من موقف التابع القوي الخاضع إلى موقف التابع العاصي المهدد عرش متبوعه والآخر ابدال حماية دولة واحـدة بحماية الدول العظمى الخمس في اوربا . ولهذه الغاية وقعت فرنسا بالاشتراك نطـاقة ٢٧ تموز المراد بها توسط الدول الخمس بين السلطان المغلوب والخديوي الغالب وانفذت في ١٧ تموز نشرة إلى جميع حكومات اوربا لحملهنَّ على المجاهرة معها باحترام سلامة كيان السلطنة العثمانية وهي التي فاتحت الدول باشراك النمسا وبروسيا والروسيـة ذاتها بجميع القرارات التي تتخذ في المسألة التركية المصريَّة

لا ريب ان اللورد بلمرستون يذكر انهُ كان أقلّ من فرنسا ميلًا الى إشراك الدول الخمس بالمسألة السابقة البيان . ولذلك إذا قابلت الحكومة الفرنسويَّة بـين الماضي والحاضر لا تتمالك من أن تتذكر بمزيد الاسف ان الحكومة الانكليزيَّة كانت تعتمد إذ ذاك على فرنسا خاصةً لانقاذ السلطنة العثمانية

ولم يكن إذ ذاك أحد يعتقد بأن كيان السلطنة العثمانية قائم بالحد الذي سيفصل أملاك السلطان عن أملاك الخديوي في سوريا وإنما كان الجميع متفقين على إنهُ متوقف على أمرين أحدهما منع ابرهيم باشا عن الزحف على حاضرة السلطنة والآخر وقايتها من

نصرة الجنود الروسية. وكانت فرنسا وسائر الحكومات مجمعات على هذا الرأي وظلت ثابتة عليهِ

ثم ان النمسا وبروسيا انصاعتا إلى آراء فرنسا وانكلترة أمَّا الروسية فرفضت الاشتراك في المفاوضات التي كان يراد عقدها في ڤيانَّا لاشراك اوربا في حماية السلطان ولم تكن تستحسن مسارعة دول الغرب إلى التدخل في المسألة الشرقية . وقد كتب الموسيو نيسيلرود وزير خارجية الروسية إلى الموسيو دي ميدم في رسالة بتاريخ ٦ آب سنة ١٨٣٩ أبلغت رسمياً الى الحكومة الفرنسوية : « ان الامبراطور لا يقنط من خلاص الباب العالي على شرط أن تحترم دول اوربا راحته وان لا يبدينَ حركة غير موأتية تكون نتيجتها زعزعة دعائمه وهي ترغب في توطيدها . » فيظهر مما تقدم ان الحكومة الروسية كانت ترى غير مناسب التوسط بين السلطان والخديوي معتقدة انهُ يكفي منع هذا الاخير من تهديد الاستانة وتعتبر ان أفضل حل للمسألة هو حصول اتفاق بين المتبوع والتابع مباشرةً . وهذا ما قالهُ الموسيو دي نيسيلرود المشار اليهِ إلى سفير فرنسا في اوائل آب سنة ١٨٣٩ : « ومن ثمه فلا يهمنا اعطاء الخديوي قسماً واسعاً من سوريا أو تقليل حصته فيها إنما شرطنا الوحيد هو ان يكون الباب العالي حرٌّ في القرار الذي يتخذه بهذا الشأن »

وبناءً عليهِ لم تكن في ذلك العهد الدول الاربع اللواتي وقّعنَ فيما بعد معاهدة ١٥ تموز متفقة رأياً كما يراد أن يوهم اليوم ازاء فرنسا المنفردة عنهنَّ والحائلة دون كل اتفاق باصرارها على رفض مشاركتهنَّ

ومذ أوقف ابرهيم باشا زحفه المحفوف بالنصر ابتعد الخطر وصار الفريقان المتحاربان ازاء بعضهما الخديوي ذو حول وبسطة والسلطان مغلوب خالٍ من وسائل الدفاع إنما كان الاثنان لا يبديان حركة بفضل تدخل فرنسا . وفي ذلك التاريخ اقترحت انكلترة اخذ الاسطول العثماني من يد محمد علي عنوة فأبت فرنسا عليها ذلك

خشية اضرام نار القتال مجددًا . فبدأ عندئذ الخلاف المشوم الذي فرّق بين فرنسا وانكلترة والذي يجب ان نأسف لهُ دائمًا حبًّا بالسلم وتمدن المعمور. وكان ان اتقدت جمرة الغضب في صدر الحكومة الانكليزيّة على خديوي مصر وبدت مظاهر الحنق منه بشدة فسعت فرنسا إلى تلطيفها وتوفقت إلى اقناعها بما في استعمال العنف من الخطر فعدلت عن استرجاع الاسطول العثماني بوسائل الاكراه

ومن ثمه أمسى من الضروري التداول لمعرفة كيفية حل الخلاف على حدود الاملاك بين السلطان والخديوي فانفرجت مسافة الخلاف بين آراء فرنسا وانكلترة وازداد تباينها فصرّح اللورد بلمرستون بوجوب اعطاء الخديوي حكم مصر بالتوارث على شرط أن ينجلي حالاً لقاء ذلك عن المدن المقدسة وجزيرة كنديا وولايتي آطنه وسوريًا بتمامهما . ثم عدّل قليلاً آراءه الاولى ورضي بأن تضاف ايالة عكّا خلا موقعها إلى امتلاك مصر بالتوارث

فلم ترضَ فرنسا بهذه المقترحات لاعتبارها ان الخديوي يستحق زيادة مراعاة بانتصاره على السلطان في واقعة نزب دون أن يكون معتديًا وبقبولهِ التوقف عن الزحف في حين كان يستطيع مفاجأة السلطنة واسقاط عرش السلطان . ورأت انهُ لا يحسن بالدول ـ وهي التي حرضته في سنة ١٨٣٣ على القبول بمعاهدة كوتاهيا ـ أن توجب عليهِ شروط أشدّ تضييقًا في حين لم يفعل شيئًا من شأنه افقاده فوائد هذه المعاهدة . واعتقدت انهُ إذا أُخذت منهُ المدن المقدّسة وجزيرة كنديا وولاية اطنه ـ وهي موقع موافق للهجوم يجعل الباب العالي بمأمن من كل طارىء ـ توجب أن يُضمن لهُ امتلاك مصر وسوريًا بالتوارث

إن انتصاره في واقعة نزب التي فاز بها دون سبق اعتداء هو كافٍ لاحرازه حق توارث فتوحاته من النيل حتى جبال طوروس. بيدَ أنهُ لمّا كانت الدول قد ضربت صفحًا عن انتصاره في نزب وارادت أن تبيعهُ حق التوارث لقاء التنازل عن قسم من

أملاكه الحالية فالعدالة تقضي بأن يكتفي باسترجاع قنديا واطنه والمدن المقدسة منه. وعدا ماتقدم فان فرنسا سألت عن الوسائل التي كانت تريد الدول استعمالها لاكراه محمد علي على الخضوع ؟ لاريب بان الحكومات الاوربية كانت تقوى عليه لو شاء تهديد الاستانة اذ كان يكفيها ارسال اساطيلها الى بحر مرمرا لايقاف زحفه . غير انه ما هي الوسائل المتوفرة لديهن لنزع سوريا منه بالعنف ؟ انها لوسائل غير فعالة كحصر الثغور وغير شرعية كالتحريض على الثورة أو كثيرة الاخطار ومخالفة للغاية المقصودة كالاستعانة بالجيش الروسي ! ولذلك اقترحت فرنسا في ايلول سنة ١٨٣٩ هبة الخديوي حكم مصر وسوريا بالتوارث . ولم يسبق لفرنسا في آن من الاوان ان اقترحت غير ما تقدم الأ حديثًا لما أشارت على الخديوي أن يكتفي بامتلاك سوريا مدى حياته فقط . وقد محصت جميع رسائل الوزارة قبل استلامي ازمة الشؤون فلم أرَ فيها ان قد فوض إلى الجنرال سيباستياني أن يقترح جعل الحد الفاصل بين أملاك السلطان والخديوي التحديد المثبوت في معاهدة ١٥ ايلول ولا أنهُ استقل بهذا الاقتراح . ولم اكتفِ بذلك بل سألتهُ عمَّا يذكره في هذا الصدد فاكدَّ لي انهُ لم يقترح شيئًا من هذا القبيل . ومجمل الكلام ان فرنسا اقترحت في سنة ١٨٣٩ منح محمد علي حكم مصر وسوريا بالتوارث لكنها لسوء الحظ كانت عامئذٍ على خلاف تام في الرأي مع انكلترة . ولم يطل الامر حتى علمت اوربا باسرها بهذا الخلاف الموجب دوام الاسف وكان من نتيجتهِ ان أزال بسرعة تكاد تكون سحرًا الخلافات التي كانت مستحكمة بين الدول الاربع فتقدنَ فجأة اتفاقًا بينهنَّ ووثقنَ عراه . وأخذت النمسا تقول انها ستنحاز إلى الدولة التي تمنح السلطان حصة اكثر اتساعًا من حصة الخديوي في الاملاك مع انها كانت في بادي الامر قد وافقت تمام الموافقة على مقترحاتنا وكانت على وشك ابلاغ ذلك لحكومة لندرة ولم تؤجل هذا البلاغ على ما قالت لنا إلَّا لتفسح لنا في الاجل لنتفق مع انكلترة . بيدَ انها ظلت

تحتج على امكان استعمال القوة ضد محمد علي وسبقت الجميع الى بيان خطرها. ثم ان بروسيا اتبعت رأي النمسا. وأرسلت الحكومة الروسية إلى لندرة الموسيو دي برونوى في شهر ايلول سنة ١٨٣٩ لعرض اقتراحاتها وكانت عاكست قبلًا فكرة تدخل اوربا بين السلطان والخديوي بحجة انها غير موافقة ورأت ان أفضل وسيلة اتفاقها مباشرة. أمَّا اليوم فانقادت إلى جميع التدابير التي يحسن في عين انكلترة اتخاذها بخصوص حدود أملاكها وطلبت أن يُسمح لها ان تحمي الاستانة بجيشها باسم الدول الخمس فيما لو أستؤنف القتال بينا الاسطولان الانكليزي والفرنسوي يحصران ثغور سوريا

على ان هذه الاقتراحات جاءت محتوية على تدبير كانت تعده انكلترة حتى ذلك الحين من أشدّ الاخطار على السلطنة العثمانية ألا وهو استئثار الجيش الروسي بحماية السلطنة. وهذا الخطر ناجم ليس عن امكان طمع الجيش الروسي باحتلال الاستانة دائمًا بل عن ان الروسية بأضافتها إلى حادث سنة ١٨٣٣ حادثًا مطابقًا له من جميع الوجوه تكون قد أوجدت لذاتها سابقة تتخذها حجةً لها في المستقبل. فلم تقبل هذه المقترحات فغادر الموسيو دي برونوى لندرة وعاد اليها في شهر كانون الثاني سنة ١٨٤٠ مصحوبًا باقتراحات جديدة وهي تختلف عن الاولى من جهة انها تولي كلًّا من فرنسا وانكلترة حق ادخال ثلاث بوارج إلى قسم محدود من بحر مرمرا اثناء احتلال جيوش الروسية الاستانة فطالت المخابرات عدة أشهر أي من شهر شباط حتى شهر تموز سنة ١٨٤٠. وفي هذه الفترة عُهد بادارة الشؤون في فرنسا إلى وزارة جديدة فعينت سفيرًا جديدًا. وما برحت الوزارة الفرنسوية تكرر انهُ ليس من العدل قطع سوريًا من الاملاك المصرية وانهُ اذا كان من امكان الخديوي القبول بهِ فلا يسع فرنسا أن تكون اكثر طمعًا منهُ لذاتهِ. بيدَ انهُ اذا وجب نزع سوريًا منه بالقوة فحكومة فرنسا ترى ان الوسائل المراد استعمالها لبلوغ هذا الغرض غير

كافية بل مخطرة وإذا ألجأ الامر إلى ذلك فهي تنفرد عن سائر الدول وتنهج نهجاً خاصاً

وبينما كانت الحكومة الفرنسوية تخاطب حكومة لندرة بهذه اللهجة الصادقة ثابتة على عهدها لم يسعَ سفير فرنسا في الاستانة الى التوسط بعقد اتفاقية بين السلطان والخديوي مباشرةً ولم ينفرد عن سائر السفراء كما أشار الى ذلك اللورد بلمرستون تلميحاً دون أن يؤكده . ان ممثلنا في الاستانة لم ينهج قط الخطة التي نُسبت اليهِ كما ان الحكومة لم تعزُ اليهِ بها مطلقاً. أجل ان فرنسا لم تفتر عن السعي إلى التقريب بين السلطان والخديوي واقناعهما بالتساهل المتبادل تمهيداً لاتمام المهمة الخطيرة التي أخذتها اوربا على عاتقها. لكننا لم ننفك عن توصية الكونت دي بونتوى والموسيو كوشيله أن يتجنبا بمزيد العناية كل ما يمكن أن يُعدّ محاولة منا للانفصال عن سائر الدول فاتبعا هذه التوصية بدقة ولم يخالفاها

ثم ان انكلترة اصبحت في موقف تحتم عليها فيه ان تختار بين الروسية المقترحة عليها اهمال الخديوي على شرط القبول بمقترحات الموسيو دي برونوى اي رضا اوربا بتنفيذ معاهدة انكيار اسكله سي (١) وبين فرنسا المقتصرة على طلب جريان مفاوضة

---

(١) انكيار اسكله سي هي قرية على البوسفور لجهة اسيا مقابل طرابيا عقد فيها السلطان محمود محالفة دفاعية هجومية مع نقولا امبراطور الروسية اعترف بها للروسية بحق ارسال جنودها الى السلطنة عند حدوث اضطرابات داخلية فيها . وقد فعل السلطان ذلك نكايةً بسائر الدول لانها أهملتهُ في بدء قيام محمد علي عليهِ . وكان قد سبق لهُ حين وصول ابرهيم باشا إلى بروسه وتهديده اسكودار ان قبل بما عرضهُ عليهِ القائد مورافييف باسم امبراطور الروسية فاستدعى الجنود الروسية فنزل منهم في الاستانة ١٥ الف جندي فاوجست فرنسا وانكلترة خيفة من ذلك وأوضح سفيراهما للسلطان خطر دخول الجنود الروسية حاضرة سلطنته واقناعه بالرضوخ لمطالب

عادلة معتدلة بين السلطان ومحمد علي من شأنها استدراك نشوب قتال جديد يجرّ وراءه اخطاراً اشد هولاً على سلامة كيان السلطنة العثمانية ألاوهي استئثار دولة واحدة عظيمة ببسط سيادتها المادية توًّا عليها . ان وزارة لندره لم تعرض علينا الاقتراحات المحكى عنها لاستمالتنا الى ارائها قبل ان تختار بين الروسية وفرنسا بل قصرت مساعيها على اقتراح واحد. ففي سنة ١٨٣٩ كانت رضيت بمنح الخديوي حكم مصر وايالة عكا الاّ موقتها مع حق توارثهما. اما في سنة ١٨٤٠ فان اللورد بلمرستون ارتأى منح الخديوي ايالة عكا مع قلعتها دون حق التوارث . لا مراء انها انقصت من اقتراحها اكثر مما زادت عليه فلا يمكن والحالة هذه عد هذا الامر اقتراحاً جديد واعظم فائدة من الاول

بيد ان هذا الاقتراح الذي لا يستحق ان يلقب باقتراح جديد لخلوّه من فائدة جديدة لم يكن له صفة انذار ولم يرفع الينا على هذه الصورة ولم نكن نتصوره بهذا الشكل لاننا بناء على تلميح صادر من الموسيو دي بيلوف والموسيو دي نومان (سفيري بروسيا والنمسا) علقنا الامال على امكان استحصال حكم سوريا للخديوي مدى حياته مع امتلاك مصر وحق توارثها . ثم انه لما اكدّ لنا المشار اليهما انه اذا بُسط هذا الاقتراح يكون آخر حدّ لتساهل اللورد بلمرستون اوفدنا الموسيو اوجان برييه الى الاسكندرية ليعد الخديوي إلى القبول بتسوية خلتاها انها آخر ما يمكن الرضا بها . ولم يكن هذا العمل كما قال اللورد بلمرستون بمثابة اخضاع المفاوضات لارادة خديوي مصر بل تمهيد السبيل للتوفيق بين رأيين متعاكسين ابراماً لعقد تسوية حبية

محمد علي وفي ٥ ايار سنة ١٨٣٣ رضي الخديوي بالانجلاء عن اسيا الصغرى لقاء ايالات عكا وحلب وطرابلس وآطنه ودمشق وتوابعها

تستدرك المشهد المحزن المبسوط الان أمام اعين العالم

وكان يحق لفرنسا الاعتقاد ان مفاوضات طويلة كهذه لا تختتم دون مداولتها وان المحالفة العظيمة المفيدة التي تربطها بانكلترة منذ عشر سنوات لا تحل عراها دون بذل سعي أخير للتقريب بينهما . ومما أحيا فيها هذا الامل التلميحات التي أبديت لها والمقصود بها حملها على الاعتقاد بامكان اعطاء سورياً للخديوي مدى حياته . على انهُ في ١٧ تموز استدعى اللورد بلمرستون سفير فرنسا إلى وزارة الخارجية فجأة وأخبره بأن قد وقعت معاهدة في اليوم الاسبق دون أن يطلعهُ على نصها . فاستغربت الوزارة الفرنسوية بكل حق هذا التصرف . نعم انها لم تكن تجهل أن دول اوربا الثلاث انصاعت لآراء انكلترة بحيث أمسى من الممكن ابرام اتفاقية بينهن دون فرنسا إنما كان لها ان تعتقد ان هذه الاتفاقية لا توقع قبل تنبيهها وان انكلترة لا تضحي المحالفة الفرنسوية بهذه السرعة

ان عرض الخديوي على السلطان فى شهر تموز اعادة الاسطول العثماني ـ وقد خشي أن ينتج عنهُ عقد اتفاق بينهما توًا اقترحناه سرًا ـ ثم ان ما ظهر في ذلك الحين من امكان اثارة سورياً هما على ما يبان السببان اللذان دفعا الحكومة الانكليزية إلى اتخاذ هذا القرار الفجائي بعد سبات طويل . فلو كانت الحكومة الانكليزية رضيت بمفاوضتنا مفاوضة نهائية صادقة لتمكنت الحكومة الفرنسوية من أن توضح لها انها لم توعز إلى الخديوي باعادة الاسطول تمهيدًا للاتفاق بينه وبين السلطان توًا لانها لم تعلم بما عرضهُ الاول إلاَّ بعد ان فعل وربَّما كانت تمكنت أيضًا من اقناعها ان إثارة سورياً لوسيلة غير شريفة لا تفي بالمقصود

فهذه هي الحوادث التي تؤكد فرنسا صحتها بصدق ونزاهة جديرين بأمة عظيمة . وينتج عنها بكل جلاء :

أوَّلاً : ان قد فُهم في بدء المفاوضات من عبارة « استقلال السلطنة العثمانية

وسلامة كيانها » ما طالما جهرت بهِ فرنسا أي انهُ ليس المقصود بها ايلاء السلطان أو الخديوي حصة في الاملاك أوسع من الآخر بل ضمانة الدول الخمس عدم زحف محمد علي على حاضرة السلطنة ومنع استئثار دولة واحدة منهن بحماية تركيا

ثانيًا : ان فرنسا لم تبدل قط رأيها في المسألة التركية المصرية ازاء الدول الاربع المتفقة رأيًا ونيةً وقولاً بل حافظت عليهِ ولم تحد عنهُ في حين انها نظرت الدول الاربع المختلفة في بدء الامر متحدة فيما بعد بقصد تضحية الخديوي وشاهدت انكلترة ـ وقد أرضتها هذه التضحية ـ تقترب من الدول الثلاث الباقية وتعقد معها اتحادًا ثلاثيًا ثابتًا في مقاصده لكنه موجب لقلق البال نظرًا للقرارات التي يتخذها

ثالثًا : انهُ لم يُعرض على فرنسا تكرارًا مساهلات لاستمالتها إلى مشروع الدول الاربع لانهُ أكتفي بأن عُرض عليها في سنة ١٨٣٩ اضافة ايالة عكا دون موقعها إلى حكومة مصر انما مع حق توارثها ثم عُرض عليها في سنة ١٨٤٠ الحاق الموقع بالايالة إنما بدون توارث

رابعًا : انها لم تُنبه كما قيل إلى ان الدول تنفصل عنها إذا لم توافق على آرائهن . وفيما كانت تنتظر بكل حق أن يعرض عليها اقتراحات جديدة إذ وقعت الدول فجأة ـ عند شيوع خبر سفر سامي بك (معتمد الخديوي) إلى الاستانة وثورة سوريا ـ اتفاقية ١٥ تموز دون افادتها ولم تخبرها عنها الا بعد توقيعها ولم تطلع على نصها إلا بعد شهرين

خامسًا وأخيرًا : انه ليس للدول ان تعتقد بقبولها تنفيذهن هذه المعاهدة دون أن تبدي حراكًا لانها إذا كانت ألحت خاصةً في بيان تعذر استعمال وسائل التنفيذ فلم يصدر منها عدم اكتراث في غايتهن وتدابيرهن يجوز أن يتخذ دليلاً على انها لا تتدخل في ما يحدث في كوائن الشرق بكل الاحوال . بل بالعكس صرحت دائمًا بأنها تنفصل عن الدول الاربع إذا اتخذن بعض قرارات لانها لم تعهد قط إلى أحد

معتمديها ان يقول كلمة يمكن أن يستنتج منها ان هذا الانفصال يفيد الاعتزال والقعود عن كل عمل لكنها طالما قصدت كما تقصد اليوم الاحتفاظ بحريتها التامة بهذا الشأن

وكان بودّ الوزارة الفرنسوية أن تتحاشى العود إلى هذه المجادلات لو لم تضطرها اليها نطاقة اللورد بلمرستون ومع ذلك فهي مستعدة لتناسيها بحثًا في اساس المسئلة والفاتًا لنظر وزير خارجية جلالة ملكة بريطانيا إلى ما في الحالة الحاضرة من الخطر الداهم

إن كيان السلطنة العثمانية في خطر وانكلترة تهتم لذلك فلا غرابة في الامر بل هي محقة وعلى جميع الدول المحبة السلم ان تهتم بهذه القضية ولكن ما السبيل لتوطيد أركان هذه السلطنة ؟ لما عجز سلاطين الاستانة عن إدارة شؤون الولايات الواسعة الخاضعة لهم ورأوا الفلاخ والبغدان وحديثًا اليونان تفلت من يديهم تدريجًا فكيف تصرفت الدول إذ ذاك ؟ هل أصدرت قرارا وسعت لاعادة هؤلاء الرعايا إلى حكم السلاطين بواسطة جنود روسية وأساطيل انكليزية ؟ كلّا . فانهنّ لم يحاولنَ اتيان المحال ولم يعدنَ إلى السلاطين الولايات التي بدأت بالانفصال عن السلطنة بل تركت لهم سيادة أسمية على الفلاخ ونزعت اليونان من يدهم تماماً . هل فعلنَ ذلك بقصد ظلم تركيًا والبغي عليها ؟ كلّا ثم كلّا . بل إن حكم الظروف وهو أقوي من قرارات الدول ـ قد حال دون إعادة سيادة الباب العالي المطلقة على الفلاخ والبغدان وسيادته الاسمية على اليونان. ولم يذق الباب العالي طعم الراحة إلاّ بعد أن بُترت منهُ هذه الاعضاء . فما هي المقاصد التي صدرت عنها الحكومات في قطعها من جسم تركيًا ؟ هي ايلاؤها استقلالاً بحيث تكون بمأمن من اطماع الدول المجاورة . ولمّا كان قد تعذر عليهنّ احياء دولة كبيرة منها أردنَ أن تؤلف الاجزاء المنفصلة حكومات مستقلة عن سائر الممالك المجاورة

وقد جرى منذ بضع سنوات مثل هذا الحادث المتقدم ذكره بشأن مصر وسوريا. هل دانت مصر حقيقية في زمن من الازمان لحكم السلاطين ؟ لا أحد يعتقد ذلك كما لا يفكر احد قط اليوم بامكان تسليم شؤونها إلى حكومة الاستانة تواً . ولا شك ان الدول الاربع مجمعة على ذلك لانها منحت محمد علي حكم مصر بالتوارث مع الاحتفاظ بسيادة السلطان. وهي تفهه كفرنسا المراد بعبارة « سلامة السلطنة العثمانية » فاقتصرت على ان تحفظ له ما يستطيع ابقاءه تحت سيطرته . وهنّ يردنَ بقدر الامكان ربط الاجزاء المنفصلة عن السلطنة برباط التابعية

وقصارى القول انهنّ يردنَ ما تريده فرنسا . إن الدول الاربع مع اعطائها التابع ذي الطالع السعيد الذي احسن ادارة مصر حق توارث هذه الايالة لسلالته وهبته أيضاً ايالة عكا لكنها بخلت عليه بالايالات الثلاث الباقية وهي دمشق وحلب وطرابلس ودعت هذا العمل « حفظ كيان السلطنة العثمانية » كأنّ استثناء طرابلس ودمشق وحلب يحفظ السلطنة العثمانية ! اننا نجهر علانية انه يتعذر اثبات هذا المذهب جدلاً وبرصانة امام اوربا

ومن الجلي ان لا بدّ من أسباب عادلة وسياسية لمنح محمد علي هذه الايالات و نزعها منه . ان خديوي مصر قد أسس دولة تابعة بطريقة مطردة وبحذاقة تدل على سموّ مداركهِ ودهائه وعرف ان يدير شؤون مصر وسوريا ذاتها التي عجز السلاطين في كل آن عن بسط حكمهم عليها. فالمسلمون ـ وقد جُرحت عواطفهم وأُذلوا طويلاً ـ يرون فيه اميراً مجيداً يحيي فيهم الشهامة ويشعرهم بقوتهم . فلماذا اضعاف هذا الامير التابع المفيد الذي سيصير أعظم معاون لمولاه متى فُصلت حدود أملاكهما عن بعضها ؟ فقد سبق له ان عاون السلطان على اليونان فكيف لا يعضده اذا اشتبك في قتال مع جيران من مذهب مخالف لمذهبه ؟ إن مصلحة خير ضامن لاخلاصه وامانته. إذ كلما هددت الاستانة امست الاسكندرية في خطر ايضاً . فمحمد علي يعرف هذا

الامير ويبرهن في كل يوم على انه يفقهه

إذا أُريد حفظ سلامة السلطنة العثمانية من الاستانة حتى الاسكندريّة ينبغي ابقاء السلطان والخديوي معًا وربط هذا الاخير بمولاه برباط التابعية . وأحسن حدّ للفصل بينهما جبال طوروس . انّما يراد اخذ مفاتيح هذه الجبال من الخديوي فليكن ولتعد إلى الباب العالي وليُسلخ من محمد علي قضاء آطنه . ويراد أيضًا انتزاع مفتاح الارخيل فلتؤخذ منهُ قنديا وهو يرضى بالتخلي عنها . ان فرنسا ـ التي لم تعد بوضع نفوذها الادبي قيد تنفيذ أحكام معاهدة ١٥ ايلول على انها تبذلهُ حبًّا بالسلم ـ قد أشارت على محمد علي بهذه المساهلات فقبل بها . وفي الحقيقة ان سلخ ايالتين أو ثلاث من يد الخديوي لتسليمها ليس للسلطان بل للفوضى وضمان فوز مذهب حفظ سلامة السلطنة العثمانية وقد سُلخت عنها اليونان ومصر وايالة عكا واستهداف هذه السلطنة إلى الخطر العظيم الوحيد الذي يهددها ـ وهو الذي ارتاعت منه انكلترة في السنة المنقضية فعرضت اجتياز الدردنيل بالقوة لاستدراك وقوعه ـ لهي طريقة غريبة في تدبر هذه المصالح الخطيرة . ومع ذلك فلنفرض ان رأي الحكومة الانكليزيّة اسدّ من رأي الحكومة الفرنسويّة . أليست محالفة فرنسا افضل لحفظ سلامة السلطنة العثمانية والسلم العام من اي تحديد كان في سوريا ؟

وما كانت « سلامة السلطنة العثمانية » لتشغل الافكار وتقلق البال إلى هذا الحد لو لم يخشَ من حدوث تبدل عظيم في حدود الممالك او نشوب حرب تجعل هذا التبدل في حيز الامكان . وعليهِ فما هي أفضل طريقة لتدارك هذه الاخطار ؟ أليس تحالف فرنسا وانكلترة ؟ سلوا الشعوب من ثغر قاديس في (اسبانيا) إلى شواطي نهري اودبر والدانوب سلوهم رأيهم في هذا الشأن فيجيبونكم ان هذا التحالف حفظ السلم واستقلال الممالك منذ عشر سنوات دون أن يضرّ بحرية الامم

لقد قيل ان عرى هذه المحالفة لم تُحلّ وانها ستوثق بعد بلوغ الغرض المقصود

من معاهدة ١٥ ايلول . فمن الضلال الاعتقاد ان تلفى فرنسا كاظمة غيظها بعيدة عن الحذر والريبة بعد ان تكوّن انفردت الدول الاربع عنها وسعت ضـد ارادتها الى غاية مضرّة ـ جهرنا بها ولو توهمًا ـ متوسلة الى ذلك بمحالفة أشبه بالاعتصابات التي أسالت الدماء في اوربا منذ خمسين سنة فانهُ لم يسبق لفرنسا ان راضت نفسها للقبول بهذا المظهر الذي تأباه عليها شهامتها الوطنية

وعليهِ فقد ضُحّي مجانًا وفي سبيل نتيجة ثانويّة محالفة حفظت استقلال السلطنة العثمانية وسلامتها اكثر ممَّا ضمنته معاهدة ١٥ تموز

ولربَّ معترض يقول انهُ كان على فرنسا ان تفكر هذا الفكر بحيث إذا ما رأت مسألة الحدود في سوريا ثانويّة كان في وسعها ان تنقاد إلى آراء انكلترة وتبتاع بهذا التساهل توطيد اركان المحالفة . فالجواب عليهِ غاية في السهولة فلو كانت فرنسا اتفقت مع حليفاتها على الغرض المقصود لكانت تنازلت لهنَّ ليس عن أمور جوهريّة لا تتوجب على دولة تجاه الاخرى بل عن آرائها الخـاصة في بعض مسائل تتعلق بالحدود . وقد برهنت على ذلك حديثًا بطلبها إلى الخديوي بعض مساهلات وحصولها عليها . بيدْ انهُ لم يترك لها الخيار في الامر ولم تخبر عن المحالفة الجديدة إلاَّ بعد ابرامها ومن ذلك الحين لم تحد عن سياستها السلمية فلم تفتر عن نصح خديوي مصر بوجوب الاعتدال التام بمطالبهِ . ومع كونها تامة أهب القتال وحرّة في سلوكها فانها تبذل كل جهدها لتقي العالم من الكوارث وترضى بكل الضحايا خلا التي تمسّ شرفها حبًّا بحفظ السلم . واذا ما كانت اليوم تخاطب الحكومة الانكليزيّة بهذه اللهجة فليس من قبيل التذمر بل لتبرهن عن صدق سياستها لبريطانيا العظمى وللعالم أجمع اذ لا يوجد دولة اليوم مهما كانت قويّة يمكنها الاستخفاف بالرأي العام . ان وزير خارجية ملكة الانكليز قد شاء ان يثبت صحة دعواه فترتب على وزير خارجية ملك الفرنسويين أن يبرهن عن صدق السيـاسة الفرنسويّة ونزاهتها في مسألة الشرق

الخطيرة وهو واجب مديون بهِ لمليكهِ ولوطنهِ . فتفضل الخ .

(ملحق) في ٨ تشرين الاول ـ بينا كنت اكتب هذه الرسالة حدثت كوائن جديدة زادت في خطورة الحالة فقد قوبلت مساعي خديوي مصر السلمية باشد ضروب العداء إذ إن الباب العالي انقاد إلى نصائح مشؤمة فاعلن خلعه . ولم يبقَ الامر مقتصراً على حصر سلطة محمد علي بل أريد محو إثاره من عالم السياسة . فلو كانت هذه نيّات الدول المرتبطة بمعاهدة ١٥ تموز ولو لم نكن نرى في ما جرى الاّ انقياداً غير طوعي لحالة سيئة لم يعرف تدبر نتائجها لوجب علينا ان نقنط من عودة الاتفاق بين الدول العظمى . وبناء عليه رأيت أن أضيف إلى الرسالة المتقدمة النطاقة الواصلة في طيه . (١)

---

(١) وهذه النطاقة طويلة الاعداد مؤرخة في ٨ تشرين الاول تشتمل على بيان عدم شرعية خلع محمد علي واعتماد فرنسا على معاكسة هذا النهج لانهُ يؤول إلى اضعاف السلطنة العثمانية

اما معاهدة ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ التي عقدتها الدول الاربع دون مشورة فرنسا فتتضمن تعاهدنً بتنفيذ انذار السلطان الى محمد علي بوجوب الجلاء عن الولايات المغتصبة في مدى عشرة أيام حتى اذا رضخ يعطى لهُ حكم مصر مع حق التوارث لسلالتهِ وايالة عكا مدى حياته . أمّا إذا أبى فتنزع منه حكومة عكا بالقوة بعد عشرة أيام وحكومة مصر بعد عشرين يوماً

وفي ١٤ اب وصل السير نابيير الى بيروت قبل ان تنفذ الدولة انذارها الى محمد علي وقام بمظاهرة ثم أتى جونية وأخذ يسلم الثائرين سلاحاً ويحرضهم على الثورة كما اعترف فيما بعد

وفي ٨ ايلول تمّ اجتماع بوارج انكلترة والنمسا في شواطي سوريا . وقوام الاسيطيل الانكليزي ١٢ بارجة كبيرة و ٨ صغيرة وخمس بواخر . أمّا النمسا فلم ترسل سوى بارجتين صغيرتين وسفينة وباخرة وكان على قيادة جنودها يوكنوس الهانوفري وبامرته عمر بك (وهو مجري الاصل اعتنق الدين الاسلامي وتولّى فيما بعد حكم لبنان) أمّا تركيا فلم ترسل سوى بارجة واحدة معطلة وكانت جنودها بامرة السرعسكر محمد عزت باشا . فبدأ الاسطول بضرب بيروت بالمدافع

٢٢ ـ رسالة اللورد بلمرستون الى اللورد بونسونبي بتاريخ ٢٧ ت ١ سنة ١٨٤٠ و ١ رمضان سنة ١٢٥٦

ياحضرة اللورد : انتهت اليَّ رسالتك المؤرخة في ٧ تشرين الاول وعرضتها على انظار المملكة . فاوعز اليك ان تخبر الباب العالي ان الكونت واليفسكي معتمد فرنسا قد قصد بكلامه الذي نقلتهُ الينا في رسالتك المشار اليها القاء الرعب في القلوب وعندي ان فرنسا لا تعضد محمد علي بقوة السلاح لانها إذا فعلت تعرض ذاتها للاشتباك في حرب مع الدول الاربع في حين ان جيشها وبحريتها لا يقويان عليها إذ أن قواها البحرية هي اضعف من قوى انكلترة وحدها فكيف لو انضمت اليها الروسية اما في البر فليس لديها الان تحت السلاح سوى جيشها في وقت السلم رغماً عن حشدها

واستمرَّ على ذلك ٣ ايام فخربها ولم يحتلها بل ذهب الى جونية وانزل الجنود فيها عند الباطية . فكان لهذه الاخبار وقع عظيم في فرنسا وتغلب حزب السلم على حزب الحرب وانضمَّ الملك الى الاول فسقطت وزارة تيارس وخلفهُ المارشال سولت وعهد بوزارة الخارجية الى الموسيو غيزو وذلك في ٢٩ ت ١ سنة ١٨٤٠

وبعد ذلك ذهب الاسطول الى جبيل والبترون وبعد ضربها استولى عليها وتوالت الانكسارات على ابرهيم باشا في بحرصاف ووطا الجوز وميروبا واضطر الى اخلاء صيدا في ٢١ منه ولم يبقَ له سوى طرابلس وعكا . وفي ٣ ت ٢ ضربت الاساطيل عكا وصوب نحوها ٤٧٢ مدفعاً فاصابت قذيفة مستودع البارود فاشعلته وفي الليل غادر المصريون القلعة وفي الوقت ذاته دخل الارشيدوق فريدريك المدينة من جهة الجنوب الشرقي وركز العلم النمسوي فوق الاسوار التي رماه منها ريكاردوس قلب الاسد ملك انكلترة في سنة ١١٩١

وفي ذلك اليوم اعلن امير البحر ستوبفورد الفرمان السلطاني القاضي بخلع الامير بشير عمر الكبير وتعيين الامير بشير قاسم مكانه كما سبق لنا رواية ذلك

الجنود في المدات الاخيرة . وعدا ذلك فعليها أن تبقي ستين الف مقاتل في الجزائر. وعليه فليس لها ولايكون لديها لمدة اشهر قوى كافية لمنازلة المانيا والروسية معاً. فضلاً عن ان استقالة الموسيو تيارس والوزراء رصفائه تضمن لاروبا ان فرنسا لاتقدم على اضرام نار الحرب انتصاراً لمحمد علي

٢٣ ــ كتاب محمد علي الى لويس فيليب ملك فرنسا بتاريخ ١١ ت ٢ سنة ١٨٤٠ و١٦ رمضان سنة ١٢٥٦

ياصاحب الجلالة

اشعر بحاجة إلى أن اعرب لجلالتكم عما لكم في قلبي من معرفة الجميل والامتنان . ان حكومة جلالتكم قد شملتني منذ القديم بالتفاتها السامي وغمرتني اليوم بانعاماتها ومكارمها بمعاملتها الدول انها تعتبر كياني السياسي أمراً ضرورياً لا بدَّ منهُ للتوازن الاوربي. فهذا الدليل الجديد الساطع على العناية التي تنازلتم جلالتكم الى تطويق عنقي بها يفرض عليَّ واجبات سأقوم بها وفي مقدمتها أن اوضح بجلاء واختصار لملك فرنسا اسباب الخطة التي سرت عليها

إن جلَّ رغائبي كانت منصرفة في كل آن إلى اسعاد السلطنة العثمانية واتوق إلى أن اراها سعيدة مرتاحة مستدَّة الساعد وقد جعلت مرتاد اماني وغاية اطماعي مساعدتها على اعدائها وتضحية كل ما حصلت عليه بشق النفس في سبيل الذود عن حياضها . ولا بدَّ لي من ان اجاهر ان الذي امال دائماً قلبي لفرنسا وحملني على الانقياد لمشورتها هو معرفتي بأنها هي الدولة الوحيدة المجرَّدة عن كل طمع بين حكومات اوربا التي تريد خيراً للسلطنة العثمانية

اني اسأل جلالتكم ان تعتقدوا بأني صدرت دائماً في كل أعمالي عن حبي لوطني

فقد كنت تمكنت بعد مساعٍ جسام ومعاكسات كثيرة من توطيد الراحة في سوريا وركزت عمد السكينة فوق اطلال الفوضى والقلاقل. واذا ما كنت الححت بشدّة لابقاء هذه الولاية تحت حكمي فلتيقني انه اذا نزعت من يدي تعود اليها جميع الشرور التي استأصلتها منها . ان وجود سوريا بيدي لعامل قوي يمكنني من مدّ يد المساعدة الفعالة لجلالة السلطان ولتركيا اما إذا أُعيدت إلى الباب العالي فاجرأ على القول انها تكون مرسحًا للفوضى والقلاقل والبلابل والحرب الاهلية . وقد تحقق اليوم بعض ما كنت اخشى حدوثه فساعد النفوذ الاجنبي العناصر المقلقة وزاد في عوامل الهياج . ان الدسائس التي تذرع بها لاثارة اهالي سوريا عليّ قد منيت في المرة الاولى بالاخفاق اما اليوم فان مساعي الذين توهموا انهم يعملون على ضمان سلامة كيان السلطنة العثمانية بتحريض إحدى ولاياتها على العصيان لم تؤول إلى تحريك كل البلاد بل إلى زرع التضاغن والشقاق وايغار الصدور على بعضها وايقاد نار الحرب الاهلية . وعليه زالت دواعي الصالح العام التي كانت تدفعني الى الرغبة في حفظ سوريا تحت حكمي ولم يبقَ سوى مصالحي الشخصية ومصالح اسرتي فهذه انا مستعد للتنازل عنها حبًّا بالسلم العام . ولذلك فاني التجي الى حكمة ملك الفرنسيس السامية واضع حظي بين يديه فليقرر التدابير الكافلة تسوية الخلاف كيفما شاء.

اني مستعد للاكتفاء بآيالة عكّا من أعمال سوريا إذا رأت جلالتكم ذلك مناسبًا. فان هذه البلاد احبطت كل المساعي المنصرفة لاثارتها عليّ وربما ترى جلالتكم من العدل ان تترك لي جزيرة اكريت المتمتعة منذ مدة طويلة بنجاح باهر بفضل ادراتي

أمّا اذا كانت جلالتكم تحكم بما عرف فيها من بعد النظر ونفاذ البصيرة بان وقت التساهل قد انقضى وجاء وقت المقاومة العنيفة فانا مستعد واولادي للكفاح حتى آخر نفس من حياتنا . فجيشي في سوريا لم يزل وافر العدد ودمشق وحلب وجميع المدن المهمة هي في قبضة يدي وجيشي في الحجاز زاحف وقد وصل قسم منهُ الى

القاهرة وسيلحق به قريباً القسم الآخر . وقد سافر مشايخ من اصحاب النفوذ الى لبنان ووعدوني بارجاع الدروز والموارنة الى طاعتي ولديَّ اربعون بارجة حربية مستعدة للسفر لدى أول اشارة من جلالتكم . وعليهِ أؤمل ألاَّ يغترّ أحد في الاسباب الحقيقية التي أوحت إليَّ ما انا عارضهُ اليوم ولا يخالجنَ فكر أحد ان الخوف هو الذي دفعني إلى هذا العمل فكل ادوار حياتي تكذب مثل هذه التهمة الباطلة . فلو كان بدا مني تساهل منذ ١٥ يوماً حين كان حكمي مهدداً لجاز لمعاكسيَّ ان يروا في عملي ضعفاً أمَّا اليوم وقد ضمنت فرنسا كياني السياسي بتصريحاتها فاذا ما اطلت الحرب لا اكون معرضاً نفسي لاخطار يحفل بها . كلَّا فلا ترهبني القوات المجتمعة ضدي وانما يخيفني ان اكون سبب حرب عامة وان اجرّ فرنسا وانا مديون لها الى الاشتباك في حرب لا تكون الغاية منها سوى مصالحي الشخصية . وفي هذه الحالة جئت طارقاً باب جلالتكم كما يوجب عليَّ عرفان الجميل لاسيما وان في قلبي نحو ملك الفرنسيس اعجاباً وثقةً أحرزهما بحكمتهِ وتوقد نيّرتهِ اعترف لهُ بهما العالم . فاسلّم اليهِ أمري ومهما كان حكمه فاقبلهُ بالشكر إذا ما شاء أن يشترك في توقيع صك المعاهدة الذي يُبرم بين الدول العظمى لحلّ مشكلتي

ثم انهُ مهما حدث فاني التمس من جلالة الملك أن يسمح لي بأن اؤكد لهُ ان امتناني لهُ ولفرنسا سيبقى حيّاً في قلبي مدى الدهر وأوصي اولادي وحفدتي بتوارثهِ كواجب مقدس

وقد كان في نيتي ارسال أحد كبار ضباطي ليحمل هذا الكتاب إلى اعتاب جتلالكم إنما مصاعب الحجر الصحي وطول مدته دفعتني الى أن اسلّمهُ إلى الكونت واليفسكي ليوصلهُ الى جلالتكم . اه (١)

---

(١) على ان الظروف لم تحقق آمال محمد علي لتقاعد لبنان عن نصرتهِ . وكان بعد سقوط

٢٤ ... فقرة من رسالة الموسيو بولثر الى اللورد بلمرستون بتاريخ ١٤ ايار سنة ١٨٤١ و٢٢ ربيع الاول سنة ١٢٥٦

علمت ان المحررات التي اطلعني عليها الكونت ابّوني أُرسلت الى لندرة ولا شك انكم لحظتم ان ناظر الخارجية العثمانية ارسل في ٩ نيسان نطاقة الى سفراء الدول الاربع لابلاغهم نيات السلطان وهي مطابقة لنصائح حلفائه ومآلها : منح محمد علي حكم ايالة مصر بالتوارث وتخويله حق تعيين ضبّاط الجيش حتى رتبة امير آلاي (بما فيه هذه الرتبة) وابدال الجزية بمبلغ محدود يُعين بنسبة موارد البلاد الحالية بدلا من ربع دخل مصر . وقد اتصل بي بهذا الصدد ان سفير النمسا حثّ رفعت باشا ناظر الخارجية العثمانية على القبول بمبلغ خمسة عشر الف كيس (أي أقلّ من مليوني فرنك على ما اظن) أمّا الناظر المشار اليه فكان مصرًّا على طلب ١٨ الف كيس وقد سأل السفراء في الوقت ذاته أن يوضحوا بأجلى بيان رأيهم في كيفية

عكا ان ذهب السير نابيير إلى مصر دون استشارة حكومته وعقد في ٢٧ ت ٢ سنة ١٨٤٠ اتفاقية مع محمد علي معروفة « بمعاهدة نابيير » ضمن بها لسلالة الخديوي توارث حكم مصر لقاء خضوعه . وكان ان ابرهيم باشا لما رأى سقوط عكا وخلع الامير بشير وفقده موقع لبنان الذي كان له بمثابة قلعة حصينة منيعة يشعّ منها على سائر البلاد السورية وقنط من مساعدة اهاليه اخذ يجمع جنوده في دمشق فلما وصل اليه امر والده محمد علي بالجلاء عن سوريا قسم جيشه المؤلف من ستين الفاً بما فيه العيال المصرية التي آثرت العودة معه الى قسمين احدهما افترق عنه عند موقع المزيريب وقوامه ١٦ الف مقاتل بامرة سليمان باشا (وهو فرنسوي يدعى استاف كان اولاً اميرالاي فانخرط في خدمة محمد علي فرقاه الى رتبة قائد) ساروا في الطريق التي تحيط بالبحر الاحمر لجهة الجنوب ولم يبلغوا القاهرة الاّ في ١١ شباط بعد مشقات عظيمة أمّا ابرهيم باشا فلم يبلغ غزه إلاّ بعد ن فقد من رجاله عشرين الفاً من جرّاء المناوشات والبرد القارس في ذلك الشتاء .

اجراء احكام قوانين السلطنة العثمانية في ايالة محمد علي . وقد علمت ان سفير النمسا قد اجابه انه لمّا كان يقتضي تعميم العمل بطريقة الحكم التي اعلنها الباب العالي في جميع ممالك السلطان فلا يرتاب بانها ستشمل مصر مع مراعاة الظروف المكانية في سائر اجزاء السلطنة العثمانية . وقد قال المسيو غيزو للكونت أبوني انهُ يعتبر هذه التسوية مرضية وانه متى ابلغها مؤتمر لندرة الموسيو دي بوركنه معتمد فرنسا يأمره بتوقيع صك اتفاقية ٥ ادار سنة ١٨٤١ (١)

وقد اجتمعت هذا الصباح بالمسيو غيزو قبل ان ارى الكونت ابّوني وكنت وقفت على خلاصة الاتفاق المحكي عنه الذي اطلعني الكونت فيما بعد على تفاصيله فسألت الموسيو غيزو عمّا اذا كان مستعداً لتوقيع الاتفاقية المذكورة فاجابني : «على الارجح اني ساعطي تعليمات بهذا الشأن الى البارون دي بوركنه لكني اريد ان اتحقق من قبل ان السلطان ارسل الفرمان . » ثم اردف قائلاً « كن على يقين باني لا اخضع ارادتي لارادة محمد علي »

وسيعقد الوزراء اليوم جلسة للتفاوض بهذا الشأن .

٢٥ — *كتاب الموسيو غيزو وزير خارجية فرنسا الى الموسيو بوجاد قنصلها في بيروت في ٦ شباط سنة ١٨٤١*

لست اجهل الاضرار التي لحقت بنفوذنا السياسي في سوريا عمومًا واهالي لبنان

---

(١) ان نص هذه الاتفاقية مطابق كل المطابقة للاتفاقية المعقودة في لندره في ١٣ تموز سنة ١٨٤١ (٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٠٧) بين النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية وفيها ضمنٌ للدولة العثمانية بقاء مضيقي الدردنيل والبوسفور مغلقين في وجه الاساطيل الاجنبية . وقد وُضعت هذه الاتفاقية بقصد تمهيد السبيل لفرنسا للانضمام الى الاتفاق الاوربي الذي انفصلت عنه في المسألة المصرية

الكاثوليك خصوصاً من جراء الحوادث التي انتابت القطعة السورية . ولنكد الطالع كان من الطبيعي توقع هذ النتيجة. لكني ارى بسرور انه رغماً عن الاسباب العرضية التي كان باستطاعتها اضعاف اميال هؤلاء السكان القديمة الى فرنسا ظلوا ثابتين على العهد بوجه عام ولم تنقص ثقتهم في اهتمامنا بهم الذي نثابر عليه . ونحن نفقه وجوب حفظ هذه العواطف ونبرهن لهم على انه يمكنهم ويجب عليهم ان يعتمدوا على صداقة فرنسا ومساعدتها لهم ولذلك سنبذل كل ما بطاقتنا تحقيقاً لهذه الغاية ومن ثمه فحكومة الملك لا تقصر عنايتها على اصلاح حالة الموارنة الحاضرة بل تتجاوزها الى ايلائهم طمأنينة في المستقبل

(عن كتاب لبنان وسوريا سنة ١٨٤٥ ـ ١٨٦٠ تأليف الموسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت صفحة ٢٢٢ ـ ٢٢٣)

٢٦ـ عريضة الدروز الى الباب العالي بتاريخ اخر حزيران سنة ١٨٤١ (العشر الثاني من جمادى الاولى سنة ١٢٥٧)

لمّا كانت الطائفة الدرزيّة تدين بالاسلامية منذ عدة قرون ظلّ اجدادنا خاضعين لاوامر الباب العالي ولبثنا ناهجين نهجهم باخلاص وامانة حتى سنة ١٢٤١ للهجرة

وفي ذلك التاريخ كان يتولى أمورنا ثلاثة مشايخ جدد هم الشيخ بشير جنبلاط وعلي عمر والسيد حسين أحمد فهذان الاخيران كانا حاميي ذمار عشيرتنا وممثلينا في كل شؤوننا التي كانت قيد مداولاتهما في منتدياتهما . واستمررنا حتى ذلك العهد ننعم في بحبوحة السعادة والامن العام على ان هذه الحالة تبدّلت في عهد حكومة عبدالله باشا والي صيدا إذ أمر بفصل الشيخين المشار اليهما ووكل ادارة شؤوننا إلى رئيس الامة المسيحية الامير بشير حاكم الجبل سابقاً الموجود اليوم في المنفى

فهذا الامير نشأ مسلماً ثم اعتنق الديانة المسيحية إنما كان يجتهد بأن يظهر أمامنا بمظهر مسلم ولكنهُ بدون ريب كان مسيحياً. وخلا ما تقدم فقد كان يعاملنا برعاية متناهية تفضل معاملته للمسيحيين وبقي مثابراً على نهجهِ حتى يوم نفيه

أمَّا اليوم فإن الامير الكبير الذي يحكم الجبل فلكونه مسيحياً ينزل بنا ضروب الاحتقار ساعياً لاذلالنا حملًا لنا على اعتناق ديانته بل انهُ يكرهنا عليها فلا يسعنا ان نحتمل اضطهادات هذا الامير والامة المسيحية ولا استبدادهما بنا فهما يحاولان اخراجنا من دائرة الطاعة الواجبة علينا للباب العالي وادخالنا في طاعة غير المؤمنين مما لا يمكنا قبوله لاننا لن نرضى ابدًا بالمروق عن طاعة الباب العالي الذي أظلنا في كل آن بحمايتهِ واننا لنجاهر تكرارًا بأننا لن نلوذ ابدًا بكنف حماية الاجانب ولو كان في ذلك ابادتنا جميعًا نحن ونساؤنا وأولادنا

لقد طالما كنَّا أوفر وجاهة من المسيحيين محترمي الجانب فكيف نطيق أن نكون تحت سيطرتهم اذلاء مهانين؟ لامراء ان هذه الحالة لا تلائمنا وحكومة جلالة السلطان لا ترضى بها . ان اجدادنا ما فتئوا منذ عهد عهيد خدمة الباب العالي الامناء ونحن نستمرُّ على مثالهم معلنين تمسكنا باهداب الاسلامية . وحتى الان ليس في طاقة أحد أن يتهمنا بالتقاعد عن القيام بواجبات الخضوع لحكومة الباب العالي . وعليهِ فمن المحال أن نقبل بالبقاء تحت سيطرة حكومة مسيحية والخضوع لها ولاوامرها

فنسترحم من جلالة سلطاننا المعظم الرؤوف نصر الله اعلامه أن يتنازل فيرعانا بعين عنايتهِ ويعين علينا رئيساً كما كان الحال في عهد الشيخ بشير جنبلاط وتصدر أوامره الشاهانية فيعهد اليهِ بادارة شؤوننا بموجب فرمان سام يقلده هذا المنصب لخير بلادنا وشرفها. واننا نلتمس ذلك من بحر مكارم سلطاننا الاعظم متعهدين بالخضوع لجميع أحكام خط كلخانه الشريف فيما يتعلق بالضرائب التي تجبى عن املاكنا واموالنا

أمَّا العريضة المرفوعة من الامراء والمشايخ طلبًا لاعادة الضرائب على ما كانت

عليهِ في حكومة عبدالله باشا وقد وقّعناها باختامنا ونقلت عدة صور عنها فنبطلها إذ قد اضطررنا إلى توقيعها إذ ذاك قصد وضع حدٍّ للمنازعات والاختلافات. فنحن مسلمون وقد كنّا كذلك منذ البدء وعليهِ لا يمكنا ان نمرق من الطاعة الواجبة علينا لحكومة الباب العالي. أجل ان المسيحيين هم أوفر عدداً منا إنما بعون الله وعضد الباب العالي سنكون دائمًا ظافرين في كل المواقع التي ستدور رحاها . ومن ثمه لمّا كنّا نرغب في اجتناب القتال نجرأ على الامل بأن جلالة السلطان الاعظم يتنازل الى تحقيق استرحامنا فيشملنا بآلائهِ وعدالتهِ الشاهانية التي امتازت بها حكومته أيدها الله

٢٧ — فرمان الباب العالي الى طبار باشا والي غزه والقدس الشريف بتاريخ اوائل حزيران سنة ١٨٤١ (اوائل جمادى الاولى سنة ١٢٥٧

لما كانت ممارسة مسيحيي سوريا وجوارها عقائد ديانتهم منذ عهد عهيد مطابقة للشرع الشريف فلذلك يحق لهم ان يتمتعوا بالامتيازات والنعم التي منحناهم اياها وسلفاؤنا العظام بموجب براءات واوامر مصحوبة بخط شريف . فمتى لجأ الكهنة ورهبان الاديار الى الشريعة الطاهرة الغراء او شكوا من مظالمة فعلى القضاة وسائر الضباط الذين يطلبون مساعدتهم ان ينصفوهم دون ان يأخذوا منهم بارة الفرد ولا ان يسمحوا بان يلتحق بهم ادنى ضرر

اذا ما حدثت منازعات بين الكهنة وتعذر تسويتها ثمه فترفع الى الاستانة لينظر فيها بكل انصاف . ويقتضي بذل المجهود في حماية الرهبان والاديار والكنائس جريًا على القديم وجعلهم بأمن من كل جور واعتداء وسوء معاملة

ولما كنا قد اثبتنا الامتيازات والمعافيات الممنوحة للكنائس والاديار يقتضي عليكم السهر على عدم حدوث اقل اعتداء عليها او انكارها

وعلى الرهبان اليونانيين والارمن والكاثوليك الذين يتنازعون حيناً بعد اخر على الكنيسة والمعبد الموهوبين لهم في الخط الشريف والفرمانات المذكورة آنفاً ان يتحاشوا الرجوع الى خلافاتهم القديمة

اما النظامات والعادات المعمول بها في الكنيسة الشرقية منذ القديم بخصوص مراتب الاكليروس فتظل مرعية ولا يبدل منها حرف

ومتى طلب بطريركا الاستانة والقدس الشريف اذناً بترميم الكنائس والاديار التي أصابها تخريب أو تعطيل ان من جراء قدميتها وان من الحرائق الكثيرة الحدوث وبدأوا باصلاحها بناء على فرمان صادر وفقاً للنظام مؤذناً بترميمها فعلى القضاة وارباب السلطة المحلية ألا يستوفوا منهم سوى الضرائب المعتاد أخذها على الاعمالانات والحجج التي يبرزونها وننهيهم عن أخذ هدية أو رشوة أو غير ذلك علاوة عما تقدم

يُحظر على الجنود الموكول اليها القيام على حفارة باب كنيسة القبر المقدس الدخول اليها . ويتوجب عليهم اداء الاكرام ومظاهر الاحترام لاساقفة القدس

هذه هي ارادتي السلطانية وقد تتوج هذا الامر الصادر من ديواني الهمايوني المثبت اوامري السلطانية السابقة بخط شريف وسُلم للملل الرومية والارمنية والكاثوليكية . فانت ايها الفريق والقاضي متى علمتما ان ارادتي السلطانية القاطعة ترمي دائماً إلى رعاية الخطوط الشريفة والبراءات والفرمانات الممنوحة لملة الروم وانهُ لا يجوز مخالفتها قط عليكما أن تبذلا كل عنايتكما للتقيد بمنطوقها وبعد أن تسجلاها في سجلات المحكمة تسلمانها إلى الملة الرومية . وأحذرا من كل مخالفة . اه

٢٨ – كتاب وزاري الى الحاج ابرهيم بك (دفتردار) بتاريخ ٢٩ تموز سنة ١٨٤١ و ٩ جمادى الاخرى سنة ١٢٥٧

ورد في نطاقة سعادة اللورد بونسونبي سفير انكلترة الى نظارة الخارجية انه

لم تنجز وعود الباب العالي بمكافأة بعض الرعايا السوريين الامناء الذين سارعوا الى اداء الخدم المفيدة ولم يُعوض على أصحاب الاملاك التي قطعت اشجار توتهم لاقامة معسكر محصن في جونية وانه لدى سوأ لكم عما تقدم نفيتم وجود تعليمات بهذا الشأن فيما انكم تعلمون أنه قد سُلم اليكم بيان باسماء الاشخاص الذين تجب مكافأتهم وقبيل سفركم حضرتم مجلس الوكلاء المعقود هنا فالححنا عليكم بوجوب توزيع هذه المكافات وفقاً للبيان المسلم اليكم وبدفع اثمان الاشجار المذكورة وبالاستقصاء عن الضرائب وبان توجهوا عنايتكم الى ان تدار شؤون البلاد وفقاً للعدالة والسداد. ان هذه لروح التعليمات التي زوّدتموها وبناء عليه كنا ننتظر جميعاً من خادم مخلص للباب العالي متصف بالدراية والحكمة عارف بخطورة الكوائن الحالية الاّ يألو جهداً في سبيل تسوية جميع هذه الكوائن وانما يتجاوز بما أوتيه من النشاط الغريزي الى اداء خدم أوفر من سائر مأموري الحكومة في ذلك الصوب. ولذلك فقد تولتنا الدهشة عندما اتصل بنا انكم تتجاهلون وجود تعليمات في الشؤون المبسوطة آنفاً وانكم لم تكتبوا الينا شيئاً بهذا الشأن مع انه يرد تباعاً الى سفارات الدول تقارير من قناصلها ووكلائها مما يحول دون اجابة الباب العالي السفراء على استلفاتهم نظره الى مسائل هي من الاهمية بمكان لديه. ولهذا أصبح من الضروري ان نصدر اليكم اوامر جديدة بهذا الخصوص ونرسل اليكم في الوقت ذاته صورة عن نطاقة حضرة سفير انكلترة فتطلعوا على محتوياتها.

فمن المهمّ ان توزع التعويضات عاجلاً اذ ان شرف الباب العالي يقضي بسرعة تسليم الاوسمة والمكافاءات المالية وسائر النعم الى ذويها ولذلك أمرنا بصنع الوسامين اللذين سنرسلهما اليكم لتسلموهما بيدكم الى المنعم عليهما. أمّا المكافات فوزعوها على مستحقيها وفقاً للبيان الذي بيدكم وادفعوا ثمن الاشجار المذكورة اعلاه وقصارى القول أتموا سائر ما عهد اليكم به تسوية لسائر المسائل واخبرونا عاجلاً عما فعلتم.

اما بخصوص الضرائب فان الدروز يطلبون اعفاءهم منها مدة ثلاث سنوات

على انه سبق ان أعفوا من « الفردة » وسائر الضرائب الجائرة . وقد اتصل بنا ان دولتلو سليم باشا مشير صيدا قبلًا وعد سكان قرية أو قريتين مجاورتين لمدينة بيروت بمنحهم بعض امتيازات من لدن جلالة السلطان فدققوا في وعوده واخبرونا. وبما ان اخلادكم وسائر الهيئة الحاكمة إلى البطء يزيد الامور تعقيدًا وحراجةً فعليكم أن توقفونا دائمًا على ماجريات الشؤون لنصدر اليكم بالتعليمات اللازمة على كل أمرٍ بمفرده . وقد عهدنا الى الفريق طيار باشا والي غزة والقدس المتوجه الى مركز مأموريتهِ ان يبلغكم الاوامر بخصوص المسائل المذكورة . وأخيرًا عليكم أن تبذلوا ما بوسعكم لتسوية هذه الامور وايقافنا دون انقطاع على ما يجرى عندكم وتجتهدوا بحسن ادارة البلاد واجعلوا نصب أعينكم وجوب توجيه كل عنايتكم إلى ضمانة تمتيع الاهالي بالحماية التي يرغب الباب العالي أن يتظللوا بها متجنبين كل ما من شأنهِ أن يعكر صفو الراحة ويحدث استياء في الشعب . ولاجلهِ كتبت اليكم هذه الشقة

٢٩ – صك موقع من امراء لبنان ومشايخه في ٣ ايلول سنة ١٨٤١ و١٦ رجب سنة ١٢٥٧

ان اليركو (الميري) المفروض سنويًا على جبل الشوف وكسروان وجبيل وملحقاتها منذ شهر مارت سنة ١٢٥٧ (٣ ادار سنة ١٨٤١) بعد اسقاط المبلغ الذي رضي بهِ الباب العالي اكرامًا لاهالي لبنان ينقسم كما يأتي :

قروش	
١,٣٢٥,٠٠٠	الجزية القديمة
١,٩١٩,٥٠٠	علاوة في عهد ابرهيم باشا
٣,٢٤٤,٥٠٠	المجموع

١,٤٩٤,٥٠٠ يسقط منها اعفاء الفقراء

١,٧٥٠,٠٠٠ مجموع المال الباقي الواجب استيفاؤه

ان الباب العالي لمزيد رأفتهِ نحو رعاياه وحباً بهم قد انقص من الجزية المفروضة على اهالي الجبال المذكورة مبلغ ١,٤٩٤,٥٠٠ قرشاً وعليهِ فجبل لبنان يتعهد بأن يدفع سنوياً مبلغ ١,٧٥٠,٠٠٠ قرشاً وفقاً لرغبة الباب العالي ويحسم من هذا المبلغ قيمة رواتب الامير بشير قاسم وأعضاء ديوانهِ والمأمورين الذين يعينهم وموظفيه وجنديته مشاةً وفرساناً الذين يقومون بخدمة ادارة الجبل ويدفع الباقي الى خزينة عكاً على ثلاثة اقساط واننا نعد بتوزيع هذا المبلغ على الاهالي بالاسوة بواسطة الامير بشير واعضاء ديوانه . ولمّا كنّا شاكرين للباب العالي هذه النعمة التي جاد بها علينا نتعهد بأن ندفع لهُ سنوياً ٣٥٠٠ كيس بعد اسقاط نفقات ادارة الجبل المعددة آنفاً . واشعاراً بذلك وقّعنا امضاءاتنا في ذيل هذا الصك ومهرناه باختامنا وسلمناه الى حضرات صاحبي الدولة المشير سليم باشا والحاج ادهم بك دفتردار الايالة المذكورة متعهدين بدفع القيمة المفروضة علينا منذ أول مارت سنة ١٢٥٧ (١٣ ادار سنة ١٨٤١)

٣٠ — أمر محمد سليم باشا قائد الجيوش العثمانية الى اللبنانيين الصادر من بيروت بتاريخ ٥ ايلول سنة ١٨٤١ و١٨ رجب سنة ١٢٥٧

نعلمكم ان جلالة سلطاننا الاعظم عبد المجيد قد نظر بعين الاهتمام إلى كل ما يضمن تمام رفاهية رعاياه فقرر بداءة بدء حباً بخير شعبه أن يقيم مجالس في كل سلطنته للقطع في الخلافات والمنازعات وفقاً للشرائع بحيث يجعل الكل في مأمن من الخسائر والاضرار فأمر بانشاء مجلس في جبل لبنان لفصل الدعاوى وفقاً للشرائع لكي يتمتع أهلوه بذات النعم التي يتمتع بها سائر سكان انحاء السلطنة . ولمّا كان جبل لبنان تحت

حكم الامير بشير وكان من الواجب أن يترأس المجلس بذاتهِ . بيدَ انهُ لمَّا كان يتعذر عليهِ ذلك دائمًا يحق لـهُ أن يعين وكيلًا عنهُ براتب ثمانمائة قرش في الشهر . أمَّا المجلس فيتألف كما يأتي :

ثلاثة أعضاء من الطائفة المارونية وثلاثة من الدرزيَّة ومسلم واحد وارثوذكسي واحد وروم كاثوليك واحد وشيعي واحد ويُعطى كل منهم خمسمائة قرش في الشهر ويضاف اليهم كاتب براتب ٣٥٠ قرشًا في الشهر بحيث يكون مجموعهم اثني عشر شخصًا يتناولون ٦١٥٠ قرشًا في الشهر . ونظرًا لحسن خدمات الامير بشير أمـام البـاب العالي وصدق اخلاصه يجب أن يكون محترمًا منكم جميعًا ومحبوبًا . أمَّا أعضاء المجلس فينتخبهم الاهلون ويعينونهم وعلى المجلس أن يفصل الدعاوى والمسائل الخلافية دون أدنى تشيع وعلى الموظفين ألا يدنسوا ايديهم بالرشوة . ومجمل القول يجب أن يسلك الجميع بامانة واستقامة كما ينتظر من التبعة الصادقة وان يبذلوا ما بطاقتهم ليتم تنفيذ هذه الاوامر بحرفيتها ومن الواجب أن يوقّع أعضـاء المجلس القرارات التي يبرمونها وتسجل في سجل المجلس . وعليكم يا أرباب السلطة ابلاغ هذا الامر إلى الاهلين ليجأروا بالدعوات لجلالة السلطان

٣١ – كتاب الامير بشير قاسم الشهابي الى دولتلو السيد أحمد زكريا باشا في ٧ محرم سنة ١٢٥٧

فرقدي العزائم والهمم اسدي المكارم والشيم أدام الله تعالى وجوده الشريف

نعرض لساحة مراحمكم من خصوص ناقل هذه العبودية عبدكم اخونا الشيخ صالح الخازن المذكور حين حلول ركاب سعادة الوزراء العظام والعساكر الظافرة في بقعة جونية فالمرقوم أول من قدَّم ذاته للخدامة وخاطر بدمهِ وأملاكه وبحسن مساعيه

لاستجلاب الرعايا في جبل كسروان وباقي محلّات قد صار ذلك منظوراً ومعلوماً لدى الوزراء العظام وعن يده أوامر تعلن صدق اعراضنا هذا في حسن طاعتهِ ومن يلوذ به وحين وصول العساكر الظافرة لبيروت حضر لنا مرسوم كريم من سعادة محمد عزت باشا فحواه السامي صدق خدامته لرضى الدولة العلية وان يتممها باقامتهِ بهذا الطرف وبحسب الامر المذكور تمّ ذلك واننا نقدم الاعراض بصدق خدامة المذكور وحسن مسعاه ومن حيث توجه للثم الاعتاب الشريفة يعرض لدى معدلة دولتكم عمّا به واقعة الحال فالرجاء من مكارمكم حيث عدم حصوله على الانعام نظير خداماته المرضية وكل شيء راجع للامر العالي هذا مع عدم طردنا من الخاطر الخطير وأدام الله تعالى بقاكم

(منقولة بحرفيتها عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخين صالح وقيصر الخازن)

٣٢ – أمر محمد سليم باشا الى الامير بشير قاسم بتاريخ ٥ ايلول سنة ١٨٤١ و١٨ رجب سنة ١٢٥٧

نعلمكم ان قسماً من جبل لبنان أي الشوف وكسروان وجبيل وملحقاتها كانت تدفع في عهد محمد علي باشا ٦٤٨٨ كيساً بدل الجزية والفردة وخلا ذلك كان الامير بشير يستوفي مالاً باهظاً بمصادرتهِ الشعب. أما الان وقد أصبحت سوريا تحت حكم جلالة سلطاننا الاعظم عبد المجيد فقد أمر مدفوعاً بعاملي الجود والرأفة برعاياه ألاّ يصادر الرؤساء الشعب وحظر على مأموريه قبول الهدايا والرشوة وأمر بأن يدفع جبل لبنان ٣٥٠٠ كيس في السنة باسم يوركو أو ميري منذ بدء سنة ١٢٥٧ (١٣ ادار سنة ١٨٤١) ويحسم من هذا المبلغ رواتب الامير بشير وأعضاء ديوانه ومأموريه ومستخدميه وفقاً للبيان وللوثيقة الموقّعة والمختومة منكم جميعاً وقد تعهدتم بها بدفع مبلغ الـ ٣٥٠٠ كيس المذكورة باسم يوركو أو ميري والان يجب أن تسرعوا

الى عقد الاجتماع لاستيفاء هذا المبلغ من الاهالي بعدالة دون ارهاق الشعب وترسلوا هذه القيمة الى خزينة عكا وبعون الله تكونون دائمًا ناعمي البال فارفعوا الدعوات باطالة حياة جلالة السلطان الاعظم عبد المجيد

٣٣ – كتاب الامير بشير قاسم الى سليم باشا وادهم بك بتاريخ ١٦ ايلول سنة ١٨٤١ و٢٩ رجب سنة ١٢٥٧

بعد الترجمة

استأذن دولتكم لاخبركم ان المواد التي أتفق عليها في الجلسة المنعقدة في بيروت بحضوركم ووقّع وتأيقها جميع الامراء والمشايخ وقبلوها لقد ساء وقعها لدى أهالي الجبل فاعلنوا أنهم لا يرضون بها نظرًا لايجابها عليهم ضريبة ولهذا حصلت عدة اجتماعات بين المسيحيين والدروز فارسلنا في الحال الى اصدقائنا زعمائهم نحذرهم من الاعتداد بهذه الاشاعات موعزين اليهم اقناع الشعب . ولقد وجهنا ايضًا رسلًا الى جميع الانحاء فافادونا ان الساعين في بذر الشقاق هم بعض المشايخ بتحريضهم الشعب على رفض مقترحات الباب العالي واطاعة اوامره . بيد ان بعض مندوبي الاهلين قد توفقوا الى اقناع كثيرين منهم بالانقياد لاوامركم . اما غاية المحركين فهي انقاص التعريفة على الحرير واعادتها الى ما كانت عليه في السابق وقد شوهد كثيرون من الذين وقّعوا الاتفاقية المبرمة في ديوانكم في بيروت منضمين الى المستائين ومتفقين معهم خوفًا من ان يلومهم سائر اهالي الجبل فواجبي يقضي علي بان اوقفكم على هذه الشؤون راجيًا اليكم انه اذا ما مثل لديكم بعض هولاء المستائين للشكوى من الضرائب ان تظهروا لهم كدركم الشديد من عدم طاعتهم للباب العالي بعد ان أولى جبل لبنان نعمى وآلاء سنية . واظن انه من اللازم اللازب

استدعاء فرقة الفرسان الغير المنظمة الموجودة في عكا ووضعها حوالى بيروت وصيدا مع اقامة لواء من الجنود المنظمة في سهل بيروت وبهذه الوسيلة تستدرك كون حدوث القلاقل التي يخشى وقوعها فتجري الامور مجراها الحسن بحيث يتسنى فيما بعد ابعاد هذه الجنود . وغاية ما ارجو ان تتفضلوا بعد انعام النظر في هذه المسألة بايقافي على رغائبكم واوامركم آملاً انها تكون موافقة لرأيي . ولا ألو جهداً في السعي لارضاء الباب العالي

٣٤ – كتاب السر ريشارد وود (١) قنصل انكلترة في دمشق الى صاحب الدولة رفعت باشا ناظر الخارجية في ١١ ت ١ سنة ١٨٤١

ياصاحب الدولة : استأذنكم في الفات نظركم إلى الشيخ فرنسيس الخازن من أعيان لبنان وممَّا يزيدني جراءة على ايضاء دولتكم بهِ خيراً تيقني انكم تسرّون بأن تشاهدوا في الاستانة رجلاً امتاز على اقرانهِ في ثورة جبل لبنان وبما أدّاه من الخدمات

---

(١) كان في بدء أمره ترجمان سفارة انكلترة في الاستانة وهو كاثوليكي المذهب فلما رأت حكومته ان السلطان على وشك القبول بمطالب محمد علي وان لا سبيل الى خضد شوكة ابنه ابرهيم باشا الا باثارة اللبنانيين عليه واخراجه من هذا المعقل الحصين اوفده اللورد بونسونبي سفير دولته في الاستانة إلى لبنان لتحريض اهليه على الثورة لقاء تعهد الدول الاربع المتحدة لهم باسم السلطان حفظ امتيازاتهم القديمة وتوسيعها . فجاء غزير بحجة درس العربية فقرأها على الخوري ارسانيوس الفاخوري واخذ يراقب اعمال الحكومة المصرية ثم انتهز فرصة نفور الاهالي من الضرائب والسخرة والخدمة العسكريَّة وبدأ بالتجول في انحاء لبنان مهولاً عليهم بمظالم الحكومة المصرية وواعداً بابقاء امتيازات لبنان فيما لو ثار الاهلون على محمد علي وطردوه فانقاد بعضهم الى رايه وفي جملتهم فريق من الاسرة الخازنية مستاء من الامير بشير عمر وبقي القسم الاخر موالياً له وللحكومة المصرية . وقد روى المونسنيور ميسلان في كتاب رحلتهِ الى الاراضي المقدسة انه كثيراً

الصادقة اثناء الحرب . فاخلاصه لجلالة مولاه وخدماته الشاقة قد أنالوه حماية صاحب الدولة سليم باشا فأصحبه بكتاب توصاة إلى الباب العالي . ان غاية الشيخ فرنسيس هي ان يقدم بذاته واجباته الاحترامية لدولتكم ويضع نشاطه قيد خدمة الباب العالي . ولمّا كان غرضه هذا جديرا بكل ثناء رأيت ان أجيبه الى طلبه وأصحبهُ بهذا التحرير واوصي دولتكم بتظليله بحمايتها ورمقه بعين الحظوة

هذا وارجوكم أن تصفحوا عن جرأتي هذه وتتفضلوا بقبول تأكيد احتراماتي الممتازة

خادمكم المطيع والمخلص

ريشارد وود

(معرَّبة عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخ يوسف فرنسيس أبي نادر الخازن لان والده لم يسافر إلى الاستانة فحفظ هذا الكتاب بين أوراقهِ)

٣٥ – كتاب آخر من المشار اليه الى الشيخ صالح الخازن

اتشرَّف بانبائك اني حظيت بكتابك وبهِ تطلب إليَّ إن اعدد الخدمات التي أديتها لقوات الدول المتحدة في عامي ١٨٤٠ و١٨٤١ فأجيبك بسرور إلى رغبتك

ما التقى بالموظفين الانكليز المرسلين من سفارة الاستانة يجوبون البلاد لتحريض اهليه على شق عصا الطاعة على الحكومة المصرية وان احدهم المستر وود اخبره ان قد اصبح لديه ٤ لاف درزي مسلحين متأهبين للثورة وانه انفق لهذه الغاية ٤٥ الف ليرة

وبعد عودة الموسيو وود الى الاستانة بدأت الثورة في شهر حزيران واشتدَّ خطرها في شهر تموز وفي ١٥ منه وقَّعت الدول الاربع وسفير تركيا في لندره المعاهدة المشهورة على ما سبق لنا بيانه

ثم كان ان كافأت الحكومة الانكليزيَّة المستر وود المشار اليهِ فعينته قنصلًا لها في دمشق ثم في بيروت فمعتمدًا لحكومته في تونس

شاهداً : انه فور وصول قوات الدول المتحدة إلى سوريًا في سنة ١٨٤٠ أسرعت إلى التقيّد باوامر السير روبرت استوبفورد القائد العام والمشير أحمد باشا . وكان مثلك أحسن قدوة فاتبعك الكثيرون من أبناء وطنك ممّا حمل قوات الدول المتحدة على تسليحهم لمطاردة العدو في لبنان . وبعد ان استظهرتم عليه وتمّ لكم الفوز في قضاء كسروان وافيتني إلى قب الياس في البقاع حيث كنت مع جيش الاهالي مراقبًا حركة العدو في زحلة وبعد تقهقره في الشام رافقتني إلى طبريًا حيث منعت العدو المتراجع عن عبور نهر الاردن والاعتصام بجبال نابلس واضطررته إلى الانتشار في الصحراء حيث فقد عددًا كبيرًا من رجاله

وفي طبريا انحرفت صحتك فاذن لك بالرجوع الى كسروان . ولمّا كان الامير بشير قد حجز بعض املاكك واستولى عليها فكتب اليه القائد العام موعزًا اليهِ بردّها اليكَ . ولا اتذكر ذات العبارات التي استعملها سعادة القائد توفية لمقامك حقه نظرًا لطول المدّة لكن يمكنني ان اصرّح بان اجتهادك بتقديم خدمات نافعة للقوّات المتحدة أهلك للحصول على اعتبار حكومة عظمتها وحمايتها .

وفي الختام اغتنم هذه الفرصة السعيدة لاجاهر بالغيرة والحمية اللتين أبديتهما اثناء وجودنا في سوريًا . ولي الشرف ان اكون ايها السيد خادمك المطيع والامين

(معرّبة عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخين صالح وقيصر الخازن)

٣٦ — كتاب المسيو بوره قنصل فرنسا في بيروت الى المسيو هبكنس القائم مقام في الجبل الانكليزي بتاريخ ١٥ ت ١ سنة ١٨٤١ و٢٨ شعبان سنة ١٢٥٧

سيدي

تلقيت كتابك الذي تفضلت بتوجيهه إليّ هذا الصباح وبهِ تعيد عليّ باسم

الكولونل روز ما قالهُ لي شفاهاً عن رغبة دولة السرعسكر بأن ارافق الكولونل المشار اليهِ إلى دير القمر لمساعدتهُ على توطيد دعائم السلم المزعزعة في ذلك الصوب

ومع تمنيٍّ من صميم الفؤاد نجاح مهمة الكولونل روز الصعبة ـ المشكوك بنجاحها لسوء الحظ ـ اتأسف على اضطراري إلى عدم مشاركته في سعيه لتجنب دولته أن يدعوني بذاتهِ اليهِ لانهُ لم يرسل إلى قنصلية فرنسا أدنى افادة بخصوص الحالة الحاضرة في البلاد . فتكرَّم يا حضرة القائم مقام بقبول الخ . . .

٣٧ .. كتاب الموسيو لوريلاً فيس قنصل النمسا في بيروت الى القايم مقام هيكنس بتاريخ ١٥ ت ١ سنة ١٨٤١ و٢٨ شعبان سنة ١٢٥٧

يا حضرة الكولونل

لقد تلقيت ما تفضلت بابلاغه إليَّ عن رغبة حضرة الكولونل روز بأن ارافقهُ إلى الجبل واسعى معهُ لاعادة النظام والسكينة بين الموارنة والدروز ولمَّا كنت اعتقد انهُ لا يحق لي التدخل في هذه المسألة دون دعوة خاصة من دولة سليم باشا اتأسف كثيراً يا حضرة الكولونل لاضطراري إلى الاقتصار على التمنيَّات لنجاح مهمة حضرة الكولونل روز وان كنت اشكُّ كثيراً بفوزه نظراً لحراجة الحالة وتفاقم الخلاف بين الفريقين . واني اغتنم هذه الفرصة لاؤكد لك الخ . . .

٣٨ — كتاب الامير بشير قاسم الى الموسيو ر . وود قنصل انكلترة الصادر عن دير القمر بتاريخ ١٨ ت ١ سنة ١٨٤١ و٣ رمضان سنة ١٢٥٧

أرى من واجبي أن انبئك بما حدث في دير القمر ويظهر ان الهجوم على هذه المدينة قد تعمده الدروز ودبره المشايخ اثناء اجتماعهم للتباحث بامر الضرائب

(التي اتخذوها وسيلة لتدبير الدسائس) ممّا حمل الشعب على الاعتداد بهم فأجّل تنفيذ منطوق الاتفاقية المعقودة حتى اليوم. وقد جاءني بعض المشايخ وسألوني اصدار الاوامر إلى الباقين بالاجتماع للتفاوض بمسألة الضرائب المذكورة والقطع بها. فاجبتهم إلى سؤلهم وأوعزت إلى هؤلاء الاخيرين بالاجتماع نهار الاربعاء. وكان ان كتبوا إلى رجالهم الدروز في اليوم السابق يدعونهم اليهم. وفي صباح الاربعاء وصل الخبر إلى دير القمر بأن القوّات الدرزيّة اجتمعت متأهبة فجاءني إذ ذاك أهالي دير القمر وأوضحوا لي عدم موافقة استقبال الجماهير المذكورة في المدينة متوقعين شرًّا من وجودهم لان المشايخ المذكورين يضمرون العداء فاستصوبت رأيهم وأرسلت في الحال أوامر صريحة إلى المشايخ المذكورين ليوافوني إلى عين السوق (الكائنة على بعد نصف ساعة من المدينة) لكن المشايخ المذكورين ظلوا يتقدمون مع اتباعهم فانفذت اليهم الشاب الامير محمود لابلاغهم عدولي عن الاجتماع بهم ورغبتي بأن لا يعقدوا هذا الاجتماع اتقاء سوء مغبة وجود قواهم في دير القمر فوقفوا خارج المدينة. وفي خلال ذلك دخل المدينة مشايخ بني نكد وغيرهم من مشايخ الدروز مصحوبين بعدد غفير من اتباعهم الذين كانوا انسألوا ليلًا إلى حي الدروز وبدأوا بالاعتداء على الاهالي في الاسواق وفاجأوا عدة عيال في بيوتها ودمروا مقتنيات المسيحيين وحرقوا دورهم وحوانيتهم وقتلوا الاشخاص الذين وجدوهم فيها وهم عزل من السلاح ومن كل وسائل الدفاع

وقد بدأ هذا الهجوم بعد ظهر نهار الاربعاء واستمرّ حتى خُيّم الليل. وكان الدروز قد استولوا على معظم المدينة فدافع المسيحيون عن حوزتهم وتمكنوا من صدّ اعدائهم واخراجهم من وسط المدينة قبل ان يداهمهم الليل وقد اشترك رجالي في هذه الواقعة فقتل منهم اثنان وجرح بعضهم فرأيت ان أمرهم بالانسحاب وبالمحافظة على السراي معي وان يكونوا قيد الاستعداد ليذودوا عن أنفسهم. وكان العدو يضيق

عليهم حلقات الحصار من كل جانب

ومن الغد عند بزوغ فجر الخميس استؤنف القتال واستمرت رحاه دائرة حتى آخر ذلك اليوم وظلت سحابة نهار الجمعة بكامله أيضاً حتى ظهر السبت على اني لم أفتأ بخلال الاربعة الايام المنصرمة من دعوة الفريقين إلى السلام اصلاحاً لذات البين ان بالمكاتبة وان بالملامات ولكن على غير جدوى . وبعد ظهر هذا اليوم شرفنا دولتلو ايوب باشا والكولونيل روز فللحال خمدت نار الفريقين تسهيلاً لمرور هذين العينين فابتهجت بنزولهما في قصري وبعد ان تباحثنا في الامر اصدرنا بالاتفاق الاوامر المتوالية لتهدئة الهياج وبنوع خاص الى المحاصرين والى قاطعي طرق المواصلات بالابتعاد والاخلاد الى السكينة متخذين وسائل أخرى لاجل نشر رايات الامان .

واني لواثق أشد الوثوق بتعمد هذه الفتنة لان الدروز كانوا قد قطعوا السبل المودية الى دير القمر وداهموا المدينة على حين غرة حوولا دون مجيء المسيحيين إلى مساعدة ابناء دينهم وقد انثالت على مسيحيي دير القمر الاضرار وخسروا الخسائر الباهظة بسبب مفاجأة السفاحين واسرافهم في الحريق ونهب البيوت والحوانيت بما فيه سوق التجار حيث الاموال والبضاعة .

وقصارى القول ان الاعداء لم يتركوا بيتاً من البيوت التي تمكنوا من دخولها عنوة دون سلب ما فيها وحرقها. وذبح في البيوت والحوانيت خمسة عشر شخصاً مسيحياً تعذر عليهم الافلات من يد العدو اذ كانوا محرومين من وسائل الدفاع ووقع في المعركة خمسة وثلاثون مسيحياً قتيلاً . ومن الشائع الغير الثابت ان خسائر الدروز بلغت نحواً من مايتي رجل واعتقد ان في الخبر مبالغة وأرجح ان الاعداء قد كانوا وطدوا العزيمة على ابادة مسيحيي دير القمر وانا في جملتهم لان هولاء الظمأى الى شرب الدماء قد حاربوا مدة اربعة ايام متوالية بمنتهى الهوس آبين ان ينقطعوا عن القتال رافضين

جميع الشروط التي اقترحتها عليهم . على ان ثبات المدافعين ودربتهم تغلبا على العدو وصدا هجومه . ثم كان ان امتدت عاصفة الهياج الى سائر اقضية لبنان وحرق الدروز المذكورون قرى ودساكر للمسيحيين فقابلوهم بالمثل . فهذه الكوائن كدرتني جداً لتعذر اعادة السلم الى ما بين الاحزاب نهائياً مع اني بذلت كل وسائل التوفيق على غير جدوى وسأواصل مساعي لاخماد النار وقمع ثورة أهالي هذا الجبل واني لآمل بتحقيق هذه الامنية لاني أنفذت أوامري إلى زعماء الدروز والمسيحيين بالانسحاب مع قواهم والتوقف عن كل حركة عدائية . على اني لا استطيع ان ارجم بمصير هذه الحوادث وفي اعتقادي ان روح العداء لا تزول من صدور الفريقين بدون حضور فرقة من الجنود وقد بسطت ظروف هذه الحالة لدولة المشير ولي الامل كما أتمنى من صميم الفؤاد ان يجعل الله النهاية إلى خير ويصلح شؤون هذه البلاد وسأوقفك بحينه على نتيجة مساعي واود الوقوف على اخبارك فتفضل بانبائي عما هو جار في مسئلة حبيبي الامير سعد الدين وتراني قيد الاستعداد لكل خدمة . وثق باني الخ . .

٣٩ ـ مذكرة الكولونل روز (١) قنصل انكلترة العام والقومندان ينبغ قائد قوات الانكليزية في سوريا الى سليم باشا . عهد بيروت في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٨٤١ و ٩ رمضان سنة ١٢٥٧

ياحضرة صاحب الدولة

نحن الموقعون بذياله علمنا بمزيد الاسف والاستياء ان من الشائع في البلاد ان

---

(١) أرسلت الحكومة الانكليزية الكولونل المشار اليه إلى مالطه لدرس العربية ثم أوفدته الى لبنان في سنة ١٨٤٠ مع قوات الدول المتحدة وبعد طرد ابرهيم باشا كافأته بان عينته قنصلاً عاماً في سوريا وفي سنة ١٨٥٣ وكلت اليه مستشارية سفارتها في الاستانة ثم جعلته معتمداً

موظفي جلالة ملكة بريطانيا في سوريا وزعوا بارودًا وذخائر على الطائفة الدرزية . فلو أتوا هذا العمل في ظروف غير هذه لعدّ عملهم جناية عظمى فكيف اليوم والحالة حرجة والتباغض مشتد بين الدروز والموارنة. ومحال ان ينهج موظفو جلالتها هذا النهج المخالف للشرف والانسانية والطاعة المتوجبة عليهم لعظمتها . وعليه فنطلب بالحاح من دولتكم ان تتفضلوا باتخاذ الذرائع لابطال هذه الاشاعات الكاذبة ذات القصد السيء وانزال العقاب الشديد بمروجيها الذين أذاعوا هذه الفرى عن عمد وسوء نيّة بغية تقبيح سمعة حكومة جلالة ملكة بريطانيا لدى الرأي العام . ولقد كنا قابلنا هذه الاختلاقات بذات الازدراء الشديد الذي قابلنا به اشاعات مثلها أذيعت للغاية ذاتها في الانحاء المذكورة منذ اوائل نيسان الماضي لو لم يكن مروّجو هذه الافتراءات الجديدة أناسًا لهم منزلة في العالم الاجتماعي فيقتضي تهذيبهم لاسيما وقد أرادوا بها زيادة الاضطراب السائد الان لسوء الحظ . هذا واننا نحتج بشدة على مثل هذه الاشاعات المتفشية على الالسنة

٤٠ — كتاب المستر ربشار وود الى سليم باشا والي صيدا بتاريخ ٢٨ تشرين الاول سنة ١٨٤١ و١٣ رمضان سنة ١٢٥٧

ياحضرة صاحب الدولة

ان الثقة التي طالما أبديتم لي دلائلها في شؤون سوريا تجرئني على إن اوجه اليكم

ادى الجيش الفرنسوي في حرب القريم ورقتهُ أخيرًا إلى رتبة اللوردية وألقب باللورد ستراتفورد وعينتهُ قائدًا عامًا في ايرلندة وهو الذي عمل مع المستر وود على قسمة لبنان الى قائم مقاميتين لقنوطهما من استمالة الموارنة اليهما تأييدًا لسياسة دولتهما التي كانت ترغب في احراز سوريا لتضمن لها طريق الهند . وقد وصف رفعت باشا ناظر الخارجية العثمانية مشروع قسمة امارة لبنان الى قائم مقاميتين مسيحية ودرزية بقوله « انها بمثابة اشعال نار الحرب الاهلية »

هذا الكتاب بخصوص الحرب الاهلية المستعرة نارها بين الدروز والمسيحيين في جبل لبنان واعترف لك ياصاحب الدولة إني أعدّ هذه الحرب الشؤمى من أخطر ما يتوقع من الحدثان في الوقت الحاضر في سوريا لا بل أعظم أهمية من الحرب ضد المصريين لان هذه كانت غايتها اعادة هذه الولايات إلى الباب العالي أما الاولى فيخشى أن تجرّ الوبال على الدولة . وحيث ان موقفي الحالي لا يسمح لي بالشخوص لناديكم استأذنكم بان أعرض لدولتكم بعض ملاحظات بايجاز وانا على ثقة ياحضرة المشير بانكم لا تنسبونها إلاّ إلى صدق أخلاصي واجلالي لشخصكم

(١) يظهر لي ان هذه الحرب الاهلية قد دبّرها أحد الفريقين منذ شهرين وعليه يجب ان نعتقد بانهم قد رسموا خطتهم واتخذوا جميع التدابير الكافلة نجاحها وبعبارة أوضح اقول انها مسألة تامة التنظيم ومرماها بعيد لان فروعها ممتدة من جنوب سوريا إلى شرقيها فاذا كانت لم تمتد بعد فلانها لم تبلغ درجة النضوج التام

(٢) إن المقاومة الشديدة التي يبديها المسيحيون لحفظ مركزهم وسيطرتهم في جبل لبنان من شأنها اطالة هذه الحرب الاهلية مما يمهد السبيل لاعداء الباب العالي أن يستأصلوا سلطته من تلك الولايات

(٣) لما كانت كل البلاد في حالة تقرب من الثورة وليس لدى الحكومة سوى قوة صغيرة لارهاب السوريين فارى من الحكمة ابقاء هذه القوة غير مشتبكة في القتال اتقاء الطوارق التي يتوقع حدوثها قريباً ولذلك ينبغي ألاّ تسارعوا في الانضمام إلى أحد الفريقين المتقاتلين دون ضرورة قصوى فهذه الحيادة تجعل دولتكم في موقف اكثر موافقة للتوسط بينهما بنجاح

(٤) من المرجح انكم اذا انضممتم إلى أحد الفريقين جهاراً فالفريق الآخر يلجأ إلى استعمال كل نشاطه وما لديه من وسائل الدفاع مستميتاً في الذود عن حياضه بحيث إذا أصاب الجنود التركية حطمة في وسط هذه الجبال فمن المحقق

الثابت ان السوريين يزدادون جرأة ويقومون كلهم كرجل واحد عليكم فتعجزون عن قمعهم لضعف قواكم لاسيما وانهُ يعوزكم المال وعدد القتال

وقد اتصل بي ايضاً ان دولتكم أوعزتم إلى الامير بشير بالذهاب إلى بيروت ليكون بمأمن وان في نيتكم ابداله بعلي باشا وأرجح ان الامير يأبى في الاحوال الحاضرة أن يترك المنصب الذي شاء جلالة السلطان ان يقلده اياه . وبصفته من عمّال الباب العالي فلهُ الحق أن يطلب مساعدتكم في ما تقتضيه مصالح حكومتكم . ولتتيقنّ دولتكم ان اهالي جبل لبنان بأجمعهم لا يسمحون مطلقاً بأن يتولّى ادارة بلادهم احد الباشاوات لان ذلك مخالف لامتيازاتهم القديمة التي شاء الباب العالي تأييدها حديثاً . ومن ثمه لا يبعد أن يعارضوا في تنصيب علي باشا فاذا ما هاجموه أو طردوه من الجبل يلتحق بشرف الباب العالي غضاضةً ويخشى أن تنقلب الحرب الاهلية إلى عداء بين الحكومة العثمانية والسوريين . وفيما انا واثقٌ بأن دولتكم تنسبون مخاطبتي اياكم بهذه الحريّة إلى حبي شخصكم وغيرتي على سعادة هذه البلاد وسكينتها ارجو دولتكم أن تتفضلوا بقبول الخ . . .

٤١ — كتاب اهالي جزيرة الى الامير بشير ملحم وسلمانه بتاريخ ٢٩ تشرين الاول سنة ١٨٤١ و١٤ رمضان سنة ١٢٥٧

من المعلوم لدى الجميع ان المسيحيين عامةً ولاسيما سكّان دير القمر وناحية اقليم الخروب وجهاتنا هم هدف لبلايا عظيمة وما من احد يجهل ما ارتكبه الدروز من القتل الفظيع والفحشاء وافتضاح النساء والنهب والحريق . فقد مزقوا الاولاد في قرية حاصبيا وهم بقيادة الشيخ شبلي العريان الذي جمع بأمرته دروز حوران ونواحينا ويهود وأخلاط من سائر القبائل فانهُ نزع السلاح اولاً من الاهلين ثم انقضّ على

بلادنا . وانكم ترون الان جميع الطوائف مسلحة لابادة المسيحيين إنما نحن مستعدون لمقاتلة اعدائنا متكلون على العون الالهي ومستمدون عضدكم

أيها الامراء والمشايخ ولاة الشعب قد أهملتم رعاية قطيعكم وتركتموه عرضة لاخطار عديدة واذللتموه في أعين الرجال وتغاضيتم عن اخوانكم واصدقائكم فامسوا لاعدائهم اعدائكم فريسة . فباعراضكم عنّا استباحوا نساءنا وحرقوا أملاكنا

فأين تلك الغيرة التي طالما وعدتمونا بها ؟ واين حبكم للوطن ولدين اجدادنا ؟ فياللأسف ان شعب الله انحط إلى درجة من الذل تستدعي الشفقة ! وكل هذا جارٍ بوجودكم . فكيف لا يشكو اذ يرى ذاته مقوداً الى المجزرة كالانعام . لقد استسلمتم للخمول ولم تستيقظوا لصراخ الاضاحي المتصاعد من وسط حريق قضاء جزين ! من ذا الذي يجهل ما حاق باخواننا الديريين من الضيق والرزايا والشدة في دفاعهم الباسل مدة اربعة ايام متتالية ومع ذلك لم تمدوهم بالعون المنتظر منكم ! فاين جنودكم ؟ ولماذا غللتم ايديهم عن العمل ؟ وما السبب في تقاعد الامراء المسيحيين عن نصرة اخوانهم ؟ لماذا لا يسارع رجالكم البواسل الى ساحات القتال لعون المؤمنين ؟ فاذا لم تسعفوهم سقطوا في مخالب اليأس والقنوط . ايها الامراء والمشايخ لماذا تضعفون فيكم ايمانكم المقدس ؟ فبدارِ بدارِ إلى وضع حدٍّ لهذه المجازر ! انقذوا نساءنا واولادنا واملاكنا فنحن وجميع مسيحيي لبنان أوشكنا ان نفنى . فلا تؤجلوا للغد ما يمكنكم فعله اليوم . لا تضيعوا الفرصة فالوقت ثمين . لا تصمموا اذانكم عن سماع صوت استغاثتنا . ساعدونا على صدّ غارات اعداء ديننا المقدس . فهذا هو اليوم الذي يجب عليكم به ان تبذلوا نشاطكم وتوجهوا عنايتكم إلى حمايتنا فانكم لا تلاقون اكثر منه موافقةً لمؤازرتنا بهذه الحرب .

٤٢ – مذكرة الموسيو وود الى نجيب باشا بتاريخ ٣٠ تشرين الاول سنة ١٨٤١ و١٥ رمضان سنة ١٢٥٧

ياصاحب الدولة .

علمت الان بمزيد الكدر ان شبلي العريان نزع السلاح من مسيحيي حاصبيا وانه عازم على اخذه ايضاً من مسيحيي راشيا وزحلة احدى مدن لبنان . وان قد أرسل اليه منذ اول امس من هذه المدينة ذخائر حربية . ولما كانت دولتكم قد وعدت باستدعاء شبلي العريان من حاصبيا فيتعذر عليّ ان اصدّق ان هذا الرجل قد عمل بموجب اوامركم ولو قال علناً انه مأمور باجراء ما تقدم . بيدَ أني اخلُّ بالواجب المفروض عليّ نحو الباب العالي الذي شاء ان يوكل اليّ السهر على تنفيذ بعض اتفاقيات متعلقة بهذه البلاد وتجاه شخص دولتكم اذا ما اهملت في ظروف حرجة كهذه ان اعرض على دراية دولتكم الملاحظات الآتية العائدة بالفائدة على حكومة جلالة السلطان . ومع ثقتي بان شبلي العريان غير مفوّض بالجري على الطريقة المبسوطة اعلاه لكنه لما كان قد أعلن بان لديه اوامر لاجراء ما اجرى وان دولتكم أنبئت بجينه عن مقاصده السريّة ولم تشاء ان تصدق ما نمي اليها فمن المحقق ان السوريين عامة اصبحوا يعتقدون ان هذه الاعمال هي من الحكومة العثمانية ذاتها .

هذا وان التأثير الذي يحدثه هذا الاعتقاد في افكار الجمهور صحيحاً كان او غير صحيح هو بمكان من الجلاء لا يحوجني الى زيادة الايضاح ويكون من نتيجته زيادة تريّب الشعب فيدفعه الى الانضمام الى مقاتي الراحة العمومية فيؤلفون حزباً واحداً معاكساً للحكومة واكثر تنظيماً منها . وعندي ان التوّدة وحفظ حقوق السوريين وامتيازاتهم من كل مساس في حالة العصيان الضاربة اطنابها في هذا الجبل هما الضامنان الوحيدان لاخلاد السكان الى الطاعة والسكينة

وبهذه المناسبة استأذن دولتكم بان اقول لها انهُ لمَّا كان جلالة السلطان قد عهد إليَّ في بدء الحرب ان اسعى لاقناع السوريين بوجوب الخضوع ووكل إليَّ بالوقت ذاته ان اعدهم بدوام تمتعهم التام بحريتهم الشخصية وبحقوقهم وامتيازاتهم القديمة مكافأة لهم على خدماتهم العسكرية فارى ان نزع السلاح من أهالي حاصبيا وراشيا وزحلة في لبنان وانتيلبنان تعدياً على حريتهم وامتيازاتهم ومغائرًا تمام المغائرة للوعود الصريحة التي ابلغتهم اياها باسم الحضرة الشاهانية. وهذا التصرف سيتخذه أهالي لبنان دليلًا على وجوب تريبهم في وعود مأموري الباب العالي ويكون لهم عبرةً في المستقبل واني اترك لدولتكم أن تحكم في ما إذا كان يوافق مصالح الباب العالي في هذه الظروف الشديدة الحراجة وفي وسط الفوضى السائدة والحرب الاهلية الدائرة رحاها مضاعفة نفور السوريين وتحذرهم إلى حدٍّ يلجئهم إلى الثبات في مقاومتهم ويزيد شقاءهم باحراجهم

ولا يستبعد أن ينشأ عن ذلك تبدُّل في هيئة الحرب الاهلية فتنقلب إلى قتال بين الحكومة والسوريين. فلو طرأ هذا الحادث فما هي القوات الجاهزة لدى الحكومة العثمانية لمقاومة حركة الاهالين الاجماعية؟ لا وجود لها إذ من المؤكد ان الجنود القليلة العدد الموجودة في هذه الولايات تكاد لا تكفي لحماية بعض المدن. وخلا ما تقدم فان خزينتكم فارغة من المال وليس لديكم شيء من وسائل النقل. وعليهِ يخيَّل لي ياصاحب الدولة إن الفوضى الضاربة أطنابها الان في البلاد كافية لاشغال بال الحكومة دون ان تريد عليها مصاعب جديدة لا تستطيع معالجتها وحل عقدتها. فاذا كانت الحكومة ترغب حقيقة في استتباب الامن ففي وسعها أن تبدأ باظهار حسن نيَّاتها فتمنع تخريب القرى وتدمير أماكن العبادة الكائنة على بضع خطوات من دمشق الشام

إن نزع السلاح من يد السوريين عامة أمر مرغوب فيهِ لو تسنى إتمامه دون

ايحاس من حدوث ثورة عامة . بيدَ انَّا رأينا هـذه الوسيلة مقصورة على مسيحيي لبنان وانتيلبنان في حين انهُ سمح لسائر اتباع الباب العالي بحفظ أسلحتهم . ومع ذلك لا ينبغي أن يغرب عن البال ان الباب العالي اعترف بصدق إخلاص رعاياه المسيحيين وأمانتهم في هذه النواحي إذ لجأ اليهم قبل الجميع فوزع عليهم أسلحة لطرد عدو الطرفين كما إن احتلال جنود جلالة السلطان حالياً سورياً هو نتيجة مساعدة اللبنانيين وهذا العمل يؤهلهم إلى مراعاة دولتكم لهم

فاسألك ياحضرة صاحب الدولة قبول الخ . . .

٤٣ – فقرة من تقرير الكولونل روز بتاريخ ١ تشرين الاول سنة ١٨٤١

ان الموارنة مستسلمون نفساً وجسداً إلى فرنسا . . . وعليهِ فلم يبقَ لانكلترة أن تختار في الامر بل أمسى من المتحتم عليها عضد الدروز

(عن الكتاب الازرق الانكليزي الصادر في سنة ١٨٤٣)

٤٤ – عريضة مسيحي دير القمر الى قناصل الدول في بيروت بتاريخ ٥ تشرين الثاني سنة ١٨٤١ و٢١ رمضان سنة ١٢٥٧

ياحضرات القناصل

أنكم تعلمون كل البلايا التي انقضت علينا من جراء سلوك الدروز المشين فانهم نهبوا بيوتنا وحرقوها وتركونا بلا قوت ولا لباس ولا مأوى ولما ارسل صاحب الدولة سليم باشا كلاً من سليم بك ومحصل آغا لازالة الخلاف وحملنا على تسليم أسلحتنا وعدانا بصيانة حياتنا وحياة عيالنا وأعراضنا ووقاية الاملاك التي سلمت من الاعتداء فنحن الموقعون اسماءنا أدناه امتثلنا أوامر مندوبي دولته وسلمنا اليهما أسلحتنا دون تردد ثقة

بوعودهما أما الدروز فاستمروا على مهاجمة المسيحيين والاعتداء عليهم خارج المدينة. فما كاد سعادة الامير الكبير يغادر دير القمر مصحوباً ببعض المسيحيين حتى انقض الدروز على حاشيته القليلة العدد فسلبوها أشياءها واساءوا معاملة أفرادها ومنعوهم من اللحاق بسعادته ولم يسلم هو من اعتدائهم مع أنه يحمل الوسامات المنعم عليه بها من الحضرة السلطانية. وعندما رأى الموقعون ادناه ان سلوك الدروز مخالف للوعود تيقنوا أنهم قد خالفوا أوامر صاحب الدولة سليم باشا الراغب في استتباب الراحة والسكينة الآنف من خفر ذمة العهود المعطاة.

وتحقق اذ ذاك للموقعين أدناه ان الدروز سيدخلون بدون ريب دير القمر لذبح المسيحيين الذين أمسوا عاجزين عن المقاومة لسبق تسليم أسلحتهم فاقروا رأياً على رفع عريضة الى صاحب الدولة سليم باشا يلتمسون فيها ان يأمر بارسال الجنود التركية لانقاذ المسيحيين الموجودين في دير القمر وتولي حفارتهم حتى بيروت بما ان بيوتهم حرقت وأمسوا بلا مال ولا قوت ولم يبقَ مسيحي في المدينة يملك شروى نقير حتى اذا بلغوا بيروت يأملون الحصول على بعض مساعدات بمفعول حماية دولة سليم باشا الذي شاء انفاذ اوامره الى دير القمر بالسهر على المسيحيين ومنع الاعتداء عليهم واساءة معاملتهم وهو مستعد لارسال والٍ بأسمه الى دير القمر لاعادة مياه الراحة الى مجاريها. بيد انه من عادة الدروز الخيانة بالعهد والوعد. وعليه فالموقعون ادناه يتجرأون على ان يعرضوا ان المندوب الذي يريد دولة سليم باشا ايفاده الى دير القمر ليس فيه الكفاءة لحماية المسيحيين واطمئنانهم ودليلنا ان وجود سليم بك ومحصل آغا وكيلي دولته لم يمنع الدروز من الاعتداء على الامير الكبير وسلبه أشياءه وتهديده دون احترام الوسامات المنعم عليهِ بها وكفى بذلك برهاناً على عدم قيام الدروز بعهودهم فانهم يعتدون في كل آن على المسيحيين غير محيطين عهدهم بالوفا. وعليهِ فالموقعون أدناه قد تجرأوا على رفع هذه العريضة اليكم مسترحمين انزال التماسهم محل

الاعتبار واستعمال كل الوسائل التي ترونها مناسبة متنازلين إلى الشفاعة بهم لدى صاحب الدولة سليم باشا

٤٥ – نظافة اجماعية أنفذها كل من قنصل فرنسا وبريطانيا العظمى والروسية في بيروت الى سليم باشا بتاريخ ٠٠ تشرين الثاني سنة ١٨٤١ (رمضان سنة ١٢٥٧)

ياصاحب الدولة

انهُ لمَّا كنَّا نشاهد الرزايا المالمة بلبنان فنشفق من كارثة جُلّى تنقض على الولاية الموكول اليكم ادارتها وتمتد إلى سوريا بأسرها وكان قد سبق لنا غير مرة الفات نظركم إلى هذه الحالة السيئة ان افراديًّا وان اجماعيًّا وقد طال انتظارنا القيام بوعودكم اعادة الامن والطمأنينة إلى نصابهما على غير جدوى نرانا اليوم مدفوعين بعوامل ثلاثة ـ أولها: الاهتمام الذي أبدتهُ حكوماتنا حليفات الباب العالي في ما يضمن راحة الاهلين الموضعين حديثًا تحت ادارته . ثانيها : حب القيام بواجبنا تجاه رعايانا الشاكين من الاضرار التي التحقت بهم . ثالثها : الانقياد إلى عاطفتنا القلبية نحو الانسانية المتألمة ـ إلى تكرار توجيه انظاركم إلى الامور الاتية :

(١) اننا ندع جانبًا البحث في الاسباب التي جرّت إلى هذا النزاع المشؤم بين الدروز وموارنة جبل لبنان لفوات وقتها ونكتفي بان نوضح ان عمل الحكومة بعد مرور شهر على الحرب الاهلية التي اجتاحت هذه البلاد كان مقصورًا على ارسال ضابطين لدير القمر آل وجودهما فيها إلى الحط من هيبة الحكومة بدلاً من أن يساعد على ايقاف تيّار الشر . لان هذين الضابطين بعد ان أهينا وأسيئت معاملتهما توليا نزع السلاح من مسيحيي دير القمر خلافًا لكل حق بحيث تمكن الدروز من سلب أهليها . وزيادة على ما تقدم فبوجودهما قد سُلب امير لبنان الكبير سلاحه وثيابه

ثم كان ان اتخذ قرار آخر بشأن زيارة دولتكم للشويفات وبناء على دعوتكم تشرفنا بمرافقتكم اليها . بيدَ ان هذه الزيارة ووعود الدروز بلزوم حد السكينة لم يمنعا مواصلة الاعتداءات بحضوركم . ومنذ يومين تجددت الحرائق دون انقطاع في القرى التي غادرها المسيحيون

(٢) لا ينكر ان قد أرسلت بعض الذخائر الى الموارنة بدلاً من التوسط الفعلي بين الفريقين اللذين استسلما لجميع جوائح الحرب الاهلية على مشهد من الجنود المنظمة على مسافة ميل من بيروت . بيدَ انهُ من الثابت ان الدروز أمدّوا بذخائر وافرة مرسلة من دمشق رغماً عن تنبيه القناصل المقيمين في هذه المدينة صاحب الدولة نجيب باشا تكراراً إلى وجوب منعها

(٣) لمّا كانت الحكومة لم تأتِ عملاً يدل اهل لبنان على نيّاتها بخصوص القتال الناشب الان بينهم ولم تعلنهم ارادتها فان زعماء الدروز أخذوا يؤولون سكوتها وتقاعدها عن العمل إلى تنشيطهم لتسليح الاهلين ومداومة الحرب الاهلية . واتفق إذ ذاك أن ذاع بين الموارنة خبر مشؤوم قوامه ان الدروز تسلحوا على أثر ورود أوامر سرية من الحكومة قصد إذلالهم . ومع عدم تعليقنا أهمية كبرى على هذه الاشاعات نكتفي بابلاغها دولتكم مخافة أن تنجم عنها اضرار كبيرة إذا ترك الموارنة الذين غلبوا حتى الان مستسلمين للقنوط اعتقاد ان محاميهم الطبيعيين والشرعيين أهملوهم

(٤) قد أستدعي من الشام جنود غير منظمة فعسكروا منذ عشرة أيام بجوار ساحات القتال وأخذوا يسلبون النساء الذين نجوا من الدروز وتمكنوا من الفرار التجاء إلى بيروت . ولقد قبض هؤلاء الجنود المنضمون تحت علم الحكومة على الهاربين من رجال ونساء وأولاد واساءوا معاملتهم وأخذوا حلى النساء التي عفَ عنها الدروز اثناء السلب فأمست غنيمة في يد الموكول اليهم حمايتها . ولقد ارتكبت

مظالم أشدّ من هذه أمام صيدا . ونحن نذكرها ليس لخطرها بل لسوء وقعها في المسيحيين

(٥) لقد خفر الدروز العهد الذي وقّعوه بحضورنا باضرامهم النار أمس في ضواحي بيروت في حين كان منادٍ يوعز من قبل الحكومة للنساء الملتجئين إلى المدينة بوجوب العودة إلى محلّاتهم. فوثق كثيرون منهم بتأكيدات الحكومة وخرجوا من المدينة قاصدين بيوتهم المدمرة فهجمت عليهم الجنود الغير النظامية واساءت معاملتهم مجددا ونزعت ما بقي عليهم من الثياب

(٦) قد تلقى كل منّا افادات موثوق بصحتها مفادها ان دروز لبنان زاحفون على مدينة زحلة موافاة اشبلي العريان رئيس القوّات الغير المنظمة المقيد بخدمة نجيب باشا وهو الذي سبق لهُ ان أمرًا وان مأمورًا فنزع السلاح من أيدي مسيحيي حاصبيا وراشيا الذين لادخل لهم في كوائن لبنان . فهذه الطريقة المتبعة في نزع السلاح على يد أحد الفريقين المتخاصمين قد زادت في جرأة شبلي المذكور وجعلتهُ يحسب ذاته حكمًا مطلق اليد في شعبٍ فقدَ الطمأنينة بسبب نزع السلاح منه . وقد خرب الدروز التابعون ولاية دمشق عدّة قرى في سهل البقاع فازداد اهالي كسروان المهددون بالدمار قلقًا بسبب نزع أسلحتهم وحصار زحله . وبينا كان الموقعون أدناه المستاؤون كثيرًا من هذه الحالة عازمين على عرض ما تقدم بيانه على دراية دولتكم ورد عليهم كتاب من بطريرك الموارنة يسألهم فيهِ عمّا إذا كانت الحكومة راضية عن الاعتداءات التي حصلت على طائفته بعد عقد معاهدة الشويفات التي جرَت بحضورهم وعن الكوارث التي لاتزال تهدد الطائفة المشار اليها ولا تريد الحكومة ايقاف تيّارها وعمّا إذا لم يكن لدى الحكومة وسائل كافية لاعادة الامن وحماية التبعة السلطانية

وعليهِ فالموقعون أدناه يرون من واجبهم عرض هذا السؤال على دولتكم راجين منها جوابًا يوضح لهم حقيقة موقف هذه البلاد ويمكنهم من مدّ السلطة

الشرعية بكل عضدهم الادبي لحفظ الراحة في هذه الولايات وفقاً لارادة حكومة كلٍ منهم

فاسألك ياصاحب الدولة الخ...

٤٦ ــ كتاب الموسيو وود الى نجيب باشا بتاريخ ١٣ تشرين الثاني سنة ١٨٤١ (٢٩ رمضان سنة ١٢٥٧)

يا صاحب الدولة :

ان الباب العالي ابلغ في شهر جمادي الاولى سفارة جلالة ملكة بريطانيا العظمى في الاستانة صورة الفرمان السلطاني الموجه الى دولتكم وفيهِ أمر جازم إلى السلطة المحلية بوجوب حماية مسيحيي دمشق الشام رعايا الباب العالي والسماح لهم بان يتزيُّوا بالملابس التي يؤثرونها ويركبوا الخيل دون معارضة . ولقد تلقيت بمزيد الاسف شكوى من لويس بوبولاني من التبعة الانكليزية ومن مسيحيين آخرين في هذه المدينة انهم جُلدوا بالسياط وأُهينوا ونزعت عمائمهم البيضاء عن رؤوسهم بالعنف في وسط الشوارع وقد عومل بعض مأموري دولتكم مثل هذه المعاملة فيمكنكم الاستدلال من هذا على الروح السائدة اليوم في المدينة الموكولة إلى ادارتكم وعنايتكم . أمَّا الذين ارتكبوا هذا الاعتداء فموجودون في المحلَّات المدعوَّة سروجية وسوق السلاح . وعليهِ اسأل دولتكم ان تتخذوا الوسائل التي ترونها موافقة لوضع حدّ لمثل هذه الحوادث المشينة وتعاقبوا بمقتضى النظامات الذين تجرَّأوا أو يتجرأون على مخالفة الارادة السنية السلطانية المعروفة من دولتكم

واني اغتنم هذه الفرصة لاكرّر الحاحي على دولتكم لتضاعفوا رجال الدوريَّة في هذه الايام الاخيرة من رمضان وفي اعياد الفطر واذا ما أهملتم ذلك فتيقنوا ان

اخطاراً واضراراً جسيمة تنجم عنه وتسيء جلالة السلطان. فاسألك يا حضرة صاحب الدولة قبول الخ ...

٤٧ – كتاب الامير بشير الى الكولونل روز عن الاستانة بتاريخ شهر كانون الثاني سنة ١٤٨٢ و ذي الحجة سنة ١٢٥٧

بعد الترجمة . . نخبركم بوصولنا إلى الاستانة بكل سلامة فقد أحسن استقبالنا وأرسلنا عريضتنا لسعادة السفير لكننا لم نتمكن من زيارة أحد لانه لم يصدر لنا الاذن حتى الآن بتقبيل اذيال الصدر الاعظم ورئيس الوزارة وقد تفضل سعادة السفير فأجابني انهُ يبذل كل ما بوسعه لانجاح مصالحي ومتى كتبتَ لسعادته فارجُه ان يساعدني على نيل مطالبي واني اعتمد على غيرتكم التي أوجبت عليَّ دوام الامتنان

٤٨ . . تعليمات الموسيو سنراقورد كانين سفير انكلترة في الاستانة الى الموسيو ف . يزاني ترجمان السفارة الاول بتاريخ ٩ شباط سنة ١٨٤٢ و٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٥٧

أوعز اليك بالذهاب إلى الباب العالي ومتى تيسر لك مقابلة الرئيس افندي فاتلُ على مسامع دولته ما يلي

ان الميل الذي طالما أبدته الحكومة البريطانية نحو الباب العالي واقامت عليه الشواهد العديدة لاسيما في ما يتعلق بسوريًا يوجب عليها السهر على توطيد أركان الراحة في تلك الولاية على الاساس العميق المتين المتفق عليهِ . وعملاً بهذه القاعدة الفت سفير جلالة الملكة غير مرة انظار الباب العالي الى القلاقل التي أسالت الدماء في لبنان رغماً عن عقد الصلح المثبت من ست دول وهي تهدد عملها السلمي بالاخفاق . ولذلك علم بلاط لندرة بمزيد السرور ارسال السرعسكر مصطفى باشا إلى بيروت

مستصحباً الجنود وقد خوّل السلطة اللازمة لايقاف تيار الشر . لا مراء في ان وجود هذا المأمور الكبير قد ضمن وقوف القتال الذي تقدم وصوله ببضعة ايام . بيدَ انه حدثت غير كوائن فقد رأينا الامير بشير قاسم معزولاً فجأة بأمر استبدادي مع انهُ دعي الى تولي شؤون طوائف الجبل في زمن برهن فيهِ وشعبه على صدق بسالتهما واخلاصهما . ثم شاهدناه في الاستانة معزولاً وقد أخذ منهُ وسامه وماله وأبعد عن موطنه واصدقائه واسرته . وفي الوقت عينه اتصل بنا ان السرعسكر المشار اليهِ عين باشا مسلماً مكان الامراء عاهداً اليهِ بالسلطة المختصة بهم وهو اليوم في دير القمر بصفة والٍ على لبنان مما لم يسبق لهُ مثيل وذلك مناقض للوعود المسجلة وخارق للامتيازات المقررة منذ عدة قرون . اننا لا نريد ان نلقي ظل الريبة على حسن النيات التي نتجت عن أعمال دولة السرعسكر المشار اليهِ ونعتقد بان حراجة الحالة املتها عليه أملاً بانها تساعد الان على استتباب السكينة في سوريا . وممَّا يؤيد صحة هذا الاعتقاد الايضاحات التي جهر بها الرئيس افندي (ناظر الخارجية) في عدة مواطن

بيدَ ان هذا التبديل الموجب الدهشة والاستغراب غير كاف لحقن الدماء وضبط الاهواء بل ينبغي اتخاذ وسيلة أضمن فائدة وأرسخ قدماً وألاَّ يقتصر على مراعاة الظروف الحالية واحتقاد الاحزاب أو مصالح بعض الزعماء بل تراعى عادات الاهالي والحاجات المكانية وروابط هيئتهم الاجتماعية والعواطف القلبية التي لاينضب معينها في كل انسان وتلاحظ أصول العدالة السرمدية . وفوق ذلك يجب الاجتهاد وأعمال النظر في ان يوازن بين الوسائل الكافلة حفظ السلطة الجديدة المنشأة فجأة مع مخالفتها لعادات السواد الاعظم من الفريقين وأميالهم وبين الاسباب الداعية إلى اسقاطها . ويتراءى لنا من خلال الحوادث الحاضرة ان المستقبل غير مفرح وأصبح من المؤكد انهُ بعد فترة من الزمن تضطرم نار الفتنة في قبائل لبنان بأشدّ ما كانت

عليهِ قبلًا فاذا كان اتفاقها الحالي نتيجة تعيين الحاكم المسلم فلا بدَّ ان ينقلب هذا الاتفاق عليه حتى اذا ما هوجم من كل جهة يضطرّ إلى استعمال القسوة مما يزيد في غضب اهالي الجبل ويرجح ان حراجة موقفه تجعله ينشب في قتال تكون الارجحية فيهِ الى خصومه فيعرّض شرف سلطانه لعار الانكسار . خلا ان مقاومته للتخلص من هذه الورطة ستؤول لا محالة الى انضاب خزائن مال الحكومة . فحبًّا بتلافي هذه الاخطار وما يُتوقع حدوثه يرى اصدقاء الباب العالي المخلصون وجوب الفات نظره الى هذه المسألة الخطيرة وقد أخذوا على ذواتهم ألاَّ ينتقدوا اقدام دولة السرعسكر على تعيين والٍ مسلم على جبل لبنان مما لم يسبق لهُ نظير ولو كانت الظروف تجيز لهم الاحتجاج على هذا العمل

فعسى أن لا يكونوا تجاوزوا حد ثقتهم في حكمة الباب العالي ودرايته اذا ما عالنوه تيقنهم ان التدبير الحالي هو وقتي وانهُ سيأمر قريبًا باتخاذ الوسائل العاجلة لاعادة تنظيم حكومة جبل لبنان المحلية على إسٍ ثابت وفقًا لامتيازات شعوبه القديمة والعهود المعطاة لهم

وبعد مقابلتك الرئيس افندي (ناظر الخارجية) اذهب الى فخامة الصدر الاعظم واتلُ عليهِ أيضًا هذه التعليمات واجتهد في ان تعرب لكل من الوزيرين المشار اليهما عن املي بأن حكومة جلالة السلطان تجيز لي ابلاغ حكومتي جوابًا موافقًا للتمنيات التي أبديتها لها بلسانك

٤٩ — تقرير الموسيو . يزالي الى الموسيو سنراتفورد كانين بتاريخ ١٠ شباط سنة ١٨٤٢ و٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٥٧

يا حضرة السفير

أتشرّف بانباء سعادتكم اني ائتمارًا باوامركم قابلت صارم افندي وفخامة

الصدر الاعظم وابلغتهما تعليماتكم بتاريخ اليوم فلما أدرك صارم افندي المقصود منها قال لي ان الوقت لا يسمح لهُ بمواجهتي إذ عليهِ أن يعود عاجلًا إلى مجلس الوكلاء الذي كان قد خرج منهُ . على ان ذلك لم يكن إلاَّ محاولة لاني استشففت من تضاعيف كلامه ان مآل التعليمات كدّره . بيدَ اني تلطفت بابداء بعض الملاحظات لهُ فرضي بسماع تلاوة تعليمات سعادتكم باللغة التركية ثم علمت فيما بعد من رصفائي تراجمة سفارات النمسا وفرنسا وبروسيا والروسية انهم لقوا من ناظر الخارجية المشار اليهِ ما لقيت من الصعاب . وعلى كلٍ فانهُ أعار تعليماتكم سمعًا لكنهُ اقتصر على القول بأنه أحاط بها علمًا وسيجيب عليها بعد مشاورة حكومته بهذا الشأن . بيدَ ان لهجة وعده باعطاء الجواب لم تترك مجالاً للريب بأنهُ سيكون غير موافق

وفور فراغ الوكلاء من المذاكرة دخلت على الصدر الاعظم فوجدت صارم افندي إلى جانبه فلم يفه ببنت شفة اثناء مقابلتي فخامته . وبعد ان اصاخ الصدر الاعظم سمعًا لتعليماتكم أجابني بما يلي :

«لما حدثت الاضطرابات في سوريا أشارت علينا الدول صديقاتنا باتخاذ الذرائع الكافلة اعادة السكينة اليها فارسلنا السرعسكر باشا لهذه الغاية ولما بلغ بيروت جمع أعيان الجبل فينوا له ان الامير بشير قاسم رجل ضعيف غير كفوء للحكم وانه يجب نسبة القلاقل والاقتتالات التي جرت في البلاد الى عدم جدارته بالولاية وصرحوا انه لا سبيل لتوطيد دعائم الامن في ربوع لبنان ما دام أمير الجبل يُنتقى من اهليه وطلبوا خلع الامير بشير قاسم مسترحمين من الباب العالي شفاهًا وخطًا ان ينعم عليهم بتعيين احد موظفيه واليًا على جبلهم . ولما كان انالتهم مطالبهم وتحقيق رغائبهم احسن ذريعة لاستتباب الراحة وضرب اوتاد الامن بين الاهلين عين احد الباشاوات واليًا على لبنان .

« ولقد حدثتني عن امتيازات اللبنانيين في حين اني لا اعرف سوى التي تعهدت

أنا وامير البحر استوبفورد بها خطأ للامير بشير الشهابي السابق فيما لو خضع لسلطة السلطان في مدى اثني عشر يوماً وضمنًا له ثروته وامارة الجبل وامتيازاته على ان هذا الامير لم يودِ الخضوع في الاجل المضروب ومع ذلك أمهلته مدة اربعة أيام أخرى غير أنه عُجِّل في تسليم الامير بشير قاسم الفرمان المؤذن بجعله اميرًا على لبنان خلافًا لرأيي . ثم قلت لي أن قد نزع من هذا الامير وسامه وأخذ ماله اما وسامه فقد اضطر الامر إلى استرجاعه منه اذ ليس هو الأعلامة مميزة لمنصبه فلم يكن من سبيل لابقائه له بعد خلعه. اما ثروته فاذا ما كانت سلبت منه فله ان يشكو امره إلى اللجنة المعينة في ديرالقمر للنظر في مطالب الفريقين فتنصفه. وما كانت الحالة الحاضرة لتوجب أدنى تبديل بيدَ انهُ اذا ما قضت الاحوال فيما بعد بادخال تغيير على حكومة الجبل فالباب العالي بصفته مستقلًا بتدبير شؤون تبعته مباشرةً سيتخذ تدابير اكثر مناسبة لاحداث التغيير المذكور »

فسألت الصدر الاعظم إذا كان يعني بلفظة « تغيير » تعيين والٍ وطني فاجابني بالايجاب

٥٠ — نظافة صارم افندي ناظر الخارجية العثمانية (١) الى سفراء النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا بتاريخ ١٧ ايار سنة ١٨٤٢ و٥ صفر سنة ١٢٥٨

ان وكلاء الباب العالي لا يصمون آذانهم عن سماع البلاغات الشفاهية والخطية

---

(١) خلف رفعت باشا في وزارة رؤوف باشا الصدر الاعظم الجديد المعين مكان عزت باشا المعزول بناء على استياء الدول الاوربية منه وصارم افندي مشهود بدهائه فلما ارسلهُ رشيد باشا إلى سفارة طهران قال لهُ : « اني مرسلك لتعلم الاعجام الحيلة » ثم صار فيما بعد صدرًا اعظم

المقصورة على ابداء ملاحظاتهم التي يرفعها اليهم سفراء الدول الخمس العظمى صديقات الباب العالي وحليفاته بشأن جبل لبنان. وهو لا يفتر دقيقة عن الافتكار بالذرائع الحازمة التي من شأنها ضمانة الامن في سوريا وراحة اهليه. بيدَ انهُ لمَّا كانت الافادات التي يتلقاها ان مباشرةً وان بواسطة السفارات عن شؤون سوريا لا ينطبق بعضها على بعض روْي من المناسب استحصال افادات جديدة فعهد بهذه المهمة الخاصة إلى حضرة ولي باشا زاده سليم بك من كبار موظفي الباب العالي وسيذهب البك المشار اليه إلى دولة السرعسكر حاملًا اليهِ التعليمات اللازمة وبعد اطلاعه التام على الحالة هناك يعود الينا واذ ذاك يوقف الباب العالي سفارات الدول المتحابة على نتيجة تحقيقه وعلى الوسائل الواجب اتخاذها ويصير الاتفاق عليها

أمَّا عمرو باشا فالباب العالي لا يتشبث ببقائهِ وانما كان تعيينه من قبل السرعسكر مراعاةً لظروف الحال

ولا لزوم للقول بانهُ بعد جمع الافادات اللازمة فكما انه لا يغفل عن امتاع سائر طبقات التبعة بالآلاء الممنوحة لها في تنظيم الادارة وفقًا لاستقلال الباب العالي فكذلك لا يبخل على أهالي لبنان بنعم من شأنها ارضائهم دلالة على جود الحضرة السلطانية وسهرها على إسعاد الرعية

٥١ — عريضة امراء لبنان ومشايخه الى الباب العالي بتاريخ ٢٢ ايار سنة ١٨٤٢ اول ربيع الاخر سنة ١٢٥٨

ما أشدَّ ما كان سرورنا عظيمًا نحن عبيدكم سكان لبنان لما توفقنا بسطوتكم وباسم جلالتكم إلى كسر الجنود المصرية وطرد هذه الحكومة الظالمة من بلادنا ورفع نير حكم باشا مصر الثقيل الجائر عن عاتقنا ولقد حصلنا على فرح لا يوصف بعودتنا

إلى حكم الباب العالي الرؤوف أيده الله وجعل النصر حليف اعلامه . ومن ذلك الحين لم نفتر عن رفع دعائنا للعلي ليوتي جلالة مليكنا السلطان عبد المجيد خان حامي ذمار الانسانية أبد الله مملكته مدى الدوران الظفر التام . وبينا كان رعاياكم ينتظرون بذاهب الصبر التمتع بالسكينة التامة وآلائكم السلطانية الخاصة الجديرة بشرفكم الشاهاني مكافأة لنا على خدماتنا الشاقة وعلى الضحايا التي بذلناها في سبيل محاربتنا الحكومة المصرية وفقاً لاوامر سلطاننا وارادته فوجئنا بجبوط أمالنا وبما لم نكن ننتظره من مكارم الباب العالي . فلقد فرضت علينا ضرائب مذلة أشدها وطأة التعريفة الجمركية التي تثقل كاهل سكان ثغور المملكة ومدنها. فان كان جلالة السلطان يعتبر ان هذه الضريبة غير مضرة بالسلطنة فهي مؤذنة بدمارنا إذ لا يطول عليها العهد حتى تسلبنا أموالنا وتجهز علينا . وليس من الغريب ان نتوقع جميع هذه الاخطار لان هذه التعريفة ولو كانت بذاتها عائدة لخير الشعب عموماً فهي مجحفة بجانبنا لاسباب عديدة جلية . إذ يجب الانتباه قبل كل شيء الى اننا نحن رافعو هذه العريضة الطائفون لا نكسب عيشنا من التجارة أو الفنون أو من صناعة أخرى وان ليس لنا سهول لاستغلال حبوبها وانما كل ثروتنا قائمة بالزراعة الشاقة لاستنبات اراضينا المصخرة المجدبة وبزراعة التوت لتربية دودة الحرير وهي مورد رزقنا الوحيد مع قليل من الزيت

وعدا ما تقدم فان حاجاتنا المعاشية الضرورية تضطرنا إلى بيع هذين المحصولين لشراء الحبوب اللازمة لقوتنا فنبيعهما غالباً بأثمان بخسة ونشتري بهما الحبوب بثمن غالٍ . ومن السهل على جلالتكم أن تتحقق الامر . ومن ثمه ان التجار المضاربين الذين يشترون حريرنا وزيتنا سيسقطون من أثمان المحصولين المذكورين قيمة التعريفة كما ان بائعي الحبوب يضيفون هذه القيمة إلى ثمن حبوبهم . وقد تحققنا بالامتحان في معاملات البيع والشراء منذ فرضت هذه التعريفة الجديدة انهُ يؤخذ منا خمس مالنا

ودليل ما تقدّم ما يأتي : اننا بدفعنا ١٢ في المئة على حريرنا عدا العشرة في المئة التي تستوفى في الجمرك يلحق اقة الحرير التي تباع بمئة وعشرين قرشاً ستة عشر قرشاً . ومن جهة أخرى كنا نشتري بالمبلغ المذكور قبل وضع التعريفة المذكورة عشر ربعيات حنطة ومنذ بدئ باستيفائها لم نستطع شراء اكثر من ثمانٍ بحيث يؤخذ منا خمس مالنا أي عشرون في المئة . واذا ما ضاعفنا معاملة الاتجار هذه ندفع اربعين قرشاً عن كل اقة حرير . وعلاوة على ذلك يجب اسقاط ثلث محصول أرضنا بدل نفقات العناية بتربية دودة الحرير وهي ست وعشرون قرشاً وثلث القرش عن كل اقة وبدل الحراثة والزراعة وغيرها من الاكلاف اربعون قرشاً فلا يبقى لدينا من المئة والعشرين قرشاً ثمن اقة الحرير إلاّ محصولٍ صافٍ قدره ثلاثة عشر قرشاً وثلاثة وعشرون بارة . فهذا الحساب التقريبي لا يترك مجالاً للريب بأن هذا المحصول يكاد لا يسدّ قوتنا ويجعلنا هدفاً للعوز والشقاء . وخلا اضرار التعريفة المعددة آنفاً لا نذكر الضرائب المتنوعة التي فُرضت علينا ثم شاءت حكومة بيروت توحيدها ففرضت علينا مبلغاً معيناً للخزينة يوزع علينا بالسواء وهو بدل العشر « يوركو » والخراج . وعليهِ نتجرأ على العرض بأن العشر لم يفرض قط على جبلنا وقوامه صخور وتربته قليلة مجدبة وتملك هذه الارض منذ عهد متقادم وليست على شيء من سائر السهول المخصبة الموجودة في السلطنة خاصة الحكومة التي يمكنها فرض ما شاءت من الضرائب عليها في حين ان هذا الجبل لم يدفع سوى « ميري » . أما « الويركو » المتقدم ذكره فمن المعروف ان قيام جبل لبنان على الحكومة المصرّية نشأ خاصة عن ضريبة « الفردة » المماثلة للويركو وعن سائر المكوس المجحفة بما فيهِ ايجاب الخدمة العسكريّة العامة فلم نطق احتمال عبئها ولذلك نهضنا على الحكومة المذكورة واثقين بمكارم جلالة مولانا السلطان ورأفتهِ فبعنا نفوسنا في سوق المنايا وانصبت علينا الرزايا فخُطفت نساؤنا وسُلبت ودُمرت أملاكنا وحُرقت بيوتنا وحُقر رجال ديننا وقُتلوا وأُهين ديننا

أمّا الخراج «مال الاعناق» فقد فُرض على المسيحيين في السلطنة العثمانية بدل حماية حياتهم وعرضهم واموالهم أمّا نحن سكان جبل لبنان فلم نكلف قط حكومة الباب العالي لهذه الحماية بل بالعكس كان من عاداتنا حماية ذواتنا من الافتيات والذود عن وطننا والولايات المجاورة واخضاع سكانها كلما حاولوا شق عصا الطاعة على الحكومة العثمانية ومقابلة لهذه الخدم لم يطلب السلاطين العثمانيّون منا مال الاعناق ومن السهل تحقيق قولنا هذا بمراجعة سجلات المالية . فاذا لم يلتفت الى مطالبنا وأصرّ على ابهاظ عاتقنا بهذه الطريقة التي لا تطاق فمصيرنا الى الخراب في مدى بعض سنوات ولا نلام إذ ذاك اذا ما تذكرنا بحق الحكومة الماضية . فنسترحم الان من مكارم الباب العالي ان ينظر الينا بعين الشفقة ويذيلنا راحتنا التي لا تتحقق الاّ باعفائنا تماماً من ضريبة التعريفة على الصادر والوارد من محصولاتنا كالحرير والزيت وغيرهما والحبوب التي نستوردها لحاجتنا المعاشية من سائر ثغور سوريا ومدنها ولا يسعنا احتمال ضريبة سوى التي كنا ندفعها في السابق لجلالة السلطان .

واننا نعلل النفس بان شرف الباب العالي وفيض مكارمه يدفعانه الى مكافأتنا على خدماتنا العسكرية في سبيل نصرته باخلاص باهر اقنا الدليل عليه باراقة دمائنا وكلما هو عزيز وثمين لدينا . ولقد اتممنا ارادته لارضائه والتمتع بوعوده الاكيدة التي ابلغنا اياها ممثلوه وممثلو الدول المتحالفة أي بلسان صاحبي الدولة سليم باشا ومحمد عزت باشا وسعادة امير البحر ستوبفورد والكومودور نابيير والموسيو ريشار وود شفاهاً وكتابةً فانهم اكدوا لنا باجلى بيان اننا سنعفى من جميع الضرائب المالية لمدة بعض سنوات وبعدها لا تستوفى منا سوى « الميري » التي كنا ندفعها للباب العالي قبلاً . وكنا نأمل ايضاً في ان نعوض الخسائر التي التحقت بنا من جراء سلب أموالنا وتدمير املاكنا منذ الثورة الاولى على الحكومة المصرية حتى طردها وما خرّبته ايضاً الجنود التركية بامر عالٍ . وكنا على أتمّ ثقة من قبض مبلغ اربعماية الف

ريال مجيدي وفقًا لتقدير المثمنين الذين عينوا بامر عالٍ في حينه تقديرًا للاضرار. فالتأخير في دفع هذا المبلغ قد جرّ علينا خسائر جديدة ونعتقد ان ليس من عادة الملوك عدم أعاضة تبعتهم — وفقًا لاصول العدالة — الخسائر التي التحقت بهم بأمرهم في زمن الحرب. وعليه نسترحم الاصغاء الى صوت استغاثتنا فنستمر على رفع اكف الضراعة للرب المتعال ان يؤبد سلطنة جلالتكم السنية ويظهر مجدكم ويطيل في أيام سعدكم

بنده

الامراء عمومًا. أصحاب الاقطاع الدروز في لبنان. أصحاب الاقطاع المسيحيين في لبنان. الاعيان. أهالي جبل لبنان عمومًا (وهي موقّعة باختام كل منهم)

٥٢ ـ ملخص المفاوضة التي دارت بين ناظر الخارجية العثمانية وممثلي الدول الخمس في الجلسة المنعقودة في ٢٧ ايار سنة ١٨٤٢ و١٦ ربيع الاخر سنة ١٢٥٨

في الساعة الواحدة ونصف من ذلك اليوم اجتمع عارف باشا ناظر العدلية وطاهر باشا أمير البحرية عند ناظر الخارجية وبالاتفاق اشتركوا في المكالمة التي حضرها أيضًا العاملجي افندي وترجمان الديوان وأصحاب السعادة سفيرا انكلترة وفرنسا ووكلاء سفراء روسيا و بروسيا والنمسا

قال صارم افندي انه لما كانت قد حدثت اضطرابات في جبل لبنان رأى الباب العالي من الموافق ارسال السرعسكر مصطفى باشا الى ذلك الصوب منذ نحو ستة اشهر ووكل اليهِ الاشراف على حالة الشؤون واتخاذ التدابير والتحوطات المناسبة فخلع السرعسكر الامير بشير قاسم من منصبهِ وارسلهُ الى الاستانة وولّى مكانه عمر باشا وان ممثلي الدول الخمس احتجوا على عدم موافقة هذا العمل وطلبوا ان يحسب هذا

التعيين وقتياً وألحوا أيضاً بوجوب حفظ طريقة الاحكام القديمة ونصحوا الباب العالي ان يعيد الحكم إلى الاسرة الشهابية وانه على اثر هذه المساعي ابلغ هو الممثلين المشار اليهم اعتماده على ارسال مندوب الى سوريا مفوّض بالتحري عن مجرى الامور حتى بعد عودته تُتخذ طريقة الحكم الواجب وضعها في لبنان . وان سليم بك (١) قام بالمهمة الموكولة اليهِ ورفع للباب العالي بياناً عن نتيجتها مشفوعاً بأربع عرائض موقّعة من المشايخ الموارنة وغيرهم من أهالي جبل لبنان

ثم أمر صارم افندي فتليت ترجمة العرائض المذكورة واردف انه جمع ممثلي الدول لاستشارتهم ومحادثتهم في مبناها وسلم اليهم ترجمتها

وبعد ان جرى جدال على الغرض المقصود من ابلاغهم فحوى العرائض المذكورة واعترف صارم افندي لهم بان الباب العالي مع رغبته في معرفة تأثيرها على افكار الممثلين المشار اليهم لم يفكر قط ان ينفرد باتخاذ تدبير عاجل دونهم تكلم سفير انكلترة فقال . ان البيانات التي أُنفذت اليهِ من سوريا مخالفة للتي تلقتها الحكومة العثمانية وزاد ان تلك تثبت ان العرائض التي أرسلها مصطفى باشا استحصلت بالوعد والوعيد وان لديه ما يدعوه إلى الاعتقاد ان رصفاءه تلقوا من قناصل دولهم

---

(١) هو احد حفدة عالي باشا التابليني والي يانينا الذي استولى على البانيا وطمع بالاستقلال فارسلت عليهِ الدولة جيشاً قبض عليهِ وقتلهُ مع جميع أعضاء اسرتهِ ولم ينجُ منها سوى سليم بك المشار اليه . وقد اتهمهُ السفراء بانه بدلاً من أن يراقب أعمال مصطفى باشا الذي كان أعلن ان اللبنانيين يؤثرون حكم باشا تركي عليهم اتفق معهُ وحفر أختاماً وقّع بها عرائض مزوّرة باسم الاهالين طلباً لتعيين والٍ تركي عليهم ولم يكتفِ بذلك بل زوّر بيانات عن لسان المسيحيين يعترفون فيها بانهم قبضوا عشرين الف كيس تعويضاً عن الخسائر التي أصابتهم في حريق سنة ١٨٤١ من جرّاء حرق أملاكهم ونهب بيوتهم

رسائل مماثلة لهذه فصدق سائر السفراء قوله

فاجاب ناظر الخارجية ان العرائض التي تليت في الجلسة تثبت صدق تقارير السرعسكر باشا ومطابقتها للحوادث وموافقة ابقاء طريقة الحكم الجديد في لبنان تحت ولاية باشا تركي لان فيهِ ضمانة راحة الاهالي ورفاههم وهما منتهى الغاية التي يسعى الى تحقيقها الباب العالي والدول . وفي رأيه ان الاهالي مجمعون على رفض ولاية الاسرة الشهابية لما ان عودها يكون سبباً لاستئناف القلاقل . وان الباب العالي اضطرَّ إلى استعمال سلطته لمنع جمهور كبير من أهالي لبنان عن الشخوص إلى الاستانة لاقامة الدعوى على الامير بشير الكبير بما انزل فيهم من المظالم وضروب الاستبداد والاثرة . والفت انظار السفراء إلى ان العرائض المذكورة موقعة من أشخاص معروفين في حين ان بيانات القناصل مبنية فقط على أقوال اناس سيء القصد خالين من كل ضمير يذهبون من قنصل إلى آخر ناقلين ذات الاكاذيب والافائك . فردَّ ممثلو الدول الخمس أقوال ناظر الخارجية باجماع القناصل على رواية واحدة وأوضحوا للنظار العثمانيين ان العرائض التي تليت عليهم مقصورة على تواقيع قليلة وانهُ من المشهور انَّها أخذت بوسائل الارهاب والوعود . وانهُ يوجد عرائض تتضمن التماس اعادة الحكم الى الاسرة الشهابية موقعة من ذات الاشخاص الموقعين في ذيل العرائض السابقة الذكر . ثم قرئ كتاب مسهب يشتمل على تفاصيل وسائل التمليق والعنف التي التجئ اليها لحمل بعض زعماء لبنان على توقيع العرائض المذكورة وابانوا لناظر الخارجية انهُ بدون الوسائل المار بيانها يتعذر التصديق ان أهالي جبل لبنان بدلوا رأيهم بهذه السرعة وتناسوا عوائد قديمة وامتيازات هم شديدو التمسك بها حتى انهُ من برهة وجيزة طلبوا باجمعهم غير مرة بلهجة حازمة وبالحاح شديد حفظها . فذهب النظار الاتراك إلى ان سبب هذا الانقلاب في الرأي العام متأتٍ عن انقاص الحكومة الضرائب من عشرين الف كيس إلى اربعة الاف كيس . فاجابهم ممثلو

الدول ان انقاص الضرائب ليس أمرًا جديداً نتج عن تعيين عمر باشا بل انهُ يتصل بعهد تسوية المسألة المصريَّة في ايام حكم الامير بشير قاسم . وانهُ ليس ثمه ما يوجب زيادة الضرائب إذا ما أُعيدت الاسرة الشهابية لان أمر زيادة الضرائب أو انقاصها منوط بالباب العالي . ثم ذكَّروا النظار بما وعدت بهِ الدول والباب العالي أهالي جبل لبنان عندما كانوا في حاجة إلى خدماتهم . وبعد ان استفادوا منهم انكرت الحكومة عليهم هذه الوعود . وزعم الصدر الاعظم ان هذه الوعود لم تتناول غاية خاصة وانما هي وعود عامة تتضمن المحاسنة والحماية وهو مستعد لتجديدها أو انها وعود خاصة وشرطية تُعهد بها للامير بشير الكبير على ان ليس لهُ ان يطالب بانجازها لعدم قيامه بالشروط المفروضة عليه

فأجمع ممثلو الدول الخمس على التصريح بأن الادلة التي ابرزها الباب العالي غير كافية وذكروا ان قناصل فرنسا والنمسا وبريطانيا العظمى في بيروت طلبوا إلى مصطفى باشا أن يجتمعوا عنده للتحدث في البيانات التي رفعوها لممثلي دولهم في الاستانة والتي قدمها هو لحكومته ومعارضة بعضها ببعض وان هـذا الطلب لحجة بالغة توجب تصديق صحة روايتهم . وعدا ما تقدم فقد الفتوا انظـار النظار المشار اليهم إلى ان السلم والراحة السائدتين اللتين ادلوا بهما على حسن طريقـة الحكم الجديد ليستا سوى نتيجة وعود الحكومة العثمانية بأن الادارة المذكورة هي موقتة . وان السبب الاولي في هذه السكينة الضاربة اطنابها هو ثقـة الاهالي في حسن نتيجة مساعي الدول المتحابة لاعادة طريقة الحكم القديمة المحبوبة منهم اليهم اذ انها الضامن الوحيد على توطيد أركان سلم مستمرة . وأردفوا انهُ ما خلا القلاقل المحلية التي تتأتى عن نزع الاحكام من يد الاسرة الشهابية فان تبديل طريقة الحكم القديمة بالقوة لخطر عظيم ومثل سيء لسائر اهالي السلطنـة العثمانية . وان الدول الموالية قد جهرت حديثًا في عهدٍ شهير باجماعها على احترام سلامة كيان المملكة

العثمانية ولذلك فهي تود ألا يأتي الباب العالي عملاً من شأنه جرّ نتائج معاكسة لهذه القاعدة

ثم قرأ وكيل سفارة النمسا ملخص رسالة سمو البرنس دي مترنيخ المؤرخة في ١٧ ايار الحالي وكان قد تلقاها قبل انعقاد الجلسة فاذ بها تتضمن أدلة راهنة على وجوب العودة إلى طريقة الحكم القديم في سوريا

فكرّر النظار الاتراك قولهم السابق بانهُ لا يوجد أدنى ريب في أميال الاهالي وان الاصرار على اعادة الحكم إلى الاسرة الشهابية لمن قبيل طلب المستحيل لان الاهلين لن يقبلوا بهِ ثم ألقوا على ممثلي الدول السؤال الآتي :

« اذا ما تحققتم صدق التقارير التي ابرزناها هل تستمرّون مصرّين على اعادة زمام الحكم إلى الاسرة الشهابية ؟ »

فأجابوا انه يجب بداءة ذي بدء التثبت من صحة رواية التقارير المذكورة وانهُ ليس من المناسب البحث منذ الان في مسألةٍ معلقة على افتراض حدوث أمر يرون انهُ بعيد الوقوع بناء على ما تلقوه من الافادات . فاقترح ناظر الخارجية اذ ذاك ارسال مندوبين إلى لبنان مصحوبين بمندوبي السفارات ومعهم لوائح لجمع اقتراعات الاهلين على طريقة الحكم التي يؤثرونها والوقوف على الاكثرية

فأجيب ان هذا العمل غير مطابق لرغائب الدول الموالية إلاَّ إذا روعيت فيهِ كرامة الباب العالي لان الدول ترغب قبل كل شيء ان يعمل جلالة السلطان في هذه المسألة من تلقاء ذاته ويظهر استعمال سلطته العليا بمجالي الاستقلال التام . ثم أورد ممثلو الدول عدّة أدلّة معززة بشواهد تاريخية بيانًا لوجوب مراعاة اهالي لبنان ومعاملتهم بالحسنى وبكلما تقضي بهِ الفطنة والدراية وتذكيرًا بان السلاطين الاكثر بطشًا وشوكة قد طالما راعوا في أبان عزّهم واقتدارهم جانب اللبنانيين وامتيازاتهم . وسألوا النظّار العثمانيين ان لا يستعظموا أهمية التعديلات التي أشارت الدول بادخالها

على هيئة الحكم الجديد في لبنان لان الامير الذي يختار من الاسرة الشهابية لتولي الشؤون سيكون مندوباً من قِبل السلطان وخادماً لجلالته. وأوضحوا ان السرعسكر باشا هو حكم وخصم في آنٍ واحد . وان سليم بك لم يتصرّف في بيروت بتمام الاستقلال والسلطة المفوضين إلى مندوب مثله موكول اليه التوفيق بين تقارير قناصل الدول والسرعسكر المشار اليه المتناقضة . وأنه لم يفِ الشروط اللازمة لاكساب روايته ملء الثقة بها وأوردوا الشواهد الثلاثة الآتية تأييداً لما تقدم:

(١) ان مصطفى باشا لم يجز لسليم بك حضور الجلسة التي عقدها قناصل الدول عنده مع انهم طلبوا إليه ذلك .

(٢) ان سليم بك لم يغادر بيروت ولم يطأ أرض لبنان .

(٣) ان سليم بك رفض قبول العرائض التي رُفعت اليهِ طلباً لاعادة حكم الاسرة الشهابية دون سبق اجازة مصطفى باشا .

فأجاب النظار العثمانيون ان سليم بك لم يذهب إلى الجبل لان الموازنة جاءوه وفوداً وبما انه لم يتم مهمته حتى الان لم يعد إلى الاستانة في الباخرة الاخيرة

ولا نرى فائدة من اثبات تفاصيل الجدال الطويل والاعتراضات والاجوبة التي ظهر منها تمسك فريق بتقارير مصطفى باشا وسليم بك بثقة تامة وتشبث الفريق الآخر بابداء الريبة فيها . وفي آخر الامر سأل ممثلو الدول الخمس ناظر الخارجية ما يأتي :

« هل تصرون على رفض إعادة الحكم إلى الاسرة الشهابية فيما لو توفقت الدول بالاتفاق مع الباب العالي إلى ايجاد طريقة من شأنها ملافاة الاخطار التي يتوقعها

فأبى الناظر المشار اليهِ أن يجيب على هذا السؤال لما انهُ لم يُجب على السؤال الذي ألقاه قبلاً

ثم بسط ممثلو الدول للنظار العثمانيين عدة ادلة من شأنها أن توضح لهم ان مخاوفهم ـ مع افتراض صحتها ـ لا تنطبق إلاَّ على ظروف وقتية تنحصر في نقطة واحدة مع ان في وسع النظار تحقيق رغائب الدول دون اغفال الوسائل الاحتياطية اتقاء الطوارىء

على ان النظار تشبثوا بأن مجرد اعادة الحكم إلى الاسرة الشهابية يكون بدء ثورة لا تنحصر في الجبل بل تمتد الى جميع الاماكن المأهولة بالدروز. وان اخماد نارها يستلزم نفقات باهظة وانفاذ قوة عسكرية عظيمة واستعمال وسائل الشدة التي تأباها الانسانية والدول. فسألهم ممثلو الدول عمَّا إذا لم يكن من سبيل ـ خلا الذرائع الاكراهية المذكورة ـ الى اتخاذ بعض تدابير ادارية كالتي أشير اليها آنفاً من شأنها استدراك الاخطار التي يتوقعها الباب العالي وارضاء جميع الاحزاب؟

ولما كان النظار المشار اليهم قد طلبوا مزيد ايضاح بهذا الشأن سألهم ممثلو الدول عمَّا اذا كانت الدولة ترتاح الى جعل الدروز والموارنة تحت زعامة رئيسين منهما مستقلين عن بعضهما

فاجابوهم بتعذر تحقيق هذا المقترح لان الدروز والموارنة يقطنون معاً في قرى واحدة فردَّ السفراء عليهم بأن هذا الاختلاط كائن في ناحيتين أو ثلاث بيد ان معظم الدروز والموارنة يسكنون أقضية مفصولة عن بعضها. وأوضحوا للنظار المشار اليهم انهُ اذا أبقيت طريقة الحكم الجديد على حالها استمرَّ قسم من الاهالي غير راضين عنها كما يظهر جلياً من العرائض التي أبرزتها الحكومة. أمَّا إذا أعيد الحكم إلى الاسرة الشهابية وحدثت مقاومة فيمكن الباب العالي ان يعتمد على الحزب المخلص للشهابيين وعلى عضد الدول الموالية واذا ما عمل بعكس ذلك يفقد عون الدول. ويجب ألاَّ يغرب عن بالهِ انهُ حيث يكون السكان مختلفي المذاهب والعوائد فهم يميلون دائماً الى مساعدة الاجانب. وعليهِ فمن صالح حكومة جلالة

السلطان ان يكون هذا العضد بجانبهِ

فاحتجّ النظار بالنفقات التي يضطر الباب العالي اليها لتأييد أمير من الاسرة الشهابية وبالجنود التي يُلجأ الى أرسالها وبالدماء التي تهدر. فردّ السفراء عليهم انه لا يسعهم التسليم بامكان حدوث الاضرار والاخطار التي أشاروا اليها وان ليس هناك ما من شأنه جرّ الدولة الى الاشتباك بقتالٍ مع المعارضين إذ يتضح من العرائض التي قرئت في الجلسة ان اعادة الحكم الى الاسرة الشهابية ينشأ عنه جلاء الحزب المعارض. فقال النظار ان موقعي العرائض تحاشوا استعمال كلمة المقاومة بالسلاح عملاً بواجبات اللياقة والآداب. بيدَ ان الباب العالي تحقق من غير مصادر صادقة ان موقعي العرائض وأشياعهم مستعدُّون لحمل السلاح عند اتصال الخبر بهم.

ولمّا كان قد طال الوقت ولم تسفر ابحاث الفريقين عن نتيجة رأى ممثلو الدول ان يصرّحوا ان ثقتهم بصدق تقارير قناصلهم وصحتها وطيدة لم تزعزعها تأكيدات نظار الباب العالي المخالفة لها ولا العرائض التي أبرزوها وانهم عملاً بطريقة الصدق التي اتبعوها في علائقهم مع الباب العالي يرون من واجبهم افهامه ان لا بدّ لهم من ايقاف حكوماتهم على نتيجة استطلاعاتهم.

فقال النظار ان اعتقادهم بصحة تقارير مأموريهم لم يتبدّل. بيدَ ان صارم افندي رجا ممثلي الدول ألاّ يكتبوا الى حكوماتهم وهم تحت تأثير المفاوضات التي دارت في تلك الجلسة وانما بعد التروّي وأمعان النظر وألاّ يقتصروا على القول بان الباب العالي معاند مكابر بل ان يوضحوا انه يراعي موقفه والزمان والمكان والظروف. ثم ان السفراء حرّضوا الباب العالي مناشديه باهتمام دولهم بخير السلطنة العثمانية وسعادتها على تسوية مسألة لبنان بطريقة مرضية قطعاً لاسباب الخلاف المكدر بينه وبين الدول العظمى صديقاته. فتعلل النظار بان الراحة التامة ضاربة أطنابها في سوريا ولذلك لا يرون من اللازب اتخاذ تدابير جديدة. فأبان لهم السفراء ان الحالة

تستدعي التعجل بمداواتها لاضطراب حبل العلائق بين الباب العالي والدول الاوربية العظمى .

فأعرب النظار عن أملهم بأن المسألة الحالية لا تمسّ العلايق المذكورة . أمّا ممثلو الدول فاجابوا بانهم يسرون بأن يعللوا النفس بذلك . وقبل الافتراق استقرّ الرأي على عدم اتخاذ قرار في هذه الجلسة ولا في مستقبل الحين بهذا الشأن من دون مشاورة الدول وانه يجب ترقّب عودة سليم بك من سوريا ووصول الافادات التي ينتظرها الباب العالي وممثلو الدول

٥٣ — عريضة اهالي جبل لبنان الى الباب العالي بتاريخ اخر ايار سنة ١٨٤٢ ربيع الاخر سنة ١٢٥٨

ان المظالم التي انصرف امراء الاسرة الشهابية الى انزالها في الاعيان وفي سائر أهالي لبنان قد استفحل أمرها ولم يبقَ في الشعب احد بنجوة منها خلا بعض افراد مقيدين بخدمتهم وأمسى الجميع على شفا هاوية الدمار ولذلك عند ذيوع خبر وصول دولة السرعسكر باشا الى بيروت خففنا الى ناديه لنرفع الى اعتابه عواطف احترامنا الشديد كما هو مفروض علينا

وبعد ان قمنا بهذا الواجب استرحمنا من دولته أن ينقذنا من يد الاسرة الشهابية وينتخب أحد رعايا السلطنة الامناء فيوليه علينا . وفي الوقت ذاته التمسنا منه أن ينعم علينا فيمنع ان يولى علينا من الان فصاعداً أحد من السلالة الشهابية أو من أعيان الدروز والمسيحيين الذين يقطنون هذا الجبل . فتنازل دولته وهو رجل صادق نزيه ومن خدام الباب العالي الامناء الى قبول رجائنا فولّى علينا مأمورًا تركيًا وافلتنا من نير حكم الاسرة الشهابية ولذلك جأرنا بالدعاء إلى العليّ المتعال مستمطرين غيوث بركاته السماوية على جلالة سلطاننا ليمدّ في حياته ويطيل ايام ملكه

فبحمد الله وبفضل تعيين دولة عمر باشا علينا زالت الاحقاد والشحناء من بيننا وعاد كل منا إلى أشغاله وحرفة أبائه واجداده . وبدأت مياه الطمأنينة والسكينة ان تعود الى مجاريها ولم يطل العهد على ابعاد الامراء الشهابيين عن الحكم حتى جنينا الثمرة المرجوة منه

وفي خلال ذلك اغتنم بعض الامراء الشهابيين المشهورين بقلاقلهم فرصة سفر دولة السرعسكر إلى الدوير من ملحقات سوريا واتفقوا مع مريديهم ورعايا الدول الاجنبية فاذاعوا خبرًا مؤداه ان تعيين دولة عمر باشا على جبل لبنان حدث خلافًا لرغبة الاهالي ودون رضاهم وأنهم يتوقون الى عودة الاسرة الشهابية الى حكم الجبل . ولا بدَّ من ان تكون هذه الاشاعة التي اسندها مذيعوها إلى أعيان لبنان واهليه قد طرقت مسامع دولة السرعسكر عند عودته إلى بيروت

فوالحالة هذه لم يبقَ علينا سوى ان نسترحم من رأفة الذات الشاهانية ألاَّ تصيخ اذنًا إلى مثل هذه الافائك الخارجة من ينابيع فاسدة

فنحن جميعًا رعايا الباب العالي وخدامه لا نريد قط ان يتولى ادارة شؤوننا أحد من الاسرة الشهابية او شخص أخر لامن الدروز ولا من المسيحيين بل نرفع إلى السلطنة العثمانية المحسنة الينا صوت الاستغاثة ضارعين اليها ان تولي علينا أحد خدامها الامناء . بيد إنه إذا ما تحققت الاشاعات الافكية التي روجها أولئك المفسدون ورجحت بها الكفة على سؤلنا واعتمد على تسليم زمام أمورنا إلى أحد أعضاء الاسرة الشهابية أو خلافهم من سكان لبنان فقد صممنا النية واوثقنا العهد على المهاجرة والتشتت في انحاء السلطنة العثمانية لنكون بمأمنٍ من طائلة يدهم . ونحن مستعدون إذا اقتضى الامر ان نؤمّ الاستانة لنعلن شفاهًا وخطًا اننا قد اعربنا في التماسنا هذا عن رغائب اعيان لبنان وشعبه باسره . اه

٥٤ – يورلدي صه السرعسكر مصطفى نوري باشا الى عمر باشا في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٢٥٨

افتخار الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العزّ والاحتشام المختص بعناية الملك العلام مير لواء وحاكم دار جبل لبنان ولدنا عمر باشا دام اقباله

غب التحية والتسليم بمراسيم الاعزاز والتكريم والسؤال عن خاطركم بكل خير المنهى اليكم بخصوص مفاخر المشايخ المكرّمين الشيخ فرنسيس الخازن والشيخ صالح هيكل الخازن واخوانهم وابناء عمهم المتحدين معهم بالصداقة في خدمة الدولة العلية بما ان صداقتهم واستقامتهم صارت محققة ومبرهنة لدينا من دون اشتباه كما ان سعيهم واجتهادهم بالخدمات المرضية سابقًا ولاحقًا امرًا معلومًا ومشهور فلذلك اقتضى اصدار مرسومنا هذا بيدهم اشهارًا لصداقتهم واستقامتهم ولكي يكونوا دائمًا معاملين بالمساعدة والاسعاف والرعاية بسائر أشغالهم ومراجعاتهم من سائر الوجوه ما دامهم مراعين حقوق الصداقة والاستقامة كما هم الان وبحوله تعالى ثبوتهم على قدم الصداقة في عبوديّة الدولة العلية سينالون من فيض احسانها خير المكافأة اضعاف عما يؤملون ومرسومنا هذا بعد اجراء العمل بموجبه ترجعوه ليدهم لكي يبقى محفوظًا معهم اشهارًا لصدقهم واستقامتهم . اعلموا ذلك واعتمدوه (١)

---

(١) عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخين صالح وقيصر الخازن ويوجد امران آخران أحدهما من السرعسكر مصطفى نوري باشا والاخر من اسعد باشا مشير ايالتي صيدا وطرابلس وملحقاتهما وكلاهما يتضمنان توصية عمر باشا بالشيخ فرنسيس الخازن ويشهدان بصدق خدماته أمام الدولة واصلهما موجود عند الشيخ يوسف فرنسيس أبي نادر الخازن. وقد جاء في ختم اسعد

٥٥ – كتاب علي بك غزبه دار مصطفى باشا في ٣ جمادى الاخرى سنة ١٢٥٨
الى احد حكام المتاولة

« جناب افتخار الاماجد الكرام اخينا المكرّم حمد البيك حفظه الله تعالى

« نعب ابلاغ التحية والسؤال عن خاطركم بكل خير وعافية المبدي لخوتكم انهُ بحسب الاعتماد على صداقتكم واستقامتكم الاكيدة والان توجه لكم تحريد من عربي كاتبي الخواجا جبرائيل العوره فبوصوله ليدكم تعتمدوا مآله وتظهروا همتكم المعهودة باتمام العمل طبق تعريفه لكم و تهتموا بنجازه وارسال الجواب لطرفنا بالجبل بجيث مرسلكم يلحقنا أينما كنّا ان كان في المتن أو في زحلة أو في بلاد جبيل وحسب عهدنا الوثيق بصداقتكم باقرب وقت تتمموا المصلحة طبق التعريف ودمتم »

محل الختم

٥٦ – تحرير جبرائيل العوره الى الحاكم المذكور

« سني الهمم سلطانم

« نعب تقديم الدعاء بدوام بقاكم نعرض الان واصل طيه فرخين ورق كبير على بياض وصورة عرض محضر إلى حد الورق البياض فيه الكتابة وعلامة محلّات الاسماء والختوم فالقصد بذلك ان بحال وصوله تحرروا العرض محضر وتنهضوا الغيرة التامة بتختيمهِ من مشايخ المتاولة جميعهم ومن مشايخ القرايا الاسلام والنصارى في متاطعة تبنين وساحل معركه وهونين وساحل قانا ومرج عيون والشقيف وجباع غير ان لا

باشا ما يلي: «الله ربي. لا اشرك بهِ أحدًا. وهو حسبي وعليهِ توكلت ابدًا ». عبده السيد محمد اسعد الخاص

تدعوا أحد من مشايخ العشائر ومشايخ القرايا اسلام ونصارى الاّ وتختموه وبالخصوص تجتهدوا على تكثير اسما النصارى والذي ما لهُ ختم تدعوه بالحاضر يعمل ختم ويختم واتخذوا كل الفنون والنباهة المعهودة منكم لما بهِ البولتكه والتنازل لكائن من كان بحيث لا تخلوا أحد من وضع اسمه وختمه وهذه تعد لجنابكم عند دولتها (مصطفى باشا وعلي بك) من أعظم الخدمات المقبولة وتحوزوا الرضى الوافر فوق ما تؤملونه وهذا وقت اكتساب الفرصة »

محل الختم

٥٧ — صورة العرض المراد توقيعه

« انهُ كما مشهور وصار مشاهد ومحقق بالعيان من وجود ادارة الدولة العلية في حكومة لبنان فقد حصلت أهالي الجبل المذكور عموماً على غاية الامنية والراحة والرفاهية والعدل والانصاف بنوع انهم من حينما تخلصوا من ادارة الامير بشير الشهابي وأولاده واقاربه خصوصاً الامير امين والامير بشير قاسم وابناء عمهم وانسباهم وأعوانهم واتباعهم الذين أملوا الجبل المذكور وجواراته نظير بلادنا وغيرها من البلاد المجاورة لهم من التعديات والمظالم المتنوعة فقد خرجت الاهالي والسكان بوجود ادارة الدولة العلية من العتم إلى النور ومن دهر الظلم والجور إلى ساحة العدل والامان فنظراً إلى عدالة الدولة وانصافها الذي عمّ العالم باسره فمقتضى عدالتها وانصافها المرحمة بحق عبيدها ورعاياها بدوامهم في ادارة احكامها وعدم اعادة أحكام الشهابيون بوجه الاطلاق . بل ولا واحد من أهالي الجبل لا اسلام ولا عيسيون عملاً برضاة الباري تعالى جلّ جلاله لرحمة عبيدها ودوام استخلاصهم لعتقهم من أحكام الشهابيون ومظالمهم المتنوعة واتباعاً للحديث الشريف كلهم راعي وكل مسئول عن رعيته وحيث انوجدنا نحن من المجاورين للجبل ولنا الاطلاع التام

على أحواله وأخذنا وعطانا مع الجبل وفي الجبل المذكور كثير فان ذات ادارة احكام الدولة العلية في جبل لبنان يعمنا من الامان والراحة . وان لاسمح الله تعالى تغير ذلك بضده فنحصل على الاتعاب والمشقّات لاجل ذلك بسطنا الان عرض عبوديتنا هذه نسترحم بها من الاحسان الملوكانية والمراحم الشاهانية النظر لعبيد ورعايا الدولة العلية بعين المراحم والاشفاق وابقاء احكام الدولة العلية في جبل لبنان وعدم النظر والالتفات إلى حركات المفسدين الذين يسعون بسلب راحة وامنية عموم الاهالي والفقراء ويدبرون عرضحالات التزوير بالتماس ارجاع أحكام الشهابيون لان ذلك موافق غاياتهم الرديّة ومغاير انصاف وعدالة الدولة العلية وحاشاها ان تهمل دوام راحة رعاياها وعبيدها وتنظر لتزوير ونفاق هؤلاء والامر لمن لهُ الامر افندم »

(ان المحررات الثلاث السابقة منقولة حرفيًا عن كتاب « حصر اللثام عن نكبات الشام »)

٥٨ ــ تعليمات الموسيو كانبن الى الموسيو ف . يزالي بتاريخ ٢٦ اب سنة ١٨٤٢ و١٩ رجب سنة ١٢٥٨

ان الزمن الذي انقضى منذ السابع والعشرين من شهر ايار يوم انعقاد الجلسة بين نظار الباب العالي وممثلي الدول الخمس تفاوضًا في شؤون سوريًا لم يفقدها شيئًا من أهميتها العظمى . ولقد رفعت إلى حكومتي بيانًا وافيًا ضمنته تفاصيل كل ما دار فيها من الابحاث واعترفت للنظار العثمانيين بصحة رواياتهم وصواب تعليلاتهم وأبنت بكل جلاء المصاعب الكبرى التي كانت ولا تزال تحيق بمسألة جبل لبنان فكانت النتيجة ان حكومة جلالة الملكة قد نظرت إلى جميع وجوه هذه المسألة وهي واقفة على الافادات اللازمة لتقطع في الامر . ولذلك كانت التعليمات التي تلقيتها من حكومتي اعرابًا عن رأيها الفصل بهذا الشأن جديرة باعتبار مجلس الوزراء العثماني لما

تمتاز بهِ من المجاملة والحكمة

وعليهِ فلسائر ممثلي الدول ان يطلعوا دولة ناظر الخارجية على أراء حكوماتهم بهذا الخصوص ولا ريب بانها تكون ناتجة عن معرفة تامة بدقائق المسألة وعن ذات الرغبة في التكاتف على ضمان راحة السلطنة . ولنا الامل بأن الباب العالي يرى في بلاغاتهم وبلاغي الاحترام الواجب لاستقلالهِ ودليلًا على صدق لهجتهم

ويُخيّل لي ان كل الاراء في هذه المسألة دائرة حول محور واحد . وعلى كلٍّ فجلّ رغائب حكومة جلالة الملكة ان تتوطد سلطة السلطان الشرعية ضمانًا لاهالي لبنان التمتع براحة مستديمة وادارة حسنة مؤسسة على ركن امتيازاته القديمة . وهذه الرغبة قد أوحاها اليها ليس فقط العاطفتان الدينية والانسانية بل البرّ بالعهود الملزمة كل حكومة بانجازها والاهتمام المفروض عليها بصالح بلاد مصيرها الحالي ملقىً معظمه على عاتقها

بيدَ انهُ ولو لم يلجأ إلى استعمال السلاح منذ بضعة أشهر فالاستياء العام السائد في الجبل يستدعي اطفاؤه بغير ذرائع القوة . فلو اغمضت الحكومة عينها عن العرائض التي يزداد ورودها يوميًا وهي طافحة بالشكوى من الحالة الحاضرة هل في وسعها أن تتعامى عن سوء تأثير أعمال العنف والاستبداد الظاهرة لكل ذي عينين ؟ أارشاء الاعيان أو ارهابهم أو ابعاد الزعماء وحبسهم والتظاهر بالاغضاء عن غصب الاموال تعد وسائل ضامنة اكتساب القلوب واستمالتها ؟

فاذا ما أريد ضمد الجراح وتطمين الافكار القلقة لتناسي هذه المعانت يجب أن ينصب ميزان العدل وتوطد الراحة على دعائم متينة ويطبق الحكم على اخلاق اهالي البلاد وحاجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ليتسنى للشعب الابتعاد عن النفوذ الاجنبي فينعم في ظل حماية سلطانه . وبناءً عليه يجب ايجاد طريقة صالحة تكفل تحقيق هذه الاماني دون الاغترار بالتبديلات التي اوجبتها سلسلة حوادث مكدرة يتعذر الان

نحو أثرها وقوام هذه الطريقة ظاهر للعيان . لما كان شعبا لبنان ومعظمهما مفصول في سكناه عن بعضه يقسان هذا الجبل الخاضع لسلطة جلالة السلطان الى شطرين أرى ان يمثل هذه السلطة وزير تشمل سيطرته كل البلاد يفوض السلطان اللازم لحفظ السلم فيه وان يعهد بادارة الحكومة المحلية الى شخصين تنتخبهما السلطة العليا يوكل إلى كل منهما ادارة شؤون قضائه فيولى درزي على الدروز ومسيحي على المسيحيين ويوجب على كلٍ منهما ان يقيم بين مرؤسيه . أمّا الوالي فيقيم بين أبناء مذهبهِ في أقرب نقطة من الجبل وبهذه الوسيلة يتسنى حصر امتاع اللبنانيين بامتيازاتهم القديمة ضمن حدود مراقبة ذات فوائد سلمية جُلّى فتزول الاحقاد والضغائن من الصدور وتتمهد العقبات القائمة في سبيل ادارة الشؤون ويستدّ ساعد السلطة دون خطرٍ . ولا انكر ان اجراء هـذا المشروع يلاقي بعض صعوبات إذ يوجد قرى مأهولة بالدروز والموارنة معًا وهي أهمّ عقبـاته . بيدَ انه يجب ألاّ تحول دون ايثار هذا المشروع المفيد من سائر وجوهه ولا يصعب التغلب على تلك العقبة وعندي ان نجاحه اكثره منوط بانتقاء الاشخاص فينبغي أن يجمع الامراء الذين يولون حكم الجبل إلى صفاتهم الشخصية طيب العنصر وشرف الارومة وشهرة الجدود والاباء وان يكون ممثل جلالة السلطان مشهورًا بالعدالة وطول الاناة والحزم والعزم . ومن الضروري ألاّ يكون كل من الوزير والامراء ممن غمس يده في المظالم والجنايات التي اجتاحت البلاد بل ان يكون ماضيهم نقيًا

وأهمّ من كل ذلك ينبغي على مجلس الوكلاء العثماني ان يعجل بابداء الملاطفة الواجب اتخاذها نموذجًا للعمل في لبنان فيأمر عاجلًا باقصاء العصابات الالبانيـة من سوريا وقد اوقعت الرعب في قلوب اهل البلاد المطمأنين الذين اغتاظوا من وجودها ونفروا من معاملتها . ان حكومة جلالة الملكة تقدر للباب العالي ابعاده نصف جنوده من سوريا إلى مكان آخر بيدَ انها لا تشعر انها أتمت واجبها إلاّ بعد ازالة هذه الضربة

تماماً من البلاد . اذ انهُ على الرغم من ميل الدول المسيحية إلى الباب العالي لا يسعهن السكوت على بقاء هذه الجنود الغير المشروع وارتكابها الفظائع مع سهولة اتقائها فهذا ما اسألك ابلاغه الى دولة ناظر الخارجية باسمي وأجيز لك ان تسلمهُ صورة عنهُ مضيفاً اليهِ اني ارجو من الباب العالي ان يعجل بالاعتزام على الامر السابق بيانه . اه

٥٩ــ تقرير الموسيو ف . بيزاني الى الموسيو س . كانين بتاريخ ٢٩ اب سنة ١٨٤٢ و٢٢ رجب سنة ١٢٥٨

يا حضرة صاحب السعادة

اني ائتمارا بامرك أبلغت عطوفة ناظر الخارجية التعليمات التي شرفتني بها بتاريخ ٢٦ الجاري فاجابني بما يأتي :

« ان الباب العالي أنفذ إلى سليم بك التعليمات المبنية على ما جرى في جلسة ٢٧ ايار الماضي وقد عاد حضرته منذ أمس . بيدَ اننا لم نقرأ بعد التحارير التي يحملها ولا تقريره الخاص حتى اذا ما احطنا علماً بمضمونها فاننا نتفق مع ممثلي الدول على ما يجب اجراؤه . فاسألك أن تبلغ جوابي إلى سعادة السير ستراتفورد كانين مشفوعاً باحتراماتي . »

٦٠ــ تذكرة السر عسكر مصطفى نوري باشا الى اللبنانيين بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٥٨

صدر مرسومنا هذا المطاع الواجب القبول ولازم الاتباع إلى مفاخر المشايخ المكرمين مأمورين مقاطعة كسروان زيد قدرهم . واعلام بهِ إلى مشايخ واختيارية ووجوه ومتقدمين وسكان المقاطعة المذكورة بوجه العموم يحيطون علماً

المنهى إليكم ان أرباب الغايات لم يكفوا عن الاشاعات الباطلة عن الامير

بشير اسبق وأولاده بتقولاتهم واخباريّاتهم عنهم انهم يحضرون في هذا الوابور أو في الوابور الاخر وما قصدهم بذلك سوى القاء الازعاج والقلق لاهل العرض والفقراء الذين تعاملوا بانواع الجور والمظالم بأوقات ادارتهِ في جبل لبنان وهذه هي عين الاراجيف .لاجل ذلك اقتضى الان اصدار مرسومنا هذا اليكم علنًا مؤكدًا واخبارًا حقيقيًا لكي يكون معلوم ومجزوم عند الجميع بكل تأكيد وتحقيق من دون شبهة ولا ريب انهُ فضلًا عن عدم صيرورة الامير بشير الاسبق بل قطعًا ولا يمكن أن يصير أحد من عائلة بيت شهاب في ادارة جبل لبنان وهذا الوهم فلينتزع من عقول الجميع منكم ومن الذين تعاطوا القاء الاراجيف والفتن والحركات المغائرة ان كان بهذا الخصوص أو بغير خصوصات قد صار تحقيق أمرهم وسوف يجرى تأديبهم من طرفنا بما يستحقون . وبحولهِ تعالى حقوق السياسة العدلية تأخذ حق مفعولها فجميعكم تكونوا مطمأنين القلوب والخواطر قارّين العيون والنواظر وكل منكم يكون مقيم في حد أدبهِ واستقامته متعاطى أشغاله وأعماله وتحصيل أسباب معاشه متجنبًا ومبتعدًا عن كل ما فيهِ شبهة الحركات والمداخلات المغايرة لكي تدوموا حاصلين على حوزة الراحة والرفاهية طبق مرغوب حضرة الدولة العلية صانها وحرسها رب البرية لكلمن يكون ثابتًا في دائرة حد الاستقامة والاستكنان والابتعاد عن الحركات المغايرة والاراجيف المروية إن كان فيما يخص التكلم في شأن بيت شهاب أو بغير خصوصات فبناء على ذلك الان أصدرنا لكم بيورلدينا هذا من ديوان سرعسكريتنا واستقلالنا في كامل ايالات برية الشام وارمكاه بيروت لكي بوصولهِ ووقوفكم على مضمونه تبادروا لاجراء العمل بموجبه وتتحاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد

(منقولة عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخ يوسف فرنسيس أبي جبر يوسف الخازن)

٥٧ – تعليمات صارم افندي الى فؤاد افندي الترجمان الاول لدى الباب العالي بتاريخ ٢٧ ايلول سنة ١٨٤٢ و٢١ شعبان سنة ١٢٥٨

كان قد استقرّ الرأي في الجلسة التي عقدت في مصطافي يوم الخميس في ١٠ شعبان بحضور ممثلي الدول الخمس وحضرات أصحاب الدولة خليل باشا الصدر الاعظم ورضا باشا وسليم بك مندوب الباب العالي تفاوضاً في شؤون لبنان على بسط المباحثات التي دارت في تلك الجلسة لدى جلالة السلطان ثم ابلاغ الدول ما كان من وراء ذلك

وكان ان عرض ما دار في تلك الجلسة على انظار الحضرة الشاهانية وبعد التروي فيه أمرت بتنفيذ القرار المبرم في الجلسة وهو يؤذن بابعاد الجنود الالبانية عن بيروت. ولقد كانت الكلمة مجمعة في الجلسة المذكورة على كيفية حلّ هذه المسألة. بيد انها تباينت في ما إذا كان يجب انتقاء القايم مقامين اللذين سيعهد لمشير صيدا بتعيينهما على الدروز والموارنة من الوطنيين او من غيرهم وهذا التباين ليس الاّ نتيجة الخلاف الكائن بين الافادات التي تلقاها الباب العالي وبين التي وردت على حضرات ممثلي الدول. ومهما تكن الوسائل المراد استعمالها وصولاً إلى ازالة هذا التباين توفيقاً بين الاراء فانه لما كان حلّ هذه المسألة الخطيرة الغاية الوحيدة المروم ادراكها فالباب العالي يعلق الامل على ان الخطة التي انتهجها تنال استحسان الدول.

ولمّا لم يكن من بدّ للباب العالي من الوثوق بصحة التحقيق الذي اجراه مأموروه ويتعذر عليه التسليم بانخداعه لعدم وجود أدلّة مقنعة فهو يتحاشى ما استطاع تمهيد السبيل لحدوث اضطرابات جديدة من شأنها اقلاق بال اوربا وذلك بسلوكه سلوكاً مخالفاً لها وهذا الفكر يشغل باله كثيراً إلى حد يتعذر عليه الاعراب عنه. ومن جهة أخرى فان الباب العالي قد أظهر في كل آن حسن استعداده لسماع النصائح الصادقة

المخلصة التي تنخله اياها الدول العظمى صديقاته وحليفاته الراغبات أشدّ الرغبة في رفاهية ممالكه واستقلال سلطته وانزالها محلها من الاعتبار. وهذا الامر لا يسع ممثلي الدول ذاتهم انكاره ولشدة وثوق الباب العالي بما تقدم لا يحول قط في فكره ان التعليمات الاجماعية التي بُلّغت حديثًا لنظارة الخارجية مقصود بها الضغط عليه. ولما كان يعتقد بصواب ان هذه التعليمات بُنيت على الافادات السابقة الرامية إلى الرغبة في توطيد دعائم سلم مستمرّة مرجوة من الجميع فهو يبادر إلى بيان نياته المنصرفة إلى ضمان صالح ممالكهِ وهي :

ان الباب العالي يبتهج ان تجيء الطريقة التي انتهجها في ادارة جبل لبنان مطابقة للعدالة والانصاف يويد ذلك ان اهالي جبل لبنان المنقسمين الى ست طوائف مختلفة أعفوا من الضرائب الباهظة التي كانوا ينوءون تحتها في عهد الحكم السابق واصبحوا بنجوة من المعانت والمظالم التي كانوا مستهدفين لها من قبل فلا يعارضهم أحد في ممارسة واجباتهم الدينية بل يتمونها بملء الحرية

وخلا ما تقدم فان الراحة ـ وهي من جُلّ رغائب جلالة السلطان ـ قد توطدت بحمد الله وطائدها في هذه الولايات. ولما كان من الثابت المحقق ان هذه الراحة ستستمرّ سائدة وان جبل لبنان وقد جعل كما في العهد السابق تحت سلطة حكومة صيدا ومراقبتها التي ستديره بالعدل والنزاهة فالباب العالي لا يحجم عن تأكيد ذلك لجميع اصدقائه المرتابين في نيّاتهِ. وعليهِ فهو يودّ حفظ الحال الحاضرة في جبل لبنان على ما هي عليهِ

وفي نية الباب العالي فصل عمر باشا قطعًا للتأويلات الكثيرة التي ذهب اليها عند تعيينه وانتقاء شخصين من مأموري الحكومة العثمانية معروفين بجدارتهما واستقامتهما ليرسلهما الى لبنان بصفة قائم مقامين أحدهما على الدروز والاخر على الموارنة ويتقدم الى الامتين المشار اليهما بانتقاء نائبين منهما يقيمان في بيروت لدى

عامل هذه المدينة . وفي نية الباب العالي ان يأمر عامل مدينة بيروت ان يتولى اعادة جميع الاموال المغصوبة الى الموارنة ما عدا التي سبق ارجاعها لاصحابها وقيمتها تتجاوز العشرين الف كيس

هذه هي الاسس التي سيبني الباب العالي عليها التعليمات المراد انفاذها الى المتولي المذكور وهو يأمل ان حضرات ممثلي الدول العظمى يقدرون هذه الاستعدادات حق قدرها راجيًا اليهم في الوقت ذاته ابلاغها الى دولهم . وعليه أوعز اليك بأن تذهب بذاتك الى نادي سعادة السير ستراتفورد كانين سفير جلالة ملكة انكلترة وتوقفه على التدابير التي عزم الباب العالي على اتخاذها ائتمارًا بالارادة السنية وان تسلم اليهِ ترجمة هذه التعليمات باللغة الفرنسوية وتنتهز هذه الفرصة لتكرر لهُ تأكيد اعتباري الممتاز لشخصه

٦١ — نظافة صارم افندي ناظر الخارجية العثمانية الى ممثلي النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا بتاريخ ٧ كانون الاول سنة ١٨٤٢ و ٤ ذي الحجة سنة ١٢٥٨

يا حضرة السفير

قرأت بكل امعان ترجمة التعليمات المعطاة بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني الى الموسيو بيزاني ترجمان سفارة انكلترة الاول وقد سلمني صورة عنها فأعربتم سعادتكم فيها عن رغبتكم بعقد جلسة لمحادثتي بحضور حضرات رصفائكم قصد ان تطلعني على جميع أراء الدول العظمى بشأن المسألة اللبنانية . ولما كنت أودّ مفاوضتكم أيضًا واعلامكم بما أمكن من السرعة نيّاتي في هذا الشأن تعجلت بابلاغ نظارة جلالته اراء الدول العظمى في المسألة السابقة البيان وقد اطلعت عليها من الايضاحات والاراء التي بسطت في المفاوضات التي سبق لي ان تشرّفت بمبادلتها سعادتكم

وحضرات البارون دي بوركنه ودي كليزل ومن منطوق النطاقات التي تلقيتها بهذا الشأن من صاحبي السعادة الموسيو دي بوتينف والموسيو دي ڤانيير

وقد بحث في هذه المسألة في مجلس عقده الوكلاء وحضرة دولة مصطفى باشا السرعسكر فالتزم حدود التقارير والآراء التي لم ينقطع عن ارسالها حتى الآن إلى الباب العالي وصرّح بتيقنهِ انطريقة ايلاء والي صيدا حق تعيين قائم مقامين أحدهما على الدروز والاخر على الموارنة المتفق عليها سابقًا لتوطيد أركان راحة الجبل المرجوة من الجميع لا تبلغ الغاية المقصودة إلاّ إذا أنتقي هذان القائم مقامان من غير الوطنيين وفي الوقت عينه اكّد بصورة قاطعة جازمة انه يتعذر استتباب الراحة فيما لو استقرّ الرأي على انتقاء هذين القائم مقامين من الدروز والموارنة. وعليهِ فمجلس الوكلاء العثماني يؤسفه كثيرًا أن تكون هذه النقطة سببت هذه المجادلات منذ سنة دون أن تبدل الدول العظمى صديقاته وحليفاته رأيها بهذا الشأن غير ملتفتةٍ إلى حسن الادارة التي توفق إلى توطيدها في الجبل والى الادلة الراهنة التي في وسعه الادلاء بها تأييدًا لصحة قوله

بيدَ ان الباب العالي وهو مدفوع بعوامل الاحترام التي لم يفتر دقيقة واحدة عن ابدائها للدول الخمس أعزّ صديقاته وحليفاته قد آثر حبًّا بالوصول إلى حلّ مسألة خطيرة كهذه ـ هي في الوقت ذاته من شؤونه الداخلية ـ أن يجيبها إلى تحقيق امانيها بدلاً من رفضها

ولمّا كان من الواضح الجلي ان مقاصد الباب العالي والدول العظمى منصرفة إلى غرضٍ واحد ـ وهو توطيد أركان السلم في الجبل ـ فاحدى طريقتي الحكم المقترحتين من الفريقين التي سيعول عليها لا تعتبر إلاّ وقتية على سبيل الامتحان

ولذلك فاذا كانت الطريقة التي اقترحتها الدول توصل إلى النتيجة المتقدمة فان الباب العالي يكون مسرورًا شاكرًا. إنما اذا كانت لا تقوى على توطيد دعائم الامن

في لبنان كما يحق لها أن تتوقع ذلك من الافادات التي توفرت لديها حتى الان والتحقيقات التي اجرتها تباعاً فلا بدَّ إذ ذاك للدول من الاعتراف بصوابية الاعتراضات التي أبداها الباب العالي حتى الان وتجتمع كلمتها على الاقرار بسداد رأي حكومة الحضرة الشاهانية . وبناء عليهِ فالباب العالي رغبةً في الانقياد للنصائح الوديَّة التي بذلتها له صديقاته وطَّد العزيمة على ارسال الاوامر لاسعد باشا المفوَّض بتدبير شؤون الطوائف القاطنة في جبل لبنان الموضوع تحت ادارته لكي يبادر إلى انتقاء قائم مقامين أحدهما على الدروز والاخر على الموارنة من الوطنيين بشرط ألاَّ يكونا من الاسرة الشهابية عملاً بالتدبير الذي وافقت عليه الدول العظمى . وفي الوقت ذاته يحرضه على توجيه عنايته إلى حفظ الراحة في سوريا

ولمَّا كان جلالة السلطان الاعظم قد أجاز قرار مجلس الوكلاء هذا أرى من واجبي ان اخبر سعادتكم ان هذه المسألة قد حُلت دون التجاء الى محادثات جديدة . وبينا أهنيء نفسي بكوني واسطة لابلاغ سعادتكم عواطف الصداقة والاعتبار التي أبداها جلالة مولاي المعظم للدول العظمى كبرهان حديث على ولائه أرجوكم ان تتقبلوا توكيد اعتباري الممتاز

٦٢ – نظافة الموسيو سناقورد كاتبن الى صارم افندي بتاريخ ١٥ كانون الاول سنة ١٨٤٢
(٨ ذي القعدة سنة ١٢٥٨)

ياعطوفة الناظر

ان الجلسة التي سألكم الموسيو بيزاني باسمي وباسم ممثلي النمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا عقدها للمحادثة أمست كما قلتم غير لازمة بعد ان تسنى لعطوفتكم انبائي بان

الباب العالي اختار حلًا موافقًا لرغائب الدول صديقاته وان الكتاب الذي جدتم بارساله إليّ في ٧ الجاري قد اوقفني على هذه النتيجة الحسنة . واراني سعيدًا بان ابلغ حكومتي هذا الدليل الساطع على مجاملة جلالة السلطان ونيّاته الحسنة . وستعلم حكومتي بكل سرور ان الباب العالي باقراره رأيًا على وضع جبل لبنان تحت إدارة رئيس مسيحي على الموارنة ورئيس درزي على الدروز شاء خاصة أظهار ثقته بصداقة الدول الخمس واعتباره رأيها لانه متى كان فائزًا بودّها مستدّ الساعد بارشاداتها توفرت لديه وسائل جديدة تساعده على توطيد الراحة في المملكة وانجاح مصالحها .

ان كل استياء يمكن ان يمازج الارتياح التام إلى هذا الحلّ من جرّاء الريبة التي أبداها الباب العالي في شأن المستقبل يجب ان يزول إذا ما تيقن الباب العالي ان نجاح هذا التدبير وانفاذه منوط خاصةً بهِ كما ان حوادث سوريًا الاخيرة أظهرت ضرورة هذا العلاج وحققت مخاوف الدول المتحالفة . واذا كنت اتحاشى ابداء أدنى انتقاد على سبب هذه البلايا مراعاةً للذين أداروا زمام الشؤون في الاماكن المذكورة فلا يمكني ان أتعامى عن حدوث هذه الكوائن وخطورتها . وعسى ان تجري الامور في المستقبل على أحسن منوال وأضمن طريقة . ويجب ان يدعم هذا القرار سائر الوسائل المعددة في أمر عطوفتكم لمشير صيدا وهي : فصل عمر باشا واقصاء الجنود الالبانية عن سوريًا واعادة الاموال المغتصبة إلى أصحابها وحرّية ممارسة الاديان وتخفيف الضرائب . وقصارى القول ان الامتيازات القديمة أصبحت مثبتة بتعهد الدولة وانا واثق بان حكومتي ترى في مجموع هذه التدابير داعيًا جديدًا إلى توثيق عرى الولاء بين الحكومتين لا بل حقًا أحرزه الباب العالي في طاعة الشعب الموضوع لهُ هذا النظام وشكره . واذا ما كانت دراية الوزير الموكول اليهِ أمر ادارة هذه الولاية وصفاته مطابقة نيّات الحضرة الشاهانية الخيريّة ولائم اختيار القايم مقامين ـ من بين شعبيّ لبنان ليتوليا أمورهما ـ حاجات البلاد فلا يكون للدول الموالية جلالته

ما تأسف لهُ أو ترغب فيه (١).

٦٣ – رسالة الموسيو غيزو وزير الخارجية الفرنسوية الى البارون دي بوركنه سفير فرنسا في الاستانة بتاريخ ٦ كانون الثاني سنة ١٨٤٣ (٤ ذي الحجة سنة ١٢٥٨)

ياحضرة البارون

ان حكومة الملك لا ترى بدًّا من أن توافق على عمل الباب العالي وقد شاء

---

(١) ان طوائف لبنان كانت مقسومة الى حزبين يزبكي وجنبلاطي وأشدّ هذا الانقسام وأصله كان في الطائفة الدرزيّة وسببه ان الشيخ جنبلاط والشيخ يزبك جد بني عماد اختلفا في صيدا عندما كانا في خدمة الامير فخر الدين فقتل الاول الثاني وذلك نحو سنة ١٦١٢ فسجن الشيخ جنبلاط في احدى القلاع وبعد ذهاب الامير فخر الدين الى توسكانا أمر الامير يونس المعني الشيخ ابا نادر الخازن فاطلق سبيله

فلمّا قُسمت امارة لبنان الى قائم مقاميتين مسيحية ودرزيّة عارض الحزبان في انتخاب قائم مقام درزي فرارًا من نصرة حزب على آخر مؤثرين اعادة الامارة الى الامراء الشهابيين . على ان الكولونل روز قنصل انكلترة العام اقنع الفريقين بانتخاب الامير أحمد ارسلان – باعتبار ان اسرته ولو كانت متحدة بلحمة الولاء مع الجنبلاطيين فتحسب معتزلة عنهم – بيدَ انهما لم يقبلا بهذا التعيين إلاّ بعد ان وقّع الامير المشار اليه وثيقةً تعهد بها لاصحاب الاقطاعات الدرزيّة باقتسام السلطة المعطاة لهُ ورواتب منصبه . وعليهِ لم يكن أحد في لبنان يمانع برجوع حكم الامارة إلى الشهابيين إلاّ الاسرة الجنبلاطية والامير أحمد ارسلان قائمقام الدروز والامير حيدر اسماعيل قيديه اللمعي قائم مقام المسيحيين

أمّا القائم مقامية المسيحية فكانت تمتدّ من طرابلس حتى طريق الشام بما فيهِ بلاد المتن اقطاعة الامراء اللمعيين والقائم مقامية الدرزيّة من طريق الشام حتى صيدا ما خلا دير القمر فانها جُعلت معتزلة في عهدة حامية تركية

اكراماً لممثلي الدول حليفاته ان يعوّل على اناطة حكومة الجبل بايدٍ وطنية فاقرّ رأياً على تعيين رئيس مسيحي على الموارنة ودرزي على الدروز. ولامراء ان هذه الطريقة تنطبق في أصلها على الغاية التي كانت الدول العظمى ترمي اليها. ويسرّني ان أجالي معترفاً بمفعول نصائحكم الراجحة وحسن مساعيكم التي جرّت إلي اعادة هذا الحق إلى نصابه. بيدَ انني لا اكتم بأن الطريقة التي رضي بها الباب العالي ما برحت موقتة غير تامة خصوصاً وانها تحرم الاسرة الشهابية من حكم الجبل خلافاً لحقها الراسخ في القدم ولرغائب الشعب. ولقد لحظت بملء الارتياح انكم مع عدم استنسابكم التصريح باسم خاص في هذه المسألة قد تحاميتم بمجاوبتكم على نطاقة صارم افندي أن تظهروا قبولكم بهذا الاستثناء. وفضلاً عنهُ فاذا ما كانت الطريقة التي أقرّها الباب العالي غير تامة من جميع وجوهها فانها لمظهرة ضرورة ضمان النتائج التي أُدركت وموجبة السهر على وضعها موضع الاجراء بروح النزاهة والثبات. فعليكم ياحضرة البارون ان توجهوا اليها كل اهتمامكم. هذا وعبثاً يحاول الباب العالي أن يرفع عنهُ تبعة الاضطرابات المتوقعة في لبنان والقائها منذ الان على عاتق الدول الاوربية التي انقاد لنصائحها. فان اوربا لا تجاريه إلى ما يريد لانها تنتظر منهُ أن يحقق منذ الان بصدق وحزم واخلاص ما رضي ان يعول عليه مبدئياً وهو عائد لصالحهِ وراحته

٦٤ — تقرير رفعه المطران نقولا مراد الماروني الى ممثلي الدول الخمس في الاستانة في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٨٤٣ و٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٥٨

انهُ بعد قسمة امارة لبنان المسيحية القديمة العهد الى شطرين وحرمان امرائها الاقدمين من تولي شؤونها — مع ان حكومتهم معها قيل فيها ضمنت لسكّان هذه

البلاد التمتع مدة قرون بسعادة لم تفز بها سائر البلاد السورية ـ وبعد تساهل الدول بحل الخلاف على طريقة ألحقت بمسيحيي لبنان اضرارًا وكبدتهم ضحايا عظيمة بذل هؤلاء جهدهم ـ مع الاحتفاظ بحقوقهم واكرامًا لخاطر الدول المتوسطة ـ للرضا بحالتهم التي لم تسمح الاسباب الناشئة عن السياسة العامة أن يصيبوا أحسن منها . بيد ان جميع هذا التساهل المجحف بحقوق المسيحيين المنكودي الحظ لم يكن كافيًا لارضاء التعصب الاسلامي وهو يسعى تحت ظواهر كاذبة الى ابادة الامة المسيحية الصغيرة التي تمكنت بما لها من قوة الحق وطهارة الذيل ان تقاوم صدماته منذ عهد عهيد ممتنعة في وسط جبالها مكافحة عن حريتها وديانتها واستقلالها ببسالة قُرنت بالفوز . لقد ورد فرمان سلطاني بفصل جبيل وملحقاتها عن لبنان وهي من أهم أقسامه قصد الحاقها بحكومة طرابلس بحيث ان جميع هذه البلاد المأهولة بالمسيحيين فقط الممتدة إلى أعلى قمم جبل لبنان بما فيها وادي قاديشا المقدسة مهد المسيحيين الموارنة الذين وقفوا في سوريا منذ اوائل عهد الاسلام في وجه سيل فتوحاته وصدوا مجراه ثم قنوبين مقرّ بطريركهم الجليل وبلدتي اهدن وبشرّاي التي يعلوها الارز اللتين لم تطأهما رجل الاتراك وفيهما كسرت حديثًا جنود مصطفى باشا الالبانية ومجمل القول ان جميع الاماكن الاعزّ على قلب المسيحيين اللبنانيين والاكثر اجلالاً لديهم تمسي بموجب هذا الفرمان تحت سلطة باشا تركي مباشرة . فاذا ما سكتت الدول المتوسطة في المسألة اللبنانية عن هذا الاغتصاب الجديد الخطير المخالف للاتفاق المعقود حديثًا بين الباب العالي وممثليها تخسر فوائد تدخلها ولا يبقى لمسيحي لبنان إلاّ أن يختاروا بين أمرين امّا الاقدام على حماية مهد امتهم المقدس مستميتين في هذا السبيل عاقدين رايات الحرب على حكومة الباب العالي في ظروف مؤاتية امّا هجر وطنهم العزيز الذي صدوا هجمات الاعداء عنهُ في الزمن السابق . بيدَ ان هذا الشعب المسكين لا يسعه الافتراض ان تدخل الدول المسيحية العظمى في سوريا يؤول إلى

اكراهه على الوقوف في مزالج هذا الموقف الحرج أو ان تكون نتيجته الوحيدة فوز الاتراك في لبنان . وهو يعتقد انهُ اذا ما كانت الاسباب السياسية قد حالت دون رغبة الدول المذكورة في انقاذ اراضي فلسطين المقدسة من يد الاتراك فلا يسلم بوجود أسباب تقضي لهم باتخاذ نتائج تدخلهن وسيلةً لنزع ما بقي في ايدي المسيحيين اللبنانيين قبل توسطهن وانما يعلل هذا الشعب نفسه بانهن لا يسكتن عن هذا الاغتصاب الفظيع والخفر بالعهود

واعتماداً على هذا الامل فان موقّع هذه العريضة الحقير يتجاسر على رفع صوته مجدداً باسم مواطنيه التعساء منادياً ممثلي الدول المسيحية العظماء مسترحماً توسطهم لدى الباب العالي ليأمر بعدم تنفيذ منطوق الفرمان المؤذن بالحاق الجهة المذكورة آنفاً بايالة طرابلس وان يوضع جميع المسيحيين المنتشرين في انحاء الجبل تحت سلطة اميرهم المسيحي . وهو واثق بانكم تصفحون عنهُ اذا ما أصرَّ على قوله بان الامن والراحة لا يستتبان في لبنان إلاَّ متى عهد بحكومته الى امير من الاسرة الشهابية وبدون هذه التدابير يكون مصير هؤلاء التعساء الى الفناء فيذهبون لا محالة ضحية الاخطار التي تتهددهم

٦٥ ـ تعليمات الموسيو كانبن الى الموسيو ف . بيزا في بتاريخ ٤ شباط سنة ١٨٤٣ و ٤ محرم سنة ١٢٥٩

بينما كنت استسلم الى الاعتقاد بان القرار المفيد الذي اتخذته الحكومة في ٧ كانون الاول المنقضي وأبلغهُ صارم افندي الى ممثلي الدول الخمس يكون له في كل انحاء لبنان الوقع الحسن الذي يريده جلالة السلطان واذ بافادات القناصل في بيروت منبئة ان الحكومة العثمانية المحلية لا تريد تنفيذه في قضاء جبيل بل تحاول

الحاقه بحكومة طرابلس . واني لا آنف من الافتراض ان الباب العالي يريد ان يتحمل تبعة الموافقة على عمل موظفيهِ في سوريا ويحقق ما بدا أن يستولي على الافكار من القلق المنذر بالاخطار من جرّاء ذلك

ان بلاد جبيل قوامه سبعة اقضيـة كلها داخلة في نطاق الجبل وكان الامراء الشهـابيون يديرون شؤونه منذ سنوات عديدة وظلّ داخلاً في حكمهم الى أن عُيّن الامير بشير قاسم السابق واستمرّ كذلك إلى ما بعد فصله أي إلى ان طلب ممثلو الدول الخمس اعادة امتيازات لبنان القديمة الى ما كانت عليهِ . فمجموع هذه الحوادث لا يدع أدنى ريب في سوء التأثير الذي سينشأ عن هذا العمـل الظاهرة مخالفته لرغائب الدول الخمس ونصائحها لما استشفته من نطاقة صارم افندي

واني اعلل النفس بان عطوفته سيزيل بايضاحاته الجلية ما طرأ فجأة على افكار الدول من غيوم الريبة في نيّات الباب العالي ومقاصده السريّة . فاتلُ عليهِ هذه التعليمات باقرب آن . ولك ان تسلمهُ صورة عنها . واستوعب بكل تدقيق تصريحاته بهذا الشأن فاني ورصفائي بانتظارها . هذا واذا ما طلبنا الى الباب العالي انجـاز ما وُعدناه بوثيقـة رسمية وتنفيذه بصدق ودقة فلا نكون خرجنا عن الحد الذي التزمناه . وجلّ رغبتنا ألاّ يقطع جزء من لبنان بل ان يوضع جميع اهاليه قيد ادارة حاكمين درزي ومسيحي . ولا اريد بأن ارتاب بأن تصريحات عطوفة ناظر الخارجية ستحقق آمال الدول وفي ارسال الاوامر المنطبقة على طلبنا حالاً الى اسعد باشا

٦٦ ... رسالة البارون دي بوركنه الى الموسيو غيزو بتاريخ ٧ شباط سنة ١٨٤٣ و٧ محرم سنة ١٢٥٩

يا حضرة الوزير

افدت دولتكم في ذيل كتابي السابق اني وطدت العزيمة على طلب عضد رصفائي

لابلاغ الباب العالي اننا نعدّ سلخ قضاء جبيل عن البلاد الخاضعة لادارة الامير حيدر خرقاً ظاهراً لما تعهد به في نطاقه المؤرخة في ٧ كانون الاول الفائت وسؤاله الرجوع عاجلاً عن هذا التدبير

وكان صارم افندي قد عرف رأيي من السؤالات التي القاها عليه المسيو كور باسمي. ولقد اتخذت تجاه رصفائي والباب العالي في هذا الحادث موقفاً تقدمت فيه الجميع لان المسئلة محصورة بالشؤون المسيحية البحتة وبلاد جبيل مأهول بالموارنة دون غيرهم . فرأيت انه يحق لنا رفع صوتنا ما استطعنا انتصاراً لهؤلاء المسيحيين المذكورين المراد حرمانهم بحجج واهية وتعليلات فارغة من فوائد طريقة الحكم التي تمكننا بمساعينا من اعادتها الى الجبل

وعليّ ان اجهر اني وجدت في ممثلي الدول الاربع اجماعاً على رأيي وتماثلاً بعواطفي فعقدنا جلسة للمفاوضة وبعد ان استقرّ رأينا على القول باننا لم نقبل بنطاقة الباب العالي المؤرخة في ٧ كانون الاول المنصرم الاّ ونحن معتقدون إذ ذاك بصحة عزم الحكومة على تنفيذ مضمونها بصدق ودقة . وبعد ان تحققنا ان تجزئة الجبل وتعيين مأمور مسلم لادارة أحد أقسامه مناقضان لمبنى النطاقة المذكورة ومعناها صحت عزيمتنا على أرسال تراجمة سفاراتنا الاولين إلى الباب العالي يحملون تعليمات خطية الحاحاً بوجوب الرجوع حالاً عن التجزئة المار ذكرها

وكان ان دار البحث أوّلاً في اضافة بعض مطالب ثانويّة إلى هذه المسألة الرئيسية . لكني طلبت قسمتها فأُجبتُ إلى طلبي وأُجلنا عرض المسائل الثانويّة الى مرّة أخرى حيث نسجلها في تعليمات اضافية محررة بشكل استيضاح بيدَ انها لا تُقدم إلاّ بعد مرور بضعة ايام على تقديم التعليمات الخطية .

أمّا صارم افندي فقد اقتصر على ابداء اندهاشه من ان السفراء رأوا وجوباً للاقدام على هذا الاخطار الرسمي وأظهر أسفه من التعويل عليه . وهذا يدلّ على

ان الاخطار بلغ الغاية المقصودة . وعليهِ لا استبعد ان تكون أرسلت الاوامر إلى أسعد باشا بالغاء التدبير المذكور

لا مراء ان مسألة القرى المأهولة بطوائف مختلفة هي من أعقد المسائل الآن وأصعبها حلًّا . ولهذا طالما تأسفت على عدم اقتصار الدول على طلب اعادة الحكم السابق في لبنان الى ما كان عليه . ونحن الآن ازاء مشروعين احدهما يشير بفصل بلاد الدروز عن بلاد الموارنة بخط جغرافي يشطر لبنان شطرين والآخر يقضي بتعيين مديرين درزي وماروني يقيم احدهما في البلاد الخاضعة للامير المسيحي والآخر في بلاد زعيم الدروز

فالمشروع الاول هو أقرب إلى الصواب واكثر سهولة في التنفيذ انما الصعوبة كائنة في كيفية تحديد الخط الجغرافي الفاصل . فاذا ما أُتبعت اسماء الاماكن في بلاد الدروز وبلاد الموارنة لزم عنه ابقاء قضاوات كلها مأهولة بالمسيحيين تحت سلطة الدروز في حين ان الف درزي فقط موجودون في بلاد الموارنة وليس لدينا الان أفادات صريحة ثابتة للقطع بوضع الحدود الفاصلة

أمَّا المشروع الاخر فغير موافق لانه يجعل الجبل تحت سلطة تابعة معاكسة للسلطة الرئيسية ولروابط التابعية التي تربط في كل مكان الشركاء بساداتهم في الاماكن المختلطة السكان

لكن المسيحيين يؤثرون وضع خط جغرافي فاصل مع ايلاء الحرية بالجلاء من قسم إلى آخر وهذا هو المشروع الذي مال اليهِ أسعد باشا في تقريره الوارد في البريد الاخير . ولا شك في اننا سنفاوض الباب العالي مجددًا في هذه المسألة . فاذا ما كنَّا فزنا في مسألة جبيل كما يستدل من جميع القرائن فالطلائع حسنة وهي تبشرنا باحراز النصر في المسائل الباقية

٦٧ــ رسالة الموسيو غيزو الى البارون دي بوركنه بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٨٤٣
[٢٤ محرم سنة ١٢٥٩]

يا حضرة البارون

علمت بسرور ان السير ستراتفورد كانين اشترك دون صعوبة في امدادك الذي طلبته إلى رصفائك احتجاجاً على فصل أسعد باشا قضاء جبيل عن الاراضي التابعة لحكم الامير حيدر اثناء قسمته البلاد بين القائم مقامين المنتخبين لحكومة الجبل. بيدَ انه ولو أستفيد من رسالتكم الاخيرة ان الآمال حية بعدم احجام الباب العالي عن اجابة طلبكم بهذا الصدد لا أرى بدًّا من توجيه اهتمامكم اليه خاصةً إذ ان صالح الجبل وراحته يقضيان بوضع جميع المسيحيين تحت ادارة أمير ماروني كيفا كان تقسيم الجبل الاداري قبلًا. فمن اللازم الضروري ألاَّ يكون للحكومة التركية أدنى سلطة عليهم مباشرةً

أمَّا مسألة بعض قرى الجبل المأهولة بالموارنة والدروز معًا فهي اكثر تعقيدًا واشكالاً وعلى حلها يتوقف معظم مفعول طريقة الحكم التي وافقت الدولة على امتحانها في نطاقتها المؤرخة في ٧ كانون الاول الفائت. وهذا سبب يدعونا إلى ملاحقة هذه المسألة بمزيد النشاط وملاحظة نتائجها بمنتهى التدقيق حتى إذا جاءت غير منطبقة على حقوق المسيحيين ومصالحهم توجب علينا إذ ذاك ان نطلب اعادة القديم إلى ما كان عليهِ ان بخصوص عموم السكان وان بسائر الشؤون. ولمَّا كان الباب العالي ذاته قد أعلن ان طريقة الحكم الموضوعة هي وقتية فانه تعهد ضمنًا بابدالها بطريقة أفضل وأضمن رسوخًا إذا ما دعا الامتحان اليها. وعليهِ اكرر القول باني لا ارى طريقة افضل من اعادة الحكم القديم الى ما كان عليهِ. واني اوجه يا حضرة البارون كل عنايتك إلى هذه الوجهة وان تتخذ هذه الملاحظات قاعدة للعمل

٦٨ – تعليمات صارم افندي الى فؤاد افندي بتاريخ اول ايار سنة ١٨٤٣
[٢٩ محرم سنة ١٢٥٩]

وقفنا على البلاغات التي عهد سفراء الدول حليفاتنا إلى تراجمتهم بايقافنا عليها في ما يتعلق بكيفية ادارة مقاطعات جبيل الكائنة في نطاق حكومة طرابلس . فالباب العالي قبل ان يقطع نهائيًا بشأن هذه المقاطعات كان قد حرر الى اسعد باشا مشير صيدا ان اهتمّ لفصل هذه المسألة وفقًا للطريقة التي وضعها ولاة صيدا قبلًا وقوامها ادارة شؤونها منفردة طبقًا للرغبة في احترام العوائد القديمة المبنية على حاجات البلاد . فرأى المشير من المناسب نظرًا لبعض الظروف المحلية ان يدير هذه المقاطعات على حدة فارسل اليها مأمورًا موقتًا . وفي الوقت ذاته كتب إلى الباب العالي مستطلعًا رأيه بهذا الخصوص

فشاء جلالة السلطان ـ وهو مدفوع بعوامل المجاملة التي لم يفتر الباب العالي عن اقامة الدليل عليها نحو الدول العظمى حليفاته وصديقاته في المسألة اللبنانية استرشادًا بنصائحهنّ وتحقيقًا لمتمنياتهنّ وعملًا برغبته المنصرفة في كل آن الى توطيد اركان الامن والراحة في الجبل وضمانة رفاهية اهليه وسعادتهم ـ ان يوجه ارادته السنية الموجبة ارسال الاوامر والتعليمات اللازمة الى اسعد باشا ليؤثر الطريقة الجارية منذ مدة في ادارة هذه المقاطعات بواسطة عامل خاص على غيرها وان تسلّم الى أحد القائم مقامين المناسب وضعها تحت ادارته بنسبة عدد السكان . والأ يستوفي شيئًا بصفة ضريبة خاصة من المقاطعة المذكورة اذا كانت الضرائب التي تستوفى منها داخلة في مجموع الاموال المفروضة على الجبل

ولمّا كان الباب العالي موطد العزيمة على السهر على تنفيذ التدابير المنطوية عليها نطاقته التي أنفذها منذ برهة إلى كل من حضرات سفراء الدول الأول بشأن

هذه المسألة وأرسل صورة عنها في حينهِ إلى مشير صيدا . فقد أمرت الحضرة الشاهانية أيضًا باجراء التدابير المذكورة في النطاقة السابق الايماء اليها مع مراعاة الظروف المكانية

فمن ثمه لمَّا كانت التدابير قد أوشكت ان توضع موضع الاجراء. فاسألك أن تبلغ هذا العزم المملوء عدالة إلى حضرات تراجمة سفراء الدول العظمى وتسلّم اليهم صورة عن هذه التعليمات إذا ما اقتضى الامر

٦٩ — رسالة البارون دي بورکنه الى الموسيو غيزو بتاريخ ١٦ ايار سنة ١٨٤٣ و١٥ صفر سنة ١٢٥٩

يا حضرة الوزير

ان ناظر الخارجية العثمانية استدعى أول من أمس التراجمة الاولين في سفارات الدول الخمس ليستلموا من يدي ترجمان الديوان الهمايوني الاول جواب صارم افندي على تعليماتنا الخطية فاذ بهِ يثبت من جميع الوجوه التعهدات الشفاهية التي قد كانت أعطيت لنا . ان الباب العالي قد عدل عن تولية مندوب تركي خاص على بلاد جبيل وعوّل على اعادة هذه المقاطعات الى تحت حكم أحد الاميرين الذي تكون أغلبية سكّانها من مذهبهِ أي إلى الامير حيدر لان كل متوطنيها موارنة . على ان الباب العالي لا يذكره باسمهِ تعويلًا على قاعدة تنسيب الطوائف والاديان وهذا أفضل من ذكر الافراد باسمائهم وهو ينطبق على الطريقة التي ارتأتها سعادتكم ففضلت غيرها وكانت اكثر فائدة وأثبت قدمًا

وقد استقرّ رأي الباب العالي على عدم استيفاء ضريبة خاصة من مقاطعات جبيل القديمة وانما تؤدي نصيبها من الاموال المفروضة على سائر الجبل . فاذا ما كان مجموع

الجزية وقدرها ٣٥٠٠ كيس قد شمل سابقًا المال المقرر على جبـل (وهي مسألة يجب ايضاحها في محلها) فلا يستوفى من الجبل بارة زيادة عن الثلاثة الاف والخمسمائة كيس المذكورة بدل الحاق جبيل بالبلاد الخاضعة للامير حيدر

وهي لعمري مسألة خطيرة قد سويت تمامًا وسيتلقى أهالي الجبل خبرها بفرح عظيم . ولقد اغتنمت فرصة سفر البريد برًا بطريقة مستعجلة لتبشير أهالي لبنان بها واوْمل أن اكون أول من أوصل خبرها إلى بيروت

ان الانباء التي أتتنا بتاريخ ٦ الجاري لحسنة فان حالة المسيحيين ترداد كل يوم تحسنًا . وقد شرعت اللجنة المفوضة بتوزيع التعويضات بعملها بكل نشاط . أجل ان اصلاح الفساد يحصل ببطء اسوة بكل شيء هنا لكنهُ آخـذ مجراه بفضل استطراد مساعينا

٧٠ – رسالة البارون دي بوركنه الى الموسيو غيزو في ١٣ مزبرا سنة ١٨٤٣

ان اسعد باشا – وهو لا يزال باستعداده الشخصي يستحق ثناءنا – يلاقي في كل خطوة حاجزًا يوقفه بسبب امتزاج المصالح المتوجب عليـه ارضاؤها وتباين الاهواء التي عليهِ كبح جماحها

ان تنفيذ طريقة الحكم الجديدة في النواحي المختلطة السكّان يلاقي صعابًا توقعناها لكنها تفوق مخـاوفنا الاولى . فالمسيحيون يريدون اعتاق دير القمر من كل خضوع للحكومة الدرزيَّة المبسوطة جديدًا عليهم والدروز يريدون أن يحكموا هذه البلدة كمقاطعة معروفة بهم لا يمكن منازعتهم ملكيتها

٧١ – رسالة البارون دي بوركنه الى الموسيو غيزو بتاريخ ١٧ ايلول سنة ١٨٤٣ و٢٢ شعبان سنة ١٢٥٩

يا حضرة الوزير

ان سفراء الدول الخمس اجتمعوا في الاسبوع الفائت للتوفيق بين ارائهم فصلًا لمسألتين خطيرتين لا تزالان عارضتين في شؤون لبنان وهما توزيع التعويضات وحكم دير القمر فاتفقنا رأيًا على ارسال تراجمتنا الى رفعت باشا يسألونه الاسراع ببتّ مسألة التعويضات وهي شرط لا بدّ منه لاعادة الراحة الى الافكار والتوفيق بين المصالح .

اما بخصوص دير القمر فمع اعترافنا بالصعوبة الناشئة عن موقعها التكويني (الجغرافي) – لوجودها محاطة بالبلاد الدرزية – الحائل دون تنظيم هيئة حكومتها وفقًا لقاعدة تأليف الحكومة على نسبة عدد الطوائف ومذاهبها صحت عزيمتنا على ان نوصي الباب العالي بالاعتماد على الحلّ الاتي .

تعيين وكيل مسيحي لاهالي دير القمر المسيحيين ينصبه الامير الدرزي .

عرض كل خلاف يحدث بين مندوبي السلطتين المستقلتين على البك المولّى قيادة الجنود المعسكرة في دير القمر وتستمر فيها طالما يقتضيه حفظ الامن في الجبل .

لا تكون دير القمر مقرًا للامير الدرزي .

فهذا الشرط الاخير وقد تمكنت من ترجيحه سيقع موقعه الحسن من الموازنة سكان البلدة المذكورة

هذا وان جعل قائد الجنود التي ستعسكر موقتًا في لبنان حكمًا بين السلطتين المسيحية والدرزية يولي هذا التدبير صفة موقتة ويترك لنا سبيلًا لتحسينه في آن قريب . ولا اعتقد انه كان بوسعنا في الظروف الحاضرة اقتراح مشروع افضل منه وقد ذهب التراجمة الخمسة تباعًا الى رفعت باشا ناظر الخارجية لابلاغه ما اجمع عليها السفراء

الخمسة رأيًا فاجابهم بانه سيحل نصائحنا محلها من الاعتبار

٧٢ – تعليمات السير كانين الى الموسيو ف . يزاني بتاريخ ٩ كانون الثاني سنة ١٨٤٤ و ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٥٩

لما كان قد أتيح لي الحظ ان اباحث رصفائي ممثلي النمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا بامر النطاقة التي سلمكم اياها رفعت باشا في ٢٢ كانون الاول المنقضي بما يتعلق بالشؤون اللبنانية ففي وسعي الان ان ابلغ دولته ما عنّ لي من الرأي فيها وانا واثق كل الثقة بان أراء رصفائي تنطبق عليه تمامًا . انه ليسرني ان اعترف بان انقياد الباب العالي إلى نصائحنا بشأن تولّي أعمال دير القمر لدليل على رغبته الحكيمة في توطيد دعائم السلم والسهر – بقدر ما تسمح الاحوال – على رفاهية السكان وهو جل المراد.

واني لارتاح إلى الاعتقاد بان الباب العالي يذهب في السهر على اجراء ما وقع عليه الاتفاق عن ذات الرغبة وان يجيء اختيار الوكيلين – احدهما على الموارنة والاخر على الدروز – المفوض اليهما ادارة شؤون أبناء ملتهما خاصة موافقًا لاهمية المصالح الموكولة اليهما . وان تتوفر صفات الجدارة الشخصية في البك الموكول اليه قيادة الجنود المنظمة التي ستعسكر على حدة في جوار دير القمر إلى أن تتوطد دعائم الراحة ليتسنى لهُ القيام بوظيفة حكم بين الفريقين فصلًا للمنازعات التي تقع بينهما وهو مسؤول خاصة عن طاعة الجنود وحسن سلوكها . وان تكون جميع نفقات اقامة الجنود على حساب الحكومة العثمانية وحدها على شرط ألاَّ يتجاوز عددها الحد اللازم . ولما كان تعيين الوكلاء يجب ان يتم وفقًا للطريقة المعول عليها في القرى المختلطة السكان وكان يتحتم على القائد التركي ألاَّ يتدخل فيه الأَّ بناء على طلب الوكلاء أصبح من المأمول ان الادارة المحلية لا تلاقي في طريقها عراقيل وعقبات .

أمّا اقتراح تعيين نائب أو قاضٍ مندوب في الاماكن المذكورة فلم يكن في عدد المشاريع التي تشرّفت بمفاوضة دولة ناظر الخارجية بخصوصها وهو يحتاج إلى زيادة ايضاح قبل ان اتمكن من ابداء رأيي في الاسباب التي تساعد على القبول بهِ رغماً عن الاعتراضات التي تحول دونه. ومع تسليمي ان السلطة العليا - وهي المرجع الاخير في وجوب السهر على توطيد أركان الراحة - أرى انهُ يتعذر انكار حق اللبنانيين الثابت بادارة شؤونهم الداخلية على يد ولاتهم الوطنيين والفائدة التي تحصل عن تقليل أسباب حدوث نزاع جديد - ما استطيع إلى ذلك سبيلاً - بين هؤلاء ومأموري الباب العالي الغرباء عن الجبل المختلفين عن اهاليه جنسيةً وديانةً. فهذه اعتبارات خطيرة توليني الثقة بأن الباب العالي لا يقطع نهائياً بهذا الشأن قبل ان يزن بكل تروٍّ وانعام نظر عظم واجباته تجاه جبل لبنان ولا ينفرد فيهِ دون سبق رضا الدول المهتمة بشؤونه لدواعٍ عديدة

أمّا مسألة التعويضات فان أهمية عدم تأجيل حلّها وتعذر القطع بها في مكانها وفقاً لرغائب الفريقين المختلفين قد ظهرا بتمام الجلاء. ويُخيّل لي ان الباب العالي باخذه على عاتقه حلّ عقدتها قد فعل أحسن ما يمكنهُ فعله لراحة الجبل وسعادة أهليه. بيدَ ان التدابير التي ذكرها ناظر الخارجية تترك مجالاً لتردد يجب وضع حدٍّ لهُ فان الارقام الحالية اذا قوبلت بمبلغ التعويض الذي طلبه الفريق المتضرر لا تكفي لاعاضة المتضررين وارضائهم. ومع ذلك لا احاول ان اضرب صفحاً عن جميع الاعتبارات التي تقتضيها العدالة والتروي والملاطفة لان التمسك في عملٍ بكل دقة في وسط المصاعب الكثيرة العارضة وفقاً لقواعد العدالة من شأنه ان يبقي الحزازات في القلوب فيجرّ في المستقبل اخطاراً جديدة على الذين يطالبون بهِ ويحول دون التقريب بين القلوب المتنافرة إذ بدونها لا تعدّ الراحة التي يتمتع بها الان لبنان إلاّ نعمة طفيفة قصيرة العمر. فهذه هي الاسباب التي تدعوني إلى احترام رأي الباب العالي

المؤسس كما يظهر على أفادات ليس في وسعي ولا في طاقة رصفائي نقدها . ولكني اذا نظرت إلى هذه المسألة من وجهتها العامة أرى ان الفت النظر الى أهمية عدم ترك شيء غامض محبط للامال في نتيجة التدابير المقررة فان مبلغي الـ ١٦ الف كيس والـ ٢٦٠٠ كيس المعينين لكل من الموارنة والدروز لا يعدان تعويضاً بوجه من الوجوه إلاّ إذا دُفعا حتى آخر بارة . أمّا تحديد مواعيد الدفع في أوقات متفاوتة فيجب ان يتم في محل الحوادث . وعندي ان الباب العالي يحسن عملاً اذا الفت انظار أسعد باشا إلى خطورة هذه المسألة وما تستوجبهُ من الدقة وافهامه ما يترتب من الاهمية على تنفيذ قرار مجلس الوكلاء العثماني بطريقة تؤلف بين القلوب وان تعذر ازالة كل الاحقاد فانها على الاقل تساعد على سدل الستار على الفظائع الهائلة التي أرتكبت في الماضي . وأرى من المفيد بل من الضروري تعيين بعض أشخاص حاصلين على ثقة أبناء مذهبهم فيعهد اليهم بتقدير الاشياء والاموال المسلوبة وتوزيع التعويضات المقررة

ولمّا كنت قد أحطت علماً بجميع فقر نطاقة الباب العالي المؤرخة في ٢٢ ك ١ ونقدتها واحدة واحدة فعسى أن اكون حققت الثقة التي شرّفني الباب العالي بوضعها فيّ . ومن ثمه فان تعيين مبالغ التعويضات المذكورة آنفاً لكل من الفريقين المتضررين ـ وقد قُرن بترك حرية الخيار لكل منهما باخذ حصة فيها إن نقداً وان بارجاع المسلوب ـ لهو أحسن طريقة لحل المسألة على وجهٍ مرضي . واذا شاء جلالة السلطان من فيض مكارمه ان يسهّل دفع التعويضات بواسطة خزينة الدولة فانه يكتسب لا محالة شكر البلاد لهُ ويربح أقوى ضمانة على حفظ سلطته . واني أجيز لك أن تسلّم هذه التعليمات ليد صاحب الدولة رفعت باشا

٧٣ – رسالة اللورد كولي سفير انكلترة في باريس الى اللورد ابردين وزير الخارجية بتاريخ ٤ ادار سنة ١٨٤٤ و١٢ صفر سنة ١٢٦٠

ياحضرة اللورد

ان رئيس اساقفة اللاذقية الماروني (المطران نقولا مراد) وهو في باريس منذ بضعة اسابيع وقد خلا بالموسيو غيزو وفاوضه مرتين الى ثلاث مرات وغاية مهمته ان يستحصل بفضل نفوذ الدول المتحالفة على رضا الحكومة العثمانية بتعيين الامير امين من الاسرة الشهابية اميرًا على لبنان وقد زارني سيادته منذ بضعة ايام وسألني ارسال التحرير المرفوق بكتابي هذا اليكم مردفًا انه مستعد للذهاب إلى لندره إذا ما كنت اعتقد ان ذلك يساعده على انجاح المهمة الموكولة اليه . فرضيت بايصال كتابه لكني اقنعته بالعدول عن السفر الى لندره ثم ورد عليَّ منه كتاب آخر ترون صورته في طيه مع عريضة مرفوعة من الموارنة الى حكومة جلالتها

وقد وعده الموسيو غيزو بان يكتب الى الموسيو بوركنه بشأن التماسه لكنه لم يؤمله بالنجاح واعتقد ان الموسيو غيزو اوعز الى الموسيو دي سان اولير بمفاوضتكم في هذا الشأن

٧٤ – فقرة صه تحرير المطران طوبيا عوده الماروني رئيس اساقفة بيروت الى الكولونل روز بتاريخ ٩ ادار سنة ١٨٤٤ و١٧ صفر سنة ١٢٦٠

وصل كتابك المؤرخ في ٢٣ المنقضي ... الخ

سألتنا سرًّا عن السبب الذي حمل سيادة المطران نقولا مراد الجليل القاصد لندره على الذهاب الى باريس وعمَّا إذا كان سيادته يقصد بهذا السفر غير النزهة وتقول لي انه اذا كانت غايته غير الاخيرة يذهب تعبه سدىً . فيمكننا ان نؤكد

لك اننا نجهل سبب اقامته في باريس ولم نعلم بسفره إلاّ بعد وصوله الى مرسيليا من بعض اشخاص وهذا كل ما نعلمه وانتم تعرفون اننا لانقول لكم إلاّ الصدق وهذا برهان جديد عليه ويمكنك ان تزداد تيقنًا بصدقنا في المستقبل

٧٥ – عريضة مسيحي جبل لبنان الى لويس فيليب ملك فرنسا بتاريخ ٢٢ ادار سنة ١٨٤٤ و٨ ربيع الاول سنة ١٢٦٠

عريضة مرفوعة الى معالي اعتاب حكومة فرنسا الجليلة أبّد الله مجدها

نحن عبيد جلالتكم مسيحيو جبل لبنان جئنا نعرض لمقام جلالتكم السامي الحالة المفجعة التي صرنا اليها من الشقاء والبؤس والمصائب التي يتعذر وصفها ونوضح كيف سُلبنا كل راحة وأتى انثالت علينا الرزايا انثيالاً وحلّ بنا الدمار . فاولاً نحن المسيحيون القاطنون بين الدروز قد سُلبت أشياؤنا وحُرقت بيوتنا وأمسينا مشتتين خارج وطننا معرّضين لهوان الغربة ومرارتها ولا أمل لنا في حياة هذه الدنيا سوى باستعادة ما أُغتصب منا . ومع انهُ قد أُنفذت الاوامر باعادة بعض مسلوباتنا الينا فحتى الان لم يظهر مفعولها ولم تبدِ تباشير صبحها وليس لدينا أقل دليل على الرغبة في ارجاعها

ثانيًا : ليس فقط اننا لم نسعف بالحصول على جواب يحقق استرحاماتنا العديدة بتسليم مقاليد أمورنا الى أمير مسيحي يدير زمام ادارتنا كما أتفق عليهِ في الاستانة بل أمر والي صيدا خلافًا لرغائبنا بأن يكون المسيحيون القاطنون مع الدروز أو في جوارهم تحت سلطة هؤلاء الدروز الجائرين الذين يستحلون دمنا وعرضنا وأموالنا . فقد نهبوا أديارنا وكنائسنا واضرموا النار فيها وسفكوا دم الكهنة والرهبان وبعد ان دنسوا المذابح ولطخوا صوَر القديسين والقربان المقدس بالاقذار مزّقوها وداسوها بأرجلهم وكسروا الصلبان والاجراس وألبسوا النساء الحلل الكهنوتية ازدراء واحتقارًا .

فمن يمكنهُ ان يحتمل هذه الاهانات التي تجاوزت حدًّا لا تستطيع القوى البشريّة احتماله ومن لا يؤثر الموت على تسليم حياته لهؤلاء الاعداء البرابرة . آه اذا كانت تنهداتنا قد بلغت عنان السماء فكيف لا تقوى على تحريك عواطف الحنان في قلب حكومتكم السامية وحملها على السعي إلى ضمان راحتنا نحن عبيدها ورعاياها

ولكي لا نيأس من حياتنا التعيسة ونظلّ واقفين أمام رتاج حكومتكم الرؤوفة الكائن وراءه خلاصنا وخلاص جميع الشعوب قارعيه بترسلاتنا وتضرعاتنا المتواصلة. رأينا من الواجب وقلبنا مفعم حزنًا وعيوننا دامعة ان نرفع هذه العريضة الى اعتاب رأفتكم على يد خادم شوكتكم سيادة الجليل المفضال المطران نقولا مراد النائب البطريركي السامي شرفًا واحترامًا المفوّضة اليهِ الوكالة المطلقة عن جميع شعب لبنان واردين بواسطتهِ ينابيع حنان حكومة ملأت شهرتها الدنيا . وقد وكلنا الى سيادة الاسقف المشار اليهِ أن يغتنم الفرصة الموافقة ليعرض على جلالتكم جميع شكاوينا وطلباتنا وفقدنا كل راحة من جرّاء الحاكم الذي عُهد اليهِ ادارة شؤوننا فاذا كانت جلالتكم لا تنعم بمساعدتها على الاسرة الشهابية النبيلة ولاسيما على الامير بشير أو ابنه الامير امين لاعادة احدهما إلى تولي امارة الجبل يتعذر علينا ادراك راحتنا تحت حكم والٍ آخر . وقد أثبت الامتحان ذلك

ثم ان سيادة المشار اليه مفوض ان يبسط لجلالتكم هذه الحوادث وغيرها لان حكومتكم متحققة انها ممثلة الشعب الماروني وواقفة على جميع مساعينا . وبما ان سيادته مشهور باستقامته وفضائله فكل ما يؤكده لكم هو الحقيقة بعينها وبما ان رأفتكم تمتد إلى جميع اطراف الدنيا فحقنا مضاعف في نيل نصيبنا منها

وعليه نتطامن امام عرشكم السامي ضارعين إلى جلالتكم ان ترأفوا بحالة شقائنا وترمقونا بنظرة اختصاص وتعيروا معتمدنا سيدنا المطران نقولا مراد أذنًا صاغية الى ما يعرضه فتشملونا جميعًا بالحاظ جودكم المشهور وتجبروا قلوبنا المنكسرة وتصبوا عليها

بلسم الشفاء وتنقذونا من يد الدروز اعدائنا وسالبي اموالنا وتكرهوهم على اعادة ما اخذوه منا وتساعدونا على الرجوع الى تحت حكم اميرنا السابق من الاسرة الشهابية لننعم في راحة تامة . ومقابلةً لذلك فان طائفتنا سترفع ابتهالاتها ضارعة الى العلي المتعال ليرفع شأن حكومتكم العظيمة ويؤيد مجد عرشها الملكي ويؤبد شوكتها واقتدارها فائزةً بانتصارات باهرة مدى الدوران

خدامكم

امراء المتن . مشايخ بيت الخازن . مشايخ بيت الدحداح . مشايخ بيت الخوري . مشايخ بيت حبيش . مشايخ بيت الضاهر . مشايخ بيت ابي صعب . وجميع سكان جبل لبنان . ويتبع ذلك ٢١٧ ختماً

٧٦ — عريضة مضمرة مسيحي لبنان الى اللورد ابردين بتاريخ ٣ نيسان سنة ١٨٤٤ و ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٦٠

ياحضرة اللورد

لقد سبق لنا ان رفعنا عريضة غير هذه مؤرخة في ١١ ادار إلى حكومة جلالة الملكة بواسطة معتمدنا الخاص سيادة المطران نقولا مراد رئيس اساقفة اللاذقية وفيها بسطنا شكاوينا بايضاح . فان الباب العالي يريد ان يخضع قسماً منا الى الدروز لكننا موطدو العزيمة على عدم الرضوخ غير حافلين بالاخطار التي تهددنا وانما سنقاوم حتى الموت متفانين في هذا السبيل لان ذلك مخالف للطبيعة ولجميع نواميس الدنيا . ان الدروز هم متوحشون لا يؤمنون بالله فهم الذين خربوا اديارنا وكنائسنا وبيوتنا وجعلوها طعاماً للنار وقتلوا كهنتنا ورهباننا وراهباتنا واحتقروا ديننا ولبسوا الحلل الكهنوتية واستعملوا الاواني الكنسية ازدراء وامتهاناً . أيصلح هولاء الرجال

لتولي شؤوننا ! أيسعنا القبول بهم ! هل يعهد برعاية الحمل إلى الذئب ؟ ان تغرض الكولونل روز للدروز وقد كان قبلاً سرياً فجهر به اليوم هو أشدّ جراح قلوبنا ألماً فلقد بذل وسعه لدى الباشا لارغامنا على الانقياد مهدداً استعمال جميع الوسائل لاكراهنا على اخضاع رقابنا لنيرهم . وهذا ذات كلامه : « بما انكم سُلبتم كل شيء وقتل منكم عدد غفير فيجب عليكم ان تخضعوا للدروز » . فاستغربنا هذا الكلام لاننا من جهة نعتقد ان حكومة انكلترة متحدة مع سائر الدول الاربع لحماية المسيحيين واعادة مياه الراحة إلى مجاريها وارجاع امتيازاتهم اليهم . ومن جهة أخرى نرى قنصلكم الكولونل روز يبحث عن الذرائع التي تؤدي إلى خرابنا متبعاً نزقه وميله للدروز

وفي طاقتنا ان نؤكد لكم ان هذا القنصل بدلاً من ان يشرف حكومته قد جاب عليها بسلوكه عكس الامر . فمتى عرفتم ياحضرة اللورد الخطة التي انتهجها وهي غير حسنة امام الله والبشر لا تكونون راضين عنهُ . فانهُ نفر قلب الشعب عن انكلترة وأضعف عواطف حبهِ ولقد شئنا أن نطلعكم على هذه الحوادث رجاء ان تأمروا بجنانكم وطيب قلبكم الكولونل روز بالامتناع تماماً عن اضطهادنا . وفي الوقت ذاته نستحلفكم بأن تبرّوا بالوعود التي اعطانا اياها معتمداكم الكومودور نابيير والمستر وود واعادة الاسرة الشهابية إلى امارة الجبل إذ بدونها لا راحة للبنان ولنا وللدروز وللجميع . ولنا الثقة برأفتكم وحبكم للانسانية ان تحققوا أمنيتنا لان اسمكم مكرَّم في كل مكان لما اشتهرتم بهِ من حسن الصفات وروح العدالة ومعارفكم العالية . وبناء على هذا الامل لا نفتر عن تقديم صلواتنا ليحفظكم الله بعنايته ويمنحكم ما ترغبون من السعادة

٧٧ – تقرير رفعه المطران نقولا مراد الى اللورد ابردين في ١٠ نيسان سنة ١٨٤٤ و٢١ ربيع الاول سنة ١٢٦٠

بيان الحوادث التي جرت بعد تسمية قائم مقامين في لبنان أحدهما ماروني والاخر درزي سنة ١٨٤٢ واستلامهما مقاليد الشؤون في أول كانون الثاني سنة ١٨٤٣

ان الفوضى لضاربة اوتادها مشتدة اطنابها الان في لبنان تمرح فيهِ بكل حريّة وهي ينبوع مداخيل الباشا ومأموريه فالقتل والسلب متواصلان بحيث لا يستطيع احد ان يخرج منفرداً من مقره إلى مسافة ساعة دون ان يكون مصحوباً ببضعة رجال مسلحين وكثيراً ما يعثر على جثث القتلى ملقاة في الطرقات على بعد ربع ساعة ونصف ساعة من بيروت فترفع الشكوى الى القائم مقامين فيجيبان انهما لا يستطيعان شيئاً . واذا ما التجى . الى الباشا طلباً لمجازاة القتلة كان جوابه : « لا بأس فلا اهمية للمسألة » . ان اسرتي حيش ودحداح هما في نزاع دايم توشكان ان تتفانيا . وقد قتل من الاولى اربعة ومن الثانية واحد وافرادهما هم دائماً متسلحون يسعون للفتك ببعضهم . ومن ثمه فموقف الاهلين حرج بين هاتين العائلتين وقد التمسوا من القائم مقام ان يبادر الى اصلاح ذات البين بين الاسرتين المشار اليهما لتوطيد اركان الراحة . فاجاب انهُ يعجز عنه لان الباشا لا يريد ان يسود الوئام في جبل لبنان

ان الاتفاقيات السابقة المؤرخة في سنة ١٨٤١ اوجبت على لبنان ان يدفع الى الباب العالي ١٢٠٠ كيس جزية و٢٣٠٠ كيس لحكومة الجبل قيمة رواتب مأموريها وقضاة المحاكم وغيرهم . لكنَّ الباشا استولى على جميع هذه الاموال بامر الباب العالي إلاَّ انهُ دفع أموالاً للقائم مقامين ليكونا آلة في يده وطوع ارادته واوامره . وكلما ارادا القيام بواجبهما يظهر لهما كدره وريبته فيهما ويهددهما بالعزل

وعدا ما تقدم ان الباشا المشار اليهِ استولى على عوائد المشاعات المرصدة للخير

العام مجبرًا القائم مقام الماروني على دفع ١٠٨ الاف قرش لسدّ العجز الناتج عن هذا الاغتصاب . وجميع هذا مخالف لصك معاهدة سنة ١٨٤١

هذا وان الفوضى قد عمت ايضًا الدروز فقد اقتتلوا حديثًا في احدى القرى واسفر عراكهم عن ثلاثة قتلى وكثير من الجرحى بحيث أضطر الفلاحون الذين يحرثون الارض إلى حمل السلاح ويدهم على المحراث

ان قدري بك المولّى قيادة الجيوش في دير القمر أثار قتالاً في اواخر شهر كانون الاول سنة ١٨٤٣ بين الدروز والمسيحيين ثم امر بنهب الاخرين وقتلهم فقتل وجرح كثيرون

كان في عداد شروط الاتفاقية المعقودة في الاستانة في ٧ كانون الاول سنة ١٨٤٢ ان الحكومة ستستدعي من سوريا جميع الالبانيين فلم تبرّ بعهدها وفي كل يوم يشاهدون في سوريا لاسيما في بيروت مع زعيمهم عباس ونفوذه في هذه المدينة يضاهي نفوذ الباشا . وفي ٨ شباط دخل الالبانيون إلى جبل لبنان مع سائر الجنود التركية ولاشك بانهم اقترفوا فظائع كثيرة . قد اخذ باشا بيروت بواسطة القائم مقام ٦٠ الف قرش من اقطاعة كسروان قبل تنفيذ امر الاستانة المؤذن باعفائها من الضرائب مدة ثلاث سنوات تعويضًا عمّا أصابها من الخسائر في سنة ١٨٤٠ فحدث من جرّاء ذلك خلاف بين كثيرين من افراد الاسرة الخازنية فان قسمًا من أفرادها واتباعهم ثار وحرّض الشعب على القيام على القائم مقام والباشا فكانت الاضرار جمة . وكل فرد من الاسرة الخازنية يتبع حزبًا والباشا مسرور بهذا الانقسام

ان الباب العالي عيّن حديثًا برضاء السفراء قائدًا تركيًا في دير القمر وجوارها خلافًا لمعاهدة سنة ١٨٤٢ وفوضهُ أن يعين في كل قرية زعيمًا درزيًا وآخر مسيحيًا بحيث إذا كان مجموع القرى ثلاثين او اربعين يكون مجموع الزعماء ٦٠ إلى ٨٠ فهذا التدبير من شأنه الاجهاز على لبنان واتمام خرابه

وعليهِ فان حماية اوربا للبنان قد أثارت عليهِ حقد الاتراك الشديد جرّ ذلك إلى خراب يقتضي اكثر من مائة سنة للعود الى الحال التي كان عليها في سنة ١٨٣٩ والى حرمان الاسرة الشهابية محامية لبنان الوحيدة من حكم الامارة وفقدان جميع الامتيازات القديمة العهد وتجزئة البلاد واخضاعها الى عدة زعماء متنافرين

وبعد هذا الايضاح الذي هو جزء خفيف من الفظائع التي أرتكبت في لبنان يتسنى لحضرتكم الحكم في ما اذا كانت الراحة سائدة فيهِ ويتمهد لكم الوقوف على الاسباب التي يمكن الدول الاستناد اليها لاعادة الحالة التي أسف لبنان لخسارتها

٧٨ – مضمون صدر رسالة الموسيو غيزو الى الموسيو دي بوركنه
بتاريخ ١٣ نيسان سنة ١٨٤٤

اتصل بي ان الموارنة والدروز يأسفون عموماً على الماضي وان شيوخهم يتوقون إلى رجوع الاسرة الشهابية . فهل ان اعادتها الى حكم امارة لبنان هي الوسيلة الوحيدة بل الطريقة الافضل لاصلاح الخلل واعادة الوئام وتوطيد الامن فيهِ كما أكد لنا ؟ أتستطيع هذه الاسرة أن تدير الشؤون وتثبت في مركزها دون استعمال وسائل العنف والاستبداد التي تذرع بها الامير بشير لتوطيد دعائم سلطته ؟ ربما ان الظروف اليوم لا تسمح باستعمالها كما ان اوربا لا تسكت عنها في كل حال

٧٩ – رسالة الموسيو غيزو الى البارون دي بوركنه في ١٤ ايار سنة ١٨٤٤
٢٥ ربيع الآخر سنة ١٢٦٠

ياحضرة البارون

حدّثتك في رسالتي المؤرخة في ١٢ المنقضي عن وجوب معالجة حالة لبنان الحرجة

بسدّ النقص الظاهر في الاتفاقيّات المتعلقة بطريقة تنظيم هذا الجزء من سوريا اداريًا.
وفي عداد المسائل التي استقرّ الرأي على حلها وضعيًا في الاماكن المذكورة مسألة الوكيل المسيحي لدير القمر فهذه يمكن اعتبارها على ما يظهر في حكم المبتوتة . أمّا مسألة التعويضات المفروض على الدروز دفعها إلى الموارنة فقد لاقت صعوبات كبرى . لكنّ اعقد مسألة بينهما مسألة النواحي « الاقضية » المراد وضعها تحت سلطة القائم مقام الدرزي مع ان معظم أهاليها من المسيحيين . فهذه لمّا كانت أثارت الاحتجاجات الشديدة الحقة وفصلت في الاستانة بصورة مخالفة للقاعدة العمومية القاضية بجعل الموارنة تحت ادارة ماروني والعس بالعكس وكان في تنفيذها خطر عاجل منذر بقلاقل ذات بالٍ ونتائج مضرّة وظهر تعذر اجرائها أُضطرّ إلى التوقف عن العمل بها وأصبح من الضروري اللازب ايجاد طريقة حلٍّ موافقة غيرها

ولا بدّ من أن يكون ألفت انظارك مسألتان جديرتان بكل اعتبار وهما ان الموارنة والدروز أعلنوا على رؤوس الاشهاد ان في وسع الامير بشير الكبير وحده ادارة شؤون الجبل . وان المسيحيين اذا يئسوا من الحصول على متمنياتهم يؤثرون واليًا تركيًا على عاملٍ درزيٍّ وانهم كانوا أوشكوا ان يلتمسوه . ومن ثمه انهُ بناء على اقتراح قنصلنا الذي وافق عليه رصفاؤه وفيهم قنصل انكلترة واستحسنهُ الباشا توقف هذا عن تنفيذ الاوامر الواردة اليهِ من الاستانة بخصوص الاقضية . ان اسعد باشا استدعى الموارنة والدروز إلى عقد مجلس يتبادلون فيه الاراء ثم يرفع ملخص هذه المفاوضات إلى الباب العالي ليقطع في الامر

فعليك أن تنتهز هذه الفترة لتسعى بالاتفاق مع رصفائك إلى تمهيد السبيل ليكون قرارهم مطابقًا لما توجبه حقوق الانسانية والرصانة وصالح لبنان في شأن الامن وموافقًا لقواعد سياسة صادقة خالية من كل غش . إذ يجب ألاّ ينفرد الباب العالي بالتحقيق في هذه المسألة وبتها نهائيًا . ويقتضي أن تفصل هذه المسألة بمساعدة الدول

وبالاتفاق مع ممثليها . ومن اللازم أن يكون حلها طبق القاعدة التي ذكرها المسيحيون في عريضتهم للباشا فوعد بارسالها إلى الاستانة . فاعضد هذه العريضة التي أوضح بها الموارنة قاطنو الاقضية المهددة بالحاقها بالقائم مقامية الدرزيّة بأجلى بيان جور هذا التدبير وتعذر وضعه موضع الاجراء بأجلى بيان . ولا حاجة إلى ان أضيف إلى ما تقدم انهُ يجب ألا يحول في بال أحد امكان تولية أمور هذه المقاطعات والٍ تركي اذ ان هذا الرأي الفائل يدل فقط على يأس الذين خالج فكرهم حتى اذا لاقى بعض القبول لدى الحكومة التركية فيجب ان تفهمها بصورة قاطعة ان اوربا لا توافق عليه أبدًا

وقصارى القول اني اثبت لك مجددًا ياحضرة البارون التعليمات والتحريضات المنطوية عليها رسالتي المؤرخة في ١٣ نيسان . أمّا مسألة اعادة الاسرة الشهابية إلى امارة الجبل في شخص رئيسها أو أحد انجال الامير بشير فيبان ان الميل يشتد اليها بزيادة عمّا قبل من جرّاء الحوادث . فهي تستحق الملاحقة ودوام الاهتمام بها ولذلك استأنف الفات نظرك اليها

٨٠ رسالة البارون دي بوركنه الى المسيو غيزو في ١٧ ايار سنة ١٨٤٤
[١٨ ربيع الاول سنة ١٢٦٠]

ياحضرة الوزير

لقد ألفتُ نظر ناظر الخارجية العثمانية بكل الحاح الى حالة لبنان واعلمتهُ ان حكومة الملك رأت بمزيد الاستياء ابطاء في اتمام وعود الباب العالي فالتعويضات المرصدة للموارنة لم تدفع لهم وكلتا الطائفتين تظهران استياء متساويًا من التدابير الموضوعة سنة ١٨٤٢ ومن عدم اجرائها تمامًا ثم قلت لهُ انهُ يظهر ان مسألة النواحي المختلطة السكان لو وضعت موضع الاجراء تؤول إلى الاجحاف بحق أحد الفريقين

لكونها تهدد بجعل المظلومين تحت حكم الظالمين دون مراعاة نسبة عدد سكان أقضية جنوبي الجبل . واني وان لم اكُ مفوضاً بوصف علاج وحيد ضامن شفاء هذه الحالة فلا بدَّ لي من ان اتذكر ان الجبل نجح تحت ادارة امرائهِ السابقين وهيئة حكومة مختلفة عن هذه . ولم يكُ بوسعي الاَّ أن افتكر بمزيد الامتعاض ان الباب العالي بتبديله الهيئة الحاكمة وطريقة الحكم قد أوجد لذاته مشاكل مع ان مهمة كلينا ترمي الى توطيد الامن في الجبل وسعادة اهليه . فهذه الاشارة الاولى الى الشهابيين دون تسميتهم قد ادركها رفعت باشا واعتقد انها كافية الان وهي اساس لمساعيَّ المتواصلة في هذا السبيل

٨١ — كتاب اللورد ابردين الى المطران تقولا مراد في ١٨ ايار سنة ١٨٤٤
[٢٩ ربيع الاخر سنة ١٢٦٠]

وصل كتابك المؤرخ في ٤ ايار مشفوعاً بعريضة مسيحيي جبل لبنان المؤرخة في ٣ نيسان فلست اريد ان اكشف لك عن الشواعر التي حسست بها عند تلاوة الافتراءات السافلة المنطوية عليها هذه العريضة بحق أحد موظفي الحكومة الانكليزيَّة وقد طالما حصل بسلوكه على رضاها التام . واني لآسف على انك رضيت ان تكون الواسطة لايصال مثل هذه العريضة وتدعي انك صديق صدوق للكولونل روز . وفي نيتي ان ارسلها الى الكولونل المشار اليه ليطلع على اسماء الاشخاص الذين تجاسروا على ابلاغ حكومة جلالتها هذه الافائك السافلة

أمَّا اذا اعتقد مسيحيو جبل لبنان انهُ يتسنى لهم بمثل هذا العمل ان يزعزعوا الثقة الوطيدة التي وضعتها حكومة جلالتها في موظف سلم سلوكه من كل ملامة أو انه يمكنهم اكتساب عضدها في مسألة يستعملون في الدفاع عنها هذه الوسائل الدنيئة فهم في غرور

ان حكومة جلالة الملكة لا ترغب قط في مساعدة عنصر على آخر وايلائه السيادة في جبل لبنان ولا تحمي ولن تحمي أيّ حزب كان يسعى لاطالة الحرب الاهلية ويحتقر اوامر سلطانه الشرعي ورغائب الدول الاروبية في ايلاء لبنان السلم والراحة

٨٢ – رسالة بطريرك الموارنة الى الكولونل روز في ٣٠ ايار سنة ١٨٤٤
(٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٦٠)

لقد ورد علينا كتابكم المؤرخ في ٢٧ الجاري وفهمنا مضمونه وفيه تخبرونا انكم تلقيتم تحريرًا من اللورد ابردين وزير الخارجية في لندره يحتوي على المراسلة التي دارت بين الوزير المشار اليه واخينا المحترم المطران نقولا مراد وان سيادته ارفق احد تحاريره بعريضة خالية من الاختام والتواقيع مرفوعة إلى حكومة جلالة الملكة من اعيان الموارنة في جبل لبنان وقد ذكر انه معتمد الامة المارونية ويلتمس اسوة بمقدمي العريضة اعادة الاسرة الشهابية إلى امارة الجبل ويتهم الحكومة التركية المحلية وحكومة الامير حيدر بالارتشاء والظلم والاستبداد ويشكو من ان الامير حيدر كان في مسألة ميري كسروان السبب في دفع ستين الف قرش بصفة هدية الى دولة الباشا . وبعد ايقافنا على ذلك تسألون عمّا اذا كنا اجزنا للمطران المشار اليه تقديم هذه العريضة او بسط الشكاوى من حكومة جبل لبنان إلى سعادة اللورد ابردين او إذا كنا نعده مندوبًا من قبلنا او من قبل الامة المارونية

فتعجبنا جدًا من خبركم هذا اذ لا اطلاع لنا على العريضة المذكورة ولم نجز للمطران المشار اليه تقديمها ولا نعلم إذا ما كانت الامة عهدت اليه بتقديمها وحيث نجهل هذا الامر فكيف يمكننا ان نعده مندوبنا او مندوب الامة ؟ ان سيادته سافر إلى فرنسا دون اذننا وخفيةً عنا وقد كتبنا ذلك لسعادة الامير حيدر .

ثم اشرتم بتحريركم ايضاً إلى انكم رأيتم اثناء مسألة الميري عريضة تتضمن ثناء على حكومة الامير حيدر وهي موقعة من المطران بولس وسائر الاساقفة ورؤساء الاديار والكهنة واعيان الامة فالامر كما قلتم . وهذه العريضة قد تقدمت للمراجع الايجابية واطلعنا عليها وكل ما تحتويه بخصوص حكومة سعادته منطبق على الحقيقة . اما شكوى المطران نقولا بخصوص الستين الف قرش في مسألة ميري كسروان فهي غير صحيحة ولم يرتش بها لاسعادة الامير ولا الحكومة التركية

هذا وانك تسألنا ان نبقي كتابك سراً فكن على ثقة باننا سنحفظهُ في طي الكتمان

٨٣ – رسالة الموسيو غيزو الى البارون دي بوركنه بتاريخ ٢٤ حزيران سنة ١٨٤٤ و٧ جمادى الاخرى سنة ١٢٦٠

ياحضرة البارون

اوافق على تصريحاتك الجلية الحازمة التي أيدت بها الحجج المبنية على الحقوق الثابتة المقررة التي لا تسمح ببقاء الترتيبات الموضوعة سنة ١٨٤٢ لحكومة الجبل على سبيل الامتحان كما اخبرتني في رسالتك رقم ١٧ ايار واوافق أيضاً على الاسباب التي توجب عدم فتح باب هذه المسألة إلاّ على اساس اعادة حكم الجبل الى الاسرة الشهابية . وقد أوعزت إلى سفرائنا في لندره وڤيانا وبرلين وبطرسبرج أن يسعوا في جمع اراء الحكومات وكلماتها اذا امكن لترسل تعليمات واحدة الى ممثليها الخمسة في الاستانة . وقد اتصل بنا ان حكومة ڤيانا استحسنت الكلام الذي فاه بهِ الموسيو ستورمر والخطة التي نهجها وانها أوصت الموسيو دي نومان أن يلح بالاتفاق مع الكونت دي سان اولير على اللورد ابردين بالانضمام إلى رأي فرنسا والنمسا ايجاباً لاعادة الحكم السابق الى لبنان وفقاً لما كان عليهِ حتى سنة ١٨٤٠ . والان

لا يسعني إلّا تصويب الخطة التي رسمتها للموسيو بوجاد وما تنوي ان تسعى اليهِ منفردًا لدى النظار العثمانيين بلوغًا إلى الحل الذي نرجوه

٨٤ – كتاب ابلاس هوا معتمد الموارنة في الاستانة الى البارون دي سنور سفير النمسا في ٢٨ حزيران سنة ١٨٤٤ (١١ جمادى الاخرة سنة ١٨٦٠)

ياصاحب السعادة

اني قيامًا بواجب الاحترام أجيب على السؤال الذي تنازلتم بالقائهِ عليَّ استفهامًا عن ارادة غبطة بطريركنا الماروني بخصوص اعادة الحكم الى الاسرة الشهابية ولاسيما الامير بشير . فاؤكد لسعادتكم ان غبطته قد اظهر غير مرة رغبته الشديدة باعادة حكم امارة لبنان إلى الاسرة المشار اليها فهو وجميع العقلاء يعترفون بل هم متيقنون بان لا أمل باستتباب الراحة والامن في لبنان اذا لم يعد الحكم الى هذه الاسرة . ومما تقدم يتأكد لسعادتكم شديد رغبة بطريركنا والامة المارونية جمعاء في ادراك هذه الامنية وكثيرًا ما اعربا عنها للباب العالي كتابةً وبواسطة سيادة المطران نقولا مراد الذي عهد اليه غبطة البطريرك في التماسها من الباب العالي

وعدا ما تقدم فانا اعلم ان سيادة المطران مراد المشار اليه تلقى مرات عديدة وكالات عامة وخاصة من الاكليروس والشعب يسمونه بها معتمدهم وممثلهم واكلين اليه بذل المساعي لاعادة الحكم إلى الشهابيين وقد أرسل اليه مثل هذه التحارير قبل سفره من باريس وبعدها . حتى ان غبطة البطريرك ذاته احب ان يولي معتمده مزيد نفوذٍ في المهمة الموكولة اليه فكتب إلى الكرسي الرسولي راجيًا اليه أن يرقيه الى مقام الاسقفية بحيث يكون متمتعًا بالاختصاصات والامتيازات اللازمة بصفتهِ ممثل غبطة البطريرك وجميع شعب لبنان المسيحي . ثم يذهب سيادته الى باريس

ليلتمس من جميع الدول اعادة الشهابيين الى حكم امارة لبنان
فهذا كل ما يمكنني اعلام سعادتكم بهِ ولي الشرف ان . الخ ...

٨٥ – يورلدي اسعد باشا الصادر عنه ببروت في اول تموز سنة ١٨٤٤
و١٤ جمادى الاخرة سنة ١٢٦٠

الى جميع الامراء والمشايخ والوجوه متقدمين وفلاحين والى جميع سكان جبل لبنان من يافا إلى آخر المتن

انهي اليكم . ان دولتلو عطوفتلو قبودان باشا (١) وصل ومعه عدة بوارج من الاسطول الهمايوني عليها جنود من جيش جلالته المنظم وهو يحمل اوامر سامية توعز اليه بالسعي والاتفاق معي لتنفيذ التدابير المتفق عليها في تنظيم شؤون لبنان. وهذه التدابير تشمل مسائل التعويضات والادارة وغيرها وتوطيد الامن والراحة بين جميع سكان الجبل اغنياء وفقراء على السواء . وقد بدأنا منذ الان بعون الله ان نتذرع بكل

---

(١) هو خليل باشا صهر السلطان وناظر البحرية وصل سوريا في شهر حزيران سنة ١٨٤٤ واستقدم منها بعد مذابح سنة ١٨٤٥ بناء على احتجاج الدول وعُزل من نظارته لكنه فيما بعد عين ناظراً للتجارة . وكان في بدء امره عبدًا جركسيًا ابتاعه خسرو باشا بعشرة الاف قرش فترقى في مراتب السلطنة وزوّجه السلطان ابنته وعند وصوله إلى بيروت أذاع اسعد باشا هذه النشرة فاعترض عليها سفير فرنسا لمخالفتها المهمة الموكولة اليهِ لان الباب العالي كان قد ابلغ السفير ان المقصود من ارسال صهر السلطان السهر على دفع التعويضات للموارنة. وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٨٤٤ اوجب على المسيحيين دفع الضرائب المتأخرة عليهم منذ ثلاث سنوات قبل بتّ مسألة التعويضات التي سيقرُّ الرأي عليها في ديوان بيروت بالاتفاق مع المشايخ أصحاب الاقطاع ووكلاء الشعب كما سيرد تفصيل ذلك في موضعه

الوسائل الكافلة اتمام هذه المهمة . لكنه بلغ مسامعنا وجود مساعٍ بين الامتين الدرزية والمسيحية منصرفة الى توقيع عرائض تتضمن طلب اعادة الامير بشير الشهابي الى حكومة لبنان . فهذا من المحال ولا يمكن نواله نظرًا الى القرارات التي اتخذها جلالة السلطان بالاتفاق مع الدول صديقاته . ولذلك استغربت جدًا خفة الاهالي الذين قاموا بهذه الحركة المخالفة لنية جلالته وسائر الدول المار ذكرها وطياشتهم . ولما كان مقنوط من نجاحها فلا يرتجى منها نفع بل من شأنها ان تجر عليهم القصاص

وبما اننا مدفوعون بعوامل الشفقة عليكم جميعًا أنفذ اليكم هذا البورلدي لتحذيركم من سوء النتائج التي تجرّكم اليها مساعيكم العقيمة

فمتى وصل اليكم واطلعتم عليه يجب عليكم ان تجتهدوا بان تفيقوا من ضلالكم وتنتبهوا من غفلتكم فـآتوا جميعًا كبارًا وصغارًا وجوهًا وفلاحين واحذروا من ان تتلفظوا من الان وصاعدًا باسم الامير بشير او باسم اسرته الشهابية وتيقنوا ان من المستحيل اعادة المشار اليه او احد افراد اسرتهِ واجتنبوا التفوه بمثل ما تقدم . فاننا نبذل جهدنا بظل الحضرة الشاهانية الظليل ان نضمن راحة جميع السكان ورفاهيتهم ونحلّ مسألة التعويضات بطريقة مرضية وننظم الادارة وسائر الشؤون الاخرى . ولا شك انه بعون الله يحصل الجميع على فوائد الراحة والامن غاية رغائبهم . انما يقتضي ان يستسلموا الى السكينة ويتحاشوا كل حركة وذكر الامير أو اسرته الشهابية . واذا لا سمح الله بلغني منذ الان انكم تلفظتم بمثل هذا الكلام أو سعيتم الى توقيع عرائض على هذا المنوال أو فعلتم ما يشابه ذلك تنزل في كل من يفعل أو يتلفظ بمثل ما تقدم ما يستحقهُ من العقاب ولا يجد عفوًا ولا صفحًا عن ذنبه فيندم ولات ساعة مندم . فاحذروا من مخالفة هذه الاوامر لكي لا تقعوا في وهدة الشقاء

فبناء على ذلك اقتضى الان انفاذ بيورلدينا هذا اليكم من ديوان مشيريتنا في ولاية صيدا وملحقاتها لكي بوصولهِ اليكم ووقوفكم على مضمونه تبادروا إلى

اجراء العمل بموجبه وتتحاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد

٨٦ – نشرة اسعد باشا الى اهالي جبل لبنان بتاريخ اول تموز سنة ١٨٤٤
[١٤ جمادى الاخرة سنة ١٢٦٠]

صدر مرسومنا هذا المطاع الواجب القبول واللازم الاتباع إلى جميع مسيحي الجبل بوجه العموم من جبة بشراي إلى جونية ليحيطوا به علماً

انه منذ بضعة أيام وصل إلى هنا دولتلو عطوفتلو قبودان باشا قائد الاسطول الهمايوني المظفر الحامل عدداً عظيماً من الجنود المنصورة وكميّات وافرة من المؤن والذخائر وقد وكل الى دولته ان يسوّي شؤون لبنان وينظم ادارته بالاتفاق معنا. وكان ان اتصل بنا ان بعض المقاتين اعداء الراحة العمومية اتفقوا مع بعض الدروز سعياً وراء توقيع عرائض لدولته التماساً لاعادة الامير بشير شهاب إلى حكم الجبل مما يتعذر تحقيقه لان الباب العالي ارتأى بالاتفاق مع الدول صديقاتهِ ألاّ يستخدم الامير بشير أو غيره من أفراد اسرته. ولمّا كانت هذه المساعي من شأنها اقلاق الراحة العمومية ولاسيما راحتكم يجب أن تتحاشوها وكل من تجاسر على التكلم أو السعي في هذا السبيل انزلت بهِ أشدّ العقوبات. ولنا الامل انه بعون الله وسطوة الباب العالي يستظل جميع السكان في افياء الراحة

٨٧ – رسالة اللورد ابردين الى اللورد كولي بتاريخ ٥ تموز سنة ١٨٤٤
[٨ جمادى الاخرة سنة ١٢٦٠]

ان طريقة الحكم الحالية وقوامها قسمة الجبل إلى قائم مقاميتين أحداهما مارونية والاخرى درزيّة تحت سيطرة والٍ عام تركي قد عولت عليها الدول الخمس منذ

سنتين تقريباً بعد مفاوضات طويلة واتفاقها مع الباب العالي. ولم تكن الدول الخمس المشار اليها لتعدها وافية بالمراد لان نواقصها بادية فيها . بيدَ ان المصاعب العارضة في سبيل هذه المسألة وأخصها رفض الباب العالي اعادة الحكم إلى الشهابيين كانت على جانب عظيم من الخطورة ان لم نقل انه يتعذر التغلب عليها بحيث انه بدا بعد بحث طويل بين الدول ذاتها والباب العالي ان طريقة قسمة الحكم إلى قائم مقاميتين تحت سيطرة والٍ تركي هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها تمهيداً لعقبات هذه المسألة

وبناء عليه أُقر القائم مقامان في منصبيهما بعد فترات طويلة وحوائل كثيرة فعقب ذلك الاضطراب الذي لم يكن من بدٍّ من حدوثه على أثر ادخال طريقة حكم جديد إلى بلاد لم يتم تمدنها بعد . وعلى كلٍ فلم يخالج قط فكر حكومة جلالة الملكة انه سينتج عن تبديل هيئة الحكومة اللبنانية في الحال استتباب الامن والراحة فيه . فلقد وقعت منازعات بين الموارنة والدروز وبين هذين الفريقين والسلطة التركية والحكومة المحلية مما لا بدّ منها . انما بفضل مساعي القناصل الاجانب في بيروت ولاسيما قنصل انكلترة ومعاونة الوالي التركي في آخر الامر زالت اسباب الشقاق وخمدت نار احداثها .وعندي انها كانت همدت تماماً الان لو لم تنصرف دسائس فريق من الموارنة ومساعيهم — وهي لم تزل موجهة - إلى بلبلة الحالة الحاضرة لمقاصد ملتوية قصد استبدال هيئة الحكم الحالي بالحكم السابق اعادة لامارة الجبل الى الاسرة الشهابية فهي لعمري طريقة أعترف حديثاً بعدم مناسبتها

هذا وان التحارير المرفوقة بهذه الرسالة التي تلقتها جلالتها من قنصلها العام في سوريا توضح باجلى بيان الوسائل التي يتذرع بها الحزب الذي أشرت اليه أنفاً ومن أهم رؤسائه (لم يبقَ الان ريب بذلك) نقولا مراد رئيس اساقفة اللاذقية الذي اقام مدة في باريس. ومن اطلاعكم على هذه التحارير تعرفون ان هذا الرجل ليس

بمندوب مفوض من قبل الموارنة كما زعم. فلقد انكر بطريرك الموارنة والمطران طوبيا كل منهما على حدة مهمته المزعومة فيظهر من تصريحات هذين الشخصين الساميين ان المطران مراد قد أذنب بانتحاله لنفسه عن سوء قصد وبطريقة الخداع صفة ليست لهُ وان المقامين العاليين المشار اليهما مستاءان من مساعيه ومتريبان منها لابل يرذلان عمله

أمّا إذا أمتحنت طريقة الحكم الحالية في لبنان بصدق مدة كافية وثبت عدم ملائمتها فحكومة جلالتها تكون على قدم الاستعداد إذ ذاك للاتفاق مع سائر الدول ذات المصلحة للاهتمام بتعديلها أو ابدالها بغيرها اذا ما اقتضى الامر. ولمّا كانت الدول الخمس قد أقرّت رأيًا على هذه الطريقة بالاتفاق مع الباب العالي وجب ان يتم الاتفاق على ابدالها بغيرها بين الدول العظمى والباب العالي أيضًا. لكنهُ ليس من الملائم بل من الضرر العظيم تغيير طريقة حكم مهما كان فيها من النواقص ـ قد عوّلت عليها الدول الخمس بالاتفاق مع الباب العالي حديثًا بعد مفاوضات مشهورة ـ لم تُمتحن حتى الان تمامًا ولاسيما ان الظواهر تدل على ان الحكومة التركية والموارنة والدروز مستعدون لقبولها ان لم يكن عن طواعية واختيار فعلى الاقل عن حسن نية ونزاهة قصد

ويُخيّل لنا ان هذا الامر ثابت من كتاب الكولونل روز واخصه ـ فيما يتعلق بالباب العالي ـ من رسالة السير ستراتفورد كانين المنفذة في ٣ حزيران وفي طيه صورة عنها

ليس للحكومة الانكليزيّة أقلّ صالح أو غرض خاص بالالحاح في هذا الشأن وانما جلّ رغبتها ان تضمن ما امكن نشر سرادق الراحة في لبنان وقيام حكومة منظمة فيهِ واجراء سلطة الباب العالي عليهِ بطريقة سلمية. وهي في الوقت ذاته ترى انه على الدول الخمس كلما شاءت عملًا بالاجماع أن تظهر لدى العموم بمظهر المتروي فلا تعتزم على أمر إلاّ بعد انعام النظر فيه بكل سكينة وتوطيد النية على تنفيذه بحزم

مقرون بالاعتدال اتقاء مناقضتنا بعضنا بعضاً وتعريض ما لنا من النفوذ الضروري المفيد لدى الباب العالي للخسران وذلك باظهارنا التردد والحيرة الحاطين من هيبة كل حكومة والجارين وراءها الاخطار دائماً . وبغير هذه الخطة لا يمكنها ولا يحق لها أن تأمل في الحصول على ثقة الباب العالي واحترامه

وفي نيتي ان ابلّغ اراء حكومة جلالتها في هذا الشأن الخطير إلى سفيرها في الاستانة وان اوعز اليه بتطبيق سياسته عليها

٨٨ – تعليقات المستر ابسوده (١) كاتب اسرار اللوردة الشرفية في سفارة انكلترة في الاستانة على شكوى المطران نقولا مراد بتاريخ ٣ ايلول سنة ١٨٤٤ و١٩ شعبان سنة ١٢٦٠

شكوى المطران	نقدها
١ً ان الفوضى ضاربة اطنابها الان في لبنان تمرح فيه بكل حرية وهي مصدر واردات الباشا ومأموريه	١ً ان السكينة العامة والامن اللذين سادا فعلاً في لبنان في مدة السنتين الاخيرتين يناقضان قوله « ان الفوضى لضاربة اوتادها مشتدة اطنابها الان في لبنان تمرح فيه بكل حرية ». ومن ثمّ لو كانت الحالة على ما ذكر لتعذر مواصلة

(١) قال الموسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت ان سفارة انكلترة في الاستانة ارسلت المستر أليسون الى سوريا بحجة مراقبة طريقة تنفيذ الحكم الجديد والحقيقة انه جاءها لتأييد خليل باشا (قبودان باشا) قائد الاسطول العثماني ومنع الاهالي من طلب اعادة امارة لبنان الى ما كانت عليه والعهد بها إلى أحد من أفراد سلالة الامير بشير الشهابي

قطف المواسم واستغلال الارض

أجل ان اسعد باشا أتهم بالارتشاء لكن هذه التهمة لم تثبت

٢ً فالقتل

٢ً لا ريب في ان المسيحيين والدروز هم الذين ارتكبوا جنايات القتل المذكورة وان الشكاوى لم تسفر عن اظهار الجناة ومجازاتهم نظرًا لعدم وجود سلطة حازمة. فيجب نسبة ذلك الى الحكومة التركية التي ارتكبت خطاء عظيمًا بابعادها الجنود التي كان اللورد ابردين قد ارتأى وجوب ابقائها حفظًا للامن في شعب نصف همجي حتى ان اسعد باشا شكا من سحب هذه الجنود وخطأ هذه السياسة

٣ً والسلب متواصلان

٣ً لم اتمكن من ان استثبت ما يرويه عن استمرار السلب والنهب وعلى اية حادثه بنى روايته

٤ً بحيث لا يستطيع احد ان يخرج منفردًا عن مقره مسافة ساعة دون ان يكون مصحوبًا ببضعة رجال مسلحين

٤ً لا اتردد في التصريح بان هذا القول طائش مرسل على عواهنه اذ اني بمروري في قضاء الشوف المأهول بالدروز والمسيحيين حيث بلغ العداء معظمه بين الفريقين التقيت بفلاحين من الطائفتين

وكالمتهم وكانوا وحدهم عزّلاً وهم مسافرون الى أماكن يستغرق الوصول اليها يومين أو ثلاثة أيام . أما السكان الذين ليسوا من طبقة المزارعين فهم دائماً مسلحون بحكم العادة ان في بيوتهم وان في خارجها. واعتقد ان ذلك من قبيل الزينة وليس بقصد استعمالها . غير ان الاوربيين وسكان مدن سوريا الكبرى يسافرون بكل أمن بدون سلاح. ومن ثمه ليس في حمل السلاح ما يوجب الاستغراب لانها عادة منتشرة كثيراً في تركيا ولاسيما في اسيا الصغرى المعروفة بانها اكثر أمناً من سائر الولايات

٥ً وكثيراً ما يعثر على جثث القتلى ملقاة في الطرقات على بعد ربع ساعة ونصف ساعة من بيروت فترفع الشكوى إلى القائم مقامين فيجيبان انهما لا يستطيعان شيئاً. واذا ما التجىء الى الباشا طلباً لمجازاة القتلة كان جوابه «لا بأس فلا أهمية للمسألة»

٥ً راجع الملاحظة رقم ٢

٦ً ان اسرتي حبيش ودحداح هما في نزاع دائم توشكان أن تتفانيا وقد قُتل من الاولى اربعة ومن الثانية واحد وافرادهما

٦ً هذه الحوادث جرت قبل تعيين القائم مقامين . ويقال ان حبيشياً قتل دحداحياً منذ سنة فيجب ألا يستغرب

هم دائماً متسلحون يسعون للفتك ببعضهم ومن ثمه فموقف الاهلين حرج بين هاتين العائلتين وقد التمسوا من القائم مقام ان يبادر الى اصلاح ذات البين بينهما لتوطيد أركان الراحة فاجاب : انهُ يعجز عنهُ لان الباشا لا يريد ان يسود الوئام في لبنان

عجز القائم مقام عن ايقاف هذه المنازعات الطفيفة لانهُ لم يكن مسنوداً إذ ذاك من الباب العالي

٧ً ان الاتفاقيات السابقة المؤرخة في سنة ١٨٤١ أوجبت على لبنان ان يدفع إلى الباب العالي ١٢٠٠ كيس جزية و٢٣٠٠ كيس لحكومة الجبل قيمة رواتب المأمورين وقضاة المحاكم وغيرهم لكن الباشا استولى على جميع هذه الاموال بامر الباب العالي إلّا انه دفع أموالاً للقائم مقامين ليكونا آلة طوع ارادته وأوامره

٧ً ان الباب العالي ادخل فور اتفاقية سنة ١٨٤٢ بعض تعديلات تتعلق برواتب المأمورين ليستميلهم اليه تمهيداً لبسط نفوذه وقد عرض سفير جلالتها في الاستانة تسوية هذه المسألة كما ان الامير حيدر لم يشكُ من ذلك

٨ً وكلما ارادا القيام بواجبهما يظهر لهما كدره منهما وريبته فيهما ويهددهما بالعزل

٨ً هذا غير صحيح فالامير حيدر واسعد باشا على اتفاق تام وكلاهما آسفان على عدم تمكنهما من اجراء سلطتهما حتى الان

٩ً وعدا ما تقدم ان الباشا المشار اليه استولى على عوائد المشاعات المرصدة للخير العام مجبراً القائم مقام الماروني على دفع ١٠٨ الاف قرش لسد العجز الناتج عن

٩ً لم اتمكن من ان اتحقق ما يراد بلفظة « عوائد المشاعات » فاذا كان يقصد بها البكاليك فيحق للدولة استيفاء دخلها ويظهر ان الاميرين خصصا أنفسهما بهذا

هذا الاغتصاب وجميع هذا مخالف لصك معاهدة سنة ١٨٤١

الدخل

١٠ هذا وان الفوضى قد عمّت أيضاً الدروز فقد اقتتلوا حديثاً في احدى القرى وأسفر عراكهم عن ٣ قتلى وكثيراً من الجرحى بحيث اضطرّ الفلّاحون الذين يحرثون الارض إلى حمل السلاح ويدهم على المحراث

١٠ هذا القول لا ينطبق على الصحة وربما يشير إلى منازعات وقعت بين الجبليين وستتناسى إلاّ اذا سُفكت فيها الدماء. ويتعذر الحصول على تفاصيل هذه الكوائن وان كانت احداها التي يذكرها الاسقف قد ابلغها الكولونل روز في حينها الى السفارة

وفي خلال تجوالي في البلاد شاهدت الموارنة والدروز في قضاء الشوف يشتغلون بالحصاد من غير نزاع يدعو إلى ايجاد قوة للمحافظة

١١ ان قدري بك المولّى على قيادة الجيوش في دير القمر أثار قتالاً في آخر شهر كانون الاول سنة ١٨٤٣ بين الدروز والمسيحيين ثم أمر بنهب الاخيرين وقتلهم فقُتل وجرح كثيرون

١١ منشأ هذا القتال أسباب سافلة وليس لقدري يد فيها ولم يقدم الدروز على سلب شيء فان عددهم بنسبة واحد إلى اثني عشر وأظن ان الكولونل روز ذهب الى محل الحوادث وكتب لائحة بهذا الشأن

١٢ كان في عداد شروط الاتفاقية المعقودة في الاستانة في ٧ ك ١ سنة ١٨٤٢ ان الحكومة ستستدعي من سوريا جميع الالبانيين فلم تقم بعهدها. وفي كل يوم يشاهدون في سوريا ولاسيما في بيروت مع

١٢ ان الالبانيين أُبعدوا جميعاً تقريباً ثم أُستخدموا مجدداً بعد ذهاب الجنود المنظمة. ورئيسهم عباس مشتهر بعدله وبأسه لكنه متغطرس فتصرفه المملوء انفة تجاه الحكومة التركية كان سبب ابعاده. اما

زعيمهم عبّاس ونفوذه في هذه المدينة يضاهي نفوذ الباشا . وفي ٨شباط دخل الالبانيون الى جبل لبنان مع سائر الجنود التركية ولاشك بانهم اقترفوا فظائع كثيرة

١٣ قد أخذ باشا بيروت بواسطة القائم مقام ٦٠ الف قرش من اقطاعة كسروان قبل تنفيذ أمر الاستانة المؤذن باعفائها من الضرائب مدة ثلاث سنوات تعويضاً عمّا أصابها من الخسائر في سنة ١٨٤٠

١٤ فحدث من جرّاء ذلك خلاف بين كثيرين من أفراد الاسرة الخازنية. فان قسماً من أفرادها واتباعهم ثار وحرّض الشعب على مقاومة القائم مقام والباشا فكانت الاضرار جمة . وكل فرد من الاسرة الخازنية يتبع حزباً والباشا مسرور من هذا الانقسام

١٥ ان الباب العالي عيّن حديثاً برضا السفراء قائداً تركياً في دير القمر وجوارها خلافاً لمعاهدة سنة ١٨٤٢

الفظائع التي كان يتوقعها المطران نقولا مراد فلم تحدث والرئيس الحالي الذي عُيّن بناء على اقتراح السفارة في سنة ١٨٤٢ حائز بكل حق احترام الاحزاب ورضاها

١٣ لم اتمكن من استثبات صحة هذا القول فاذا كان لهُ نصيب من الصحة فلا بدّ من أن يكون المال أستوفي من كل الشعب فاصبح الامر معروفاً من الجميع

١٤ ان الاسرة الخازنية مشهورة بأنها مقلقة فبعض أفرادها قابلوا مجاملة القائم مقام لهم بالسعي لاسقاطه . على اني لم اتمكن من معرفة ما اذا كان سوء سلوكهم أحدث ثورة أو إذا كانت اقطاعتهم تضررت من ذلك

١٥ ان تعيين قائد عسكري موقتاً لدير القمر قد وجد ضرورياً لازماً لضمان راحة البلدة المذكورة فنشأ عنه ان كثيرين من العائلات المسيحية التي هاجرت قبل سنة ١٨٤٢ عادت اليها . وقد امتدح اهم زعماء الموارنة في تلك البلدة

١٦ وفوضه ان يعين فى كل قرية زعيماً درزيًا وآخر مسيحياً بحيث اذا كان مجموع القرى ٣٠ او ٤٠ يكون مجموع الزعماء ٦٠ الى ٨٠ ،فهذا التدبير من شأنه الاجهاز على لبنان واتمام خرابه

١٧ وعليه فان حماية اوربا للبنان قد اثارت عليه حقد الاتراك الشديد فجرّ ذلك الى خراب يقتضي اكثر من مئة سنة للعود الى الحال التي كان عليها في سنة ١٨٣٩ والى حرمان الاسرة الشهابية محامية لبنان الوحيدة من حكم الامارة وفقدان جميع الامتيازات القديمة العهد وتجزئة البلاد واخضاعها الى عدة زعماء متنافرين . وبعد هذا الايضاح وهو جزء من بعض الفظائع التي ارتكبت في لبنان يتسنى لحضرتكم الحكم في ما اذا كانت الراحة سائدة فيه ويتمهد لكم الوقوف على الاسباب التي يمكن الدول الاستناد اليها لاعادة الحالة التي أسف لبنان على خسارتها

مصطفى بك

١٦ لم يتسنَ لي ان اتحقق صدق قوله

١٧ هذا القول يدل على نكران الجميل اذ ان حماية اوربا قد حالت دون رجوع امير لم يحترم حياة رعاياه ولا اموالهم ولا سلطة سلطانه . وعدا ما تقدم فقد جعلت البلاد في حالة تفوق حالة سائر المسيحيين في السلطنة امتيازات وضرائب ووقاية من كل ضرر او خطر خارجي

٨٩ ـ مذكرة الكونت دي بيسارود وزير خارجية الروسية المبلغة الى اللورد ابردين في شهر ايلول سنة ١٨٤٤ [شعبان سنة ١٢٦٠]

ان من رأي الحكومة الانكليزية وجوب أطالة مدة أختبار طريقة حكم لبنان الحديثة الوضع توصلًا الى مزيد التحقيق عن ملائمتها او عدم ملائمتها وهذا رأي سديد لان التقارير التي تلقيناها من معتمدينا لا تدل على عدم امكان اجراء النظام الحالي . فاذا كان الجبل مضطربًا فمعظم سببه على ما اظن هو صرف المساعي الى دوام تأميل اللبنانيين الراغبين في اعادة الحكم الشهابي . فاذا أريد ايقاف هذا الاضطراب فعلى الحكومات ان تتفق على الايعاز الى معتمديها بالاخلاد الى السكينة وان يتحاشوا تهييج خواطر اللبنانيين . واذ ذاك يتسنى الحكم فيما اذا كان ممكنًا أو غير ممكن تنفيذ طريقة الحكم الموضوعة حاليًا للبنان

فينبغي ان يترك الوقت الكافي لاجراء هذا الامتحان حتى اذا استمر الجبل بعد هذه المدة راتعًا في بحبوحة الامن يبقى العمل جاريًا مجراه في النظام الحالي .

أما إذا ظلت القلاقل متعاقبة اقتضى اذ ذاك ان يترك للباب العالي حق المبادهة بمفاوضة الدول في ابدال طريقة الحكم الحالية وحينئذٍ يمكن الحكومات المذكورة ان تصرح « انه اذا كان الباب العالي يرى مناسبًا اعادة الحكم إلى الاسرة الشهابية فلا يعارضنه في ذلك ». بيد انه مع موافقتهنَّ على اعادة الحكم إلى هذه الاسرة يحتفظن بحقهنَّ في الاحتجاج على اعادة الامير بشير الكبير لانه أبعد عن الحكم لاسباب خطيرة وأنهم يحق بموازرة محمد علي فهذا السبب يولي الحكومات المشار اليها الحق بان تنصح الباب العالي ان يعدل عن اختيار هذا الامير

وقد كان سبق ان أظهر الميل إلى تعيين الامير امين فاذا ما شاءت الدولة من تلقاء ذاتها الموافقة على تعيينه أمكن الحكومات ان تقبل به متى برهن الامتحان

الطويل على وجوب ابدال الحكم الحالي حبًّا براحة أهالي لبنان

فاذا اتفقت الدول على الخطة المبسوطة أنفًا تسنى لها أن تتقي حدوث مشاكل وخيمة العاقبة وان تراعي سلطة الباب العالي ولا يناقضن ذاتهن بذاتهن وبالعكس إذا تعجلن منذ الان بتغيير طريقة الحكم الموضوعة بناء على مشورتهن ولم يفسح لها في الوقت الكافي لاثبات قدمها.

٩٠ ـ عريضة مسيحي دير القمر الى قناصل الدول الخمس في بيروت بتاريخ ايلول سنة ١٨٤٤ [رمضان سنة ١٢٦٠] (١)

ان عبيدكم التعساء مسيحيي دير القمر وجبيل والشوف وتوابعها المعروفين باسم مسيحيي الاقطاعات المختلفة يعرضون ما يأتي :

تعلمون لا شك ان وكلاءنا ذهبوا الى بيروت لتقبيل ايدي اصحاب الدولة الباشاوات

---

(١) بعد ان عاد خليل باشا في ١٢ ايلول سنة ١٨٤٤ الدروز والمسيحيين المجتمعين ان الباب العالي ابقى طريقة حكم القائم مقاميتين واعترف للقائم مقام الدرزي ولاصحاب الاقطاعات الدرزية بالنظر في شؤون المسيحيين الموجودين في القائم مقامية المذكورة رفع المسيحيون عريضة الى قناصل الدول الخمس ملتمسين تعميم الطريقة التي عُمل بها في دير القمر الى سائر القرى الاَّ وهي تعيين وكيلين في كل قرية احدهما عن الدروز والاخر عن المسيحيين مرجع كل منهما قائم مقامه . فارسل قناصل الدول هذه العرائض الى الاستانة مشفوعة باستحسانهم الا الكولونل روز قنصل انكلترة العام فانه لما كان قد سبق له ان وعد أصحاب الاقطاع الدروز ببقاء المسيحيين تحت سلطتهم سعى لدى قنصلي النمسا وبروسيا لحملهما على عدم ارسال عرائض البطريرك والاساقفة والاهلين الى حكومتيهما . ولم يعلم اللورد ابردين وزير خارجية انكلترة بمشروع الوكلاء المتقدم ذكره الا من سفير فرنسا في لندره فراقه وكتب الى السير ستراتفورد كانين سفير حكومته في الاستانة بوجوب

فصرحوا لهم شفاهاً ان الباب العالي والدول المتحابة رأوا من الملائم وضع المسيحيين تحت ادارة قائم مقام واصحاب اقطاعات دروز . وهذا مخالف للمشيئة الالهية ولارادة ذوي السلطة التي لا تسمح ان يحكم علينا اعداؤنا وسالبو اموالنا . فاسترحم وكلاؤنا المذكورون من اصحاب الدولة العدول عن تعيين حاكم درزي علينا فابوا اجابة ملتمسهم وأمروا بان يهاجر من لا يرضى بالبقاء تحت حكم الدروز . فهذا الخبر احزننا جداً : اولاً . لانه يتعذر علينا القبول بحاكم درزي . ثانياً . لانه يصعب علينا تكدير رؤسائنا ولذلك رفعنا الى اصحاب الدولة المشار اليهم العريضة الاتية :

عاد اليوم عبيدكم وكلاؤنا من بيروت وابلغونا اوامركم بتولية اصحاب الاقطاعات الدرزية علينا وان على الذين يأبون الخضوع ان يهاجروا الى حيث يرون راحتهم . فجاءت هذه الاوامر مخالفة لما كنا نرجوه من حلمكم ولمنطوق عدة عرائض رفعناها لمقامكم ولآل عريضتنا الاخيرة رقم ٦ ربيع الاول وقد بسطنا بها شكاوينا الحقة والاسباب - الساطعة كالشمس في رائعة النهار - الحائلة دون قبولنا بتولي الدروز علينا . ولقد أوضحنا فيها اسباباً كثيرة لا يستطيع احد انكارها تحملكم على قبول رجائنا انقاذاً لنا من الادارة الدرزية . ونحن متحققون ان الباب العالي هو عادل رؤوف يرغب في خيرنا وراحتنا . ولهذا استغربنا كثيراً كيف استحققنا ان نجعل تحت ادارة الدروز بعد كل التوسلات والعرائض الامر الذي يحرمنا كل سكينة وكل امن وهو مخالف لعدالتكم .

الموافقة عليه . فانتدى السفراء وتباحثوا فيه فنازت فرنسا والنمسا باقناع سائر الدول به فطلبن الى الباب العالي تنفيذه . على ان السير سترافورد المشار اليه امتعض من فوز السياسة الفرنسوية وخاف من ان اضعاف سلطة الدروز يدفعهم الى الانضمام الى المسيحيين طلباً لارجاع الحكم الى الامراء الشهابيين فحمل الباب العالي على ان يضيف الى الاوامر المرسلة بهذا الشأن فقرة توجب تقديم الوكلاء الثلاثة بعد انتخابهم الى القائم مقام الدرزي ليختار منهم من يريده . (عن بوجاد)

ونحن نجهل سبب هذا التدبير ولا نقدر أن نفتكر بانهُ مقصود بهِ راحتنا بل عقابنا . ولما كانت حكومتكم عادلة لا تؤاخذ غير الجاني وكنا نعتقد اننا لم نقترف إثمًا ضد حكومتكم ولا ضد الشعب تعذر علينا معرفة ذنبنا الخفي وانما نعلم ما انتم متحققون ان الدروز اساءوا الينا والى الباب العالي ولم ينالوا على ما سفكوه من الدماء عقابًا ولم تزل أموالنا المسلوبة عندهم رغمًا عن الاوامر الصادرة باعادتها . أمن العدل وقد فعلوا ما فعلوا بنا ان نظل تحت ادارتهم ؟ لا نعلم . إنما نحن موطدو العزيمة على ان نموت أشنع ميتة ولا نرضى بولايتهم . ولهذا السبب نلتمس منكم جميعًا يا أصحاب الدولة مستحلفيكم باسم الله القدير المتعال وبرأس سلطاننا ألاَّ تسمحوا للدروز بالحكم علينا ولا تجبرونا على احتمال ما لا طاقة لنا عليه بل تعهدوا بادارة شؤوننا إلى قائم مقام وأصحاب اقطاع مسيحيين إسوة بابائنا لنتمتع بالراحة والسكينة اللتين هما جُلّ رغائبكم المطلوبة من كل راعٍ نحو رعيتهِ . أمَّا أمركم الذين يأبون الطاعة للسلطة الدرزيَّة أن يهاجروا إلى مقاطعة أخرى فنقسم برأسكم العزيز انه يتعذر علينا جميعًا قبول ولايتهم ونسألكم انقاذنا منها . فهل أبواب رأفتكم مقفلة لا تسمعون رجانا ؟ أوَ من مقتضى قوانين الباب العالي وعدالتكم أن نترك بيوتنا وأملاكنا المتوارثة منذ عهد عهيد ؟ والى أين نذهب إذا شئنا ترك مسقط رأسنا ؟ فنحن اكثر عددًا من الدروز ونُكره جميعًا على الجلاء عن مسقط رأسنا بحيث لا يبقى مسيحي بينهم ؟ فمن نأخذ ثمن أملاكنا التي تفوق املاك الدروز ؟ فاذا وجدتم دولتكم وسيلة تمكننا من ترك بيوتنا دون خسارة شيء من اموالنا ودون اتهامنا بذنبٍ ما نرجوكم ايقافنا على هذه الوسيلة وكتابتها على هذه العريضة ونحن دائمًا طائعون لاوامر الحكومة واوامركم . »

فهذا مآل عريضتنا للباشاوات المشار اليهم فنستحلفكم بالله أن تأفوا بنا ولا تدعو سيلًا لخراب جبلنا وتنقذونا مما نقاسيه فكونوا كرمًا ولطفًا وسطاء بيننا وبين

رؤسائنا ليتحننوا علينا ولا يسلمونا لادارة اعدائنا .

٩١ — فقرة من كتاب احد كتّاب سفارة فرنسا في الاستانة الى الموسيو اوجانه بوجاد قنصل فرنسا في بيروت بتاريخ ايلول سنة ١٨٤٤

اني اغتنم الفرصة لاكتب لك كلمة تهنئة بتسوية مسألة الوكلاء . فقد فازت سياستنا رغماً عن معاكسة السير ستراتفورد كانين العنيفة وشدة غيظه . فلا يمكنني ان ابين لك كم قُدر سلوكك في هذه المسألة حق قدره إلا بايرادي لك كلمة بدرت من السير ستراتفورد المشار اليه اثناء المؤتمر اذ قال: « بيد ان هذا رأي الموسيو بوجاد الخاص الذي تريدون حملنا على اتباعه ! » وقد كان الجدال اذ ذاك دائرًا على الطريقة التي اقترحتموها وصار الاعتماد عليها

٩٢ — كتاب آخر منه الى المذكور

ان الاراء التي تغلبت حتى الان هي اراؤك وهذا فوز تام اصبناه وهو ثابت ولا جدال فيه . ولهذا السبب بُذلت المساعي لافقادنا فوائده في غير مسائل واحباط سياستنا في اليونان

وقد تلقينا بلاغًا اشبه — لا اقول باعلان حرب — بل بانذار عداء من قبل تركيا المتحدة مع اليونان . واعتقد ان السير ستراتفورد كان له اليد الطولى في استحصال هذا البلاغ ذي الحدين فهو يسدد سهامه إلى نفوذنا في اليونان التي يخيل لي انه تجاوز الحد حتى اذا رفضت سفارتنا تضحية مصالح وكالتها في اثينا تفقد قسماً من نفوذها لدى الباب العالي . وعليه فيكون مركز السفير صعباً لدى عودته بعد شهر

٩٣ – نظافة الباب العالي الى ممثلي الدول المحسن بتاريخ ٧ ت ١ سنة ١٨٤٤ و٢٤ رمضان سنة ١٨٦٠

انهُ على اثر ما حدث في جبل لبنان رأت الحضرة الشاهانيـة – وقائدها حب رعاياها والعدل بينهم والرغبة في اعادة مياه الراحة الى الـدروز والمسيحيين – ان تستقرّ رأيًا في سنة ١٨٤٢ على منح كل من هاتين الامتين قائم مقامًا خاصًا. ومنذ سنتين ونصف سنة ادار الموما اليهما زمام الشؤون تحت رعاية جلالتها بصورة فازت برضا الجميع . وترى اسباب الطمأنينة والسعادة العامة كل يوم في ازدياد . ولمّا كانت بعض الموانع قد أخرت حلّ مشكلة طريقة تنظيم الادارة وتوزيع التعويضات شاءت جلالتها – ومن اعزّ متمنياتها اسعاد جميع رعاياها – ان تحلها على الوجه الآتي :

أولاً : يسقط من المبلغ الذي عيّنتهُ اللجنـة تعويضًا للمسيحيين الخسائر التي التحقت بالدروز ويؤخذ منهم ثلاثة الاف كيس اقساطًا . على انهُ ولو كان على هذه الامة دفع الباقي نحيث ليس لها بهِ قِبلٌ وكان المسيحيون الذين نُهبت املاكهم وحُرقت يستحقون من جهة أخرى شفقة جلالتها – وجلّ عنايتها منصرفة الى ضمان راحة سعادة الامتين المذكورتين وراحتهما – فقد أمرت أن يستوفى ما بقي من التعويضات في اجله من دخل ولاية صيدا ويوزع على المسيحيين بصفة تبرع من جلالتها على يد أشخاص امناء ينتخبون ويعينون لهذه الغاية

ثانيًا : انهُ عمـلًا بارادة جلالتها السابقة يبقى الدروز والمسيحيون تحت ادارة قائم مقاميهم كما هم الان . انما القرى الدرزيّة المختلطة بمسيحيين فتوضع تحت ادارة قائم مقام واصحاب اقطاع دروز إلاّ انه حبًا باتقاء تسليمهم للجور أولي المسيحيون في كل قرية حق انتخاب وكيل عنهم بموافقة القائم مقام . فاذا أتى اصحاب المقاطعات مظلمـة بحق الرعايا فلوكيلهم ان يخبر القائم مقام بذلك فاذا لم يلتفت لشكواه رفع

الامر الى والي الولاية وهـذا يتوجب عليه ان ينصفه بكل نزاهة وبهذه الصورة يتعذر على اصحاب الاقطاعات الدرزيّة أن يظلموا الرعايا . هذا وان الحكومة تصرف جهدها بسطوة جلالتها على تزييد راحة الاهلين ورفاهية عيشهم. وستعمّ هذه الطريقة الدروز القاطنين في القرى المسيحية المختلطة

أمّا دير القمر فيديرها وكيلان أحدهما درزي والاخر ماروني

٩٤ – بورلدي خليل باشا عن بيروت بتاريخ ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٤٤
[٢١ شوال سنة ١٢٦٠]

انه وفقاً للارادة السنية التي اثبتت الامر المؤذن بتسليم ادارة النواحي المحتوية على قرى مختلفة الطوائف الى القائم مقام الدرزي واصحاب الاقطاعات الدرزية كما كان في السابق وجعل الدروز القاطنين في اقطاعة المتن تحت ادارة القائم مقام المسيحي واصحاب الاقطاعات المسيحية أستُدعي نوابكم الى هنا وأُبلغوا مآل الامر ووجوب الانقياد للارادة السنية فاستمهلونا عشرة ايام لابلاغكم خبر انتخاب وكلاء عنكم وتعيينهم في الاقطاعات

وعليه نعلمكم بامرنا هذا المنفذ اليكم مع احد ضباطنا ان الارادة الشاهانية تقتضي ذلك وتوجب علينا الاجتهاد بتنفيذ التدبير المذكور طبقاً لها دون تعديل او تبديل فيه.

فيقتضي اذاً ان تنعموا الفكرة في نتائج هذه المسألة فتخضعوا للاوامر السلطانية المفروضة على الرعية وتبادروا الى انتخاب الوكلاء المراد تعيينهم في اقطاعاتكم لزيادة راحتكم وتسارعوا بعد انقضاء العشرة الايام الى ارسال وكلائكم المنتخبين الى هنا مع الضابط الحامل مرسومنا هذا لنجزم في دفع المسلوبات والقطع في بعض مطالبكم وتقليد الوكلاء المذكورين وظيفتهم في الاقطاعات وفقاً للارادة السنية

فاتقوا الله لانه اذا لم ترسلوا معتمديكم المذكورين لدى انقضاء المهلة المضروبة كان ذلك دليلاً على عصيانكم وتعمدكم رفض المنحة السلطانية واقلاق راحتكم بيدكم ورغبتكم في خسارة الفرصة المؤاتية للاستفادة مما أنعم عليكم بهِ . فتيقنوا اننا سنعمل حالاً كل ما هو لازم لاتمام الارادة الشاهانية فتندمون على سلوككم وفي هذا كفاية (١)

٩٥ – كتاب مسيحيي النواحي المختلطة السكان الى وكلائهم بتاريخ ٦ ت ٢ سنة ١٨٤٤

تلقينا الان كتابكم المؤرخ في ٢٠ الشهر المنقضي ومنه علمنا مقابلتكم لاصحاب الدولة القبودان باشا والمشير اللذين اخبراكم عن وصول اجوبة الباب العالي النهائية في مسألة جبل لبنان . ومضمونها ان حكومة الحضرة السلطانية أرتأت وجوب خضوعنا لحكم الدروز محظرةً علينا العودة الى هذه المسألة ورفع عرائض جديدة

---

(١) وكان الكولونل روز يعاون خليل باشا في سياسته هذه فالحّ مهدداً اسعد باشا بوجوب تنفيذ هذا القرار بالقوة لكن هذ المشير كان ميالاً للمسيحيين لما رأى فيهم من الطاعة للحكومة فلم يخفه التهويل بل عقد مع خليل باشا مجلساً دعا اليهِ قنصلي انكلترة والروسية وتلا عليهما نص رسالة من الموسيو فيزو كان ناظر الخارجية أرسلها اليه وفيها يلح على تركيا بحل المسألة اللبنانية بوجه السرعة ويوضح لها سوء نتائج استعمال القوة في لبنان . وظل اسعد باشا يحاول حتى اقنع خليل باشا والكولونل روز بعدم مناسبة استعمال القوة . وهذا ما قاله للموسيو بوجاد قنصل فرنسا على ما رواه في تاريخهِ :

« ان خليل باشا يجهل تماماً حالة البلاد واخلاق أهليه وقد لقيت مصاعب جمة في منعه عن استعمال القوة في الجبل لانها تؤول الى اضرام نار الفتنة وتوفقت أخيراً إلى اقناعه بوجوب استشارة الديوان الهمايوني قبل الاقدام على استعمال وسائل الاكراه »

لفوات الوقت عليها

وقد حرضاكم ايضاً على ان تنخلونا النصيحة لاطاعة اوامرهما مما يعود علينا بالراحة وان ننتقي في كل اقطاعة وكيلاً يسهر على مصالحنا

وجاء في تحريركم المذكور انه لما كنتم غير مفوضين بقبول بسط حكم الدروز علينا توسلتم الى صاحبي الدولة المشار اليهما امهالكم ريثما يرد عليكم جوابنا فمنحاكم مهلة عشرة ايام وان علينا الخضوع لاوامر الباب العالي والانقياد التام للنصائح التي جادا بها وهي وحدها كافلة ايلاءنا السعادة

فلقد احطنا علماً بكل ما تقدم. فاذا كانت المسألة استقرت على هذه الصورة فماذا يبقى علينا ان نفعل ؟ وماذا نجيب وافواهنا مسدودة ؟ فنحن لا نرى في هذا القرار الاَّ مجلبة للشرور والعذاب . ولما كان قد أعتزم على اخضاعنا للدروز طوعاً او كرهاً وحظَّر علينا العودة للبحث في هذا الشأن وكان لا يسعنا ان نخدع ذواتنا متوهمين ان إذلالنا سينتج عنه افتتاح عصر سلم جديد فنعلن الحقيقة ونقول : ان اخضاعنا لحكم الدروز يفقدنا الامن والسكينة ويعرّضنا لشرور عظيمة وعذابات لا تطاق. ان الله قد حكم على الانسان أن يموت مرة واحدة ولا يمكننا نعتقد ان الباب العالي يريد أن يمنعنا من المجالاة برأينا بكل صدق واخلاص ولاسيما اننا لم نحد قط عن واجب الطاعة العمياء لاوامره في كل آن وفي جميع الشؤون

اذا كان الباب العالي قد عزم على تنفيذ ما استقرّ عليهِ رأياً فنخشى ان يكون بناه على أفادات كاذبة ملفقة . بيدَ انه لمَّا كان لا يُسمح لنا بالبحث مجدداً في هذه المسألة وتكرار التوسلات فلقد صحت عزيمتنا على ما يأتي :

لمَّا كنتم قد أخبرتمونا في كتابكم الاول على انه يحق لكل من يأبى الخضوع لحكم الدروز أن يهجر وطنه وان تفصل انكلترة اكد لكم انه ستثمن أملاك المهاجرين بكل عدل فيدفع لهم نصف ثمنها مسبقاً والنصف الاخر بعد توطنهم في النواحي

التي يختارونها . فاننا نكل اليكم ان تعرضوا لذوي الشأن اننا نريد جميعاً ان نهاجر البلاد . فاسترحموا ارسال من يخمن املاكنا ويدفع لنا ثمنها. ولا حاجة للقول باننا حيث نكون نظل مخلصين لحكومتنا. ولكم ان تطلعوا قنصل انكلترة العام على جوابنا هذا ليعضدنا وفقاً لوعده ومما يزيدنا رغبة في ايقافه عليه هو ان لنا حقوقاً جمة وعدنا معتمدو هذه الدولة بها فنطالبه وحكومته السنية بانجازها

(عن كتاب لبنان وسوريا سنة ١٨٤٥ ـ ١٨٦٠ تاليف المسيو اوجان بوجاد قنصل فرنسا في بيروت صفحة ٦٥ ـ ٦٨)

٩٦ ـ نظافة الباب العالي الى ممثلي الدول المحترمين بتاريخ ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٤٤ و ١١ ذي الحجة سنة ١٢٦٠

وصل الينا رسائل من دولة اسعد باشا مشير صيدا يعرض بها على الباب العالي التدابير الآتية :

ان المجلس الموقت دقق في مطالب موارنة لبنان من الدروز فاذ بها تبلغ ١٦ الف كيس كما ان للدروز مطالب بلغت ٢٦٠٠ كيس ونيف . ومهما كان مجموع التعويضات فقد اصبح من المؤكد ان ليس في طاقة الدروز دفع الـ ١٦ الف كيس المذكورة ولذلك يقتضي صرف المسألة على الوجه الاتي :

ان تعتبر الـ ١٦ الف كيس المذكورة كتعويض عن الخسائر التي اصابت الموارنة . وعلى الدروز ان يبينوا الاموال المنهوبة الموجودة عندهم مخبأة كانت ظاهرة . فالاملاك والاشياء التي تعطلت منذ نهبها وفقدت قيمتها تعطى لاصحابها باسعارها الحالية ويسقط من التعويضات المذكورة مبلغ الـ ٢٦٠٠ كيس التي خمنت بها خسائر الدروز على وجه التقريب وستخفض عن ذلك قليلاً بطريقة حبية وما تبقى من الرصيد سيدفع في اقساط موافقة

ان اسعد باشا يطلب فرماناً على هذا النحو ويقترح ايضاً انفاذ منشور وزاري الى والي دمشق يوعز به اليه بالحاح أن يبذل جهده وطاقته لاكتشاف الاشياء المسلوبة التي يظن انها مخبأة في نواحي راشيا وحاصبيا وعليجا لان الدروز المقيمين في الاماكن المذكورة اغتنموا فرصة الاضطرابات في لبنان واشتركوا بالنهب والسلب ويقال ان بعضهم نقل خفيةً هذه المسلوبات الى بلاده . ويخول والي دمشق أيضاً معاقبة الذين يتجاسرون على اخفاء الاشياء المذكورة أو على اقتراف أعمال من شأنها اقلاق راحة الاهلين والرعايا

وعدا ما تقدم فقد اقترح اسعد باشا تعيين وكيلين من الطائفتين لادارة شؤون مديريّة دير القمر ووكلاء ليكونوا « مقاطعجيين » في القرى المأهولة بطوائف مختلفة وانه متى وقعت حوادث ونشأ عنها منازعات تسوّى وفقاً لرأي حكّام الولاية

ولقد أحلّ الباب العالي هذه الاقتراحات محلها من الاعتبار ودقق النظر فيها . ولمّا كانت هذه المسألة قد طال العهد عليها وكانت التدابير بخصوص المسلوبات التي يطلب اسعد باشا موافقة الباب العالي عليها هي ملائمة فقد استقرّ رأيه بالاتفاق مع مجلس الوكلاء على اعتبار الـ ١٦ الف كيس كتعويض للموازنة وفقاً لرأي دولته وان يسقط من هذا المبلغ الـ ٢٦٠٠ كيس ونيّف قيمة خسائر الدروز وثمن الاملاك المنهوبة المخبأة أو الظاهرة التي تعاد لاصحابها بثمنها الحالي وان يدفع الباقي وقدره يتراوح بين ٥ إلى ٦ الاف كيس اقساطاً متفاوتة معينة في صك وان القائم مقامين يقيمان منذ الان وصاعداً خارج دير القمر حيث يقام وكيلان احدهما درزي والاخر ماروني يديران شؤون البلاد كما هو الحال في سائر القرى المختلطة الطوائف حتى اذا حدث بينهما خلاف في الرأي على مسألة يفصلانها عند الضابط المعين من قبل المشير . وان يجعل في مكان مناسب من الجبل عدد كافٍ من الجنود المنظمة لحفظ الامن . أمّا في ما يختص بطلب تعيين نائب (معاون قاضي) لدير القمر فالباب العالي يكل ذلك

الى اسعد باشا مفوضاً اليهِ معاقبة الذين يقترفون أعمالاً من شأنها تعكير كأس الراحة خلافاً لارادة الحكومة السنية وقد أمرت الحضرة الشاهانية ان يكتب الفرمان والمنشور السلطانيأن المطلوبان وان يرسل والي دمشق مندوباً حزوماً للتفتيش عن المسلوبات التي يظن انها موجودة في النواحي المذكورة أنفاً

هذه هي التدبيرات المعتنى بتنفيذها ولاجلهِ حررت هذه النطاقة لافادتكم

٩٧ ــ نطاقة الباب العالي الى ممثلي الدول الخمس بتاريخ ٤ كانون الثاني سنة ١٨٤٥
٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٦٠

في علم سعادتكم وعلم سائر رصفائكم ممثلي الدول العظمى ان المسألة اللبنانية لم تلاقِ حتى الان حلًّا موافقاً فان ترتيب ادارة الجبل المذكور واجراء سائر التدبيرات المحلية سائران بكل بطء وهما قيد التردد والقلق . فالباب العالي يودّ من صميم قلبه ان يرى لها حلًّا ملائماً بحيث تسوّى طريقة الادارة وسائر الشؤون المختصة بلبنان على وجهٍ مرضٍ . وان يسود الامن في البلاد وتعاد الاموال التي سُلبت اثناء القلاقل الى الموارنة وان يتم دفع التعويضات للمنكوبين . ولذلك قد اوفد منذ مدة الى سوريا دولة قبودان باشا (ناظر البحرية) وفوض اليه ملء السلطة واصحبه بالتعليمات المبنية على العدالة والانصاف

ولما كان دولته قد اوضح في احدى لوائحه ان ليس في وسع الدروز دفع كل قيمة الاملاك والمسلوبات فالباب العالي قد شاء من فيض رأفته واحسانه ان يعد بدفع عشرة الاف كيس من خزينته حبًّا بتمهيد السبيل لتسوية مسألة ادارة البلاد ورحمة بالفريقين

وافاد دولته ايضاً ان الموارنة القاطنين في بعض القرى الدرزية الملتحقة بالقائم مقامية الدرزية ينوون المهاجرة تأميناً لحياتهم وهذا يسبب عراقيل كثيرة . بيد انه

لما كان الجبل كايالة صيدا من جملة اجزاء السلطنة فاذا كان في الموارنة من يرغب في الجلاء اليها فلا يمنع عن ذلك

قد كان الباب العالي أوعز إلى معتمديه في سوريا باتخاذ التدبيرات والوسائل التي تقتضيها الظروف المكانية لاقرار الحكومة وتركيزها وتنفيذ سائر المسائل . وطلب اليهم ايضاحات وافية عن الطريقة الواجب اتباعها والتعويل عليها اذا ما رأوا ممانعة وعقبات في سبيلهم فورد عليه منهم رسائل مفادها ان الموارنة القاطنين في القرى المختلطة لا يرضون بوجه من الوجوه في البقاء تحت حكم الدروز وانهم مصممون النية على المهاجرة الى القرى المأهولة بابناء طائفتهم على شرط ان يدفع لهم الباب العالي مسبقاً نصف قيمة املاكهم والباقي بتمامه بعد اتخاذهم مقارّهم وانه يتعذر اجلائهم على هذه الصورة . وعليهِ فمن الضروري استعمال وسائل الاكراه بحقهم وانهم أبلغوا ذلك . هذا ولما كانت مخالفة الاتفاق المبرم بهذا الصدد مناقضة لواجبات التابعية سيضطر الى اجراء منطوقه على رغم منهم . بيدَ ان الباب العالي لا يريد سفك الدماء بل يرغب في ايجاد علاج آخر أو وسيلة أخرى من شأنها حمل الموارنة على الرضوخ للاتفاق دون ان يلجأ في آخر الامر الى وسائل الاكراه . وعلى فرض ان الحكومة تتوفق الى ايجاد الوسيلة المذكورة فاذا أبى الدروز الانقياد لها تضطر الحكومة إلى أن تسوق عليهم القوة التي كان في عزمها ارسالها على الموارنة بحيث يكون مصير الامرين استعمال القوة . فاذا ما أحوجت الحكومة الى ذلك هل يجب الاقتصار على ارسال القوة إلى القرى المختلطة السكّان أو إلى نواحي لبنان عموماً ؟ وهل يكفي الاقتصار على القيام بمظاهرات تهديدية ؟ ان هذا غير واضح في التقارير المذكورة . ومن جهة أخرى يصعب على الباب العالي القبول بالمهاجرة على الوجه الذي يطلبه الموارنة مع انهُ اجتهد كثيراً بالحصول على أفادات محلية وافية بالمرام على ان ما أصابهُ منها ليس بكافٍ لتمهيد الصعاب وتذليل العقبات العارضة دون تنفيذ التدبيرات

المارذكرها . هذا ومع انبائكم باعتزامه على مواصلة العمل بطريقة الحكم الجارية في جبل لبنان لمدة وجيزة ريثما يتم لهُ جمع الافادات المحلية الكاملة ليتسنى له تدبر المسألة من جميع وجوهها والاحاطة بدقائقها اتشرّف باعلامكم ان قد وكل إليّ أن أسألكم رأيكم الخاص الودّي في هذه المسألة وحكمكم الصادق الجلي فيها

٩٨ – مذكرة شفاهية تلوها تراجمة سفارات الدول الخمس على مسامع ناظر خارجية الباب العالي بتاريخ ٤ ك ٢ سنة ١٨٤٥ و٢ محرم سنة ١٨٦١

لمّا كنت قد انتديت مع سائر رصفائي للبحث في مآل النطاقة التي أنفذها شكيب افندي الى ممثلي الدول الخمس أجمع رأينا على طلب بعض ايضاحات بخصوص الوسائل التي يراها الباب العالي اكثر ملائمة لتسهيل حل الصعاب العارضة التي استشار بشأنها الدول وتعجيلها

٩٩ – رسالة الموسيو هبس دي بوتفال وكيل سفارة فرنسا في الاستانة الى الموسيو غيزو بتاريخ ١١ ك ٢ سنة ١٨٤٥ و٢ محرم سنة ١٢٦١

يا حضرة الوزير

قد انتدى السفراء أول من أمس في دار سفارة انكلترة بطلب السير ستراتفورد للتفاوض في ارسال جواب اجماعي إلى الباب العالي على نطاقته الاخيرة بخصوص لبنان فاستقرّ رأيهم على كتابة المذكرة الشفاهية التي ترون صورتها في طيه وسيتلوها تراجمتنا الخمس تباعًا هذا الصباح على مسامع شكيب افندي وهي تشتمل على طلب ايضاحات اكثر جلاء . وقد كتبت بشكل انذار لحمل الباب العالي على بيان الطريقة التي يرى فيها أقوى ضمانة على تنظيم جبل لبنان نهائيًا وتوطيد الامن فيه

وقد رفضتُ كل الرفض القبول بان يكون الجواب على نطاقة الباب العالي مقصوراً على دعوته « الى المبادرة دون تاخير لتنفيذ التدبيرات المثبتة في مواثيق سنة ١٨٤٢ » وقلت : « اني اعد من المحال امكان سكوت اوربا — وقد أُبلغت الامر رسمياً — عن حالة شعب مسيحي عرض لمليكه بلهجة غاية في الاحترام أحق تمنيّات يمكن لامةٍ الاعراب عنها وقوامها ألاّ يتولى ادارة شؤونها أمة دلّ مذهبها وعوائدها وتاريخها والكوائن الدموية الحديثة على انها عدوتها »

ولم اخشَ أن أضيف إلى ما تقدم انه يتعذر عليّ الاعتراف للدروز بحق الاحتجاج فيما لو نُزعت سلطتهم عن الموارنة والتسليم بافتراض حدوث الاخطار الجديدة التي وجّه الباب العالي انظارنا اليها في نطاقتهِ الاخيرة . فقوطعت مراراً ولقيت معارضة شديدة لكني تغلبت عليهما وأوجبت الاصغاء لقولي . وقلت اني لا اعتقد بوجود « حقوق لاحد في الجبل مستمدة من الاراء التي رجحت في سنة ١٨٤٢ ما زالت الدول الخمس لم توافق بالاجماع مع الباب العالي على قانونية تنفيذ كل منها . كما ان ذلك لم يتوفر في المسألة الجاري البحث فيها الان لانها لا تزال قيد المفاوضة

ثم ان الكونت دي ستورمر سفير النمسا تلا علينا قسماً من رسالة البرنس دي مترنيخ مستشار الامبراطورية بشأن تدبيرات سنة ١٨٤٢ وادوارها الاخيرة فجاء منطوق هذه المراسلة معزّزاً لكلامي

١٠٠ — نظافة الباب العالي الى ممثلي الدول الخمس بتاريخ ٣٠ ك ٢ سنة ١٨٤٥ و٢١ محرم سنة ١٢٦١

سبق للباب العالي ان انفذ الى ممثلي الدول الخمس مذكرة اوقفهم فيها على رأيه في موقف لبنان الحالي مستنداً الى الرسائل التي تلقاها منذ مدة من مندوبيه في

سوريا . ورغب اليهم في بيان رأيهم وحكمهم بهذا الشأن . وبعد أن تلقى حضرات الممثلين المشار اليهم هـذه المذكرة سألوه ايضاحات اكثر جلاءً عن الوسائل والتدبيرات التي تراها حكومة جلالة السلطان صالحة لتسهيل حلّ العقـد التي يرونها في هذه المسألة والتعجيل بتسويتها

انه على اثر المفاوضات التي جرت قبلًا استقر الرأي على ضمان الامن في لبنان لان الموارنة والدروز معظم سكانه هم من رعايا جلالة السلطان ولان الباب العالي يود ان يؤسس ادارة الجبل على دعائم متينة . لا مراء في انه قادر على تنفيذ هذا القرار تماماً بالقوة وهذا في حيز الامكان . انما ينتج من الافادات التي تلقيناها حتى الان ان الموارنة وحدهم يأبون قبول ولاية الدروز اصحاب الاقطاعات الدرزية في القرى المختلطة عليهم فاذا شئنا اجبارهم يلزمنا استعمال طرق الاكراه. غير ان الباب العالي لم يتمكن حتى الان من الحصول على الافادات المحلية اللازمة لاجراء الوسائل المذكورة ومن جهة أخرى لما كان استعمال القوة لابدّ لهُ من أن يجرّ الى سفك الدماء الامر الذي لا تسمح بهِ الحكومة العثمانية إلاّ عند الضرورة القصوى فلهذه الاسباب لم يتسنّ للحكومة السلطانية أن توضح للدول ما استقرّ عليهِ رأيها . أمّا الان وقـد تلقت الحكومة من مندوبيها أفادات جديدة فرأت بعد وقوفهـا عليها ان الوسيلة الوحيدة لحل هذه المسألة قائمة بتعيين وكيل يعهد اليه بادارة شؤون طائفته الموجودة في القرى المختلطة يُنتقى من بين مواطنيه وأبناء مذهبهِ ويستثنى من ذلك أصحاب الاقطاعات ويجب عليهِ الالتجاء إلى والي صيدا في الامور التي تطرأ . ولمّا كان من جل اهتمام الباب العالي ضمان راحة أهالي الجبل إسوة بسائر الشعوب واخراج هذه المسألة من طور التردد وكانت العواطف الابويّة التي تختلج في صدره تدفعـه إلى اعطاء دليل جديد على نفوره من سفك الدماء دون اضطرار وعلى عنايته الشديدة في طمأنينة سائر طبقات رعاياه يرى من المناسب بناءً على الافادات السابقة ان يتعدل

الرأي السابق بخصوص القرى المذكورة على الطريقة المبسوطة انفاً وقوامها أن ينتقى وكيل لكل طائفة من الطائفتين المارونية والدرزيّة من بين مواطنيه وأبناء مذهبه لادارة شؤونهم على شرط ان يراجع مشير صيدا في الكوائن التي تقع بحيث يضع حدًّا لهذه الحالة الحاضرة الغير المستقرّة

وعدا ما تقدم فان مندوبي الباب العالي أفادوا انه يسهل تنفيذ هذه التدبيرات إذا لم يعارض بها قناصل الدول في سوريًا ويوجدوا عثرة جديدة في سبيلها واننا نسارع بابلاغ حضرة وكيل سفارة فرنسا نية جلالة السلطان ونسألهُ أن يجود بعد الاطلاع عليها باظهار رضاه بالاجماع مع سائر رصفائه ليتسنى ارسال الاوامر اللازمة عاجلًا إلى سوريا

١٠١ – نطاقة شفاهية تداولها تراجمة سفارات الدول الخمس على مسامع ناظر خارجية الباب العالي بتاريخ ٨ شباط سنة ١٨٤٥ و٣٠ محرم سنة ١٢٦١

اجتمعنا وفي صدورنا أحسن المقاصد وأرقّ العواطف نحو الباب العالي وجبل لبنان ومع شدة تعقيد المسألة وكثرة عراقيلها كنّا مستعدين مقابلةً لحسن نيّات حكومة جلالة السلطان أن نبدي رأينا الودادي في الوسائل المقترحة في مذكرة الباب العالي . واذ دهشنا من العبارات التي استعملها في ختامها وقد يستشف منها ان الحكومة قد جزمت في الامر على انفراد بدلاً من أن تكون قد عرضت مقترحها على ابحاث الدول وشورهن كما كنّا استنتجنا من مآل النطاقة الاولى . وقد زاد اعتقادنا هذا رسوخًا حادث ثانوي نرى من واجبنا الفات نظر الباب العالي اليه وهو نشر مقالة عليها مسحة رسمية في جريدة تطبع في الاستانة (١) تتضمن خلاصة

(١) هذه صورة المقالة المنشورة في « جورنال دي قونسطنتينو بل »

التدبيرات المثبتة في المذكرة الثانية وترويها بصورة رأي مبرم من الحكومة العثمانية مما يجعل ممثلي الدول في موقف حرج ويوجب عليهم الخيار بين أمرين وهما إمّا القبول ضمناً

« لما كان الباب العالي قد احلّ عرائض مسيحيي جبل لبنان واسترحاماتهم محلها من الاعتبار كما ذكرنا في عددنا السالف وكان يود من صميم قلبه توطيد أركان الراحة والسكينة في تلك النواحي على أسس متينة فقد ارتأى اليوم رأياً من شأنه كما يأمل التوفيق بين جميع المصالح وتسوية هذه المسألة الخطيرة بطريقة مرضية بتوطيده ادارة محلية على دعائم متينة وأصول معقولة. ولا غروَ فانه بدلاً من أن يلجأ إلى استعمال وسائل العنف والاكراه كما يحق لهُ لاجبار الموارنة على القبول بولاية اصحاب الاقطاعات الدرزية في القرى المختلفة وان يتقي سفك الدماء التي تنفر منها حكومته الابوية رأى الباب العالي بناء على تقارير مندوبيه في سوريا ان يعدّل النظام السابق الموضوع بالاتفاق مع الدول الخمس. وقد أتى ما أتى عن حبه الانسانية والعدالة المشتهر به وعن قصد تأييد السلم والنظام في جبل لبنان كما في سائر ارجاء السلطنة وعن الرغبة في اعطاء دليل جديد على كرهه وسائل العنف . وقد تمّ التعديل على الصورة الاتية :

قد خُول كل فرد من الامتين الدرزية والمارونية في القرى المختلطة بابناء طائفتيهما ان ينتخب خلا أصحاب الاقطاعات وكيلًا ينتقى من أبناء أمتهِ لادارة شؤونها الخاصة ويكون مرجع هؤلاء الوكلاء دولة مشير صيدا مباشرة بحيث يتوجب عليهم الالتجاء اليهِ بكل ما يختص بادارتهم. ثم ان الباب العالي يرى بناء على ملاحظة مندوبيه في سوريا ان تنفيذ هذا التدبير لا يعوقه عائق إذا لم يكن يد للنفوذ الاجنبي في سبيله. وهذا الرأي دليل على اتصاف الباب العالي بالحكمة ويرجى ان الوسيلة التي اقترحها على سفراء الدول المتحابة الخمس لوضع حد للعراقيل التي اخرت حل مسألة لبنان حتى الان من شأنها ان توصل الى هذه الغاية لانطباقها على جميع الرغائب

وقد سُئل حضرات ممثلي الدول الخمس الموافقة على هذا المشروع فعقدوا اجتماعاً يوم الجمعة بيد انهم لما كانوا لم يتمكنوا من القطع في الامر في جلسة واحدة فيظن انهم يجتمعون مرة اخرى عن قريب . ومتى ابلغ حضرات السفراء جوابهم الباب العالي سننشر نص المذكرة التي اكتفينا بالاشارة الى خلاصتها مراعاة لمقتضيات المجاملة والاداب . »

بجميع مقترحات الباب العالي على علّاتها وإمّا معارضته جهارًا تجاه العموم . فالامر الاول رغمًا عن كونه من أشهى متمنياتنا وأعزّ رغائبنا بدون شك يتعذر علينا لسوء الحظ القبول بهِ لخلوه من شرط اضافي يُخيل لنا انهُ ضروري لازم لتطبيقه على استقلال ادارة جبل لبنان الذي أتخذ اساسًا للتدبيرات السابقة . ومن المحال أيضًا أن نقبل بسلطة والي صيدا المحددة لهُ في المذكرة أو بطريقة أخرى تمسّ قاعدة استقلال الجبل اداريًا . وعدا ما تقدم فلم نرَ في المذكرة المذكورة ايضاحًا شافيًا يضمن حفظ مجموع الامتيازات المحلية وعزمًا اكيدًا على دوام احترامها

وبناء على ما تقدم لم يبقَ لنا سوى ايقاف حكوماتنا على التدبيرات التي بُلغناها وفي خلال ذلك فعلى نظّار الباب العالي أن يزنوا الحوادث ويقدروا حراجتها دون صرف النظر عن خطورة ما يجزمون بهِ لرفاهية الشعوب التي وكل جلالة السلطان بعنايته الابويّة أمرها اليهم

ومن ثمه نرى من واجبنا اغتنام هذه الفرصة لالفات نظر الباب العالي تكرارًا الى مسألة التعويضات الواجبة تأديتها الى الموارنة لاننا نعتبر دفعها عدلاً لا بدَّ منه لتوطيد الراحة في لبنان

١٠٢ – نظافة الباب العالي الى ممثلي الدول بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٨٤٥ ١٦ صفر سنة ١٢٦١

قد اطلعنا على منطوق التحاريرالتي ارسلتموها سعادتكم انتم وسائر رصفائكم جوابًا على مذكرة الباب العالي المنفذة حديثًا اليكم انتم وسائر رصفائكم حضرات ممثلي الدول العظمى بشأن المسألة اللبنانية . فنظرًا لما توجبه أهمية هذه المسألة حاليًا رووي من اللازم ارسال جواب جديد يحتوي الايضاحات الكافية عن نيّات الباب العالي توصلًا الى اتفاق نهائي . فاذا ما كانت ارادة الحضرة السلطانية المفطورة على العدالة

تؤذن من جهة بسرعة اتخاذ الوسائل الكافلة تأييد السلم في لبنان تماماً فانها من جهة أخرى تنطبق على جل رغائب الدول العظمى صديقات الباب العالي المخلصة. ولهذا فان حضرات ممثلي الدول حثوا الباب العالي على ابداء رأيه في الوسائل الاكثر ملائمة لتسوية مسائل لبنان واعادة الامن فيه الى نصابه

ولما كان الباب العالي يحترم نصائح حضرات ممثلي الدول الودية ومشورتهم فكر نظّاره في الوسائل الصالحة لانقاذ الجبل من حالة القلق السائدة فيه وعرضوا مشروعهم على جلالة السلطان ليجيزه فجاء منطبقاً على عواطف جلالته المملوءة انصافاً . وبما أنه يتعذر ايجاد طريقة أخرى اكثر ملائمة لتحقيق المرغوب وكنا من جراء ذلك متأكدين ان لا بد للدول العظمى والحالة هذه من الرضا عن رأي الباب العالي الجازم صار ابلاغكم أنتم ورصفائكم ان المشروع المذكور ارتآه الباب العالي نهائياً

وفيما نحن بانتظار موافقة سعادتكم انتم ورصفاؤكم كل الموافقة على رأي الباب العالي إذ حال دون ذلك ما اظهروه من التريب . بيد انه لمّا كان من الواضح اننا بازالتنا بعض الظنون والريب التي نشأت عن مشروعنا نحصل على الموافقة المرغوبة فقد بادرنا بكل ارتياح إلى طمأنينتكم إلى هذا الخصوص . وعليه نعلن ان دائرة سلطة مشير صيدا على الوكلاء الذين يُعينون في القرى المختلطة لا تتجاوز حدّ النظر في المشاكل المعقدة التي تطرأ بين الامتين ويتعذر تسويتها بينهما والقطع بها . ولمّا كان الوكلاء لا يلتجأون اليه الاّ عند الضرورة القصوى كما سبق فسلطته محدودة بحيث لا يكون له ان يتدخل في ادارتهم الخاصة الاّ في الظروف المبينة اعلاه . ولم يخالج فكر الباب العالي ولا يريد أبداً الغاء حكم اصحاب الاقطاعات ومسّ امتيازاتهم المحلية التي نالها اهالي الجبل حديثاً من جلالته . ومن الثابت ان الباب العالي يوجه كل عنايته الى اتخاذ التدبيرات اللازمة بحيث يصير التعجيل بدفع التعويضات المتوجبة للموارنة على الوجه المتفق عليه وذلك فور تسوية مسألة طريقة الحكم في لبنان

ومتى عُرفت نيات الباب العالي الحقة الحسنة لا يبقى خلاف في الاراء ولا عقدة من شأنها تأجيل اجراء رأي الحكومة الشاهانية الرامي الى توطيد الراحة في جبل لبنان بحيث لا يبقى بعدها رغبة لراغب

ولما كان قد أوجب على وكلاء الباب العالي ان يزنوا خطورة الحوادث بميزان التروي والتدبر ويفكروا في اهمية أحكامهم وكانت الرسائل الرسمية الواردة حديثًا من سوريا قد أيدت اهمية اراء الباب العالي بشأن الجبل وهي توضح ازاء حراجة الموقف وجوب المبادرة الى اجرائها عاجلًا فنظار الحضرة السلطانية يفخرون بكون نيّات جلالتها الابويّة المملوءة رأفة وقد أعرب عنها في حكم الباب العالي مطابقة لمقتضيات الزمان والمكان ويعللون النفس بانه بزوال الشكوك على أثر الايضاحات المبسوطة أنفًا توافق الدول العظمى على التدبيرات التي وضعها الباب العالي . وعليهِ فوكلاؤه في الوقت عينه بناء على ما رأوه من دلائل المجاملة التي طالما أبدتها سعادتكم انتم ورفاقكم لهم وللحكومة السنية يأملون بل يثقون انكم تقدرون هذه التدبيرات حق قدرها وتكونون في مقدمة المثنين عليها وتبادرون الى التسليم بوجوب اجرائها دون أدنى تأخر

١٠٣ — رسالة الموسيو دي بونفال الى الموسيو غيزو بتاريخ ٢٦ شباط سنة ١٨٤٥ و١٨ صفر سنة ١٢٦١

يا حضرة الوزير

ان الباب العالي قد حقق ما انتظرته منه فان الديوان استأنف عمله واذا لم يخطىء ظني انه بارساله الى سفراء الدول الخمس النطاقة الرسمية التي اتشرّف بارسال ترجمتها اليك في طيه

فقد اعلن فيها الباب العالي انه « لمّا كان ممثلو الدول قد أوجبوا عليه الاستقلال

باستعمال سلطته العليا عرض على السلطان طريقة الحكم الاكثر انصافاً والاجدر باعادة الامن الى نصابه في جبل لبنان . وانه لما كان هذا المشروع قد أثار بعض الارتياب في افكار ممثلي الدول فهو يتعجل بابلاغهم الايضاحات الكافلة ازالتها وحملهم على القبول به. وانه لم يدر قط في بال نظار جلالة السلطان مس استقلال جبل لبنان الاداري واقطاعاته وأمتيازاته المحلية بل ان جلّ المقصود ضمان حل المشاكل وفصل الدعاوى التي يتعذر حلها بطريقة أخرى بصورة نهائية على يد مشير صيدا فيما لو حدث خلاف بين الامتين . ومن ثمّ فعلى الحكومة الجديدة فور توطيد حكمها المبادرة إلى دفع التعويضات المقررة للمسيحيين ». ويقول الباب العالي في ختام مذكرته : « انه ينتظر موافقة ممثلي الدول وثناءهم »

لم اتمكن منذ تلقيت هذه المذكرة التي سلمت إليّ أمس من مشاهدة سفيري انكلترة والروسية ولذلك اجهل إذا كانت تؤدي الى عقد اجتماع جديد ولست اعلم اذا كان في الامكان الاتفاق على جواب اجماعي فيما لو انتدبنا لهذا الامر . انما يرى بكل سهولة ان ختام المذكرة المشروحة فيها الاراء السلطانية ليس إلّا من قبيل المجاملة. وانه اذا لم يقم عليها احتجاج وعندي انه إذا لم يقدم عليه احد لان السير ستراتفورد صرّح برأيه بهذا الشأن في اجتماعنا الاخير جاز لنا أن نتوقع من وراء سكون بعضنا عدم القوة على تعديل المشروع أو ايقافه ويمكن سعادتكم اذا لم يخطر ظني اعتباره منذ الان نهائياً

وهذا المشروع ياحضرة الوزير هو مطابق لتمنيات المسيحيين

١٠٤ — نظافة الباب العالي الى سفراء الدول الخمس بتاريخ ١١ ايار سنة ١٨٤٥
٧ ربيع الاول سنة ١٢٦١

أحاط الباب العالي علماً بمآل المذكرة المنفذة اليه من سعادتكم ومن حضرات

ممثلي الدول رصفائكم جواباً على مذكرته المسهبة التي سلمت اليكم حديثاً المتعلقة بما استقرّ عليهِ الرأي في المسألة اللبنانية

وقد أجللتم سعادتكم انتم وحضرات رصفائكم الاسباب التي دعت إلى اتخاذ بعض تدبيرات في الرأي المذكور وأظهرتم ارتياحكم إلى العواطف الحسنة والنيّات السليمة التي أبداها الباب العالي في تسوية هذه المسألة

وقد عُرضت المذكرات والتعليمات المراد ارسالها إلى أرباب السلطة العثمانية على انظار جلالة السلطان وبعد ان اطلع عليها رأى من تلقاء ذاته انهُ لمّا كان القائم مقامان المعينان على الامتين القاطنتين لبنان قد وُضعا تحت مراقبة مشير صيدا وفقاً لما تقرر قبلاً فلم يبقَ محل لالزام أصحاب الاقطاعات والوكلاء المعينين في قرى الجبل المختلطة بالالتجاء وقت الحاجة عن طواعية واختيار إلى مشير صيدا ولاسيما ان ذلك من شأنه على الارجح عرقلة حسن ادارة جبل لبنان وهي موضوع اهتمام الباب العالي وعنايته الكبرى . وعليهِ فان جلالة السلطان حبّاً باعطاء دليل جديد على حسن نيّاته وعواطفه الكلية الحنان نحو رعايا سلطنتهِ وتحقيقاً لرغبتهِ في ضمان رفاهيتهم قد آثر هذا التدبير وقوامه ان يكون مرجع أصحاب الاقطاعات والوكلاء إذا اقتضى الحال إلى قائم مقامي أمتيهما توًّا . وقدِ اعلن ارادته السنية بهذا الشأن وكتبت أوامره بموجبها . فنظار الباب العالي يفاخرون بتبشيركم بهذا التدبير الاضافي الذي جادت بهِ الحضرة الشاهانية من فيض مكارمها ويأملون من سعادتكم وحضرات رصفائكم أن تروا فيها دليلاً جديداً على استقامة نيّات الباب العالي واجلاله نهج الدول الخمس الودي الراغبات في استتباب الامن العام

واتشرّف بانبائكم بأن التعليمات اللازمة بهذا الصدد سترسل غداً إلى معتمدي الباب العالي

١٠٥ – نظافة اجماعية اتخذها قناصل النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا في بيروت الى وجيهي باشا بتاريخ ٣ ايار سنة ١٨٤٥ و٢٥ ربيع الاخر سنة ١٢٦١

ان الموقعين ادناه قنصلي انكلترة وبروسيا العامين وقنصل فرنسا ونائب قنصل النمسا مدير شؤون القنصلية العامة بالوكالة رأوا من واجبهم وطبقاً لنيات ممثلي حكوماتهم في الاستانة ان يعقدوا اجتماعاً بمناسبة الحوادث الخطيرة الجارية في لبنان الان وابلاغ دولة وجيهي باشا رأيهم بصورة اجماعية . ويعتقدون ان اهتمام الدول الكبير في مسألة لبنان وفي حل مشاكله سلمياً وعضد حكوماتهم الباب العالي في كل ما يختص بهذه المسألة من شأنه ان يؤيد كل التأييد سعيهم ويؤكد ضرورته

فالموقعون ادناه قد اجمع رأيهم على ان الوسائل التي تذرع بها حتى اليوم ممثلو الباب العالي في هذه الولاية ليس من شأنها تحقيق آمال الدول . ولا مراء انه منذ برهة وجيزة أرتكبت عدة جنايات بحيث ان تكاثر عددها وعدم انزال العقابات بمقترفيها هيج الاهواء وجرأ المفسدين واوصل الى الحالة المحزنة التي نشاهدها اليوم . ويأسف الموقعون ادناه خاصة على اهمال اتخاذ الذرائع اللازمة منذ بدء وقوع الجرائم لمعاقبة الجناة واستئصال جرثومة الشرور رغماً عن الملاحظات الودية العديدة التي رأى كل منا من واجبه ابداءها على انفراد

ويأسفون أيضاً على ان جنود السلطان بدلاً من أن تستخدم في سرعة قمع الاقتتالات التي حدثت منذ أيام التزمت جانب الحياد مما سهل انتشار العداء وتفاقمه

وبناء عليه فالموقعون ادناه لما كانوا متيقنين ان لدولتكم سلطة ووسائل لايقاف تيار الشر ويرغبون في وضع حد لهذه الحالة المخالفة للانسانية ولصوالح الباب العالي وللتدبيرات التي قررها بالاتفاق مع الدول الخمس يرون من واجبهم توجيه انظار دولته الى ما تقدم وسؤاله ان يأتي بالدواء العاجل الناجع

١٠٦- كتاب محمد وجبرهي باشا (١) الى قناصل النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا في بيروت بتاريخ ٥ ايار سنة ١٨٤٥ و٢٧ ربيع الاخر سنة ١٢٦١

وصل كتابكم المتضمن انبائكم اياي بأن التدبيرات التي وضعها الباب العالي بالاتفاق مع الدول العظمى الخمس في ما يتعلق بشؤون لبنان لم توضع موضع الاجراء وانه منذ مدة أرتكبت عدة جنايات وانهُ من جرّاء اهمال قصاص المفسدين ازدادت جرأتهم الامر الذي أوجب كدركم وانكم نبهتموني إلى ذلك غير مرة وانهُ لدى ظهور هذه الاضطرابات لم تبادر الجنود العثمانية إلى اطفاء نارها مما ساعد على اشتعالها وتفاقم ضررها وان في طاقتنا كبح جماحها وان هذه الحالة مخالفة لصوالح الباب والدول العظمى

وقصارى القول انه لمّا كانت حالة جبل لبنان الحاضرة غير منطبقة على متمنيّات الجميع تعربون عن رغبتكم الشديدة اليّ بأن اتخذ التدبيرات اللازمة لوضع حدّ لهذه الشرور ومعالجتها بدواء ناجع

فكل ما تضمنتهُ نطاقتكم قارن الافهام . ولا أرى حاجة إلى أن ابين لكم ان الاضطرابات السائدة في الجبل لم تبدأ منذ وصولي الى هذه البلاد بل تقدمته ومع ان سلفي صاحب الدولة اسعد باشا ذهب الى دير القمر لتحريض اهلها على التزام جانب السكينة فلم يخلدوا اليها إلّا بضعة أيام بحيث ان حزازات الاحقاد ظلت كامنة في صدور الفريقين فلم تخبُ حتى تأججت واندلع لسانها ثانيةً اطول من اندلاعه اولاً

---

(١) كان والياً على حلب فنقل الى ايالة صيدا خلفاً لاسعد باشا الذي أستدعي في شهر ادار من سنة ١٨٤٥ لكنهُ كان دونه ادراكاً ونزاهةً

ولدى وصولي الى بيروت حدثت الفتنة فاضطرّ دولتلو قبودان باشا الى ارسال الفريق داود باشا مع بعض فصائل من الجنود المنظمة الى محل الفتنة

وقصارى القول ان شواعر الحزن والكدر التي استولت عليّ من جرّاء وقوع هذه الحوادث في الجبل لا توصف والله يعلم مقدار اضطراب افكاري وانقباض قلبي لاني لا اتمنى أن يصاب أحد بأدنى ضرر وان طفيفًا بل اود ان يتمتع جميع السكان بتمام الراحة والسعادة طبقًا لرغائب حكومتي ووفقًا لاوامرها . ولست اريد أن يلحق بحقوق الانسانية أدنى اجحاف باية صورة كانت

هذا واني عملًا بالتدبيرات التي وضعها الباب العالي بالاتفاق مع الدول العظمى الخمس بخصوص شؤون لبنان القاضية بوجوب تنفيذها عاجلًا واستدعاء قائم مقامي الامتين وأصحاب الاقطاعات والوكلاء لاطلاعهم عليها ومفاوضتهم في طريقة الادارة المتفق عليها استدعيت المشار اليهم في اليوم الثالث من وصولي الى بيروت فجاء الامير أحمد قائم مقام الدروز اما الامير حيدر فلم يحضر وبعد ان عللني بالوعود الفارغة مدى عشرة ايام أوفد إليّ الامير بشير احمد بصفة وكيل عنه فاستعجلت أصحاب الاقطاعات والوكلاء بالحضور لكنهم كانوا يعدونني ولا يحضرون فاجلوا مجيئهم الى المدينة لما كانوا يضمرون من الشر

وكانت الحرب قد نشبت بين الامتين ولما كان لا طاقة لي على احتمال هذه الحال استدعيت الامير احمد قائم مقام الدروز والامير بشير احمد معتمد القائم مقام المسيحي لمحادثتهما بالمسائل الكافلة قمع الفتنة وسترون حضراتكم من صور الاوامر التي انفذتها اليهم وهي متقدمة في طيه اني نهيت الامتين عن عقد الاجتماعات منذرًا الفريقين بوجوب انفراط عقدها حتى اذا ما اجتمع احد الفريقين مجددًا اوجبت على الفريق الاخر انبائي بذلك وقلت للجنود عند اتصال الخبر بهم ان أوعزوا الى الذين يحضرون الاجتماع بالانسحاب وبالاخلاد الى السكينة وان يتحاشوا الاساءة الى

احد منهم اذا انقاد الى انذارهم واذا ما لقوا مقاومة استعملوا القوة لتفريق شمل المجتمعين . وفرضت اجراء التحقيقات في الحال عند وقوع جناية حتى اذا ما رأى الجنود اهالي قرية يحاولون تهريب الجاني الامر المخالف للامن العام توجب عليهم استعمال القوة والقبض عليه فيها ليعاقب وفقاً للعدل

وعليهِ كتبت صورتا اتفاق فوقّع الامير أحمد قائم مقام الدروز احديهما أما الاخرى فاعادها الامير حيدر قائم مقام المسيحيين دون توقيع بحجة انه يجب في مسائل خطيرة كهذه استشارة الوكلاء المسيحيين في القرى المختلطة وبناء على هذا الرفض كتبت انا ودولتلو عطوفتلو قبودان باشا والدفتردار الى الامير حيدر ليوقّع صورة الاتفاق لكنه لم يشأ حتى الان توقيعها بخاتمهِ ولا ارجاعها وبهذه الطريقة اوثقنا قائم مقامي الامتين واصحاب الاقطاعات والوكلاء وابرمت هذه المعاهدة بحضورهم ومعرفتهم ليعملوا بها بكل تدقيق

ومن ثمه كتبت اوامر (بيورلديات) لتنبيه زعماء الامتين الى وجوب الخضوع لمنطوق هذا التعهد وانذرتهم بالعقاب اذا خالفوا لان لا عذر لهم فهذا ما كنت قررته . بيدَ انه لمّا كان الامير حيدر لم يوقع المعاهدة ظلّ الامر على ما كان

تقولون حضراتكم ان عدم مجازاة الجناة ساعد على ازدياد حوادث القتل وانتشارها مع اني لم اهمل قصاص المجرمين الذين اتصل بي امرهم وطالما استعملت الوسائل التي في طاقتي

ان النظامات الجارية في لبنان تقضي بارسال مندوبين عند حدوث جناية للبحث عن مقترفها حتى اذا ثبتت على شخص توجب على اقارب القتيل قيام الدعوى على القاتل وسجنه وان لم تثبت الجناية على شخص يُقبض على الاشخاص المشتبه بهم ويُسجنوا فاذا تمكن القاتل من الفرار يرسل حوالية الى قرية الجاني (وهذه عادة قديمة مرعية في الجبل) ليقيموا فيها

فلم أهمل شيئاً من هذه التدبيرات على انه إذا أُعترض عليَّ بانه يجب القاء تبعة حوادث القتل التي تقع على أهالي القرى المجاورة فأُجيب انهُ لمَّا كان القتل فعل شخص واحد فليس من العدل ولا من الانصاف على شيء إذا تعذرت معرفة القاتل معاقبة أشخاص بناء على ظن طائش . وعليه تصرفت بهذا الامر بتروٍ وتعقل فحيث ثبت ان مسيحياً قتل درزياً فساقاصص القاتل وحده ولا يمكن معاقبة جميع المسيحيين الذين لم يشتركوا بهذا الاثم . ولا ريب بأنه اذا قتل درزي مسيحياً اعاقبه إسوةً بالاول وحتى الان لم يثبت على درزي جريمة قتل وعندي ان معاقبة رجل دون ثبوت ذنبه مناقض للعدالة والانصاف ولهذا لم اعاقب درزياً

وقلتم حضراتكم أيضاً ان الجنايات زادت من تقعد الجنود العثمانية عن العمل مع ان ما أبدته الجنود المنظمة من السهر والنشاط في دير القمر وسائر هذه الاماكن ثابت لا جدال فيه . ومن هذه الاماكن ترسل فصائل من الجنود حيث تدعو الحاجة اليها ويرسل عادة ٥ أو ٦ منها إلى الاماكن المراد تفتيشها فغيرتهم وعنايتهم في صدّ هجوم فريق على آخر لا تنكر . ان دولة داود باشا وسائر الضباط لا يفترون عن التذرع بالوسائل الممكنة لحماية الامتين ولم يحدث اقتتال في القرى التي فيها حامية أمَّا الخالية منها فان الجنود بتراكضها اليها تجتهد بمنع القتال قبل اشتباكه وقمعه بعده

أمَّا القتال الذي حدث بين أهالي الساحل والغرب فان الجنود كانت على مسافة ساعة من محل الاقتتال ولدى وصولها استتب الامن

وقصارى القول اني لم اقصر في قمع الفتنة السائدة بين الامتين ومنذ وصولي بيروت هجرت كل تنعم ووقفت جهدي وبذلت كل ما بطاقتي لتحقيق هذه الامنية وارسلت بحري باشا الى دير القمر مزوداً بالتعليمات التي ترون صورتها في طيه

وعليهِ فاني جئت ابسط امامكم الخطة التي عليَّ انتهاجها الان فقد استقرَّ رأيي في المفاوضة التي جرت امس بيني وبين الاميرين ارسلان واحمد على ان اذهب غداً الى

خان الحسين حيث استدعي قائم مقام الدروز واصحاب الاقطاعات وجميع الذين يقتضي حضورهم والامير بشير احمد والوكلاء وسائر الاعيان واحادثهم في ايجاد الطرق المؤدية إلى تبديد ظلام الفتن وضمان راحة الاهالي وامنهم ويكتب وفاق يتعهد الفريقان بالقيام به حتى اذا تجرأ فيما بعد احد على خرقه ترسل الجنود إلى قريته وتقبض عليه ليعاقب على ما استحق عبرةً للاخرين وبهذه الصورة يقبض على الجاني وينزل به العقاب الشديد مهما كان مذهبه وعلى هذا وبعون الله تُسد فاغرة الفتنة ولا يضطرب حبل الامن العام . هذه هي الخطة التي ساجري عليها

اما اذا لم أتمكن من ابرام وفاق وقتي في خان الحسين فساوزع الجنود حيث يلزم خلا الموجودة في اماكن مختلفة . واذا لزم الامر فسارسلها الى جميع الاقطاعات بحيث إذا حدث اجتماع في إحدى القرى تذهب اليها الحامية القريبة وتفرق شمل المجتمعين حالاً بقبضها على زعمائهم وبمعاقبتهم باشدّ العقوبات عبرة لغيرهم . إذ ان بمعاقبة المفسدين تقمع الفتن ويتمزق شمل المعتصبين فيسود الامن والطمأنينة في الاهلين

ولهذا رأيت من المناسب ان اوجّه اليكم هذا الكتاب لايقافكم على هذه التدبيرات الواقية . . .

١٠٧ ـ كتاب الشيخ سعيد جنبلاط الى الشيخ حمود ابي نكد (١)

حضرة الاخ الماجد أبي قاسم الشيخ حمود المكرَّم

لقد علمتم بدون شك ما فعلتهُ الامة المسيحية الكافرة في الشوف ولو لم تنجدنا

---

(١) ان هذا الكتاب والذي يليه معرّبان عن الافرنسية وقد أثبتهما الموسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت في كتابه عن لبنان وسوريا صفحة ٢٤٧ ـ ٢٤٩ وعلق عليهما ان الشيخ المشار اليهِ كتبهما في بدء فتنة سنة ١٨٤٥ فوقعا بين يديه وسلمهما إلى وجيهي باشا مشير ايالة

جنود الباب العالي لكانت بدَّدت شملنا . اما الان وقد أجاز حضرة صاحب الدولة داود باشا لنا ولسائر الجماعات الدرزيَّة الفتك بهذه الامة وابادتها فيجب عليكم أن تقوموا في الحال برجالكم وتفتكوا بمسيحيي الشحَّار والديه وتضرموا النار في بيوتهم وبالاختصار ان تعملوا فيهم ما عملتموه المرة الاولى . ولا تخافوا لانهُ قد كتب أمر إلى حامية عبيه بمساعدتكم وعليهِ فاغتنموا هذه الفرصة لابادة هذه الامة الخبيثة والله يحفظكم

١٠٨ -- كتاب امر منه الى مشايخ اقليم الخروب واعيانه المسلمين

حضرة الاخوان الاعزَّاء الاماجد مشايخ وأعيان أقليم الخروب المحترمين

لا خفاكم ان الامة المسيحية الكافرة قامت على المسلمين الموحدين فالباب العالي قد جاد وسمح لنا بمهاجمتها لمحو آثارها وان دولة افندينا داود باشا المعظم قد فوَّض الينا محاربتها وساعدنا عليها بجنوده السلطانية . وبناء عليهِ يتوجب على كل من يعترف بإلهٍ واحد ويؤمن برسولهِ ان ينهض بنشاط للجهاد ضد هذه الامة الكافرة . فنريد من همتكم وبسالتكم أن تسرعوا حالاً وتهاجموا الدبية لان الحامية التي فيها قد برحتها بأمر سعادة مصطفى بك فجاهدوا جهاداً دينياً ولا تخشوا شيئاً لاننا نحن والباب العالي

صيدا فاعترف بصحتهما . ومما يدل على ان الدروز اغتروا بمواعيد بعض رجال الدولة هو ما رواه لنا المرحوم الكونت غندور بك السعد من انه ذهب لعيادة سعيد بك جنبلاط إذ كان مسجوناً في ثكنة الجنود في بيروت وفي خلال الحديث قال لهُ سعيد بك : انتم حاسبينها ونحن حاسبينها وكلانا وقعنا فيها

وروى المرحوم الشيخ دبلين الخازن نقلاً عن الشيخ حسين تلحوق في حديث دار بينهما عن الكوائن الاخيرة قال : قال لي الشيخ حسين المذكور اخاف ان تكون الدولة تستخدمنا لضرب غيرنا فلا تلبث أن تعود فتفتك بنا

يد واحدة في هذه المسألة وهذا كاف لطمأنينتكم وبهِ غناية عن اطالة الشرح

١٠٩ – كتاب اهالي زحلة الى الموسيو بوجاد في سنة ١٨٤٥

لقد هاجمنا الدروز وهم متزيون بزي الالبانيين فزحف عليهم شبّاننا المسيحيون وهزموهم وقتلوا منهم ستة رجال والشيخ قاسم عبدالله وغنموا فرسه . فلما رأى الاتراك انتصارنا ارسلوا علينا جبران عورا وقاسم ومصطفى اغا مصحوبين بالجنود التي صوبت نحونا نار بنادقها فتراجعنا إذ ذاك الى الوراء وفي الوقت عينه فاجأت جماعة أخرى من الدروز المسيحيين المقيمين في رأس المتن وكسروهم فلم يعجل الباشا إلى ايقاف الدروز بل تركهم يحرقون كل المتن في حين انه لمّا رآنا منتصرين على الدروز ارسل جنوده لصدنا

ويؤخذ من الافادات التي تلقيناها ما يثبت ان الدروز لم يأتوا لمحاربتنا الا مكرهين من اصحاب الاقطاع فانهم يجبرونهم على ذلك بضرب العصيّ . ولا مراء ان لبنان لا يتمتع بالراحة ما دام لزعمائه امتيازات ومعافيات كان يمنحهم اياها امير الجبل لقاء خدماتهم وينزعها منهم حينما شاء

ان لبنان ليس ملكاً للدروز بل هو لنا وهم ملتجئون الينا فقبلناهم حينما هربوا من مصر بعد قتل الحاكم بامره وعليه ليسوا من سكان البلاد الاصليين بل هم غرباء عنه . وفي سنة ١٨٤٠ فاجأونا بالاعتداء علينا وارادوا الاجهاز على انفسنا لكن الله نصرنا عليهم وقد سبق لهم ان ثاروا على الباب العالي فاخضعناهم

ان الحكومة كانت قد نفت سعيد بك جنبلاط والامير محمد رسلان وحمود وناصيف ابي نكد وخطار عماد ويوسف عبد الملك ولم تعاقب احداً منهم بل سمحت لهم بالعودة الى لبنان لا ثارة الدروز علينا

من الممكن عقد الصلح بين فلاحي الدروز والمسيحيين انما يتعذر ذلك مع

زعمائهم الذين يريدون حفظ امتيازاتهم وسلطتهم على اخواننا مما لا نرضاه

ان خطار العماد ما فتىء يكاتب مسلمي دمشق لتحريضهم على ذبح المسيحيين بحيث امسى هولاء بحالة محزنة

ان دروز صفد وصلوا إلى مجدل شمس للانضمام إلى اخوانهم والحملة علينا لكننا نحن مستعدون لصد هجومهم ونسأل الله ان يحفظكم

١١٠ – رسالة الموسيو غيزو الى سفير فرنسا في الاستانة في شهر ايار سنة ١٨٤٥

اتصل بي ان تغرض مشير صيدا والجنود العثمانية للدروز أصبح أظهر من ذي قبل جديرًا بكل مقت . فان هذه الجنود المتوجب عليها التوسط بين الفريقين لم تكتفِ بحماية الدروز والسماح لهم بذبح المسيحيين والاجهاز عليهم تعمدًا بل غمست يدها في دم المسيحيين في ظروف عديدة وأتت أعمالاً بربرية بحيث لم يبقَ أدنى شك في تآمر الباب العالي مع اعداء الموارنة . ان قنصلنا في بيروت وغيرته المشهورة وذكاءه هما فوق كل وصف قد الفت على غير طائل انظار وجيهي باشا إلى تدارك القلاقل أو ايقاف تيارها فلم يلاقِ اذنًا صاغية من هذا المشير فانه لبث غير متحرك متظاهرًا بكونه يجهل الحوادث المعروفة من الجميع . وعبثًا ألحَّ عليه الموسيو بوجاد باتخاذ التدبيرات لوقاية أديار الآباء الكبوشيين في عبيه وصليما من كل اعتداء فلم يتحوط لامر فحرق الدروز هذين الديرين ودمروهما وتركوهما اثرًا بعد عين وقتلوا راهبًا (١)

---

(١) في ٥ ايار دخل حمود بك ابي نكد وهو الذي تولى قيادة الدروز في واقعة دير القمر سنة ١٨٤١ والشيخ خطار العماد قرية عبيه وقد كانا نفيا إلى حوران ثم أطلق سبيلهما فولجا برجالهما دير الاباء الكبوشيين وقتلوا الاب شارل من لورات وكاهنين ماروني واضرموا النار في الكنيسة وحرقوا جثث القتلى بحضور مصطفى بك قائد الجنود العثمانية المحتلة البلدة وكان

في دير عبيه بصورة منكرة بحضور ١٥٠ رجلاً من الجنود العثمانية وحتى ذاك التاريخ استمرّ المرسلون مكرمين في وسط المنازعات بين أهالي الجبل فهذا الاعتداء الفظيع يمسّ كثيراً شرف فرنسا ومصالح حمايتنا الدينية بحيث لا يسعنا السكوت عنه وابقائه دون عقاب

١١١ – نظافة اجماعية اتخذها قناصل الدول الخمس في بيروت الى دجبرهي باشا بتاريخ ١٧ ايار سنة ١٨٤٥ و١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٦١

ياحضرة صاحب الدولة

قرأت انا وسائر رصفائي التحرير الذي كتبتموه لرصيفنا المكرم قنصل بروسيا العام وحيث ان دولتكم تسألوننا رأينا فنجيبكم اننا نرى بمزيد الاسف ان كلامكم ووعودكم لا تنطبق على اعمالكم وانه في الوقت عينه بينا تشيدون بالسلم قد سمحتم للجنود السلطانية المفروض عليها منع الفريقين من الاقتتال ان تنضم في قضاء جزين الى الدروز ضد المسيحيين وتركتم الدروز يدخلون المتن ويجتازون هذا القضاء ويضرمون فيه النار ويقدمون على حرق القرى المسيحية حتى المشرفة على بيروت وتقع عليها انظار القناصل . وعلى كلٍ فاننا رغبةً في ايقاف اراقة الدماء نطلب اليك جواباً على استشارتك لنا

أولاً أن تبادر عاجلاً إلى اخراج الدروز من المتن وتبعد عن كسروان الاخطار الهائلة التي تتهدده

المسيحيون قد لجأوا الى دار الامير اسعد شهاب وهو قلعة حصينة فدافعوا فيه دفاع اليائس فتوسط المرسلون الاميركيون لدى مصطفى بك فسمح لهم بالخروج لكن الدروز لحقوا بهم وقتلوا معظمهم (عن الموسيو بوجاد قنصل فرنسا في تاريخه المذكور)

ثانيًا أن ترسل إلى بيروت القائم مقامين وأصحاب الاقطاعات والوكلاء

فاذا لم تتخذوا هذه الذرائع نرى انهُ يتعذر علينا الاشتراك في ما هو جارٍ أمامنا بل نقتصر إذ ذاك مع تأسفنا على هذه الحوادث الغريبة على ايقاف حكوماتنا عليها بكل تدقيق

١١٢ – نظافة الباب العالي الى سفراء الدول الخمس بتاريخ ٢١ ايار سنة ١٨٤٥
١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٦١

اطلع الباب العالي على مآل التعليمات التي سلمتها سفارتكم لترجمانها الاول وفيها ما يلي :

ان الكوائن الجديدة التي جرت في جبل لبنان سببت استياء شديدًا وان قد أبطيء كثيرًا في اجراء تعليمات الباب العالي وانهُ قد أرتكبت جنايات قبل الحرب الاهلية الناشبة الان ولم ينزل العقاب بمرتكبيها وان التدبيرات العسكرية التي اتخذت لم تكن كافية فتطلبون الاسراع في اتمام تنفيذ الوسائل اللازمة لوضع حد لهذه الحالة الشوْمى

لمَّا كان منطوق الكتاب الذي أنفذه دولة مشير صيدا إلى القناصل جوابًا على النطاقة الاجماعية التي ارسلتموها اليه بخصوص الحوادث التي جرت في لبنان وقد ارسل الباب العالي حديثًا صورًا عنها الى سعادتكم أنتم وسائر رصفائكم يُعتبر جوابًا على ملاحظاتكم وكنتم واقفين على المساعي الصادقة التي بذلها الباب العالي واجتهاده المتواصل في تسوية مسألة لبنان نهائيًا تمتيعًا لاهاليه بالراحة والسكينة فلم نرَ حاجة إلى الاسهاب في هذه المسألة . ومن ثمه بما ان الباب العالي قد ارسل إلى أرباب السلطة المحلية التدبيرات الجديدة المتفق عليها أخيرًا مع سعادتكم انتم وسائر

رصفائكم فنالت تصديق وزارات الدول الخمس واستحسانها وقد أرفقها بتعليمات جازمة لتوطيد دعائم الامن في الجبل فالحكومة الشاهانية كانت تعتبر هذه المسألة قد سوّيت تماماً ولا تظن انها تضطر إلى البحث ثانيةً فيها . وكانت ترغب بان ترى في القريب العاجل حسن نتائج التدبيرات السابق الايماء اليها واذ علمت بمزيد الكدر وشديد الامتعاض الاسباب التي أحدثت الكوائن المذكورة وظروفها

ان من واجبات الباب العالي الملازمة حقوق سيادته أن يضع عاجلاً حدًّا للاضطرابات التي طرأت ويعيد الامن إلى نصابه . ولمّا كانت الوسائل التي استنسب دولة مشير صيدا أن يتخذها ويبلغها بكتاب الى القناصل ويرفعها إلى الباب العالي قد جاءت مطابقة لما تقتضيه الحالة على ما ارتأيتم فقد نالت تمام موافقتنا . فاذا ما قام فريق من سكان جبل لبنان لمعارضة رأي الباب العالي وكان لا يسع الحكومة إذ ذاك ان تسكت بل تضطرّ الى اعتبارها كثورة واقتضى بذل كل الجهد لضمان نجاح التدبيرات المذكورة وكان قد سبق لدولة المشير ان أبان في تقريره ان الجنود التي استدعيتْ وأرسلت الى الجبل كافية لمعاقبة المخالفين رأت الحكومة مناسباً أن تسمح لدولته باستعمال ما تدعو اليهِ الحاجة وبناء على ما تقدم أنفذت اليهِ رسالة شديدة اللهجة آمرة أن يسرع باجراء أحكام القرار الموضوع بالاتفاق مع الدول بتمامها وان يستخدم في الوصول لهذه الغاية الوسائل التي تقضي بها الاحوال والظروف المحلية

وسترى سعادتكم من التفاصيل المتقدمة ان الباب العالي لا يحجم عن اتخاذ كل وسيلة من شأنها تنفيذ ما استقرّ عليهِ رأيًا . وعليهِ فترجوكم أن تكتبوا الى قناصلكم وفقًا لما تقدّم

١١٣ – وثيقة عقدت في بيروت بين الدروز والموارنة تحت رئاسة بحري باشا بتاريخ ٢ مزبرا سنة ١٨٤٥ و٢٦ جمادى الاولى سنة ١٢٦١

اننا رغبةً في قمع الاضطرابات وخضد شوكة الفوضى السائدة في لبنان واستبدالها بوسائل تكفل اعادة السكينة والراحة والرفاهية اليه كما تقتضي مزيتا العدالة والانصاف نتعاهد عملًا بالوكالة المفوضة الينا من جميع الدروز في جبل لبنان على القيام بالتعهدات الاتية بكل دقة

١ً : لا يقدم الدروز على ارتكاب ادنى اعتداء أو الحاق أقل اهانة بالفريق الاخر بأية صورة كانت واذا اقترف أحد منهم هذا الذنب نتعهد بالقبض عليهِ وتسليمه ليد العدالة ليحاكم

٢ً : نتعهد بان الدروز لا يعقدون من الان وصاعدًا اجتماعًا في اية جهة كانت لا ليلًا ولا نهارًا وان كل درزي يقوم بواجباته ويتصرف بالنزاهة والحكمة منقطعًا إلى الاشتغال بشؤونهِ الخاصة وحراثة أملاكهِ ويتحاشى اتيان اقلّ مخالفة لاصول العدالة والانصاف والسلم

٣ً : اذا اجتمع الفريق الاخر وهيأ المعدات لمهاجمة الدروز فللحكومة أن ترسل عليهِ في الحال جنودًا لتفريق شمل المجتمعين ومعاقبة من اشترك في الاجتماع وأهالي المكان الذي حصل الاجتماع فيهِ. ويتعهد الدروز بعدم عقد اجتماعات مقابلةً لاجتماعات المسيحيين تلافيًا لاسباب القتال واتقاء اقلاق الراحة العمومية وانما يسارعون إلى إنباء الحكومة فتعجل بمنع تأهبات الفريق الآخر عملًا بوعودها. واذا ما فرض المحال وتقاعدت الحكومة عن منع تأهبات المسيحيين فنضطرّ إذ ذاك أن ندفع بذواتنا الاخطار التي تتهددنا . لكننا نتعهد قبل انباء الحكومة بتحاشي عقد أدنى اجتماع أو اعداد أقلّ أهبة لمقاومة العدو

٤ً : سنبذل جهدنا لضمان راحة مهاجري الفريقين وسكينتهم

٥ً : إذا أحدث بعض افراد من الفريقين قلاقل واضرموا نار الحرب الاهلية فالسلطة المحلية تتولى التحقيق عن أعمالهم وتنزل بهم بكل عدالة أشدَّ العقوبات مهما كان مقامهم

٦ً : لما كان معظم الاجتماعات التي عقدها الفريقان قد بُدد شملها بفضل عناية دولة المشير ولم يبقَ سوى القليل منها بحيث لا يطول الامر حتى يتفرقوا فالدروز يتعهدون بتشريدها تماماً . ولما كان الفريقان يعتديان أحياناً على الفلاحين ويقتلونهم معكرين صفو كأس الامن التي تتلذذ جميع مخلوقات الله بشربها ويضرون بالصالح العام فالدروز يتحاشون الاقدام على السرقة والقتل ان على افراد الحزب المعاكس وان على غيرهم حتى اذا حصل مثل هذا الاعتداء في أي مكان فيُقبض على الجناة وتقام عليهم الدعاوى من قبل ورثاء القتيل وفقاً للعدالة وينفذ الحكم الصادر على الجاني بتمامه واذا انتصر لهُ أهالي قريته تساق الجنود الى حيث يلزم للقبض عليه واقتياده جبراً . ويعاقب الذين حاولوا انقاذه بحسب ذنبهم . واذا تجرأ احد على نهب أموال الغير أو اغتصابها يُكره على اعادتها في الحال حتى إذا لقي عوناً من ذويه فالحكومة تنزل بهم العقاب . ونحن نتعهد بتسهيل اجراء هذه التدبيرات على قدر استطاعتنا

٧ً : كما انهُ يجب القبض على من ثبتت عليه جناية القتل لمعاقبتهِ وفقاً لاحكام النظامات القديمة فكذلك على الحكومة أن ترسل عدداً كافياً من الجنود جرياً على العادة القديمة الجارية في الجبل لطلب الجاني الفار من أهالي قريتهِ والقبض على بعض اقاربه وسجنهم إلى أن يُسلك الجاني . وان لم يكن لهُ اقارب فيسجن بعض اعيان القرية حيث تقيم الجنود الى ان يُسلّم الجاني. واذا تعذر الاهتداء إلى محل مخبأه فتستوفى دية القتيل ثلاثة أضعاف من مال القاتل واذا كان هذا الاخير لا يملك شيئاً

فعلى اهل قريته ان يدفعوا عنه . أمّا إذا لم يُعرف القاتل أو ظلّ مجهولاً ترسل الجنود الى القرية التي حدث فيها القتل فاذا ما كتم الاهالي اسمه يُجبرون على دفع الدية إلى اقارب القتيل ولا يُفرج عنهم إلّا بعد استيفائها . فنتعهد باتمام هذه الشروط والتقيد بمنطوقها بكل دقة

٨ً : ان الذين يسلبون شخصاً او يجرحونه يُعاقبون طبقاً لخطورة جرمهم فاذا لاذوا بالفرار نتعهد بحمل اقاربهم او اهالي قريتهم للتفتيش عنهم

٩ً : للحكومة ان تقيم جنودًا على طرق الشام وصيدا ودير القمر وطرابلس وخلافها تأميناً لابناء السبيل واذا تعذر ذلك فيقوم سكان المحلات المذكورة على حراستها ونأخذ على نفوسنا اجراء ذلك بدقة

١٠ً : لما كان الفريقان المتعاقدان من صنيعة الله ورعايا الباب العالي يقطنان ذات الاماكن يقتضي عليهما ان يعيشا بكمال الوئام مراعين واجبات الجوار متناسين الماضي ماحين كل ما وقع بينهما من سجل الكوائن. وعليه فاذا انتهج الفريقان هذه الخطة تتحسن العلائق بينهما ويسلكان طريق العدالة والانصاف لحفظ الراحة فلا يأتيان عملًا مخالفًا لهذه الوثيقة . وعلى الفريقين المشار اليهما ان يتحاشيا كل ما من شأنه ايقاظ الاحقاد الكامنة ومن تجرأ على مخالفة ذلك يرفع امره للحكومة لتنزل به العقاب

اما العبارة القائلة : « انه يجب محو كل ما جرى من سجل الكوائن » فمقصورة على الاقتتالات والاجتماعات ولا علاقة لها بالحقوق الشخصية والتعويضات

وقد اعطينا هذا التعهد خطاً على الوجه المشروح اعلاه بناء على وعود الحكومة ولقاء الوثيقة التي وقّعها الفريق الاخر حتى اذا خرقنا حرمة هذه التعهدات فللحكومة ان تجري بحقنا القصاص الذي تراه مناسباً

(تواقيع اصحاب المقاطعات الدرزية) وقد وقّع الموارنة صورة معاهدة مثل هذه

وسلموها الى الدروز

١١٤– خطاب الكونت دي مونتالامبر في مجلس الاعيان الفرنسوي بتاريخ ١٥ تموز سنة ١٨٤٥ و١٠ رجب سنة ١٢٦١

الكونت دي مونتالامبر – ارغب ان الفت انظار مجلس الاعيان والوزارة والرأي العام الى ما هو جارٍ الان في سوريا على مسيحيي لبنان الموضوعين تحت حماية فرنسا واني أوجز ما امكن الايجاز. اولاً لان فصل الجلسات قد طال امره. ثانياً لاني لست محيطاً بدقائق المسألة وبواطنها. وكنت اوْمل ان يكون قد بسطها في ندوة النواب أو هذه الندوة رجال اعرف مني بها وأرجح منزلة واذ تعذر ذلك وكنت قد تلقيت بهذا الصدد من سوريا كتابات من أشخاص ذوي منزلة رفيعة مشهورين بالصدق يسألونني بها ان احدّث الندوة بما لها اراني مضطرًّا إلى الاشارة اليها. واني لارجو ان احصل من وزير الخارجية على بعض كلمات طمأنينة وسلوى إذا كان إلى ذلك من سبيل

ولست أريد ياحضرات الاعيان أن أضيع أوقاتكم بعرض تفاصيل الحالة في لبنان وسوريا بل افترض انكم مطلعون عليها جميعاً

لا يخفاكم انه يوجد هناك أمتان احداهما وهي الاكثر عددًا قوامها الموارنة وهم مسيحيون محالفون لفرنسا خاصة منذ عهد القديس لويس على ما يؤكدون وقد وُضعوا في الازمنة الاخيرة تحت حماية فرنسا دون غيرها. وقوام الاخرى الدروز وهم أقل عددًا لكنهم أشدّ ميلاً للحرب واكثر همجية فيسيئون استعمال فروسيتهم بارتكاب الفظائع. لا اقص عليكم اسباب الشقاق والحروب المستمرة بين هاتين الامتين ولا الظروف التي جعلت هذه الاقتتالات في المدات الاخيرة أشدّ هولاً بحيث جرت فيها الدماء زيادة عما سبق. فلقد أجمعت الاراء على ان السبب الرئيسي

لهذه الحوادث هو طرد الامير بشير رئيس السلالة الشهابية الذي عملت انكلترة على ابعاده حسدًا لكونه حائزًا على حماية فرنسا وأجمع الكل على انه منبع تعاظم الشرور التي تحزننا الان . بيدَ انهُ كان قد استحصل من الباب العالي بناء على طلب فرنسا كما أظن (وسيوضح وزير الخارجية ذلك بأجلى بيان مني) على استقلال متماثل للشعبين المشار اليهما بحيث لايكون احدهما محكومًا من الآخر وان يدير شؤونهما وكيلان أحدهما درزي والآخر ماروني . فهذا الشرط الذي طلبتــه الحكومة الفرنسوية لم يراعَ فتغلب الدروز وتجاوزوا الحد بحيث أمسى موقف المسيحيين في لبنان اي الموازنة في غاية الحراجة . أمَّا الدروز فليسوا بمسيحيين ولا بمسلمين

وفي السنة المنقضية تسنى للجميع ان رأوا في باريس مطرانًا لبنانيًا أزعج بشكاويه وتظلمه جميع الوزراء ورجال السياسة على اختلاف مذاهبهم بل يمكنني أن اقول انه ابرمهم. فقد قال لنا جميعًا: « انكم تجهلون الاخطار التي تهدد لبنان والذين يتفيئون في ظل حمايتكم ولا تريدون أن تعرفونها فجئت لاخبركم بها وسيؤيد قولي كثيرون . » فلم يصغَ لقولهِ مع انه تكهن عن كل ما جرى منذ ذاك الحين وصُرف حاملًا الوعود الفارغة . وقد تقبلت ككثيرين غيري شكاويه وتظلمه وشاهدته يغادر بلادنا وهو يقول : « ان فرنسا عدلت عن مهمتها وقبضت يدها عن الذين تحت حمايتها فلا تريد ان تعمل لهم شيئًا ثابتًا وسينشأ عن ذلك كارثة جُلّى »

واليكم مثالاً من تكهناته التي تحققت منذرة بالويل والخراب فان ما توقعه معتمد مسيحي لبنان قد تمّ ولكن بصورة اشد هولاً مما كان يتوقعه . فمنذ شهرين لفح شواظ العداء في لبنان واظن انه بدأ في ٣٠ نيسان فالتحارير الاولى التي وردت عليّ هي بتاريخ ١٣ ايار . وفي ذلك التاريخ أي بعد مرور ١٣ يومًا على بدء الاقتتال حُرقت خمسون قرية مأهولة بالمسيحيين حمايا فرنسا في ضواحي بيروت على مرأى من معتمد حكومتنا . ثم أُخبرنا بحدوث هدنة في ٢٣ ايار انما الرسائل الاخيرة التي وقفت

عليها (ولا ريب ان لدى وزير الخارجية أحدث منها عهداً) تنبي. باستمرار القتال وتواصل الدمار والقتل من الدروز. ومما يزيد في حراجة الحالة إن الدروز فعلوا ما فعلوا بمساعدة الاتراك المسؤولين تجاه فرنسا عن القيام بعهودهم للموارنة . فهؤلاء الدروز ومعهم الاتراك يرتكبون فظائع هائلة في القرى المأهولة بالموارنة بتقطيعهم الاطفال وذبحهم الكهنة وحرقهم الشيوخ وانزالهم في النساء أفظع العذابات التي لا اجرأ على وصفها من أعلى هذا المنبر . وقصارى القول انهم يرتكبون كل الفظائع التي يذكرها التاريخ والمنكرات الاشدّ قساوة من التي حدثت في افريقيا وبُسطت امامكم فاثارت ثائر غضبكم

هذا واني اكرر ما قلتهُ لكم من اني لا انقل اليكم فحوى مقالات الجرائد والمراسلات المثبتة فيها مع اني لا اشك بصحتها بل ابني قولي على رسائل خاصة واردة عليّ من اشخاص مشهورين بصدقهم وعلى غيري فاطلعت عليها

ولم يذق الموارنة المستظلون في الحماية الفرنسويّة وحدهم مرارة هذه البلايا بل الاوربيون ذاتهم فانه يوجد في عيه القريبة من بيروت دير يخص فرنسا وسكانه من رعاياها إذ ان الكاثوليك والفرنسويين هما اسمان مترادفان في الشرق لمسمىً واحد ففي هذا الدير المملوك من فرنسا والمأهول بفرنسويين ذبح الدروز رئيسه الاب شارل وحرقوا جثته (ضجة) . وفي الوقت ذاته ذُبح ايضاً كاهنان في تلك الاماكن المظللة بعلَم فرنسا وقد اقترفت هذه الجناية بحضور الجنود التركية التي لم تحرّك ساكناً مع انهُ على ما بلغني أُرسلت فصيلة منها لحراسة المرسلين الاميركيين البروتستانتيين الذين يقطنون هذه القرية . لقد أحسنوا عملاً ولا الومهم لكني اتسائل كيف ان حماية فرنسا لم تستحق منهم ذات المراعاة لديرنا اللاتيني ولم تنقذ حياة هؤلاء الرهبان الذين ماتوا شهداء تمسكهم بدينهم وثقتهم بحماية فرنسا وسيطرتها

ولا انكر ان الموارنة قد ثأروا لانفسهم فلا امثلهم بحملان تقدم اعناقها للذبح

فانهم يدافعون عن حياتهم متى استطاعوا لكنهم لا يقوون على ذلك دائماً . وعدا ما تقدم فيحق لهم ان يعتمدوا على ميل فرنسا اليهم وحمايتها اياهم

ويسرني ان اقول ان جميع الرسائل مجمعة على الامتداح من ممثل فرنسا في بيروت وعلى وجوب اداء الاكرام له وان القنصل او الذي يريد شؤون القنصلية الان اعني الموسيو بوجاد قد نال بتصرفه ليس فقط استحسان جميع مواطنيه بل اعجاب جميع الاشخاص الموجودين انئذٍ في بيروت نظراً لما بذله من الجرأة والنشاط والحزم والعزم (استحسان) ولي الرجاء بان هذا الثناء الخارج من فم احد اعضاء الاعيان من الحزب المعاكس للحكومة لا يجلب الضرر عليه

الموسيو غيزو وزير الخارجية — ان الموسيو بوجاد قد نال جزءاً من المكافأة التي استحقها

الكونت دي مونتالامبر — اني فرحت كثيراً بهذا الخبر . اما الان فان خطورة هذه الحوادث ـ خلا الاستياء الذي تثيره طبعاً في النفوس ـ لكائنة في سلوك الحكومة التركية المحلية وتصرفها في هذه المسألة

بيد اني اجل الحكومة التركية المركزية عن ذلك إذ قد تسنى لي في مدة اقامتي القصيرة في الاستانة ان اتأكد وجود رجال فيها موطدي العزيمة على السلوك وفقاً لاحكام التمدن والقيام بكل العهود التي اعطتها الحكومة العثمانية لاوربا ولاسيما بما يتعلق بالرعايا المسيحيين . ومنذ ذلك الحين لم يحدث ما زعزع اعتقادي فيهم . بيدَ انهُ ليس بخافٍ على أحد وجود روح في الحكومة العثمانية سائدة بين كثيرين من مأموريها مخالفة لهذا الاستعداد

اني اطلعت على التعليمات التي ارسلتها الحكومة العثمانية إلى مأموريها في لبنان ـ أي إلى باشا بيروت على ما اتذكر ـ منذ بدء الاقتتال وأعلنتها . فالحق يقضي عليَّ بأن اصرّح اني رأيتها كثيرة الغموض وخيّل لي انها غير مطابقة لحراجة الحالة ومهما

يكن من أمرها نُفذت او لم تنفذ فمن الجلي الواضح ان مأموري الاتراك في لبنان أظهروا حتى الان تشيعاً وتغرضاً للدروز بل شاركوهم في جناياتهم وقد ثبت هذا الاشتراك في عدة حوادث لم تُكذَّب واليكم بها ملخصةً :

أوّلاً : ان الجنود التركية التي وُزعت في الجبل بحجة ردع الفريقين المتعاديين قصرت مهمتها على صدّ الموارنة المسيحيين حمايا فرنسا وتركت الحريّة التامة للدروز وهذا يظهر كيف ان الدروز على قلة عددهم تمكنوا من مداهمة الموارنة بسهولة وذبحهم

ثانياً : لما بدأ الاقتتال زحفت الجنود التركية إلى داخل البلاد وازدادت تغرضاً وغضباً للدروز ونصرة لهم على الموارنة. من ذلك انها نزعت السلاح من ايدي الموارنة سكّان الشوف ولم تنزعهُ من أيدي الدروز بل انها سلمتهم الاسلحة التي اخذتها من الموارنة

ثالثاً : قد قاد الدروز في هجومهم واستسلامهم للقتل والسلب زعماؤهم الذين استدعتهم الحكومة العثمانية من المنفى لهذا الغرض . ثم حدث في غير اماكن ان الجنود التركية لما رأت ان الموارنة أوشكوا ان يتغلبوا على الدروز في بعض مواقع انضمت إلى الاخيرين وفتكت بالمسيحيين

هذا وقد أتهمت الجنود المذكورة ليس فقط بتقاعدها في مذابح عيه وغيرها التي اشرت اليها انفاً بل بذبحها المسيحيين الذين استسلموا اليها ولاسيما في حصن واقع بجوار جزين . ويخيل لي ان في ما تقدم وصفه كفاية لاثبات اشتراك رؤساء الحكومة العثمانية وجنودها ومأموريها في الاعتداء الفظيع على الموارنة . وهناك اشتراك اكثر فظاعة وأعظم خطورة وهو ما ينسبه العموم الى معتمد انكلترة في تلك الاصقاع

لقد خبرتموني فعرفتم اني لست في عداد الذين يطعنون عادة بانكلترة ومعتمديها بل تحققتم اني من اكبر المعجبين بها ومن أعظم أشياع المحالفة الانكليزيّة واني لم

اتلفظ قط بعبارات التحامل عليها ولو انها متأتية في الغالب عن وطنية جديرة بالاعتبار لكنها ليست مطابقة لذوقي وعاداتي

بيد اني متى وجدت ازاء حوادث واضحة كالتي سبق تعدادها وتضاهيها فظاعة لا اصغي إلّا إلى صوت ضميري والعدالة فلا اتمالك عن طرحها أمام محكمتكم وسؤال الحكومة عن سلوكها فيها

ولست اريد ان اجري جري من طعن ـ بلهجة شديدة وبكلام ليس على شيء من الاداب وهو في مجلس النواب الانكليزي ـ باحد معتمدينا السياسيين وهو سفير الملك في اليونان . فلا اطعن بشخص المعتمد الانكليزي في بيروت ولا بنيّاته بل اقتصر على القول بان صوت جميع الفرنسويين الذين كانوا موجودين هنالك وسائر الاجانب ـ وهم شهود اكثر نزاهة من الفرنسويين ـ يعلن ان الموما اليهِ كان المحرض الاكبر على الحركة التي حدثت في لبنان معارضة الدروز في اعادة السلطة المستقلة الآئلة لرفع سلطتهم عن الموارنة. وعليهِ فاني اسأل كيف أقدمت دولة مسيحية على بذل عضدها لعصابات همجية جعلت النصارى هدفاً لشرورها. ولا يمكن تفسير هذه السياسة الممقوتة إلاّ بما تضمره انكلترة لفرنسا من حسد نفوذها المتقادم العهد في جبل لبنان . ومن المشهور ان فرنسا تظلل كأم رؤوم بحمايتها المملوءة حنانًا هذه البلاد منذ عدة قرون وهو عمل يشرّف فرنسا بقدر ما يفيد سكان لبنان المسيحيين فانكلترة تعلم ذلك وتمتعض منهُ وتريد ان تفهم اللبنانيين ان حماية فرنسا لا تكفيهم وان عليهم ان يلجأوا إلى كنفها

فهذا هو التأويل الوحيد الذي يمكن بهِ تفسير هذا السلوك المشين فعلينا ألاّ نقبلهُ ولا نتسامح بهِ ولا نسكت عنه. فمن المحقق الثابت ان انكلترة حرضت الدروز على خفر ذمة وثيقة الاستقلال المتبادل التي ضمنت لكل أمة حقوقها وانها هي التي عضدت مطالب أصحاب الاقطاعات الدرزيّة الذين كانوا يتمتعون بسلطة ذوي

الاقطاع ولا يريدون التنازل عنها وانها هي التي حثتهم على عدم التسامح بها وعدم الرضوخ للترتيب الجديد الذي طلبته فرنسا وأوجبت اجراءه

ان ما تقدم بسطه يدفعني إلى ابداء التأسف على التبديل الذي حدث في سياستنا العامة في الشرق اريد به التبديل الذي نددت به غير مرة ولا يسعني إلا تكراره الان في هذا الحادث الخطير وقوامه الاستيعاض عن عمل فرنسا الانفرادي واستقلالها في التدخل بالشؤون الشرقية بعمل انضمت اليها فيه اربع دول معادية . واني اتحاشى الاشارة إلى سائر وجوه سياسة فرنسا في الشرق حيث جر ابدال سياسة التدخل الوحيدة بسياسة اشتركت فيها خمس دول نتائج مضرة ومحزنة إنما ارجوكم أن تنتبهوا إلى سوء مغبتها في لبنان فقط

فما هي الغاية التي نسعى اليها هناك ؟ هي حماية أمة كاثوليكية يتراوح عددها بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ الف نسمة تقريباً (ضجة خفيفة) فهذه الامة الكاثوليكية كانت طبعاً تحت حماية الدولة الكاثوليكية الاولى في الغرب ولم يشاركها أحد فيها كما هو مشهور فنشأ عن ذلك كما بسطت آنفاً هذا التمازج المجيد الذي يشهد لكم به جميع الذين زاروا الشرق وفي مقدمتهم معتمدو حكومتنا في الخارج بحيث ان كل كاثوليكي شرقي يعد ذاته كفرنسوي وكأحد رعايا فرنسا . فابدلتم هذه الحالة باشراك سائر الدول معكم بامورهم وأصبح عددها خمسة . ثلاثة منها معادية طبعاً للديانة الكاثوليكية في الشرق وفي مقدمتها الروسية لانه ينتمي اليها أبناء مذهب معادون لامة نحميها ثم تليها انكلترة وبروسيا ولهما دواعٍ ظاهرة خاصة لعدم عضدهما الكاثوليك الشرقيين . وازاء هذه الدول الثلاث يوجد دولة رابعة كاثوليكية مثلنا هي النمسا تتوق من صميم قلبها إلى أخذ مركزنا وهذه الرغبة طبيعية لا يسعنا لومها عليها . لكننا على ما أرى قد اسأنا عملاً إذ شجعناها بقبولنا أن تقاسمنا امتيازاتنا وحقنا الخاص في تلك النواحي وقد أيدته العصور المتوالية . واني لاخشى أن نكون

قد استأصلنا بيدنا أعمق وشائج نفوذنا في الشرق وأثمنها وزعزعنا أوطد دعائمها من جرّاء الضعف الذي يصيب كل عمل كانت تنفرد بهِ دولة واحدة ثم اشتركت بهِ خمس

واضيف الى ماتقدم ان سردينيا جعلت ذاتها في مصاف الدول الحامية وهي مصيبة لانها وان لم يكن لها عداد بين دول الغرب العظمى فهي كاثوليكية ولها قوة بحرية معتبرة وتجارة كبيرة مع الشرق فهي تعمل ما يلائم مصلحتها. اما نحن فهل احسنا فعلًا باحيائنا في خاطر الدول فكرة أخذ مركزنا؟ اني لا اريد الاطالة ولاسيما ان فصل الجلسات قد طال بل أصرّح اني لم ابسط ماتقدم مدفوعًا بروح العداء لسياسة الوزارة فالوقت غير مناسب للحكم على هذه السياسة في مجموعها ودقائقها وانما دفعني إلى ذلك عاملان لا بدّ لكم من ادراكهما وتقديرهما قدرهما احدهما شرف فرنسا وعلمها والآخر وهو الاخصّ ضمان حياة سكان لبنان التعساء الذين نحنو عليهم جميعًا بعاطفة الرأفة والمحبة. وعليهِ اقتصر باذن وزير الخارجية على توجيه هذه الاسئلة الثلاثة اليه:

هل استحصل بعض ضمانات متينة اكيدة على عدم تكرار الفظائع والمنكرات التي أصابت حمايانا في لبنان؟ هل حصل على بعض التعويض عن قتل الرهبان المظلمين بالعلم الفرنسوي أو أقله على معاقبة ارباب السلطة التركية الذين ثبت اشتراكهم في هذه الجنايات ان رأسًا وان بالواسطة؟ هذا سؤالي الاول

ثم اسألهُ عمّا إذا كان سعى لدى انكلترة لافهامها مناقضة سلوك معتمدها في بيروت للمحالفة الفرنسويّة ولصالح التمدن والديانة المسيحية؟

واخيرًا اسأله إذا كانت الحوادث المحزنة الاخيرة لم تحرّك عواطفه وشعر بوجوب الانفلات ولو قليلاً من الرباط التي أيّدته بالوفاق الخماسي وانتهاج سياسة اكثر استقلالاً وأضمن مفعولاً في ما يختص على الاقل بالمسألة الكاثوليكية في الشرق

١١٥ ـ جواب الموسيو غيزو وزير الخارجية

ياحضرات الاعيان : لم انهض لاعارض ما قاله حضرة الخطيب المكرّم او لالومه على الفاته نظر الندوة الى هذه المسألة فاني آسف مثله على الحوادث التي ذكرها . فأغلبها صحيح حتى اذا بُسطت تفاصيلها امام الندوة أفعمت قلوب اعضائها حنانًا وأغلت مراجل صدورهم غضبًا

اننا في سنة ١٨٤١ أي منذ عدّة سنوات لمّا شُرع في الاستانة بالاهتمام بشؤون سوريًا توقّعنا هذه الحوادث بل تكهنّا عنها لحكومة الاستانة. وفي الوقت ذاته عملنا كل ما بطاقتنا لتلافيها. ومنذ ذلك الحين افتكرنا ان الغاء طريقة الحكم القديمة في سوريًا وقوامها ادارة وحيدة وطنية مسيحية يلقي سوريًا في براثن فوضى محزنة . وقد اعلنّا ذلك لكننا كنّا ـ ولا يمكن حضرة الخطيب ان ينكر ـ في موقف غير مناسب للانتصار لمسيحيي سوريًا . فلقد كنّا اهملناهم حديثًا في مقاومتهم باشا مصر وقد عضدنا الباشا ليس فقط ضد الباب العالي بل ايضًا ضد موارنة سوريًا الناهضين عليهِ ممّا اضعف اخيرًا موقفنا في الاستانة عندما كنّا نخاطب الدولة العثمانية بشأنهم

فمن جرّاء ضعف موقفنا هذا بل رغبةً بازالة هذا الوهن اضطررنا إلى الاتفاق مع سائر الدول لحملهنّ على الاشتراك في السعي معنا لان موقفهنّ بشؤون سوريًا كان يفضل موقفنا وتوصلاً إلى اعادة طريقة الحكم القديمة في سوريًا وهي على رأينا الوحيدة الصالحة لايجاد قليل من الامن والعدالة. وقد استعملت لفظة «بعض الامن» لان الامن والعدالة لم يكونا موطدين تمامًا حتى في عهد الامير بشير الذي يتاق اليهِ اليوم كثيرًا ولذلك التزمنا على ان نقتصر في ذلك التاريخ على اشراك مساعينا مع مساعي سائر الدول حصولاً على الاعتراف بمبدأنا وقوامه ان لا يقام في سوريًا ادارة مسلمة بل ان يدير شؤون كل من الامتين اللتين تقتسمان هذه البلاد رئيس

من مذهبها ومن جنسيتها

ومع حصولنا على التسليم بهذه القاعدة جهرنا بنقائص هذه الطريقة الادارية وقلنا اننا متيقنون بانها لا تأتي بالنتائج المرجوة واننا نصر على طلبنا اعادة طريقة الحكم القديمة إلى ما كانت عليه . انما اضطررنا في آخر الامر الى الاكتفاء بما حصلنا عليه

يجب ألاَّ يغرب عن بالنا ياحضرات الاعيان اننا ازاء دولة مستقلة أي تركيا التي نرغب في تعزيزها وتأييد استقلالها بل في توطيد اركانها اذا جاز لي القول . وان سياستنا تقضي بان نعاملها بالمراعاة والاحترام اللازمين اللذين نطلبهما الى الغير ولنفسنا. وبناء عليه كثيراً ما نرى ذواتنا في موقف صعب بين واجبين ليسا متناقضين بل متفاوتين ينبغي علينا التوفيق بينهما وهما واجب حماية كاثوليك الشرق الذين لا نتركهم ابداً وواجب تأييد استقلال السلطنة العثمانية في املاكها

أجل ان هذه السياسة صعبة لكن ليس ثمَّ من داعٍ الى اهمال الواجبين المتقدمين ونحن لا نهملهما على ان الندوة تدرك بلا ريب صعوبة الموقف

ولمَّا كنَّا لم ننجح باعادة طريقة الحكم القديمة الوحيدة المسيحية إلى سوريا والجئنا الى الاكتفاء بطريقة حكم تفضل الادارة التركية غير جاهلين نقائصها التي توقعنا سوء نتائجها لبثنا منذ ذلك الحين في تلك الحالة مكررين غير مرة احتجاجاتنا وطلبنا اعادة طريقة الحكم القديم

وبينا نحن مواصلون اعتراضاتنا حدثت الكوائن التي ذكرها لكم حضرة الخطيب المكرَّم . فقد صدق بقوله ان بعض ارباب السلطة التركية والجنود قد غمسوا يدهم في هذه الفواجع وانهم قبضوها عن قمع مثل هذه الاضطرابات بالنزاهة المفروضة عليهم بل كثيراً ما عاونوا الدروز على الموارنة في حين كان يتوجب عليهم صدّ الفريقين. كل هذا حقيق . ولقد افتنا انظار الحكومة العثمانية بلهجة قاسية إلى سوء سلوك بعض مأموريها وجنودها

ونحن في هذه المسألة في موقف صعب تجاه الحكومة التركية. فحضرة الموسيو دي مونتالامبر المكرّم قد أشار اليها دون ايضاحها وهو انهُ يوجد في تركيا حزبان أحدهما فهيم معتدل يرى وجوب ادخال الاصلاحات العديدة إلى السلطنة العثمانية لتعزيزها واعادة الامن اليها وايلاء حكومتها قوة والاخر متعصب وهو الحزب التركي القديم النازع دائمًا الى العمل بسياسة السلطنة العثمانية القديمة وقوامها العنف والخداع وسفك الدماء

فالنزاع بين هذين الحزبين قد امتدّ من الاستانة الى سائر ولايات السلطنة واستفحل فيها اكثر من الاستانة. وما جرى في سوريا هو من هذا القبيل فالحزب المتعصب يعتقد ان ادارة الشؤون قائمة بمعارضة الامتين بعضهما ببعض ويحلم بابادة الدروز بواسطة الموارنة وبالعكس بانتصاره تارةً لفريق وطورًا لاخر وعضدهما تباعًا لهُ أشياع بين ارباب السلطة التركية وفي صفوف الجيش ذاته. واجرأ على القول ان ليس لهُ مريدون في ديوان الوكلاء في الباب العالي. ومع ان نية الديوان منصرفة اليوم إلى ادخال الاصلاحات المؤاتية إلى ادارة السلطنة العثمانية وهي محور سياسته رأينا ارباب السلطة في سوريا يتنكبون عن الطريقة التي تريد الحكومة أن يلتزموها

قد فعلنا ونفعل كل يوم ما في استطاعتنا لاطلاع الحكومة العثمانية على سلوك مأموريها الذين يخالفون أوامرها ويسيئون التصرف في الاماكن التي تسند زمام الاحكام فيها اليهم لكن الندوة تفقه الصعوبات التي تحول دون ان نلعب من الخارج دورًا في هذه المسألة وموقفنا موقف المتفرج ذي الكلمة النافذة القادر على أن يأتي خيرًا كبيرًا أو ضررًا جسيمًا بحسب موافقته على الاعمال الجارية أمامه او استنكارها لكن ليس السلطة التنفيذية مباشرةً

لا ريب انهُ لم يجل في خاطر المسيو دي مونتالامبر ان على فرنسا ان ترسل جنودًا إلى سوريا لمنع القلاقل اذ ليس في وسعها ان تعمل سوى ما يوليها نفوذها بتنبيهها الحكومة

العثمانية إلى ما هو جارٍ في سوريا لتراقب سلوك مأموريها وتشدد عليهم ليأتمروا بامرها بحيث تكون ادارتها منظمة فعّالة نفّاذة . وليس اصعب من اجراء هذه الاصلاحات في تركيا فكيف يطلب الينا ادخالها بتمامها فجأة في بلاد اكثر اضطرابًا من سائر ولايات السلطنة

انا لا ارفض القيام بهذه المهمة التي جعلنا تحقيقها مرمى غايتنا انما اكرّر ما قلته سابقًا ان دون ذلك مصاعب كثيرة ولا أمل بالنجاح الاّ بالصبر ومواصلة السعي . وليثق الموسيو دي مونتالمبر اننا لا ننفكّ عن مساعينا ولا نعدل عن فكر اعادة طريقة الحكم القديمة الى لبنان لانها الطريقة الفضلى ولا نحجم عن اصلاح الادارة التي بُلي بها لبنان وكانت في اوّل الامر غير وافية فأصبحت اليوم سيئة

وقد ذكر الموسيو دي مونتالامبر حادثًا مكدرًا وهو الاعتداء على دير تظلله الحماية الفرنسويّة خاصةً وقتل رئيسه فطلبنا في الحال طلبًا جزمًا لا يحتمل التسويف هو عقاب الجناة وتنفيذ القصاص فيهم حقيقة واعاضة رهبانه الذين نُهبوا عوضًا ماليًّا فوعدنا الباب العالي باجابة مطالبنا وسنسهر على ان يبرّ بتنفيذ وعده عاجلاً (دلائل استحسان)

أمّا بخصوص الاعتداءات التي لم تصب فرنسا مباشرةً بل الموارنة المنكودي الطالع فقد بذلنا كل ما بطاقتنا لتلافيها . فان سفير الملك في الاستانة انفذ حالاً إلى شواطئ سوريا بارجتين فأصبح الان عددها ثلاثًا وهي تنقل جميع المساعدات المادية باذلة كل ما بوسعها من العضد الادبي واذا اقتضى الامر سنلحقها ببوارج أخرى .

وأضيف إلى ما تقدم ان تيّار العداء قد وقف حاليًّا في مجراه والحرب الاهلية وضعت اوزارها . اقول ذلك ليس بقصد تسكين بال الموسيو دي مونتالامبر والندوة إذ اني لا اريد ان تكون هذه الطمأنينة كاذبة ويجب ألاّ يستسلم الان إلى طمأنينة تامة لوجود مخاوف واسباب كثيرة في سوريا تدعو الى القلق . ولست اعدّ هذه

الحالة بمرضية بل أرى ان هذه الهدنة في القتال وقتية وسيستمرّ لبنان مدة طويلة في حالة قلقة يؤسف لها ويقتضي مساع جسيمة لاعادة قليل من الامن والراحة اليه . امّا حكومة الملك فستثابر على خطتها ولا تحد عنها قياماً بالواجب الذي فرضته على نفسها

وليتيقن الموسيو دي مونتالامبر اننا باتفاقنا مع سائر الدول الاربع لنعمل سوية على صيانة المصالح المتوجب علينا حفظها في الشرق لم نكتب على نفسنا عهداً بعدم التدخل الاّ باتفاق الدول الخمس ولم نغلّ ايدينا ولم نتنازل عن حقنا بالانفراد في حماية مسيحيي الشرق كلما استطعناها وتوجبت علينا ولم نعدل عن اجراء مفعول هذه الحماية مستقلين كلما رأينا الظروف مناسبة . لقد اقدمنا على تسوية بعض مسائل باتفاق الدول الخمس حين رأينا الاتفاق على تسويتها في العاجل العاجل طبقاً لمصالح الاهالين افضل من الانفراد بها وعندما تحققنا ان في وسعنا الاستقلال بتسويتها لم نترك مقدار ذرّة من امتيازاتنا القديمة . واني اقول لحضرة الخطيب المكرّم وانا متأكد ارتياحه الى الخبر ان الحكومة تلقت من رومية من مجمع نشر الايمان رسائل عديدة تتضمن شكرها لها سلوكها وسلوك قنصلها في سورية ـ الذي اطرأه الموسيو دي مونتالامبر ـ وسائر المعتمدين الفرنسويين المنتشرين في السلطنة العثمانية وخطة الحكومة التي لم تنقطع عن بسط ظل حمايتها على منكوبي هذه الحوادث وقد أتت في عدة ظروف بنتائج حسنة

هذا وان المسيو دي مونتالامبر قد ألحّ بامرٍ اعتقد انه يوافقني على عدم التعمق فيه وسبر غوره . لا مراء اننا بحاجة الى زيادة التوفيق بين ارائنا وآراء الحكومة البريطانية في الحوادث الجارية في لبنان وفي اسبابها والوسائل الجدية الكافلة معالجتها إذ يوجد بعض التباين في الآراء بخصوصها بين معتمدي الحكومتين في سوريا . وانا لا ارتاب بل اوكد ان الحكومتين تنتظمهما نية واحدة وهي عدم السماح بتجدد الفظائع التي

جرت في لبنان وتسليم الموارنة ليد الدروز أو بالعكس . فان الوزارة الانكليزيّة تشاطر الحكومة الفرنسويّة رأيها في هذا الشأن واجلّها عن التهور بسياستها والحط من شأنها ونهجها سياسة حزب تركيًا القديم الذي أشرت اليه انفًا وجلّ عنايتهِ موجهة الى ابادة الدروز بواسطة الموارنة وهؤلاء الاخرين بيد الاولين . كلّا فالحكومة الانكليزيّة لا تنوي ذلك بل تريد مثلنا ان يعود الامن والعدالة إلى نصابهما في لبنان على انه ليس بخافٍ اننا ما اتفقنا ولم نتفق بعد كل الاتفاق على الحوادث وأسبابها وادويتها وانما نحن باذلون ما بوسعنا لايقاف الحكومة الانكليزيّة مثلنا على جلية الامر ولمزيد الاستثبات من صحة الحوادث لتمكين الوفاق بين الحكومتين بحيث يخرج من حدّ الرغبة الى الاتحاد في الرأي على الحوادث ومدواتها فتعملان إذ ذاك سويّةً . ولقد نحوت هذا النحو واؤمل ان ابلغ الغاية ولتثق الندوة وحضرة الكونت مونتالامبر ان حكومة الملك لا تفتر عن اتباع هذه الخطة طرفة عين (استحسان شديد)

١١٦ -- رسالة البارون دي بوركنه الى الموسيو غيزو بتاريخ ٢١ تموز سنة ١٨٤٥ الموافق ١٥ رجب سنة ١٢٦١

ان مساعينا المتواصلة لاقناع الباب العالي بوجوب وضع حدّ لقلاقل لبنان لم تخلُ من النجاح فسعادتكم تعرفون من رسالاتي السابقة ان مجلس الوكلاء جعل مدار مباحثاته منذ ثلاثة اسابيع شؤون سوريا . وكان شكيب افندي يؤجل اعلان نتائج هذه المفاوضات مرغمًا لكنهُ ضرب اليوم موعدًا للموسيو كور فذهب اليهِ وجاءني بالبلاغ الواصل في طيه وهذه أهمّ فقره :

إن جلالة السلطان ارتأى ان يذهب ناظر الخارجية الى لبنان مفوّضًا اليه سلطة واسعة لاعادة الامن إلى ذلك الصوب وتسوية جميع المسائل الحادثة

وقد قال لهُ شكيب افندي : اني اعتقد بان حضرة السفير يسرّ بذلك وانه لم يكن في وسعي أن اوضح لهُ باكثر جلاء مقدار استعظامي هذه الكوائن إلاَّ باخذي على عاتقي مهمة انهائها في محلها

وتُربط أيدي ارباب الحكومة المحلية عن العمل ويُوجب على نامق باشا مشير فيلق البلاد العربية ان يعضد ناظر الخارجية في مهمته. وسيلفت الباب العالي انظار الدول صديقاته الى اجبار قناصل الدول المقيمين في بيروت على لزوم دائرة وظائفهم وتحاشيهم التدخل في شؤون رعايا جلالة السلطان وعرقلة مساعي الباب العالي الاصلاحية. والى وجوب تحديد خصائص أصحاب المقاطعات والوكلاء هنا بحيث يؤمن الاولون على حقوقهم وامتيازاتهم مع حفظ الفوائد التي أصابها المسيحيون في المواثيق الاخيرة ثم الى ضرورة استعمال وسائل الاكراه إذا قاوم أحد الفريقين ودعت الحاجة الى ذلك

١١٧ – نظافة شكيب افندي (١) ناظر الخارجية الى ممثلي النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا بتاريخ ٢٨ تموز سنة ١٨٤٥ (٢٢ رجب سنة ١٢٦١)

ان جلالة السلطان في عنايتهِ الابوية المنصرفة إلى خير شعوبه يسعى كما هو مشهور لايجاد الوسائل الكافلة انالة جميع طبقات رعاياه المستظلين بعدالته الشاهانية رفاهيتهم وراحتهم وأمنهم واكمالها وقد شاء ايضاً ان يشرك اهالي جبل لبنان بهذه

---

(١) كان أوَّلاً سفيرًا في تندره وهو الذي وقع مع اللورد بلمرستون وزير خارجية انكلترة والبارون دي برونوى سفير الروسية والبارون نومان سفير النمسا والبارون دي بيلوف سفير بروسيا معاهدة ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ المشهورة فكافأته دولته وجعلته ناظرًا للخارجية وكان مشهورًا بدهائهِ

الآلاء فشملهم بمكارمهِ وانعاماته المتنوعة وأثبت امتيازاتهم المكانية القديمة وجعل حكومتهم بهيئة خاصة . وزيادة عمَّا تقدم ورغبةً في ازالة كل اسباب النفور أجاز حديثًا ان يكون الموازنة في القرى المأهولة بالطائفتين وكيل خلا صاحب الاقطاعة وأنفذ ارادته السنية بسرعة اجراء هذا التدبير

وكان يظن ان اهالي الجبل المذكور يقدّرون النعم التي لا تفتر الحضرة السلطانية عن اغداقها عليهم حق قدرها فيبدون شكرهم لها ويسارعون الى الخضوع لاوامر الباب العالي بصفتهم من رعاياه لكنهم استسلموا لطبعهم الجافي فرأى بعضهم هذه الآلاء دون أمانيهم وظنَّ الآخرون انهم ذهبوا ضحية الاولين فترددوا بقبولها وأثاروا المصاعب . وعدا ما تقدم فانهم رأوا في اجراء تدبير غايته ضمان راحة البلاد وأمنها فرصة لاطلاق العنان لاحقادهم المتبادلة وتنفيذ مقاصدهم السيئة فتجرأوا على مهاجمة بعضهم بعض وسفك الدماء . وعند اتصال الخبر بالحكومة الشاهانية تأثرت ونال منها التبأ كثيرًا بل دَهشت من ادعائهم ان الباب العالي اباح لهم ذلك .

وعليهِ فقد وطد العزيمة على تنفيذ ما استقرَّ عليهِ الرأي بخصوص القرى المأهولة بالامتين الدرزيَّة والمارونية تمامًا دون تأخير . وهذا التدبير هو نتيجة بل تتمة الاراء الشاهانية المتخذة قبلًا بشأن ادارة الجبل المحلية ولذلك أصبح من الضروري ان يعوّل على وسيلة ذات مفعول عاجل ليظهر لاهالي لبنان عظم عنايته وسلطته واقتداره ويوضح للدول العظمى حليفاته حسن نيته ومقاصده الصادقة توصلًا إلى بتّ مسألة لبنان نهائيًا . وبالنظر لسلوك اهالي الجبل في السابق أصبح من الجلي انه طالما لا يشعرون بامكان استعمال القوة يحجمون عن قبول الآلاء والنعم الممنوحة لهم . ومن المحقق ايضًا انهم لا يقلعون عن هذا التردد ما لم يتيقنوا انه يتعذر تبديل هذا الرأي ويفقهوا ان لا أمل لهم بتحقيق الاماني الخارجة عنهُ وهي قيد تعليل نفوسهم بالحصول عليها . ومن ثمَّ رأت الحكومة الشاهانية ان الموقف يتطلب

رجلًا عارفًا بخطورة هذه المسألة واقفًا على نيّات الباب العالي الصادقة يذهب إلى لبنان بمهمة خاصة ولهُ السلطة المطلقة ولديه القوة الكافية لتسوية هذه المسائل وحلها بحيث يستأصل كل أسباب الخلافات والاحتجاجات الجديدة . ولمّا كانت نظارة الخارجية هي منذ مدة محور المباحثات في هذه المسألة وينبوع العمل اصبحت طبعًا المنفذة لما يستقرّ عليهِ الرأي فبناء عليه عهد إليّ جلالة السلطان ان اذهب الى سوريا بمهمة خاصة مطلقة للقطع عاجلًا ونهائيًا بهذه المسألة . ولاجل ان اظهر انه لم يبقَ وجه يحتمل التسويف والتردد او الاختلاف اتشرّف بانباء سعادتكم بذلك

فمحور المسألة وغاية المهمة الموكولة إليّ هما تنفيذ التدبيرات المتخذة قبلًا وحديثًا بشأن الادارة المحلية بتمامها مع مراعاة الامتيازات الخاصة التي منحها جلالة السلطان وضمان راحة رعايا الحكومة وسكينتهم في كل الاحوال . ورغبة في تسهيل اجراء التدبيرات المذكورة يجب كما اشرت سابقًا ان نظهر قوة من شأنها الارهاب وتنزلها في رقاب الذين يرفضون قبول التدبيرات المار ذكرها مهما كانوا . فالحكومة تود ألاّ يحدث ما يلجئها الى ذلك . بيدَ انهُ من الضروري جعل القوات الموجودة في الجبل في حالة تمكنها من بلوغ الغاية المقصودة

وبناء عليهِ كتب إلى صاحب الدولة نامق باشا مشير الفيلق الهمايوني في البلاد العربية ان ينتقي من الجيش المنظم الموضوع تحت امرته عددًا كافيًا من الجنود ويذهب بهم إلى لبنان محتلًا المواقع العسكرية الملائمة لاجراء الحركات التي توجبها الحوادث وفقًا للتعليمات التي وردت عليه

فاذا نظر ممثلو الدول العظمى بعين الانصاف الى الوسائل الفعّالة الجازمة التي عوّلت عليها الحكومة يرون ان المهمة الموكولة اليّ ـ وانا في عداد وكلاء جلالتها ـ للقطع بهذه المسألة نهائيًا من دون تردد وفقًا لمقاصد الحكومة الشاهانية النزيهة ستساعد على تقريب اوان حل عقدها . ويعلمون ايضًا ان انضمام نامق باشا إليّ

وتوزيعه القوة التهديدية في انحاء لبنان يهيبان باهالي الجبل الى وجوب الرجوع إلى حدود الطاعة . أمَّا التعويضات فقد مُنحت قبلًا اظهارًا لبسطة يد جلالتها على اتيان الاحسان كما في وسعها ان تقسو وان غاية التدبيرات التي اتخذتها حكومة جلالتها ترمي الى اظهار بطشها وصولتها لبعض أهالي الجبل الطائشين الذين يجهلون صوالحهم الحقيقية وفي الوقت عينه تتناول منح مواطنيهم نعمة واعطائهم دليلًا جديدًا على المكارم السلطانية . فاعتزام الحكومة على توزيع قسم من هذه التعويضات عند الشروع بالاهتمام في تسوية المسألة اللبنانية ودفع الباقي غب تسويتها هو دليل جديد على عدالة افكار الحكومة الشاهانية وحبها الانصاف وبذلك يعلم اللبنانيون انه بقدر ما يطبقون أعمالهم على فروض الطاعة وواجبات الرعايا ينالون التفات جلالته ويحرزون آلائه . وهذا الامر مع مجموع التدبيرات المذكورة انفًا من شأنه ان يؤول الى حل المسألة عاجلًا بصورة نهائية

ولمَّا كانت طوائف الجبل المختلفة تلاقي في تردها في الرضوخ لاوامر الباب العالي عضدًا أدبيًا باشكال متنوعة فيقاومون ويأتون أعمالاً يضطرب لها حبل الامن في البلاد وكان القناصل من جهة أخرى حين تقدم الحكومة على تنفيذ الاوامر التي استقرَّ عليها الرأي هنا يبدون ارتيابًا ويحاولون اعادة البحث فيها ويقيمون العقبات في سبيلها ثم لما كان الامر الذي اعتزم عليهِ هذه المرَّة جازم لا يبدل منه حرف وكانت المهمة الموكولة إليَّ لانفذها بذاتي تبرهن عمَّا تقدم فيقتضي ألاَّ يعارضني القناصل بوجه ما في ما سأقوله وان يتحاشوا التدخل في المسألة ان في اساسها وان في فروعها . وبينا انا على ثقةٍ من ان عضد سعادتكم الادبي – الذي ارغب ان تمدوني بهِ في هذه المسألة – يتم وفقًا لطلب الباب العالي لي الشرف بان اوجه اهتمامكم إلى اجراء كل ما تقدم

أمَّا في ما يختص بالتردد الذي حصل في تنفيذ ما استقرَّ عليهِ الرأي اخيرًا

بخصوص القرى المختلطة فأرجح انهُ نشأ عن سوء فهم الحكومة المحلية خصائص أصحاب الاقطاعات والوكلاء المارونيين. ولكي لا يبقى في لبنان أدنى سبب للخلاف على هذه المسألة فمن الضروري ازالة كل لبس فيها وكشف كل غامض عنها هنا وها انا اشرح لكم الآن مقاصد الباب العالي بهذا الشأن.

ان ادارة القرى المختلطة تتضمن ثلاثة وجوه :

أولاً : المسائل الحقوقية

ثانياً : الشؤون السياسية

ثالثاً : السلطة الاجرائية (الضابطة)

فكل دعوى أو خلاف يقع بين أشخاص من طائفة واحدة ولهُ علاقة بالوجه الاول ينظر فيهِ وكيل طائفتهم ويفصله منفرداً. أمَّا إذا كان أحد المتداعين من طائفة وخصمه من طائفة أخرى فلوكيل احدهما ومتولي اقطاعة الآخر ان ينظرا معاً في الخلاف فاذا لم يتفقا يلجأ إلى القائم مقام

أمَّا في المسائل العمومية التي لها علاقة بشؤون السياسة كتنفيذ أوامر الحكومة أو اوامر والي الولاية واستيفاء دخل البلاد فالوكلاء يكونون وسطاء طائفتهم لدى اصحاب الاقطاعات لتنفيذ الاوامر

أمَّا في ما لهُ علاقة بالسلطة الاجرائية فلما كان تقسيمها يعرقل عملها فلا يمكن اشراك الوكلاء فيها ولذلك فعملاً بالقاعدة الجارية في كل مكان يُعهد الى اصحاب الاقطاعات وحدهم مستقلين بحفظ الراحة وقمع الاضطرابات. انما متى سجن احد اصحاب الاقطاعات شخصاً من غير طائفته فيتفق مع الوكيل على العقاب الذي استحقه وعلى انزاله بهِ واذا تباينت الاراء بخصوص الحكم يلجأ إلى القائم مقام ويحق للوكلاء ان يسهروا على عدم اساءة معاملة السجين قبل الحكم عليهِ

فهذه التدبيرات هي مطابقة ليس فقط لاصول العدالة والانصاف بل لمجموع

نظام البلاد الاداري فالسهر على اجرائها بتمامها بكل دقة والبحث عن الجنايات الافرادية ـ كحوادث القتل التي حدثت من وقت الى آخر في الجبل قبل اندلاع لسان الفتنة الاخيرة التي حالت دون معاقبة الجناة عاجلًا ـ هما الغاية التي عزمت الحكومة الشاهانية على بلوغها وداخلان في جملة المهمة الموكولة إليّ . واني اتشرف بانباء سعادتكم اني مسافر بعد بضعة ايام للقيام بمهمتي فابذل جهدي لتنفيذ مقاصد جلالة مولاي السلطان الخيرية

ولمّا كانت الدول الصديقة الصدوقة للباب العالي مدفوعة بعوامل ولائها المشهور لهُ تودّ من صميم قلبها توطيد اركان الراحة في الجبل وكان الرأي الذي عوّلت عليهِ الحكومة الشاهانية هذه المرّة هو أقوى ذريعة لبلوغ الغرض المرغوب فيهِ لي الشرف بان اطلب إلى سعادتكم اثباتًا للتدبيرات المشروحة آنفًا ان تجود بتسليمي التعليمات الجازمة التي تريد اعطائها إلى قناصلها في بيروت مفتوحة لاوصلها اليهم

١١٨ – نظافة البارون دي بورکنه الى علي افندي وكيل نظارة الخارجية في الباب العالي

بتاريخ ٤ ت ١ سنة ١٨٤٥ [٢ شوال سنة ١٢٦١]

ان الموقع اسمه ادناه سفير جلالة ملك الفرنسويين لدى الباب العالي تلقى من قنصل فرنسا في بيروت رسائل مؤرخة في ٢٣ ايلول وهي تتضمن ان عطوفة شكيب افندي بعد ان بسط غاية مهمته الى قناصل الدول الخمس في الجلسة التي دعاهم اليها طلب اليهم استدعاء المسافرين الاوربيين والاجانب المقيمين في داخلية البلاد في مهلة احتفظ لنفسهِ حق تحديدها فيما بعد إلى ان تتم اعادة الراحة . ان البلاغات الخطية والشفاهية ـ ولم يفتر الموقع ادناه عن تقديمها منذ ثلاثة اشهر ـ لا يمكن ان تكون أبقت في افكار النظّار العثمانيين شكًّا في تعهده باسم حكومته ان يمدّ ناظر الخارجية في مهمتهِ . فان الغرض الذي أعلنهُ الباب العالي وهو توطيد دعائم الامن في لبنان

باجراء التدبيرات الاداريّة الموضوعة بالاتفاق مع الدول الاوربية وحفظ الامتيازات الممنوحة للطوائف المسيحية ودفع التعويضات المتوجبة للموارنة كان لا بدّ لهُ من ان يفوز باستحسانه فصرّح انه لا يعرقل لا توًّا ولا بالواسطة مهمة مفوض الباب العالي المشروحة على الوجه المتقدم فارسل تعليمات مطابقة لتصريحه هذا الصادق. لكنهُ لمّا كان الموقع ادناه قد حبطت آماله عدة مرات فقد القى اليوم على عاتق الباب العالي تبعة العمل الذي اخذه على عهدتهِ وعدا ما تقدم فقد احتفظ الموقع ادناه بحكم حكومته في التدبيرات التي اتخذت متمنيًا من صميم قلبه ان تحقق آمال اوربا مع الاعتقاد المكين انها إذا ما خابت هذه الامال مجددًا فيبحث باتفاق الدول عن طريقة حكم أخرى مخالفة للطريقة التي عجزت عن ايلاء لبنان راحته

فاذا ما كان الموقّع ادناه قد جهر بموافقة حكومته على مهمة شكيب افندي اساسًا وغاية فهو يرى ضربة لازب عليه ان يبين للباب العالي بمزيد جلاء رأي حكومته الخاص في ما يتعلق بوسائل التنفيذ التي سيلجأ اليها المفوض العثماني لتقويم المعوج واحقاق الحق وازالة الاضرار التي يحق لفرنسا وحدها ان تطلب عليها حسابًا ولا بدّ لها من الوصول إلى حقها بانصاف

ان استدعاء الاوربيين مسافرين كانوا أو مقيمين من داخلية البلاد الى ان تتم اعادة الامن الى نصابه مخالف للمعاهدات والامتيازات الاجنبية. ولذلك فان الموقّع أدناه تضطره الحال الى التعجل كل التعجل لابلاغ الباب العالي استنكاره الشديد لهذا العمل لكنه يعلل نفسه بالامال بان المعتمد العثماني يكون امتنع من تلقاء ذاته عن اجراء هذا التدبير بحكم ما لقيه من المعارضة المحلية وان الباب العالي يستطيع ان يرسل اليه في حينه التعليمات المحظّرة عليه ركوب هذه الطريقة. وعلى كلٍّ يرى الموقع بذيلهِ من واجبه ان يصرّح منذ الان بانه اذا كان اكره بالقوة احد من الرهبان والتجار الفرنسويين المقيمين في الجبل على ترك الاماكن التي كانوا يقطنونها فيكون

الباب العالي مسؤولاً تجاه حكومة الملك عن خرق حرمة الامتيازات التي تتمتع بها اديار الرهبان ومحلات التجار الفرنسويين المذكورين وعن اخلاف ناظر الخارجية بتعهداته في ما يتعلق بالتعويضات والترضية المتوجبة عن قتل الاب شارل ونهب ديري عبيه وصليما . فالتباطوء في البر بهذه العهود والمواثيق يوجب على الموقع بذيلهِ أن يبلغ الباب العالي شكاويه الحقة لاخر مرة وان يعلنهُ انهُ لا يحجم عن اتخاذ كل الوسائل المؤدية الى الحصول على الترضية اللازمة وانصافه

هذا وان الموقع بذيله نظراً الى الظروف الشديدة الخطورة الناشئة عن شروع شكيب افندي بتنفيذ مهمته قد قاس لهجته الحرة في بلاغه هذا على رغبته الصادقة في تحسين العلائق المضطرب حبلها بين الحكومة الشاهانية وجلالة ملك الفرنسويين

١١٩ ــ نظافة علي افندي الى البارون دي بوركنه بتاريخ ١٢ ت ١ سنة ١٨٤٥
[١٠ شوال سنة ١٢٦١]

ان الباب العالي اطلع على النطاقة التي ارسلها حضرة السفير الى نظارة الخارجية بشأن حوادث سوريا وقد جاء فيها ان قنصل فرنسا في بيروت كتب إلى سفارتهِ ان عطوفة ناظر الخارجية لدى وصوله الى هذه المدينة جمع قناصل الدول العظمى الخمس وسألهم اجلاء الاجانب المقيمين في داخلية البلاد الى ان يضرب الامن سرادقه في الجبل وان قد تأجل الحكم على قاتل الاب شارل واجراء التحقيق عن الاضرار التي التحقت بديري صليما وعبيه ودفع العوض المتوجب لهما . وفوق ذلك سأل السفير الحكومة ان تأمر شكيب افندي بالعدول عن اخراج الاجانب من الجبل لمناقضته احكام المعاهدات المرعية ورغب أيضاً ان يسوّي عاجلاً جميع المسائل المذكورة آنفاً ثم طلب التعويض على الفرنسويين فيما لو نُفذ التدبير المتخذ بشأن الاجانب ولحقت بهم خسائر من جراء ترك تجارتهم

لا نكير ان المعاهدات تقضي على الحكومة الشاهانية بحماية تجار جميع الدول المتحابة ورعاياها الذين يقيمون في السلطنة العثمانيـة والدفاع عنهم . ولا ريب ان الافادات التي بلغناها حضرة السفير جديرة بكل ثقة. بيد انهُ لمَّا كان عطوفة شكيب افندي لم يرسل إلى الباب العالي أدنى افادة بهذا الشأن أي بخصوص طلبه اخراج الرعايا الاجانب من المحلَّات المقيمين فيها في لبنان فليس لدى الحكومة من الاخبار الرسمية ما تعتمد عليهِ

ولمَّا كانت السكينة في الجبل في الاحوال الحاضرة غير موطدة على دعائم متينة فاذا ما اوجب اجراء النظامات المقررة استعمال القوَّة خلافًا لمتمنيات الباب العالي هل يخشى ان يمسي الاجانب المقيمون فيه عرضةً للاخطار والاضرار؟ هل ان هذه الوسيلة التي أشار بها حضرة الناظر هي من قبيل الاستدراك والتهيؤ لامكان طروء ذلك أو بنية ان يمهد السبيل للذين لا يرون ذاتهم في مأمن ان ينسحبوا مدة من الاماكن التي يقطنونها وذلك من باب زيادة التحفظ ؟ فاذا افترضنا ذلك كانت الوسيلة المشار اليها ترمي إلى وقاية الاوربيين من كل خطر .

ولمَّا كان ذلك من جلّ رغائب الحكومة الشاهانية فقد كتب الباب العالي إلى عطوفة شكيب افندي موعزًا اليهِ فيما لو اضطرَّ إلى استعمال القوة ان يـهر ـ مع تخييره الاجانب الموجودين في الجبل بين البقاء في محلَّات اقامتهم أو مغادرتها مدةً إلى حين استتباب الامن نهائيًا ـ على حماية الاديار ومحلَّات التجارة الكائنة في الجبل التي لم يشأ اصحابها ان يغادروها ويوجب عليهِ أيضًا ان يهتمّ في الحال بان يحاكم قاتل الاب شارل دون تغرّض وبكل نزاهة وفقًا للشريعة الاسلامية وتنفيذ العقاب الذي استحقه فور ثبوت الجناية عليه طبقًا لاحكام الشريعة المشار اليها إذا لم يكن حوكم بعد . ويأمره ان يبادر إلى اجراء التحقيق اللازم عن نهب ديري عيبه وصليما ويفيد الحكومة عن مبلغ الخسائر لتقدر التويضات الواجب اداؤها إلى أصحاب الديرين

المذكورين

أمّا فيما يتعلق بالتعويض الذي طلب السفير اداءه إلى رعايا الحكومة الفرنسويّة الذين قد يكونون تضرروا فيما لو كان قد تمّ ابعاد الاجانب المقيمين في الجبل فلما كانت الوسيلة السابق الايماء اليها هي اختياريّة فلا يُقدّر ان تكون استعملت الوسائل الاكراهية بحق الرعايا الفرنسويين لاجبارهم على ترك محلّاتهم وعليهِ فمن الجلي انه لا يمكننا اعطاء تعهد بشيء لم يثبت وقوعه. بيد انهُ إذا كان أبعد بعض الفرنسويين بالقوّة خلافًا للمأمول ولحقت بهم اضرار من جرّاء ذلك فيجرى التحقيق ثم يتفق مع حضرة السفير على النظر بتسوية هذه المسألة حبيًّا وبكل نزاهة.

١٢٠ – نظافة البارودة دي بوركنه الى علي افندي بتاريخ ١٦ تشرين الاول سنة ١٨٤٥ و١٤ شوال سنة ١٢٦١

بينا كان الموقّع بذيله سفير جلالة ملك الفرنسويين ينوي ان يفيد سعادة وكيل نظارة الخارجية عن وصول النطاقة التي جاد بارسالها اليه في ١٢ ت ١ وتسجيل مضمونها إذ وردت عليهِ رسائل من بيروت بتاريخ ٥ الجاري تؤكد ان الاوامر الرسمية المذيّلة بتوقيع المعتمد العثماني المفوّض ازالت كل ريبة في استعماله العنف بحق الرعايا الفرنسويين لاخراجهم من داخلية الجبل وفي رفضه وقاية حياة الذين لا يمتثلون الايعاز المبلغ اليهم بواسطة قنصل الملك وتنفيذه على الرغم من احتجاجات القنصل المشار اليهِ الامر الذي يعدّ خرقًا كبيرًا لمنطوق المادة الـ ٣٢ من المعاهدات المبرمة بين فرنسا والباب العالي

ان الشيخ حمود ابي نكد الثابت عليه – ان لم يكن هو الضارب الاب شارل الضربة التي اودت بحياته – انه تولّى قيادة العصابة الدرزيّة التي نهبت دير عبيه وقتلت كاهنًا آمنًا بحضور فصيلة من الجنود العثمانية قد خرج من سجنه بحفلة باهرة

كأنهُ ظافر ورافق شكيب افندي الى دير القمر . فهذه الجناية الفظيعة الملمة باحد رعايا فرنسا ودير فرنسوي لم تعوض حتى بعد مرور خمسة أشهر

وعليهِ فالاوامر المرسلة الى شكيب افندي ـ وما برحت في الطريق وقد أبلغ الموقع ادناه خلاصتها ـ أمست لا تغني فتيلًا تداركًا للشر الذي وقع في لبنان . ويرى الموقع أدناه أن يضع حدًّا لمفاوضات أمست عقيمة فيعلم الباب العالي الخطة التي ترسمها لهُ واجباته وتقضي عليهِ بانتهاجها بصفتهِ ممثل ملك الفرنسويين

فانهُ لمَّا كان يرى على كره منهُ في سلوك ناظر الخارجية العثمانية مساسًا كبيرًا بالعلائق التي تربط الباب العالي بحكومته يضطر بكل اسف أن ينيط حفظ العلائق المذكورة باعادة الرعايا الفرنسويين إلى اماكنهم في الحال مع اداء التعويضات المالية الى من أكرهوا على تركها من جرَّاء رفض حمايتهم وعلى استدعاء الشيخ حمود إلى الاستانة ليحاكم على سلوكه في شهر ايار وعلى التفتيش عن شركائه وعلى دفع التعويضات الموعودة إلى ديري عبيهِ وصليما وعلى انزال القصاص بالضابط الذي كان يقود فصيلة الجنود التي شهدت نهب دير عبيه

فاذا لم تجب هذه المطالب بارادة سنية تُبلغ في الحال الى شكيب افندي فلا يبقى للموقع بذيله سوى ان يرجو من سعادة علي افندي ان يتلطف باستئذان جلالة السلطان لهُ بمقابلته إذ لا يسعهُ ان يسمع رد طلبه العادل المعتدل سوى من فم جلالته حتى اذا سمعهُ يضطر بكل أسف أن يغادر حاضرة السلطنة الى الحدود وينتظر فيها التعليمات التي يطلب الى حكومتهِ ارسالها

١٢١ – رسالة البارون دي بوركنه الى الموسيو غيزو بتاريخ ١٧ تشرين الاول سنة ١٨٤٥ و١٥ شوال سنة ١٦٢١

ياحضرة الوزير : عاد الان إليَّ الترجمان الاول في سفارة الملك حاملًا نتيجة

مفاوضات مجلس الوكلاء الملخصة بكل دقة في الصك الملحق برسالتي هذه وهو يحتوي على انذاري وجواب الباب العالي عليه

فقد رضي الباب العالي بكل المطالب إلاَّ بالتعويض على رعايانا الذين اضطروا الى مغادرة لبنان وحجته في ذلك انه لمَّا كانت الدول الاربع الباقية قد قبلت بالتدبير المذكور فلا سبيل الى التعويض على رعايا الدولة الوحيدة التي رفضته

وكنت أوعزت إلى المسيو كور ان يطلب المثول بحضرة السلطان اذا لم يجبني الباب العالي الى كل مطالبي ففعل

فقال لهُ علي افندي انهُ لم يدر قط في باله اني اوصل المسألة الى هذا الحد من أجل الخلاف على نقطة واحدة

فاجاب المسيو كور ان الاوامر التي تلقاها هي جازمة صريحة

فقال علي افندي : اترك لي على الاقل الوقت الكافي لاجمع رصفائي وغدًا اعطيك الجواب النهائي

فجاء المسيو كور وابلغني كلام حضرة الناظر وارجو أن افوز غدًا بمسألة التعويضات . بيدَ ان النزال السياسي وان كان راجحًا في جهتي فلم ينتهِ بعد . هذا ويكاد الوقت لا يسمح لي بانفاذ هذه الرسالة نظرًا لقرب ميعاد سفر الباخرة

انذار السفارة	جواب الباب العالي
اعادة الرعايا الفرنسويين في الحال الى اماكنهم مع اداء التعويضات المالية الذين أكرهوا على تركها من جراء رفض الحكومة حمايتهم	القبول باعادة الرعايا المذكورين مع التعهد بحمايتهم داخل اماكنهم وانكار الحق بالتعويض عليهم لان سائر الدول وافقت على اخراج الاجانب ولم تطلب تعويضًا عن ابعاد رعاياها

استدعاء الشيخ حمود الى الاستانة ليحاكم على سلوكه في كوائن شهر ايار	ينقل الشيخ محمود إلى الاستانة كترضية سياسية ويُنفى إلى احدى نواحي السلطنة
البحث عن شركائه	التعهد بالبحث عن قتلة الاب شارل وباستثنائهم من العفو العام الذي سيعطى فور تسوية مسائل لبنان
دفع التعويضات لديري عبيه وصليما ومعاقبة ضابط الجنود العثمانية في عبيه	التعهد بدفع التعويض المذكور واستدعاء الضابط الى الاستانة ومحاكمته امام مجلس حربي

١٢٢ – رسالة البارون دي بوركنه الى الموسيو غيزو بتاريخ ٢٣ تشرين الاول سنة ١٨٤٥ و٢١ شوال سنة ١٢٦١

يا حضرة الوزير

اني اغتنم فرصة سفر التتري حامل البريد المرسل من لدن الباب العالي إلى فيانا لانبائكم دون تأخير بأن الباب العالي قبل انذاري بتمامه وسيرسل الاوامر المتضمنة خلاصته بعد غد الى شكيب افندي بواسطة رسول في البر وقد اطلعت عليها

ان الموسيو بوره فصلنا في بيروت الذي قضى ٢٤ ساعة برفقتي وركب امس الباخرة النمسوية سيصل الى مركزه عند وصول رسول الباب العالي فلا يبقى عليه اذ ذاك سوى تنفيذ ما عدّه حين وجوده في الاستانة اعظم ترضية وقد شهد حصولي عليه في وسط اشد الازمات التي اجتزتها حتى الان

١٢٣ – رسالة الموسيو غيزو الى البارون دي بوركنه بتاريخ ٢٩ تشرين الاول سنة ١٨٤٥ و٢٧ شوال سنة ١٢٦١

ياحضرة البارون

تلقيت الرسائل التي تلطفت بكتابتها الي بتاريخ ٧ و٨ الجاري تحت رقم ٢٤ و٢٥ وكنت قد علمت من رسائل الموسيو بوجاد المصاعب التي اثارها شكيب افندي في بدء مهمته وهي محاولة اجبار التجار والمرسلين الاوربيين المقيمين في جبل سوريا على اخلائه إلى ان يتم توطيد الامن فيه وتباطئه في القيام بالترضية التي وعدنا بها ان عن قتل الاب شارل وان عن نهب ديري عيه وصليا وعزمه على خلط هذه المسائل الخاصة بمسألة تنظيم لبنان العامة . ولقد ادركت بحسن فطنتك انه ليس باستطاعتنا قبول هذه الحالة . وحكومة الملك توافق كل الموافقة على سعيك الحازم لاجبار الباب العالي على ارسال الاوامر الصريحة إلى شكيب افندي بوجوب احترام المعاهدات في ما يتعلق باقامة رعايانا والمرسلين المستظلين في حمايتنا في الجبل وبالانقطاع عن تأجيل تنفيذ الترضية المنتظرة . انك بانفرادك في طلبك إلى الحكومة التركية ان تعير كل اهتمامها وعنايتها الى الشكاوى الفرنسوية قد استعملت حقك الصريح وكنت في موقف يتعذر مهاجمتك فيه كما قلت . وارجو ان تكون الاوامر التي انفذها الباب العالي إلى بيروت احدثت التأثير المنتظر وان تكون الطريقة الجازمة التي اضطررت إلى استخدامها عبرةً لهُ وتنبيهاً ليتحاشى في المستقبل احراجك الى هذا الحد

١٢٤ – تعليمات شكيب افندي مندوب الباب العالي الى مجلسي القائم مقامين بتاريخ اخر تشرين الاول سنة ١٨٤٥ (اخر شوال سنة ١٢٦١)

سبق لي في البيورلديين الموجهين في هذا الشهر إلى القائم مقامين الدرزي

والماروني الموكول اليهما ادارة شؤون اهالي جبل لبنان ان قلت ان قد كتب فرمان شاهاني يؤذن بتأليف مجلس لدى كل قائم مقام على مثال المجالس الموجودة في سائر انحاء السلطنة لمعاونته على اجراء وظائفه نظراً في دعاوى الاهلين الخاضعين للقائم مقاميتين الخاصة والعامة وفقاً للعادات القديمة المكانية وللاصول المذهبية والحكم بها في طرائقها طبقاً لنيات جلالة سلطاننا الاعظم المؤسسة على العدالة والانصاف

وعليه سيصير تأليف المجلسين كما يأتي بيانه:

كل مجلس من المجلسين المشكلين في جبل لبنان هو تحت مراقبة قائم مقامه الخاص وهو رئيسه الطبيعي. ولما كانت مهام ادارة شؤون الضبط والربط في جبل لبنان كثيراً ما تقتضي غياب القائم مقام فينبغي

١ً ان يختار من بين معتبري الجبل الاكثر وجاهة شخص يعهد اليه مدة غيابه برئاسة المجلس ومناظرته. ونسبته وقت وجود القائم مقام في المجلس نسبة سائر الاعضاء. وله اذا شاء ان يشتغل بمهامه الخاصة لكن عليه ان يحضر دائماً جلسات المجلس مثل رصفائه ومتى غاب القائم مقام يقوم بوظيفة الوكالة ولا يحق له لسبب من الاسباب ان يأبى القيام بواجبات وظيفته

٢ً لما كان أهالي جبل لبنان مقسومين الى طوائف عديدة يجب أن تتمتع جميعها بنعم الحضرة السلطانية فينتخب أعضاء المجلس من الاعيان الاكثر جدارة في كل طائفة ولكل طائفة أن تختار عضواً خلا القضاة المنتقين من جميع هذه الطوائف فيحضرون الجلسات مع سائر الاعضاء وقد وكل اليهم خاصة النظر في دعاوى أبناء مذهبهم وفصلها وفقاً لعقيدتهم الدينية. وعليه يؤلف كل مجلس على الصورة الآتية:

من وكيل قائم مقام وقاضٍ ومستشار مسلمين وقاضٍ ومستشار درزيين وقاضٍ ومستشار مارونيين وقاضٍ ومستشار ارثوذكسيين وقاضٍ ومستشار من الروم الكاثوليك ومستشار شيعي فقط لان قاضي الاسلام يقضي في الطائفتين معاً.

وهؤلاء القضاة والمستشارون ينتخبون ويعينون بمعرفة مطارنة وعقّال كلتا الطائفتين وبعد نهاية انتخابهم يجب عليهم ان يذهب كل منهم إلى رئيسه أي قائم مقامهِ الخاص وهو يعين لهم مكان اجتماعهم وهناك يقتضي عليهم ان يعقدوا كل يوم ما خلا أيام البطالة مجلساً للتفاوض في كل المسائل التي يعرضها القائم مقام على انجاتهم وفقاً للطريقة المشروحة أدناه

وهذه اسماء القضاة والمستشارين الذين عُينوا في المجلسين

﴿ اسامي اعضاء مجلس قائم مقامية الدروز ﴾

نائب القائم مقام الدرزي (لم يُعين بعد)

الشيخ محمد قاضي الاسلام من قرية برجا

الشيخ احمد الخطيب مستشار مسلم من قرية شحيم

قاسم العرب مستشار متوالي من برج البراجنة

الشيخ محمد قاضي درزي من دير القمر

يوسف ناصر الدين مستشار درزي من كفرقني

الشيخ بشاره الخوري قاضي ماروني من رشميا

ميخائيل الخوري مستشار ماروني من جزين

حنا الخوري قاضي روم من الشويفات

شديد عيسى الخوري مستشار روم من بحمدون

درويش روزا قاضي الروم الكاثوليك من دير القمر

فارس شكور مستشار الروم الكاثوليك من عين زحلتا

محمد فخر الدين كاتب اسرار المجلس الدرزي العام في بعقلين

﴿ اسماء اعضاء مجلس قائم مقامية الموارنة ﴾

الشيخ يعقوب اليطار وكيل قائم مقام الموارنة

الشيخ حسين الخطيب قاضي مسلم من رأس الحصن
عثمان حسامي مستشار مسلم من جبيل
حسن هندية مستشار متوالي من القصير
علي بلوط قاضي درزي من المتين
علي ابي قيدبيه مستشار درزي
الخوري ارسانيوس الفاخوري قاضي ماروني من بعبدا
الشيخ جرجس ابي صعب مستشار ماروني من المزرعة
سليمان مرهج قاضي روم من الشوير
منح ابي رسام مستشار روم من رأس المتن
ابرهيم جهامي قاضي الروم الكاثوليك من الساحل
عبدالله ابي خاطر مستشار كاثوليكي من زحلة
خليل القرداحي كاتب اسرار المجلس الماروني

فعلى أعضاء المجلسين المشار اليهم ان يقوموا دون انقطاع بوظيفتهم وان يواظبوا عليها ويجتهدوا ان يكونوا على أتمّ الوفاق فيما بينهم وبين قائم مقام كل منهم وان ينظروا في دعاوى ابناء مذهبهم ويفصلوها بالنزاهة والانصاف . واذا ثبت على احد الاعضاء انهُ سلك سلوكاً مخالفاً للمهمة الموكولة اليه وجب طرده من المجلس والمبادرة الى تعيين عضو جديد مكانه وفقاً للطريقة التي أتبعت في الانتخابات الحالية أي ينتقى من أهالي المحلّات الداخلة في حكم قائم مقام المجلس المراد انتخابه فيه ويجب أن تتوفّر فيهِ الشروط الثلاثة الآتية :

ان لا يكون استُخدم عند المعتمدين الاجانب أو تظلل في الحماية الاجنبية من جرّاء مشاركته اجنبي واخيرًا ألاّ يكون من سكان القرى الخارجة عن دائرة الادارة الجبلية . ويقتضي توجيه العناية التامة في مراعاة هذه الشروط الثلاثة في تعيين المرشح

الذي يجب ان ينتخب بواسطة الاساقفة والعقّال بمناظرة قائم مقامه ورأيه . ولمّا كان من الشروط الاولية في انتقاء المرشحين أن تجتمع عليهم آراء الجميع فعلى القائم مقامين واعضاء المجلسين ان يسهروا على رعاية هذا الشرط الداخل في عداد الواجبات المفروضة عليهم وهم مسؤولون اذا ما اغفلوا التقيد بهِ . وبعد تمام الانتخاب يوقع القائم مقام الاوراق ويرسلها الى دولة مشير صيدا فيدقق فيها ليستثبت اذا كان الشخص المنتخب جامعاً الشروط المحررة اعلاه فيوافق على تعيينهِ نهائياً

اما الوظائف التي على المجلسين اتمامها والمسائل الخاصة والعامة التي يجب عليهما النظر فيها فتوضحها البنود الآتية :

البند الاول : ان من اهم وظيفة المجلسين وخصائصهما الاعتناء بتوزيع وير كو الجبل كل سنة بكمال العدل والحق . اما تحصيله واستيفاؤه فموكول الى القائم مقامين واصحاب الاقطاعات والوكلاء طبقاً للاصول المقررة قبلاً وبموجب النظام الذي سوف ينظم فيما يأتي :

البند الثاني : امّا مأمورية المجلسين المذكورين في الدرجة الثانية فهي رؤية مجموع الدعاوى والخلافات التي يجب عليهما فصلها والحكم بها وفقاً للعادة القديمة المكانية وطبقاً للعدالة والانصاف

لما كان يقتضي عادة ان يستقل قاضي كل طائفة ومستشارها برؤية دعاوى ابناء مذهبهما والحكم بها فليس لهما ان يتدخلا في المسائل الخارجة عن ابناء طائفتهما . بيد انه على قضاة سائر الطوائف ومستشاريها ان يحضروا المجلس وان كانت الدعوى لا تتعلق بابناء مذهبهم وينبغي عليهم ان يصغوا لسماع الدعاوى التي يراها رصفاؤهم ويفصلوها ومن ثمه على كل مجلس ان يسير في الدعاوى التي من خصائصه وفقاً لما هو مشروح في البند الثالث الاتي

البند الثالث : اولاً — على القائم مقام ان يطالع عريضة المدعي فور رفعها اليه

منه او من وكيله حتى إذا رأى وجوباً للمرافعة والمحاكمة يأمر باحضار المدعى عليه ويحيل العريضة إلى قاضي طائفة المدعي ومستشاره . ثانياً – إذا كان المدعي والمدعى عليه من مذهب واحد فتسوية الدعوى وفصلها من خصائص قاضي ومستشار طائفتهما اما اذا كانا من طائفتين مختلفتين فعلى القائم مقام ان يحيل تلك الدعوى إلى قضاة الفريقين المتداعين ومستشاريهما

ثالثاً – إذا تباينت اراء قاضي الطائفتين في الدعوى فللقائم مقام وبغيابه لوكيله – المتوجب عليه ترأس المجلس والاشتراك مع قضاة ومستشاري كل طائفة برؤية الدعاوى – ان يبذل جهده للتوفيق بينهما حتى اذا حبطت مساعيه واوجب الامر إلى اضافة حكم ثالث فللقاضيين المذكورين ان يتفقا على انتقائه من رصفائهما ويطلبان إلى القائم مقام تعيينه . وعلى فرض عدم اتفاقهما على اختيار الحكم الثالث فالقائم مقام يستقل بتعيينه بناء على طلبهما على شرط ان يكون من اعضاء المجلس . رابعاً – إذا رأى احد الفريقين المتداعين انه مغدور من الحكم الذي حكم بهِ قاضيه فله ان يشكو امره إلى قائم مقامه وهذا إذا ما تخيل له ان الشاكي محق في تظلمه توجب عليه ان يأمر القضاة ذاتهم ان يعيدوا النظر ثانيةً في تلك الدعوى بحضوره وله ان يضيف اليهم واحداً أو اثنين أو ثلاثاً من أعضاء المجلس حسب أهمية المسألة . خامساً – اذا طرأت مسائل خطيرة فعلى القائم مقام ان يدعو جميع الاعضاء للاجتماع والتفاوض فيها وتسويتها بكمال الدقة والاعتناء . سادساً – على القائم مقام أن يدعو جميع أعضاء المجلس للمذاكرة كلما اقتضت ذلك مسألة لها علاقة بتوزيع الويركو أو استيفاء الضرائب . لانهُ وان كانت هذه المسائل ظاهرها محلي فهي ذات علاقة تواً أو بالواسطة بالمصالح العامة لشمولها جميع انحاء الجبل ولذلك لا يكون القرار عادلاً إلا اذا اشترك فيهِ جميع الاعضاء . بيدَ انه متى اقتضى تسوية مسائل هامة لها علاقة بمصالح الاهلين العامة ان كانت من قبيل المسائل المذكورة انفاً او غيرها وكان

اعضاء المجلس قد انتدوا جميعهم فليس لقاضي كل طائفة أو مستشارها سوى صوت واحد في الاقتراع بحيث يتوجب عليهما أن يكونا متفقين في ابداء رأيهما . وعليه فعدد الاصوات لا يكون بنسبة عدد الاشخاص الموجودين في المجلس بل بنسبة عدد الطوائف الممثلة فيه . سابعاً – للقاضي أن يستقل بالحكم في المسائل الحقوقية وليس للمستشار ان يفسخ مضبطته إذا خالفه في الرأي أمّا في المسائل الادارية والويركو فبعكس ذلك أي ان رأي المستشار يرجح على رأي القاضي . وليس لاعضاء كل طائفة في المجلس سماع شكوى أحد من أبناء مذهبهم على اية صورة كانت لا منفردين ولا منضمين إلى غيرهم من تلقاء ذاتهم إلاّ إذا أحال لهم القائم مقام تلك الشكوى . وكما ان اعضاء المجلس لا يمكنهم رؤية دعوى إلّا بناء على أمر القائم مقام كذلك لا يستطيع هذا الاخير ان يستقلّ باعطاء اوامر استبدادية في المسائل التي تطرح على أبحاث اعضاء المجلس اخذاً لرأيهم فيها

لما كان الاشخاص المعهود اليهم ضبط الامن هم قيد اوامر القائم مقام مباشرة فله وحده الحق بتنفيذ احكام المجلس وما يستقر عليه رأياً على الوجه المبسوط انفاً . وعليه حباً بازالة كل سبب في حدوث خلاف او نزاعٍ بهذا الصدد جزم بانه لا يمكن تنفيذ امر او حكمٍ غير موقّع بخاتم القضاة الذين قضوا بهذا الحكم وخالٍ من موافقة القائم مقام . ثامناً – إذا كان المتداعيان ليسا بتابعين لقائم مقامية واحدة يجرى العمل وفقاً لما هو مذكور ادناه

متى رفع المدعي عريضته إلى القائم مقام فهذا يحولها بالاتفاق مع قاضي مذهب المدعي إلى قائم مقام المدعى عليه وبعد الحكم بالدعوى وفقاً للقواعد الجارية في مجلس القائم مقام المذكور وموافقته عليه كما اشترط انفاً ترسل المضبطة إلى قائم مقام المدعي حتى اذا لم يرضَ بالحكم حقّ لهُ أن يرفع الامر إلى قائم مقامه وهذا يحقّ لهُ إذ ذاك أن يعيد رؤية الدعوى أمام مجلسه . فاذا اثبت المجلس الحكم الاول

اصبح مرعي الاجراء. واذا ما نقضه تحال القضية إلى دولة مشير الايالة حتى اذا اقتضى الامر فكل قائم مقام يرسل من قبله القاضي الذي سمع تلك الدعوى والحكم الذي يقضي به دولته يكون نهائياً غير قابل الاستئناف. تاسعاً – يحقق عن الدعاوى الجنائية أوّلاً في المجلس الذي وقعت الجناية ضمن دائرة اختصاصه ويُحكم بها وفقاً للقاعدة الموضوعة لكن اذا كان تنفيذ الحكم هو فوق سلطة القايم مقام فعليهِ أن يرسل جميع الاوراق إلى مشير الايالة فيعيد النظر فيها ثم يأمر باجراء ما يراه مناسباً

عاشراً – ان المضابط والقرارات التي يصير تنظيمها في ما يختص بالويركو يجب أن تكون موقّعة من جميع الاعضاء ومصدّق عليها من القايم مقام وموقّعة بختمه لكن اذا رفض مستشار احدى الطوائف وقاضيها توقيع هذه المضابط بحجة انها مضرّة بصوالح طائفتهما الموكول اليهما النيابة عنها فعلى القايم مقام وسائر الاعضاء أن يجتهدوا باقناعهما بالانضمام الى رأيهم حتى اذا عجزوا تحال المسألة الى مشير الايالة فيقطع فيها.

البند الرابع: لا يحق للمجلسين ان يخاطبا باسمهما في شؤون وظيفتهما ايّاً كان إلاّ قايم مقامهما الخاص ومحظور عليهما أن يتدخلا في الدعاوى مهما كانت بدون أمره كما انهُ لا يمكن تنفيذ قرار غير موافق عليهِ القايم مقام وموقّع بختمه ولهُ أن يستقل باحضار الاشخاص الذين يطلب اليهِ المجلس احضارهم ويتوجب عليهِ ان يسرع باتخاذ التدبيرات اللازمة العائدة لخير المصلحة. واذا ما كانت متفرعات الدعوى والقضايا العديدة التي كثيراً ما ترافق ادوارها تقضي بلزوم توجيه قاضٍ إلى محل الواقعة ليجري التحقيق والتحري فعليهِ اذا ما كان النظر في تلك الدعوى من صلاحيته ان يستأذن القايم مقام في الذهاب بذاته أو بايفاد وكيل عنهُ واذا اقتضى الامر أن يرافقه بعض الفرسان يطلب ذلك اليهِ. ولمّا كانت مصلحة المجلس أهمها قائم بتوزيع التكاليف بحسب اقتدار كل انسان وفقاً لارادة جلالة سلطاننا الاعظم فستوزع

وتستوفى على الوجه الاتي :

أولاً : ألا يحدث توزيعها أدنى شكوى محقة من قبل الاهالي

ثانياً : أن تستوفى في وقتها على شرط ألاّ تكون داعية الى ظلم المكلف ومغدوريته والاضرار بهِ أو تحميله مصاريف باهظة

ثالثاً : الا يأخذ الاشخاص الموكول اليهم التحصيل بارة الفرد زيادة عن الويركو المقطوع وبلوغاً إلى هذه الغاية يجب ان يعقد المجلس - في كل سنة عند حلول أجل التحصيل - جلسة يحضرها جميع اعضائه تحت جلسة القايم مقام وبعد مذاكرة عمومية يصير تنظيم دفتر واحد في مجموع ويركو كل مقاطعة وتفصيل مقدار الويركو المتوجب على كل قرية او كل دير بمفرده ويوقّع اعضاء المجلس جميعهم هذا الدفتر ويوافق عليه القايم مقام ويختم. واذ ذاك يتخذ اساساً لوضع لوائح كل قرية بمفردها وتوقع ايضاً من الاعضاء والقايم مقام وترسل إلى مأموري التحصيل واصحاب الاقطاعات الموكول اليهم استيفاء التكاليف. اذ انه من الجلي ان النظام الموضوع يفوض إلى أصحاب الاقطاعات القيام بهذه المأموريّة الهامة منعاً لكل مظلمة وتعدٍّ على الاهالي في استيفائها وعليهِ لا يمكن استحصال الويركو واستيفاءه دون ابراز هذه اللوائح الافرادية

البند الخامس : حيث انهُ من العادة المرعية في البلاد ارسال معتمدين باسم « حوالية » الى القرى لاجل تحصيل « الويركو » وكان لجميع الطوائف الحق في أن تعامل باللطف واللين واتقاء كل ما من شأنه احداث النفور والعداء بينها ينبغي أن تكون « الحوالية » المراد ارسالهم من أبناء مذهب أهالي القرى المرسلين اليهم ما استطيع إلى ذلك سبيلاً اي ان يرسل مسلم الى المسلمين وماروني الى الموارنة وروي الى الروم وهلمّ جرًا . ويعمل بهذه الطريقة متى وجب تبليغ أحكام أو اتخاذ وسائل عائدة لخير طوائف الجبل ومصلحتها مع بذل الجهد لعدم اقلاق راحتهم بقدر

الامكان ورعاية هذه الاصول وعلى الخصوص اجرائها بكامل الدقة بحق الادبار

البند السادس : لمّا كان على أعضاء المجلسين المذكورين ايقاف كل جهدهم على رؤية المسائل التي تحال اليهم وتخصيص كل وقتهم كما أوضحنا ذلك آنفًا وكانت اقامتهم المستمرة لدى قايم مقامهم الخاص تضطرهم الى ترك وسائل كسب معاشهم فيخصص لكل منهم راتب شهري يحسب من يوم استلامه مقاليد العمل في المجلس ويدفع لهُ فور وصول الامر السلطاني الملتمس بهذا الشأن . أمّا هذه الرواتب فتوزع كما يأتي :

٦٠٠ قرش مشاهرة لكل نائب قايم مقام

٥٠٠ » » » عضو

٤٥٠ » » » من كتّاب اسرار المجلس

وبناء عليه يحظر على اعضاء المجلس أن يأخذوا من اصحاب الدعاوى هدية أو غيرها مهما كانت ويتوجب عليهم ان يبذلوا جهدهم سلوكًا في جادتي النزاهة والصدق وان يخدموا بامانة سلطانهم ووطنهم وديانتهم وليبقنوا ان كل مخالفة لواجباتهم لا بدَّ لها من أن تجرّ على رؤوسهم العقاب الذي استحقوه

١٢٥ — نظام مجلسي انايم مقامين(١)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله تعالى ﴾

في بيان صورة النظامنامه الشريفة الملوكانية الحاضرة

من جانب الاستانة العلية المترجمة عربيًا المنتمية للمجلس في ش ١١ سنة ١٢٦٦

﴿ المقدمة ﴾

ان كمال وسعادة ورفاه جميع اصناف تبعة الدولة العلية هو من مقتضى ارادة

---

(١) لقد عثرنا في مكتبة دير سيدة بكركي المقرّ البطريركي المـاروني على صورة من

الذات الموسومة بالعدالة الملوكانية واصلاح امر ادارتهم السياسية هو من اثمار الهمة الشاهانية المصروفة متواليًا . ولاجل حسن اجراء الادارة المخصوصة المنعم بها احيانًا من الطرف الاشرف الملوكاني إلى اهالي جبل لبنان ولاجل تزايد امنية ومعمورية الاهالي المرقومين وفصل دعاويهم الواقعة المعتادة رؤيتها في القديم على القواعد العتيقة الموقعية . وتحقيقًا للاصول المذهبية والحكم بها في طرايقها تطبيقًا للاصول الحقانية ولا يكون أحد مغرورًا ومظلومًا مطلقًا. قد صار القرار بالامر والفرمان الملوكاني بترتيب النظامنامه الحاوية صورة انتخاب اعضاء مجلسي الدروز والموارنة اللذين قبل الان صار ترتيبهما وتشكيلهما بالارادة السنية عند قايم مقامي الجبل وتعيين حدود وظائفهم ومأموريتهم كما يأتي بيانه

﴿ المادة الاولى ﴾

كيفية رئاسة المجلس

كل مجلس من المجلسين الموضوعين في جبل لبنان هو تحت رئاسة القايم مقام الموجود ذلك المجلس بمعيتهِ وفي اليوم الذي لا يمكن وجود ذلك القايم مقام في مجلسهِ بحسب الاقتضاء ينبغي أن يبقي وكيلًا مكانه بمقام رئيس وناظر يكون من معتبري الاهالي ومن المعتمدين وهذا الوكيل بوقت وجود القايم مقام في المجلس يكون قائمًا بسويَّة الاعضاء او انهُ اذا شاء يلازم مصلحته الذاتية والحاصل لا يترك المجلس بوقتٍ ما خاليًا من الرئاسة

﴿ المادة الثانية ﴾

في كيفية تركيب المجلس وأصول انتخاب الاعضاء

كل مجلس من المجلسين المذكورين يكون مركبًا من وكيل القايم مقام وقاضي

النظام المتقدم ذكره مقسماً الى مواد . بيدَ اننا لا نعلم ما اذا كانت الدول أجازته لاننا لم نقف عليه بين المحررات الدولية ومع هذا أثبتناه بحرفيته وهو لا يختلف كثيرًا عن ذاك

من أهل الاسلام ومستشار مسلم ومستشار متوالي ومن طوائف الدروز والموارنة والروم والروم الكاثوليك من كل طائفة مستشار وقاضي يعني الجملة اثني عشر واحدًا اعضاء وواحد كاتب

﴿ المادة الثالثة ﴾

انهُ عند ظهور وفاة احد الاعضاء أم استعفاء واحدٍ منهم أم ظهور قباحة ثابتة على احدهم توجب طرده من المجلس واقتضى الامر لتعيين واحدٍ آخر مكانه فحسبما حصل حين تشكيل هذين المجلسين يصير الفحص عمَّن يكون مناسبًا بانضمام رأي ونظارة القيمقام في تلك الطائفة وبمعرفة المطارنة والعقلاء حيث يكون من أهالي المحلَّات الداخلة في حوزة حكومة ذلك المجلس الذي سيدخلهُ ذلك العضو ويصير انتخابه بحيث لا يكون اصلًا وقطعًا من الذين دخلوا خدمة مأمورين الاجنبية أو بوقت ما شارك الاجنبي وبهذه المناسبة يدعي بالحماية ولا يكون من المتوظفين والمتمكنين بالمحلَّات الواقعة خارجًا عن دائرة الادارة الجبلية ويصير الانهاء من طرف القيمقام عن اسم الشخص المنتخب لطرف حضرة والي ايالة صيدا من ورقة الانتخاب المهورة من طرف القيمقام ويصير تطبيقًا من طرف الوالي المشار اليه على الشروط الثلاثة المحررة . فاذا صارت مقبولة يأمر باجراء مأموريَّة ذلك الشخص المنتخب اعضاء الى المجلس

﴿ المادة الرابعة ﴾

وذلك الشخص المزمع يصير اعضاء ينبغي يكون انتخابه باكثرية اراء الذين هم مأمورون بانتخابه واما الذي لا يكون صار بحقه اكثرية اراء المنتخبين فلا يصير قبوله

﴿ المادة الخامسة ﴾

مثلًا إذا وُجد كم واحد طالبين الاعضائية وهم كفوء لها واصوات كل واحد

منهم انوجدوا مساويين لبعضهم عددًا وما وُجد بحق احدٍ منهم اكثرية اراء منتخبين وبهذا السبب توقع مشكل بامر الانتخاب تصير المراجعة بالقرعة انما لازم ايضًا كمال الدقة من طرف القيمقامية وبدقة اعضاء المجلس لكي في اثناء اجراء القرعة لا يعتريها ذرة حيلة وخدعة والذي يطلع اسمه بالقرعة من تلك الاشخاص يعني الذين على الوجه المحرر اطراف كل واحد منهم مساويين لبعضهم عددًا وما في بحق واحد منهم اكثر اراء منتخبين وان يصير اعطاء القرار بمأموريته في المجلس ويجري نصبه كما صار بيانه اعلاه

﴿ المادة السادسة ﴾

ان الشخص المنتخب على الاصول المقررة اعضاء ان كان هو جامع الشروط الثلاثة المحررة اعلاه وتبين عند والي الايالة قبوله من طرفه ام عدم قبوله فبعد ان يوضح ما يكون ناقصه من الشروط المذكورة فالاعضاء الذي تعيينه مكانه وبعدم قبوله بهذا يصير تبديله فانتخابه ايضًا يكون مطابقًا للاصول الموضحة

﴿ المادة السابعة ﴾

ان احد قضاة الطوائف المختلفة إذا صار مكانه محلول تصير المبادرة بانتخاب وتعيين واحد خلافه تطبيقًا للنظام الموضح بالمادة الثالثة ويكون متشرعًا بالغاية واول مقتدر بين امثاله على اجراء الاحكام الشرعية

﴿ المادة الثامنة ﴾

ان كان اعضاء المجلس وان كان كتّابه يُعطى لهم صور بمقتضى النظام من جانب الخزينة لاجل الذي صار تفضل بتخصيصه لهم من طرف الدولة العلية

﴿ المادة التاسعة ﴾

ان اصل مبدأ هذه المجالس وشغلهم العمومي وأعظم من يكون من مصالحه المهمة والمعتنى بها هو قضية توزيع يركو الجبل بكل سنة على كمال العدل والحقانية

﴿ المادة العاشرة ﴾

فقط أمر تحصيل واستيفاء اليركو يكون اجراؤه من طرف القايم مقام والمقاطعجية والوكلاء بموجب الاصول المقررة قبل الان وبموجب النظام الذي يصير بيانه ادناه

﴿ المادة الحادية عشرة ﴾

واما مأمورية المجلسين المذكورين بالدرجة الثانية هي رؤية مجموع الدعاوى تطبيقاً للعادة القديمة الموقعية على الوجه الحقاني وتنظيم مضابطها وتقديمها لجانب القايم مقامية

﴿ المادة الثانية عشرة ﴾

ان دعاوى ومصالح كل طائفة التي تحال الى المجالس حالما تصير رؤيتها بمعرفة القاضي والمستشار اللذين هما من ابناء جنس تلك الطائفة فبقية اعضاء المجلس جميعهم يصير الاكتفاء من طرفهم بالاستماع فقط

﴿ المادة الثالثة عشرة ﴾

ان اصل الكلام في المصالح الحقوقية هو الى قاضي تلك الطائفة العائدة لها الدعوى فالمستشار لا يقدر على ابطال وفسخ مضبطة في مخالفته له

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾

ان اصل الكلام بالمصالح المتعلقة باليركو هو المستشار فالقاضي عنده يكون بمنزلة المستشار عينه

﴿ المادة الخامسة عشرة ﴾

ان في رؤية وتسوية المصالح الجسيمة العائدة والراجعة الى جميع الاهالي بالمجلس قاضي ومستشار كل طائفة لا تكون اراءهما متفرقة بل كل منهما يكون متحداً ويعدّ رأياً واحداً

﴿ المادة السادسة عشرة ﴾

ان اعضاء المجلس ليس لهم استحقاق باستماع شكاية أحد من الاهالي مطلقاً

لا تفرداً ولا عموماً من تلقاء ذواتهم على مادة غير محالة من طرف القيمقام للمجلس ولا يفصلوا ولا يحسموا دعوى

﴿ المادة السابعة عشرة ﴾

ان المواد اللازمة تسويتها بمشورة المجلس فبدون ان يكون لاحق علم الاعضاء بحقها فالقيمقام لا يمكنه الابتدار باعطاء ادنى حكم وقرار ونهى عنده عليها

﴿ المادة الثامنة عشرة ﴾

كل مضبطة بعد امضائها من طرف جميع اهالي المجلس ام من طرف ثلثيها اي الثلثين منهم من دون ان يصادق عليها القيمقام ويوضع امضاه تحتها لا يصير اجراؤها

﴿ المادة التاسعة عشرة ﴾

ان جميع المسائل المتعلقة بامر توزيع وتحصيل اليركو تصير مذاكرتها في المجلس لاجل رؤية وتسوية المصالح الجسيمة العائدة والراجعة الى جميع الاهالي ان كانت بهذا النوع او بسبب آخر فقاضي ومستشار كل طائفة لا يعطوا اراء متفرقة الواحد عن الاخر بل يكون كلامهم متحداً ومعتداً رأياً واحداً يعني مهما كان موجوداً طوائف فتكون اراؤهم وكلامهم عددها نظراً لعدد الطوائف

﴿ المادة العشرون ﴾

صورة استماع الدعاوى

العرضحال الذي يتقدم للقيمقام لاجل الدعوى فبعد ان يطالعه القيمقام اذا فهم انه محتاج الى المرافعة والمحاكمة يأمر باحضار المدعى عليه ويحيل العرضحال إلى القاضي والمستشار اللذين بالمجلس من ابناء جنس المدعي

﴿ المادة الحادية والعشرون ﴾

ان كان المدعي والمدعى عليه من جنس واحد فرؤية وتسوية دعواهم مخصوصة في القاضي والمستشار من أبناء مذهبهم ماذا والاّ يعني اذا كان المدعي من طائفة

أخرى فالقيمقام يحيل تلك الدعوى إلى قضاة ومستشارين الطائفتين المجتمعتين بالمجلس

﴿ المادة الثانية والعشرون ﴾

اذا توقع اختلاف آراء القاضيين في الدعوى والقيمقام أو الوكيل الذي يوجد بغيابه لا يمكنه يوفق بينهم فبالمذاكرة بالمجلس تصير التسوية في تلك الدعوى بوجه الحقانية

﴿ المادة الثالثة والعشرون ﴾

اذا أحد الطرفين نظر انه يصير مغدوراً من اعلام قاضيه فلهُ الاستحقاق بالتشكي إلى قيمقامه والقيمقام كذلك اذا ظن ان تشكي المرقوم كان مقارناً الصحة فبحضوره بالمجلس يعيد رؤية تلك الدعوى تكراراً بمعرفة ذلك القاضي ويضيف ترفيق وتشريك واحد او اثنين من اعضاء المجلس نظراً لاقتضاء اهلية المصلحة

﴿ المادة الرابعة والعشرون ﴾

اذا كان المدعي من أهالي المحلّات الكائنة تحت ادارة ذلك القيمقام والمدعى عليهِ من اهالي المحلّات الكائنة تحت ادارة غيره فباول الامر يصير رؤية تلك الدعوى في المجلس المنسوب اليه المدعى عليه ويصير بيان القرار المضبطة الى قيمقام المدعي والقيمقام المومأ عليهِ اذا ما نظر القرار المذكور موافقاً الحقانية تسمع المصلحة تكراراً في مجلسه والمضبطة التي تعان هذا الخصوص يصير ارسالها إلى قيمقام المدعى عليهِ ويدعيه يصادق ويمضي عليها وهذه المضبطة اذا ما قُبلت من طرف مجلس القيمقام وتوقع الاختلاف في ما بين المجلسين يتقدم عرض تلك المصلحة الى مشير الايالة . واذا اقتضى الامر فكل قيمقام يرسل من قبله القاضي الذي رأى تلك الدعوى وهناك تعطى صورة قطعية تلك المادة

﴿ المادة الخامسة والعشرون ﴾

انه في اوقات ظهور بعض مسائل جسيمة مختصة جميعها باليركو ام عائدة جميعها لاهالي احدى المقاطعات فلأجل رؤيتها وتسويتها بكمال الدقة والاعتناء فالقيمقام

يدعي عموم الاعضاء يتذاكرون بتلك المواد

﴿ المادة السادسة والعشرون ﴾

اذا واحد من الذين لا يكونون تولدوا في جبل لبنان ولا هو من اهاليه ادّعى على أحد من سكّان الجبل في خصومات متنوعة فمن الجائز وجود مباشر في المجلس من والي الايالة باثناء رؤية الدعوى في مجلس الجبل اذا طلب ذلك المدعي فقط ذلك المباشر لا يتداخل بالحكم والمباحثة في اثناء رؤية المصلحة بل اذا لاحظ وقوع ادنى شيء تحدد بالقرار يكتفي بالافادة الى والي الايالة

﴿ المادة السابعة والعشرون ﴾

الذين هم من اهالي الجبل يقدمون عرضحالات الى مشير الايالة بما يتعلق بمادة الحقوق تنظر معروضاتهم باي قيمقام متعلقة فيأمر باحالتها لذلك القيمقام لاجل رويتها

﴿ المادة الثامنة والعشرون ﴾

اذا احد الطرفين ما رضي بالحكم والقرار الذي صار اعطاه من طرف المجلس في بعض الدعاوى الجسيمة واعطى عرضحال مدلل ومبرهن إلى مشير الايالة باستدعاء تكرار رؤية المصلحة فتصير احالة المصلحة ايضاً إلى ذلك المجلس فاذا صار تصديقه الى الحكم والقرار المعطى أوّلاً فيصير اجراءه إنما عندما تصير رؤية المصلحة تكراراً اذا اعطى حكم وقرار يبطل ويبقى الحكم الاول الذي يوافق الشاكي والخصم ايضاً ما رضي بهِ وقد اعطى عرضحال إلى مشير الايالة فاذا حضرة المشار اليه لاحظ ان العرضحال المذكور مؤسس على بعض دلائل قويّة مقرونة بالصحة فيأمر في احالة المصلحة تكراراً الى ذلك المجلس . فقط حين رؤية تلك الدعوى تكراراً مرة ثانية يرسل مأموراً مخصوصاً من طرفه يكون حاضراً في المجلس وهذا المأمور ليس لاجل يتداخل في قرار ومباحثة المصلحة وحيث مقتضى اجراء الحكم والقرار الذي يترتّب بالدعوى التي تنظر بهذه المرة الثانية فبعد ذلك هذه

الدعوى لا تصير رؤيتها تكرارًا

المادة التاسعة والعشرون

اذا تقدم عرضحال الى مشير الايالة من اهالي قرية أو مقاطعة بخصوص مطالبتهم في شيء زيادة عن اليركو المقرر فيحال إلى القيمقام الموجود في تلك القرية أو المقاطعة التي تحت ادارته لاجل اجراء التحقيقات والتدقيقات الايجابية بمعرفة المجلس واجراء تسويتها

المادة الثلاثون

ان مواد الجنايات التي هي من الامور الكلية والجسيمة فبأول الامر قد يمكن رؤيتها في هذا المجلس لكن اذا كان اجراء احكام المضابط المتعلقة بكذا مصالح متجاوزًا عن أمور مأمورية القيمقامية فالقيمقام الموما اليه يرسل جميع الاوراق التي هي من متفرعات تلك المادة إلى مشير الايالة والمشار اليهِ كذلك بعد ان يتحصل الارادة العلية بذاك الخصوص يأمر باجراء اقتضاه

المادة الحادية والثلاثون

ان مرجع هذه المجالس المخصوص والمستقل هو القيمقامان وحدهما فعندما يقتضى احضار أحد إلى المجلس فالقيمقام يطلبهُ وهو كذلك يجري المعاونة المقتضية إلى المجلس

المادة الثانية والثلاثون

انهُ لسبب القضايا المتعددة المترتبة على دعوى ما اذا لزم الامر لتوجيه قاضٍ أو وكيل لمحل الواقعة فالقاضي العائدة لطرفهِ تلك الدعوى يستحصل اللازم والرخصة من القيمقام وبامره يتوجه هو الى المحل المذكور أو يرسل معتمدًا واذا اقتضى الامر يترافق معهُ كم خيال من طرف القيمقام

﴿ المادة الثالثة والثلاثون ﴾

اذا صار مظنون قباحة ما باحد اعضاء المجلس فلحين محاكمته وبراءة ذمته لا يتداخل بشيء مجلسياً هكذا ان كان لهُ دخل في دعوى تكون بين غير طرفين فلا يقارش تلك الدعوى ايضاً وعند محاكمة ومرافعة اعضاء المجلس ان كانت بما يخص الجنايات أو فيما يخص الحقوق يصير اجراء المعاملة بحقهم نظير المعاملة التي تصير بحق قضية الاشخاص الذين من ابناء ملتهم

﴿ المادة الرابعة والثلاثون ﴾

صورة استيفاء الويركو

انه يلزم المذاكرة والمطالعة بكل وقت عموماً بالمجالس باستحضار الوسائل الممكنة اللازمة لان يعطي كل انسان اليركو بحسب اقتداره ولا يصير احد مغدوراً في توزيع التكاليف وينظر بامر تحصيل انيركو الذي يحصل من كل انسان بوقته وعدم تكبد الاهالي لاجل ذلك مصاريف زائدة باطلة وعدم وقوع ادنى ثقلة وتعدي عليهم. والمأمورون بالتحصيل لا يقتدروا على المطالبة ببارة الفرد او حبة الفرد زيادة عن اليركو المقطوع

﴿ المادة الخامسة والثلاثون ﴾

بعد اعطاء نتيجة لهذا المقصد فبكل سنة في حلول موسم التحصيلات يخص القيمقامية بالذات في رئاسة المجلس اولاً يصير تنظيم دفتر واحد عموم في يركو كل مقاطعة بعده يتخصص على القرايا والاديرة التي في المقاطعة المذكورة مقدار اليركو المقتضى أن يدفعوه

﴿ المادة السادسة والثلاثون ﴾

هذا الدفتر عندما يصير امضاه من كافة اعضاء المجلس ويصير التصديق والختم عليهِ ايضاً من طرف القيمقامية يمسك اساس وكل محل يتحصل منه اليركو الذي يخصه

ويصير ترتيب وتنظيم سندات صغيرة لكل محل وحده وينوضع الامضاء عليها جميعها والقيمقام يرسلها الى المأمورين بالتحصيل والمقاطعجية لاجل التحصيل ومن دون ابراز هذه السندات الصغيرة لا يصير تحصيل واستيفاء البركو

﴿ المادة السابعة والثلاثون ﴾

ان المضابط التي يصير تنظيمها فيما يخص البركو من اللازم الامضاء عليها من طرف جميع اعضاء المجلس وبعده يصير التصديق والختم عليها ايضاً من طرف القيمقام لكن اذا قاضي احدى الطوائف ومستشارها ادعوا بأن ذلك القرار الذي صار اعطاه مضرًّا الى منافع طائفتهم وبالاتفاق تصدروا بعدم وضع الامضاء على المضبطة فذاك الوقت القيمقام وجميع اعضاء المجلس يجتهدون بالزام واقناع ارفاقهم هؤلاء فاذا امكن رضاهم فيها وان لم يمكنهم يصير العرض عنها وانهاء المصلحة الى مشير الايالة ويجروا العمل بمقتضى الامر والارادة التي تصدر من طرف المشار اليه

﴿ المادة الثامنة والثلاثون ﴾

ان ارسال حوالية إلي القرايا لاجل تحصيل البركو بحسب انه من عادة البلاد بتلك الاطراف فاذا اقتضى ارسال حوالية لاجل مصلحة احدى الطوائف فالحوالي الذي يصير ارساله مهما امكن يكون ارساله من جنس تلك الطائفة يعني حوالية المسلمين يرسلون الى المسلمين وحوالية الموارنة إلى الموارنة وحوالية الدروز إلى الدروز وحوالية الروم إلى الروم وتصير ... والاعلام من طرف القائم مقام بذلك وتصير رعاية هذه الاصول بحسب الامكان بخصوص اجراء بقية الاحكام وعلى الخصوص مقتضى اجراء كامل الدقة باجراء الاصول المذكورة بحق الادبرة . اهـ

١٢٦ ــ كتاب الصدر الاعظم الى شكيب افندي بتاريخ ١٢ ت ٢ سنة ١٨٤٥ و١٢ ذي القعدة سنة ١٢٦١

لقد احطنا علماً بالتحارير المرسلة من عطوفتكم ومن مشير فيلق البلاد العربية وفيها توضحون لنا الطريقة التي عولتم عليها في نزع السلاح من اهالي الجبل وتفيدوننا انكم اوقفتم في داركم المشايخ الذين ذهبوا إلى دير القمر وقد نظر مجلس الوكلاء في مضمون هذه التحارير وتفاوض فيها وعرضها على جلالة السلطان

كان أستقر الرأي قبل سفركم بايام ان مسألة نزع السلاح هي في الدرجة الثانية من المهمة المعهودة اليكم وقد كررنا عليكم ذلك في الرسائل التي انفذناها اليكم اي ان الحكومة رأت ان تعيد البحث في هذه المسألة بحيث لا تنفذ الأ بعد تسوية المسائل التي هي غرض مهمتكم الرئيسي . بيد ان عطوفتكم قلتم في رسائلكم انكم رأيتم قبل كل شيء وجوب الشروع بنزع السلاح لتيقنكم انه يتعذر بدون هذه الوسيلة توطيد طريقة الادارة الموكولة اليكم على دعائم ثابتة متينة ووضع حد للعداء القديم بين الدروز والموارنة وضمان راحة لبنان غاية امانى الباب العالي واستدراك تجدد المنازعات الداخلية والاقتتالات الاهلية . وبصفتكم مندوب مفوض بتمام السلطة بدأتم بنزع السلاح وبحمد الله تمكنتم من جمع معظمه بفضل تدبيراتكم المملوءة فطنة دون اراقة نقطة دم . ان الحضرة الشاهانية لعالمة كما لا يغرب عن نيرة عطوفتكم انهُ إذا أحسنت ادارة الحكم في جبل لبنان زالت المشاحنات والمنازعات التي حدثت في هذه الايام الاخيرة بين اهليه ولذلك فهي تريد أن يعامل الدروز والموارنة بالاسوة ويتمتع الفريقان بالحماية اللازمة تحت الظل الشاهاني الظليل . فالمهمة التي تقومون بها قد وكلت اليكم على أمل بلوغ الغاية المذكورة وهذا أمر مشهور ولما كنتم عطوفتكم قد ارتأيتم ان لا بدَّ لادراكها من المباشرة بنزع السلاح وكانت

هذه الوسيلة قد سبق التذرع بها غير مرة في لبنان وهي غير منافية لامتيازاتهِ ارتاحت الحكومة الى سلوككم هذا

بيدَ انه من الممكن ان يتوهم أهالي الجبل عند انتزاع سلاحهم من ايديهم انه يراد تعديل بعض الامتيازات القديمة التي منحهم اياها الباب العالي او تبديلها في ما يتعلق بادارتهم الخاصة ولاسيما هيئة الادارة التي استقرَّ الرأي عليها بالاتفاق هنا مع ممثلي الدول العظمى الخمس وعهد الى دولتكم بتنفيذها وان هذا الوهم يثير مخاوفهم مع انه ما خطر في بال الباب العالي قط فجميعنا نريد توطيد دعائم هـذه الطريقة بتمامها وحفظ الامتيازات وضمان أمن الاهالي ولا ريب ان عطوفتكم تكونون بيَّنتم ذلك للجميع

ويرى مجلس الوكلاء انهُ لزيادة طمأنينة افكار اهالي الجبل يخلق بكم ايضاح حسن نيَّات الحضرة الشاهانية بهذا الخصوص تكرارًا وافهام الجميع هذه الحقيقة وأرى أيضًا انه إذا لا سمح الله أُضطرَّ كل الاضطرار الى استعمال القوة لاثبـات طريقة الحكم المتفق عليها ينبغي ألاَّ تعمّ هذه الوسائل الاكراهية انحـاء لبنان بل مكانًا خاصًا كما كتب اليكم مفصلًا منذ حين

وهذه التدبيرات قد استقرَّ رأي مجلس الوكلاء عليها وأُجيزت بارادة سنيـة . وعليه فاننا نوجه هذا الكتاب الى عطوفتكم وقد عرفتم بالدراية والحكمة رجاء ان تعملوا بما توجبه الظروف وفقًا للارادة السلطانية

١٢٧ ـ *تعليمات البارون دي بوركنه الى الموسيو كور ترجمان السفارة الاول بتاريخ ١٦ ت ٢ سنة ١٨٤٥ و١٦ ذي القعدة سنة ١٢٦١*

لقد وردت عليَّ انباء محزنة عن حالة جبل لبنان وهي تنطبق في مبنـاها على التي تلقَّاها سائر رصفائي من قناصلهم في بيروت . ويظهر منها ان المأمورين المعهود

اليهم بنزع السلاح من الاهالي وفقاً لاوامر شكيب افندي تجرأوا على استعمال القسوة والعنف مع ان الاهلين لم يبدوا أدنى مقاومة توجبها فانهم عوملوا وهم آمنون بضروب الجور ولم ينجُ أحد من سوء المعاملة إلاَّ بواسطة المال وقد صادرت الجنود قرى عديدة وبلصتها دون مراعاة الاكليروس والكنائس . وقد ازداد القلق العام من جرَّاء سلوك المندوب العثماني مع أهمّ مشايخ الدروز والمسيحيين ولاسيما القائم مقامين فانه أمسكهما في داره في حين كان عليهِ ان يبدي لهما دلائل الثقة ليرفع منزلتهما الادبية في البلاد . فامساكهما عنده كان لا بدَّ من أن يحدث تأثيرًا مخالفاً لتأكيدات الباب العالي المكرَّرة وتناقضاً للغاية المقصودة من المهمة الموكولة إلى شكيب افندي كما أُعلنت رسمياً . وعليه فلا يستغرب أن يُرسِخ هذا العمل في عقول الناس الاعتقاد بصحة الاشاعات الغريبة المتفشية على الالسنة وفي عدادها فصل بعض عن الجبل لانشاء حكومة تركية فيها

واعتقد اني اذا تأخرت عن استلفات نظر الباب العالى إلى الانباء التي لخصتها لك اكون اخللت بالواجب الذي يفرضه عليَّ عظيم اهتمام حكومة مولاي الملك في اسعاد هذا الجزء المهمّ من ممالك الحضرة الشاهانية وضمان راحته

واني واثق بأن الحكومة لا تتردد في بيان مقاصدها بكل صدق وتعجل في اظهار استيائها من هذا الجور الموجب الاسف منزلة العقاب في مقترفيهِ . ومهما كانت ارآؤها في ملائمة التذرع بوسيلة ذات خطر عظيم كنزع السلاح ـ وقد كان عليها ان تلزم فيها النزاهة دون تشيع إلى فريق ـ فستحقق لنا ولا شك توطيدها النية على حفظ امتيازات الجبل وحرمته نابذة كل ما يخالف تعهداتها للدول الخمس . فاسألك ان تتلو هذه التعليمات على مسامع حضرة علي افندي وتسلمه صورة عنها

١٢٨ – رسالة الموسيو غيزو الى البارون دي بوركنه بتاريخ ١٧ ك ١ سنة ١٨٤٥ و١٧ ذي الحجة سنة ١٢٦١

ياحضرة البارون

وصلت الرسائل التي جدت بتوجيهها اليّ حتى ٢٧ تشرين الثاني رقم ٣٢ وكنت قد علمت من رسائل الموسيو بوجاد أمر نزع السلاح من اهالي الجبل وما رافقه من ضروب القسوة والغدر إلى انواع الفظائع الهائلة التي اقترفها ضباط الباب العالي وجنوده فوسمتهم بميسم العار تجاه الانسانية والتمدن . ولا حاجة ان ابين لك ما ولّدته هذه الاعمال الفظيعة في نفوسنا من شعائر الحزن والسخط فاني لم اكتمك قلة ثقتنا في مهمة شكيب افندي في سوريا بعد ان خيّب آمالنا غير مرة بتدبيراته . ولسوء الحظ قد حققت الاحداث مخاوفنا اكثر مما كنا نتوقعه ولذلك كان لابدّ لهذه الحالة الجديدة من تنبيه افكار ممثلي الدول الخمس في الاستانة فلم نتمالك من اظهار ارتياحنا الشديد إلى سعيهم جميعاً بالاشتراك لدى الباب العالي طلباً اليه ان يؤدي حساباً عن فظائع تلقي على عاتقه تبعة ثقيلة وان يحافظ على امتيازات جبل لبنان

فهذا الاجماع بالرأي والعمل لم يأتِ وقت كان فيه أوفر ملاءمة من هذا للضغط على أفكار الباب العالي وارائه والاستفادة منه

أمّا ارتئاء الباب العالي ايفاد مندوب إلى الجبل للنظر في الاعتداءات التي حصلت ومعاقبة مقترفيها فهو مرضٍ وسنرى إذا كان سليم باشا يفقه اكثر من سلفائه الواجبات المفروضة عليه واذا ما كانت الحوادث تحقق الوعود فمهما بذل الباب العالي من الجهد لاثبات صدق نيّاته لا يُعدّ كثيرًا

أمّا في ما يتعلق بشكواه من تدخل البارجة « لابل بول » في مسألة الترجمان مدور فمن الجلي ان ضرورات الحالة وقد عجزت مساعي قنصلنا عن تلافيها أوجبت

عليهِ القيام بهذه المظاهرة العسكريَّة ولذلك ما وسعني إلا استحسان الخطة التي اضطرَّ إلى انتهاجها . أجل انه لعمل لا يخلو من خطورة يجب ألاَّ يلجأ اليهِ كثيرًا لكنهُ يعزى إلى الذين أحرجوه اليهِ بسلوكهم الممقوت وتهورهم

ومن ثمَّ فاوَمل ألاَّ اعود إلى هذا الحادث بل تتناسى أهميته مهما كانت عظيمة تجاه خطورة الحوادث التي انتابت لبنان والمشاكل الجديدة التي نتجت عن تنفيذ نزع السلاح فانهُ وان كان حسنًا فهو سيء النتيجة نظرًا إلى الطريقة التي انتهجت فيهِ خلافًا لحقوق موضوعة تحت ضمانة اوروبا

ولم يكن وقع الاستياء والتأسف من هذه الحوادث المكدرة في باريس أقلَّ منها في ڤيانا ولندره وقد علمت من رسالة بعثها إليَّ المسيو بوره بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني انهُ حصل من شكيب افندي على الترضية التامة الموعودة من الباب العالي . هذا وان حكومة الملك اتخذت الوسائل لتعزيز محطتنا البحريَّة في بيروت

١٢٩ — خطاب الموسيو دي ملفيل في مجلس النواب في ١٥ حزيران سنة ١٨٤٦ و٢٠ جمادى الاخرى سنة ١٢٦٢

اني بمناسبة البحث في الميزانية سألت الندوة ان تأذن لي ليس كما قيل غلطًا بأن اوجه سؤالات إلى حضرة وزير الخارجية بل لافتح بابًا يحق لنا فتحه للجدال في مسائل سوريًا . ولست اجهل ان رفضه الجدال فيها يجعل الموقف حرجًا وقد استغربت اكثر من غيري اباءه المحاورة كما تذكرت انهُ لم يرفضها في ندوة غير هذه بل حضَّ عليها بهذه الالفاظ : « ان حضرة العضو المكرَّم قد أصاب بتهنئة ذاته بأنه يعيش في بلاد حرة حيث يمكن للرأي العام في مسائل كهذه ان يتكوَّن ويظهر وينتشر فينبه افكار الحكومة ويستنهضها إلى العمل ويحثها ويشجعها ويعضدها وانا اهنيء ذاتي معهُ »

ان الذي كان يفكر بهِ الوزير إذ ذاك افكر انا به اليوم ولا اعتقد بانه ينتج عن البحث في هذه المسألة خطر بل ابذل كل جهدي لفتح باب الجدال لاني من الذين حباً بشرف بلادهم وحكومتهم يرغبون في الوقوف على بعض ايضاحات عن الماضي وتعزيات عن الحاضر وخاصة على بعض آمال في المستقبل

ليس لي ان ازن الاسباب التي دعت حضرة ناظر الخارجية إلى طلب السكوت التام عن هذه المسألة وقد تعذر عليَّ ادراكها كما سابين ذلك بل اقول انهُ اذا كان رفض الجدال هذا يوجب عليَّ بعض الاحتفاظ وتأجيل بعض الايضاحات ويلجأني الى الاقتصار على الاستناد إلى حوادث مشهورة ومحررات منشورة فلم اتمالك إسوة بغيري من الذين بعزمهم الاشتراك في هذا الجدال من القبول بالسكوت وقد أبنت السبب

ان شؤون سوريا قد شغلت كثيرًا هذا المجلس عند بدء انتدابه ولا تزال هذه الندوة تتذكر تلك المفاوضة الخطيرة التي بُحث فيها بتعمقٍ في الحالة الحاضرة وفي اخطار المستقبل . وكان لحضرة الوزير إذ ذاك رأي أعرب عنه قوامه القبول بقرار الدول الخمس ووثيقة سنة ١٨٤٢ كتسوية مرضية قابلة التنفيذ من شأنها اعادة الامن إلى ربوع لبنان فلم تشاطره الندوة آماله بل اقترعت على اقتراح شهير ساشرحه فيما يلي موجبة عليهِ انتهاج خطة وسياسة جديدتين . ومنذ ذلك الحين أكرهنا دائمًا على قبول تأجيل البحث بهذه الامور مع اننا ألححنا على الحكومة بطلبه وفي كل سنة كانت تطلب الينا ما تطلبهُ اليوم وهو لزوم الصمت . فكفانا انقيادًا لمطالبها لقد أوشكنا ان نفترق ولا يجدر بشرف هذه الندوة ان يفترق شملها بعد اربع سنوات حبطت فيها الآمال الكثيرة دون الاستيضاح عن سبب عدم تحقيق الاماني التي أعربتُ عنها ووعدت الوزارة بتنفيذها . فهذا جلّ المقصود من الجدال الذي افتح بابه الان غير متجاهل صعوبة مخاطبة وزير لا يريد أن يجاوبني فلا أعيد ذكر تفاصيل هذه المسألة من أوَّلها . بيدَ ان من السخافة اغفالنا في المسألة السوريَّة

مصالح مقدّسة عزيزة على قلوبنا جميعاً ومصلحة فرنسوية يجب حفظها فلقد اعتُدي في سنة ١٨٤٠ على النفوذ الفرنسوي ولا يزال اليوم هدفاً للسهام المسددة اليهِ من كل جهة والحرب لم تضع اوزارها رغماً عن مساهلاتنا في هذا الصدد

فقد اعتُدي أولاً على النفوذ الفرنسوي في مصر مع ان فرنسا كانت منعت بيدها القويّة المنتصر في واقعة نزب (يريد ابرهيم باشا) عن متابعة زحفه فحققت بتدخلها اماني اوربا الراغبة آنئذٍ بحفظ سلامة السلطنة العثمانية . وهذه الفريسة الكبيرة هي موضع اطماع الدول منذ القديم وتنازعها وقد طالما رغبت في تأجيل اقتسامها لارتيابها في الحصة التي تصيبها منها

اما فرنسا المترفعة عن هذه الاطماع المنزهة عن كل شائبة فقد حبست عن كرم خلق زحف الظافر في موقعة نزب وسيقول التاريخ عمّا اذا كانت قامت نحوه بجميع تعهداتها لدى ايجابها عليه التنازل عن كل ثمرات انتصاره . على انه في غد اليوم الذي أدّت بهِ فرنسا هذه الخدمة الى اوربا في غد اليوم الذي ضمنت سلامة كيان السلطنة العثمانية بتوسطها الاختياري النافذ في غد ذلك اليوم شغل بال اوربا أمران نفوذ فرنسا في مصر والآخر في سوريّا وهو متصل اليها من التقاليد المتقادمة العهد قرناً بعد قرن ومن المعاهدات الخطيـة . وبسبب هذا القلق نشأت هذه المؤامرة الاوربية على السلطة المصريّة التي آلت الى المعاهدة المعقودة في ١٥ تموز وبسببه ايضاً نتج ظلم مسيحيي سوريّا كما سترون حتى اذا لم تتداركوا الامر كان مصيرهم إلى الدمار والفناء . ومن الحماقة الارتياب في تصديق كل ما تقدم

ان باشا مصر كان استولى على سوريّا وحكمها مدة سبع سنوات والعدل يقضي بأن اعلن ـ إذ لست اردد هنا إلاّ صدى التاريخ العصري ـ انـه سوّد الامن في مدى المدة المذكورة موطداً دعائمه للتجارة موزعاً الضرائب بالاسوة بحيث أصبحت سوريا تحت ادارته ان لم تكن أسعد بلاد الله فعلى الاقل ناعمة بالراحة

فمنذ ست سنوات اخذتم على انفسكم حفظ هذه البلاد وزعمت الدول الاوربية انها تحميها وانتم عارفون بما هو جارٍ فيها فالمذابح والنهب والقتل .... هذا ما يحسن بي ايراده عبرة جلّى للذين انخرطوا في سلك هذه السياسة وتقيدوا بها فيرون ان هذا الاتحاد الاوربي الذي ينسبون اليه كل يوم حفظ السلم الاوربية ويطرئونه ويمجدونه لم يتمكن من ان يحقق في مدى ست سنوات ما اتمه باشا مصر وحده في مدة قصيرة وربما هدموه دون امل باعادة بنائه

وفي ذلك التاريخ الجأ الامر إلى ايجاد اسباب للتدخل في الشرق وكانت سوريا هادئة فوجب اقلاقها بان عمد الذين كانوا في حاجة لايجاد حجة لهذا التدخل إلى هذه الوسيلة فذهبوا إلى سوريا قصد اثارة الخواطر على باشا مصر وزرع الشقاق بين الطوائف التي كانت عائشة بسلام ووئام . ولما كشفت وزارة سنة ١٨٤٢ لاوربا سر هذه المساعي الخفية انكرت انكلترة المهمة التي عهدت بها إلى معتمديها فاستثبت اليوم صحتها من المحررات السياسية المنشورة منذ سنة في انكلترة . وفي كل صفحة منها اعتراف بمهمة الموسيو وود مثير القلاقل في لبنان تلك المهمة التي طالما انكرتها وفيها ان السوريين المنكودي الحظ يذكرون انكلترة في كل حين بوعود الموسيو وود لهم اذا ما شاءوا ان يثوروا ويزعزعوا سلطة باشا مصر الذي كان يراد طرده من سوريا وكسر دسته مهما كلف ذلك

اننا كثيرًا ياحضرة النواب ما نرمي هذه الشعوب بعدم التمدن والخديعة والغش لكنها إذا تعلمت يومًا ان تكتب التاريخ فستحكم دون شك على اوربا بالخيانة لانه في ذلك العهد جاءها اناس اثاروها بوعدهم لها حفظ ضماناتها وامتيازاتها بل توسيع دائرتها فقد رأيتم كيف بُرّ بالوعد

ان اهالي جبل لبنان المسيحيين الذين حفظتهم العناية الربانية فيه كاحتجاج دائم على الهمجية التي تحيط بهم لم يكونوا قط تحت حكم الباب العالي مباشرة ولم يكن

لهُ عليهم سوى سيادة اسمية

ان جبل لبنان كان محكوماً منذ ٤٠ سنة من امير مسيحي اصبح اسمه مشهوراً في مباحثنا ألا وهو الامير بشير فكان يدير شؤونه بمهارة ولباقة ممتازتين بحيث ان الامتين المختلفتي المذهب وهما الدروز والموارنة اللتين تقطنانه المتفانيتين اليوم في ابادة بعضهما كانتا تعيشان فيه بكل سلامة تحت حكمه الابوي المتوارث جيلاً عن جيل . حتى ان البغضاء التي اضرمت نارها دسائس اوربا بين العناصر لم يكن لها اثر في اشد ايام امارته حراجةً . ولم تقتصر الدسائس على اثارة اللبنانيين وانما وسوس للامير بشير ايضاً فطلب اليه ان يساعد اوربا على صاحب مصر لطرده من سوريا فانقاد في آخر الامر إلى سيطرة القوة كجميع الشرقيين وقد بقي اميناً لمولى الاخاذة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لكنه في آخر الامر اضطرَّ إلى تركه وساعد انكلترة على هدم اركان سلطة محمد علي في سوريا فانضم هولاء الجبليون إلى عدوهم

فماذا كانت مكافأتهم ؟ انه في غد اليوم الذي ضُربت به بيروت بالمدافع وتصدعت سلطة باشا مصر طرد الامير بشير بالعنف من سوريا وأُقصي إلى مالطه كسجين مع انه كان قد ضُمن له — لا اقول سلطته الشخصية لان ذلك لا يهمني — بل ضُمن بشخصه لجميع المسيحيين الامتيازات القديمة التي كانوا متمتعين بها . فطلب كمسيحي تلك البلاد المنكودي الطالع ان يأتي فرنسا فأُبي عليه ذلك حتى انه لم يسمح له بالمجيء إلى انكلترة ويوم رغب في ان يبدل محل سجنه أُرسل إلى الاستانة تحت مناظرة الذين كان لهم مصلحة بابقائه عندهم

فهذا ما عومل به الامير بشير خلافاً للعهود الصريحة وخرقاً لحرمتها المقدسة ! ومنذ ذلك اليوم وجب الاهتمام بايجاد حاكم للبلاد التي حكمها بكل كفائة على ان الباب العالي وهذا طبيعي اصبح غير مكتفٍ بسلامة كيان السلطنة بل طمع بتوسيعها . وكان اهالي لبنان المسيحيون بفضل الامتيازات التي ضمنتها لهم فرنسا في كل آن

بنجوة من الحكم التركي ما خضعوا رقابهم قط لنيره ومع ذلك لم تتردد اوربا ـ وقد استلمتم ازمة الشؤون في ذلك الوقت باحضرات الوزراء ـ في تسليم هذه الامة السيئة الطالع لادارة باشا تركي. ولم يطل الامر حتى ظهرت عواقب هذه السياسة الحرقاء فبدأ الاضطهاد منذ ذلك اليوم وانتم محيطون علماً بالمظالم التي أنزلت بالمسيحيين فتفاقمت الشرور وتكاثرت الشكاوى وطفح الكأس بحيث رأت الحكومة الفرنسوية ان تفاتح الدول بهذا الامر

وبعد انقضاء سنتين على حالة وصفها احد رصفائي المكرمين المسيو دي كارنه بكلمة قاسية أرى ان استعملها لاوفر عليّ بسط حوادثها بالتفصيل قال: «بعد سنتين ممتلئتي عاراً» أي في اواخر سنة ١٨٤٢ سئل اخيراً الباب العالي ان يحسن ادارة شؤون هؤلاء السكان وفقاً لقواعد الانسانية واذ ذاك عُمد الى استعمال البراعة السياسية والتذرع بكل الوسائل التي تمليها اللباقة. إذ ليس أجمل من ادارة شؤون أمة مجهولة العوائد من زوايا غرف الوزارات! فاخذ في البحث عن بعض الطرق المؤدية لهذا الغرض وكان ان ادركت الوزارات المشار اليها عدم امكان تسليم زمام أمة مسيحية إلى سلطة تركية مباشرة

بيدَ انه كان هناك أمتان احداهما مسيحية والاخرى درزيّة واستقرّ الرأي إذ ذاك على وفاق سنة ١٨٤٢ وقوامه قسمة ادارة الجبل بين قائم مقامين درزي وماروني أي أمير درزي على الدروز وأمير ماروني على المسيحيين

فهذا ياحضرات النواب احدى التدبيرات التي تُرتب في غرف الوزارات بمزيد السرعة والسهولة ومقترحها رجل راجح النفوذ في اوربا وهو المسيو دي مترنيخ

لقد حدث أمر جدير بالاعتبار اسرّ بترديد ذكراه على مسامع الندوة وهو انهُ لمّا أعلن أمر هذه التدبيرات وشرح مضمونها أمام هذه الندوة تولّد في الحال رأي أجمعت عليهِ الاغلبية ذلك انهُ لم يُرَ فيها سوى وسيلة جديدة لاستمرار الشقاق وتواصل البلايا

على مسيحيي لبنان وكانت الحكومة قبلت بها فرفضتها الندوة . واني لارتاح إلى تذكيرها بأنهُ اذا ما كانت اوقعت تبعتها على الحكومة فانها والحمد لله لم تلقها على عواتق هذه الندوة المتحدة الكلمة لانها باقتراعها على اقتراح المسيو بريار رفضت القبول بها

وقد بيَّن الخطباء بكل حزم جميع الاخطار التي كان يخشى تولدها من المشروع المعروض وتكهنوا عنها فاصابوا كبد الحقيقة لسوء الحظ

ولم تقف الندوة عند هـذا الحدّ بل أوضحت في العبارات التي استعملتها في اقتراحها الطريقة الوحيدة التي تضمن استدراك وقوع القلاقل التي حدثت وهي اعادة السلطـة القديمة الوحيدة المسيحية الى الجبل بتسليم زمام الحكم الى الامير بشير من الاسرة الشهابية وهو لم يزل حاصلًا على ثقة الامتين المتعاديتين المعتادتين منذ زمن طويل على حكمه الابوي

وفي تلك الاونة فاه حضرة وزير الخارجية بتأكيد هو بمكان من الغرابة بحيث ينبغي عليَّ أن اتردد في اعادة ذكراه لانهُ لا يريد أن يجاوبني لكنه سيجيب فيما بعد . فقد كان يتساءل في ذلك الحين : « لماذا يرفض قبول الامير بشير ؟ فاذا ما حقَّ لدولة ان تؤنبه على الماضي فلفرنسا وحدها لانه ترك سيده حليفنا . فما الذي يؤاخذ به ؟ فنحن ـ وقد ترك حليفنا ونقض عهده ـ نرضى بطلب اعادة ازمـة الشؤون اللبنانية اليه لانه الرجل الوحيد القادر على ضمان ادارة ابوية لاهالي لبنان المسيحيين ! »

ففي ذلك العهد شاء حضرة وزير الخارجية على ما أرجح أن يتحاشى الاقرار من أعلى هذا المنبر بان فرنسا غُلبت في بدء المفاوضات فقال ان انكلترة هي التي غلبت برفض اوربا عليها طلبها اعادة الامير بشير واسرته إلى حكم الجبل

واراني مضطرًّا لدى تفوهي بهذه التأكيدات ان اؤيدها بالاستشهادات الصحيحة

فهاك ما ورد بحرفيته في جريدة « مونيتور الرسمية » عمّا فاه به المسيو غيزو في سنة ١٨٤٣ قال : « ان الدولة التي أصرّت اكثر من غيرها على اعادة الحكم الى الاسرة الشهابية في لبنان هي انكلترة فلقد طلبت ذلك بالحاح وبكل صراحة »

فقاطعه الموسيو دي كارنه محتجاً واستأذن بالكلام . على ان الموسيو غيزو تابع كلامه قائلاً :

« ان ما قلته هو الحقيقة بعينها لان انكلترة هي التي ألحت خاصة باعادة الحكم في لبنان إلى الاسرة الشهابية »

مع اني طالعت بين المحررات المنشورة في ذلك التاريخ رسالة من معتمد حكومتنا في الاستانة ينبيء حضرة الوزير : « انه لم يتمكن من الاتفاق مع سفير انكلترة لان دولته سبقت الجميع إلى استثناء الامير بشير من عداد من تختاره اوربا حاكماً للبنان »

فقد اوردت كل ما تقدم نقلاً عن « المونيتور » وفي مفكراتي ذكر العدد المنشورة فيه وساطلع حضرة الوزير عليها متى شاء ان يجيبني على سؤالي

فقد اعدت ذكر هذه الامور لانهُ يقتضي جلاء هذه الهفوة محافظةً على صدق مباحثاتنا ولا اظنها من قبيل السهو والذهول ممّا استغربه جدًّا إنما اظن ان حضرة الوزير كان يأمل في ذلك الحين ان لا بدَّ للدول من العودة الى فكرة اقامة الحكم المسيحي الوحيد في لبنان الواجب أن يكون ضالتنا المنشودة وغرض مساعينا وبناء على امله بادراك هذه النتيجة قريباً رأى من الواجب ان يتحاشى الاعتراف بما أصاب سياستنا من الاخفاق في بدء المفاوضات ولا يمكني أن افسّر هذه المناقضة بغير هذا . بيدَ ان الامر الثابت الاكيد المؤيد بالمحررات الرسمية العديدة التي بيدي ولا أريد نقدها تماماً من اتعاب الندوة هو ان انكلترة واصلت جهدها منذ خمس سنوات لمنع اعادة الحكم إلى الامير بشير شهاب واسرته مهما كلفها

ذلك . ولماذا ؟ ذلك ـ وغير خافٍ على أحدٍ ـ لان اعادة امارة لبنان المسيحية الى ما كانت عليه ينجم عنها بسط النفوذ الفرنسوي وهذا ما تأباه انكلترة . وبوسعي ان اكثر من ايراد الادلة والشواهد القاطعة على صحة قولي لكنها غير مجهولة فلا حاجة الى الاطالة

أمَّا المسألة الوحيدة التي تشغل بالي ونرغب جميعاً في الحصول على مزيد ايضاح بشأنها من الحكومة هي معرفة كيف لم يظهر شيء من مساعيها في مدى الخمس سنوات المذكورة لبلوغ الغرض المقصود في حين كان يجب على جميع الرجال العقلاء أن يجعلوا مرمى غايتهم اعادة امارة الجبل المسيحية الى ما كانت عليه من الاستقلال بالحكم وكانت الندوة قد أعربت بكل جلاء عن نيتها ورغبتها الشديدة بهذا الشأن

اقول انه لم يظهر شيء ويكفي تلاوة الرسائل المنفذة من حضرة وزير الخارجية إلى معتمدنا في الاستانة لادراك مقدار تهاون حكومتنا وضعفها في ملاحقة هذه النتيجة . ففي سنة ١٨٤٢ كتب حضرة الوزير ما يلي :

« يجب أن تتحاشوا بكل دقة كل ما من شأنه ان يظهر فيه بمظهر المستقل عن الدول رأياً وتتحاموا كل سعي يدل على مسابقتها فتكون نتيجة هذا العمل الاكيدة تجديد اجتماع الدول المذكورة ضدنا والقاءنا في عزلة تامة »

فهذا هو الهمّ المستمرّ وهذا ما رجحته فرنسا من عودها إلى الدخول دون شرط ولا قيد في سلك الاتفاق الاوربي . وقد ظهر خطاؤها في شؤون سوريا اكثر من غيرها لانكم عندما عدتم إلى الانخراط في سلك الاتفاق الاوربي ماذا فعلتم ؟ انكم تركتم حقوقاً ورثتموها عن تقاليد متقادمة العهد وتمتعتم بها بموجب معاهدات خطيَّة يتصل تاريخها بالقديس لويس ما تخلت عنها الحكومة قط في زمن من الازمان حتى حكومة مجمع وكلاء الامة (كونفنسيون ناسيونال) في أشدّ أوقات حربها الهائلة مع اوربا . فتنازلتم في ذلك اليوم عن حقوقكم القديمة الثابتة ولم

يكن في وسع أحد أن ينازعكم اياها ولم تنكر عليكم في بدء المفاوضات وأخضعتموها لمساعدة مجلس الدول الاوربية وأغلبيته دائمًا ضدكم . وبعد ارتكابكم هذه الهفوة اسألكم ماذا فعلتم ؟ أريد أن اطلع عليه

اني عندما اقرأ المحررات السياسية التي نشرت في انكلترة اراها اكمل من المحررات التي نشرتموها وعندما اطالع التي استحصلناها منكم بشق النفس لا أرى فيها اثرًا لسعي او نهضة من قبلكم ولابدَّ لكم من التسليم معي بذلك . اني اشاهد في انكلترة وفي الروسية وعند جميع الدول الاوربية عناية متواصلة بابعاد فكرة اعادة امارة لبنان المسيحية إلى وحدتها واهتمامًا في ابقاء التسوية الموضوعة سنة ١٨٤٢ دون اكتراث بالكوارث التي نشأت عنها . فالبلايا التي انقضت على لبنان واجتاحته ما انارت عقول تلك الدول فحكمت بان تلك التسوية لم تمتحن كل الامتحان حتى ان ناظر خارجيتنا المكرم لما قابل سنة ١٨٤٤ من غوائلها واوضح لاول مرة اضرارها العديدة استدرك قائلًا : « لا استطيع بعد ان اقترح طريقة غيرها لان ليس لديَّ الافادات الكافية »

وعدا ما تقدم فانه لما اقتضى في سنة ١٨٤٥ اي بعد وقوع بلايا أضرب صفحًا عن ذكرها لانها اشتهرت في كل اوربا ولا احاول اثارة خواطر الندوة برواية الفظائع التي ارتكبت في لبنان ولم تُنكر بل هي مرويَّة في الرسائل بكل تفصيل ودقة ! . . . ففي ذلك العهد لمَّا اقتضى ايقاف اوربا على افكار فرنسا وامانيها ورغائبها أتعلمون باية عبارة أبلغت حكومتنا الدولة العثمانية ذلك ؟

فهاك ما كتبه وكيل اشغال سفارتنا في الاستانة بتاريخ ١٧ ايار

« انه وان لم أكُ مفوضًا بوصف علاج وحيد ضامن شفاء هذه الحالة فلا بدَّ لي من ان اتذكر ان الجبل نجح تحت ادارة امرائه السابقين وهيئة حكومة مختلفة عن هذه ولم يكن بوسعي الاَّ ان افتكر بمزيد الامتعاض ان الباب العالي بتبديله الهيئة

الحاكمة وطريقة الحكم قد أوجد لذاته مشاكل مع ان مهمته كمهمتنا ترمي إلى تقرير الامن في الجبل وسعادة اهليه .

« فهذه الاشارة الاولى إلى الشهابيين دون تسميتهم قد ادركها رفعت باشا وأرى انها كافية الان وهي أساس لمساعيّ المتواصلة في هذا السبيل . »

ان سياسة فرنسا قد وصلت إلى حد لا تستطيع معه ان تفعل شيئاً الاّ بالتلميح المقرون بالحذر الشديد فهي تستعمل الرموز على رجاء ان يفكها مخاطبها فهي تشير إلى الشهابيين « دون تسميتهم باسمهم »

ثم يقول فيما بعد :

« وأرى ان نسق المباحثة هذا يوضح باجلى بيان رأي حكومة الملك دون ربط نفوذها وتقييدها كل التقييد بشكل واحد من طرق حلّ المعضلة ويقيها التورط في مسألة ليس لها فيها مصالح هامة توجب المخاطرة بالمقاومة العلنية . »

فاستنتج من هذا القول ان هذه هي المرة الاولى ـ في ١٧ ايار سنة ١٨٤٤ كما يستفاد من عبارة « اساس جديد للعمل » ـ التي تجرأت بها فرنسا ان تقول لاوربا انهُ يجب الافتكار باعادة الشهابيين ... دون تسميتهم باسمهم

وقد عاد المسيو دي بورکنه مرتين الى ذكر هذه الطريقة الغريبة في مفاتحة الحكومة العثمانية بهذه المسألة فاجابه حضرة الوزير :

« اني اوافق على تصريحاتك الجلية الحازمة التي أيّدت بها الحجج المبنية على الحقوق الثابتة كما اخبرتني في رسالتك رقم ١٧ ايار ... »

انه وايم الحق لو لم تكن المسألة خطيرة ولو لم يكن حضرة الوزير رجلاً رزيناً لاتخذت هذا الجواب بمثابة تهكم وانتقاد لاذع لكن معتمدنا باعرابه عن امانينا بهذا الحذر وبتعويله على التلميح في ابراز نيّاتنا لم يكن سوى ترجمان امين لافكار ضعيفة مترددة ولذلك استحق ارتياح وزيره

لقد تحققتم رخاوة الحكومة في جدالها مع دول اوربا مع ان هـذه الندوة شدَّدت عليها وحضتها من اعلى هذا المنبر على متابعة المطالبة باعادة الحكم الى الاسرة الشهابية لكونه الوسيلة الوحيدة لاستتباب الامن في لبنـان وحفظ نفوذنا فانهـا اقتصرت على ابداء ارتيابها ومخاوفها وتكهنت أحياناً عن الكوارث المتوقع حدوثها دون أن تتحوَّط لتلافيها

ويسهل عليَّ ان اعارض ضعف حكومتنا بنشاط معتمدي الانكليز وحزمهم رفضاً لاعادة الشهابيين وبما بذلوه من المساعي الجسيمة لابقاء طريقة التسوية الموضوعة سنة ١٨٤٢ وقد جرَّت البلايا على سوريًا لانه كان لها في أعينهم مزية من شأنها تحقيق امانيهم ألا وهي طرد فرنسا من الشرق وابادة نفوذها

ان المحررات الانكليزيَّة هي كثيرة الوضوح بهذا الشأن حتى ان تغرض المأمورين الانكليزيين للدروز بلغ حدًّا أثار معهُ الشكوك . واني اكتفي بايراد الدليل الآتي :

في سنة ١٨٤٤ لمَّا أريد تسوية مسائل خطيرة بين الدروز والموارنة (وهو تقدير التعويضات عمَّا أصاب المسيحيين من السلب والنهب) استدعي الى بيروت ممثلو الفريقين . فلما جاء الدروز إلى المدينة المذكورة وجدوا في الكولونل روز قنصل انكلترة العام محامياً ملازماً لهم يعضدهم ويؤيدهم كما أفاد حكومته في تحاريره

أمَّا المسيو بوجاد معتمد فرنسا فلم يحضر الجلسة التي عقـدت ولست اقصد ان الومه إذ يترتب عليَّ ان افيه في القريب العاجل حقه اطراء . وعندما سئل عن سبب تخلفهِ عن الحضور أجاب : « ليس لديَّ تعليمات ! » واردف مخـاطباً معتمدي المسيحيين : « اني أشير عليكم بالخضوع اذ ليس لديَّ أدنى وسيلة لعضدكم » وقد كتب الكولونل روز في هذا الصدد الى حكومته ما يلي :

« ان سلوك قنصل فرنسا هذا قد سهَّل كثيراً بنوع خاص المفاوضات » ومن ثمَّ

لم يكتمِ الدور الذي لعبه في هذه المسألة باقامته ذاته محامياً عن الدروز ضد المسيحيين بل صرح ايضاً - ولست بحاجة إلى ان اترجم العبارة لاني اذكرها جيداً - « اني احرضكم على ان تشكروا كثيراً لجلالة السلطان مكارمه وسخاءه بدفعه عنكم معظم مبلغ التعويض المفروض عليكم »

لا مراء ان التفاخر بمثل هذه الحماية ناتج عن الاستسلام للاهواء السياسية لان المسألة كانت تتناول تسوية التعويضات عن الاموال التي نهبها الدروز وحوادث القتل والحريق التي اقترفوها فالكولونل روز تفاخر بكونه احسن عضد الدروز المنضوين تحت حمايته وأمدّهم بعونه بحيث استمنح لهم من جلالة السلطان دفع أموال التعويضات عنهم

ويوجد دليل آخر على هذا التغرض . وعليّ ان اقول في الحال لحضرة الوزير سبب الحاحي بهذا الشأن ذلك اني سمعته منذ بضعة ايام يفتري على ذاته بقولهِ عن سلوك انكلترة في الشرق : « بيدَ ان عواطف الانكليز تجاه المسيحيين تنطبق على عواطفنا وارآؤهم توافق ارآءنا ولست ادافع عن ذاتي بل عن الوزارة الانكليزية » فلقد افتريت على ذاتك ياحضرة الوزير فان ارآءك ومصالحك ليست مماثلة لارآء انكلترة ومصالحها واني من الذين يلومونك على عدم معرفتك حماية مصالحنا ويرمونك بالضعف وكثرة الحذر لكني لا اتهمك بالتواطئ مع انكلترة . كلّا فلست اعتقد ان الوفاق الودي معها أوصلك إلى هذا الحد ولم يجل في خاطري انك شئت كانكلترة ابقاء طريقة حكم سلّمت اخواننا المسيحيين على مرتين للذبح والحريق او انك شاطرتها تغرضها الاعمى للدروز وسيظهر لك ذلك ممّا يلي :

في جملة المحررات الانكليزية المنشورة في لندره كتاب طويل لمعتمد ارسلته الحكومة الانكليزية خاصة إلى لبنان لفحص حالة الامتين في بلادهما والحكم في منزلتهما وصفاتهما . فقد قرأت فيه وهو موقع باسم اليسون : « ان الدروز هم

كالمسيحيين غير صادقين ملتبسين بالرياء لكنهم يفضلون هؤلاء الاخرين كثيرًا بيسالتهم ومهارتهم وتسامحهم الديني » (ضجة)

أينعت هؤلاء البرابرة السفاكي الدماء العديمي الايمان الذين يذبحون الكهنة ويسيئون معاملة النساء ويحرقون الاديار بالتسامح الديني ! . . . فهذا هو تسامح الدروز الديني ومنه يظهر سبب ايثار انكلترة لهم على المسيحيين . فهذا مآل البيان السابق الذكر

وكثيرًا ما أتهم الانكليز باخفاء الحقيقة بمحرراتهم السياسية التي ينشرونها فلا يمكني اليوم ان اشاطر القابلين بذلك رأيهم عندما أرى نشرات مثل هذه تشف عمَّا يضمرون وتوضح ما يكمنون

وعليه امسى من المتعذر انكار تغرض الانكليز المشين للدروز وتوجب على حضرة وزير الخارجية المكرم ان يوضح ما قصده بقوله « ان اراء انكلترة واراءه متماثلة »

اما وقد ثبت اليوم ان المسيحيين قد أهملوا منذ خمس سنوات ـ لا اجرأ ان اقول تمامًا بل كثيرًا ـ في حين ان خصومهم وهم دونهم عددًا نالوا عضدًا فعليًا ليس من انكلترة فقط بل من جميع الدول هل يدهش من البلايا التي حلّت بالاولين ؟ وهل يستطاع لومنا على مخاوفنا من حصول اعظم عار في هذا الزمن نريد به استئصال جرثومة المسيحيين في الشرق ان بقتل الاقوياء وان باكراه الضعفاء على جحود دينهم ؟ فكل المساعي منصرفة إلى هذا الغرض وستدركه إذا لم يكن للحكومة الفرنسوية المستندة على البلاد والرأي العام المتعظة بعبر الماضي المحزنة القوة الادبية الكافية لافهام اوربا ان الوسيلة الوحيدة لانقاذ هؤلاء السكان من الخطر الذي يهددهم قائمة باعادة ما طالما ملكوه من امتيازاتهم القديمة وتوطيد السلطة التي تستطيع وحدها حفظها

هذا وقد اظهرت لنا الحوادث المعروفة حتى الآن عظم ضعف الحكومة الادبي .

فنحن نذكر جميعاً ان المطران نقولا مراد رئيس اساقفة اللاذقية جاءنا منذ سنتين موفداً من قبل اخوانه الشرقيين ليلتمس من الحكومة الفرنسوية ان تمد اليهم يد المعونة ويكشف لها مشايعة معتمدي انكلترة وسائر الدول لخصومهم ويبين جميع المظالم والفظائع التي أنزلت بهم . واني أجهل كيف استقبل حضرة وزير الخارجية المطران المشار اليه لكني اعلم ما قاله اللورد كولي عن ذلك فانه لما قنط مندوب لبنان هذا من مساعدة الحكومة الفرنسوية على ما ارجح طلب ان يذهب إلى انكلترة فلاقى رفضاً مراً وكتب اللورد ابردين إلى السير سترتفورد كانين ما يلي :

«سترى من رسالة اللورد كولي المرسلة لك في طيه ان المندوب الماروني لم يلاق نجاحاً لدى الحكومة الفرنسوية »

فهذا ما قيل في انكلترة ولم تكذبه يا حضرة الوزير ولم تشاء ان تشرح لنا غوامضه

هذا وما اضطرت الحكومة الفرنسوية ان تهتم بمصالح المسيحيين في الشرق فقط بل بمصالحها أيضاً إذ انهُ عندما نفّذت المهمة التي أُعلن ان المقصود منها اصلاح ما فسد وقد عهد بها إلى أحد نظّار الحكومة العثمانية شكيب افندي أخبث المضطهدين وأوفرهم خداعاً ورياء لم يقتصر جور الادارة التركية على اللبنانيين بل عمّ في الحال المصالح الفرنسوية الخاصة بحيث خُيّل ان هذا العمل ليس إلاّ حيلة شيطانية تذرع بها للحط من عزائم معتمدينا واشغالهم عن مصالح أهالي لبنان التي كان يراد هضمها بالذب عن شؤونهم الخاصة . أجل لقد اعتدي علينا لان أول عمل أتاه مندوب الباب العالي الاخير المرسل لاصلاح ما افسدتهُ الكوارث ودمرته هو خرقه المادة الـ ٣٢ من المعاهدات الخطية الضامنة لرعايانا في الشرق امتيازات جمة منها حرية التملك والتصرف باموالهم . فان شكيب افندي أوعز إلى جميع التجّار الفرنسويين المقيمين في الجبل بمغادرتهِ معلناً لهم انهم اذا لم يجلوا عنهُ يضمن لهم أموالهم لكنهُ لا يستطيع أن يضمن لهم حياتهم . فلم يحفل بعضهم بهذا التهديد وتجرأوا على البقاء في اماكنهم مستندين الى

حقهم وحماية فرنسا ولجأ آخرون الى بيروت. وفي ما تقدم مساس بمصلحة فرنسا وشرفها لان هؤلاء التجار الفرنسويين أقاموا هنالك عملاً بحق مقرر في معاهدات خطية جعلتهم جميعهم بمأمن من جور رجال الضابطة التركية في كل آن

وعليّ ان اعترف ان معتمدنا في الاستانة أبدى حزماً وعزماً شديدين حصولاً على الترضية اللازمة عن هذا الاعتداء الغير المنتظر حتى انه تهدد بمغادرة الاستانة وقطع العلائق ولم ينل الوعد بالترضية التي لا ارى لها اثرًا الاّ بواسطة التهديد والوعيد. وعلى كل فقد اخذ على الحكومة العثمانية عهدًا بالتعويض. لكنه حصل ما هو اشد خطورة مما تقدم ذلك ان احد تراجمة قنصلية فرنسا في بيروت ذهب حالاً إلى جونية منعًا لتجدد المذابح التي هُددَ بها المسيحيون فغضبت عليه الحكومة التركية وجلدته وسجنته فقام الموسيو بوجاد قنصله مجيباً صوت شرفه وجرأته – إذ لحسن الحظ لم يكن لديه تعليمات تقيّده (ضجة) ويسرني ان امدحه على ما أتى – وطلب إلى الحكومة العثمانية تعويضًا عن هذه الاهانة فابت عليه اجابة سؤله. وكانت البارجة الفرنسوية « لابل بول » راسية هناك فامرها بالدنو من الشاطئ. وانذر الحكومة انها إذا ما ابطأت في اطلاق ترجمانه وتسليمه اليه تنزل البارجة جنودها وأضطر الامر اخيرًا إلى ازالها وأستعيد الترجمان قوةً واقتدارًا بفضل هذا العمل الحازم

أنه لعمل مجيد واغتبط بالفات وطني اليه بيد انه يكدرني جدًا في الوقت ذاته ان قد أنقص من بهائهِ وخسر من مفعوله كثيرًا اذ عقبه رسالة منفذة من حضرة وزير الخارجية قرأت فيها عبارة موجبة للاسف يجب عليّ ان اتلوها على مسامعكم فان حضرة الوزير عند اشارته إلى المظاهرة التي قامت بها البارجة الموما اليها قال : « انها لوسيلة شديدة الخطورة يجب ألاّ يلجأ الى استعمالها كثيرًا » (ضجة في الوسط وتهكم في اطراف المجلس)

اني اسألكم الاصغاء فني الامر خرق لحقوق الامم واعتداء علينا ولم نكن البادئين به بل كنا المدافعين عن حوزتنا واستعمال حقنا ولم يخرج عملنا هذا عن دائرة حقوقنا لانكم اقدمتم على استحسانه وموافقته ولم تجرأوا على استنكاره . على اني لا افهم كيف جاز لحضرة الوزيران يقول لمعتمدي حكومتنا المحقين في عملهم وقد اقتصروا على رفع مظلمة والثأر من خرق ذميم بالقوة والعنف « يجب ألا يلجأ إلى هذه الوسيلة كثيراً » وانما كان عليه ان يقول ذلك للباب العالي للذين الحقوا بنا الاهانة اما الذين دفعوها فكان يجب مخاطبتهم بغير هذه اللهجة واطراء عملهم وموافقته دون قيد (استحسان شديد)

وعدا ما تقدم فيظهر ان الحكومة العثمانية استوضحت حكومتنا عن هذا العمل ورسالة الوزير تثبت ذلك . فقد جاء في احدى فقرها : « لما كانت الحكومة قد ظنت ان المتوجب عليها ان تشكو الينا . . . »

فينتج مما تقدم ان الحكومة الفرنسوية استوضحت في هذا الشأن وأجابت . وهذان هما المحرران اللذان طلبت الاطلاع عليهما والندوة تذكر ذلك فأجابني حضرة الوزير يومئذٍ انهُ سينظر مجدداً فيما اذا كان يمكنهُ ابرازهما وحتى الان لم يفعل مع انهُ كان يقتضي اعلانهما لغسل اهانة وُجهت الينا إذ قيل في الخارج : « ان فرنسا قد دافعت عن شرفها وعلمها واكرهت الحكومة العثمانية على احترامهما لكن ساستها اعتذروا فيما بعد »

فهذا ما قالتهُ جرائد اوربا وهذا ما كان يجب دحضه . لكني علمت منذ حين بكل أسف انهُ ليس في وسعك ياحضرة الوزير ابراز المحررين المذكورين فاذا كانا قد خلصا من نقد هذا المجلس فلا يخلصان من حكم التاريخ لان مضمونهما معروف وعليَّ ان اقول ان التأثير البادي على محيَّا الذين قرأوهما يوضح لي بأجلى بيان سبب رفضك اطلاعنا عليهما مع انهما يتعلقان بعمل شخصي فردي وبحادث عرضي طرأ

على هذه المسألة الكبرى وتبودلت المفاوضات بشأنها وختمت . ولست أرى ما يمنعكم من ابراز نص جوابكم على الاستيضاحات المطلوبة فنحن لا نحصل عليهِ لكني ساتذكر دائمًا بمزيد الاسف والامتعاض انكم لم تستطيعوا أو يوجد سبب يمنعكم ان تبرهنوا ان حكومتنا قد أتمت العمل النبيل المملوء حزمًا وعزمًا الذي قامت بهِ مرة واحدة وليس ذلك بكثير . واني اخشى ان اتعب سرّ الندوة اذا اطلت هذا البحث ولم التزم بهِ الترتيب اللازم لاضطراري الى اختصاري النقد لان وقت الجلسة قد طال لكني سأقول ما هو الغرض الذي أبغي ويبغي معي جميع رصفائي المقتدرين الذين سيمدونني بعضدهم بلوغه . ولست آمل الحصول على زيادة حزم وعزم من ساستنا اذا ما ألحت في الطلب . كلّا فقد حبطت اماني بهذا الشأن فلا استسلم الى الآمال بعد ان مضى خمس سنوات عرض للحكومة في خلالها فرص لم تغتنمها ووقعت حوادث لم تعرف كيف تنتفع منها أو تحصل على شيء وقد عللتنا دائمًا في آخر كل جلسة : « باننا على وشك بلوغ الغرض » وفي كل سنة كانت تضطرّ الى أن تلزم الصمت وهو أعظم دليل على عجزها

اني لا انتظر شيئًا من سياستنا ولن انتظر

ان حضرة وزير الخارجية رغب في أن يحمل مخاطبه في مجلس غير هذا على مشاطرته ثقته فاجابه على خطابه قائلًا :

« ان فكرة اعادة امارة الجبل المسيحية وهي طريقة الحكم الوحيدة المؤاتية قد اخذت تدخل تدريجًا في عقول اوربا واقتنعت بها النمسا »

وبعد مرور شهرين أنفذ المسيو دي مترنيخ رسالتين . . . (هزّ وزير الخارجية رأسه دلالة على نكران هذا الامر)

اني لم أرَ طابع وزارة الخارجية النمسويَّة لكن ما اعلمهُ هو ان هاتين الرسالتين نُشرتا وهما صريحتان وساتلوهما على مسامع الندوة اذا ما شاءت (اقرأ

اقرأ) وأضيف ان هاتين الرسالتين المذاعتين على الملا منذ مدة طويلة تناقضان كل المناقضة تأكيدات حضرة وزير خارجيتنا . ومن الغريب انهُ لم يهتم بتكذيبهما أو ايضاحهما واليكم بهما. ان احديهما مؤرخة في ٢٧ شباط سنة ١٨٤٦ وبقرب تاريخها من اليوم الذي صرّح بهِ حضرة وزير الخارجية ان النمسا تساهمنا رأينا وقد جاء فيها ما يلي :

« على كلٍ سنشعر بأسفٍ شديد لتحامينا الاحتجاج على تعديل الباب العالي اعادة طريقة الحكم القديمة الى لبنان برئاسة امير واحد فيعرض الباب العالي ذاته إلى اثارة استياء السكان الذين ليسوا من مذهب هذا الامير ولم نفكر قط انهُ يمكننا بذل عضدنا الادبي لمشروع قوامه اناطة ادارة لبنان بشخص واحد حاصل على حماية دولة أجنبية بحيث يربح معتمدو هذه الدولة دون غيرهم سيطرة في سوريا . »

وقد جاء في الرسالة الثانية ما نصه : « وخلا ما تقدم فان اناطة الحكم في الجبل بشخص واحد كما اقترحت فرنسا حديثاً ستلاقي دائماً عراقيل وعقبات تحول دون تحقيق هذا المشروع »

وعليهِ فالتكذيب تام أمّا إذا كانت الرسالة حقيقية فلا يعلم أحد اكثر من وزير الخارجية إذا كانت تعرب عن رأي المسيو دي مترنيخ

أمّا انا فلست اوّمل شيئاً من المسيو دي مترنيخ ومن النمسا واقول بأسف اني لا اعلق أدنى أمل على الحكومة الفرنسوية بهذه المسألة . وانما ما ارجوه هو انهُ بعد انتظارنا هذه السنوات الخمس يرتفع في اوربا صوت الاستغاثة واوّمل أن يرتفع هذا الصوت من انكلترة البروتستانية ومن فرنسا الكاثوليكية لان الامر يتعلق بمهد ايماننا المشترك . ان مصدر ايماننا أورشليم ومن المحال ألاّ يقوم الرأي العام في العالم المسيحي فيضغط على الحكومات ويجري من أجل سوريا المسيحية ما أجرى منذ عشرين سنة انتصاراً لليونان

لقد صدق من قال ان الذي انقذ اليونان ليس حكومات اوربا بل الرأي

العام بل رجل واحد وهو المسيو اينار أحد رعايا جنيف (سويسرا) فانهُ استصرخ اوربا لنجدة اليونان . فعلى صوت هذا الرجل الجليل انتبهت ضمائر اوربا من غفلتها فانتصر لليونان جميع العقلاء والاذكياء وظلت المساعي متواصلة إلى أن استيقظت العاطفة الدينية الكامنة في الصدور انتصاراً لهذا الغرض المقدس وفي اليوم الذي شاءت اوربا انقاذ اليونان فعلت وأتمت خلاص تلك البلاد

وعليهِ فمتى شاء الرأي العام الاوربي انقاذ أهالي سوريًا المسيحيين وأراد أن ينجو من عار رؤيتهِ أمة متمتعة بامتيازات متقادمة العهد تباد امام اعينهِ ويخيل انها لم تُهدد بالفناء إلاَّ من يوم اتخذتها الدول العظمى الخمس تحت أجنحة حمايتها . ففي اليوم الذي يسود هذا الرأي وينادى بهِ من أعلى منبري الندوتين في البلادين وفي سائر البلدان الاوربية تبدأ الوزارات الخارجية ان تفقه ان في هذه النهضة قوة لا تعارض (علائم استحسان)

نعم قد اخطأنا في الوثوق بمواعيدكم المستمرّة وقائدها دون شك حسن النية لكن الحوادث كذبتها وجعلت مصيرها الاخفاق . واخطأنا أيضاً في اضاعة الوقت سدىً لكننا عزمنا على عدم ترك الفرص أن تفوت فلا ندع هذه المسألة التي ولجنا بابها الآن بل نستمرّ عاضديها حتى النهاية . وسنلاقي صدى لندائنا في اوربا . ولي الامل بأننا سنحصل بواسطة هذا الرأي المستيقظ على اكثر مما يرجى من سعي وزارات خارجية وطننا وقد آلت سياستها في مدى السنوات الست الاخيرة الى جعل هذه البلاد مرسحاً للاضطرابات والقتل والحريق

ولم اشاء تهييج افكار الندوة برواية الفظائع التي ارتكبت ولم احدثها عن حوادث القتل التي غضّ الطرف عنها وشجعت عليها حكومة غاشمة نفاقية ولا عن القتلة الذين بُرئت ساحتهم بطريقة توجب العار وأقيمت لهم مظاهرات اكرام . . . فهذه الحوادث المشينة تعرفها الندوة وفرنسا . . . . فتتذاكرانها .

ان أعوانكم واصدقاءكم ياحضرة الوزير كانوا منذ بضعة أيام يقولون : « ينبغي ان نجعل لبنان إسوة بسويسره » أمّا انا فجلّ ما ابغيه ألاّ تجعلوه كبولونيا ! (علائم استحسان في حزب الشمال)

١٣٠ — كتاب المطران عبدالله البستاني رئيس اساقفة صيدا الى نساء فرنسا بتاريخ ٢٠ كانون الاول سنة ١٨٤٦ (١)

إلى نساء فرنسا المتلألئات بفضائلهن وبهائهن وتقواهن كالآلىء الخالية من كل عيب أدام الله وجودهن

بعد رفع الابتهالات الحارّة لله القدير المتعال مبدع الكائنات أن يحفظكن ويسبغ عليكن كنوز نعمه نعرض : قد سبق لنا ان ارسلنا نحن والامة المارونية عريضة موقعة منا إلى الشعب الفرنساوي فيها عدّدنا الفظائع التي ارهقتنا بها الدروز وخلافهم من غير المؤمنين نحن وسائر كاثوليك سوريا

ان اوربا بأسرها قد تحققت هذه الكارثة الجلّى وهذه الحرب الجائرة التي أريقت فيها الدماء البريئة كالماء . فقد دُمّرت الكنائس والاديار والمدارس واعتُدي على النساء والبنات والعذارى المكرسات للرب . وحُرقت الصور المقدسة والصلبان المباركة وأسيئت معاملة خدمة الله وقوضت بيوت المسيحيين وخربت املاكهم مثنىً وثلاث

وقد علم الجميع اليوم الشقاء العظيم الذي نزل بالمسيحيين فتركهم عراة جياع هائمين على وجوههم في البراري والقفار الارض فراشهم والسماء غطاؤهم والاعشاب

---

(١) ان هذا الكتاب مع ما يليه من الخطب بما فيه تصريح الوسيو دي ملفيل الاتي معرّب عن كتاب « فرنسا في لبنان » لواضعه لويس دي بوديكور ص ٣٩ الى ٨٧

قوتهم اذ لم يبقَ لهم ممَّا كانوا يملكون سوى ارضٍ مجدبة جرَّ عليها الخراب ذيوله . لقد انقضى زمن طويل ونحن نئن تحت اثقال البلايا والنوازل اي منذ الحرب الاولى والثانية المستمرة منذ سبع سنوات ونحن معتصمون بالصبر

وما كدنا نرمم كنائسنا وبيوتنا ونصلح على قدر الطاقة ما حلَّ بنا من الدمار حتى نهض اعداؤنا وهم اكثر عددًا من المرة الاولى وفاجأونا مجددًا بتخريب كل ما كنا جددناه بشق النفس وقد مزجوا كأس البلايا التي سقونا اياها بفظائع بربرية يقصر القلم عن وصفها : فقد شطروا الاطفال الى شطرين وقطعوا بعضهم بالسيوف مع الثديّ التي كانوا يرضعونها وايدي الوالدات التي كانت تحاول حمايتهم . أو كانوا ينحرونهم ويرمونهم على جثث والداتهم . ولم يحترم هؤلاء البرابرة الاجنة في بطون امهاتهم بل كانوا يبقرونها ويخرجونهم منها وقد هلك كثير من الاولاد والاطفال بانواع شتى من العذاب . وافتضت فتيات كثيرات وقُتلت آخرات وهنَّ يدافعنَ عن عرضهنَّ . وذُبح عدد غفير منهنَّ بعد ان أُزيلت بكارتهنَّ . وقد رمت غير واحدة بنفسها من شاهق آثرة الموت على الفضيحة . واذا شئت ان اروي لكنَّ تفاصيل هذه الجوائح المحزنة لطال بي الوقت . . . على اني اخبركنَّ بامرٍ هائل تتقزَّز منهُ الطبيعة وهو ان السلطنة العثمانية قد أقامت هؤلاء البرابرة مرتكبي هذه الفظائع حكَّامًا علينا وحرَّاسًا لنا جاعلة الذئاب الخاطفة رعاة للحملان الوديعة ففرضوا علينا ضريبة على خمس سنوات وضاعفوها ثلاثًا موجبين دفع مجموع أموال الخمس سنوات سلفًا في الحال . فكيف يمكننا والحالة هذه احتمال هذه المكوس وقد انهكتنا الفاقة وعضنا الجوع بانيابه وهو يودي بحياة كثيرين كل يوم ؟ وخلا ما تقدم فان عددًا غفيرًا يعيشون خارج بلادهم تائهين في البراري وقد عجزوا عن ترميم بيوتهم فليس لهم مأوى يلجأون اليهِ

فانتنَّ اللواتي احطنَ بكل ما جرى ولم نفتر عن الاستغاثة بهنَّ هل اعطيتنَّ

دليلاً على رغبتكنَّ في انقاذنا ؟ فلتكن مشيئة الله ! نحن الان نستغيث برأفة العلي المتعال تمجد اسمه وبالقديسة مريم العذراء والدة الله سلطانة السماء وينبوع الرحمة وشفيعتنا لدى ابنهِ وموزعة مواهبهِ ونستصرخ هذه الام السامية للجنس البشري والدة كل الوالدات ونادي جميع النساء المحسنات الغيورات اللواتي يشرفن فرنسا ونسمعهنَّ شكاوينا وتنهداتنا وبكاءنا ونسألهنَّ الشفقة . فارأفنَ بنا يا نساء فرنسا واوروبا المسيحيات ! وانقذننا من اعدائنا واعملنَ على اعادة أميرنا السابق واسرته الينا وبذلك تعدن الينا حريّتنا ! ونحن نعلم ان ذلك باستطاعتكنَّ لان الرب يلذّ لهُ ان يظهر قوته على يد الضعفاء . ألم ينقذ الشعب الاسرائيلي بواسطة موسى وهارون ومريم وخلّص بيت آئيل على يد يهوديت ووضع حدًّا لاسر اسرئيل بواسطة استير واخيرًا انقذ العالم بالقديسة مريم العذراء تبارك اسمها ؟

فيا نساء فرنسا النبيلات انتنَّ اللواتي بنيتنَّ مجد وطنكنَّ بسالتكنَّ وشهامتكنَّ ورحمتكنَّ وغيرتكنَّ المتقدة ورأفتكنَّ ان عرف فضائلكنَّ تضوع فوصل الينا وعلمنا بكل ما فعلتنَّ من الخير مع الخالد الذكر الحبر الاعظم بيوس السابع عندما كان بينكنَّ . وقد وقفنا عليه من الرسالة التي امتدح بها مع كرادلة الكنيسة من خلالكنَّ الكريمة . وقد تحققنا انكنَّ اللواتي ضمنتنَّ خلاص مملكة اليونان وانكسار اعدائها بهباتكنَّ وحمايتكنَّ فهي مديونة لكنَّ بحريتها بعد الله فهي حرَّة اليوم . ألا ترمقننا بنظرة اختصاص نحن الذين تجمعنا بكنَّ جامعة الاخاء بالتصير (العماد) والايمان وسر الافخاريستيا ؟ ألسنا خاضعين لرئيس واحد في رومية أو لسنا نؤلف كنيسة واحدة كاثوليكية ؟ ألم تربطنا نحن الموارنة بالفرنسيس حبائل خاصة وقد امتزج دمنا بدمهم فاصبح دمًا واحدًا ؟ فاولادنا هم اولادكنَّ لاننا سرنا معًا في عهد الحروب الصليبية الى فتح الاراضي المقدسة وقد تزاوج الفرنساويون والموارنة بحيث أصبح الموارنة انسباء ابائكم . وكثير منا هم فرنساويو النشأة لان

عدداً غفيراً من الصليبيين توطنوا جبالنا وصاروا اليوم موارنة . ومن ثَمَّ ألسنا ايها الفرنساويون متحدين معكم قلباً ؟ ان هذا يجعلنا ان نقول ان دمنا وعرضنا هما دمكم وعرضكم . فنحن اولادكم لاننا نعيش من زمن عهيد تحت ظلكم الظليل وجمهور من الموارنة سفكوا دمهم حباً بفرنسا وانتصاراً لغرضها ومع ذلك فانها ضنَّت علينا منذ سبع سنوات بدليل على حمايتها لنا في حين ان كل ما أرهقنا به موجه ضدها وضد الديانة الكاثوليكية . وفي كل يوم يشتمنا اعداؤنا ويسخرون بنا قائلين :

أين أصحابكم الفرنساويون ؟ أين ملوككم المسيحيون ؟ أين سفنهم الحربية وجنودهم ؟ هل اتوا لمساعدتكم ؟ ايها الكلاب الكفَّار ! . امَّا نحن فكنَّا في كل دقيقة نخفض بصرنا من السماء إلى البحر بحثاً عن بوارج فرنسا الآتية لمساعدتنا الماخرة عبابه طائرة الينا لانقاذنا . بيد انه انقضى كل هذا الوقت ولم يصغَ أحد لصوت ندائنا ولم يرأف بنا ويمدّنا بعونهِ فأشرفنا على الهلاك وكثير منا ماتوا مستسلمين إلى هذه الآمال بحيث حقَّ لغير المؤمنين أن يحتقروا المسيحيين وفرنسا

ان البلايا التي ذكرناها انفاً قد حلت بابرشيتي بيروت وصيدا اللتين تشملان الاراضي المقدسة وصور وعكا والناصرة وحيفا ويافا والقدس وبيت لحم ونابلس ممتدة حتى حدود مصر ومكة ودمشق . ومذ اربعين سنة وانا اخدم هذه الابرشية فلم يسبق لي ان شاهدت مثل هذه النازلة أو سمعت ان مسيحيي سوريا نكبوا بفاجعة مثلها ومع ذلك ان حبنا لفرنسا واستغاثتنا بها هما اللذان جلبا علينا هذه المصائب والبلايا

وانا ذاتي لم انجُ من يد الاعتداء فقد دُمرت جميع املاكي مرتين ونُهبت وسُلب خاتمي الاسقفي وتاجي وعصا الرعاية لاني اضطررت إلى الفرار وليس عليَّ سوى الثياب التي تستر جسمي . . . . وقد قتل الدروز مائتي عضو من عائلتي خلا الذين ماتوا من الشقاء . وقد هُدمت جميع كنائس ابرشيتي وأديارها ومدارسها وداري

الاسقفية مرتين وذُبح عدد كبير من كهنتي ورهباني وصرت عريانًا كما خرجت من بطن أمي

وعليهِ فالشعب الماروني بأسره رجالاً ونساء أولادًا وشيوخًا رهبانًا وراهبات وكهنة وغيرهم يسأل نساء فرنسا ان تتحننَّ علينا وتعملنَ على اعادة أميرنا واسرته الينا وتساعدننا بكل ما لديهنَّ من الوسائل لانالتنا بغيتنا . هذا ونضرع إلى الله القادر على كل شيء أن يزيد فضائلكنَّ ومجدكنَّ بهاء ويديم حياتكنَّ على ممرّ الدهور . آمين ثم آمين

التوقيع : عبدالله البستاني رئيس اساقفة صيدا وجميع موارنة ابرشيتهِ المحزونين

١٣١ خطاب الموسيو دي لامرتين في مجلس النواب في ١٦ حزيران سنة ١٨٤٦

انهُ بمناسبة البحث في الاموال المطلوب تخصيصها بادارات تسجيل القنصليات تكلم أمس حضرة الفاضل المسيو لاون دي ملفيل من أعلى هذا المنبر فأبى وزير الخارجية أن يجيبه على سؤالاتهِ كما كان سبق لهُ ان صرَّح منذ بضعة أيام . بيدَ ان امتناع الوزير عن الجواب لا يوجب علينا لزوم السكوت . إن حكومتنا بسعيها إلى التكتم تقصر بواجبها وتخالف طبيعتها لان المسألة التي تشغلنا الان هي على جانب عظيم من الخطورة وتحول دون أن نقتدي بصمت الوزير

إني لا احاول بسط تاريخ سياستنا المترددة في الشرق مجددًا فهو طويل وقد سبقني اليهِ المسيو دي ملفيل وانما استأذن الندوة لاذكرها بما كانت عليه حالة سوريا في سنة ١٨٤٠ ... في ذلك التاريخ كان الجميع يتوقعون قرب تجزئة السلطنة العثمانية . نعم ان المساعي كانت منصرفة إلى توطيد اركان كيانها . بيدَ انهُ ظهر ان البناء متصدع وقد بدأ ان يتداعى من كل جهة . وكانت انظار اوربا متجهة خاصة إلى بعض الولايات الآخذة بالانفصال ولاسيما إلى سوريا

إن اهمية سورياً ناشئة ليس عن موقعها المتوسط بين اوروبا ومصر بل عن سكانها ومعظمهم موارنة كانوا يعيشون متحدين تحت حكم الامير بشير

على انهُ يترتب عليَّ ان اصلح الهفوة التي بدرت امس من حضرة الفاضل المسيو دي مافيل فقد قال بوجود خلافات واحقاد قديمة بين شعوب لبنان في حين انهُ لا شيء من ذلك . وجلّ ما يوجد بين الموارنة والدروز هو خلاف في العقيدة فالموارنة هم مسيحيون كاثوليك لا يختلفون عنا إلّا ببعض الرتب اما الدروز فقد عجز الرحّالون المؤرخون وفي جملتهم ڤولنه عن التوصل إلى معرفة سرّ ديانتهم . على انه سبق لي ان قلت في هذه الندوة ان العقيدة الاساسية في مذهبهم هي حفظه سرًّا في قلوبهم واتباع سائر المذاهب المتغلبة ولهذا كانوا متحدين مع الموارنة في عهد الامير بشير

هذه هي الحالة التي كانت عليها سورياً في سنة ١٨٤٠ فالامير بشير لم يرتكب سوى خطاء واحد دفعته اليهِ سياستنا وهو انه مال حينًا إلى ابرهيم باشا فاغضب الباب العالي . ولمَّا اضطرّ ابرهيم باشا إلى الفرار من سورياً بالاثنين والعشرين الف مقاتل الباقية لهُ من الخمسة والثمانين التي دخلها بها فأول عمل اتتهُ الحكومة المنتصرة ان اسقطت سلطة الامير بشير دون التفات إلى المساعدة التي بذلها لها في آخر الامر واقتيد هذا الامير المسنّ مع اسرتهِ إلى مالطه ومن بعدها إلى الاستانة

لا أُريد ان اصف لكم مجددًا الكوائن المحزنة والفظائع التي تتابعت من ذلك العهد بمدى ٧ سنوات كحرق قصر الامير ونهبه ومهاجمة مدينة مارونية مأهولة بخمسة آلاف نسمة وسلبها رغمًا عن مقاومتها على مرتين مقاومة باسلة ونهب مائة واربعة ادياروتدمير ٤٥ قرية وتقويضها من اساسها فاني ادع جانبًا هذا الدور المحزن المعيب من ادوار المسألة . وانما اسألكم ما هو حق اوربا العام فيها . ومن ثمَّ ما هي الحالة التي في وسع الوزارة الفرنسويّة ان تطالب ايلاءها لسوريا ؟ ان هذا الحق إلّا هو حفظ الرجوع إلى الحالة التي كانت عليها سوريا سنة ١٨٤٠ . وما

كانت الكوائن التي وقعت في تلك السنة ولم ننفك عن الاحتجاج عليها لتقوى على نسخ هذا الحق . وما هي هذه الحالة المتقادمة العهد المثبتة بكرور مائتي سنة المعترفة بها جميع الدول ؟ هي وحدة السلطة والامارة في يد الامير بشير

لست بحاجة إلى أن أعيد على ذكراكم كم هذه القضية حرية بعنايتنا ومزيد اهتمامنا . ولا اقول شيئاً عن عواطفي الخاصة اتقاء ان أتهم بأني أريد ان اخضع سياسة بلادي لها إنما طالعوا اقوال قولنه الذي قضى سنتين بين الموارنة النشيطين المنكودي الحظ فيمثل لكم أسمى الفضائل التي كانت تجمّل المسيحيين الاولين مجسمة في شخص أجل طائفة وانبلها واجرأها ويريكم الشعب الماروني كأبدع أمة في الشرق يمكن ان تلقح بها شجرة الامة المسيحية . فاذا تركتموها تهلك أو تباد فاصرّح لكم إني اعد ذلك كآخر نقطة من ثفالة كأس شربناها سنة ١٨٤٠ وكان عليكم أقلهُ ان تبذلوا الجهد لئلّا تتحوّل هذه الثفالة إلى نقطة دم . (علامة استحسان شديد) أمّا انا فاني أتهم الحكومة الفرنسويّة ليس فقط بضعف بصيرتها في المسألة الشرقية العظمى منذ سنة ١٨٣٦ بل بقلة الشهامة والحزم والعزم ولا يوجد رجل فطن منزّه عن كل غاية إلاّ ويشاطرني رأيي

لماذا عاكستُ الحكومة في اول ادار ؟ لاني تيقنت بعد البحث الدقيق ان السياسة الفرنسويّة ارتكبت غلطاً عظيماً بتوجيه كل عنايتها إلى مصر واهمالها السكان الذين توجب علينا وحدة الايمان وحماية متقادمة العهد ان نعضدهم بكل قوى سياستنا فلا نتركهم عرضةً للاعتداء البربري وللسلب والنهب

لاي سبب بعد سقوط الوزارة المذكورة في أول ادار عضدت باقتراعي الوزارة الجديدة في بدء عهدها ؟ لاني كنت اعتبر ان الوطنية الحقة تقضي عليّ بتأييدها لانهاض سياستنا من كبوتها في المسألة الشرقية وبأن لا اسمح على قدر طاقتي بتعريض أمة محبوبة من فرنسا منذ عهد القديس لويس حتى لويس الرابع عشر إلى الفناء من

جرّاء جهل الوزارة أو ضعفها . بيدَ انهُ قد سقط من كنت أريد انهاضه وتزعزع ما قصدت توطيده إذ ان نتائج السياسة التي انتهجتها حكومتنا أوصلتنا إلى حالة اوشك المسيحيون في الشرق ان ينسوا ما قد بذلته فرنسا في سبيل نفعهم

ماذا قال لنا حضرة وزير الخارجية في بدء فصل الجلسات هذا ؟ لقد صرّح اننا على وشك ادراك نتيجة مساعينا في سوريا لان بوسعنا منذ الان ان نعتمد على عضد الحكومة النمسوية

وما كاد حضرة الوزير يلفظ هذه الكلمات التي حملتني على استعادة الانتقاد الذي كنت عرضتهُ على الندوة ثقةً بكلامهِ حتى ارسلت الحكومة النمسوية نطاقتين إلى الاستانة تكذبان قوله. وما لها ان النمسا ـ وهي دولة مسيحية لها كفرنسا مصلحة دينية وتجارية في الشرق ـ تصرّ على رفض اشراك سعيها في سعي الوزارة الفرنسوية وانما اعلنت معاكستها لها منضمة إلى سائر الدول

ولماذا أصرّت النمسا على انتهاج سياسة مخالفة لاميالها ومصالحها ؟ ذلك بغية ارضاء انكلترة التي اتخذ موظفوها على عاتقهم منذ ست سنوات مهمة ممقوتة قوامها زرع بذور الشقاق بين الموارنة والدروز واضرام نار الاحقاد بينهم والحصول على حق السيادة في رومية واطلاق يدها في ايطاليا لقاء هذه المجاملة في الاستانة . فهذا يا حضرات النواب معنى هاتين الرسالتين

واختم خطابي بكلمة اخيرة اوجهها إلى جميع اعضاء هذه الندوة على تباين ارائهم واختلاف مذاهبهم واحزابهم لاني إذا كنت اسلّم بوجود مسائل خلافية في الشؤون الداخلية فاني استنكرها متى كان الامر متعلقاً بمقاومة اعتصاب الدول الاوربية علينا وبحفظ منزلة فرنسا وجعل اسمها محترماً إذ يكون شرف الامة باسرها إذ ذاك معرضاً للخطر ولا يجوز لاحد منا ان يخاطر بجزء ولو صغيراً من هذه الوحدة ومن هذه الامة المجيدة المدعوة فرنسا (احسنت . احسنت)

ومع ذلك قد سمعتم أمس واول من أمس حضرة وزير الخارجية يسألنا السكوت عن مسألة سوريا. وكل مرة عُرضت علينا مسألة خطيرة مثل هذه سُئلنا الصمت . وقد سُئلناه عن بولونيا وربما سُئلناه قريباً عن ايطاليا على ما يظهر لي من بعض الدلائل فان النمسا ارسلت اليها جنودها . وقد سُئلناه أمس واليوم عن الموارنة الباسلين ولا ذنب لهم الاَّ لكونهم وضعوا آمالهم فيكم ونادوا باسمكم مستغيثين ومدُّوا اذرعتهم إلى فرنسا متوسلين . فهذا هو الشعب الذي سُئلتم اليوم السكوت عن امره . اما تعلمون ماذا يحدث ؟ سيأتي يوم يقولون لكم به : لم يبقَ ثمَّ مسألة سوريا ولا مشاكل ولا منازعات. اجل انه لا يبقى مسألة إذ يكون الشعب الماروني قد ادركه الفناء ! (دلائل استحسان في جهة الشمال)

علينا ان نرفض كمَّ افواهنا وعلى فرنسا ان ترفع صوتها بقدر ما تخفضه حكومتها ولتعلن على رؤوس الاشهاد انها لا تتسامح في اي مكان كان في الاحترام الواجب لاسمها ولا تترك اصدقاءها والموارنة في جملتهم ولتجهر باعلى صوتها بما تقدم حتى إذا هلكت هذه الامة المنكودة الحظ يوماً ما فالتبعة تقع على عاتق من يعنيه الامر ولتسقط اخر نقطة من دمها ليس على فرنسا بل على حكومتها (احسنت . احسنت . ضجة قوية)

١٣٢ — فقرة من خطاب الكونت دي كازبارب في مجلس النواب بتاريخ ٦ كانون الثاني سنة ١٨٤٧

اسأل الوزارة عمَّا إذا كانت علائقنا مع الدول العظمى تحول دون مساعدتنا الموارنة

ان خطيبين كبيرين وهما المسيو دي لامرتين والمسيو دي ملفيل قد بسطا في آخر جلسات الفصل المنقضي حالة الموارنة التعساء في سوريا المعرضين اليوم لجور الحكومة

التركية وعليهِ فالشرف يقضي على الحكومة الفرنسويَّة ألّا تتركهم . أليس لدينا فلس لتخفيف شقائهم وسيف لحمايتهم !

بيدي الآن عريضة أنفذها الينا رئيس الشعب الماروني وهي مؤرخة في ٣٠ ك ١ المنقضي مذيَّلة بـ ٣٢٠ توقيعاً وفيها وصف حالة مسيحيي لبنان المحزنة بعبارات تثير الاسف في النفوس

وفي بدء هذه العريضة يضرع الموارنة لله مستمطرين وابل بركاته السماوية على ملك الفرنسويين وفرنسا (١) ثم يعددون ضروب بلاياهم وانواع شقاءهم ويقولون فيها : كدنا نباد مرتين او ثلاث مرات فغير المؤمنين قد سلبوا كل مقتنياتنا وحرقوا

---

(١) حمل هذه العريضة الاب عازار رئيس مدرسة مشمشه ووكيل اسقف صيدا وقد غادر بيروت في اخر ادار سنة ١٨٤٤ فقصد اولاً رومية ثم جاء نابولي فاهتم به الخالد الذكر البابا غريغوريوس السادس عشر وملك الصقليتين وكتبا إلى الحكومة الفرنسوية يوصيانها به وبالطائفة المارونية خيرًا ولم يكتفِ ملك الصقليتين بذلك بل أوصى امبراطور الروسية به فاجابه هذا الاخير بواسطة سفيره انه يهتم بامر الموارنة لكنهم لما كانوا تحت حماية فرنسا فلا يستطيع شيئاً دون رضاها . وفي ذلك الاثناء وردت على الاب عازار الاخبار بان المذابح متصلة وان قد قُتل والده الشيخ واشقاؤه وشقيقاته و ٢٢ عضواً من عائلته وان كل املاكه واملاك عائلته حُرقت وسلبت فجاء باريس في سنة ١٨٤٦ وكان يتكلم الطليانية قليلًا ويجهل الفرنسوية فطرق باب جميع الوزارات على غير جدوى ودُبرت الدسائس لاحباط مساعيه فأُتهم بالكذب والبهتان وانه غير مصحوب بوكالة من البطريرك ولا من رئيس اساقفة صيدا . وكان فقير الحال فضاق صدره من هذه الدسائس وقنط من النجاح ثم دبرت له العناية الالهية الالتقاء بشبان من جمعية القديس منصور البولسي وفيهم الموسيو هنري دي ريانسي امين صندوق الجمعية وكاتب سر جمعية الحرية الدينية التي كان يرأسها الكونت دي مونتالمبر وبالموسيو راوول دي مالهرب كاتب سر المنتدى الكاثوليكي فاهتماً بامره كثيرًا وعرَّفاه بالكونت دي كاترباردب المشار اليه

كل املاكنا بحيث لم يبقوا كوخاً الأ دمروه او شجرة الأ قطعوها وقد شنعت الجنود العثمانية بالاولاد ذكوراً واناثاً وذبحوهم ولم يبقوا على احد

فيا ايها الشعب الفرنسوي انظر إلى شقائنا وذلنا حتى انه لم يبقَ لنا امل او تعزية فقد دُمرت معابدنا ودُنست الاواني المقدسة ونُهبت وحُرمنا كل ما هو لازم للصلاة ! (ضحك في الوسط) فقد شربنا كأس المرارة ايها الاخوان حتى الثفالة

اليك نضرع يا الله فانك وحدك قادر على ان تلقي في قلب فرنسا ومليكها الرأفة بنا وتدفعهما الى مدنا بالعون والمساعدة فان فرنسا قد طالما كانت في كل آن محامية المسيحيين ولاسيما الموارنة . . .

أمَّا الان وقد انتهيتم من الحرب فترفع اليكم هذه العريضة فاجيبونا صريحاً وبجلاء إذا كان يمكننا أن ننتظر منكم مساعدة عاجلة أو تتخلون عنا فنعلم إذ ذاك كيف يجب ان نتدبَّر فلا نستسلم إلى الآمال الفارغة

فنسألكم رفع نير الحكومة التركية الظالم عنا واعادة أميرنا المسيحي إلى حكم جميع طوائف لبنان . وبجمل الرجاء أَلا يُسمح لحاكم تركي أن يتولَّى ادارة جبلنا بل مسيحي كما كنا على عهد عبدالله باشا . اه

ان المفاوضات بهذه المسألة جارية منذ بضع سنوات واذا كنَّا نجهل نتائجها فلأن حضرة الوزير يزعم ان اذاعتها قبل اوانها تضرّ بمصالح الموارنة فلا اقبل هذه الحجة

لا ريب بانهُ اذا كانت فرنسا تخاطب الاستانة بلهجة جديرة بها وتبسط الحماية المعترف لها بها منذ عدة قرون وقد كانت تفاخر بها . . . (حدثت ضجة وقوطع الخطيب فاردف قائلاً :)

هل تتنازلون عن سياسة متقادمة العهد انتهجها شارلمان وتابعها القديس لويس وفرنسيس الاول وهنري الرابع ولويس الرابع عشر ونابوليون ؟

لمَّا عصفت ريح ثورة تموز تمكنتم مع ذلك من حصر انفرس والاستيلاء على

انكون دون ان تبلبلوا السلم العام وتحجمون اليوم عن حماية مسيحيي لبنان ؟ فلربّما كلّفتكم هذه الحماية ارسال بارجة واحدة وبضع مئات من البحارة . فاذا تحققت لا سمح الله المخاوف من حبوط مساعي الرسول الذي حمل الينا تضرعات اهالي لبنان واستغاثتهم بنا وسدّت بوجهه كل الابواب التي طرقها فاقول لهُ إذذاك : اسألك ألا تلعن فرنسا بل اترك هذه البلاد التي أبت حمايتك وُجبْ اوربا واقصد الامم المسيحية فلا بد من ان يدفع الله دولة لحماية شعب تخلت عنه فرنسا (ضجة)

١٣٣ – خطاب الموسيو بيليو بمناسبة تقلقل سفارات فرنسا في الصين في السنة ذاتها

اذا كنتم تودون ان تظهروا حقيقةً بمظهر المدافعين عن الدين الكاثوليكي كان عليكم ان لا تذهبوا إلى الصين بل إلى سوريا حيث يوجد شعب محب لفرنسا اعتمد عليها في كل آن وكلما انشبت الكوارث فيه مخالبها لا يستغيث الاّ بها . فهذا الشعب المنكود الحظ – وقد تركتموه هدفاً للرزايا والاضطهاد – ارسل عريضتين منذ مدة الى هذه الندوة فسلمها مندوبه إلى احد النواب المشهورين بفصاحتهم على امل ان يستميل الندوة ببلّة لسانه فتجبر الحكومة الفرنسوية على ان تمد اليهِ يد العون الذي قد طالما طلبه على غير جدوى

نعم لو كنتم تريدون ان تظهروا غيرتكم نحو ابناء مذهبكم لكان عليكم ان ترسلوا قواكم وملايينكم الى ذلك الصوب إذ انكم تضطرون فيه الى الفتح بل الى المحافظة على ما لكم لكنكم لم تفعلوا . وانتم تعلمون العلم اليقين من اين تهب العواصف التي تجتاح تلك البلاد التعسة فمهبها ليس من البحر المتوسط بل من وراء بحر المانش (ضجة) ولذلك نراكم تلتجأون تباعاً إلى بروسيا فالنمسا الى ان تتخلوا في آخر الامر عن حق حمايتكم في سوريا

١٣٤ – تصريح الموسيو غيزو في ١٣ حزيران سنة ١٨٤٧ [١]

ان الافادات التي حملتها اليّ الباخرتان اللتان وصلتا اخيراً من الشرق تنبئني بحدوث كوائن غير متوقعة ومشاكل جديدة . وبعد انعام النظر في هذه الحالة أرى عدم مناسبة فتح الجدال في هذا الشأن لانه يضرّ بمصلحتي فرنسا في لبنان وهما استتباب الامن والراحة وفوز سياستنا

١٣٥ – جواب الموسيو بربير

لم افقه معنى صمت حضرة الوزير ازاء الانفعال والحزن اللذين احدثتهما الانباء الواردة من لبنان . وما هي فوائد سكوته ؟ أليس من الافضل ان تحصل الحكومة على عضد الندوة فتحرز قوة جديدة ؟ فالى أية درجة من الضعف صارت سياسة الوزارة اذا كان بلغ منها الخوف ان تشفق من اجماع على الندوة ان توجب عليها انتهاج سياسة الحزم في المسألة اللبنانية ؟ . . .

١٣٦ – بيان الموسيو بول دارو في مجلس النواب في ٣ تموز سنة ١٨٤٧

« رفع لهذه الندوة عريضتان احداهما موقعة من ٥٤٣ مسيحياً والاخرى من ٣٥٠ درزياً جميعهم من اهالي جبل لبنان . وهما خاليتان من التاريخ لا تذكران

---

(١) كان قد بلغ الموسيو غيزو ان الموسيو دي ملفيل نائب رئيس مجلس النواب وكلاهما بروتستاني المذهب ينوي ان يطرح عليه سؤالاً بخصوص ميزانية رسوم التسجيل في القنصليات فشاء ان يستدرك هذا السؤال فقاه بالتصريح المتقدم على ان الموسيو ملفيل لم يعدل عن سؤاله فاضطر الوزير الى الدخول في المناقشة في جلسة ٣ تموز لما قرأ الموسيو بول دارو البيان الذي عهدت اليه بوضعه لجنة العرائض كما يظهر من المحررات الآتية :

حادثًا جديدًا وانما تقتصران على ما يأتي :

فالمسيحيون يطلبون عضد فرنسا وحمايتها كما في السابق ويلتمسون منها ان تبذل عنايتها لارجاع الامير بشير او ابنه الامير امين الى حكم لبنان وبعد وفاتهما تنتقل الامارة الى اسرتهما بالتوارث

اما الدروز فيسألون مثلهم عودة الامير بشير او ابنه الامير امين (١) الى الحكم وعلاوة على ما تقدم يطلبون في الوقت ذاته اعادة طريقة الحكم القديمة وامتيازاتهم التي حُرموا منها ظلمًا . »

(لما كان هذا الخطاب طويل الاهداب رأينا ان نقتصر على نقل اهم فقره ملخصة)

اعاد الخطيب ما كان يردده الموسيو غيزو وزير الخارجية منذ خمس سنوات على مسامع النواب في كل فصل من فصول جلسات الندوة وهو : ان لبنان يوشك ان يبدل حكمه الاقطاعي المماثل لحكم القرون المتوسطة بحكومة مناسبة للتمدن العصري . وان جلالة السلطان انتهج هذه الخطة في سلطنته بكل نجاح فيقتضي التفسيح له بالوقت لاتمام مهمته . وان الحكومة الفرنسوية تعدّ الارتياب في حسن النصائح التي كانت تنخلها لجلالة السلطان المنطوي على احسن النيات هو ونظّار دولته بمثابة اهانة كبرى لها

ولما كانت العرائض خالية من التاريخ جاز التقدير بان الشكاوى المنطوية عليها تتعلق بامور قديمة لان الاصلاحات التي أدخلت الى لبنان أثمرت فيه راحة وسعادة تزدادان سنة فسنة تهدلاً . وعليه فان اللجنة أقرت رأيًا على احالة العريضة الى وزير الخارجية لينظر في الوسائل الكافلة نجاح الاصلاحات المذكورة

---

(١) ان الامير امين احبط مساعي الدول المنتصرة له بجحده النصرانية وارتداده الى الاسلامية

١٣٧ – جواب الكونت دي كانربارب

بعد ان فنّد اقوال الخطيب السابق فقرةً فقرةً ختم خطابه بما يلي :

فلتأذن لي الندوة بان اتلو عليها فقرة من كتاب ورد عليّ حديثًا : قد حدث اثناء نزع السلاح في الاونة الاخيرة . . .

(فقاطعه عدة نواب وسألوه عن تاريخ التحرير فاجاب ان الكتاب مؤرخ في ١٠ حزيران المنقضي)

ان أنزلت ضروب العذاب خاصة بالاشخاص المدعوين باسم فرانسوى وفرنسيس . وبينا يجلدونهم كانوا يقولون لهم : انتم فرنسيون فادعوا مواطنيكم إلى مساعدتكم فليات أولاد الزنا فترون ما يحل بهم . »

فانظروا ياحضرة النواب الى اية درجة انحط نفوذنا في الشرق . فقد قيل لكم ان المجالس المختلطة تقضي بالعدالة في حين ان زعماء الدروز جاءوا في اثناء موسم الحرير الاخير الى القرى وسلبوا المسيحيين فيالجهم . ولا تزال أملاكهم مغصوبة حتى ان نائب قنصلنا في صيدا لم يتمكن حتى الان من استعادة املاك قرينته وشقيقتها المغصوبة منذ سنة ١٨٤١ . ان البلاد الآهلة بطوائف مختلفة المذاهب مؤلفة من ١١ ناحية فيوجد ٧ او ٨ منها استولى الدروز فيها على جميع املاك المسيحيين وعدا ما تقدم فان كثيرين من المسيحيين امسوا في حالة من العوز اضطرتهم الى رعاية مواشيهم المسلوبة لسد رمقهم (صرخ بعض النواب طالبين قفل باب البحث والاقتراع على احالة العريضة على ان الخطيب تابع كلامه فقال)

ياحضرات النواب : لا يوجد لهذه الحالة سوى علاج واحد وهو اعادة امارة لبنان المسيحية الى ما كانت عليه مع دفعها للباب العالي الجزية واعترافها بسيادته الاسمية وخلا هذه القاعدة لاتقوى أية حماية كانت على توطيد أركان الراحة

واختم كلامي بايراد عبارة ساذجة لكنها مؤثرة اقتطفها من تحرير وصل اليّ من عهد قريب وهي :

« نعلم انكم لم تفتروا حتى الان عن السعي في سبيل انقاذ أمتنا فلا حاجة إذًا إلى تحريضكم على مواصلة مساعيكم إذ من يقدم على احداث بناء يتوجب عليه اتمامه حتى اذا لم ينجزه يستهدف للسخرية وهزء الناس »

ان هذه العبارة ليست بموجهة إليّ لاني لست هنا سوى صدى ضعيف اردد مصائب شعب جدير بكل اعجاب بل هي استغاثة بالحكومة والندوة والامة الفرنسويّة باسرها . كلّا فما كنتم لترتضون بابادة هذا الشعب المسيحي وقد بقي وحده مدة ٨ قرون مستقلًا حرًا في وسط السلطنة العثمانية في مهد الديانة المسيحية في الاماكن التي لا يمكن ان يخطو المرء فيها خطوة واحدة دون ان يدوس عظام الفرنسويين ورفاتهم . فلا بدَّ لكم عاجلًا او آجلًا من اكراه الحكومة على حمايته واعارة شكاويه اذنًا صاغية واجلكم ان تسمحوا للسفير ان يأبى اظلاله بالحماية الفرنسوية ويحظر عليه رفع صوت استغاثته بكم (طلب بعض النواب الاقتراع)

الرئيس — ألا مانع من الاقتراع على احالة العريضة ؟

١٣٨ — جواب الموسيو دي ملفيل

استأذن بالكلام . اني اسأل الندوة صفحًا عن شدة الحاحي بيد انها ستفقه ان البيان الذي وضعته لجنة العرائض وتلي على مسامعها يوجب على الذين يهتمون بمصير مسيحيي لبنان ان يوضحوا ضلال الخطة الجديدة المراد انتهاجها (تكلم . تكلم)

اقول انهُ يوجد بين ختام التقرير ومندرجاته تناقض بيّن فإذا ما قام في وهم احد بأن احالة العرائض المذكورة قد جرت بقوة تأثير الآراء المبسوطة في ذلك البيان أرى انه يلتحق ضرر عظيم بمستقبل هذه المسألة وبمسيحيي لبنان

وعليهِ فاني ملجأ إلى تذكير الندوة النيابية بما قد جرى في سنة ١٨٤٤ فان الباب العالي أوضح عزمه على محو اثار الحماية الفرنسوية منذ سنة ١٨٤٠ . فماذا يكون مصير هذا الاغتصاب الجديد؟ لا شك انهُ ينجم عنهُ انصباب المظالم والجور على رأس المسيحيين الذين بُلوا بالحكم التركي عليهم مباشرةً

واني اقتصر على تذكير هذه الندوة بما وصف به هذه الحال حضرة الفاضل الموسيو دي كارنه في سنة ١٨٤٣ وهو رجل ذو خبرة فقد قال للوزارة : « بعد انقضاء سنتين معيبتين » انتبهتم وأخذتم بمفاوضة الدول وحتى الان لم تتمكنوا من انقاذ هؤلاء الشعوب المنكودي الحظ من براثن الادارة التركية . وعندما سئلت اوربا رأيها لم يشأ الباب العالي اعادة حكم الامارة المسيحية إلى الامير بشير عمر وقد نُزعت منهُ ظلماً لان الحكومة العثمانية ترى فيها عيباً وهو تجديد الحماية الفرنسوية . واذ ذاك استنبطت الدول تدبير سنة ١٨٤٢ أي قسمة الامارة إلى قائم مقاميتين درزية فمارونية . فقبلت الحكومة الفرنسوية بهذا التدبير فاخطأت . وقد رضيت بهِ صريحاً كما يتضح من الرسالة الاولى التي لم تذع الا في سنة ١٨٤٦ . لكن الندوة النيابية لم تشأ أن تشاطر الحكومة رأيها واني اسأل جميع الاعضاء الذين كانت تتألف منهم تلك الندوة أن يتذكروا انها رفضت اذ ذاك بجزم القبول بتدبير سنة ١٨٤٢ . فان الحكومة سألتها ان توافق عليه وتصرّح باستحسانه في فقرة من جوابها على خطاب الملك لكنها بناء على طلب حضرة الفاضل المسيو بريير وبعد جدال طويل زادت هذه الكلمات «وجوب اعادة ادارة حكم مطابقة لتمنيات اهالي لبنان» ومن المعلوم ان التمنيات التي طالما جهروا بها هي اعادة الحكم الى الامير بشير واسرته

ومن ذلك اليوم صارت سياسة الندوة لا بل نصائحها مخالفة كل المخالفة لسياسة الوزارة وهذه لم تتبع نصائحها بل قبلت تباعاً بكل أنواع التسوية التي عرضت عليها مع انها منافية للرغبة التي أبدتها الندوة في اعادة الحكم إلى الامير بشير . ومنذ ذلك الحين

ازدادت الوزارة صمتاً ولم تفه ببنت شفة . وفي وسع الندوة أن تتذكر اننا لم ننقطع منذ خمس سنوات عن التوسل الى وزير الخارجية في بدء كل فصل وآخره ان يوضح لنا الاسباب التي حالت دون انتهاجه السياسة التي أشارت بها الندوة

وفي كل سنة كنا نجاب : « لا تلهجوا كثيراً بذكر هذه المسألة . ان كلامكم يجلب اخطاراً . وقد تلقينا اخباراً تدعو الى الطمأنينة (وهم يتلقون دائماً اخباراً موأتية لاهوائهم عند الحاجة اليها) اصمتوا ودعونا نفعل »

فها قد ظهرت الاسباب الداعية إلى لزوم الصمت الذي أوجب علينا . فقد سبق للخطباء ان تكهنوا من أعلى هذا المنبر عن الكوارث التي ستنشأ دون ريب عن تدبير سنة ١٨٤٢ ولنكد الطالع قد صحّ حدسهم مرتين فلم تجرأ الحكومة على الاعتراف بخطائها . ولمّا كانت مقيدة بجائل الاتفاق الاوربي وخاضعة لما يستقرّ عليه رأياً فقد آثرت السكوت على ان تجهر بعجزها أو حبوط سياستها . فقد رأيناها سابقاً تنادي بانها محامية لبنان بموجب حق ثابت لا يمارى فيه وعادة قديمة (تقليد) وهي اليوم من وراء الدول الاربع ترضى تباعاً بكل التسويات المقترحة . . . لكن ما لي وهذه التفاصيل فانها تجرّني إلى ميدان واسع . . . (كلّا . كلّا . تكلم . تكلم)

اني اذكّر الندوة بأنه بديَ أولاً بقسمة امارة لبنان المطاقة الحكم الى قائم مقاميتين ثم ظهر ان قسمة السلطة هذه تجعل المسيحيين المقيمين في القرى المختلطة وهم الاغلبية تحت حكم والٍ تركي وانه يخشى من تجدد جميع الرزايا التي تأسفنا على حدوثها

واذ ذاك استُنبطت طريقة انتخاب وكيلين أحدهما درزي والآخر ماروني لموازنة سلطة القائم مقامين الواسعة . فهذا التنظيم لم يأتِ بنتيجة وجاءت كوارث سنة ١٨٤٥ مصداقاً لقولنا .

ثم افتكر فيما بعد بانشاء ديوانين مؤلفين من العناصر المختلفة ووضعهما تحت

رئاسة السلطة التركية فحبطت جميع هذه التنظيمات لان غايتها جميعها كانت ترمي إلى بسط السلطة التركية على لبنان . ولا احاول تحريك عواطف الندوة باعادة ذكر الكوارث الهائلة لبقاء ذكراها حيةً في أذهان الجميع . فمشاهد السلب والقتل والحريق قد أرعبت اوربا واجرأ على التأكيد بان الروايات التي وصلت الينا كانت دون الحقيقة . بيدَ انه من الفضول ان نلهج تكرارًا بكوائن أجمع الكل على خطورتها ولاسيما ان الحكومة لم تنكر أهميتها . لكنكم ستأذنون للذين توقعوا هذه الكوارث ولم يصغَ لتكهناتهم ان يبدوا قلقهم من المكابرة على ابقاء حالة ينجم عنها ولا شك حطمات جديدة . وارى ان من الهزء والسخرية أن يقال لنا ـ بعد ان أخلف الباب العالي بوعده وأحبط آمال الذين وثقوا بهِ اكثر من غيرهم ـ ان بسط سلطته مباشرةً على هؤلاء السكان المسيحيين المفروض علينا أن نرفهم بأجنحة حمايتنا من شأنه ضمان أمنهم

ان حضرة منشيء اللائحة حدثكم منذ هنيهة عن كامل باشا والي سوريا الحالي فليس لي ما انقده به لكنني اعدّ اقدام حضرة رصيفنا المكرم على كفالته نزاهة موظف تركي وانصافه المسيحيين تهورًا . واني اذكره بمجريات سنة ١٨٤٥ وانا على يقين من ان حضرة وزير الخارجية لم ينسها . فانه عندما شكت الدول الى الباب العالي المظالم التي أرهقت المسيحيين اجابها :

« ان مأمورينا بعيدون عنا لا يطيعوننا وعليه فهذه الحوادث قد وقعت دون ارادتنا . ولكي نأتيكم بدليل على حسن نيتنا فقد عزمنا على ايفاد حضرة ناظر الخارجية بالذات إلى سوريا (وكان اوانئذٍ شكيب افندي) فهو الذي انفذ الاوامر باجراء النظام الموضوع بالاتفاق وسيذهب الى مكان الحوادث ومن ثمه فلا مراء انكم تحصلون على ضمانة تنفيذ الاوامر المعطاة . »

فماذا كانت النتيجة؟ ان وصول شكيب افندي الى لبنان في سنة ١٨٤٥ كان

سبباً لانتياب المسيحيين المنكودي الحظ بافظع الاضطهادات اجهر بهذا ولو مهما شغل من المناصب العالية فيما بعد اذ انه فور بلوغه بيروت تظلم اليه من الشيخ حمود ابي نكد أحد زعماء الدروز قاتل الاب شارل رئيس دير عيه . وقد كان سفير فرنسا طلب محاكمته لان الجناية ارتُكبت على مشهد من الجميع ومن الجنود التركية ذاتها التي خُيّل انها تعاونه . فماذا فعل شكيب افندي ؟ انه اوعز بتبرئة القاتل ورسائل الحكومة ذاتها تؤيد ذلك . فاحتجّ السفير على هذا التصرُّف المعيب . وفوق ما تقدم فان شكيب افندي بعد الحاقه هذه الاهانة بالعدالة والانسانية احتفى بالقاتل واصطحبه الى دير القمر بين مجالي التعظيم والتكريم فدلّ بما اداه لهُ من الاكرام على روح المهمة الموكولة اليه

فهذا هو سلوك ناظر الخارجية العثمانية . فكيف أُظهر لهُ الباب العالي استياءه ؟ انه عينه سفيراً في النمسا ! فيالهُ من مركز موافق لان هذا الرجل الملطخ يده بدم المسيحيين يصافح اليد التي دفعت اجرة مذابح بولونيا . (فصاح حزب الشمال : أحسنت . أحسنت)

واني اورد هذه الذكرى ياحضرات رصفائي الكرام لابيّن لكم ما يحسن باللبنانيين ترقبه من الادارة التركية فالباب العالي ـ وقد جرأته الدول الاربع ـ استمرّ موجهاً سعيه إلى هذه الغاية وجعلها مرتاد امانيهِ وما برح يرمي اليها الان بالاقتراح المعروض عليكم . واني لاخشى أن تغتر فرنسا بقبولهِ فهو يعرض عليكم الان هدم أركان الحكم الاقطاعي بحجة انهُ الوسيلة الوحيدة لتقرير الامن في الجبل . ولا ريب انه سيستر هذا العمل بحجاب التمويه ويطلب اليكم باسم الحريّة والاراء التي سادت في ثورة سنة ١٧٨٩ الغاء الحكم الاقطاعي في لبنان . أفطنتم إلى مقاصدهم ؟ ان الاتراك بالغائهم الحكم الاقطاعي في لبنان يهدمون في الوقت ذاته ما بقي من أركان الحريّة ويجهزون على كافليها الوحيدين ويهلكون الوسطاء

الضعفاء الذين كانوا يحولون دون انزال موظفي الاتراك المستبدين المرتشين ظلمهم في الاهلين العزّل من السلاح ومن كل وسائل الدفاع . فهم يلاشون المحامين لينفسح لهم المجال لانشاب براثن الاضطهاد في فريستهم

فكونوا على ثقة من انكم يوم تسمحون بابدال طريقة الحكم هذه في لبنان تساوون سكانه المسيحيين بالرعايا الخاضعين توًّا للباب العالي . ومتى سلّمتموهم للادارة التركية لا يبقى لهم سوى الخيار بين الموت أو جحد ايمانهم فتباد تلك الامة المسيحية ويلتحق من جراء ذلك عار عظيم بتمدننا وعصرنا . ومع ذلك اكد لنا حضرة واضع اللائحة ان الامن استتب في لبنان وعادت مياه الراحة الى مجاريها . ولست اعلم اذا كان حضرة وزير الخارجية يشاطره هذا الرأي ويقاسمه هذه الطمأنينة . فلقد تلقينا حديثًا من لبنان انباء تناقض ما تقدم وسترون باحضرات الرصفاء الكرام من التحرير الاول الذي اتشرف بتلاوته عليكم وهو بتاريخ ٢٧ ايار سنة ١٨٤٧ الى أية حالة من الوهن والرعب وصل هؤلاء السكان المنكودو الحظ واليكم بنصه :

« اخبركم بانه ورد من الاستانة كتاب آخر من سفير فرنسا وبه يلومنا على التحرير الذي كتبه رئيس اساقفة صيدا باسطًا فيه جميع الشرور والاهانات والمظالم وسائر الاعمال الجائرة التي أنزلت بالموارنة وزاد بان جميع هذه الانباء تضرنا اكثر مما تنفعنا ويلح كثيرًا بان نمنع معتمدينا من الان وصاعدًا عن ارسالها الى فرنسا لانها تطبع فيها وتصل إلى الاستانة . فهذا الكتاب قد جعلنا نخاف من مضاعفة الاساءة الينا اكثر من ذي قبل وثبط عزائمنا فهلعت قلوبنا وأمسينا في وجل من أن المصائب التي حلّت بنا نشأت عن الاخبار التي أرسلناها اليكم ولم تأتنا بفائدة . فنرى ان تعدلوا عن اذاعة ما نخبركم به في الجرائد . واننا لنوجس مثلكم خيفة ان تعد المعدات للاعتداء علينا مجددًا ونحن جميعًا بدون سلاح وعليهِ يتضح لكم ان خوفنا في محله . »

وهكذا أمسى اللبنانيون اللائذون بكنف حمى فرنسا في حالة شوْمى يزيدون

في شقائهم كلما بثوا شكاويهم الحقة

واني لا اعرف شيئاً يفي بوصف ما صارت اليه حماية فرنسا في الشرق اكثر من هذا الهلع المستولي على الذين يحق لهم الاستغاثة بنا . فلماذا لا يجسرون على التصريح بانهم تحت حماية فرنسا ؟ ذلك لان فرنسا لم تجرهم ولاننا تنازلنا اختيارياً عن السلطة التي كانت لنا منذ عهد عهيد ولاننا شئنا ان يكون لنا عداد في الاتحاد الاوربي حيث لم يكن لنا سوى صوت واحد فاشترينا هذا الصوت بحقوق ثابتة كنا نتمتع بها قبل انخراطنا في سلك ذلك الاتحاد

فاذا ما حاول حضرة وزير الخارجية ان ينكر صحة وصف حالتنا في الشرق فاثبتها له مستشهداً بالرسائل المنفذة الى سفيرنا وهو ذاته يشعر بضعفنا الذي قيدنا وجعلنا مسئولين عن كل اعمال الاتحاد الاوربي بافقادنا حظ الاستفادة مما لنا من السيطرة هناك

ولما كان لا بدّ لنكد الطالع عند حدوث كوارث جديدة من استئناف البحث في هذه المسألة امام هذه الندوة فاقول : انه يجب ان يفقه جيداً ان اقتراعنا على احالة العرائض الى وزير الخارجية لا يفيد قبولنا باراء واضع اللائحة والاّ سألت الندوة ان تقترع على موضوع بحث اليوم . فاذا ما كانت الاحالة المذكورة تعني اننا تركنا كل امل في امكان اعادة السلطة المطلقة الى الامير بشير واسرته وقد نزعت منه دون سبب موجب اجهر بان مصلحة مسيحيي لبنان صائرة إلى الخسار وبأن حبل املهم الوحيد ـ وقوامه ان لا بدّ لفرنسا من ان تأتي لمساعدتهم وهو حقها ـ سيقطع بحيث نكون الحقنا بهم في يوم واحدٍ أذىً اعظم مما أصابهم في مدى ٧ سنوات من جراء تردد سياستنا

ولهذا فمع موافقتي على احالة العريضة الى وزير الخارجية كما طلب واضع اللائحة اقترح في الوقت ذاته ان يضاف فقرة توجب احالتها أيضاً إلى رئيس الوزارة . وقصدي من اضافة هذه الفقرة بيان الفرق الكائن بين رأي الذين يوافقون على مضمون

اللائحة كما هي ورأي الذين يطلبون مثلي الى الحكومة الأتنكب عن السياسة التي أشارت عليها الاغلبية بانتهاجها . (احسنت . احسنت)

١٣٩ – خطاب الموسيو كريميو النائب الاسرائيلي

لامراء ان حضرة واضع اللائحة قد أجاد في بسط ارآئه فاذا كان الاستحسان الذي أبداه أعضاء الندوة يشمل مبناها . . . (حدثت ضجة وقوطع الخطيب)

المسيو دي هوبرسار – انهُ يشمل المبنى والمعنى

المسيو كريميو – سأجيب على كلام المسيو دي هوبرسار إنما اسألكم ألاَّ تسبقوا إلى اظهار فكري اذ لا يمكنكم ان تدركوه قبل ان افوه بهِ . (ضحك)

فهذا ما اقولهُ : اني اوافق جميع الذين استحسنوا القالب الذي سُبكت فيهِ الاراء المبسوطة لكنني معاكس للذين يستحسنون مبناها والسبب واضح فاذا شئتم انعام النظر حيناً في الكلام الذي نال استحسان قسم من هذه الندوة تنجلي أمام أعينكم سوء نتائجه . فلقد طرق مسامعي هذه العبارة : « سيكون مصير هذه الحركة تخويف مسيحيي لبنان من حمايتنا »

فهذا ما سمعتهُ ولذلك اقول لكم ان حمايتكم في تلك الاصقاع التي شاهدتها ليست فقط الرابط الوحيد الذي يربط شعوب لبنان المسيحية الواجبة عليكم اجارتها بفرنسا بل انها من أمتن الربائط التي توثقكم بالشرف . وكونوا على يقين بأن هذه الحماية المستمدَّة من عهود قديمة هي التي ضمنت لفرنسا الارجحية وقد تمتعت بمفعولها في الشرق حتى سنة ١٨٤٠ . أجل فان الجميع في تلك البلاد كانوا حتى ذلك التاريخ يستغيثون بفرنسا مستمدين حمايتها . وقد تيسر لي أن أرى في بدء اقامتي في الشرق قوام تلك الحماية وسمعتهم يتحدثون عنها بكمال الاحترام وشاهدت كيف ان هذه الشعوب المسيحية ـ التي التمس منكم عضدها انا الذي لا يرتاب

في شواعره (ضجة في المجلس) ـ كانت تعود دون انقطاع إلى فرنسا طالبةً اليها حمايتها ومعاونتها فلا تخيب آمالها لان فرنسا كانت حتى ذلك التاريخ تتكلم بعزم وحزم. لكن لسوء الحظ زالت هذه الحماية في ذلك الزمن المحزن وقد كانت فعّالة لا بل الوحيدة التي تمتع بهـا مسيحيو لبنان منذ قرون. ان كوائن سنة ١٨٤٠ جاءت ضربة قاضية على نفوذ فرنسا في الشرق وقد كان في الطاقة انهاضه انما كانت تعوزكم الارادة فبدلاً منها استسلمتم الى الاهمال والخمول. أجل (وهذا هو أساس الشكاوى الخطيرة التي يوجهها الحزب المعارض إلى حضرة وزير الخارجية منذ ٧ سنوات) ان الوزارة التي استلمت زمام الشؤون في ٢٩ ت ١ قد أجازت لنكد الجد كل ما عُمل ضد فرنسا ليتسنى لها الدخول في الاتحاد الاوربي (ضجة استحسان في الشمال) ومنذ ذلك الحين أصيبت حمايتنا في لبنان في الصميم من الفؤاد (أحسنت. أحسنت) كيف يحظر علينا الاهتمام في ما هو جارٍ في لبنان ؟ اقول مع الاسف اني كنت افقه هذا المنع لو جرى في سنة ١٨٤١ عقبى حوادث سنة ١٨٤٠ إذ كان في الامكان ان يعللوا نفوسنا بمستقبل أفضل لكنني استغرب تلفظكم بمثل هذا الكلام بعد حوادث سنة ١٨٤٢ و١٨٤٤ و١٨٤٥ و١٨٤٦. عجباً أهذا كل ما تشعرين بها ايتها الامة المسيحية الفرنسوية أمام هذه الجنايات الفظيعة والسلب الذي عمّ انحاء لبنان والمظالم والمذابح التي كادت تفني اخوانكم ؟ أمام هذا المشهد المحزن المفتت الاكباد توافقون على رأي القائلين بوجوب الاحتراس من التدخل بالقوة ! أمّا انا فاعلن لدى مشاهدتي هذا الشعب التعس الذي حلّت به هذه النوازل اني اطلب إلى هذه الندوة وساطلب في كل مكان تدخل فرنسا لتعضده بقوتها وبارادتها (أحسنت. أحسنت)

أتسكتون والامر متعلق بمسيحيي لبنان ! ومن هم هؤلاء المسيحيون. هم اخوانكم منذ قرون ليس في المذهب فقط بل في السلاح وفي ساحات القتال. فقد

وجدتموهم في كل الظروف . فالقديس لويس وجدهم من قبل ونابوليون كذلك (ضجة استحسان)

فكيف لا يحصل مسيحيو لبنان منكم امام هذين الاسمين العظيمين المار ذكرهما إلاَّ على دليل اهتمام عقيم قوامه : « اقناع تركيا انكم تريدون التدخل بطريقة لا ترعجها واقناع مسيحيي لبنان انكم لا تساعدونهم إلَّا إذا كان عونكم لا يقلق بال الحكومة التركية ! »

فايقنوا ان هذه السياسة تكون الضربة المهجزة على ما بقي من النفوذ الفرنسوي في الشرق وازيد ان هذه هي المرة الاولى التي سمعت بها انهُ يجب التكلم بذلٍ في هذه البلاد . لقد لهجت الالسنة بحكومة ابرهيم باشا في سوريا وكان ان التقيت بمحمد علي في حين نُزعت منهُ سوريًا لقبح البخت . وفي ذلك العهد يجب التسليم بان مسيحيي لبنان كانوا متمتعين براحة تامة إذ لم يكن خنجر الدروز والاتراك مسلولاً فوق اعناقهم بل كانوا ساكني البال والدروز لا يحركون ساكنًا فزعم ان ذلك كان نتيجة قساوة ابرهيم باشا البربريَّة . كلَّا ثمَّ كلَّا . فالبربريَّة لا تـأتي بهذه الاثمار الحسنة ! واني انقل اليكم كلامًا لمحمد علي يبرهن لكم على تجرّد حكومته عن كل فعل بربري وقد شرَّفني بأن قاله لي شفاهًا (ضجة)

كنَّا في ذات يوم نتكلم عن الدين وهو بحث اعترف انه لا يهمنا كثيرًا نحن شعوب الغرب لكنه عظيم الاهمية عند الامم الشرقيـة . أتعرفون كيف أوضح لي محمـد علي سبب الراحة والسلم اللتين متع بهما سوريا وأني انقطعت حروب التفاني بين الدروز والموارنة وكيف اكره الدروز على احترام الموارنة ؟

فاليكم مـا قاله لي : « انا واولادي لنا في الاديان المخالفة ديانتنا ارآء ومذاهب خاصة ولي الامل بأنها تستمرّ حية في اسرتي . فنحن لا نتدخل في عقيدة الغير بل كل يمارس ديانته حسبما يراه موافقًا ونتجنب كل تدخل لئلَّا نعكر كأس الامن العامة .

فنحن ننصب ميزان المساواة بين الجميع وتعساً لمن يحاول وضع القوة في احدى كتفيه ! » (ضجة عامة)

لكنكم عندما نزعتم من يد هذا الامير ـ وهو ليس بهمجي كما قلتم بل تغلب على الهمجيـة ـ حكم سوريا بدلاً من تركه بيده بدأت الاضطرابات ولم يعد يعتد بحماية فرنسا فقد كان محمد علي يعتبرها كثيراً أمّا الاتراك فلم يحفلوا بهـا . أتعلمون لاي سبب ؟ اني لموضحه لكم . لانكم نزلتم حين علت سائر الدول . (استحسان في حزب الشمال) أجل انهُ بقدر ما سقطت فرنسا صعدت سائر الدول بحيث آل الامر إلى استبدال الاتراك احترامكم باحترامهن واعلموا ان مصلحة الدول المشار اليها قائمة بحدوث اضطرابات . إذ متى قصرت حمايتكم عن بسط وارف ظلها فالشعوب المسيحية تلجأ إلى كنف سـائر الدول التي ستشيد صروحها في الشرق على اطلالكم (ضجة استحسان) . فانقضوا إذًا ما بناه القديس لويس وملوككم وابيدوا دفعة واحدة كل الشعوب المسيحية التي تدين بدينكم وتعتقد بالهكم وتؤمن ايمانكم فلكم ملء الحريّة ان تفعلوا (حدثت ضجة وقوطع الخطيب طويلًا)

إذا شئتم أن ترفعوا صوتكم وتتكلموا بحزم فلن تسقط هذه الامم . واذا أردتم أن تظهروا كما يجب أن تكونوا فتظل هذه الشعوب محترمة . لكنكم إذا لزمتم الخطة التي انتهجتموها منذ ٧ سنوات فالدروز والاتراك يستأنفون ما فعلوه في السنة المنقضية حتى اذا ما عدنا الى طلب بذل مساعدتكم لمسحيي لبنان فانّا نلحقهُ بهذه الكلمات المحزنة وهي : اننا نستمدعونكم لاخواننا التعساء الذين سُفك دمهم مجددًا في سوريا لانكم لم تسلكوا بقوة وحزم . لو كنتم وثقتم باقتداركم وتذكاراتكم المجيدة لما هدر هذا الدم (استحسان شديد وتصدية ايدٍ في الشمال)

١٤٠ – تصريح الموسيو دي ملفيل

وعقبه الموسيو دي ملفيل وختم البحث بالتصريح الاتي

اني اذكر الندوة بان حكومة « الكونفنسيون » الوطنية لم تفتر في سنة ١٧٩٤ في وسط الحرب الهائلة الناشبة بين فرنسا واوربا عن المحافظة على جمل الاسم الفرنسوي محترماً في لبنان . فان اوبير دوبايه سفير الجمهورية الفرنسوية في الاستانة لما اتصل به ان الكنائس في لبنان أقفلت وان الكهنة أهينوا ذهب بذاته إلى الاماكن المذكورة وفتح الكنائس واوجب احترام الكهنة وهو عمل نبيل مجيد يخلد ذكراه ويكون احسن قدوة للمتأخرين . وبينا كانت حكومة الكونفنسيون تقفل كنائس فرنسا مستسلمة الى ثوران بركان الاهواء فسفيرها في الاستانة كان يفتحها بيده في لبنان ويوجب احترامها واضعاً اياها تحت حماية العلم المثلث الالوان وفاء بالعهود ومحافظة على الحقوق القديمة (ضجيج متواصل) (١)

١٤١ – عريضة الشيخ ابرهيم العازر الى فورشيد باشا بتاريخ ٢ ك سنة ١٨٥٨ جمادى الاولى سنة ١٢٧٤

اننا اعتماداً على امر دولتكم السابق المؤذن بحسن استعدادكم لقبول شكاوى

---

(١) لما رأى الموسيو غيزو تنديد اصدقائه به على احجامه وتردده ألف لجنة عهد اليها بتحقيق الشكاوى المتقدمة واوفد لهذه الغاية الموسيو دي لالان والموسيو اوجان بوره العالم الشهير الذي صار فيما بعد راهباً في الرهبانية اللعازرية . لكن اعداء المسيحيين احتاطوهما وخدعوهما على ما اثبت المسيو لويس دي بوديكور في كتابه المعنون « فرنسا في لبنان » فرفعا بياناً مغلوطاً الى الوزارة وكان المسيو غيزو قد أبدل بغيره فوقع هذا البيان بيد المسيو دي لامرتين رئيس الوزارة اذ ذاك فاظهر امتعاضه منهُ

المظلومين فنحن عبيدكم تظلمنا لدولتكم من جور الامير بشير احمد ثم اننا انقياداً لاوامركم الموجبة بقاء مندوبي المتظلمين هنا لبثت في بيروت مدة شهرين قيد الاهمال انتظار رأفة الباب العالي ورحمة دولتكم راجيًا التحري عن شكاوينا . وبينا انا على هذه الحالة إذ أمرتم دولتكم في ليل الخميس ٥ و١٧ ك ١ بالقبض عليّ وارسالي ليلًا إلى برمانا بخفارة كوكبة من فرسان الضابطة الغير المنظمة فأوثقت يداي وأركبت فرسًا وقيدت رجلاي ايضًا واقتدت على هذه الحالة المذلّة بسرعة عظيمة بحيث ان فرسي كبت بي وأصبت بجراح كبيرة لان قيودي حالت دون اتقاء الاذى . وفور وصولي الى برمانا أمر القائم مقام بسجني وبوضع الاغلال في رجليّ وعنقي ومسك أحد الرجال بطرف الاخيرة وأخذ يهزها بعنف دون انقطاع إلى أن غُشي عليّ وأمسيت كالميت لاحراك بي فرشني من كان حواليّ بالماء ومن جرّاء هذه العذابات أصبت بمرض عضال . وبعد أيام استدعاني القائم مقام أمام المجلس وقال لي : « ان سبب وجودك هنا هو ادعاء علام الدين الطرابلسي عليك شراكة في فرس » فسألتهُ عمّا اذا كان يوجد شاكٍ للنظر في الدعوى قانونيًا . ولمّا لم يكن لديهِ شاكٍ ولا عريضة شكوى رسمية أوعز إليّ بتقديم كفيل من رجال حاشيته ان بدعوى الفرس أو بغيرها مما يمكن حدوثها وأمرني بألاّ اغادر برمانا . وقد فعل ذلك ليمهد السبيل للاشخاص الذين اتفق معهم لاذلالي وقهري . ولمّا اشتدّ مرضي بسبب طول مدة سجني ولم يتقدّم عليّ شاكٍ أمرني الامير بالعودة إلى بيتي واخذ هو وابنه الامير خليل ينهياني عن العودة إلى بيروت وتوعداني إذا ما ذهبت اليها بنصب حبائل جديدة لاهلاكي أمّا إذا رجعت إلى بيتي فيكافئانني

ان عبد دولتكم قد كادت نفسه ترهق من المظالم والمرض الناشيء عن العذابات التي لا تنزل بسوى القتلة واللصوص وكبار الجناة (ولم يسمع من قبل بمثلها بناء على شكوى طائشة قبل اجراء أدنى تحقيق) فعبدكم هذا هو من اسرة كريمة مشهورة

بخدماتها العديدة الصادقة للباب العالي ولامثالها المشايخ وسائر الاعيان (الذي لم يسبق معاملتهم قط بهذه الصورة) يتجاسر على الاستغاثة بالحكومة السنية وبرأفة دولتكم مستلفتاً نظركم إلى ما عومل بهِ لتحكموا فيما اذا كان موافقاً للتنظيمات السلطانية المعهود اليكم اجراؤها بحق جميع طبقات رعاياكم . واسترحم من دولتكم أيضاً ان تـأمروا باعاضتي الخسائر التي لحقت بي بسبب هذه المسألة والنفقات التي ساتكبدها من جرّاء مرضي العضال . ولدولتكم ان تتحققوا صدق شكواي من طبيب أو من المجلس . وبكل . . .

(الكتاب الازرق المتضمن المحررات الانكليزيّة عن كوائن سنة ١٨٥٨ إلى ١٨٦٠ عدد ١ ص ١ ـ ٢)

٢٤٢ ــ اسعد فياط قنصل انكلترة الى الكونت دي كلارندون عن يافا بتاريخ ١٣ كانون الثاني سنة ١٨٥٨

يسوني ان اخبر سيادتكم بالجنايات المتنوعة التي حدثت أخيراً في هذه المدينة وفي جوارها . فقد قُتل عدّة أشخاص وهُدمت البيوت والمخازن ونُهبت وخلا ما تقدم فقد سلب على طريق القدس قطار جمال محملة بضائع . على ان اعظم حادث وأهمه حصل أمس مساء كما يأتي :

١ً دخل خمسة أشخاص بيت المستر ديكسون أحد رعايا اميركا وهو يملك مزرعة هنا وبعد ان برّحوا بابنه ضرباً قتلوا صهره الموسيو ستينبك أحد رعايا بروسيا صاحب مزرعة مثله في ذات المحل وقد عاد أولئك الاشقياء إلى محل الجريمة واغتصبوا النساء ونهبوا كل ما اتصلت اليه ايديهم وتمكنوا من حمله

فهذه الفظائع أحدثت قلقاً بين جميع المسيحيين في هذه الجهات إذ جعلت حياتهم وأملاكهم في خطرٍ وولّدت في عقول بعضهم الاعتقاد ان الحكومة المحلية إما عاجزة عن توطيد السكينة و إما متهاملة مع أنها تظاهرت بالسعي في القبض على

الجناة لكنها لم تكشف مخبأهم فكانت النتيجة إن استاء الاهالي منها وجزعوا من هذه الجنايات الفظيعة . وقد اغتنمت غير مرة الفرص المؤاتية لتوجيه انظار الحكومة المحلية إلى هذه الاعمال البربرية المخالفة لكل قانون فوعدتني في ظروف عديدة ان تهتم بها وتسهد لها جفنها بيد أنه لنكد الجد يظهر ان الامور تزداد كل يوم سوءا

ان قنصلي اميريكا وبروسيا في هذه البلدة يبذلان جهدهما لحمل الحكومة المحلية على البحث والتحري عن الجناة وانزال العقاب بهم

٢ً قد ساءني أيضاً ما سمعته من ان بعض الناس يعتقدون ان الحكومة المحلية هي التي تشجع مرتكبي الجرائم على اتيان هذه الفظائع المنكرة لغاية في النفس . واخشى ان لايكون ذلك بعيداً عن الصحة . ومن ثمّ لمّا كانت عدة جرائد اوربية قد جالت بعواطف بعض الاوربيين والاميريكيين وأظهرت رغبتهم في شراء الاملاك والاقامة في الاراضي المقدسة وانشاء مستعمرات صغيرة وكانت جملة عيال قد جاءت واقامت هنا وفي عدادها العائلتان السابقتا الذكر فلا يبعد عن الصحة ان تكون الحكومة التركية أهملت الاهتمام بالجنايات المذكورة بقصد تخويف الاجانب المسيحيين ومنعهم عن المجيء الى هنا بكثرة والاقامة في تلك الانحاء . ويخيل لي ان هذا الرأي سديد لان الباشا أعطى حديثاً أوامر شفاهية إلى القاضي هنا بعدم تسجيل صكوك بيع وشراء عقارات ومزارع للاوربيين والاميريكيين . وهذا مخالف كل المخالفة لفرمان التنظيمات المذاع حديثاً ولمعاهدة باريس

٣ً قد زرت ايضاً العائلتين المنكوبتين المحكي عنهما ورفعت اليهما تعازيّ وشاهدت أيضاً قنصليهما فاكدا لي انهما موطدا العزيمة على طلب مجازاة الجاني وانهما كتبا الى حكومتيهما بهذا الخصوص

(عن الكتاب الازرق الانكليزي عدد ٢ ص ٤)

٢٤٣ – القنصل برات الى السفير البريطاني عهد دمشق بتاريخ ٢٧ ك ٢ سنة ١٨٥٨

اتشرّف بانبائكم ان الامير محمد الحرفوش قد فرّ منذ نحو عشرين يوماً من منفاه في قبرص وجاء يافا ومنها دخل جبل لبنان وقد حمل مسيحيي زحلة التابعة ايالة بيروت على الانضمام اليهِ لمهاجمة الامير سليمان من بعلبك احد اعضاء عائلتهِ المعين من قِبل والي دمشق محافظاً على توطيد الراحة في القضاء المذكور ولهُ راتب اربعين فارساً. وقد زيّن الامير محمد لشعب زحلة اقناع مسيحيي دير القمر بالانضمام اليهِ بحجة ان الامير سليمان هدد بعض مسيحيي زحله القائمين على حراثة الاراضي حول بعلبك بالطرد والقتل. فاجتمعت قوات هؤلاء المسيحيين متحدة في صاروخين ويُقدر عددها بالف مقاتل بين راجل وفارس. وعند اتصال الخبر بالامير سليمان جمع عاجلاً بعض اتباعه وذهب بهم من مقره في العين إلى بعلبك تاركاً شقيقه وراءه ليستنفر قوةً عظيمة ويلحق به. ولدى وقوفي على هذه الحوادث عهدت إلى ترجماني ان يسأل الباشا التوسط بين الفريقين فيأمرهما بلزوم السكينة فاجاب الباشا الطلب وتوقف القتال حيناً بحيث تمهد لبعض ذوي النفوذ التدخل في الامر واقترحوا أن يعرض على الباشا قسمة الراتب بين الامير محمد والامير سليمان فيعطى كلٌّ منهما رزق عشرين فارساً وابقاء محافظة القضاء بينهما. فقبل الامير سليمان بهذا الاقتراح وهو موطد النية على عدم اجرائه بوجه من الوجوه اعتقاد ان الباشا لا يوافق عليه مطلقاً

وفي خلال هذه المفاوضات تمكن الامير سليمان من اقناع الزحليين ومحالفيهم بالانفصال عن الامير محمد

وقد أُخبرت ان الباشا أصبح ميّالاً إلى الرضى بالاقتراح المتقدم ذكره وقسمة رزق الجنود بين الامير سليمان والامير محمد اجابةً لمساعي اصدقاء هذا الاخير.

ولذلك رأيت من واجبي أن اوضح للباشا ان موافقته على هـذه القسمة بحق رجل أرسل إلى المنفى وهرب منه خفيةً واعتدى على مندوب دولته لا توليه شرفاً . ومن جهة أخرى فالمرجح بان الامير سليمان لا يرضى بالتسوية المذكورة بل يهاجم الامير محمدًا علنًا فينشأ عن ذلك حرب اهلية . وخلا ما تقدّم فان الامير محمد يعيش مع اتباعهِ على نفقة اهل القرى التي ينزل فيها ويغتصب منهم الاموال قسرًا ويستولي على مداخيلهم . فوعـدني دولته بالانقياد لرأيي وانفاذ الاوامر الى الفريقين بلزوم السكينة . وعليه فاوّمل ان الامير سليمان سيعزّز في مركزه وان الامير محمد سيكره على اللياذ بالهدو إذا لم يقبض عليهِ ويعاد ثانيةً إلى منفاه

(الكتاب الازرق الانكليزي رقم ٥ ص ٦)

٢٤٤ – الموسيو مور قنصل انكلترة العام في بيروت الى الموسيو البزوده وكيل سفارة انكلترة في ٢٨ ك ٢ سنة ١٨٥٦ و٢ جمادى الاخرى سنة ١٢٧٤

اتشرف فانبئكم بان قد شاع هنا ان أحمد عطا بك معتمد الباب العالي الموكول اليه فحص الشكاوى المرفوعة من الشعب المسيحي على قائم مقامه لا يأتي الان وعليه يمكن اعتبار المسألة موجلة إلى ما شاء الله . ويقـال ان هذا التـأجيل هو نتيجة التبديلات الوزارية التي جرت في الاستانة

ان العضد القوي الذي أمدّت به الحكومة التركية الامير بشير أحمد واضح السبب على انه وان لم يكن لديَّ الان الادلة القاطعة لاتهام خورشيد باشا بالارتشاء أراني مضطرًا إلى القول بانه لم يبقَ احد مرتابًا في ارتشاء الدفتردار . فلهذا الموظف نفوذ عظيم على دولته وهو معروف بأنه من أعظم انصار القائم مقام . ومن المرجح ان معظم ديون هذا الاخير الباهظة وقدرها نحو مليوني قرش – ولم تجبره الحكومة حتى الان على ايفائها – قد أنفقت في سبيل الرشوة . أمّا السبب الآخر في عضد الاتراك

للقائم مقام فهو السياسة التي انتهجوها ولم يحدوا قط عنها وقوامها توجيه المساعي الى ابقاء الاضطراب في لبنان للتذرع الى الغاء ادارة حكمه الحالية . وهم ينهجون مثل هذا النهج في القائم مقامية الدرزيّة

ان الاستياء من الامير بشير أحمد قد مازجهُ تعصب ديني لان العموم يعتقدون انه مسيحي بالاسم فقط فقد وُلد درزيًا وعقيدة الدروز تبيح ممارسة شعائر غير مذهبهم متى كانت السياسة تقتضي ذلك . أمَّا القائم مقام الدرزي فهو مسلم ويمارس جميع شعائر هذا المذهب . وعليه فلا يكون الباب العالي ـ وهو مجبور ان يولي درزيًا على الدروز ومسيحيًا على المسيحيين في جبل لبنان ـ قد قام حق القيام بهذين الشرطين

(عدد ٣ ص ٥)

٢٤٥ – القنصل برات الى الكونت دي كلارندون عمه دمشق بتاريخ ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٥٨

اتشرَّف بأن ارسل إلى سيادتكم في طيه صورة الرسالة المؤرخة في ٢٧ الجاري وقد أنفذتها الى المستر أليسون بخصوص كوائن بعلبك

فاذا ما كان دولة الباشا لا يتدخل لايقاف رحى القتال فالفريقان المتنازعان يدمران قضاء بعلبك ويخربان مزروعاتهِ بحيث تتعذر جباية الضرائب . ومن الجلي ان ضعف الباشا ووهن عزائمه سيشجع اخوان الفتنة المستعدين في كل وقت للاستفادة من الفرص المؤاتية لمقاومة سلطة الحكومة فيضطرب حبل الامن في الايالة المذكورة كل الاضطراب (عدد ٥ ص ٦)

٢٤٦– من القنصل العام الى المستر البسون عمه بيروت في ١٥ شباط سنة ١٨٥٨

اتشرَّف فانبئكم باني أنفذت في ٨ الجاري كتابًا الى المشير خورشيد باشا

استيضاحاً عمّا اجرى في مسألة نابلس فاجابني انه يودّ ابلاغي نيّاته سرّاً بهذا الشأن لانه لا يريد ان يفشو المبلغ سرّها . وفي اليوم التالي زارني دولته وقال لي : لمّا كان قائم مقام نابلس قد جاء بيروت اطاعة لامره فني نيته ان يعيده اليها ليستوفي فور وصوله مجموع التعويضات التي أمر الباب العالي بدفعها للمنكوبين ويرفع العلم الانكليزي . فاعربت لدولته عن ايجاسي من ان القائم مقام لا يأتمر الامر بعد عودته الى مقرّ مأموريته . فاكد لي المشير انهُ اذا ما أخلف الامر يدفع هو التعويضات . ولمّا ألححت عليه بوجوب القبض على أصحاب الفتن وقد كنت سلمت اليه بياناً باسمائهم أجابني ان هذه هي إلاّ رغبة الباب العالي لكنه لا يستطيع ان يفعل قبل ان توافق الحكومة على تعيين الشخص الذي طلب اليها توليته هذا المنصب وهو موجود الان في الاستانة . وان في نيته لدى وصول هذا المأمور ان يرافقه الى نابلس مصحوباً بقوة من الجند وهناك يعزل القائم مقام الحالي ويسلم زمام الشؤون إلى القائم مقام الجديد وهذا يبادر الى القبض على جميع من يثبت عليهم الاشتراك في الفتن . وختم دولته الكلام بقوله لي انه سيقبض على محمود عبد الهادي القائم مقام الحالي وعلى بعض زعماء قضاء نابلس ويرسلهم إلى الاستانة . ولا ادري ما اذا كان خورشيد باشا يبرّ بوعده (عدد ٦ ص ٧)

٢٤٧ – صور القنصل العام الى الأول « الكونت » دي كلارا ندونه عنه

بيروت بتاريخ ١٧ شباط سنة ١٨٥٨

اني استناداً على الرسالة التي انفذها القنصل برانت في ٣٠ المنقضي إلى سيادتكم وعلى الملحق المشفوع بها المرسل بواسطتي مختوماً إلى معتمد جلالة الملكة لدى الباب العالي اتشرف بافادتكم ان رجوع الامير محمد الحرفوش خفيةً من المنفى إلى بعلبك منذ

ثلاث سنوات لا منذ عشرين يوماً كما قال المسيو برانت في رسالته المتضمنة ذكر الحوادث التي وقعت في خلال العشرين يوماً

فيوافق كثيراً لاقرار السكينة العامة وراحة اهالي بعلبك والقضاوات المجاورة ابعاد الامير محمد الحرفوش عن قضا بعلبك حتى وعن سوريا باسرها

(الكتاب الازرق الانكليزي عن سوريا . عدد ٧ ص ٨)

٢٤٨ – القنصل جامس فين الى الكونت دى مالبسوري عهد القدس بتاريخ ١٨ ادار سنة ١٨٥٨

اتشرّف فانبئكم بأنه حمي وطيس القتال بين العيال المتعادية في بلاد العرقوب وهو قضاء كائن على بضع ساعات من جنوبي شرقي القدس : فانضمّ اشياع الزعماء الى كل عائلة منها واعتدى عثمان لحام على بعض قرى خاصة نسيبه محمد عطا الله فقتل بعض الناس وبسبب هذا انتقضت التدبيرات التي كان قررها الباشا السابق

فدولة ثريّا باشا نهض بجهز للحال قواه وزحف بفرقة من المشاة المنظمين ومعهُ مدفعان سهليان من الشبه (برونز) على هذا القضاء فعسكر خارج الاسوار واوفد رسلاً لاطفاء نار الثورة فعقدوا بين الفريقين هدنة شهرين بحيث عند انقضائها يكون انتهى موسم الحج فيتسنى إذذاك للباشا ان يهتم في فصل الخلاف . وممّا يؤسف لهُ كثيراً ان هذه الاضطرابات حدثت اثناء فصل الحج (عدد ١٠ ص ٩)

٢٤٩ – صور القنصل العام الى المستر البسوده عن بيروت في ١٦ ادار سنة ١٨٥٨

اتشرف فانبئك بان الحركة ضد الامير بشير احمد القائم مقام المسيحي – وقد أشرت اليها في رسالتي المنفذة في أول الجاري – قد استفحل أمرها بحيث يخشى ان

ينشأ عنها اخطار عظيمة فحبذا لو اسرع الباب العالي إلى معالجة هذه الحالة عدولاً عن التسويف في انجاز التحقيق الذي وعد به منذ مدة طويلة . وقد عُقد اجتماع هام في قلب بلاد كسروان تأَلب اليه من كل قضاء جمهور غفير من المسيحيين على اختلاف مذاهبهم ومن الدروز ايضاً . وعليه يظن ان الباشا والقائم مقام ازاء حركة عظيمة كهذه لا يخاطران بمحاولة قمعها بالقوة . اما خورشيد باشا فأرسل امراً سديته التهديد إلى الامير بشير عساف احد زعماء الحركة يستدعيه إلى بيروت ليثبت الشكاوى على القائم مقام . فرفض تلبية الامر الى ان يصل المعتمد السلطاني المنتظر وقال انه يكون مستعدًا اذ ذاك ليس فقط لتبرئة ذاته بل لاثبات الشكاوى التي رفعها هو ومواطنوه على القائم مقام المسيحي

وأرى من الضروري ان اخبرك ان قنصلي النمسا والروسية العامين قالا لي منذ يومين انهما لم يتلقيا من سفارتيهما خبر تعيين الحكومة العثمانية معتمدًا خاصًا ليتولى في هذه الجهات مهمة التحقيق في شكاوى اللبنانيين على قائم مقامهم . وقد اتصل بي الان ان قنصل بروسيا جاءه مع الباخرة التي وصلت أمس ان عطا بك آت

ان جميع رصفائي يرون الان بمزيد الجلاء خطورة الحالة ووجوب معالجتها حالاً . واتشرف بابلاغكم انني لو لم استعمل نفوذ كلمتي لايقاف الشكاوى لكان طُرد الامير بشير أحمد من مقامه في لبنان من أمد بعيد لكني كنت دائمًا اشير بلزوم جانب السكون والطاعة لاني لبثت منتظرًا قدوم المعتمد الموعود . اما اليوم فلما كانت سلطة القائم مقام قد اضمحلت تمامًا فالمسألة لا تحتمل التأجيل والتسويف اذ ينتج عن تمديد المهلة انتشار الفوضى التامة مما يجر إلى خراب عاجل . فاذا جاز لي ان ابدي رأيًا اقول : ان ارسال القائم مقام إلى الاستانة لافضل كثيرًا من اجراء التحقيق المقترح . إذ لا ريب في أنه لدى وصول المعتمد السلطاني إلى سوريا يتذرع بالوسائل الكافلة تأجيل التحقيق وعرقلة مهمته إلاَّ إذا ما ثبت ان حكومته اصحبته بتعليمات

جلية جازمة وخطت له طريقة سلوكه . (عدد ١١ ص ١٠)

١٥٠ – القنصل برانت الى المستر اليسون عن دمشق في ٦ نيسان سنة ١٨٥٨

ان اسماعيل خيري بك وهو نصيري مقيد بخدمة باشا صيدا يقيم على حدود هذه الباشاوية في صافيتا على مسافة بضع ساعاتٍ من حماة وحمص قد ارسل منذ مدة وجيزة رجاله لغزو عدة قرى بجواره واقعة ضمن ذلك القضاء تابعة للباشاوية المذكورة. فجرأ هذا العمل غيره من النصيرية الساكنين جبل الكلبية فنهبوا القرى المجاورة لهذا الجبل حتى ان السكان المسلمين ذاتهم لم ينجوا من اعتداءاتهم أحياناً . ومعظم هذه القرى مأهولة بخليط من النصيرية والمسلمين والمسيحيين . ونصيب المسيحيين من الظلم اكثر من المسلمين وكثيرون من هؤلاء قُتلوا وهم يدافعون عن املاكهم. وأشد القرى تضرراً قرية محرده الكثيرة السكان وكلهم مسيحيون . فان عثمان حمرا أحد زعماء النصيرية في جبل الكلبية استوفى منها ضرائب باهظة وبلص اهلها وقتل كثيرين منهم . وقد نُهبت ايضاً قرية الجافية الكائنة على بعد ثلاث ساعات من حماة وسكانها اخلاط قتل بعضهم . وقتل شيخ قرية عسيلي وكثيرون من المسيحيين في جوار قريتهم . فهذه الاعتداءات أوقعت الرعب في قلوب مسيحيي القرى الواقعة حوالي جبل الكلبية فاستعدوا لنقل محال سكناهم إلى جوار المدن او إلى القرى البعيدة الاقلّ عرضة للاعتداء.

وقد ارسل السرعسكر زهاء ١٢٠٠ « باش بوزوق » و ١٠٠ فارس من الجيش المنظم إلى حماة وحمص لحماية الشعب النازل حواليها وفي المعرة بيد أني اخشى ان لا تكون هذه القوة كافية لبسط الامن والتغلّب على تعصب عامل تلك البلاد علي يروى باشا وضعفه . وقد وزع السرعسكر ايضاً ٧٠٠ فارس من الباشبوزوق و ٣٠٠ فارس منظم وتابورين من المشاة بين حوران وعجلون والقنيطرة وارسل ٣٠٠ فارس

باشبوزوق و ٢٠٠ فارس منظم إلى جهات بعلبك والبقاع

وفي نيته ايضاً ان يحمي المزارعين من غارات العرب واعتداءاتهم ويهيء سحب القرعة العسكرية والمرجح ان يبدأ بها بعد سفر قافلة الحج إلى مكة (عدد ١٣ ص ١٢)

١٥١ ـ نظافة الموسيو مور الى خورشيد باشا بتاريخ ١٧ نيسان سنة ١٨٥٨ و٣ رمضان سنة ١٢٧٤

يا صاحب الدولة

اتشرّف بأن ارسل لكم في طيه كتابي السابق الى دولتكم بتاريخ ٢٦ ت ١ المنقضي المتضمن بياناً باسماء الاشخاص الذين اشتركوا في قلاقل نابلس التي دارت رحاها في شهر نيسان سنة ١٨٥٦ . وقد أرسل اليّ هذا البيان قنصل جلالة الملكة في القدس . فسألت دولتكم في ذلك الكتاب ان تجاب مثيري هذه الفتن الى بيروت

ولمّا كان قد اتصل بي انهُ بناء على المذكرات التي انفذتها دولتكم جاء بيروت كثير من الاشخاص المسجلة اسماؤهم في البيان المذكور وفي عدادهم الاشخاص الاربعة المذكورة اسماؤهم ادناه وهم : القاضي والمفتي والشيخ محمد عاشور وعبد الفتاح آغا نمر فالتمس من دولتكم ان تمنع هؤلاء الاربعة وسائر الاشخاص المعدودين في البيان من العودة الى نابلس قبل ان اقف على الوسائل التي اتخذتموها دولتكم لمعاقبة مقترفي المذابح والمنكرات في المدينة المذكورة . واسمحوا لي بان اذكركم بتأكيداتكم لي اثناء المقابلة التي طلبتموها اليّ منذ شهرين بخصوص منطوق كتابي

ان ترجماني ابلغني شفاهاً اعتزام دولتكم على اعادة محمود عبد الهادي متصرفاً على نابلس . فارجوكم بأن تتذكروا الخبر الذي ابلغته الى دولتكم وقد تلقيته من سفارة جلالة الملكة ومآله ان في نية ناظر الخارجية العثمانية تعيين متصرّف جديد لهذا

المنصب اي الشخص الذي رشحتموه دولتكم وهو موجود حالياً في الاستانة (عدد ١٩ ص ١٦ ـ ١٧)

١٥٢ – جواب خورشيد باشا الى الموسيو مور
(دون تاريخ)

بعد الترجمة المألوفة

أحطت علماً بفحوى كتاب سيادتكم المؤرخ في ١٧ نيسان الجاري وهو يرمي الى بعض مسائل تتعلق بالفتن التي حدثت في نابلس . بيدَ ان خلاصة كتاب الصدر الاعظم الذي تشرّفت باستلامه من يدكم توجب تنفيذ ما استقرّ عليهِ الرأي في مكان الحادثة إلاّ وهو: استيفاء ٥٥ الف قرش دفعة واحدة من الاهالي المحكوم عليهم بها ودفعها الى قنصل انكلترة ثم مساعدته على اعادة رفع علم دولته لاول مرة حفظاً لشرفهِ وكرامتهِ . ولمّا كان الاقتصار على سجن الشرّد الذين تجرأوا على احداث هذه الفتن مخالف للعدالة وجب بعد استثبات جريمتهم بمعاونة الحكومة العثمانية والحكم على مسببي القلاقل وزعمائها انزال العقاب المؤاتي فيهم . ثم تدفع الحكومة عشرة الاف قرش الى ورثة الابكم دية على شرط ان المرسل البروتستاني الذي تجرأ على قتله (ممّا جرّ الى هذه الاضطرابات) يرسل الى انكلترة ولا يعود منها ابداً

فالواجب يقضي عليّ بتنفيذ الارادة السلطانية بتمامها . بيدَ اني تلقيت جواباً بوجوب تأجيل استعمال وسائل الاكراه والعنف في معاقبة الجناة الى حين (كما هو مصرّح في الكتاب الوزاري المشار اليهِ) . وبناء عليه روي مناسباً تأخير انزال العقاب بالجناة الى وقت ملائم والاكتفاء باخذ ٥٥ الف قرش ودفعها لسيادتكم لتتصرفوا بها حسب الاتفاق واعطاء التعليمات الى القائم مقام ليعيد نشر العلم الانكليزي لاول مرة واخبر سيادتكم بأني اكتب بهذا المعنى الى حكومتي وارسل اليكم الخمسة

والخمسين الف قرش راجياً اليكم أن تكرموا بعلم يؤذن باستلامكم هذا المبلغ وايصاله إلى محل الايجاب وان تبلغوا أصحاب المصلحة ان يحضروا حفلة اعادة رفع العلم للمرة الاولى مع ذكر اسماء الاشخاص الذين سيشهدونها . ولمّا كانت الحكومة المحلية تجهل ما قد جرى بالمرسل البروتستاني المذكور فاطلب اليكم ايقافي على قضيته (عدد ١٩ ص ١٧)

١٥٣ – القنصل برانت الى المستر اليسون عن دمشق في ٤ ايار سنة ١٨٥٨

لقد قلت في رسالتي المؤرخة في ٦ نيسان المنصرم – وقد بسطتُ بها الحالة الحرجة في حماة – ان حاكمها علي يروى باشا متعصب وضعيف لا يقوى على توطيد السكينة في ولايته . فتعصبه يجعله مكروهاً من المسيحيين وضعف عزمه يشجع النصيريّة على قتل اهالي القرى ونهبهم وبلصه المسلمين والمسيحيين على السواء يثير ثائر استيائهم . ان الاضطرابات في حماة متواصلة. فمنذ بضعة ايام ذهب فريق من الخبازين المسلمين إلى قرية لجلب وقود لافرانهم فهاجمهم بعض النصيريّة وقتلوا منهم ثلاثة . فذهب اصدقاؤهم ومعارفهم لنقل جثثهم ولما عادوا بها ورآها الجمهور فار فائره وهجم على بيت الباشا فلاذ بدار حرمه ممتنعاً عليهم فلم تنله مخالب انتقامهم ثم تحين الفرصة المؤاتية وفرّ آمناً إلى معسكر الفريق مصطفى باشا قائد الجنود . وفي اليوم الثاني لما سكن الهياج اذاع هذا القائد نشرةً أعلن بها عزل علي باشا ومن ذلك الحين اظن ان الوالي عهد بوكالة حكم حماة إلى مصطفى باشا

وقد اغتنم النصيريّة فرصة اضطراب حبل الامن في حماة فدمقوا على قرية كفربوهوم المسيحية وهي تبعد نصف ساعة عن المدينة وقتلوا ثلاثة رجال منها ونهبوا ٦٥٠ رأساً من المواشي وهددوا اهليها بالعودة اليها وقتل كل من فيها إذا لم يهجروها

ان عامل حماة السابق كان اتحد مع زعماء المسلمين في تلك البلدة اعضاء المجلس على ابتزاز الاموال من الشعب ولذلك سقطت هيبته . ولمَّا سلب العرب تجار الغنم لم يقوَ على استرجاع اموالهم لكنَّ فارس اغا قادرو المنفذ من قبل عزت باشا تمكن بمساعيه من ارجاع المسلوب . وقد كان يظن ان سلوكه هذا يضمن بقاءه في منصبه في حماة على انه عزل لابائه ان يدفع شيئاً من الاموال التي ابتزها (عدد ١٨ ص ١٤ إلى ١٥)

١٥٤ — مور القنصل العام الى المستر اليسون عن بيروت في ١١ ايار سنة ١٨٥٨

اتشرَّف باعلامكم انهُ من جرَّاء اجتماع جمهور غفير في جوار برمَّانا منذ بضعة ايام تألب اليه معاكسو الامير بشير أحمد القائم مقام المسيحي رأى حضرته من فضيلة الرأي أن يترك مقره في البلدة المذكورة فغادرها عاجلاً في الليل المنقضي ووصل الى هنا مصحوباً ببعض اتباعه . وكان قد سبق لاميرين من انسبائه في برمانا ان هجما عليه واضطراه الى الاختباء بداره . وهذا الهجوم يقصد بهِ الثأر من الاعتداءات التي ارتكبت بامره على بعض الاملاك في البقاع . وقد وجد هذا الصباح نشرات ملصوقة في اسواق بيروت مكتوبة باحرف عربية وسريانية تتضمن خبر هرب الامير وتدعو جميع المتضررين الى الاغتباط بهذا الحادث المؤمل بقرب انتصار العدالة والحق . ولدى السؤال في السراي عن فرار الامير أُجبت انهم لا يعرفون شيئاً عن تفاصيله وانما بلغهم خبره (عدد ١٩ ص ١٨)

١٥٥ — مور القنصل العام الى الكونت دي ملمسبوري في ١٢ ايار سنة ١٨٥٨

اتشرَّف بان ارسل لكم في طيه صور ثلاث رسائل رفعتها الى القائم بوكالة سفارة جلالتها لدى الباب العالي اثنتان انفذتا في اول الجاري وفي السابع منه

بخصوص حوادث نابلس والثالثة في ١١ الجاري وهي تتعلق بالتجاء القائم مقام المسيحي الى بيروت على أثر المظاهرة التي قام بها شعب قضائه وطرده من مقره في لبنان . وقد وقفت على حقيقة هذه المسألة التي دوّنتها في رسالتي من حديث جرى لي مع راهب وهو رئيس احد الاديار حاصل على ثقة القائم مقام . ومن جهة أخرى لمّا كان خورشيد باشا يتظاهر بانه يتجاهل تمام الجهل حوادث لبنان والسبب الحقيقي في فرار الامير بشير سريعاً من مقره وكنت اخشى ان يخدع حكومته في حقيقة حالة لبنان الحاضرة أشرت عليه بانهُ يناسب اجراء تحقيق يمكنه من ارسال بيان صادق عن هذه الحوادث . فوعدني الباشا بان ينظر بعين الاعتبار الى هذا الاقتراح وانه سيعرض العريضة التي ارسلها اليه الامير بشير احمد على ابحاث مجلس الايالة قبل ارسالها الى الحكومة المركزيّة . على ان الباشا يعضد الامير في هذه المسألة وسيجري في أعماله إلى هذه الغاية . وقد تأكدت ان الامراء رؤساء الحركة على القائم مقام المسيحي يستعدون لتقديم عرائض جديدة يكررون بها التماسهم النظر في شكاويهم معلنين بعبارات جازمة اعتزامهم على عدم الرضوخ للامير بشير احمد إذا ما عاد الى مقرّه في برمّانا قبل ان يتم التحري عن سلوكه بكل نزاهة . يجب ألاّ يُعجب مما أتاه الشعب لانه خلا المدة الطويلة الغير العادية التي انقضت على عدم وصول المعتمد العثماني قد ثبت الان انهُ سيذهب بعد مبارحتهِ الاستانة الى اضاليا وقبرص بمهمة خاصة قبل قدومهِ الى هنا (عدد ١٩ ص ١٥)

١٥٦ — من القنصل العام الى المسيو الاسونه عن بيروت بتاريخ ١٤ ايار سنة ١٨٥٨

اتشرف بان ارسل لكم في طيه صورة رسالتي إلى الكونت ملمسبوري في ١٢ الجاري واستأذنكم فانبئكم بان الشاكين من القائم مقام اقاموا رقباء في الطرقات لقطع كل مواصلة بينه وبين لبنان . وقد اتصل بي ان القائم مقام استأجر داراً في بيروت

لمدة سبعة اشهر ونقل اليها رياشه

وقد افادني خورشيد باشا بواسطة ترجمانه انه تلقى هذا الصباح تحريراً من الاستانة منبئاً بان عطا بك منتدب بمهمة خاصة إلى اضاليا وقبرس قبل مجيئه إلى سوريا وان قضاء هذه المهمة سيستغرق وقتاً طويلاً . وزاد دولته انه يأسف على هذا التأجيل الجديد نظراً للحالة الحاضرة وان في نيته ان يكتب إلى حكومته بهذا الشأن . وقد سألني ايضاً ان احرر لحضرة سفير جلالتها بالمعنى ذاته . اما اللبنانيون فينسبون تأخير وصول المعتمد العثماني الموعود منذ مدة طويلة إلى امال الحكومة التركية بتفاقم الاضطرابات وازدياد الانقسام بحيث يجر في آخر الامر إلى تدخل تركيا وتعيين والٍ تركي على لبنان (عدد ٢٠ ص ١٨)

١٥٧ — صور القنصل العام الى الكونت دي مرسوري عن بيروت بتاريخ ١٥ ايار سنة ١٨٥٨

اتشرف بان ارسل اليكم في طيه نسخة من الرسالة التي انفذتها امس إلى وكيل سفارة جلالتها

وقد تلقيت خبراً من رجل اكليريكي صاحب نفوذ في بلدة غزير ان في كسروان حزباً ينوي بذل عضده للقائم مقام المسيحي ليمكنه من العودة الى الجبل واتخاذ مقرٍ لهُ في بلدة غزير او في جبيل فاذا صح ذلك فالحزب المعاكس الذي أقرَّ رأياً على عدم السماح لهُ بالعودة الى لبنان بأية صورة كانت ينوي مهاجمته . ولمَّا كنت ارغب في استدراك وقوع اقتتال يجرُّ الى حرب اهلية ففي نيتي ان اوقف خورشيد باشا على ما تقدم وانصحه بألاَّ يسمح للقائم مقام بمحاولة الرجوع الى لبنان بالقوة للسبب المتقدم أنفاً ولان عليهِ ان يحضر إلى بيروت عند وصول المعتمد للمجاوبة على الشكاوى المرفوعة عليهِ (عدد ٢٠ ص ١٨)

١٥٨- من القنصل العام الى الكونت دي مطسبوري عند بيروت
بتاريخ ٢٧ ايار سنة ١٨٥٨

اني عطفاً على رسالتي المنفذة في ١٥ الجاري اتشرَّف فانبئكم باني زرت خورشيد باشا لمحادثته في الشؤون التي ذكرتها لكم وفي الحوادث التي عقبتها واتصل خبرها بي . وخصوصاً في أمر جمع الامير بشير أحمد - وقد رأى ذاته في حالة يأس القى بنفسهِ اليها - بواسطة اشياعه الدروز عدداً من رجال هذه الطائفة الخالين من كل شيمة وناموس بقصد اعادته الى برمانا وتمكينه من استلام زمام الحكم . وقد الحت كثيراً على دولته مبيناً لهُ الخطر العظيم المتوقع من وراء سماحه بمحاولة توطيد حكومة هذا الامير بواسطة طائفة معادية لطائفتهِ المسيحية وقد دعاها كرهه الى طرده . خلا ما في رجوعه هذا من التهور وعدم الحكمة وهو من أوفر الاسباب وأشدّها ايقاظاً للاتفة الوطنية ولامتعاض المسيحيين ولتوقد جمرة العداء الطائفي الكامنة تحت الرماد فتجرُّ وراءها نتائج محزنة الاَّ وهي الحرب الاهلية التي اتقدت جذوتها وعلا شواظها في سنتي ١٨٤١ و١٨٤٥ . فظهر لي ان كلامي وقع من دولته موقعه . بيدَ انهُ تظاهر بانهُ لم يبلغهُ شيء عن رجوع الامير لكني استنتجت بانهُ تدبَّر الامر ووزن الحوادث بميزان التروي والحكمة يويد ذلك بقاء القائم مقام في بيروت . ثم اني استأذنكم لاخبركم ان قد اخفقت المساعي الجسام التي بذلها العمَّال الاتراك لاصلاح ذات البين بين الامير وانسبائهِ في برمانا وقد ذكرت هذا الخلاف للقائم بوكالة اشغال السفارة في ١١ الجاري ولسيادتكم في ١٢ منه . وزيادةً عمَّا تقدم فان احد الامراء المذكورين هو رئيس مجلس القائم مقام المذكور

وبينا انا اكتب اليكم أُخبرت بما استقرَّ عليه الرأي في الاجتماع الكبير المؤلف من كبار امراء المسيحيين ومن اعيان الدروز والمسيحيين تباحثاً في أمر رجوع القائم مقام

وقوام هذا الرأي انهُ اذا ما عاد الامير الى داره بصفته الشخصية لا يبدون اقل مقاومة . اما اذا كان في نيته الرجوع الى مركزه بصفة قائم مقام واستلام زمام الامور فيهاجمونهُ معلنين « انهم قد سئموا اهمال خورشيد باشا النظر في شكاويهم وان الاصغاء اليها يقضي عليهم بالاعتماد على انفسهم »

اما المقصود من سلوك خورشيد باشا في مسألة لبنان ونياته التي استشفتها هي ذات نيَّات الحكومة التركية في ان يسود الاضطراب في جبل لبنان على أمل ان تتمكن في وسط القلاقل العامة من الغاء نظامات لبنان التي لم تفتر عن النظر اليها بعين الاستياء. (عدد ٢٢ ص ١٩ ـ ٢٠)

١٥٩ — زيارة مجمعة العرعار في ٢٧ ايار سنة ١٨٥٨

في هذا اليوم اجتمع كل اعضاء اسرة بللمع في العرعار وانضم اليهم جمهور غفير من سائر انحاء المتن من اعيان الدروز والمسيحيين . فخلا الامراء اولاً ببعضهم فافتتح الامير سيد أحمد وهو رئيس الاسرة الكلام مشيراً إلى بلاغات المطران طوبيا ومآلها انه يجب التوصل إلى الاتفاق عمَّا يطلبون إلى القائم مقام ويعلنونه اياه ويعقدون الصلح معه والاَّ فقدت الاسرة وظيفة القائم مقامية . فاجاب الامراء انهم لا يطلبون إلى القائم مقام شيئاً لتيقنهم أنهم مهما طلبوا لا يحصلون عليه وهلمَّ جرًّا . فطال الجدال على هذا النسق وأخص المتكلمين الامير امين مراد وكان فيما مضى من أكبر أشياع القائم مقام وقد ادَّى له ضمانات على بُرّه بقسمه واخلاصه له لكنه لم يحصل منه على غير الذل والهوان . فهذا الامير أتى مجددًا على رسالة المطران طوبيا وفيها انه اذا كان امراء الاسرة اللمعية هم شاكون من القائم مقام فليسمحوا بعودته اولاً إلى مقره وفور وصول المعتمد العثماني ينظر في شكاويهم واذا لم يكونوا شاكين يجب عليهم ان يذهبوا اليه ويعرضوا عليه مرافقته في عودته . فاجابوا « نحن جميعاً شاكون » واقروا

رأياً على منع القائم مقام من العودة إلى مركزه وعلى عدم الذهاب اليه وعلى ايثار عرض شكاويهم على المعتمد لدى وصوله إلى سؤال الاعيان عن متمنياتهم . فقابل هؤلاء هذا الرأي بالهتاف والاجماع وبانهم لا يسمحون للقايم مقام بالرجوع الى الجبل ولا يطيعون اوامره ولا يعترفون به حاكماً عليهم وانه اذا ما خاطر باجتياز نهر بيروت فانهم يقاومون تقدمه بكل الوسائل . ثم اتفقوا على ان يكتبوا لغبطة البطريرك انباء بما تقدم وعلى ارسال جواب للمطران طوبيا ايقافاً له على ما وطدوا عليه العزيمة وعلى انفاذ كتاب آخر للشيخ حسين تلحوق . وبعد ذلك أقترح كتابة تحرير الى اهالى زحلة بهذا الشأن فتباينت الاراء بهذا الخصوص بين الامير اسعد موسى وصهره والامير سيد احمد وابن اخيه والامير يوسف علي لكنهم وقّعوا اخيراً التحرير

وقد وقّع الامير سيد أحمد التحرير المنفذ للمطران لكنهم لم يوقّعوا الكتاب المراد انفاذه للبطريرك وللشيخ حسين . وقد تظاهر الامير اسعد والامير يوسف بمخالفة هذه الامور على انهم لم يفعلوا ذلك اكراماً للقايم مقام . ويوجد بين بعض الامراء خلاف في اراآئهم الشخصية لكن بيت مراد وهو فرع من اسرة بللمع هم متفقون رأياً ومثلهم بيت قيدبيه أمّا الشعب فكلهُ مستاء (عدد ٢٤ ص ٢١ - ٢٢)

١٦٠ - صور القنصل العام الى الكونت دي ملمبوري عن بيروت بتاريخ ٢٨ ايار سنة ١٨٥٨

اني عطفاً على رسالتي بتاريخ أمس اتشرّف فانبئكم بان قد اتصل بي فجر اليوم ما ادهشني وهو ان خورشيد باشا أقرّ رأياً على اعادة الامير بشير أحمد الى برمانا الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم مصحوباً بقوة مسلحة مؤلفة من الجند الغير النظامي فرساناً ومشاة ألبانيين ودروز يبلغ عددهم مع اتباع الامير زهاء ١٥٠ رجلاً . وعلاوة على ما تقدم فقد ارسل ايضاً معه كاخيته والمفتي والعضو الماروني في مجلس الايالة

فسافر هذا الجمع توًّا الى برمانا . ولمَّا سمع معاكسو الامير بهذا الخبر ارسلوا يستشيرونني فيما اذا كانوا يعارضون في رجوع القايم مقام ويهاجمونهُ كما أقرّوا رأيًا في اجتماع أمس . فتعجلت بنصحهم ألاَّ يفعلوا ووعدتهم بمواصلة النظر في أمرهم اذا ما انقادوا الى نصيحتي

ان اقدام المشير على هذا العمل الطائش لذنب كبير لانهُ يجرّ الى اشعال نار حرب أهلية ويطفح الكأس مصرّحًا المحض عن الزبد كاشفًا سر سلوكه في هذه المسألة . ومن ثم فاعظم دليل يمكني الادلاء به على نفور الاهالي من الامير هو اضطرار الباشا الى التذرع بالوسائل المذكورة انفًا لاعادته الى مقرّه

ولا مراء في ان الامير اذا ما بلغ برمانا بكل أمن وقد نخلت النصيحة للامراء المعاكسين بلزوم السكينة يكون ذلك احترامًا للباب العالي وضبّاطه الذين يرافقونه. بيدَ أنهم متى قفلوا راجعين يطرد الامير ثانيةً . وسأتشرّف بارسال الانباء اليكم في الباخرة التي تسافر غدًا من هنا (عدد ٢٣ ص ٢٠)

١٦١ — من القنصل العام الى الكونت دي ملمسبوري عن بيروت في ٢٩ ايار سنة ١٨٥٨

اني تعقيبًا على رسالتي بتاريخ أمس اتشرف فانبئكم انه يستفاد من الخبر الوارد على المدينة اليوم ان القايم مقام المسيحي دخل بحاشيته برمانا دون ان يلاقي مقاومة لكنه وجد نسيبيه الاميرين علي وامين رئيس مجلس القايم مقامية سابقًا قد أخلياها متظاهرين ضده وهما اللذان حصراه في داره قبل فراره من برمانا

ويظهر انه يوجد ادلة كثيرة تحمل على الاعتقاد بان معاكسي الامير بشير أحمد ينتظرون فقط خروج مأموري الاتراك من لبنان لمهاجمة الامير وطرده

وفي طيه تجدون ترجمة البيان المتضمن تفصيل ما جرى في الاجتماع الذي عُقد

في ٢٦ الجاري وحضره ٢٧ اميرًا و ٢٦٠ وكيلًا عن الشعب والاراء التي استقرّ الرأي فيه عليها

ان اللبنانيين بتحاميهم مهاجمة الامير امس قد اتقوا خطر الوقوع في حبائل الشرك المنصوب لهم لاشباكهم في قتال مع ممثلي الباشا وعدّهم ثائرين على الباب العالي وموقدي نار الحرب الاهلية مع انهم قد طالما اعلنوا ذواتهم خدامًا مخلصين للحكومة العثمانية ولم يقاوموا غير قايم مقامهم المستبد الظالم فسعوا ضده بالوسائل الشرعية شفاهًا وكتابةً وبالعرائض التي رفعوها للباب العالي وللمشير الى ان قنطوا من اجراء العدل مجراه لاستمرار القايم مقام على ظلمهم وسئمت نفوسهم تأجيل وصول المعتمد العثماني وقد اصبح الاعتقاد عامًا بانه مقصود ولاسيما بعد ان اشتهر ان عطا بك ذاهب إلى اضاليا بمهمة مثلها . ولكي اورد دليلًا على طول مماطلة اللجان التركية وطرايقها في التسويف اقتصر فقط على استلفات النظر إلى اللجنة المنتدبة الان في بيروت المنظر في الخلاف الواقع على املاك بعض الامراء الشهابيين المعهود بها إلى القنصل المستر ويت وصبري افندي . فقد مضى على هذه اللجنة ستة أشهر وحتى الان لا يمكن معرفة وقت انجازها المهمة المعهودة اليها . فلو تصرفت بنزاهة وصدق لامكنها انجازها في مدى ستة أيام

وقد اتصل بي عن ثقة ان قنصل روسيا العام زار أمس خورشيد باشا محتجًا على رجوع القايم مقام إلى لبنان بقوة من الجنود الغير النظامية ممّا يعرض إلى اشعال جمرة الحرب الطائفية (عدد ٢٤ ص ٢١)

١٦٢ – يورندي خورشيد باشا الى خليل افندي غرّ وارونين اغا في ١٢ مزيراه سنة ١٨٥٨ و ٢٩ شوال سنة ١٢٧٤

اني اخبركما بهذا المرسوم ان لا حاجة إلى القول بان العرائض المتضمنة ثناء

امراء لبنان وأهليه على الامير بشير أحمد قايم مقام النصارى وشكاويهم منهُ عُرضت كلها على الباب العالي . ولقد أنفذت سابقًا وحديثًا أوامر وبيورلديات أوعزت بها الى المادحين والقادحين بوجوب التزام حدود السكينة واجتناب عقد الاجتماعات المقصود بها اسقاط طريقة الحكم الجارية في الجبل وبلبلة راحة الاهالي إلى ان تأتي الارادة السنية ولاسيما ان الحضرة الشاهانية قد شاءت من فيض عوارفها واحسانها ان تعين عطوفة أحمد عطا بك افندي من كبار رجال الباب العالي مندوبًا خاصًا لسماع ثناء الاهالي وشكاويهم مهما كان نوعها والقطع فيها بالعدل

وقد كرّرت أمري في البيورلدي الذي أنفذتهُ بواسطة « كاخيتي » إلى المندوب المرسل إلي الجبل بان يفرّق شمل الاجتماعات التي تجدد عقدها ونشأ عنها خسائر وأهانات وأوعزت اليه أن ينذر الشعب بالعودة إلى مقارّهم الى ان يصل المندوب السلطاني فيرفع اليه الشاكون عرائضهم وفقًا للاصول المرعية

أمّا الان وقد وصل المندوب المشار اليه الي بيروت يوم الخميس في ٢٧ الجاري فالارادة السنية توجب علينا ان نستدعي اليه الشاكين من القائم مقام ليسمع من فمهم حقيقة تظلمهم عملًا بالمهمة الموكولة اليه . وبعد ذلك نباشر جميعًا اجراء المحاكمة بحضوري كما هو المقتضي في مجلس الايالة الكبير ونعمل بموجب ما تقتضيهِ الحالة والعدالة

ومن المحقق إن المندوب المشار اليهِ سيشرع قريبًا بعون الله بالقيام بواجبات مهمتهِ . وبناء على ما استقرّ عليهِ الرأي بهذا الشأن روي مناسبًا اعلان الكيفية بواسطتكما عندما تذهبان إلى الجبل

ولدى وصول هذا الامر اليكما ينبغي أن تتوجها في الحال إلى قائم مقامية النصارى وتعلناه على الجميع منبئين عن وصول المندوب المشار اليهِ إلى بيروت للقيام بواجبات مهمته بحيث يتصل هذا النبأ بالراضين والمستائين . وقولا لهما ان على أهالي القائم مقامية المسيحية الذين يريدون التظلم من قايم مقامهم ان يأتوا بيروت فرقًا

متابعة وافهامهم جيدًا ان الغرض من مجيئهم انصافهم وهو جُلُّ رغائبنا وامانينا كما ان ضالتنا المنشودة هي ضمان راحة الاهالي وفقًا لاصول العدالة والحق وطبقًا للقوانين والنظامات

ولقد أعتبر غير مرة ان الاجتماعات المقصود منها الثناء أو الشكوى على العمّال هي عمل مخالف للنظامات يجرّ وراءه خسائر واضرارًا كثيرة ولذلك نأمل من أهالي الجبل الراضين والمستائين إذا ما رغبوا في نيل رضا الحكومة أن يتحاشوا عقد الاجتماعات التي تلجأ اليها بعض الاحزاب عن غير تروٍّ فتضطرنا إلى تكرار الاوامر الناهية بهذا الشأن . فينبغي عليكما ابلاغ جميع الذين سيأتون إلى هنا لتقديم الشكاوى ان يتحاموا عقد مثل هذه الاجتماعات ان في بلادهم وان في الطريق لانها مخالفة للارادة السلطانية من جميع الوجوه وعليهم ان يحسنوا السلوك اثناء الطريق ويتجنبوا تحريض بعضهم على حمل السلاح واطلاقه بل يأتوا الى بيروت لبسط شكاويهم طبقًا لما توجبهُ الاداب . ولذلك كتبنا هذا البيورلدي من ديوان ايالة صيدا وملحقاتها ليجرى العمل بموجبهِ (عدد ٢٧ ص ٢٥ ـ ٢٦)

١٦٣ – بيانه المستر برانت قنصل انكلترة في دمشق الى سفير دولته في الاستانة عن حالة الايالة بتاريخ ١٤ مزبرانه سنة ١٨٥٨

سبق لي ان ارسلت اليكم بيانًا عن حالة التجارة في دمشق على اني اعدّه ناقصًا اذا لم اضف اليه ايضاحًا موجزًا عن حالة الآيالة وادارتها . وقد قلت في هذا البيان انه لمّا كانت الآيالة تحت حكم محمد علي باشا عاد كثيرون إلى سكنى المدن والقرى المهجورة وإلى حراثة الاراضي المهملة وهذا ما حدث خاصةً في حوران وفي النواحي الواقعة حوالى حمص وفي كل الجهات الواقعة على حدود الصحراء . وفي هذه الاماكن أكره العرب على احترام سلطة الحكومة وجُعل السكان بمأمنٍ من اعتداءاتهم

وكانت سوريا باسرها موضوعة تحت ادارة شريف باشا وقيادة الجيش الذي يبلغ عدده زهاء ٤٠ الف جندي بين منظم وغير منظم بامرة ابرهيم باشا . فبحسن ادارة الاول ضاعفت نجاح الاهلين وحسنت المالية في هذه النواحي كما ان نشاط وحزم الاخير وطد الامن ومدّ رواق الثقة . وقد عُدت الحكومة ظالمة لكنها في الحقيقة لم تكن لتستطيع غير ذلك إذ كان عليها ان تصلح عدة امور مختلة وان تبدل الفوضى والتعصب والقلاقل التي كانت سائدة بالعدالة

فاصحاب المقامات العالية والافندية والاغوات امتعضوا كثيراً من ذلك لانهم كانوا يثرون من نهب أصحاب التجارة والحرَف وسائر الطبقات العاملة وبلصهم. إنما هؤلاء الاخيرين سرّوا كثيراً لخلاصهم من الظلم الذي انّوا تحت عبئهِ طويلاً . وقد اغتبط المسيحيون خاصةً وفرحوا لنجاتهم من التعصب الذي أوصلهم إلى درجة من الذل لا تطاق . ولم يكن الفلّاحون أقل سروراً منهم لانهُ وان كانت الضرائب المقررة تستوفى بكل شدة فلم يكن يستوفى منهم بارة زيادة ولم تضبط حاصلاتهم وأغلالهم ولم يؤخذ منهم شيء دون دفع ثمنه ولم يجبروا على تقديم خدمة دون بدَل . وقد فُرضت الخدمة العسكرية على المسلمين وهذا الامر الجديد كان ينبوع استياء عظيم . أمّا المسيحيون الذين كانوا يدفعون الخراج فاعفوا من الخدمة العسكرية . والفلّاحون الذين قطنوا القرى المهجورة أسلفوا مالاً لاصلاح بيوتهم وتموينها . وعلاوة على ما تقدم فانهم أعفوا من الضرائب لمدة ثلاث سنوات

وقصارى القول ان جميع هذه المساعدات بُذلت لاجل تزييد الحاصلات . وكم من مرة ذهبت الجنود بامرة ابرهيم باشا لاهلاك بيوض الجراد وما نقف منها . وبفضل هذا الحكم الحازم العادل المحترم من الجميع اخذت البلاد تترقى في مدارج النجاح والنماء فلو طال عليها الحكم المصري لاستعادت سوريا قسماً عظيماً من وفرة سكانها القدماء وأصابت شطراً كبيراً من الثروة التي كانت لها في الماضي واثارها لم تزل

ظاهرة للعيان في القرى والمدن العديدة الكائنة في جاهت حوران وفي التي وجدت في الصحراء حيث ترى فيها الطرق التي اختطها الرومانيون . بيد انه ما كاد المصريون يُطردون من البلاد ويتقلص ظل سطوتهم — وقد كانوا خضّعوا الجميع لحكمهم الشديد — حتى عاد القوم الى نبذ الطاعة وخلفت الرشوة والتبذير في ادارة المالية النزاهة والاقتصاد ومنيت المداخيل بالنقصان واستأنف العرب غاراتهم على السكان فاخليت القرى والمزارع المأهولة جديدًا تدريجًا حتى امكن القول انه لا يوجد ثمّ ظلٌ للامن على الحياة والاملاك وكل شيء يدل على عود حالة الفوضى الى هذه البلاد التي تركها المصريون

لقد بقي من كل ما رتبوه شيء واحدٌ سالمًا وهو عتق المسيحيين على ان هذا ربما يصير عاملًا جديدًا لاستئناف الاضطرابات نظرًا لضعف الادارة التركية وظلمها لان الظلم يدفع إلى المقاومة والضعف يزيد في التمرُّد . اما السكان فمؤلفون من طوائف مختلفة المذاهب معادية للسنَّة ومن طوائف مسيحية متعصبة معادية بعضها بعضًا والحكومة عاجزة عن مدّ رواق سيطرتها على الجميع ولهذا أمست مضطرة إلى اثارة طائفة على الاخرى بايقاد جذوة التحاسد والبغضاء بينها . وبمثل هذه الوسائل تتمكن من ان تحفظ لذاتها بعض السيطرة بيد انها تخسر ثقة الرعايا بها وتعكر كأس الوئام بين العناصر المختلفة فتحول دون كل تقدُّم ونجاح

أجل ان الضرائب كانت باهظة على عهد الحكومة المصرية وكانت تُجبى بشدة على ان استتباب الامن وعدم بخل الحكومة على الشعب بعضدها اغناها كانا يكفيان لاقناع الشعب ان بوسعه تحمل وقرها دون ان يرزح تحتها

وكان الدخل يُدار بنزاهة واقتصاد ولدى الحكومة المصريَّة جيش وافر العدد وتقوم بكل نفقات ادارة الايالة المتوقع ازديادها تدريجًا . أمَّا حالة الايالة اليوم فهي على عكس ما تقدَّم من جميع الوجوه فالضرائب هي عبء ثقيل لا يطاق مع

انهـا أضعف من ذي قبل والامن مفقود والدخل يقلّ كل يوم لاهمال القرويين حراثة الاراضي وكل ما يتم جمعه ينفق باسراف أو يسرقه الموظفون والاموال اللازمة لادارة الحكومة تطلب من الاستانة . وصار من الجلي ان الماليـة تزداد اختلالاً وفساد الادارة مستمرّ

كانت حكومة محمد علي باشا فرضت على كل ذكر ساكن في المدينة ضريبة جديدة تدعى « الفردة » تتراوح بين ١٥ قرشاً و٥٠٠ قرش حسب حالة كل انسان فيعهد إلى مأموري الضابطة بجبايتها من كل بيت بمفرده من دون عذر أحد حتى اذا أبطيء في دفعها جيبت بوسائل العنف . أمّا مجموعها فكان يبلغ نحواً من عشرين الف ليرة انكليزيّة . فلما استرجع الاتراك ازمة الشؤون لقوا مقاومة شديدة في جبايتهـا وملئت الصدور استياء بسببها . بيدَ انهُ لمّا أمسى دخلها أقل من المبلغ المذكور روّي ابدالها بضريبة على البيوت تستوفى دون حدوث اضطراب كبير أو اقتتال على ان مجموعها لا يتجاوز العشرة آلاف ليرة انكليزيّة.وقد جرت بعض احتكارات وفرضت ضرائب جديدة على البنايات الحديثة للاستعـاضة عن الدخل الذي أسرفوا بهِ ولكن دون سده

كانت الحكومة المصريّة تستوفي نحو ٥٥ الف كيس ولا يتأخر لها بارة الفرد وهذا المبلغ يساوي ٢٧٥ الف ليرة انكليزيّة فهبط الدخل اليوم إلى ٣٥ الف كيس قيمتها ١٤٣ الف وخمسمائة ليرة انكليزيّة يبقى منها عشرة آلاف كيس أي زهاء ٤١ الف ليرة انكليزيّة في ذمة الاهالي وهذه يتعذر جباية قسم منهـا . ان نفقات الحج وراتب الفرسان الغير المنظمة والموظفين الملكيين والعسكريين قد انضبت تقريباً هذه الموارد ولذلك طلبت الخزينة إلى الحكومة المركزيّة ارسال سبعة آلاف كيس أي ٢٨٧٠٠ ليرة انكليزيّة لسدّ العجز المالي

وبينا الضرائب تُجبى فالاموال اللازمة لقضـاء الحاجات الضروريّة المستعجلة

تستدان بفائدة اثنين إلى اثنين ونصف بالشهر . وقد استقرضت بعض الاموال لدفع أرزاق الجنود . فنفقات ركب الحج إلى مكة هي باهظة هذه السنة بسبب مجيء إحدى نساء السلطان محمود ومن جرّاء زيادة عدد الجنود لحماية قُطر الحجاج . هذا خلا عن ازدياد مطالب قبائل العرب المستمر لخفارة الحج

لمّا كان المصريّون يحكمون سورياً كانوا يراقبون العرب وقافلة الحجّاج بغاية الدقة فينفقون نحوًا من عشرين الف ليرة انكليزيّة . أمّا اليوم فالنفقات هي ضعف ذلك في السنين العادية وقد بلغت هذه السنة زهاء ٧٠ الف ليرة انكليزيّة

ان دفع رواتب الجنود الغير النظامية القائمة بالمحافظة على الامن في الايالة اثقل كاهل الخزينة بمبلغ قدره ٤٢ الف ليرة انكليزية . وقد استُخدم حاليًا ربع عدد الجنود بحيث تُمكن من توفير مبلغ عظيم ويُظن ان هذا هو سبب الخلاف بين قواد الجنود وارباب السلطة المدنية . .

ان النصيريّة القاطنين حوالى حماة اكرهوا الاهالي بعد ان نهبوا كل اشيائهم على اخلاء قريتين كبيريتين مأهولتين بالمسيحيين وهددوهم بالقتل إذا ما حاولوا الرجوع اليهما . انه يوجد جنود في حماة لكنها لم تبدِ حراكًا لاسترجاع الاملاك المغصوبة ومعاقبة الناهبين أو حماية الشعب . فدخل هذه القرى الوافر قد ضاع كله وأهملت حراثة الارضين الواسعة بسبب اعتداء النصيرية والعرب على المزارعين

وفي حوران أعتدت قبيلتان من العرب على الفلاحين المشتغلين بزراعتهم وأقلقتا راحتهم وقد ذهبت الجنود لحماية طريق الحج على انه لم يسبق ان أبدت هذه الجنود أقل اهتمام بحفظ الراحة ومنع نهب الغلال او اتلافها

ان الاستياء العام سائد في جميع انحاء الايالة وفي لبنان وابتياع السلاح والذخائر جارٍ على قدم وساق ليس بنيّة الثورة كما اعتقد وانما تحوط الجميع لما رأوا من ضعف الحكومة وميلها إلى حصر حريتهم فوجدوا من الفطنة أن يتأهبوا لرفض مجاراة

الحكومة إلى مطالبها الظالمة وان يحموا ذواتهم من اعتداءات جيرانهم

لقد ورد على السرعسكر أمر بجمع الرديف . وكان من العادة ان ينتج عنه هياج وبعض المقاومة فلم يقع شيء من ذلك . كان عزت باشا الوالي السابق اقترح على الحكومة ان تأذن له باستخدام الشبان المتبطلين المتعطلين النازعين إلى القلاقل في العسكرية. وفي ذلك ارضاء الاسر الكريمة وطبقات الشعب الخالدة إلى السكينة باعفاء اولادهم من الخدمة وتطهير المدينة وجوارها من أولئك المتعطلين فتتوطد الراحة العمومية . فقبل الباب العالي بهذا الاقتراح المبسوط على هذه الصورة المقنعة لكنه حوّلهُ الى ظلم مجحف فقبض على أولاد الاسر الغنية والمعتبرة ولم يفك قيادهم إلاَّ ببدَل باهظ . واكثر الذين أخذوا للخدمة العسكرية ممن لا يصلحون لها لعيوب أو أمراض في أجسامهم أو لاخلاقهم الفاسدة . ومن الشائع ان الباشا أخذ رشوة قدرها ٢٠ الف ليرة انكليزية واقتسمها مع مشايخ الدين المتلبسين بالقداسة فمكنوه بنفوذهم من انجاح مقاصده . وقد رُفعت الشكوى إلى الاستانة على الباشا المشار اليهِ ليأمر بصرف جنود الرديف التي جمعها وهي غير صالحة للخدمة العسكرية

ويقال ان الباب العالي أمره بارجاع الاموال التي ارتشى بها بيدَ انه من المحقق انهُ لم يأتمر الامر وقد سافر بعد عزله حاملاً الاموال التي ابتزها وستضمن لهُ اغضاء الطرف عن مساوئهِ لانه اكتسب بها حماية أحد كبار رجال البلاط من ذوي النفوذ . واعتقد انهُ مع ذيوع خبر اشتراك المشايخ في هذا العمل الشائن لم يخسروا شيئاً من اعتبارهم ولا من شهرتهم بالقداسة

ان الخراج أو مال الاعناق الذي كان يؤخذ من المسيحيين قد الغاه الخط الهمايوني وأوجب بدله الخدمة العسكرية . فالرعايا « المسيحيون » يؤثرون دفع البدَل المالي على الخدمة العسكرية أمَّا في سوريا فيطلبون الخدمة رافضين دفع البدَل . والاشغال هي قيد الاهمال ودولابها واقف . إن الباب العالي يلح اليوم بطلب

الاموال المتأخرة عن اربع سنوات لكن الرعايا يعلنون عجزهم عن الدفع ولا يريدون أن يؤدّوه . ان مجموع المال المطلوب يبلغ ٥٧٤٠ ليرة انكليزية وهو يضاهي على ما أظن قيمة الخراج عن ثلاث سنوات

لمّا كان العنصر المسيحي وافر العدد فالمرجح ان الباب العالي يخشى ان يعطيهم السلاح ويدّربهم على النظام العسكري التائقين اليهِ ـ وقد ادركوا مبلغ اقتدارهم ـ على أمل أن يستعملوه اذا ما نزع الاهالي الى ايقاد نار الفتنة . ان النصيريّة والدروز والمتاولة يريدون اغتنام فرصة الاضطراب السائد للحصول على استقلالهم . وأمست البلاد مقسومة الى قسمين معاكسين للاسلام وكل منهما مشاكس للاخر بحيث ستخيم سرادق الفوضى على البلاد وترتفع سلطة السلطان عن سوريّا نهائيّاً

ولا مراء ان هذا الأ غائلة السلوك والسياسة التي انتهجهما الباب العالي . ولمّا كان الولاة لا يستقرّون طويلًا في مراكزهم بل يبدلون بسرعة بمن يجهلون كثيرًا اخلاق الشعب وادارة الاحزاب وسياستها تراهم ينبذون وراء ظهورهم الاهتمام بانجاح هذه الولايات لانهم متيقنون قصر مدة ولايتهم عليها فيكبون مدة حكمهم على جمع الاموال الوافرة بقدر ما تمكنهم الحال . فاذا ما استمرّت طريقة الحكم هذه لا مراء انه يُعجز عن ابقاء سوريا للسلطان الأ إذا ما تدخلت الدول صديقات الباب العالى وانتصرت له (عدد ٢٦ ص ٢٢ ـ ٢٥)

١٦٤ ـ القنصل برانت الى المستر اليسون عن دمشق في ١٦ حزيران سنة ١٨٥٨

تشرّفت فانبئتكم في رسالة سابقة بان طاهر باشا وهو الرئيس العامل ذهب إلى حوران مصحوبًا بالجنود لضمان راحة الحج فكللت مهمته هذه بالنجاح . بيدَ انهُ اتصل بي ان القبائل المتعادية ستعود الى التسلح فور تراجع طاهر باشا

ان عرب اللجاه ودروز حوران تواثقوا على التعاضد ومن ثمّ فلا خوف أن يلحق

القتال بين قبيلتي الرولا وولد علي ضررًا بموسم الفلاحين وأغلالهم (عدد ٢٨ ص ٢٧)

١٦٥ – القنصل فنصل روسيا الى القنصل فنصل عنه مبنا في ١٨ مزبر اه سنة ١٨٥٨

في الاسبوع الماضي ذهبت الى الناصرة وقد التقيت في اثناء اقامتي فيها بالقاضي الشيخ امين في بيت أحد الاصحاب وكان هناك أيضًا بعض أعيان مسيحيي البلدة بينهم رجل يدعى الياس الصفوري من كفرقنا وهو بروتستاني قد فتح أبواب بيته لعقد اجتماعات ليلية تتلى فيها الكتب المقدسة فيحضرها رجل مسلم من القرية المذكورة . فسأل القاضي الياس الصفوري بحضوري بأية سلطة يجتهد لاضلال المسلمين ويسمح لمسلم بحضور اجتماعهم للصلاة . فاجابهُ بأنهُ يفتح بابه لكل من يريد أن يأتي اليهِ من تلقاء ذاتهِ على مسؤوليتهِ الخاصة وانهُ لم يجبر أحدًا على المجيء اليهِ وتغيير مذهبه ولم يطرد امرءًا من داره

وحينئذٍ كلمهُ القاضي بلهجة ملؤها الوعيد قصد ارهابه قائلًا لهُ : ان كل مسلم يعتنق الدين المسيحي يُقتل وفقًا لاحكام الشريعة المطهرة وتلقى التبعة على من يفسد مذهب المسلمين . فاخذت باطراف الحديث وقلت : اني وان كنت غير محيط علمًا بدقائق المسألة فلا احاول تحقيقها لتبرئة الياس وانما اذكّر القاضي بأن جلالة السلطان كتب فرمانًا يولي كل فرد من تبعتهِ أن يدين بما أراد بحيث يحق لكل من شاء تغيير مذهبه عن اعتقاد ان يفعل وانما يحظّر اجباره على جحد دينه . فاجابني القاضي بكل احتقار : « ان السلطان يأكل بطيخًا أصفر » وهي عبارة عاميّة معناها ان السلطان يتكلم عن عجزٍ أو عن عدم فطنة وفهم . فونبت القاضي على ما بدر منهُ فاعاد كلامه مردفًا « على مأموري جلالته ورعاياه أن يقتصروا على الرضوخ لاوامره اذا كانت مطابقة للشريعة » فقلت لهُ اني سأخبر بهذه الحادثة . وقد فعلت الان لتكونوا على بيّنة من الامر

(عدد ٢٩ ص ٢٧ ـ ٢٨)

١٦٦ — مور القنصل العام الى الكونت دي ملمسبوري عن بيروت بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٨٥٨

اتشرّف فانبئكم ان قد وصل إلى بيروت هذا الصباح جمهور غفير من اللبنانيين يربو على الفي رجلٍ لرفع شكاويهم إلى عطا بك سائليه بالحاح ان يستقدم الامير بشير أحمد القائم مقام المسيحي إلى بيروت ليسمع شكاويهم عليه . ويُنتظر وصول جمهور آخر اليوم . فتلقى المعتمد الشاكين واملّهم خيراً (عدد ٣٠ ص ٢٨)

١٦٧ — ومنه اليه بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٨٥٨

اني عطفاً على رسالتي السابقة بخصوص الحركة على القائم مقام المسيحي اتشرف فانبئكم بانه بعد انفاذ رسالتي المؤرخة في ٢٥ الجاري جاء بيروت جمهور آخر من الشاكين فاربى مجموعهم على خمسة الاف رجل منذ وصول عطا بك إلى هنا وينتظر قدوم آخرين من زحلة وشمالي لبنان في هذا الاسبوع وسترسل مدينة زحله وحدها ستماية شخص . ورغماً عن هذه المظاهرات فان عطا بك يؤجل استدعاء القائم مقام إلى بيروت لكنه يعدُ بذلك كل وفدٍ بمفرده دون تعيين الموعد . وقد قال المعتمد المشار اليه لي ولغير واحد فور وصوله إلى بيروت انه لدى تلقيه شكويين أو ثلاث واضحة يستدعي القائم مقام الى بيروت لاستجوابه عنها . بيد انه ولئن كان رفع اليه خمسون عريضة شكوى في امور هامة ما خلا العرائض الاجماعية التي سبق ارسالها إلى الباب العالي منذ ستة اشهر — وقد ارسلت ترجمتها في حينه ضمن رسائلي إلى وزارة الخارجية وسفارة جلالتها في الاستانة — لم يبرّ المعتمد العثماني بوعده . وقد صرّح موقعو العرائض ان شكاويهم على القائم مقام بشير احمد لعديدة بيد انه طالما تسمح الحكومة له بمعاطاة الشؤون كقائم مقام في الجبل فانهم يرفضون رفع

عرائض الشكاوى الجديدة عليه ثقة بانهم اذا ما واصلوها يلاقي ناصرًا ومعينًا كما في السابق من الحكومة التركية ومن المراكز التي تستعمل نفوذها لتعقيد ربقة المسائل واحباط غاية التحقيق. ان الشكاوى التي رفعها المتظلمون إلى المعتمد العثماني يُقصد بها امتحان صدقه وقد جهروا امس امام المجلس بانهم يحجمون عن رفع شكاوى جديدة إلى ان يُستدعى القائم مقام للمرافعة معهم . ولذلك توقفت المسألة الان ويظهر ان الغرض من تأجيل التحقيق هو تزييد الخلافات في الجبل بحيث يعم الضرر . وقد اقتصرتُ على استلفات نظر عطا بك الي هذه المسائل باسلوب لطيف لكني لم احصل منه على غير وعود مبهمة وكلامه يشفّ عن رياء (عدد ٣١ ص ٢٨)

١٦٨ – وضه اليه بتاريخ ٣ تموز سنة ١٨٥٨

اني تعليقًا على رسالتي المؤرخة في ٢٩ المنقضي اتشرّف فانبئكم ان الحالة لم يعترها تبديل منذ ذلك الحين سوى ان عطا بك يطلب الان الى الامير بشير عساف حضوره الى بيروت وقبل مجيئه لا يبدأ بسماع الشكاوى المرفوعة على القائم مقام المسيحي وقد سألني بطريقة ودية ان استعمل كلمتي النافذة لاقناع الامير المشار اليه بالمجيء إلى بيروت واعدًا باعطائه ورقة تأمين ترسل اليه بواسطة القنصلية

ان الامير بشير عساف والامير مراد وانسباءهما رغمًا عن تأمينات الحكومة ووعدها بعدم مسهم سألوني ان اتوسط فاستحصل لهم ورقة التأمين هذه خشية من الخداع . ومما زاد في هذه المخاوف وصول بارجة حربية تركية حديثًا ورسوها في بيروت . وعليه قد جاريتُ المعتمد العثماني والامراء معًا فيما يريدون بغية قطع كل حجة لعطا بك في عدم اجراء التحقيق في الشكاوى المرفوعة على القائم مقام إذ على هذا التحقيق يتوقف اتقاء نشوب الحرب الاهلية في لبنان

ومن الجلي ان الحاح الحكومة التركية بحضور الامير بشير عساف الى بيروت

وجعله شرطاً اساسياً يتوقف عليهِ ملاحقة التحقيق في الشكاوى المرفوعة من الف شخص خلاه لدليل على ما تستر من المقاصد . وهذا برهان آخر على ان ليس في نيتها ان تتصرَّف بهذه المسألة بنزاهة وصدق وارجح ان الحكومة تنوي ان تقلل من أهمية هذه المسألة وان تظهرها بمظهر عداء شخصي بين الاميرين بغية تذنيبهما فيما بعد وايقاعهما في حبائلها . وبعد ان تكون لعبت بهما على هواها تعين على لبنان حاكماً تركياً .
(عدد ٣٢ ص ٢٩)

١٦٩ ـ القنصل جمس فين الى الكونت دي ملمسبوري عن القدس بتاريخ ٨ تموز سنة ١٨٥٨

تلقيت الان اخباراً عن فتنة جدّه وحوادث القتل فيها وقد قرأت حديثاً في جريدة « الجمين زيتون » تفاصيل الثورة في اكريت وما وقع من الاهانات في بلغراد . وكل هذه الحوادث عليها مسحة سياسية. فاصبح من الضروري ازاء مثل هذه الحوادث ان اخبر سيادتكم بامور ما كانت لتستحق الذكر في غير هذه الظروف ولاسيما ان عدد الدراويش متوفر في مدننا وهم يتفوهون بكلامٍ يشف عن التعصب ويقومون بمظاهرات وهم عراة تقريباً

وقد رأيت ان التسامح مع هؤلاء القوم ـ وهم مبغوضون عادةً من جميع الاهالي السنّيين في هذه الجهات نظراً لكونهم نصف ملحدين في مذاهبهم وقد اثاروا الاسلام عليهم في اورشليم بسبب عقائدهم الدينية ـ بالذهاب والآياب لا يخلو في عرفي من قصد سياسي خطير

ان أحد سائقي الجمال السذج وهو بدوي يشتغل بنقل الملح من البحر الميّت قد اكد في الاسبوع المنقضي الى المستر ميشولام ان البلاد لا تخص سلطان تركياً لانهُ منح المسيحيين امتيازات مضادة للشرع وعليه فلا بدَّ لسيوف المؤمنين الصادقين

من أن تدنّس بدم المسيحيين

ولمّا كنت لم افتر في مدة استخدامي في الشرق عن بذل ما في طاقتي لعضد السلطة التركية وانهاضها وبسط الحوادث بشكل موافق لهذه الغاية واحسبني من المتفائلين خيرًا غير المتشائمين فلا اميل إلى القول بوجود علاقة بين هذه الحوادث وتلك الفتن. على اني لو اغفلت ذكرها اكون قصرت بما يجب عليّ لانهُ يخشى ان تؤول مظاهرات الدراويش إلى خطر إذا ما انضمت اليهم سائر عناصر الاضطراب الموجودة خارج المدينة. ومع ذلك لا يمكنني في الوقت ذاته ان اعترف بزوال الخطر إلاّ متى شاهدت البلاد تتدرج في مراقي الزراعة بقدر ما زيدت الضرائب السلطانية ورأيت الفلاّحين يرتدون اثوابًا أحسن من ذي قبل

هذا وان الباشا يشتغل بجدارة ونشاط بقدر ما تسمح لهُ وسائله الضعيفة.

(عدد ٣٣ ص ٢٩)

١٧٠ -- صورة الفصل العام الى الكونت دي ملمسبوري عن بيروت في ١٧ تموز سنة ١٨٥٨

اتشرف فانبئكم بان عطا بك عمد اخيرًا إلى السلوك في الطريق القويم فانهُ بناء على الحاح الشاكين من القائم مقام المسيحي أعلنهم اعتزامه على غلّ يده عن مداومة وظيفتهِ إلى ان ينصفوا. انمّا لمّا كان قد حان موعد جباية يوركو الاراضي السنوي انفذ خورشيد باشا أمرًا الى القائم مقام مشددًا عليهِ بجباية الاموال الاميرية (الميرة) غير حافل بالاضطراب السائد في البلاد وبتنبيهات الشاكين المتكررة. وعندما بلغ الاهالي خبر هذا الامر احتجوا بلهجة قوية لدى خورشيد باشا وعطا بك على تنفيذه واقترحوا في الوقت عينه ان يدفعوا « الميرة » الى خزينة بيروت أو الى مأمور خاص يعهد اليهِ بجمعها

فارتبك خورشيد باشا من هذا الاحتجاج وطرح المسألة على بساط ابحاث مجلس الايالة فرفض اعضاؤه ان يتحملوا مسئولية الموافقة على اوامر دولته

وكان ان استأنف معتمدو الشاكين شكواهم فاجابهم عطا بك بكل جلاء: إذا كان القائم مقام لا يستعيد جباة الاموال فلهم عملًا باوامر الباشا ان يطردوهم من القضاء ويهاجموا الامير ويخرجوه من لبنان

ثم ارسل عطا بك اليوم امرًا إلى القائم مقام موعزًا اليه باسترجاع جباة الاموال وبألاَّ يعمل باوامر خورشيد باشا إلى ان تصله تعليمات جديدة. فيظهر مما تقدم انه اقنع المشير بالرجوع عن امره. وقد وجه ايضًا إلى الاهالي نشرة مظهرًا لهم ما استقر عليه رأيه. وبناء على هذا تأخر نشوب الحرب الاهلية كثيرًا

وقد اعتذر المعتمد عن تأجيل استدعاء القائم مقام إلى بيروت للمحاقة والمرافعة بما لقيه من معاكسة خورشيد باشا وجهر بانه ينتظر ورود اوامر من الاستانة (عدد ٣٥ ص ٣٠ – ٣١)

١٧١ – مور القنصل العام الى الفيس اميرال فنسهو عن بيروت بتاريخ ٢٢ تموز سنة ١٨٥٨

اتشرَّف فانبئكم بوصول رسالة سعادتكم المؤرخة في اول الجاري وبها تخبرونني بتعيينكم قائدًا عامًّا لقوات جلالتها البحريَّة في البحر المتوسط. ثم استأذنكم فاعلمكم بأن الكوائن التي وقعت في يافا وجدَّة وفتنة غزَّة قد أحدثت طبعًا هياجًا في المسلمين عمومًا ممَّا يثير في النفوس شديد القلق. وعلى كلٍّ فان المدن التي معظم سكَّانها مسيحيون هي فائزة ببعض الامن بالنسبة الى المدن الكبيرة في داخلية البلاد كدمشق وحلب والى المدن الواقعة على شاطيء البحر وهي عرضةً في كل آن لهجوم المسلمين على المسيحيين والاوربيين المقيمين بها

ونظرًا لهذه الحالة اسأل بالحاح ان يُرسل بعض البوارج الانكليزيّة إلى المواقع المذكورة لصون حياة الرعايا الانكليز المقيمين في سوريا وأملاكهم لدى الحاجة . ان التأثير الادبي لوجود بارجة حربية من شأنهِ أن يكبح كثيرًا من جماح التعصب الاسلامي ويخمد من ثورانه ويوجد الان هنا سفينة حربية فرنساويّة تدعى « شابتال» ومركب حربي تركي . (عدد ٣٦ ص ٣١)

١٧٢ – الفصل فبن الى الكونت دي ملمسبوري عن القدس في ٢٠ تموز سنة ١٨٥٨

حدث بعد انفاذي الرسالتين السابقتين في ٨ الجاري إلى سيادتكم ان هجمت جماعة من المسلمين المتعصبين على الكنيسة المسيحية للروم الارثوذكس في غزه بحجة أنهم لم يطيقوا احتمال مشاهدتها مطليةً بالجير ومعادًا دهنها فاضروا بها وبالمدرسة اللاصقة بها كثيرًا وكسروا النواقيس وهي بمقام الارغن تُطرق بمطرقة في الكنائس الشرقية وتستخدم مكان الاجراس لدعوة العباد إلى الصلاة

وقد ارسل الباشا القاضي والمفتي رئيسي الشريعة ينصحان غلاة الدين وعرض ان يذهب بذاته انما رأيت ان وجوده هناك يضر اكثر مما ينفع اذا لم يكن بامرته قوة كافية (وهي غير متوفرة لديه)

ان مطران غزه كان حاضرًا في المدينة اثناء الاعتداء وهو يقيم عادةً في القدس (عدد ٣٧ ص ٣١ ـ ٣٢)

١٧٣ – تذكرة فورشيد باشا وعطا بك بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٨٥٨ و٩ ذي الحجة سنة ١٢٧٤

انهُ نظرًا لما قد تحقق لنا من انقسام أهالي القائم مقامية المسيحية الى حزبين أحدهما راضٍ عن سعادة الامير بشير أحمد قائم مقامهم والاخر مستاء منهُ كتب

يورلدي شريف آمرًا باستدعاء الشاكين إلى بيروت وفقًا للاصول وقد جاءها قسم من الشعب . على انهُ لوحظ ان الذين يتظلمون من القائم مقام يؤكدون انهم يمثلون مجموع الاهالي كما ان الراضين عنهُ يدعون ادعاءهم . وبما انهُ لا بدَّ من أن يكون لدى أصحاب الاقطاعات معلومات صحيحة بهذا الشأن نظرًا لطريقة الحكم الجارية في الجبل وكان جلّ غرضنا ان نسلك وفقًا لترتيبات الحكومة السنية العادلة بالتحري عن حقيقة عرائض الشكر والشكوى تمييزًا بين صحتها وكذبها والبحث في بعض الشؤون العمومية فقد أرسلنا مرسومنا هذا الى جميع أصحاب الاقطاعات والامراء والمشايخ . وبما ان القائم مقام الموما اليهِ سيمثل لدينا فينبغي أن تبذلوا الجهد للمجيء الى هنا نهار الثلثاء في ١٦ الجاري ولا تدعوا سبيلًا للتأجيل بتغيبكم في ذلك اليوم ولاجلهِ حررت هذه الشقة . (عدد ٣٩ ص ٣٢ ـ ٣٣)

١٧٤ – الموسيو سكين قنصل انكلترة العام في حلب الى الموسيو البسوه
بتاريخ ٣١ تموز سنة ١٨٥٨ و١٩ ذي الحجة سنة ١٢٧٤

اتشرّف فانبئكم بحدوث بعض الهياج في مدينتنا في مدى العشرة الايام الاخيرة . فان خبري ثورة جزيرة اكريت ومذبحة جدّة وقد بلغا الى هنا في اثناء عيد الاضحى وتحريضات غير واحد من أعيان المسلمين الذين يعتقدون بأن الحكومة المحلية جارت عليهم بانتقاضها شؤونهم الخاصة قد أثارت العداوة بين السكّان المسيحيين والمسلمين وولّدت روح ثورة على الحكومة وخفّ الناس الى شراء الاسلحة والقذائف الناريّة حيثما وجدوها وشوهد فريق من الشبّان ذوي الريبة يجتمعون في الشوارع . وقد جاء السوق رجل يدعى بطرس الطويل من طائفة الروم الكاثوليك شاكّ السلاح وأخذ يحرض المسيحيين بأعلى صوته على مهاجمة المسلمين . وكان ان بعض هؤلاء الاخيرين أنذروا سرًّا أسر كريمة اوربية مرتبطة معهم بروابط

الصداقة بقرب حدوث مذبحة ونصحوها بالالتجاء الى محل امين اذا استطاعت الى ذلك سبيلًا . فازدادت المخاوف من جرّاء هذه الاشاعات . وفي خلال هذه المدّة تحوّط الباشاوات الملكيون والعسكريون بجميع الوسائل الممكنة لضمان السكينة في المدينة . فقُبض على بطرس طويل وحُكم عليهِ بالنفي وحُظر بيع السلاح والذخائر الحربية وعُهد الى ستمائة جندي مقسومين إلى ١٢ فصيلة قوام كل منها خمسون جندياً وعليها ضبّاط بالطواف في انحاء المدينة وجُمع أعيان المحلات المختلفة وأوعز اليهم ببذل جميع مساعيهم لتهدئة ثائر مجاوريهم فكللت هذه التدبيرات بالنجاح وتبدّدت غيوم القلق من الافكار

ومما يجدر بالذكر ان كره ابناء العنصر العربي في هذه الجهة من البلاد السوريّة للضباط الاتراك وجنودهم عموماً ـ وهم يعدونهم من خوارج المسلمين ـ ليس باقلّ شدة من تعصبهم ضد المسيحيين . ان حامية حلب لا يتجاوز عددها الفي جندي فلو حدث فتنة عظيمة كانت هذه القوة عاجزة عن اخمادها إذ يجتمع على كل جندي تركي نحو ثلاثين عربياً تختلف مهارتهم في استعمال السلاح وهم يحسبون كل جندي تركي كعدو لوطنهم . وزيادة عمّا تقدّم ربما كان للثوار تنظيم عسكري لانهُ يقال ان بقايا الانكشاريّة (يكي شهر) الذين كان يبلغ عدد المنخرطين معهم من حلب ٢٥ الفاً حين أُلغي هذا السلك في سنة ١٨٢٦ قد حفظوا اتحاداً سرياً فيما بينهم . فالحوادث الاخيرة التي بسطناها قد ولّدت كثيراً من الاشاعات في هذا الشأن كما انهُ يظهر ان المسلمين سكّان شمالي سوريا يعللون آمالهم بالانفصال عن جسم السلطنة العثمانية وتأليف دولة عربية جديدة تحت سيادة شرفاء مكة . ومهما يكُ من الامر فمن الواجب ان تعزّز حامية حلب دون تأخير ولاسيما ان نتائج مذبحة جدّة ستكون على ما أُرجح سبباً بل فرصة لتأجج نيران التعصب الاسلامي . (عدد ٤٣ ص ٣٥)

١٧٥ – القنصل برانت الى الكونت دي ملمسبوري عن بلودان الشام في ٢ اب سنة ١٨٥٨

أرى انهُ يجب ان أُخبر سيادتكم بما كان لقتل قنصلي انكلترة وفرنسا في جدَّة من الوقع على أهالي دمشق. وقد وصف بعض المراسلين الدمشقيين المقيمين في البلاد العربية الحادثة وأسبابها بعبارات متفاوتة ما بين كثيرة الغموض أو أقل ابهاماً أو مبالغ فيها. على انهُ لم يبقَ لهذه الاخبار من أهمية منذ وقتم فسيادتكم على حقيقتها من الانباء الرسمية الصادقة

ان طبقات الشعب الجاهلة تظهر بعض الارتياح لما عومل بهِ « الكفَّار » الذين يدنسون مدينة مقدَّسة كهذه بوجودهم فيها على انهم يتكتمون في اظهار عواطفهم هذه مقتصرين على ابدائها في مجتمعاتهم الخاصة وقليلًا في القهاوى. وفي الحقيقة ان بعضهم كان قد ارتأى طرد القناصل الاوربيين والمسيحيين من دمشق بحجة ان قد قُتل قنصل في مرعش ولم يُعاقب قاتلوه. وقد حسبوا غلطاً احد موظفي مصلحة النقل برًّا هناك قنصلًا ولم يبلغ الشام خبر نتيجة القبض على الجناة. واذكر اني لمَّا أخبرتكم وانا في ارضروم عن حادثة القتل في مرعش أبنت وجوب سرعة انزال العقاب الشديد في مقترفي الجريمة وقلت انهُ الدواء الوحيد الضامن عدم تكرارها ان خبر معاقبة مقترفي هذه الجريمة في مكان بعيد كهذا منذ مدَّة طويلة لصعب الانتشار في المدينة ذاتها فكيف بالتي تبعد عنه ولذلك تفقد العبرة المرجوة من القصاص

ان خلاص الاوربيين والمسيحيين الوطنيين يتوقف كثيرًا على رسوخ الاعتقاد في العقول بان كل اعتداء عليهم يلاقي عقاباً اكيدًا شديدًا وان كانت الحكومة المحلية لاتقوى غالباً على ايقاف انفجار التعصب الاسلامي. ومن ثم اذا كان خبر العقاب لا يُعرف بسهولة فانهُ يفقد حسن تأثيره وتضمحل معه أقوى ضمانة يملكها

الاوربيون على طمأنينتهم

ولقد افتكرت ان من الحكمة ايقاف الباشا بواسطة ترجماني على ما هو جارٍ بين طبقات الشعب السافلة وسؤاله عمَّا اذا كان يستحسن اتخاذ وسائل احتياطية في خلال العيد اتقاء انفجار بركان التعصب الاسلامي على المسيحيين. فشكر لي دولته وتذرع محتاطاً لهُ فزاد عدد الضابطة وراقب الاشخاص المعروفين بنزوعهم إلى القلاقل. واني اسرُّ بأن اقول لكم انهُ انقضى العيد بتمام الهدو

لكني أسف ان اكون مضطرًّا الى انبائكم بان جميع أرباب الحكومة يأخذون رشوة جهارًا غير مستترين ولا يولون أحدًا منصبًا بغير بدَل مالي يوازي ما يرجح امكان جمعه من ابتزازهم أموال الفلَّاحين المساكين

فلقد حدث انهُ بعد أن أنفذ شخص بقوة كبيرة من الفرسان الى حوران لتوطيد الراحة فيها جرى عزله فأبى الانقياد معلنًا انهُ نال منصبه بالرشوة فلا يريد ان يتركهُ. وهذه حادثة من عدة حوادث من هذا القبيل وهي كافية للاستدلال بسهولة على سقوط حرمة الحكومة وهيبتها وسيادة شبه الفوضى في البلاد. (عدد ٤٠ ص ٣٣)

١٧٦ – ومنه ايضاً في ٣ اب سنة ١٨٥٨

كتبت لكم غير مرة عن حالة حوران واقتتال العرب فيها. ولي الشرف ان انبئكم الان بأن قبائل ولد علي والرولا بقيادة زعيمها محمد الدوخي وفيصل الشعلان قد اقتتلا مرتين واسفر عراكهما عن خسارة خمسمائة رجل تقريباً. ويقال ان محمد الدوخي كانت خسائره في هذه المعارك اعظم من خسائر خصمه وانه تراجع لجهة ايالة صيدا لجمع قواه فانضمَّ اليهِ عُقيل آغا وبامرتهِ خليط من شرّد قبائل عديدة ومن بعض الدروز والمتاولة. اما فيصل شعلان فقد انضمَّ اليه بعض دروز حوران ومحمد سعيد آغا شمدين وهذا كان عيَّنه باشا دمشق قائدًا لقوة من الفرسان

الغير المنظمة لحفظ الراحة في حوران . بحيث كان يتوقع حدوث اقتتال عظيم بين زعيمي القبيلتين العربيتين . أمَّا الدروز فمقسومون إلى قسمين وكل منهما في جهة احدى القبيلتين المتعاديتين على انهُ من المرجح انهم لا يشتبكون في قتال دام مع اخوانهم . لكن سياستهم ستكون انضماماً الى الظافر بحيث يكتسبون حليفاً قوياً اذا ما شاءت الحكومة ان تهاجمهم وبهذه الوسيلة ينهبون الحزب المغلوب غير خائفين قصاصاً . ويقال ايضاً ان الدروز يتفاوضون فيما اذا كانوا يرسلون عريضة الى الباشا طالبين الى دولته أن يمدّهم بحماية فعَّالة من اعتداء العرب على انهُ اذا ما عجز عن اظلالهم بحمايتهِ فيضطرون الى دفع الضرائب الى هؤلاء ليكونوا بمأمن من غزواتهم

ان حالة هذه البلاد التعسة لمضطربة شديد الاضطراب إلى حدٍّ يتعذر عليَّ معهُ ان اتصوَّر امكان تعزيز الحكومة سلطتها فيها طويلاً أو استطاعتها على جمع دخلها . حتى اذا لم تتبدَّل طريقة الحكم فيها حالاً وتماماً كان لا مناص من احد أمرين أو فوضى عامة أو ثورة كبيرة . (عدد ٤١ ص ٣٣ ـ ٣٤)

١٧٧ — مور القنصل العام الى الدوق دي ملمسبوري وزير خارجية انكلترة عن بيروت بتاريخ ٥ اب سنة ١٨٥٨ و٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٧٤

ان مسألة تبديل القائم مقام المسيحي في لبنان وقد كنت ارفع اليكم بياناً عنها في كل بريد قد دخلت اليوم في طور جديد بحيث اراني مضطرًّا الى طلب تعليمات سيادتكم بهذا الصدد

أجل ان المسألة تتعلق بالادارة الداخلية بيدَ انهُ لمَّا كانت سفارة جلالة الملكة لدى الباب العالي قد مالت في بدء الحركة الى الشاكين وكان عطا بك مندوب الباب العالي قد أرسل الى لبنان بطلب السفارة المشار اليها للتحري عن هذه الشكاوى فلم يكن من بدٍّ للشعب أن يلتجيء اليَّ طالباً عضدي ومشورتي للقطع في هذه المسألة

أمّا الان فان عطا بك اتحد مع خورشيد باشا والامير بشير احمد واصبح من الجلي انهُ لا يعدل في هذه المسألة . فان سلوكه حتى الان قد برهن على انه استقرّ رأياً مع المشير على ابقاء الامير في مركزه مهما كلف ذلك وهو مع تظاهره بالبحث في الشكاوى يساعد خفيةً التدبيرات المعوّل عليها لبلوغ هذه الغاية وفيها من اللباقة والدهاء بقدر خلوها من الشرف . فقد انقضى شهران على وصوله الى بيروت ولا تزال المسألة كما هي لم تخطُ خطوة إلى الامام . واني لآسف ان تضطرّني الحال إلى أن اقول ان المندوب العثماني قد أخلف غير مرة وعده وعهوده معي ومع الشاكين كلما بلغ غرضه من تلك الوعود حتى ان مسألة جباية المال الاميري وقد خدعت بها وامتدحتها في رسالتي الاخيرة المؤرخة في ١٧ تموز لم تكن سوى ذريعة لادراك غرض مقصود

ولا شك انهِ يسهل على دولتكم ان تفقهوا كنه مقاصد خورشيد باشا وعطا بك من منطوق البيورلدي الذي أرسلت صورته اليكم ضمن رسالتي المؤرخة في ٢٣ تموز وبهِ يستدعيان أصحاب الاقطاعات للحضور الى بيروت لفحص المسألة ففي هذه النشرة قد استقدما المقبين « بالمتشكرين » أو الراضين للمثول مع الشاكين مقدمين الاولين على الآخرين . وقد تعذر عليَّ معرفة الغرض من استدعاء المتشكرين حتى لو امكن نسبة نيّات حسنة إلى عطا بك وهو لا يتعاطى أمرًا إلاّ مع حزب الراضين القليل العدد وقد تمكن من جمعه مهملًا الشاكين مع انهم الوحيدون الواجب عليهِ مفاوضتهم . ومن جهة أُخرى فالقائم مقام المسيحي وقد زادته معرفته بحسن استعداد عطا بك والباشا لمساعدتهِ عمد الى استعمال وسائل العنف والجور لاخماد انفاس الحركة الموجّهة ضده فهو يسلح بعض نفرٍ ويشرهم على الطرقات العمومية لقطع الطريق بالقوة على الشاكين الآتين الى بيروت لعرض ظلامتهم . وعلى هذا فالشعب يلجأ بي يوميًا مستغيثًا . ومن ثمه فاني اجسر على طلب تعليمات سيادتكم في

المسائل المبسوطة في بدء رسالتي هذه لاعلم ما يجب عليَّ ان اقولهُ للاهلين وفيما اذا كنت مفوضاً بأن اوْملهم في مساعدة أخرى من قبل حكومة جلالة الملكة أو اذا كان عليَّ ان اقنطهم من عضدها . (عدد ٤٢ ص ٣٤ ـ ٣٥)

١٧٨ – من القنصل فين الى الكونت الثار ابه عن القدس في ١٩ اب سنة ١٨٥٨

اتشرف عطفاً على رسالتي المؤرخة في ٢٠ المنقضي فانبئكم بان صاحب الدولة ثريا باشا ذهب بذاته حالاً بعد هذا التاريخ إلى غزه وارسل إلى سجن القدس جميع الاشخاص الذين يؤلفون مجلس المدينة هنا تقريباً . بيد ان المفتي وهو العدو الاكبر لم يُقبض عليه والباشا باقٍ هناك ساكناً . بيد انهُ إذا كان المقصود من كل هذا تفنن في ضروب السياسة لاتقاء استعمال القوة فانما هو امتحان لا يخلو من المخاطر لكني لا اشك في نجاح الوسائل الاخرى وقد اعتادت السياسة التركية ان تلجأ اليها زرعاً للخلاف بين الاصحاب والاشياع وعلى كلٍ فهي مسألة انتظار وطول اناة

قد اقترفت جناية في شارع غزه واول ما عرفناها من مشاهدتنا ثلاثين شخصاً من اهاليها داخلين اورشليم مصفدين بالاخشاب

ان مسيحيي هذه المدينة باقون فيها وهم قيد الجزع الشديد حتى ان احد موظفيَّ لم يخاطر بالخروج من بيته منذ بضعة اسابيع

ان ترجماني اليهودي وصل إلى هناك بعد مرور بضع ساعات على حادثة ٢٠ المنقضي وقد كان قصدها مع أشجع قواسيَّ لغرض آخر فـذعر المسلمون من ذلك لاعتقادهم انهُ لم يأتِ من اورشليم إلاَّ بمعجزةٍ او لسبق معرفتي بمـا يضمرون من الشر . وقد استقبلهُ مطران الروم في داره وتوفر على اكرامه غاية الاكرام بغية التقي بحمايته فمكث هناك عدة ايام واخيراً ذهب الى اشغاله في حبرون

ان مسيحيي غزه لم يجسروا على كتابة تحاريرٍ ومثلهم المسلمون حُرموا

معرفة ما هو جارٍ الان هناك . (عدد ٤٤ ص ٣٦)

١٧٩ – القنصل برانت الى الكونت الموصا اليه عن بلودان الشام بتاريخ ٢٨ اب سنة ١٨٥٨

اتشرّف فانبي سيادتكم بأن خبر اطلاق المدافع على جـدّه قد خفض من هياج المسلمين اما الحكومة فرأت من الحكمة أن تنفي هذا الاعتقاد من نفوسهم بدعواها ان الخبر لم يبلغ اليها لكنهُ انتشر حالاً في كل انحاء المدينة ويرجح انه لم يبقَ أحد يجهله بعد وصول البريد . واظن ان السكينة لا يضطرب حبلها اذا لم يعرض سبب جديد هام تلاقي الحكومة صعوبة في ازالتهِ لان الوالي واهن العزيمة والمشير على ما يظهر غير واثق بجنوده وانقيادهم اليهِ فيما لو استدعاهم لقمع فتنة الاهالي المسلمين . (عدد ٤٦ ص ٣٦)

١٨٠ – مرور القنصل العام الى الكونت زانه في ١٤ ايلول سنة ١٨٥٨

اتشرّف فاخبر سيادتكم بأن الامور في هذه البلاد على غير ما يرام . فانه خلا حوادث القتل الافرادية التي وقعت هنا وهناك فقد ذبحت منذ اسبوع عائلة بكاملها في قرية تبعد بضع ساعات عن بيروت فالقتلة هم دروز والقتلى مسيحيون وذلك ثأرًا من رب العائلة المذكورة لقتله على ما يظهر منذ خمس عشرة سنة درزيًا دفاعًا عن نفسهِ . وقد احاط القتلة بالبيت عند العشية بينا كانت العائلة تتناول طعام العشاء فدخل بعضهم وقتلوا الاب وامرأته وولدهما وضيفهما وهو خطيب ابنتهما وقد حاول ولدهما الفرار فقُطع إربًا إربًا

ان ضعف الحكومة المحلية لبالغ منتهاه ولاسيما تجاه الجبليين بحيث لا امل بتسليم الجناة للعدالة . ومن ثمّ فقد كان لهذا الحادث وقع عظيم بين مسيحيي لبنان عمومًا .

وآخر ما اتصل بي من هذا القبيل انهم عقدوا اجتماعاً في مكان قريب من محل وقوع الحادثة اتفاقاً على وسائل الثأر المنيم من هذه الجناية وانهم ارسلوا انذاراً إلى مرتكبيها مستنزليهم إلى ميدان القتال فلم يجدوهم في قراهم

ان الطرق في بعض الجهات غير امينة بالمسافرين والتجار. واذا ما استعملت كلام التجار اقول ان الاحوال غير ناجحة. اما ضعف الحكومة الاجرائية وارتشاؤها لعظيمان بحيث انه من المحال استحصال دين او تنفيذ حكم قضت بهِ المحكمة التجارية. ويكفي ان يفرّ المديون او المحكوم عليه غيابًا إلى الجبل ليأمن فيه مدةً طويلةً طائلة النظام. وكثيرًا ما يلجأ المديونون إلى حيلة اخرى للتخلص من وفاء ديونهم فانهم يتواطئون مع احد الاشخاص او الادبار على بيع املاكهم منهم ثقة بعجز الحكومة عن استعمال الحزم أو الوسائل الاكراهية لاحقاق الحق وبسط رواق الانصاف. وقد بلغ تأثر التجار الاوربيين من هذه الحالة مبلغهُ وهم يتفاوضون لعقد اجتماع كبير تباحثًا في احسن الوسائل المؤدية إلى اصلاح هذ الخلل. ومن الفضول القول ان هذه الحالة ستوقف دولاب التجارة (عدد ٤٧ ص ٣٧)

١٨٣ — ومنه ايضاً بالتاريخ ذاته

اتشرف فانبئكم بان حالة لبنان لم تتحسن منذ كتابي السابق انما جرى تبديلان اولهما تعيين وكيل عن القائم مقام اثناء التحقيق المزعوم في سلوكه دون كف يده عن العمل وفقًا للبند الـ ١٦ من تنظيمات السلطنة. وقد عهد بهذه الوكالة إلى الامير حسن بللمع من انسباء القائم مقام ومن اشد انصاره. وهو خالٍ من كل صفة تؤهله لهذا المنصب جدارة وهيبةً ولاحاجة بي إلى القول ان انتقاء الامير المشار اليه في الظروف الحاضرة قد لاقى استياءً عامًا

ثانيهما. اعتماد الحكومة على فصل الامير بشير عساف عن منصب الاقطاعة وهو

عمل جائز بل انتقام لا يستحقه الامير بشير المشار اليه . وسأعود إلى هذا الموضوع في رسالةٍ اخرى

وفي خلال هذه الحوادث يوافق عطا بك على اراء الباشا كافة اما انه لا يستطيع غير ذلك واما انه يريد ان لا يستقل بالعمل وفي الحقيقة انه عدم (صفر) . ويصعب الافتراض ان الاستانة ترسل معتمدًا خاصًا لهذه المسألة فقط (عدد ٤٨ ص ٤٧)

١٨٢ — القنصل غباط الى صور القنصل العام عنه بافا في ١٠ ايلول ١٨٥٨

يسرُّني ان اخبركم بان ايوب بك (وهو الذي عرض جمع جمهور من السوريين للخدمة العسكريّة في الهند) قد توفق إلى اكتشاف قتلة العائلة الاميركية هنا. فانهُ وجد أمتعة المستر ديكسون مخبوءة في حديقة تحت انقاض دار اصطياف المستر فيليبر ومخبئها معاون بستاني المستر المشار اليهِ ومنه اهتدى الى القتلة فاعترفوا بجريمتهم. فكلنا ألسنة شاكرة لايوب بك تأديته هذه الخدمة العظيمة للعدالة والجمهور ليس فقط بالنظر الى المقتولين والى شرف اميركا بل لانقاذه حياة ثلاثة أشخاص ابرياء . وقد أيّد هذا الحادث ما طالما جهرت به وقاله لي ايوب بك غير مرة وهو ان الاشخاص الذين حكم عليهم المجلس وارسلهم الي بيروت ليسوا بالجناة الحقيقيين ما خلا ابا عيطا . ثم ان خلو نهج القائم مقام والمجلس في هذه الدعوى من كل تدقيق قد زاد هذا الاعتقاد في فكري رسوخًا . وقد اصبح الان كل شيء جليًّا بفضل ايوب بك . فالجناة هم خمسة : أبو عيطا الموجود في بيروت وآخر يدعى أبو غزال في المدينة المذكورة ايضًا وثلاثة هنا وهم : ابن ابي جربوع وزنجي من نوبيا ومصطفى العترة بستاني المستر فيليبر وكان هذا يسقي الارض ويحرس الحديقة ليلًا فاعترف بالجناية وكشف سرّ تفاصيلها وأتى بالامتعة المنهوبة من المنكود الحظ المستر ديكسون وعائلته وقوامها قمصان وادوات متنوعة وملاعق وخلافها كانت في الرزم المطمورة في ارض

الحديقة . ومصلحتنا جميعاً الان تقضي بأن يتم اعدام القاتل هنا لازال الرعب في قلوب الاشرار كما نود جميعاً ان نسمع بأن ايوب بك قد كوفيء على ما قام بهِ من العمل الجميل وكلنا نرجو ان ينظر الباب العالي الى اخلاص المسيحيين وقيامهم بواجبهم بكل نزاهة ونشاط متى اسندت اليهم الحكومة مناصبها . ان ايوب بك وهو مسيحي اكتشف في مدة اسبوع أهمّ حادث يترتب عليهِ الحياة والموت فيما ان القائم والمجلس عجزا أو لم يريدا كشفه في مدة ستة أشهر فحكما ظلماً بالموت على ثلاثة أشخاص يعرفان براءتهم ولو لم يهتدِ ايوب بك الى معرفة المجرمين الحقيقيين لتمّ شنق هؤلاء الاشخاص الثلاثة . فواسفاه على هذه الحالة . وقد رجاني ايوب بك ان اجري ذكره عندكم واني لمبتهج باخلاصه لنا وللاميريكيين وبايجادنا فيهِ نصيراً للحق . ان جميع الجناة المذكورين أنفاً لمسلمون

ملحق : اتصل بي الان خبر قتل الآنسة كريزي من القدس

١٨٣ – الفصل فين الى الكونت دي ملمسبوري عن القدس في ١٤ ايلول سنة ١٨٥٨

اتشرف فانبئكم بان عرب الطياحه في جنوبي غزة اشتبكت في معركة كبيرة منذ رجوع الباشا فكانت خسائر الفريقين عظيمة وان بني صخر من سهل عسقلان ومعهم قبيلة الهنادي من شمالي طبريا قد غزوا قضا نابلس انتصاراً لفريق كبير من أسرة طوقان على اسرة عبد الهادي المعادية لها فدارت الدائرة على هذه الاخيرة مع انها متقلدة زمام الحكم من الحكومة التركية في مدينة نابلس وفي سائر المدن الصغيرة

وهذه الحوادث جرت على بعد خمسة وثلاثين ميلاً منا لكننا لم نتمكن من معرفتها إلاّ اليوم كما لو كانت حدثت في احدى ولايات السلطنة القصية وذلك لسبب الحاق نابلس ونواحيها عاماً أول بايالة بيروت . وهذا الالحاق سيضايق أيضاً المسافرين الذين سيجتازون هذا القضاء . (عدد ٥٠ ص ٣٩)

١٨٤ – من القنصل العام الى الكونت دي ملهبورن بتاريخ ٢٩ ايلول سنة ١٨٥٨

اتشرف فانبئكم بان الباشا بدل اراءه في مسألة القائم مقام المسيحي في جبل لبنان فقد ارسل دولته يقول لي انه اذا ما ثبتت الشكاوى على الامير المشار اليه فانه يعزله حالاً واذا لم تثبت يبقيه في منصبه مدة قصيرة نحو شهرين حفظاً لهيبة الحكومة ويكتب الى حكومته بوجوب عزله لعدم جدارتهِ لتولي هذا المنصب. وعليهِ أرى من الخطر اعادة الامير الموجود الان في بيروت الى استلام ازمة القائم مقامية في لبنان ولو الى المدة القصيرة المذكورة انفاً. هذا وما كان سُكت عن رجوعه في المرة الاولى لولا تذرعي بكلمتي النافذة على مقاوميهِ منعاً لاتيانهم ادنى مقاومة

وقد اتصل بي الان ان دولته استدعى الشاكين من الروم وهو ينوي ان ينظر في شكاويهم غداً . (عدد ٥٣ ص ٤١)

١٨٥ – القنصل فين الى الكونت دي ملهبورن عن القدس في ٢٩ ت ١ سنة ١٨٥٨

اتشرَّف فانبئكم بان الاقتتالات الحديثة التي شبت نارها بين القبائل البدويَّة في قلب بلاد فلسطين عقبتها انتقامات كنَّا نتوقعها من الطرفين

ان بني صخر الذين فقدوا زعيمهم الشهير رباح ارسلوا فريقاً من النساء المعولات على جمالٍ ليذعن خبر ما حلَّ بهنَّ من المصائب بين العرب النازلة في الجهة الشرقية فيما وراء نهر الاردن ويسألنهم عقد محالفة مع قبيلتهنَّ للاخذ بالثأر

اما المنتصرون عدوان وعبد الهادي فتابعون فوزهم بنهبهم قطعان الماشية فيما وراء قضاء نابلس حتى التي تُرى من يافا . وهذا حادث غريب اذ لم يسبق لقبيلة عدوان ان اقتربت من مدن الشاطيء مثل هذه المرة . هذا وعندي انهُ لولا فصل

الحكومة في السنة المنقضية نابلس عن ايالة القدس والحقاها بايالة بيروت خلافاً لموقعها الجغرافي لما كانت وقعت هذه الحوادث . وقد سمعت ان خسائر البدو في الثلاثة الاشهر الماضية تقدّر بثلاثة آلاف رجل هلكوا في حروبهم مع بعضهم على ما يستفاد من الاخبار التي بلغتنا بما فيهِ واقعة المزاريب قرب دمشق ومعركتا العربة وجنين وقد سبق لي ان اخبرتكم عنها . هذا خلا الاقتتالات بين قبائل عرب الطياحة قرب غزة وهذا التقدير مقصور على قبائل الاعراب القاطنة في بلادنا دون حرب الفلّاحين الناشبة بالقرب منا منذ ثلاثة اشهر في بلاد العرقوب فان خسائرها قد بلغت مائتي رجل . (عدد ٥٧ ص ٤٣ ـ ٤٤)

١٨٦ — ومنه ايضاً بتاريخ ١٢ ت ١ سنة ١٨٥٨

اتشرّف فانبئكم بأن المسيحيين الوطنيين في هذه المدينة يخشون كافة من انفجار بركان التعصب الاسلامي ضدهم . وهم مصيبون في خوفهم هذا ليس فقط بالنظر الى ما يتفوّه بهِ المسلمون من سبهم وشتم مذهبهم عند مرورهم في الاسواق وما يتظاهرون بهِ ضدهم ان في الشوارع وان في حوانيتهم بل لتوالي حوادث صغيرة لا يحصى عددها يخيل انها موجهة الى الغرض ذاته ثم لافساد الحكومة المركزيّة في حاضرة السلطنة روح التنظيمات وجريان مأموريها هنا على هذه الوتيرة

وقد سبق ان تشرّفت فانبأتكم بالثورة التي قامت على المسيحيين . وفي عداد الشكاوى التي احتجّ بها المسلمون دفاعاً عنهم ان المسيحيين يحدثون اضطراباً بعزفهم بموسيقاهم واناربهم الطرقات في حفلات اعراسهم . وهذه عادة متقادمة العهد في كل نواحي الشرق دون فرق في المذهب على ان المسلمين يقولون انه لم يعد في قوس اصطبارهم منزع . وبناءً على ورود اوامر من الاستانة (ويُظن ان الباشا طلبها) حرم دولته هذه العادة على المسلمين والمسيحيين ليس فقط في غزة بل في القدس

ايضاً وفي سائر النواحي التي لم يُشكَ منها . ومن الجلي ان المقصود من هذه الوسيلة ضبط الامن . بيد انه اتصل بنا ايضاً انهُ ستلغى عادات مستحكمة منذ الاف من السنين

وقد ابلغ أيضاً الباشا أوامر الباب العالي خطاً الى الرؤساء الدينيين لعدة طوائف لكنه اقتصر على ارسال قواسه لابلاغها شفاهاً الى رئيس الطائفة القبطية القليلة العدد. وكان منذ ثلاثة ليالٍ ان احتفل قبطيٌ بعرسه وجرى الطواف على وفق العادة القديمة لكن رجال الشحنة قبضوا على المحتفلين وسجنوهم وكان ان استُدعي ايضاً الكاهن وهو رئيس طائفته فسجن ليلة في السجن العمومي خرقاً للقوانين القديمة وللتنظيمات ومعه اهل العرس والموسيقيون. فالشعب المسيحي قلق من هذه الاعمال لاعتقاده ان الاوامر الاكثر موافقة في ظاهرها تخفر بحجة انفاذها بحق فريق آخر دون تشيع . ويقول: إذا كانت مجالي الحفلات العرسية ممنوعة فلماذا لم تمنع الحكومة طواف الدراويش المسلمين وهم يضربون الطبول ويدقون الصنوج ويصخبون ؟ ألم تقم الزينات على سطوح بيوت المسلمين منذ عدة ليالٍ احتفالاً بعودة الحجّاج من مكة ؟

وحقيقة الامر ان الخط الهمايوني وسائر النظامات المشاكلة لهُ غير مرعية الاّ في الندرة حفظاً للظواهر والمسلمون يؤكدون انه كلما أُعطي أمر بانتقاص امتيازاتهم فالاوربيون يؤوّلونه وفقاً لغاياتهم . على اني لا اشاركهم في توقع ثورة وان كان يخشى ان يحدث عن هذه الحالة ما يضرّ باحد الفريقين مما يوجب على الحكومة ان تتجرّد فيه عن كل تشيع . (عدد ٥٩ ص ٤٤ ـ ٤٥)

١٨٧ – صورة الفصل صدر الى الكونت دي ملمسبوري في ٢٧ ت ١ سنة ١٨٥٨

اتشرّف فانبئكم بانه قد حدثت منذ بضعة اسابيع قلاقل مهمة في جبال

النصيرية نشأت عن الوسائل التي تذرعت بها الحكومة التركية لاخضاع اهاليها النازعين الى الثورة وعن استيفاء الضرائب المتأخرة . ان الزعيم الاكبر في هذه الحركة هو اسماعيل خير بك الشهير وقد أثارت عليهِ الحكومة التركية الاهالي المسلمين في النواحي المجاورة . وفي الوقت ذاته أرسلت عليه منذ خمسة عشر يوماً قوة من اللاذقية قوامها ثمانمائة من الجند النظامي واربعمائة غير نظامي بين فرسان ومشاة فهاجمت اطراف بلاد النصيرية في حين ان قوة أخرى بقيادة مصطفى باشا زحفت من دمشق وهاجمتهم من جهة الشرق فاشتبكت القوات التركية والنصيرية في واقعتين فاز في الاولى الاتراك وفي الاخرى النصيرية

وقد غادر طاهر باشا امس بيروت ومعهُ ستون جندياً نظامياً وهم بقية حامية الموقع المذكور للانضمام إلى مصطفى باشا . وعدا ما تقدم فان البارجة الحربية التركية غادرت طرابلس للاشتراك في تضييق حلقات الحملة على الثوار

وقد تلقيت هذا الصباح كتاباً من المستر مرسر القيس قنصل انشرف بارسال صورته اليكم في طيه ومنهُ يبان ان خير بك قد رأى ذاته في موقف حرج فطلب الى معتمدي انكلترة تدخلهم لاتقاء الخطر . وكان ان تعجلت بايقاف خورشيد باشا على طلب خير بك حباً بمصلحة الحكومة التركية المحاقة الان بالمصاعب من كل جهة فاقتبلها دولته بروح الولاء ووعد بأن يقاضي خير بك بملء النزاهة اذا استسلم مختاراً الى السلطة العكسرية

وقد ابلغت القنصل مرسر المشار اليه نتيجة مساعيَّ واني مرسل لسيادتكم في طيهِ نسخة من تعلياتي لهُ . (عدد ٦١ ص ٤٦)

١٨٨ – مرسر الفيس قنصل الى مور القنصل العام عنه طرابلس سوريا

٢٦ تشرين الاول سنة ١٨٥٨

اتشرف بايقافكم على بلاغ تلقيته الان من اسماعيل خير بك وسانتظر رأيكم فيه قبل مجاوبته عليه. لقد زارني الموسيو نوفل (نسيب سليم) لدى عودته من صافيتا اجابةً لرغبة خير بك ثم كان ان ارسل إلي هذا الاخير كتابًا مع فلاح مكتم. ومن المؤكد ان خير بك في مأزق ضيق فالجنود التركية مستعدة لمهاجمته من كل جهة وجميع الاهالي المسلمين ثائرون عليه اما المسيحيون فيمدحونه والظاهر أنه يحسن ادارة ناحيتهُ بعض الاحسان ويدفع دائمًا المال الاميري الخ. وهو يوّد ان تُمدَّ اليه يد المساعدة فتضمن له عدل حكومته في مقاضاته وعرض ان يذهب إلى بيروت ويخضع للحكم إذا ما فعل اعداوه مثله. وهو مطاع الامر نافذ الكلمة في مواطنيه النصيريّة ولما كانت الجنود اوشكت ان تغزو بلاده وكان الوقت ثمينًا فانا انتظر بذاهب الصبر اوامركم العاجلة لاعرف ما اقول او افعل. وعدا ما تقدم فان معبد الرسالة الاميركية لمفتوح وقد هُدد بعض الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني بالضرب فيما لو صغوا لكلام المرسلين فسألوني ان اخبرهم عما إذ كنت اريد ان أظلهم بحمايتي إذ ان قنصلهم أكد لهم انه يتوسط الحكومة في مسائلهم السياسية لا الدينية فاجبتهم أني احميهم بصفتهم بروتستانت واعتقد ان هذا فرض عليَّ (تابع عدد ٦١ ص٤٦ – ٤٧)

١٨٩ – مشافه الى مور القنصل العام عنه بيروت بتاريخ ٢٧ ت ١ سنة ١٨٥٨

اني اثمارًا باشارتكم اطلعتُ خورشيد باشا بطريقة وديّة على اقتراح خير بك فاجاب دولته بعد ان أفاض في بيان اعمال البك المذكور ان عليه ان يفاوض طاهر

باشا الموجود في طرابلس ويستسلم اليه فهو مخول ملء السلطة من السرعسكر ومنه بالقطع في امره واذا ما جاء بيروت فانه يسرع في النظر في قضيته ولا يسمح بان يُظلم وزاد بان لكم ان تبلغوا اسماعيل بك ما ذكر (تابع عدد ٦١ ص ٤٧)

١٩٠ -- القنصل برانت الى السر هـ . بولفر عن دمشق في ٢٠ ت ١ سنة ١٨٥٨

اتشرّف فاعلم سعادتكم بأن قد حدث منذ مدة خلاف مهمّ بين النصيريّة الذين يرأسهم اسماعيل خير بك والدندشليّة وهي قبيلة اسلامية قويّة يرأسها عبود آغا متوطنة ذات الناحية التي تقطن فيها النصيريّة لكنها لا تعترف لها بالسيادة فنشأ عن ذلك نزاع وقتال استمرّت نارهما مستعرة بينهما مما جعل هذه البلاد في حالة قلقة خطرة . وقد أرسل تابور من المشاة الى حمص لنشر سرادق الراحة في ذلك القضاء وانفذ آخر إلى نابلس حيث غلت مراجل العداوة القديمة بين اسرتي عبد الهادي وجرّار فضاع الامن حديثاً من تلك الانحاء

ان فارس المزيد وهو رئيس فرع من قبيلة عنيزه العربية النازل حوالى القريتين قد نزع حديثاً الى الثورة ولطالما كان على اختلاف مع الحكومة فجاء الى هنا للسعي وراء عقد الصلح معها لكنهُ لمّا أحسّ منها رغبةً في القاء القبض عليهِ انسلّ من المدينة خفيةً وجهر بالعصيان . وعلى هذا فان صدى الاستياء يدوي في كل جهة فينزع بعضها إلى العصيان ويعمد بعضها الى ثورة خفية تختمر فيهم . (عدد ٦٣ ص ٤٨)

١٩١ – ومنه ايضاً في ٢٥ تشرين الاول

اتشرّف فاخبر سعادتكم بان قد ورد نبأ في ٢١ الجاري بحدوث قتال بين اسماعيل خير بك زعيم النصيريّة والدندشليّة وكانت الجنود النظامية والباشبوزق تناصر هؤلاء الاخيرين على نفقة الحكومة فقتل في هذه المعركة كثيرون

وفي ٢٢ الجاري أُنفذ تابور آخر قوامه ستمائة رجل من المشـاة وقوة أُخرى من فرسـان الباشبوزق يتراوح عددها بين المائتين الى الثلاثمائة فارس بامرة الزعيم المشهور حسن يازجي

ان الجنود التي ترسل من بيروت مع القوات الموجودة في محـل الحادثة بين منظمة وغير منظمة يقدّر عددها بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠ . امـا اسماعيل خير بك فيرجح انه يستطيع ان يجمع زهاء ستة الاف رجل من قبيلته ولربما انضمت اليهِ ايضاً بعض قبائل موالية لهُ والمسيحيون أيضاً خوفاً من ان يحرق قراهم اذا أبوا مساعدته

ان النصيريّة يظلمون كثيراً المسيحيين وينهبونهم كما ذكرت لكم في شهري نيسان وايار من الربيع المنقضي وكان ان طلبوا الى الباشا ان يحميهم فلم يجبهم إلى طلبهم بحيث أمسوا غرَضاً لاعتداءات النصيريّة ولا مناص لهم منهم بغير الانضمام اليهم مكرهين . ومن المرجح أيضاً ان قوّات الحكومة لا تقوى على قمع عصيان اسماعيل خير بك ولربما أصابتها حطمة حتى اذا ما كسرت لا يُعلم إلى أيّة درجـة تمتد الثورة . ومن المؤكد ان القوات التي بامرة السرعسكر لا تكفي لاعادة مياه السكينة الى مجاريها اذا لم تعزّز كثيراً . ملحق عدد ٦٣ ص ٤٩

١٩٢ — مور الى الكونت دي ملمسبوري في اول تشرين الثاني سنة ١٨٥٨

اني منذ رفعت إلى سيادتكم كتابي الاخير في ٢٩ ايلول المنصرم تأخرت عن تقديم غيره وصفاً لحالة الشؤون في جبل لبنان وبياناً لاعمال عطا بك على امل ان أتمكن من اخباركم بان مندوب الباب العالي قد انتهج اخيراً خطة ملائمة لايجاد حل لمسألة الشكاوى من القائم مقام المسيحي . على انني اقول لكم بأسف ان المعتمد لم يبدل شيئاً من خطته . وهو يتظاهر باجراء تحقيق في الشكاوى المذكورة على ان عمله لم يسفر عن نتيجةٍ والرأي العام مجمع الان على ان غايته املال الشاكين وقد

بلغها. أجل ان الشاكين قد سئموا الانتظار فاستسلموا للاستياء ففقد مأمورو الباب العالي على اختلاف طبقاتهم هنا كثيراً من احترام الجمهور بسلوكهم السرطاني في هذه المسألة وقد ظهر للجميع ان غايتهم لا ترمي حقيقةً إلى التحقيق

ان اكتشاف المؤامرة السرية حديثاً المعقودة بين شيعيي جبل لبنان وفريق من الدروز اشياع الامير بشير أحمد – والمقول انها تمت برأي المشير – ولا سيما دسائسهم الموجهة ضد مقاوميه المسيحيين قد أثبت الاعتقاد الراسخ في العقول بان الحكومة لا تنوي فصل القائم مقام المسيحي حتى يشتبك اللبنانيون في حرب أهلية وبهذه الوسيلة تبسط اجنحة حكمها مباشرةً على لبنان . وهي غاية جعلتها مرمى انظارها منذ منح لبنان نظامه الحالي . ان اكتشاف هذه المؤامرة سيؤول إلى احباطها على ما اظن وقد افدت سيادتكم عنها كدليل على سلوك الحكومة التركية

ان خورشيد باشا أنكر اطلاعه على هذه المؤامرة لكنّ الدلائل تثبت احد أمرين او ان دولته غير واقف على ما يجرى او انه يؤثر التظاهر بجهلها (عدد ٦٤ ص ٤٩)

١٩٣ – القنصل فين الى الكونت دي ملمسبوري عن القدس بتاريخ ٨ تشرين الثاني سنة ١٨٥٨

اتشرَّف فاخبركم ان المسيو ابيلا فيس قنصل صيدا اعلمني بان من الشائع ان الدروز في جبل لبنان عقدوا عدة اجتماعات يُقصد بها على ما يُظن تهديد مسيحيي دير القمر وزحلة . ومن المقول ان هذه الاجتماعات تمت برضى الامير بشير أحمد انتقاماً من مضادتهِ وتظلمهم من حكمه الجائر . وينسب الاخرون هذه الحركات الى بقايا الاحزاب القديمة ويقولون ان خورشيد باشا على اتفاق معهم . ويقال ايضاً ان قد اكتشفت مؤامرة كبيرة في زحلة قوامها اربعمائة رجل من دروز ومسلمين ومتاولة وغرضها ذبح كل المسيحيين . فهذه الاشاعة سواءٌ كانت ثابتةً أو طائشةً فقد أحدثت

جزعاً شديداً في الجبل . وقد سمعت من المصدر ذاته بحدوث عدّة سرقات وقتل في الطرقات الواقعة على الشاطي . وبنهب الجمارك . (عدد ٦٦ ص ٥٠)

١٩٤ – وصف ابيه في التاريخ ذاته

اني عطفاً على رسالتي المتعلقة بذكر ايجاس المسيحيين من استيقاظ التعصب الاسلامي اتشرّف فاخبركم بانهُ تتوالى عليّ يومياً الانباء بما يلاقيه المسيحيون والاسرائيليون في الشوارع من الاهانات المشفوعة بالاعتداءات. على ان هذه الاخيرة وان كانت غير ذات بال فهي كثيرة الحدوث ولا يجسر المعتدى عليهم متى كانوا من الوطنيين ان يشكوا أمرهم إلى الحكومة. لاني على ما علمت رغماً عن الخط الهمايوني لا يوجد دعوى جلية مشهورة قبلت بها محاكم العدلية أو المجالس بشهادة مسيحي على مسلم . أجل قد تعقب بعض المسلمين لاهانتهم المسيحيين لكن بطريقة غير قانونية ودون قبول شهادة مسيحي ويمكننا ان نقف على مثال هذه العدالة في (احاديث السمر العربية) وهي موجودة قبل الخط الهمايوني حتى ان كبار القوم لم ينجوا من هذه المعاملة ولقد حدث منذ بضعة ايام انهُ بينا كان غبطة بطريرك الروم عائداً في الشارع من دار الحكم (ولربّما كان في زيارة القاضي الجديد) وأمامه قواسه وترجمانه أُنزلت بهِ وبديانتهِ وصلواتهِ وابائه الشتائم واللعنات وما شاكل ذلك من ضروب السباب . هذا وقع في القدس حيث القناصل المسيحيون خافوا فهربوا بما فيهم قنصل الروسية مع انهم كانوا يتوقعون هذه الحالة منذ مدة طويلة . فهذه الحادثة جاءت دليلاً على الروح العمومية اكثر من دلالتها على خوفهم من محاولة طلب معاقبة المجرمين المتعذر نيلها على ان ذلك ما كان ليحصل في عهد كامل باشا لانهُ كان مدافعاً عن المصالح اللاتينية

أمّا الباشا الحالي فيفاخر بكونه لا يسرع لتصديق شكاوى المسيحيين كسلفهِ وفي

خلال محادثته ترجماني بدرت منهُ كلمة بأن مهمته هنا موجهة خاصة قبل كل شيء إلى كسر شوكة السيطرة الاوربية وتقليص ظلها اكثر من اذلال المسيحيين

واستأذنكم في ابداء رأيي في هذا الشأن فاقول: قد يعذر الاتراك محبو وطنهم على هذه الرغبة اذا ما ظلت كامنة في العواطف غير ظاهرة في الاعمال لكنهم لنكد الطالع يفتكرون بانهم يصيبون غرضهم بعرقلتهم نجاح شعبهم فالاشغال العمومية ليس فقط لم تُلزَّم بل ان الحكومة تحول دونها وقد خنق صوت الجرائد الضعيف في مهده . وعندهم انهُ لمَّا كان المسيحيون اوربيين يقتضي اذلالهم وان استقلال السلطنة العثمانية متوقف على استقلال المسلمين . عدد ٦٧ ص ٥٠ ـ ٥١

١٩٥ – ومنه اليه في التاريخ ذاته

اتشرَّف بأن ارسل الى سيادتكم نسخة الرسالة التي انفذتها في ٢٧ المنقضي الى المستر مور قنصل جلالتها العام وبأن اخبركم ان قد أُنزلت ضروب الاهانة في بعض العائلات المسيحية القاطنة في عدة قرى من قضاء نابلس ونُهبت قبيل وصول طاهر باشا القائد العسكري . بيدَ ان قريتي الزبابدة والقفير (وجميع سكَّانهما مسيحيون وفي الاولى معبد حقير) قد دمرتا من اساسهما وسلبت الرجال والنساء وعروا من قمصانهم فهاموا على وجوههم. والفاعلون هم أهالي طوباز والقباطية وشعبهما مشهور بقساوته ولم يسبق لقوة عسكريَّة ان عاقبته على مساوئه واعتداءاتهِ . ولا حاجة بي الى القول ان السلطة الملكية لم تفعل شيئاً لانها زعيمة المقلقين ثم انهُ لدى وصول طاهر باشا الى المدينة طلب النزول في دارٍ بدلاً من ان يقيم في المضارب في هذا الفصل الجميل فأُخذ بيت كاهن الروم بغيابه واستولى على ما كان جمعه من الحبوب والزيت مؤُونة للشتاء على ان الجنود لم تمدَّ اليها يداً اتقاء ان يمهدوا السبيل لاصحابها ان يتظلموا للحكومة لكنَّ مسلمي المدينة خلطوا القمح والشعير والعدس والزيت

ورموها في الشارع وهذا العمل زادني رسوخاً في صحة نسبتي قلاقل ناباس في سنة ١٨٥٦ الى وجود روح كره للمسيحيين

ولربما لم يعرف القائد العسكري في هذا التاريخ ما قد جرى في بيت الكاهن المعين لنزولهِ انما اتساءل كيف لا يعرفهُ في حين انه اتصل بي ؟ ذلك لاني مسيحي ولانهم يخشون ان يوقفوه عليهِ ولانهُ هو ذاته يخشى ان يستعمل وسائل العنف بمعاقبة الفاعلين

وفي الختام اتشرف فاردد على مسامعكم شكاوى المسيحين في فلسطين وهو ان حالتهم أمست منذ انتهاء الحرب الروسية اسوأ مما كانت عليه في سنة ١٨٣١ . عدد ٦٨ ص ٥١

١٩٦ — صور الى السر هـ . بولفر في ٥ تشرين الثاني سنة ١٨٥٨

اتشرف فاعلمكم بأني قد تلقيت في ٢٨ المنقضي رسالتكم المؤرخة في ١٤ منه ومن ضمنها الكتاب الوزاري المنفذ الى عطا بك المتضمن تعليمات جازمة جلية بتّاً في بعض المسائل المعترضة دون أدنى تأجيل وتسويف وكان ان سبق فبسطتها لخورشيد باشا قصد تسويتها فصرّح عطا بك انهُ غير مأذون بالنظر فيها فاستأذنكم بأن اقول ان الكتاب الوزاري قد سلّم الى عطا بك وفي اثناء حديث لهُ مع ترجماني بهذا الصدد اسرّ اليه انه سبق لهُ ان عرض مرتين على حكومته المسائل العديدة الواردة في المذكرة الملحقة بالكتاب الوزاري وقد كان أعطي نسخة منها عندما برح الاستانة في ٢ آب واردف قائلاً: « ان روسائي بدلاً من ان يجيبوا على عريضتي قد ارسلوا إليّ هذه الاوامر استناداً على ان ظهري عريض ينهض بهذه الاثقال »

ثم جرى للمسيو مشاقة ترجماني حديث آخر مع عطا بك ألمع الاول فيه إلى الحديث السابق فاجابه : « قد قلت لك منذ مدة اني ابلغت حكومتي على مرتين شكاوى

الموسيو مور » ثم تناول ورقة بقطع المنشور الوزاري واستلفت نظر صبري افندي إلى فقرة منها قائلًا له : « أليس هذا رباط قوي في يديّ » فاستنتج المسيو مشاقة أنه يعتبر هذه العبارة كافية لتبرئة سلوكه فتبسم صبري افندي موافقًا على كلامه وختم دولته حديثه بانه لم يفعل شيئًا الاَّ مأمورًا

ان عطا بك قال لي بانه يفاوض الان خورشيد باشا في المسائل المذكورة ووعدني بايقافي على النتيجة عدد ٦٩ ص ٥٢

١٩٧ — ومنه اليه في ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٥٨

اتشرف فاخبركم بان التحقيق في مسألة القائم مقام المسيحي لم يخطُ خطوة إلى الامام واول مسألة رُفعت إلى عطا بك فور وصوله منذ عدة اشهر هي مطالبة طوبيا واصفر القائم مقام المذكور بديونهما فانها لم تبرح مكانها. ان حالة الشؤون اللبنانية لسيء وقعها في الجبل ولاسيما إن حوادث الاعتداءات والاضطرابات كثيرة فيه. وفي نية عطا بك ان يزور بذاته عدة اقضية في الجبل وقد اشترى ساعات وقصبات (بزاز) كهرباء وما شاكل ذلك لتقديمها هدايا في اثناء تجوله ولا يبعد ان يكون لهذه الزيارة غرض سياسي تابع عدد ٦٩ ص ٥٢ — ٥٣

١٩٨ — القنصل جمس فين الى الكونت دي ملمسبوري عن القدس في ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٥٨

اني تأييدًا لما عرضته في رسالتي المنفذة إلى سيادتكم في ٨ الجاري اتشرف فانبئكم بان قد أُخبرت اليوم باعتداء الجنود على المسيحيين مرتين وعندما قالوا لهم بانهم كانوا اطاعوهم بدون هذه القسوة إذا كانت مطالبهم حقة حقروهم بعبارات

مذلة وفي جملتها الكلمة التركية « جور » وقد نهت التنظيمات عن التفوه بها

ثم حدث ان ترجماني الاسرائيلي ذهب الى المحكمة بدعوى خصوصية له وعندما مثل امام القاضي الجديد وقواسي في رفقته تسمى بوظيفته فامره القاضي بان ينتصب على قدميه موقف الاحترام وان ينزع حذاءه من رجله قبل ان ينظر في دعواه فلم يمتثل أنما في خلال المحاكمة رفض القاضي ان يحكم بالدعوى دون شهادة مسلمين مع ان السارق كان اعترف بسرقته امام اسرائيليين ولما تقدم الشهود اليهود لاداء شهادتهم أبى سماعها وتلفظ خدمة القاضي بعبارة مهينة كانت تستعمل قبلا بحق اليهود وهي اشد أهانة من كلمة « جور » « كلب » بحق المسيحيين عدد ٧٠ ص ٥٣

١٩٩ – *القنصل برانت الى السر ه . بولفر عهد دمشق بتاريخ ١٦ ت ٢ سنة ١٨٥٨*

أتشرف فانبي سيادتكم بان قد جيء بعد ظهر امس إلى السراي برأسي اسماعيل خير بك وشقيقه نصيف بك فعرضا على انظار أعضاء المجلس . ان رجال اسماعيل بك غادروه ولم يبق معه سوى توابعه فلجأ إلى عين الكروم في قضاء صافيتا وهناك قاوم جنود مصطفى باشا فاحاطت به كالسوار وبعد مقاومة ضعيفة أسر مع شقيقه وقطع رأساهما (وجاء في كتاب آخر منه انه قتل برصاصة قبل ان قطع رأسه) وروي أيضا ان شقيقه البكر وقد كان في جهة أخرى سقط في ذات اليوم ميتا بينا هو يدخن قبيل القبض على شقيقه اسماعيل بك . على ان هذا الخبر غير ثابت وقد أتصل بي ان اصغر اشقائه لا يزال في قيد الحياة والذين قتلوا تركوا اولادا بحيث ان العائلة ما برحت تحفظ ما لها من الكلمة النافذة

ويوجد عائلة نصيرية أخرى شهيرة في القضاء المذكور تدعى سمسين فهذه انحازت إلى قواد السلطان ومن المرجح ان سيولى زعيمها حكم صافيتا مكافأة لها . عدد ٧١ ص ٥٤

٢٠٠ – وصله ايه في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٥٨

سبق لي ان تشرّفت فاخبرت سعادتكم في رسالتي المنفذة في ١٥ الجاري بان فارس المزيد زعيم قبيلة عربية نزع الى الثورة وهاجم محمد الحرفان زعيم قبيلة عربية أخرى قد كانت الحكومة أناطت به السهر على الراحة حوالى حمص . وان الامير سليمان الحرفوش من بعلبك جمع قوة من الشيعية والمسيحيين لنصرة هـذا الاخير وانضمّ اليوم اليه وطارد فارس المزيد الى ما وراء حماة حيث اشتبك القتال فظهر الامير سليمان على خصمه ظهوراً باهراً بيدَ انهُ بينا كان رجاله مشتغلين في جمع اسلاب العدو تراكضت قبيلة الحديدية من قضاء حلب لنصرة فارس المزيد فاعـاد هذا الكرة على الامير سليمان وكسره شر كسرة وقتل من رجالهِ زهـاء ١٥٠ رجلاً وفي عدادهم محمد الحرفان وأحد اعضاء اسرة حرفوش ويقال ان العرب كانت خسارتهم أعظم من الفريق الاخر . ثم عاد الامير سليمان الى قريتهِ العين

وقد وُلي فارس آغا قادرو قائم مقامية بعلبك وحرم الامير سليمان راتب الفرسان الموظف عليه قبلاً لان القائم مقام الجديد يستصحب معهُ ١٥٠ فارساً وهذه القوة قد زيدت لطرد الامير سليمان من بعلبك فانه منذ علم بان الباب العالي أمر القائم مقام بالقبض عليهِ أصبح يستخفّ بهِ . عدد ٧٢ ص ٥٤ – ٥٥

٢٠١ – كافاله مرسر فبس فنصل طرابلس الى مور الفنصل العام

بتاريخ ٢٢ ت ٢ سنة ١٨٥٨

اتشرّف فانبئكم بان اسماعيل خير بك من صافيتا قُتل في الاسبوع الماضي في كرم العيون مقرّ عمه علي الشلي حيث كانا التجأا معاً عنـد دنو الجنود التي بامرة طاهر باشا منهما وكانت الحكومة العثمانية قد أباحت دم علي الشلّي فرضي ان يقتل

اسماعيل خير بك فيغنم عفوها وأموال القتيل . وعلى هذا الاتفاق طوّقت الجنود دار علي الشلّي لكنها جزعت من مهاجمةِ لحصانة موقعها وكان ان علي الشلي اخبر اسماعيل بك ان اشقاءه قُتلوا وبينا هو قيد تأثير هذا الخبر غدر به وافرغ بندقيته في خاصرتهِ وتعجل أحد رجاله بأن قطع رأسه ثم ان طاهر باشا اسر أولاده وكلهم صغار ففكر علي الشلي بانهم اذا ما كبروا تذكروا دمًا يستصرخهم الى الثأر المنيم فاسترجعهم وقتلهم . وقد اتصل بي ان قد أُرسل رأسا اسماعيل بك وشقيقه إلى دمشق . أمّا نساؤه فاقتسمهنّ علي الشلي وسائر رجاله وهكذا كان ختام هذه المأساة ياحضرة السير . وافتكر انهُ لو لم يصرّ طاهر باشا على رفض مقابلتي اصرارًا كله عناد بل يكاد ان يكون مهينًا لكانت انتهت مسألة هذا المنكود الحظ بعد توسطكم له على غير هذا المنوال عدد ٧٣ ص ٥٥

٢٠٢ — *القنصل مور الى السر هـ . بولور بتاريخ ٢٩ ت ٢ سنة ١٨٥٨*

أتشرّف فاخبركم بان بطركي الروم الانطاكي والاورشليمي يركبان هذه الباخرة إلى الاستانة وقد اتصل بي ان غبطتيهما يحملان عرائض مسيحيي جبل لبنان الموارنة والروم إلى الصدر الاعظم تظلمًا من سلوك الحكومة التركية في بيروت بامر شكاويهم من القائم مقام الامير بشير أحمد (عدد ٧٤ ص ٥٦)

٢٠٣ — *ومنه الى الكونت دي ملمسبوري بتاريخ ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٥٨*

أتشرف فاعلمكم ان قد وصل إلى بيروت في الشهر المنقضي اكثر من ثلاثة الاف جندي تركي في بواخر متتابعة وسافرت إلى دمشق معسكر جيش البلاد العربية العام

وفي الاسبوع الماضي عاد طاهر باشا إلى هذا المكان من حملته على النصيرية والمسموع أنهم دفعوا المال الاميري اما فرقة الجنود التي بأمرة مصطفى باشا وقد اشتركت في الحملة مع طاهر باشا فانها عادت إلى دمشق . عدد ٧٥ ص ٥٦

٢٠٤ – ومنه الى السير هـ . بولفر بالتاريخ ذاته

أتشرَّف فاعلمكم انه في ١٥ الجاري زارني في هذه القنصلية العامة وفد من مسيحيي مدينة زحلة وعدد سكانها ١٢ الف نسمة فاخبرني انه جاء بيروت لتقديم عريضة إلى خورشيد باشا التماساً لتعيين حاكم تركي عليهم

وقد اوضح لي النواب المذكورون ان السبب في اقدامهم على هذا الطلب هو أنهم لمَّا كانوا قد انضموا في اول الامر إلى حزب المتظلمين من القائم مقام في جبل لبنان وابوا قبول احد رجاله حاكماً عليهم اضطروا إلى تأليف مجلس بلدي موقت لادارة شؤونهم فمن ذلك الحين هُددوا غير مرةٍ باحتلال الجنود مدينتهم . فهذه الوسائل التهديدية وغيرها قد بلغت الغاية التي ترمي اليها الحكومة اي تقديم العريضة طلباً لوالٍ تركي عليهم

أجل ان خورشيد باشا لم يقدم على تعيين والٍ تركي وانما استقبل الوفد بكل لطف فهدأ روعهم وزالت مخاوفهم من احتلال مدينتهم عسكرياً

لا مراء ان سيادتكم تفقهون بسهولة ان مسيحيي زحلة لا يرغبون من صميم قلوبهم في الحكم التركي . بيدَ انهم وهم بين شرَّين اختاروا ما ظنوه أخفهما فآثروا حاكماً تركياً ملكياً علي حاكم عسكري ينزل في شيوخهم القصاص بحجة العصيان

فقلت لرجال الوفد ان شعب زحلة تجاوز حقه بتقديم هذه العريضة لان زحلة هي جزء غير منفصل عن جبل لبنان وقد وضع الباب العالي والدول الاوربية العظمى بالاشتراك نظاماً لهيئة حكومته وانه طالما انا ساهر الجفن لا يستطيع الباشا

ادخال هذا التغيير . فاعتذروا على عملهم بخوفهم من انزال العقاب بهم اذا لم يجاروا المقاصد التي تبثها الحكومة التركية على ما يظنون وانهُ ألمع لهم غير مرة بصريح العبارة إلى ان هذا الطلب لهو الطريقة الوحيدة لاستمالة الحكومة وضمان راحة مدينتهم في المستقبل

وليس في ما تقدم ما يقضي بالعجب والاستغراب لان شعب زحلة يئس من التسويف في القطع بمسألة تظلمهم من القائم مقام المسيحي وفي جملتها شكاويهم الخاصة . فانقادوا في آخر الامر مكرهين تخلصاً من الضغطة . ولم يبقَ ادنى ريب في ان الغرض من هذه التأجيلات املال جميع الشاكين من القائم مقام وكثيراً منهم تضيق عليهم الحكومة التركية وتقهرهم . بل المراد حمل طائفة في اثر الاخرى على التنازل عن الامتيازات المضمونة لهم من الدول الاوربية بحيث ينتهي الامر بجعل جبل لبنان تحت الحكم التركي مباشرةً

وفي وسعي ان اذكر في جملة الادلة على مضايقة الحكومة التركية اللبنانيين حرمان الامير بشير عساف من منصب الاقطاعة ومن الحقوق المدنية لانه رفع الشكاوى على القائم مقام . وقد أُخبرت ان ارباب الحكومة الملكية والعسكرية عقدوا امس اجتماعاً للاتفاق على الجواب المراد اعطاؤه لمندوبي زحله (عدد ٧٦ ص ٥٦ ـ ٥٧

٢٠٥ – القنصل برانت الى الكونت دي ملمسبوري عن دمشق في ١٥ك ٢ سنة ١٨٥٩

اتشرّف بأن ارسل الى سيادتكم في طيه نسخة رسالتين انفذتهما حديثاً الى السير هنري بولفر في الاستانة بخصوص القبض على الامير سليمان من بعلبك . لقد جيء بالامير بعد ظهر امس وسجن في سراي السرعسكرية . أمّا اتباعه فالقوا في السجن العمومي في دار الولاية وفي نية السرعسكر اذا امكنهُ ان يقبض على كل فرد من اسرة حرفوش محقاً لسيطرة سلالة هؤلاء الامراء القويّة وقد ظلموا الفلّاحين وقاموا بعدة ثورات على سلطة السلطان وان كانوا ساعدوا قواد جلالته في محاربتهم محمد علي باشا مصر . (عدد ٧٩ ص ٦٠)

٢٠٦ – وصله الى السير بولفر في ١٢ منه سنة ١٨٥٩

اتعجل بايقاف سعادتكم على كيفية القبض على الامير سليمان وفقاً للبيان الذي تلقيته الان . لقد كان يرود الناحية فيراقبه يوزباشي متنكر من فرقة الفرسان المنظمة المقيمة في بعلبك بامرة حسني بك فلما اهتدى اليوزباشي المذكور الى مخبأه في احد بيوت زحلة ذهب حالاً إلى بعلبك واخبر حسني بك فركبا وتابع آخر الى المعلقة وهي قرية مجاورة زحلة لكنّ الاولى تابعة ايالة دمشق والاخرى ايالة بيروت وكان ان أخذ الجنود المقيمة في زحلة وطوّق البيت النازل فيهِ الامير سليمان وانذره شرًّا اذا لم يسلّم ذاته فأبى واخذ يطلق النار على الجنود بيدَ انهُ لم يصب احدًا لان الوقت كان ليلًا ثم عرض ان يستسلم إلى حسني بك إذا ما أتاه الى داخل البيت فاجابهُ ان يأتي هو بذاته اليه فلم يرضَ وحينئذٍ استدعى حسني بك صاحب البيت وسألهُ عن ثمن بيته فاذا هو خمسة الاف قرش تركية . فقال البك: انهُ يدفع لهُ عشرة الاف وأمر الجنود باضرام النار فيه وبينا هم يهتمون بذلك بدا للامير سليمان ان

يستسلم وجاء مع ثلاثة من اتباعه عزلاً وعرض على البك مالاً ليسمح لهُ بالفرار فامتنع فاوثقه وأرسلهُ مخفوراً إلى بعلبك حيث بلغها قبيل الفجر وقد تمّ ذلك نهار الاثنين المنقضي وصباح الثلثاء باكراً عاد حسني بك الى بعلبك باسراه . ان سلوك حسني بك لجدير بكل اطراء فقد أبدى بسالة ونشاطاً ونزاهة . ولا شك بانهُ سيكافأ على سلوكهِ بما يستحق . اني لا اعرف حسني بك ولكني سمعت اطراء خلالهِ ووصف جدارتهِ من كل فمٍ ولا ارتاب في ان سعادتكم ستهتمون بامره ليحصل على مكافأة مناسبة . (عدد ٧٩ ص ٦٠ ـ ٦١)

٢٠٧ ـ الموسيو مور الى السر هنري بولفر بتاريخ ١٢ ك ٢ سنة ١٨٥٩ و٧ جمادى الاخرى سنة ١٢٧٥

بناء على الاوامر المنفذة من الاستانة أرسل سر عسكر جيش بلاد عربستان فصيلة من الجنود المنظمة في دمشق إلى نابلس فالقوا القبض على محمود بك عبد الهادي قائم مقام ذلك القضاء وساقوا هذا الزعيم إلى بيروت دون ادنى مقاومة نظراً لنفور الاهالي منه ثم ارسل خورشيد باشا احد مأموريه بقوة غير منظمة لمعاونة الجنود النظامية في القبض على سائر الاشخاص المتهمين بالاشتراك في الاقتتالات التي وقعت في هذا القضاء منذ بضع سنوات . اما رضا بك قائم مقام نابلس الجديد الواصل حديثاً من الاستانة فقد استلم زمام منصبه . (عدد ٨٠ ص ٦١)

٢٠٨ – القنصل برانت في دمشق الى السر هـ . بولفر بتاريخ ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨٥٩ و٢١ جمادى الاخرى سنة ١٢٧٥

اتشرف فاخبر سعادتكم ان السرعسكر اغتنم فرصة حدوث اضطراب خفيف

في حي الميدان وهو من الاحياء المقلقة فقبض على كثيرين من الاغاوات والزعماء وغيرهم من مبلبلي الراحة المقيمين في الحي المذكور ونفى نحو اربعين شخصاً منهم إلى عكا . ان السرعسكر يبدي حزماً شديداً في مراقبة اصحاب الفتن في المدينة فاذا كان لا ينتج عن شدته مقاومة مثلما ولدت استياء ينتهي الامر باستتباب الامن والسكينة تماماً

ولي الامل بانه لا يتطرف ولا أرجح ان دولته يلقى مقاومة لان القوة العسكرية قد زيدت حديثاً . (عدد ٨٢ ص ٦٥)

٢٩٠ – صورة القنصل العام الى السر هنري بولفر في ٢٨ ك ٢ سنة ١٨٥٩

أتشرّف فانبئكم ان مسألة القائم مقام المسيحي في لبنان باقية على ما هي منذ رسالتي الاخيرة بهذا الصدد ومنذ مدة طويلة امتنع عن التظاهر باجراء التحقيق في شكاوى الشعب من الامير وقد سبق لي ان كشفت عن رأيي في طريقة التحقيق التي اتبعت . فاستأذنكم ان اقول انه لو جرى التحقيق في سلوك الامير واعماله برغبة صادقة للوصول إلى الحقيقة وضمان سعادة لبنان وراحته في المستقبل لكان عُزل من منصبه منذ مدة طويلة . على ان الحكومة التركية في خلال ذلك مواصلة دسائسها لانجاح مقاصدها . وفضلاً عن حالة الجبل الغير المستقرة لم يبقَ ادنى ريب في ان الحكومة هي التي حرضت الشعب على القيام على مشايخه فهجر المشايخ قراهم وبيوتهم وطلبوا ملجأ يكونون فيه بأمن من اعتداء الفلاحين ونهبهم

اما القائم مقام فباقٍ في بيروت . (عدد ٨٣ ص ٦٦)

٢١٠ – ومنه ايضاً في ٧ شباط سنة ١٨٥٩

اني عطفاً على خبر ثورة فلاحي كسروان على مشايخهم المذكور في رسالتي إلى

سعادتكم بخصوص شؤون لبنان أتشرف فانبئكم انه لما كانت الاعتداءات قد امتدت إلى اسر المشايخ المتشتين وكانت بعض بيوتهم قد نُهبت ونساؤهم أهينت رأيت من الواجب ان استلفت انظار خورشيد باشا إلى هذه الاعمال انتصاراً للانسانية فارسلت اليه ترجماني ليخاطبهُ بهذا الصدد بطريقة ودية فتظاهر دولته بجهل تلك الحوادث لكنه وعد بارسال سريّة من رجاله اليوم الى كسروان لاعادة الامن الى نصابه . وعليه تحققت ان كوكبة من الجنود الغير النظامية قوامها ستون فارساً برحت بيروت الى القضاء المضطرب وانها قُسمت فرقاً وارسلت على مثيري الفتنة . وفي الوقت ذاته كتب الباشا بيورلدياً ينهي بهِ الفلاّحين من معاودة الاعتداءات على المشايخ . (عدد ٨٤ ص ٦٦)

٢١١ – الموسيو مور الى السر هـ . بولفر في ١٤ ايار سنة ١٨٥٩ و٩ شعبان سنة ١٢٧٥

اتشرّف فانبئ سعادتكم بان والي صيدا أنذر حديثاً الطوائف المسيحية القاطنة في تلك الولاية بوجوب دفع مبلغ خمسة الاف قرش عن كل رجل أصابتهُ القرعة العسكريّة في هذه السنة مع المتأخر عن الاربع سنوات الماضية

أمّا نسبة عدد المطلوبين للخدمة العسكريّة فمقررّة حسب الحاجة اليهم وفقاً للنظام العسكري المعمول بهِ في السلطنة . فطلب الاساقفة إلى الحكومة مهلة للتداول مع ابناء طوائفهم . وفي الاسبوع المنقضي ذهب مطران الروم ومطرانا الروم الكاثوليكي والماروني مصحوبين بمندوبي كل طائفة إلى زيارة خورشيد باشا فاستقبلهم في المجلس فبيّنوا لهُ ان مسيحيي صيدا يؤثرون تأدية الخدمة العسكريّة بذواتهم كما فعلوا في السنة المنقضية على دفع البدَل العسكري على انهُ إذا كانت حكومة جلالة السلطان ترفض قبول المسيحيين في الجيش فحينئذٍ يرضخون لاوامر الباب العالي ويدفعون البدَل لكنهم يرجون ألاّ يستوفى إلاّ من الذين أصابتهم القرعة فيدفعون

إذ ذاك مجموع المال المطلوب والتمسوا منهم مهلة لدفع بقايا الخمس سنوات المنقضية إذ ان محل المواسم في هذه السنة وقلة المال من جراء الازمات التجارية والمالية الاخيرة يحولان دون دفع البدل المذكور دفعة واحدة والاَّ جرَّ ذلك الى الخراب

فأبى الباشا القبول باجراء القرعة العسكرية على المسيحيين لكنه وعد باعطاء مهلة ثم انصرف الوفد بعد ان أُبلغ وجوب انجاز توزيع المبلغ على الطوائف في مدى اربعة أيام حتى اذا تأخر عن ذلك يُعهد إلى عزيز باشا قائد الموقع العسكري ان يجبي المال بالقوَّة

ان غاية المسيحيين من طلبهم اجراء القرعة العسكرية عليهم التمتع بالمنحة المعطاة لهم في الخط الهمايوني المعطى في سنة ١٨٥٦ وهو يؤذن بقبولهم في الجيش السلطاني . (عدد ٨٥ ص ٦٧)

٢١٢ – وضعه ايه في ٢٩ ايار سنة ١٨٥٩

أتشرف فانبئكم بأنه لم يتبدل شيء في حالة القضاء المسيحي في جبل لبنان فالامير بشير أحمد لايزال مقيماً في بيروت . اما بخصوص القضاء الدرزي فالقائم مقام التمس من خورشيد باشا بمناسبة اعتلاله ان يعين ابنه وكيلاً عنه وهو شاب عمره عشرون سنة فاجابه الباشا إلى طلبه في الحال وعليه اصبح حكم القائم مقامتين في لبنان بادرة وكيلين وهي حالة تسر الحكومة التركية وتسد ساعدها في بلوغ الغرض الطامحة اليه . ان الفوضى لسائدة في القائم مقامية المسيحية وهي ثمرة هذا الاضطراب وما كانت الثورة على المشايخ الخازنيين والحبيشيين لتخمد نارها وانما تمتد دون وازع لان الحكومة التركية غاضة الطرف لها وغايتها من ذلك مزدوجة احداها احداث قلاقل والاخرى الانتقام من أسرتي خازن وحبيش اللتين استجلبتا غضبها بما لهما من اليد الطولى في الحركة على القائم مقام المسيحي فيجدر اذاً وضع حدٍ لهذه الحالة المضطربة

حبًا بايلاء شعب لبنان المسكين راحته ورفاهيته ولاسيما انه لا يُنتظر الان تسوية موأتية لحالة لبنان . (عدد ٨٦ ص ٦٧)

٢١٣ – القنصل فين الى الكونت دي ملمسبوري عن القدس في ١٤ نيسان سنة ١٨٥٩

اتشرَّف فانبئكم انهُ بينا أنا عائد حديثًا الى القدس مررت في القضاء المعروف بجبل نابلس فالتقيت بجملة عسكريَّة تتهيأ لمهاجمة العربة وهي معقل اسرة عبد الهادي. وقوام هذه التجريدة ٤٠٠ من المشاة و٢٠٠ فارس نظامي و٨٠ من حملة البنادق المضلعة معها مدفعان سهليان من الشبه (البرونز) عيارهما كبير عدا الفلاحين الذين انضموا اليها من حزب طوقان وجرار. وكان الجيش معسكرًا بنظام على هضبة تبعد ثلاثة اميال من جنوبي العربة وهذه القرية قد طالما كانت منبع الشرور التي نزلت بالناحية المجاورة وقد سبق لي وصفت لكم اسرة عبد الهادي في رسالاتي عن هذه الناحية. فاموالهم هي في البلدة المذكورة ورجالهم الاشدَّاء ايضًا بما فيهم محمد حسين قائدهم وهو الذي فرَّ منذ سنوات من سجنه في طرابزون. وقد قال لي الامير آلاي والبكباشي اللذان يقودان هذه التجريدة ان الغاية الرئيسية منها ترمي الى اجابة مطالبي المتكررة والقبض على مثيري فتن سنة ١٨٥٦ على اني لم اكن لاشير بمثل هذه الوسائل كما اني لا اعتقد بتحقق مطالبي بواسطة هذه التجريدة ولو نجحت ممَّا لا انتظره ومع ذلك فان لدى الحكومة العسكريَّة ذرائع عديدة عسكريَّة تؤدي الى معاقبة اسرة عبد الهادي . (عدد ٨٧ ص ٦٨)

٢١٣ – الموسيو مور الى السر هنري بولفر في ٢٠ نيسان سنة ١٨٥٩
و١٧ رمضان سنة ١٢٧٥

ان المشكلة التي نشأت عن الشكاوى على القائم مقام المسيحي لا تزال سببًا

لهياج الرأي العام وعليه لا ابدل حرفاً مما قلته من ان للسياسة التركية يداً في ادارة هذه الحركة لانهاما برحت ناهجة ذات الخطة بتأجيل القطع فيها راغبة في ابقاء الامير بشير أحمد في مركزه لاغراض سرية . ولم ارَ عطا بك معتمد الباب العالي قد تعاطى مسألة بحسن نية او حلها نهائياً

ولما كنت مقيداً بمقاصد الحكومة العثمانية في لبنان رأيت من واجبي ان اخبركم انه بعد ان استعملت الحكومة العثمانية كل الوسائل الممكنة لتكريه الاهالي من طريقة الحكم الحالية وتنفيرهم منها باثارة طبقة على أخرى تحريضاً للشعب على المشايخ طوراً ومساعدة المشايخ للتغلب على الشعب تارةً تمكنت اي الحكومة العثمانية من حمل الفريقين على طلب والٍ تركي اعتقاد انهُ الوسيلة الوحيدة التي تمهد لهم التمتع بالراحة . وكان ان خُدعت مدينة زحلة بمثل هذه الدسائس فوقعت عريضة كالسابقة البيان وقد اخبر الباشا وفد الزحليين ان عريضتهم أرسلت الى الاستانة وينتظر ورود الجواب عليها

هذا وقد اعتُدي في جنوبي هذه الايالة على الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني فاستدعى الباشا المدير الشيعي للتحري عن محاولته ابتزاز الاموال وعن سوء معاملتهِ البروتستانت ثم أعيد الى مركزه وعندما كادت تثبت الشكاوى عليهِ تدخل الباشا في الامر وأوعز إلى المحكمة بعدم ملاحقة الدعوى وسجن احد الشاكين بتهمة انهُ ضرب أحد الضبّاط الذين بخدمة المدير . وعليَّ ان ابيّن لسعادتكم ان هذا الامر حدث بعد وصول الاوامر الوزاريّة التي سمحتم بارسال لي صورة عنها

وقد ذكرت لسعادتكم في رسالتي الاخيرة خبر القاء القبض على محمود بك عبد الهادي وعزله من قائم مقامية نابلس وتعيين تركيّ مكانه على ان الفائدة المرجوة من هذا التبديل متوقفة لا ريب على سلوك القائم مقام الجديد وصفاته وقد حدث بعد ذلك ان بعض أشياع محمود بك حاولوا ان يقاوموا السلطة التركية فكسروا وأسرت

عيالهم في بلدة عربة

ان الطوائف المسيحية في هذه الايالة اقتدت باخوانها في دمشق وأبت دفع البدل العسكري المفروض عليها من الحكومة التركية عوض الخدمة العسكرية فاستوضحت الاستانة في هذا الشأن . بيدَ ان الحكومة لم تستعمل وسائل العنف لاكراههم على الدفع وان كانت هددت بها

ثم انهُ بالنظر لاشتداد المرض على القائم الدرزي في جبل لبنان عُهد بوكالة منصبه إلى ابنه موقتاً انما لا أمل بتعافي هذا الامير .ومن المرجح ان الحكومة العثمانية تبقي زمام الامور في يد الوكيل لتستمرّ المنازعات والفتن جارية مجراها بحيث تستفيد من الفترة التي تنقضي بعد موت الامير لمواصلة ذات السياسة التي أتبعت في قائم مقامية النصارى . (عدد ٨٩ ص ٦٩)

٢١٤ – القنصل فين الى الكونت دي مللسبوري بتاريخ ٢٦ نيسان سنة ١٨٥٩

أتشرّف فاخبركم ان البعثة العسكرية المذكورة في رسالتي المنفذة في ١٤ الجاري قد هاجمت في ١٧ منه بلدة العربة الكبيرة فلحق باسرة عبد الهادي العاصية خسائر عظيمة في حين ان خسائر الحكومة كانت قليلة . ان كل زعماء هذه الاسرة قُتلوا او تفرق شملهم وجعلت البلدة قيد النهب مدة ساعتين ودمرت بيوتها من بنائين جيء بهم لهذه الغاية ولم يبقَ سوى بعض بيوت لايواء الجنود . ولم يسبق للحكومة التركية بعد استعادتها الحكم في سنة ٨٤٠ ان استعملت هذه الشدة وعليه لا تُعذر الان إذا أبت انصافنا . (عدد ٨٨ ص ٦٨)

٢١٥ – مور الى السر ه . بولفر بتاريخ ٧ ايار سنة ١٨٥٩

أسرُّ بان اخبركم ان خورشيد باشا رفع عن الامير بشير عساف وسائر اعضاء

عائلته وسائل الضغط والشدة التي ضيقوا بها منذ مدة بسبب اشتراكهم في الشكاوى على القائم مقام المسيحي كما ذكرت لكم ذلك غير مرة . وقد جاء الاميران بشير عساف ومراد إلى بيروت حديثاً بناء على ورقة التأمين التي ارسلها اليهما خورشيد باشا بالواسطة وقدما احترامهما لدولته فاستقبلهما بمنتهى المجاملة وصفى لهما واخيراً وعدهما بالتفاته

أما كاتب اسرار دولته وسائر مأموريه فقد اجتهدوا في حمل الامراء على ترك شكاويهم وتظلماتهم من القائم مقام بغية اصلاح ذات بينهم . وفي جملة البراهين التي اتخذت لاقناع الامير بشير عساف على عدوله عنها وعده باعادته إلى منصب الاقطاعة الذي حرمه منه الباشا . بيدَ ان الامراء تخلصوا من هذا الطلب بلباقة واصرّوا على شكاويهم من الامير بشير احمد . وفي الوقت ذاته اعربوا عن اخلاصهم وصدقهم للباب العالي والحكومة التركية . (عدد ٩٠ ص ٧٠)

٢١٦ – القنصل سكين الى السير ه . بولفر عنه حلب في ١٤ ايار سنة ١٥٨٩

ان الخوف من حدوث مشاغب بسبب المحل – وقد ابديته لسعادتكم في لائحتي السابقة – قد تحقق فوقعت اضطرابات حوالى عينتاب وكان بمناسبة العيد ان دار جمهور بدارٍ تخرج منها اصوات الفرح وبعد ان كسروا الباب عنفوا صاحبه سليم افندي أحد اعضاء المجلس على استسلامه للسرور ورفاهة العيش بينا الشعب يتضور جوعاً فاستدعي عامل البلدة ففرق الاجتماع وفي اليوم التالي جمع الحاج حميد افندي ستشلى المعروف بشقاوته وهو الذي قاد عدداً من الرجال والنساء فنهبوا بيت المفتي وجميع ما فيه من القطاني (حبوب الارض) . ثم هاجموا بيت بطال افندي عين اعيان تلك المدينة لكنه تدارك الامر فوزع خبزاً على الجمهور وبهذه الوسيلة سكّن غضبه مدةً بيدَ أنه ما طال حتى تجدد غليان الاضطراب بجاش باوفر شدة من الاول

بحيث ان معظم الاهالي هاجموا دار الحاكم وكسروا نوافذها فاختبأ وكان ان اقنع بطال افندي الشعب فاتبعه إلى مستودع حبوب حيث سمح لهُ باخذ ما فيهِ . وقد فتح المفتي ايضاً جامعاً جلب اليهِ الدقيق وارسل منه كميَّات الى الافران لعجنها وخبزها وتوزيعها حالاً على الفقراء . وقد قامت قيامة الاهالين على عامل المدينة لانهُ أغفل التحوطات الواقية هذه المخمصة وأوعزوا الى بطال افندي ان يستلم ادارة الشؤون مكانه اما رئيس الشرطة فحاول ان يعيد الراحة إلى مجاريها فبرّح بهِ ضرباً واضطرَّ ان يلوذ بالفرار صوناً لحياتهِ . وقد قتل اثنان وضرب كثير غيرهم وأنزلت بهم ضروب الاساءة وليس في عينتاب ولا في ضواحيها جنود ولمَّا اتصل الخبر بباشا حلب ارسل اليها ديوان افندي ليستلم ادارة شؤونها ولم يحدث مشاغب جديدة .
(عدد ٩٣ ص ٧٢ ـ ٧٣)

٢١٧ ـ الفصل فين الى الكونت دي ملمسبوري عن القدس في ٢٣ مزبرا له سنة ١٨٥٩

اتشرَّف فانبئكم ان دولتلو ثريَّا باشا تغيب عن هذه المدينة زهاء اسبوع لانهُ تولَّى فيها قيادة الحملة العسكريَّة على عبد الرحمن عامر قائم مقام قضاء حبرون سابقاً المشهور بظلمهِ ـ وقد سبق لي منذ عدة سنوات ان وصفته لكم غير مرة ـ وفصل شقيقه سلامه . اما عبدالرحمن فلبث منذ طُرد في سنة ١٨٣٥ تائهاً في مهامه البدو واخشى أن لا يكون للباشا الخيار في التفريق بين الاخوين . ان سلامه وان لم يستحق القصاص فهو الان مكبل بالحديد في القدس ضمانة على حسن سلوك شقيقه عبد الرحمن . ومع ذلك فقد أبقيت مدينة حبرون بيد مدير تركي . (عدد ٩٤ ص ٧٣)

٢١٨ ـ وصله ايه في ٢٧ منه

اتشرَّف فاخبركم ان دولتلو ثريَّا باشا اتخذ بعض وسائل حازمة عائدة بالخير

على هذه الناحية . فانهُ منذ انفاذ رسالتي السابقة قمع ثورة في جبال حبرون واستولى عنوةً على دوره واشتبك في معركة قرب بئر سبع كسر بها عرب السوالكي . ومما يذكر من أعمالهِ انهُ أناط ادارة شؤون قرية لفتا مباشرةً بضابط تركي فقطع بذلك ساعد ابي غوش الايمن وحرمه من مساعدة سبعمائة مقاتل باسل من حزبه . . .

وفي اثناء البحث عن قتلة الآنسة كريزي شكوت غير مرة من سقوط هيبة الحكومة التركية في هذه القرية وطلبت اتخاذ ذرائع شديدة ضد أبي غوش . فلو أتى الباشا عملين آخرين من مثل هذا لتمكنت الحكومة التركية من بسط كلمتها مدةً طويلة على تلك الانحاء وربما لا تفعل . (عدد ٩٥ ص ٧٣)

٢١٩ — الموسيو صور الى السر هنري بولفر بتاريخ ٣٠ مزبر اه سنة ١٨٥٩ و٢٩ ذي القعدة سنة ١٢٧٥

في ٣ ايار توفي الامير رسلان قائم مقام الدروز ولا يزال ابنه الامير محمد الموكول اليه بادارة الشؤون مدة مرض والده قائمًا باعباء الوكالة على ان المشير انهى به إلى الباب العالي ليجعله اصيلًا في المنصب الذي يشغله

ان امراء المتن الذين انضموا في اول الامر إلى حزب المتظلمين من جور القائم مقام المسيحي وجلبوا على ذواتهم من جراء ذلك غضب رجال الحكومة التركية اضطروا أخيرًا عند قنوطهم من كل مساعدة إلى استعمال الوسائط لاسترضاء والي صيدا فارتاح دولته إلى مفاوضتهم هذه لكنه اشترط عليهم تسوية خلافهم مع القائم مقام فامتنعوا اولاً ثم رضوا بالاجتماع بهِ في دار الحكومة وهناك طلب ان يزوروه في داره وبعد الحاح شديد ومساعي وصفي افندي « كاخية » الباشا زاروه وتبادلوا عبارات العتب وانتهى الامر بالتعاهد على حفظ الوئام بينهم

بيدَ ان الامير بشير عساف قد جهر بانهُ موطد العزيمة على الدفاع عن حقوق

مرؤسيه على قدر طاقته والاستمرار على منع كل تعدٍ على الامتيازات الممنوحة لهم من الحكومة التركية

انما حالة الشقاق والاضطراب في ازدياد لان معكري كأس الراحة يستسلمون لاعمالهم الفسادية غير خائفين عقاباً . ويخيّل لي ان الحكومة تقصد بسكوتها توسيع دائرة الخلاف بين الشعب ورؤسائه أصحاب الاقطاع فان حركة أهالي كسروان العدوانية ضد رؤسائهم المشايخ الخازنيين ليس فقط قد أطلق لها العنان بل قد اشتدّ خطرها وأمسى المشايخ الذين طُردوا من بيوتهم في رعبٍ مستديم يتوقعون نزول ضروب الاعتداء بهم وقد ترك بعضهم نساءهم لعدم توفر الوسائل لديهم لاستصحابهنّ فامسينَ معرّضات للاعتداء الفظيع واملاكهم للنهب . أمّا ذوو النفوذ فيهم فقد تصالحوا مع القائم مقام على أمل أن يكونوا بنجوة من الاضطهاد

على انهُ يبان ان غاية الحكومة التركية ليست بمقصورة على اظهار اقتدارها على اخماد نار الحركة ضد القائم مقام الذي تعضده جهاراً حفظاً للظواهر بل تريد ابقاء جرثومة الهياج حية بحيث تضطرّ الشعب وزعماءه إلى طلب والٍ تركي والانضمام الى الحكومة التركية أو على الاقل منع النجاح الذي أصابهُ اللبنانيون تحت حكم الادارة الحالية . (عدد ٩٧ ص ٧٤ ـ ٧٥)

٢٢٠ – القنصل برانت الى السر هـ . بولفر عهد دمشق بتاريخ ٢ تموز سنة ١٨٥٩

لا يزال الامير سليمان من بعلبك في سجن الحكومة ويظهر انه لم يستقر الرأي جزماً بشأنه في الاستانة ولم يبلغ الحكومة هنا شيء من ذلك . ان الناحية الشمالية الكائنة حوالى بعلبك وحمص وحماه لفائزة ببعض الراحة انما يقال ان ابن اسماعيل خير بك وهو على رئاسة النصيرية في جبل الكلبية محافظ على استقلاله وموقفه موقف المدافع لانه حديث السن لا يتجاوز الان الاثنتي عشرة سنة فهو لا يقوى كوالده

على ركوب متن الهجوم

لقد قطعت الحكومة بفصل زحلة عن ايالة صيدا والحاقها بدمشق . على انه لم يتم ذلك بعد

تلوّنت اخبار السوء عن الحج على انه اتصل بي انه يتقدم في طريقه نحو مقصده دون ان يحدث ما يكدره . وقد استقرّ الرأي على العدول عن تسيير قافلة « الجردة » وقد اعتبر تسفيرها من هنا غد يوم الاضحى استغناء عنها لسبق اتخاذ وسائل كافية لسدّ حاجيات الحج . بيدَ انه اعلن اخيرًا ان ثلاثمائة فارس يتهيئون لحفارة الذين يرغبون بصحبة البعثة العادية التي تحمل للحجّاج العائدين حاجاتهم . فالتجار يعدون المعدات لهذا اليوم و « الجردة » ذاهبة إلى مكان يدعى الهدّية على بعد ثلاثة ايام من هنا وزهاء عشرين يومًا من المدينة . ولا ريب في ان هذه الوسيلة تضمن رجوع الحج سالمًا وقد قلقت الافكار عليهِ . (عدد ٩٦ ص ٧٤)

٢٢١ — صور القنصل العام الى السر ه . بولفر في ١٤ تموز سنة ١٨٥٩

اتشرّف فانبئكم ان الامير محمد ارسلان القائم مقام الدرزي السابق في جبل لبنان وقد ذكرت لكم في رسالتي المؤرخة في ٢٩ المنقضي خبر تعيينه وكيلًا موقتًا للقائم مقامية عهدت اليهِ بالاصالة بناء على توصية خورشيد باشا وقد ابلغهُ والي صيدا خبر تعيينه لهذا المنصب في هذا الاسبوع . وفي الوقت عينه وجهت رتبة اسطبل عامر إلى سعيد بك جنبلاط أهمّ صاحب اقطاعة في القائم مقامية الدرزيّة وهذه الرتبة تجعله مساويًا للقائم مقام . ان تعيين الامير محمد ارسلان وهو معروف بدماثة أخلاقه ومعارفه وادابه في حسن ذوق وعذوبة مورد إلى معرفته بعدة لغات اجنبية قد ارضى العموم على ما يظهر . وقد عرفته حدثًا إذ ان والده عندما يمم الاستانة منذ اربع سنوات وعهد اليهِ بوكالة القائم مقامية جعلهُ قيد عنايتي ومراقبتي ولذلك فهو

يحفظ لي جميلًا وقد زارني حديثًا وطلب إليّ أن انخلهُ مخزون نصحي جريًا على مألوف عادتي فاجبته باني كثيرًا ما اغتبط ببذله له كلما رأيت وجوبًا اليهِ . (عدد ٩٧ ص ٧٥)

٢٢٢ – الموسيو مور الى السير هنري بولفر بتاريخ ١٤ تموز سنة ١٨٥٩ و١٣ ذي الحجة سنة ١٢٧٥

أتشرّف بانبائكم ان قد تحققت مخاوف المشايخ الخازنيين من نتائج ثورة فلاحي كسروان عليهم فان رعاع القوم وقد ازدادوا جرأةً من عدم عقابهم طول هذه المدة لم يكفهم طرد زعماء المشايخ وتشتتهم بل تجاوزوا الحد إلى الاعتداء الفظيع على النساء والاولاد الذين بقيوا في البلاد

ان وفدًا من المشايخ الواهم بمساعدة الباشا جاء اليوم إلى القناصل يخبرهم ان زعيم الثوار طانيوس شاهين دخل في الليلة المنقضية إلى احد بيوت المشايخ في عجلتون وقتل امرأته وابنته البالغة من العمر ١٧ سنة وجرح ابنة أخرى وكان الشيخ وابنه قد تمكنا قبلًا من الفرار ثم هجم بجمهوره على بيت آخر في القرية المذكورة ولما وجده مقفلًا اضرم فيه النار فوفد المشايخ ينسب هذه الاعمال البربرية إلى قصد القاء الرعب والهلع في قلوب سائر افراد الاسرة الخازنية بحيث لا يجسرون على العودة إلى اقطاعتهم إذا ما سمح لهم في آخر الامر بذلك فالمقصود من تلك الاعمال تمهيد السبيل للحكومة التركية لتتخذ هذه الحركة سبيلًا إلى بيان ضرر ابقاء الحكم الاقطاعي بيد المشايخ الخازنيين تحت حكم الادارة الحالية . (تابع عدد ٩٧ ص ٧٥)

٢٢٣– الموسيو مور الى اللورد جون روسل في اول ايلول سنة ١٨٥٩ و٣ صفر سنة ١٢٧٦

ياحضرة الميلورد

أتشرف بان ارسل في طيه إلى حضرة السير هنري بولفر صور رسائلي المؤرخة

في ٢٥ و ٢٦ المنقضي المتعلقة باضطرابات جبل لبنان وبسفر القائم مقام المسيحي إلى الجبل

ان خورشيد باشا لايزال مقيماً مع الجنود التركية المنظمة مخيماً في المديرج على طريق الشام الفاصلة بين القائم مقاميتين المسيحية والدرزية . ولما كان لم ينزل العقاب حتى الان باحد من عاقدي رايات الفتنة المذكورين في رسائلي إلى السفير زادت المخاوف من تفاقم الشر فالطرقات غير امينة والمسيحيون والدروز القاطنو القرى المجاورة حدود القائم مقاميتين يرسلون أموالهم إلى مكان امين ويبيعون املاكهم

ان الضبّاط الذين ارسلهم قنصلا فرنسا والروسية العامان الى المديرج عادوا بعد ان قضوا اسبوعاً عند الباشا . ان مسيحيي حاصبيا رفعوا عريضة إلى الحكومة التركية على اثر اقتتال بين الموارنة والدروز فيها بعيد حادثة بيت مري وحريق القرى المسيحية في المتن التمسوا بها بسط السلطة التركية عليهم مباشرةً ليخلصوا من اعتداء زعماء الدروز فارسلت الحكومة حالاً قوة من الجنود المنظمة واحلّت العريضة محلها من الاعتبار . (عدد ٩٨ ص ٧٦)

٢٢٤ ـ ومنه ايضاً الى السير هـ . بولفر بتاريخ ٢٥ اب سنة ١٨٥٩

اتشرّف فانبئكم ان حالة الجبل لا تزال هادئة وان خورشيد باشا ما برح متغيباً وقد لحق به عطا بك

في غد فتنة بيت مري اضرم الدروز النار في قريتين مسيحيتين ونهبوهما فارسل كل من رصيفي قنصلي فرنسا وروسيا أحد مأموريهما إلى معسكر الباشا لينقلا لهما خبر اجراءات الباشا والمجريات وقد امتنعت عن الذهاب بذاتي علماً بمباينته لمنطوق تعليمات سعادتكم الناهية عن التدخل في الشؤون الذاتية « الداخلية » . أجل لقد وافقت القناصل في اجتماعهم على مؤاتية ايفاد هؤلاء المأمورين إلى المعسكر على

ان ذلك كان يوم كانت الحوادث تنذر بالويل إذ كان من الواجب ان انفذ معتمداً للمفاوضة بين دولة الباشا وبيني بما يتعلق بمصالح الانكليز في جبل لبنان في خلال تغيبهِ عن بيروت

ان قنصل النمسا العام لم ينتدب احداً لمثل هذه الغاية. ويعتقد الجميع ان الحكومة العثمانية تنظر إلى هذه المشاغب بعين الرضا وقد أتهمت بحق باثارتها لغرض في النفس وانهُ اذا ترك الشعب لا يؤمن تجددها

هذا ونظراً لما فعلت الحكومة في لبنان يتعذر عدم مشاطرتي هذا الرأي .

(تابع عدد ٩٨ ص ٧٦)

٢٢٥ – وصله ايه في ٢٦ منه

اتشرَّف فاخبركم ان خورشيد باشا استدعى الامير بشير احمد القائم مقام المسيحي في جبل لبنان إلى معسكره في الجبل المذكور. فغادر الامير بيروت يصحبه بامر قنصل فرنسا أحد موظفي هذه القنصلية واحد قواسيها وغير واحد من حمايا هذه الدولة

ان كوائن لبنان الحديثة قد ولّدت في المدينة نفرة قاطعة عرى الوئام فالمسلمون يبدون ميلهم للدروز والمسيحيون لابناء مذهبهم فنشأ بين الطائفتين تحاذر وتباغض وكلتاهما تحاولان تهريب الاسلحة إلى الجبل وايصالها إلى الحزب الذي تميل اليهِ

ان عارف افندي الدفتردار وكيل خورشيد باشا في مدة تغيبهِ في لبنان عهد الى ترجماني العائد الان من دار الحكومة بانبائي انهُ استدعى اليه اليوم رؤساء الطوائف المسيحية والمسلمة في هذه المدينة وخطب فيهم محرضاً اياهم على حفظ السكينة وبث روح الوئام بين ابناء مذهبهم وانه تلقى وعوداً وتأكيدات مرضية من الطرفين (تابع عدد ٩٨ ص ٧٦ ـ ٧٧)

٢٢٦ – الفصل فبن الى اللورد جون روسل عنه صور في ٣٠ اب سنة ١٨٥٩

يوجد في فلسطين ومصر طائفة تلقب بالروم الكاثوليك وهي قليلة العدد في جنوبي عكا لكنها وافرته في ثراء شماليها ولاسيما في حلب حيث لها فيها اسقفان وفي زحلة من أعمال لبنان وفي دمشق

ومنشأ هذه الطائفة من الكنيسة الرومية الارثوذكسية في هـذه البلاد وقد انضمّ ابناؤها إلى الكنيسة الرومانية بشروط منها استعمال لغتهم في حفلاتهم الكنسية وحفظ ايام الاعياد عندهم بما فيهِ استقلال واسع في المسائل المدنية المتعلقة بالارث والتملك وغير ذلك

ان البطريرك السابق مكسيموس مظلوم وقد رقّاه البابا إلى هذا المنصب منذ اثني عشرة سنة هو أعظم من طارت شهرته فيهم سابقًا . وفي عداد الوسائل الصغيرة التي أوجبتها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لتحقيق فكرة تمام انضمام الكنائس حمل هولاء الشرقيين المعتنقين مذهبها على استبدال الحساب الشرقي القديم بالغريغوري الجديد

ولمّا عُرض هذا التدبير على مكسيموس في رومية أبى الاذعان اليه . ومن الشائع على ألسنة اولاد طائفته في فلسطين انه هددها بالانفصال كل الانفصال عنها مردفًا : « اذن تصبح بابا الغرب وانا بابا الشرق » ولمّا كان رجلًا صلب الرأي لم يُلح عليهِ كثيرًا . ولقد توفي مكسيموس منذ سنتين وخلفهُ حبر جاهل أصله فلاح قرب عكا اسمه اكليمضوس وقد رُقي إلى منصبه البطريركي بتعهده خطًا بحمل كل طائفته بعد بضع سنين على اتباع الحساب الغريغوري . وما استقرّ به المقام في دمشق حتى شرع بتنفيذ ميثاقه فحدثت انشقاقات وانقسمت الطائفة على بعضها وجاهر بعضهم بالعصيان برئاسة اساقفتهم . ثم انهُ من بضعة أشهر تفاقم الخلاف

ونزع ابناء طائفته إلى العصيان فرفع استقالته الى البابا وذهب إلى مصر حيث هو الان . أما المطارنة الفائزون في حملتهم عليه فهم اليوم في زحلة لانتخاب بطريرك جديد يحفظ استقلال الكنيسة الشرقية خلافاً للبطريرك البابوي المتقدم ذكره . وكما تقدّم لي القول ان الطائفة مقسومة على بعضها في عدة اماكن حتى في مدينة صور هذه . وفي ادار سنة ١٨٥٨ طرد معظم ابناء الطائفة هنا رئيس اساقفتهم بسبب الخلاف القائم على ابدال الحساب فلجأ الى عكا ومنها عاد اليها على بارجة فرنسويّة اطلقت لهُ سبعة مدافع عند نزوله الى البرّ . وكان ان صرّحت الطائفة بأنها مستعدة لقبوله على شرط أن يتعهد بعدم احياء مسألة الحساب وظلت الامور على هذا المنوال مدّة ثلاثة اشهر فنهض معظم الشعب واستأنف الثورة عليه وطرده دون مس شخصه بضرر وسلّموا أواني الكنيسة وحللها الى كاهنين من حزب الحساب القديم وهما الان يقومان بالحفلات الدينية دون مطرانهما وقد شاهدته حديثاً في عكا وهو يعيش من راتب أجراه عليه بطريرك اللاتين في القدس

وهنا يجب عليّ ان أبيّن ان الطائفة الكاثوليكية قد كانت دائماً شديدة الحرص على استقلالها وتعتبر دار الاسقفية وما فيها من الاثاث ملكاً للمطرنية يستلمه الاسقف حين يكون في منصبه لا ملكاً خاصاً به . ان بطريرك اللاتين أرسل إليّ بمناسبة هذه الثورة كاتب سره يحمل التحرير الذي تلقاه من المطران المطرود وفيه يبسط حادثته مجسمة ويتهم وكيلنا الاسقفي وترجمانه (وهما من ابناء طائفته) بانهما زعماء هذه الحركة . فارسلت في الحال المستر ب . ميشولام واطلقت يده في البحث والتحري عن هذه الحادثة في محلها . على ان البطريرك اللاتيني كان أكد لي بان ليس لديه دلائل تثبت جرم وكيلنا القنصلي بل اقتصر على ايقافي على التحرير الذي تلقاه من المطران المذكور وقد عاد المستر ميشولام حاملاً ادلة عديدة تنفي تدخل مأمورينا في الحادثة المذكورة وتثبت انهم كانوا حين حصولها في قيلولة الظهر وانه لم يحصل

اعتداء على شخص المطران وان الوكلاء اقتصروا على ضبط الوقف وهذا ان الامران الاخيران ليس من خصائصي النظر بهما

اما الحالة الان فهي ان اشياع حزب الحساب القديم في هذه المدينة يبلغون الف ومائة نسمة في حين ان اشياع حزب المطران البابوي لايتجاوزون ١٢٠ شخصاً وقد امروا بقضاء واجباتهم الدينية في كنيسة الموارنة

ان الاساقفة المجتمعين في زحلة لانتخاب البطريرك الجديد المعاكس للبابوية هم اساقفة بيروت وصيدا وزحلة وبعلبك وحمص وحماة اما الذين تخلفوا عن حضور هذا الاجتماع انتصاراً للبابوية فهم مطارنة عكا وصور واثنان من حلب . وعدا ما تقدم يوجد ثلاثة كراسٍ فارغة وهي مصر ودمشق وحوران ثم ان مدرسة دير المخلص قرب صيدا وهي مدرسة اكليركية للروم الكاثوليك ينزع ذووها إلى حزب الحساب الشرقي القديم كما ان ثلاثة ارباع العلمانيين على الاقل هم من هذا الحزب

ان جميع حزب الحساب الشرقي الذين حادثتهم يميلون إلى التسليم بان لا أهمية عظيمة لادخال عشرين يوماً في الحساب مرة واحدة (وان كان يوجد متعبدون لبعض قديسين مخالفين لهذا الرأي) لكنهم يستحسنون ما هو جار في صور وزحلة ويعدونه مقاومة حقة لاعتداءات السلطة الرومانية عليهم وقد سررت من ان مأمورينا لم يتدخلوا في هذه الحوادث وانا اكفلهم بانهم لن يتدخلوا . (عدد ١٠٠ ص ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩)

٢٢٧ – صور القنصل العام الى اللورد جون روسل في ١٥ ايلول سنة ١٨٥٩

اني عطفاً على صورة رسالتي إلى سعادة السير هنري بولفر المتقدمة في طيه أتشرف فاخبر سيادتكم ان فلاحي كسروان يعقدون الاجتماعات الان بغية ان ينتخبوا زعيمهم المدعو طانيوس شاهين مديراً لشؤونهم تحت يد القائم مقام بصورة مستمرة بدلاً من

المشايخ الخازنيين اصحاب الاقطاعة ورؤسائهم السابقين . ان طانيوس شاهين هو بيطار من قرية ريفون في كسروان حيث يوجد محل اصطياف للرهبان اللعازاريين الفرنسويين اصحاب مدرسة عينطوره الشهيرة . وهو منذ طرد المشايخ الخازنيين يتمتع بسلطة مطلقة لم يضع خورشيد باشا لها حدًا . ويقدر انه أمدَّ باموال مصدرها اجنبي ووطني والمرجح ان المصدر الاخير هو الاكليروس الماروني والروماني لانه يساعد الثوار . (عدد ١٠١ ص ٧٩)

٢٢٨– صورة الى السير هـ . بولفر بتاريخ ٢ ايلول سنة ١٨٥٩ و٤ صفر سنة ١٢٧٦

أتشرَّف بان ارسل اليكم في طيه صورة الرسالة التي انفذتها في اول الجاري إلى اللورد جون روسل

قد سبق لي ان اخبرتكم في رسائلي التي رفعتها إلى سعادتكم في خلال هذه السنة عن ثورة فلاحي كسروان على مشايخهم الخازنيين اقدم اسر لبنان المسيحية واكثرها عددًا. وعن الاعتقاد السائد من ان الحكومة هي التي حرضت الفلاحين عليها وكان من نتيجتها طرد جميع المشايخ وعيالهم من بيوتهم وضبط مداخيل املاكهم بحيث امسوا وعددهم زهاء ٥٠٠ نسمة في حالة شقاء عظيم وتعوزهم الحاجات المعاشية الاولية

ولمَّا كانوا قد يئسوا من ان تنصفهم الحكومة رفعوا عريضة اجماعية الى قناصل الدول الخمس بسطوا فيها شكاويهم وسألوهم ان يشفعوا فيهم الى الباشا ليساعدهم على الرجوع الى بيوتهم واستلام املاكهم

أمَّا انا فقد اقتصرت على ان اخبر الباشا بوصول هذه العريضة إليَّ واني اوَمل منهُ ان يتخذ الوسائل لانصاف المشايخ . (تابع عدد ١٠١ ص ٧٩)

٢٢٩ ـ القنصل برات الى السر هنري بولفر عنه بلوداه بتاريخ ١٩ ايلول سنة ١٨٥٩ و٢١ صفر سنة ١٢٧٦

لم اكتب الى حضرتكم في المدة الاخيرة ليس لعدم وجود كوائن خطيرة في جواري بل لانها حدثت في ايالة بيروت لا في ايالتنا . الاّ انهُ منذ مدة قريبة وقعت فتنة في قرية المعلقة وهي موقع عسكري مجاور لزحلة تابع لولاية دمشق فيها دير وكنيسة وكان يُنتظر ان المشير يزور المكان المذكور بعودته من بيروت وقد ذهب اليها للقاء جلالة السلطان . ويوم السبت كُلف اناس بتكنيس الازقة لكنهم هربوا جميعاً ولجأوا الى الحدائق وفي يوم الاحد جاءت الجنود وانتظروا عند باب الكنيسة وقبضوا على بعض أشخاص والتجأ آخرون الى الكنيسة حيث لحقت بهم الجنود فاحتجّ الكهنة على هذا العمل فأُسيئت معاملتهم

ثم أرسلت جنود أخرى إلى الدير الذي يرأسه الاب بيلوته وهو فرنساوي وقبضوا على اللاجئين اليهِ بعد ان ضربوا الرئيس بكل قساوة وعذّبوه فاصابه من جرّاء هذه المعاملة البربريّة مرض شديد

وقد أرسل من دمشق مسجل قنصلية فرنسا وصادق افندي للتحري عمّا جرى وبعد فحص طويل أجرياه منفردين اتفقا على حقيقة وقوع الحادثة فقط ورفعا بياناً بها الى رئيسيهما

واني انقل اليكم خبر هذه الحادثة باختصار مأخوذاً من الاشاعات المتناقلة إذ تعذر عليّ الحصول على افادات ثابتة . (عدد ١٠٣ ص ٨١)

٢٣٠ – صور القنصل العام الى السر هنري بولفر في ٢٩ ايلول سنة ١٨٥٩

أتشرّف فاخبركم ان الراحة لا تزال مستتبة في لبنان وان كان يخشى من حالته

القلقة

ما زال خورشيد باشا والي الايالة وعطا بك مندوب الباب العالي غائبين في لبنان مشغولين في الظاهر باقرار الراحة في ربوعه وبفصل المشاكل التي تولدت عن الفتنة

يظهر ان القائم مقام المسيحي أعيد إلى منصبه وهو الان في مقره في برمانا يدير شؤون القائم مقامية

ان المشايخ الخازنيين لا يزالون فارين من بيوتهم وعرانضهم إلى دولة الباشا طلباً لتأمينهم وانصافهم لم تلاق سوى وعود فارغة . فموقف هذه الاسرة المنكودة الحظ والمعتدى عليها لهو في اقصى درجات الحراجة : فهم طريدون واسرهم عرضةً لاعتداء الفلاحين ومحاصيل املاكهم محجوزة بيد زعماء الثورة واملهم ضعيف في حماية الحكومة التركية . (عدد ١٠٤ ص ٨١)

٢٣١ – القنصل برات الى السر ه . بولفر بتاريخ ٣٠ ايلول سنة ١٨٥٩ و٣ ربيع الاول سنة ١٢٧٦

اني لاسف ان تضطرني الحال الى ان تكون لهجة البيان الذي ارفعهُ الى حضرتكم في كل ثلاثة اشهر الشكوى من الحالة. فمنذ انفاذ كتابي الاخير اليكم لم تتحسن الاحوال قيلاً بل ازداد الاستياء. واخذ الجميع يعلنونه على رؤوس الاشهاد دون تحذر

لم يُروَ لي حادثة تثبت ارتشاء الباشا وقد قال لي موظف كبير من اصدقائه ان هذه التهمة برهان على عدم صحة شكاوى الجمهور منه وانا اميل الى الارتياب في صحة تهمة الارتشاء لان القائلين بها يحاولون اثباتها بالتلميح غير موردين حادثة ثابتة تؤيدها ولا اجرأ على التأكيد ان دولته قد خسر حلية النزاهة التي كان يعتقد الجمهور انه مزدان بها وكنت اود لو استطعت تفسير هفواته والغلاظة التي يأتيها في اتمام واجباته الصعبة بدون لزوم بمثل هذه السهولة لكن من المؤكد – اذا صدقت الاشاعات

المتفشية على ألسن الجميع - انه متى كانت الدعوى بين المسلمين فقط لا ينالون حقهم إلاّ بشق النفس ومتى كانت بين مسيحيين وطنيين ومسلمين فلا يُحكم قط للاولين. اما اذا كان الامر متعلقاً بالاوربيين فكل مسألة تدفع بالحيلة او يعمد فيها الى المماطلة والمواربة أو تُترك في زوايا الاهمال أو تُرد بتاتاً حتى انه لو وردت أوامر بهذا الشأن من الباب العالي إلى الباشا لا يكون لها ادنى تأثير ولا يُعمل بها

ان الضرائب قد زيدت في هذه الايام الاخيرة كثيراً وجبيت بغلاظة وقساوة جعلتا عبئها ثقيلاً واستخدمت الجنود في جبايتها وأُطلقت لهم الحريّة وعهد للضابط الذي يقود العساكر باعطاء علم بكل ما يقدم لرجالهِ ليحسم ثمنها من اصل الضرائب المار ذكرها على ان هذه القاعدة لم ترعَ كل الرعاية فالضباط لا يعطون بياناً الاّ نادراً حتى ان الحزينة لا تعدم حيلة لرفض قبولها بحيث امسى على الفلاّحين ان ينهضوا بعبء اعالة الجنود . وقد حدث كثيراً ان جاء اهالي القرى دمشق للشكوى من سلوك الجنود ومن مشايخهم فكانت الحكومة توْجل فحص دعواهم فتربو الاضرار اللاحقة بهم من مشاق الطريق ونفقات الاقامة في المدينة وخسارة ترك اشغالهم وتغيبهم عن بيوتهم على ما جاءوا يشكون منه ولذلك نراهم يعدلون عن شكاويهم موثرين احتمال الضرر الاول على التعرض لاعظم منهُ اذا ما سعوا لازالته . وعليه فان البلايا التي تنجث عن فرض هذه الضرائب الغير العادلة والطرق الجائرة التي استعملت في الجباية ولّدت استياء عاماً وفقراً وشقاء حتى ان الفلاحين الذين ما زالوا يملكون سحتاً أخذوا يفرُّون إلى غير نواحٍ والذين فقدوا كل أموالهم لم يبقَ لديهم وسيلة لحراثة الارض التي أمست مواتاً وهكذا نقص المحصول تدريجاً وقلّت وسائل دفع الضرائب . بيدَ ان المبلغ المفروض سيستوفى كله حسب العادة بالعنف والاكراه من الفلاحين الذين لم يلوذوا بالفرار وبهذه الصورة تتفاقم الشرور الى ان تمسي البلاد قفراً خاوياً . وعلاوة عما تقدم فان الحكومة تأخذ مال الشعب ظلماً وعنفاً ولا

تحميهم من العرب الذين يزدادون جرأة واعتداء وقد شاع حديثاً انهم غزوا قرى في عدة انحاء من هذه الايالة وخربوها وفي عدادها قرى واقعة على بضع ساعات من المدينة مما لم يحدث قبلاً

وقصارى القول ان عمل الحكومة قائم بابتزاز اموال الفلاحين التعساء لمصلحتها في حين انها لا تأتي بدليل على ادراكها وجوب حماية الذين يجب عليهم ان يدفعوا الاموال اللازمة لتحسين حال الولاية وسد حاجات الحكومة المركزية وانما تهمل الاحتياط للامر

ان جوّ سوريا صافٍ وهواؤها جيد وارضها خصبة حسنة الري وعليه يمكنها ان تصبر على هذه الحالة اكثر من غيرها من الولايات الاقل خصباً ولكن لا بد في آخر الامر من ان تفرغ هذه الموارد حتى إذا عمت هذه الطريقة سائر انحاء السلطنة قل المحصول في كل سنة وإذا بقي على حاله فلا يلبث طويلاً وينتهي الامر بنضوب معين هذه المداخيل . فمن الملوم على طريقة الحكم هذه المؤدية إلى الخراب ؟ لا استطيع ان اقول إذ لربما كان الباشا مكرهاً على العمل بقوة ضغط الحكومة بيد اني افترض انه يجب ان يُنسب اليه الطريقة التي اتبعت في بلوغ الغرض والا كان من واجبه ان ينبه الحكومة إلى هذه النتيجة السيئة . ولا اقول ان هذا السلوك يحدث ثورة لان الشعب طبعه سهل يحتمل كل شيء وان كان من الخطر زيادة احراجه وافراغ جعبة صبره لان القنوط سيدفعه الى ما تنفر منه طبيعته

وقد سبق لي ان اخبرتكم في تقريري الاخير ان زحلة جُعلت تحت سلطة صادق افندي وألحقت بولاية سوريا لكن قد ظهر الان انها نُزعت من الامير بشير ووضعت تحت سلطة والي صيدا . ولا يزال الامير سليمان الحرفوش في السجن لان الباب العالي لم يقطع في أمره بعد . أما نسيبه الامير محمد فمطلق الحرية وينهب قرى الولاية ويغرّم أهاليها والحكومة لا تتخذ تدبيراً حازماً للقبض عليه لكنها تعاقب

الاهالي الذين يدفعون المال الذي يصادرهم عليه وهي لا تحميهم . ومن جهة اخرى فالقرويون يخشون انتقام الامير منهم إذا ابوا الدفع اما اتباعه فقليلون وفي طاقة الاهالي القبض عليه ويرغبون فيه غير انهم يخافون ان يطلق سبيله مجدداً فيقتص منهم . وقد جرى مثل ذلك بحيث امتلأ قلب الشعب رعباً من انتقام هذه العائلة منهم لان اعضاءها كثيرون وهم ينزلون ضروب الجور بالذين يعاكسون اعمالهم وقلوبهم لا تعرف الرحمة . وفرائص القرويين ترعد دائماً من خوفهم (في حين ان الحكومة عاجزة عن حمايتهم) ولا عجب إذا طارت قلوبهم شعاعاً إذا ما اساءوا إلى احد افراد هذه العائلة

وقد أرسلت الجنود مجدداً إلى حاصبيا وراشيا فساد الامن موقتاً فيهما ومن الشائع ان دروز حوران متسلحون ويخشى ان ينضموا إلى ابناء مذهبهم في لبنان ويهاجمون الموارنة الذين يعدون عدد القتال والدفاع

ان الحجاج عادوا ولم يسيء اليهم العربان لكنهم قاسوا اهوالاً من شدة الحر في الطريق فمات منهم كثيرون وتعافى الباقون قبل وصولهم إلى دمشق وقد ذاع ان نفقات الحج هذه السنة قد زادت عن ذي قبل زهاء ٤ الى ٥ الاف كيس (اي ١٦ الى ٢٠ الف ليرة انكليزية) من جراء الخطة التي عُول عليها هذه السنة وقد وضع المجلس هنا مضبطة يسأل بها الباب العالي الرجوع الى العادة القديمة لانها اقل نفقة واكثر موافقة للحجاج . (عدد ١٠٥ ص ٨٢ ـ ٨٣)

٢٣٢ – صور القنصل العام الى اللورد ج . روسل في ١٥ ت ١ سنة ١٨٥٩

اتشرف بأن ارسل الى سيادتكم نسخة من لائحتي السابقة الى سفير جلالتها لدى الباب العالي (وهي ترفع مرة في كل ثلاثة اشهر)

ان خورشيد باشا عاد اليوم من لبنان

لقد جيء هذا الصباح بالسبعة والثلاثين شخصاً مسيحياً فدرزياً المقبوض عليهم

منذ بضعة ايام بتهمة تدخلهم في فتنة بيت مري ليسجنوا في الثكنات العسكريّة

ان القائم مقام المسيحي باقٍ في بيت مري ومعه ٢٠٠ جندي غير نظامي على نفقة الحكومة التركية . ان ابقاء الباشا هذه القوة في يد القائم مقام ولّد الظنون بأن الحكومة لا تأمن عليه من تركه وحده . (عدد ١٠٦ ص ٨٣)

٢٣٣ ـ صور القنصل العام الى السر بولفر بتاريخ ٣٠ ايلول سنة ١٨٥٩

اتشرّف بان ابسط لكم ملخص الكوائن المهمة التي وقعت في خلال الثلاثة الاشهر المنقضية في هذه النواحي

ان المدير المسلم الذي أرسلهُ خورشيد باشا لادارة شؤون مدينة زحلة المسيحية موقّتاً ما برح فيها . بيدَ انهُ من الشائع عن لسان قنصل فرنسا العام ان هذه المدينة ستعاد في القريب العاجل الى حكم القائم مقام المسيحي . ان حالة قضاء كسروان الماروني لا تزال على حالها من القلق فالفلّاحون لم يُكبح جماحهم فظلوا معادين رؤسائهم المشايخ الخازنيين. ولطالما استغاث المشايخ المذكورون بالحكومة لاعادتهم إلى بيوتهم أو تمكينهم من استرجاع املاكهم المغصوبة فلم يحصلوا على طائل وأمسى أعضاء هذه الاسرة القديمة وهم كثيرون هنا في فاقة شديدة بحيث يضطرون إلى الاستعطاء في الاماكن المختلفة التي لجأوا اليها

ان الحكومة المصريّة قد ابتاعت عدداً وافراً من الخيل والبغال لزوم جيشها

لم يزل الاضطهاد متواصلاً ضد بعض الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني في قضاء المتاولة التابع هذه الايالة مع انهُ سبقت الشكوى منه وورد أمر وزاري إلى خورشيد باشا موعزاً بتظليلهم بالحماية وبانصافهم من المظالم . وقد افادني حديثاً المرسلون الاميركيون المقيمون في صيدا ان نتيجة شكواهم كانت على غير ما يأملون اتصل بي ان محمد بك الاسعد استأنف منذ عودته من بيروت اضطهاد

كثيرين من البروتستانت حبساً وضرباً وتغريماً فانه يلومهم على انهم « شكوا منه الى قنصل انكلترة العام » كما كتب لي المستر ادي المكرَّم

ان خورشيد باشا والي الايالة وعطا بك باقيان في لبنان حلًّا للمشاكل المتولدة عن اقتتال بيت مري . وقد فرض مبلغ ٢٩ الف قرش على الدروز تعويضاً عن حرقهم الاملاك ونهبها على اثر الفتنة المذكورة على انه يرى ان هذا المبلغ غير وافٍ لان المعاد من المنهوبات تافه والناهبون الفارون لم يجازوا حتى الان . ان أهالي بيت مري مسيحيين ودروز عادوا الى بيوتهم المهجورة

لقد نشأ عن استمرار المحكمة التجارية المختلطة في بيروت على الاضراب عن العمل مسألة خطيرة ذات اذيال بين الرعايا الاوربيين والعثمانيين ولمَّا رأى الاولون حبوط امالهم في اصلاح هذه المحكمة أجمعوا على طلب اعادتها الى ما كانت عليهِ سابقاً في حين ان الحكومة التركية تصرّ على مشروعها وقوامه فصل المحكمة الى قسمين مختلفين وحصر حضور الاعضاء الاوربيين يومين في الاسبوع متى كانت الدعاوى مختلطة . وقد بلغ استياء التجار الاوربيين من الميل إلى ادخال ترتيبات جديدة مبلغاً عظيماً بحيث ان جميعهم استعفوا من وظيفتهم رافضين القيام بها . وبعد ان جرت المفاوضة في هذه المسألة هنا رُفعت أخيراً إلى الاستانة

ان الحكومة التركية لمواصلة خطتها غير ملتفتة الى شكاوى اهالي جبل لبنان والظاهر انها مصممة النية على ابقاء حالة الجبل القلقة على ما هي على أمل ان تتمكن في آخر الامر من الغاء هيئة حكومتهِ الحالية بحجة عدم كفاية أهليه

وفي الحقيقة ان ادارة خورشيد باشا يجول فيها روح تقهقر ناشئة عن حالة الشؤون في جميع انحاء الايالة حيث يسود استياء عظيم ولاسيما بين الاوربيين لانهم يرون ان دولته راغب مزيد الرغبة في حرمانهم من الفوائد

ان القائم مقام المسيحي وان كان عاد إلى لبنان حيث هو الان لم يصر اعلان

اعادته إلى وظيفته ويخيل ان موقفه غير مستقر على حال

ان البارجة الحربية الفرنساوية « لاسانتينل » . التي بامرة القائد كرانتز وقد وصلت إلى بيروت في ٢٥ الجاري سافرت إلى قبرص وستمكث هناك ردحاً من الزمن

ان نتيجة الموسم في هذا الفصل غير مرضية فان تباشير شهر حزيران بالاقبال لم تتحقق بسبب لفح السموم الشرقية هذه السنة بصورة غير عادية . ويقدرون ان محصول الحرير والحبوب ينقص النصف عن مثله قبلاً ان في جنوب سوريا وان في شماليها خلا حوران وبعض قرى حوالى دمشق . (عدد ١٠٦ ص ٨٤ ـ ٨٥)

٢٣٤ – الفصل فين الى اللورد ج روسل عن القدس في ١٧ ت ٢ سنة ١٨٥٩

لقد زرت الباشا تلبيةً لدعوته وحادثته أمس ملياً فبسط لي كل ما أتاه في خلال الاشهر المنقضية في سبيل اقرار الامن في هذه الناحية

ان نفي عبد الرحمن وسلامه عامر إلى الاستانة ونزع السلاح من الفلاحين كلما وجد بيدهم قد وطد الراحة التامة في مدينة حبرون والقضاء التابع لها

ثم ان نفي عثمان لحام ومحمد عطاالله النسيبين المتعاديين وغيرهما إلى قبرس مع اقصاء سائر العائلة من بلاد العرقوب إلى الرملة قد جاء باحسن نتيجة . وخلا ما تقدم فان دولته قد اقام في ذلك القضاء القاضي ومعهُ مائة من الباشبوزق وعين قاضياً للحكم بموجب الشريعة الاسلامية وألف مجلساً واحداً من الشيوخ لعدة قرى

وقد حسّن احوال غزة فكسر اشقياء العرب وأجاز للباشبوزق اطلاق النار عليهم في الضرورة واستوفى منهم غرامة قدرها الفا ليرة عثمانية انفقها برضا مشايخ القرى على انشاء حصون صغيرة على طول الطرقات العامة او « بناء على طلبهم » كما

يقول . ثم انهُ توفق إلى اكراه الفلاحين في كل مكان على تأدية متأخرات الضرائب للحكومة

وقد اتخذ جميع هذه الوسائل الفعّالة دون ان يسفك دماً أو يخرب أحقر قرية بيدَ انهُ لا يأمل باحراز رضى حكومته ويخاف احد ثلاثة أمور ألاَّ يكون خلفه قادرًا على مواصلتها أو انهُ غير كفوء لها أو انهُ لا يريد ولذلك رغب إليَّ في ان اواصل مساعيَّ الغير منقطعة والمشهورة (على ما يقول) وقد بذلتها في سبيل توطيد سلطة الحكومة التركية في هذه الانحاء لاقناع الحكومة بمتابعة نهجه . ان دولته لم يقل لي ان في النية ابداله قريبًا . بيدَ انهُ مكث في منصبه مدة غير عادية أي زهاء سنتين ونصف سنة

فاغتنمت هذه الفرصة المناسبة والقيت على الباشا عدة أسئلة عن الحالة الحاضرة

لماذا ضباط الباشبوزق يقتصرون على الباس بعض رجالهم البزة الجندية في حين انهم يتناولون ثمن مائة بزة جندي ؟ وهل أصلحت بعض نقائص في هذا السلك ؟ فاجابني انه اصلح كثيرًا فيه انما يجب ألاَّ يُرجى ادراك الكمال في الحال لسيادة الفساد بين افراده

هل للاخبار التي سمعت بها في يافا والرملة نصيب من الصحة من مثل استمرار حالة غزة سيئة لان المفتي مواصل تعصبه مما يلحق ضررًا بالمسيحيين والمسلمين على السواء ؟ فقال دولته انه سيداوي هذه الحال قريبًا بابعاد حلفاء المفتي وهم اشقياء العرب والباشبوزق اصحاب الحول وان نفوذه ضعف كثيرًا وخلا ما تقدم فهو عازم على ابعاده عن فلسطين . (وعندي ان هذه الوسيلة الاخيرة لافضل من سواها)

ثم شكوت للباشا من سوء تصرف ملتزمي الاعشار وضررهم وقد وجدوا كل مرة غير مسؤلين امام الباشا والقانون واخبرته انني في اثناء تجولي جمعت الادلة اللازمة لرفع بيان إلى سفير جلالتها في الاستانة في كيفية ابتزازهم الاموال في

فلسطين. فهزَّ دولته اكتافه وتمنى لي النجاح

ثم طلبت اليه ان يتخذ الوسائل لكبح جماح قبيلة عرب عدوان الذين اجتازوا الاردن وارتكبوا كثيرًا من المنكرات والاعتداءات في أريحا وقد رفع اليَّ الرعايا الانكليز عريضة طلبًا للاقتصاص منهم على ما نهبوه موضحين سهولة معاقبتهم بالاستيلاء على مستودعات الحبوب في أريحا

وفي النهاية أفضت في بيان مقتل الانسة كريزي وقد ظل بدون معاقبة وفي ما لحق بصحة الاسر الانكليزية من الاعتلال بسبب خوفها على اثر هذا الحادث من الخروج إلى مصطافها في الصيف المنقضي جريًا على مألوف عادتها منذ ١٥ سنة دون خطرٍ والاصطياف ضروري لصحتهم لكونهم غرباء لم يعتادوا هواء البلاد. فوعد دولته بتوجيه كل عنايته إلى ازالة هذه الموانع ملقيًا كل اللوم على ابي غوش

هذا وأتشرَّف بان ابدي لكم رأيي الخاص في المسائل المتقدم ذكرها وهو أني سمعت وشاهدت في بيروت ان ادارة الحكومة التركية فيها هي دونها في فلسطين واضعف منها انما من الجلي ان رغبة واحدة سائدة في كلتا الادارتين قوامها كسر النفوذ الاوربي

أجل ان المسافرين في قضاء نابلس اكدوا لي انهم لقوا فيهِ أمنًا وراحة تأمين بفضل الحكومة العرفية ومرابطات المدن والجنود النظامية المنتشرة في القرى بيدَ انهم لم يشاهدوا الاضرار التي تأتيها الجنود باعتدائها على الفلاحين المساكين واغفالها رفع الاضرار التي التحقت بالانكليز في نابلس وقد سبق لي الشكوى منها . (عدد ١٠٧ ص ٨٥ ـ ٨٦)

٢٣٥ ــ صورة الفصل العام الى اللورد ج . روسل بتاريخ ٢٢ ك ١ سنة ١٨٥٩
و٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٧٦

اتشرّف فانبئكم بان الطرقات العامة في سوريا أصبحت اكثر أمناً من ذي قبل وهذا ناتج خاصةً عن معاقبة زعماء العيال المقلقة في كثير من النواحي الجبلية وعن الحزم الذي أظهره أخيرًا الولاة الاتراك بمنعهم الحكّام الوطنيين ذوي الاقطاع من الطبقة الثانية عن الظلم والاستبداد . أمّا فيما يختص بجبل لبنان فيظهر ان والي صيدا أقرّ رأياً على اطلاق يد الشعب ومنذ أُعيد القائم مقام المسيحي الى مركزه زادت القلاقل التي ذكرتها غير مرة في انحاء قائم مقاميته وسادت الفوضى في كسروان واغتصب زعماء عصابات شريرة سلطة الاسر ذوات الاقطاعات الملتجأة إلى الخارج وهم يحكمون حسب هواهم غير حافلين بالسلطة الشرعية في حين ان القائم مقام وهو يشهد هذه الاضطرابات لا يحرك ساكناً ويعترف جهارًا بعجزه عن قمعها ويسمح باحتقار سلطته من جرّاء سقوط هيبته ونفور القلوب منه وعدم عضد الولاة لهُ . (عدد ١٠٩ ص ٨٦ ـ ٨٧)

٢٣٦ ــ ومنه الى السير بولفر عنه ببيروت في ٣٠ كانون الاول سنة ١٨٥٩

اتشرّف فانبئكم اني تلقيت اسوةً برصفائي كتاباً من المشايخ الخازنيين وفيهِ شرح حالتهم التعسة التي سبق لي وصفها في رسائلي الماضية فاستأذنكم الى ارسال ترجمته في طيه :

لقد تحيّنت المناسبة فسألت خورشيد باشا بطريقة ودية ان يتخذ بعض تدبيرات تحقيقاً لالتماس الشاكين موضحاً لهُ انهُ اذا لم يصغَ الى شكاويهم فانه يمهد للقناصل

السبيل لرفع عريضة المشايخ المذكورين الى سفرائهم وهؤلاء على ما اظن يشددون على الباب العالي بامرها . فاجابه دولته بانه كتب الى حكومته بهذا الصدد وللان لم يرد عليهِ منها جواب وان في نيته ان يذهب بذاته إلى القضاء المضطرب في الربيع القادم بقوة عسكريه لاعادة الامن إلى نصابه . وزاد بانه اذا ما كتب القناصل الى سفرائهم فانهم يعجلون في ورود أوامر الباب العالي اليهِ . (عدد ١١٠ ص ٨٧)

٢٣٧ — عريضة المشايخ الخازنيين

بعد الترجمة المألوفة

في علم سيادتكم ما جرى لنا وما هو جارٍ من اهالي بعض قرى كسروان نهباً وحرقاً لبيوتنا وقتلاً لنسائنا وطردنا وعيالنا تحت مطر من الرصاص مع ضروب الاهانات التي أنزلت بنا اجمالاً وافراداً وقد أبلغت اليكم في حينها . وخلا ما تقدم فقد اغتصبوا جميع املاكنا واستولوا على مداخيلها وتركونا هائمين على وجوهنا تائهين خارج بيوتنا في اشأم حالة وفي منتهى درجات الفاقة إذ اننا نعيش من ريع املاكنا لا من التجارة لاننا لسنا بتجّار . ولا يمكننا الدخول إلى احدى جهات كسروان لان الشعب المذكور مصمم النية على قتل كل من يدخل منا اليها . ولا نراهم يعفون عنا بعد ان قتلوا النساء . لقد تشرّفنا فرفعنا الى سيادتكم والى دولة مشير الايالة عرائض لكنها حتى الان لم تسفر عن نتيجة مع اننا متيقنون ان حكومتنا أيدها الله ووزراءها لا يتخلون عن رعايا مخلصين اخلاصنا وان ممثلي الدول المتحابة لا يحجمون عن انصاف مظلومين مثلنا . لقد مضى علينا ونحن على هذه الحالة التعسة اكثر من ١٤ شهراً والاهالي المذكورون بدلاً من ان يعودوا إلى رشدهم وينقطعوا عن أعمالهم السيئة عمدوا اخيراً إلى قطع أشجار التوت والاحراش وخلافها وهدم بيوتنا وتخريب

الاراضي المزدرعة المثمنة وخلا ذلك فقد نهبوا قطعان الماشية وذبحوها

وهم موطدو النية على تدمير ما بقي من بيوتنا ولذلك رفعنا الان عريضة جديدة إلى دولة المشير ملتمسين ان يرأف بنا وينقذنا من هذه الحالة السيئة واسرعنا بتقديم هذه العريضة إلى سيادتكم وإلى سائر قناصل الدول المتحابة العامين رجاء ان تعقدوا اجتماعاً فنصلياً للنظر في حالتنا الحاضرة وحمل الحكومة المحلية على الاهتمام بشؤوننا ووضع حدّ لشقائنا . وتيقنوا انكم إذا ما عضدتمونا أو تركتمونا فكأنكم عضدتم أو أهملتم جميع مسيحيي لبنان ليس لاننا نشغل مقاماً خطيراً في الدنيا بل لانه متى رأى اصحاب الفتن في الجبل ان شعب قضائنا وقد اقترف هذه الجنايات العديدة بدون عقاب تمتد الاضطرابات إلى سائر الاقطاعات . لقد زعم بان الاضطرابات حُصرت في الاماكن التي يقطنها اصحاب الاقطاعات الغير الطاهري الذيل فنلفت انظاركم إلى انها امتدت إلى الانحاء الخالية من اصحاب الاقطاعات كمدينة البترون حاضرة هذه الاقطاعة فقد ظهر حديثاً فيها جماعة من اصحاب الشقاوة يطلبون إلى اعيانها اموالاً مهددين كل من لا يدفعها لهم بالاعتداء عليه

فما تقدم يظهر ان الحالة التي بسطناها أنفاً توشك ان تشمل البلاد وفي وسعنا ان نورد دلائل أخرى انما حباً بالاختصار نقتصر على ايراد البرهان الطبيعي الاتي : وهو ان الشعب النازع من طبعه إلى الفتن يجب في كل بلدٍ وناحية ان يكون مطلق العنان ومتى اطلق له يرتكب فظائع عظيمة . ومعاذ الله ان يسمح بأن يتم خراب لبنان في أيام سيادتكم وقد كان ناجحاً في عهد الحكم السابق بمساعدة حكوماتكم المعظمة فنرجوكم ان تتخذوا الوسائل التي ترونها جديرة لوضع حد لهذه الحال اتقاء الخراب . وبذلك تكتبون علينا وعلى سائر مواطنينا جميلاً خالداً ونحن نضرع إلى الله ان يؤيد حكومتكم المعظمة ويطيل بقائكم . مذيل بثلاثين توقيع وخاتم .

(تابع عدد ١١٠ ص ٨٧ ـ ٨٨)

٢٣٨ – القنصل برانت الى السر هنري بولفر عن دمشق في ٣١ ك ١ سنة ١٨٥٩

اني لآسف ان تكون احوال هذه الايالة في مدة الثلاثة الاشهر المنقضية لا تساعدني على انبائكم بتحسنها فالامور باقية على حالها والجمهور مشغول بما جرى في الاستانة وبما يمكن ان ينتج عن المؤامرة على السلطان اكثر من اهتمامه بالشؤون الجارية في بلاده . ان الالسنة لهجت كثيرًا بفصل الصدر الاعظم وينظر الى تعيين سائر الوزراء بعين التشوق للاستدلال بها على تبديلات المأمورين هنا ولم يعرف شيء من أمرها إلى أن وردت من الاستانة في البريد الاخير الاوامر بفصل المأمورين السياسيين في دمشق وبيروت فأُعدَّ كدليل على انتهاج خطة جديدة . وكان يعتقد ان صادق افندي يعرقل الاعمال بدلاً من تسهيلها وانهُ كثير الوعود قليل البرّ بها . ولا اظن ان طبقات الشعب في سائر انحاء الولاية تأسف عليه لعدم صدقه. لقد كثرت الاشاعة بان الوالي سيستدعى قريبًا إنما دولته لا يزال شاغلًا منصبي الولاية والمشيريَّة . ان الحكومة تتظاهر باصغائها إلى نصائح القناصل اكثر من ذي قبل وباهتمامها بطلباتهم الرسمية دون تأجيل طويل . أجل لقد حصل في الامور التافهة بعض تحسين لكن في المسائل الخطيرة لم يُرَ ادنى فرق

ومن الشائع ان قد أُلغي منصب الدفتردار وسيعتاض عنه بمنصب رئيس الكتَّاب وهو « المحاسبجي » ان كل دفتردار كان يتناول ١٥ الف قرش في الشهر في حين ان راتب رئيس كتَّابه لا يتجاوز الخمسة الاف قرش وعليهِ سيتوفَّر بهذا التبديل مبلغ عظيم حتى اذا كان « المحاسبجي كفوءًا فيقوم بمهام هذه الوظيفة حق القيام كما كانت في السابق. ومن المتفشي على الالسنة ايضًا انهُ سيعين والٍ واحد لكل سوريًا يكون مقرّه في دمشق . ويولّى عمّال من طبقة ثانية على بيروت وحلب . وبهذه الوسيلة يقتصد كثيرًا في النفقات دون ان تضعف قوة الحكومة وهذه الطريقة تشبه كثيرًا

الطريقة التي أتبعت في عهد محمد علي باشا خديوي مصر وكانت يومئذٍ اكثر نفوذاً من التي سادت بعده . بيدَ انه يضيع النفع المرجو من هذا التبديل اذا لم ينتبه إلى صفات المأمورين ولم يراقبوا مراقبة دقيقة كي لا يحيدوا عن طريق الواجب استئصالاً لجراثيم الارتشاء وابتزاز الاموال . ان هذا المشروع سيأتي دون ريب في مستقبل الحين بذات الاثمار التي انتهجتها الحكومة المصرية ويهيء للحكومة مأمورين لا يقلوا نزاهةً ونشاطاً وذكاءً عن المأمورين الذين كانوا في عهد الحكومة المصرية وقد شرحت لكم بقدر ما استطعت في بيان أنفذته إلى السفارة في سنة ١٨٥٨ الوسائل التي استعملتها الحكومة المصرية لتحسين المالية وانماء موارد سوريا وقابلت بين حالة الايالة في عهدها وحالتها في سنة ١٨٥٨

ولا مراء ان حالة هذه الايالة قد ساءت كثيراً منذ ارجاعها إلى الباب العالي . ان دخلها لم يزل وافراً كما كان لكني اعتقد انها اذا أديرت مدة قصيرة برأفة ممزوجة بالعزم تأتي بنتائج افضل ويزداد دخلها كثيراً وتتضاعف ثروة الاهلين ورفاهيتهم . وفي عرفي ان الوسائل التي تكفل ادراك هذه الامنية هي : (١) ضرب اوتاد الامن بحيث يصبح الاهلون بمأمن من اعتداءات العرب وسائر القبائل ونهبهم (٢) ان يمتنع كبار المأمورين وصغارهم عن ابتزاز الاموال (٣) ان تفصل الشكاوى بكل نزاهة ويعجل بانصاف الشاكين واخيراً ان يعامل فقراء الفلاحين بكل لطف حين جباية الاموال الاميرية متى ساءت حالتهم ان من جراء محل المواسم وان من نهب العرب أو الدروز غلالهم واموالهم مما ليس من ذنبهم . ان الامير سليمان الحرفوش باقٍ في السجن بيد ان الحكومة تشدد في التحري عن امواله واملاكه بغية تسديد مطالب الرعايا الفرنسويين الباهظة وقد حددوها للحكومة المحلية بموافقة الباب العالي وهي مرصدة لانجاز الاعمال التي بدئ بها منذ عدة سنوات . ان الرعايا الفرنسويين ذاهبون إلى بعلبك مصحوبين ببعض مأموري القنصلية للاتفاق مع الحكومة على

فصل هذه المسألة نهائيًا . ان الامير محمد الحرفوش يجوب الناحية المجاورة ويصادر اهالي القرى . وقد سبق لي ان شرحت كيفية تمكنه من اتيان هذه الاعمال وليس لديه غير نفرٍ قليل من اتباعه

ان المحكمة التجارية لا تقوم بواجباتها بطريقة مرضية فرئيسها الحالي يجهل الامور التجارية ولا يريد الاصغاء لنصائح الاعضاء وخلا ما تقدم فهو مسلم متعصب . ولذلك فالاعضاء مستاؤون منه ويرفضون حضور الجلسات فنتج عن ذلك ان توقفت اشغال المحكمة على ما يقال مما اضرَّ كثيرًا بالتجار . لم يتصل بي شيء منذ مدة عن العداء بين الدروز والموارنة ولعلهم تناسوا الان اختلافاتهم

ان اعدام سبعة نفر من النصيرية وقد ذكرت لكم خبره قبلًا لم يأتِ بنتيجة ولم يكن له عبرةً ولم يضعف النصيرية بافقادهم زعماء ذوي نفوذ بل ان الاشخاص الذين أُعدموا ليس لهم منزلة في طائفتهم . (عدد ١١٣ ص ٩١ـ٩٢)

٢٣٩ – مورد الى السير هنري بولفر (١) بتاريخ ٣١ كانون الاول سنة ١٨٥٩ و٦ جمادى الاخرى سنة ١٢٧٦

انه منذ البيان المؤرخ في ٣٠ ايلول المنقضي لا تزال رحى الاضطرابات دائرة في القائم مقامية المسيحية من اعمال جبل لبنان . ان القائم مقام لم يستطع منذ عودته توطيد اركان سلطته والشعب قد شقّ عصا الطاعة على رؤسائه ذوي الاقطاعات الموكول اليهم معاونة قائم مقامهم في ادارة شؤونه

---

(١) في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٨ ابتدأت الفتنة الكسروانية وتوالت الاجتماعات والمؤامرات في القرى على الاسرة الخازنية بايعاز الامير بشير احمد إلى مندوبه مضرم نارها الياس

ان خورشيد باشا والي صيدا وعطا بك المعتمد السلطاني عادا من الجبل في منتصف تشرين الاول وقد قبضا على ٣٦ شخصاً بين مسيحيين ودروز لهم دخل في فتنة بيت مري واقتاداهم الى بيروت ملافاة لتجدد القتال بينهم بعيد عودة الجنود الذين صحبوا الموظفين المشار اليهما ثم كان ان أطلق سبيلهم بناء على تدخل قنصل فرنسا وتعهد الفريقين واصدقائهما المؤيد بالقسم بحفظ الراحة . ومن ذلك الحين استسلموا الى السكينة واتفقوا على دفع التعويضات عن المسلوبات والاملاك المنهوبة . فهذا الحادث يثبت اقتدار ولاة الامر العثمانيين على قمع الاضطرابات وتعزيز سلطتهم في لبنان متى شاءوا

أمَّا في مسألة المشايخ الخازنيين وغيرهم فيظهر ان ارباب السلطة العثمانيين يواصلون انتهاج سياسة الاهمال القاء لحبل أمور اللبنانيين على غاربهم

ان تهديد بطريرك اللاتين بطريرك الروم الكاثوليك في صور وقد انبأتكم به قبلاً لم ينشأ عنهُ ما يشغل البال ولو تتابعت حركة مقاومة ادخال الحساب الغريغوري وتدخل ممثلي رومية دينياً في شؤون طائفة الروم الكاثوليك في المدينة وخارجها . ومنذ استدعاء المدير التركي الذي كان ولاّه والي صيدا ادارة شؤون زحلة بالوكالة أمسى الزحليون متروكين وشأنهم اسوة بسائر اهالي القائم مقامية المسيحية وهم مقسومون على بعضهم بين ساعٍ الى البقاء تحت حكم القائم مقام وبين مواصل التماس الحكم التركي عليهم بيد انهُ يظهر ان الاكثريَّة تريد ان تستمر مرتبطة بلبنان اذا أبدل القائم مقام بغيره

المنير واستناب اهلوها وكلاء عنهم لادارة رحاها وهذه اسماؤهم في اول اجتماع عقدوه

صالح جرجس صفير . يوسف الزغبي . يوسف البسكنتاوي . مخلوف بريدي . سعد غصن . يوسف طنوس تابت عن اهل عجلتون

ان الاسرة الخازنية ما برحت في حالة تعسة من جرّاء طردها من بيوتها وقد رفع اعضاؤها منذ حين عرائضهم تكراراً إلى المشير والقناصل العامين طالبين النظر في حالهم . ولمّا كان خورشيد باشا قد صرّح بعجزه عن مساعدتهم الان لتعذر استخدام القوة العسكرية قبل الربيع فقد أرسلت عرائضهم إلى الاستانة . هذا وان عدة بيوتات من هذه الاسرة الخازنية في عيشٍ مرٍّ لقلة ذات يدها منذ اغتصب الفلاحون مداخيل املاكها وهي موردها الوحيد .

لمّا كانت المحكمة التجارية في هذه المدينة ضاربة عن العمل كما ذكرت لكم قبلاً فقد استأنف التجار رفع عريضة اجماعية إلى القناصل العامين طلباً لتسوية المسائل موقتاً أو تأليف لجنة لفصل الدعاوى المختلطة وقد تراكمت منذ زمن طويل . وعليهِ استدعيت رصفائي إلى جلسة في هذا الصدد واستقرّ رأينا فيها على اضافة اربعة تجار اوربيين إلى المحكمة العثمانية وفيها عدد مماثل لهم وابلغنا اقتراحنا هذا الى الوالي فقبل بهِ . (عدد ١١٤ ص ٩٣)

حسان صفير . وبطرس كنعان كساب عن القليعات . باخوس ابي غالب . ويوسف انطون نصر عن عشقوت . الياس المنير . انطون بشاره قطان . الياس خضرا . حبيب الجاماتي . يوسف حبيلين عن زوق مكائل . هابيل الخوري . حبيب يزبك . الياس حبق . ضاهر الخوري عن مزرعة كفرديان

سجعان العضيمي بشاره غانم عن جونية . حنا ديب . يوسف اغناطيوس عن درعون . صليبي القاعي . مارون مقيم عن سهيلة وجعيتا والمزارع المجاورة

ثم أخذ هؤلاء الوكلاء بتحريض اهل القرى على الانضمام تحت لواء الفتنة تخلصاً من حكم المشايخ واختاروا طانيوس شاهين رئيساً لها

﴿ انتهى الجزء الاول ﴾

ذيل

٣٤٠-بيان مال ميري جبل لبنان بموجب التنسيب الذي جرى بمدة شكيب افندي عن واجب سنة ١٢٦٠ متوزع على هيئة الحكومة اذ ذاك

﴿ مرتبات قضاء جزّين ﴾

بارة غروش — ناحية جبل الريحان

٢٤ ٣٠٥٨٨ مال ميري

٢٤ ٣٢٤٤٨ ٠١٨٦٠ اعانة جهادية

ناحية اقليم جزّين بالذات

٣٢ ٤٢٥٣٥ مال ميري

٣٢ ٥٤٥١٥ ١١٩٨٠ اعانة جهادية

ناحية اقليم التفاح

٢٤٠١٨ مال ميري

٣١٥٧٨ ٠٧٥٦٠ اعانة جهادية

عما تبع القضاء المذكور اعلاه

٠٦ ٠٢٢٩ مال ميري مطاحن

٠٩ ١١٠٦ ״ ״ ״

٢٧ ١٢٠٧٠٠ ١١ ٢١٥٨ ٣٦ ٠٨٢٢ ״ ״ ״ في اقليم التفاح

٢٧ ١٢٠٧٠٠ ما قبله

﴿ مرتبات قضاء الشوف ﴾

ناحية الشوفين

١٠٤٩٤٧ مال ميري

١٢٧٧٧٧ ٠٢٢٨٣٠ اعانة جهادية

ناحية المناصف

٢٧١٦٠ مال ميري

٣٢٠٥٦ ٠٤٩٥٠ اعانة جهادية

ناحية العرقوب التحتاني

١٦ ٥٢٠٩٥ مال ميري

١٦ ٦١٢٩٥ ٠٩٢٠٠ اعانة جهادية

ناحية العرقوب الفوقاني

٠٨ ٢٠٨٠٩ مال ميري

٠٨ ٢٤٠٢٩ ٠٣٢٢٠ اعانة جهادية

ناحية الجرد

٠٨ ٥٣٤٧٩ مال ميري

٠٨ ٦١٨٨٩ ٠٨٤١٠ اعانة جهادية

ناحية الغرب الفوقاني

٠٨ ٢٦٥٤٠ مال ميري

٠٨ ٣٣٢٠٠ ٠٦٦٦٠ اعانة جهادية

٢٧ ١٢٠٧٠٠ ٣٤٠٢٤٧

٢٧ ١٢٠٫٧٠٠ ٣٤٠٢٤٧ ما قبله «تابع مرتبات قضاء الشوف»

ناحية الغرب التحتاني

٢٤ ٦٣٩٣٢ مال ميري

٢٤ ٧٢٢٣٢ ٠٨٣٠٠ اعانة جهادية

ناحية الشحار

٣٢ ٣٢٨٥٤ مال ميري

٣٢ ٤٢٤٢٤ ٠٩٥٧٠ اعانة جهادية

ناحية اقليم الخرنوب

١٦ ٨٦٥٧٩ مال ميري

١٦ ٩٩٨٩٩ ١٣٣٢٠ اعانة جهادية

مرتبات دير القمر مع غربي البقاع

٢٢ ١٨٦٨١ مال ميري وجهادية نفوس دير القمر وتوابعها

١٤٨٩٨ مال ميري واعانة جهادية قرى غربي البقاع

٣٦ ١٢٢٨٠ دفتر مال النهر

٥٢٥٤١ ٢٢ ٠٦٦٨٠ دفتر مال المطاحن

٣٢ ٦٠٧٣٤٤

٢٠ ٦٠٩٫١١٠ ٢٨ ٠١٧٦٥ عما تخصص على قائمقامية الدروز وباقي بدون توزيع

٠٧ ٧٢٩٫٨١١

﴿ مرتبات قضاء المتن ﴾

ناحية المتن عدا الساحل

١٤ ١٠١٤٤٦ مال ميري

١٤ ١٦٣٥٧٦ ٠٦٢١٣٠ اعانة جهادية

٠٧ ٧٢٩٫٨١١ ١٤ ١٦٣٥٧٦ ما قبله « تابع قضاء المتن »

ناحية الساحل

١٧ ٣٤٣٦٥ مال ميري

١٧ ٤٣٨٩٥ ٠٩٥٣٠ اعانة جهادية

عمّا صار الحاقه من قضاء الشوف الى قضاء المتن

قرية برج البراجنة

٤٧٧١ مال ميري

٠٦٨٩١ ٠٢١٢٠ اعانة جهادية

مزرعة العرب

٠٦٥٨ مال ميري

١٥٢٨ ٠٨٧٠ اعانة جهادية

حارة حريك

٢٨٩١ مال ميري

٣٣٠١ ٤١٠ اعانة جهادية

قرية الليلكي

٩٤٢ مال ميري

١٣٩٢ ٤٥٠ اعانة جهادية

تحويطة الغدير

٨٠٤ مال ميري

١١٤٤ ٣٤٠ اعانة جهادية

٠٧ ٧٢٩٫٨١١ ٣١ ٢٢١٫٧٢٧

٠٧ ٧٢٩٨١١ ٣١ ٢٢١٧٢٧ ما قبله تابع قضاء المتن

١٥٠ القنطاري – اعانة فقط

قرية كفرشيما

١٦ ٩٦٠ مال ميري

١٦ ٢٢٥٠ ١٢٩٠ اعانة جهادية

قرية الشيّاح

٢٠٣٥ مال ميري

٢٨٧٥ ٨٤٠ اعانة جهادية

٢٤ ٢٢٧٦٦٠ ١٧ ٦٥٧ مال ميري المطاحن

﴿ مرتبات قضاء زحلة ﴾

١٤٣٥٠ مال ميري

٠٦١٣٠ اعانة جهادية

٢٥٧٩٠ ٢٥٧٩٠ ٠٥٣١٠ اعانة جهادية المعلقة

﴿ مرتبات قضاء كسروان ﴾

نواحي ذات كسروان

١٠٤٠٤٠ مال ميري

١٢٧٨١٠ ٢٣٧٧٠ اعانة جهادية

نواحي الفتوح

٢٧٧٥٨ مال ميري

٣٢٠٢٨ ٤٢٧٠ اعانة جهادية

١٥٩٨٣٨ ٣١ ٩٨٣٢٦١

٣١ ٩٨٣٫٢٦١ ١٥٩٫٨٣٨ ما قبله « تابع قضاء كسروان »

نواحي بلاد جبيل

١٩ ٨٤٤٠٩ مال ميري

١٩ ١٠٨٥٨٩ ٢٤١٦٠ اعانة جهادية

ناحية المنيطرة

٠٢ ٣٥١٨٠ مال ميري

٢١ ٣١٧٫٤٩٧ ٠٢ ٠٤٩٠٧٠ ١٣٨٩٠ اعانة جهادية

١٢ ١٣٠٠٫٧٥٩

﴿ مرتبات قضاء البترون ﴾

نواحي البترون

٠٦ ٩٣٥٥٣ مال ميري

٠٦ ١١٨٨٩٣ ٢٥٣٤٠ اعانة جهادية

ناحية الزاوية

٣٩ ٥٠١١١ مال ميري

٣٩ ٥٦٦٢١ ٦٥١٠ اعانة جهادية

ناحية بشرّاي

٢٣ ٩٨٦٩٨ مال ميري

٢٣ ١٤٠٤٢٨ ٤١٧٣٠ اعانة جهادية

٢٠ ١١١٠٩ عن مال ميري مشايخ بيت رعد

١٢ ١٣٠٠٫٧٥٩ ٠٨ ٣٢٧٥٣٠

١٢ ٧٥٩ ١٣٠٠ ٠٨ ٠٥٣ ٣٢٧ ما قبله

عمّا صار الحاقه بقضاء البترون من قضاء الكورة

المجيدل بزيزا الزكروك المجدل

٣٧ ١٦٩٧ ٢٠ ٧٧٢ ١٧ ٦٢٥ ... ٣٠٠ مال ميري

٠٥ ٣٢٨٨٨١ ٣٧ ١٨٢٧ ٠١٣٠ ٠٦٠ ٠٠٠ ٧٠ اعانة جهادية

١٧ ١٦٢٩٦٤٠

﴿ مرتبات قضاء الكورة ﴾

١٣ ٨٤٢٢٠ مال ميري

١٣ ٩٩٧٧٠ ١٥٥٥٠ اعانة جهادية

﴿ عمّا ملتحق بقائم مقامية النصارى ﴾

٢٦ ٢٩٧٦ القسم الذي صدرت الارادة السنية بتوزيعه ولم يتوزع

١٧ ٢٠٥٨٩ ٣١ ١٧٦١٢ المال الذي توقف دون توزيع بالقائم مقامية المذكورة تحت اسم مهمولات بلاد جبيل

٧٠ ١٧٥٠٠٠ المجموع وهو عبارة عن ثلاثة الاف وخمسماية كيس وسبع بارات

(نُقلت عن الصورة الاصلية المخطوطة بيد المرحوم الشيخ ابرهيم خليل الخازن) وموجودة عند ولده الشيخ خليل

(تنبيه) ان محمد شكيب باشا لم يرتب ادارة جبل لبنان الاّ في سنة ١٢٦١ هجريّة الموافقة لسنة ١٨٤٥ مسيحية لكنه أمر بتقديم الحساب عن الاموال الاميريّة وفقاً للتوزيع الذي جرى في ابتداء سنة ١٢٥٧ (١٨٤١)

٣٤١ــ صورة وكالة من اهالي كسروان للسعي في اعفائهم من الاموال الاميرية عن ٣ سنوات والغاء الجمارك

وجه تحريره

نحن جمهور اهالي كسروان من اساقفة ومشايخ ورؤساء أديرة واوجه قرايا بكسروان عموماً من حيث قبلاً قد انقطع لنا جملة ارزاق من طرف وكلاء ولي نعمتنا الدولة العلية صانها رب البرية ومن الدولة المصرية والحريق الذي حصل مع النهب فضلاً عن سفك الدموم والمجاهدة قدام وبخدامة الدولة العلية وأعطي لنا قول من سعادة الوزراء العظام بالتعويض عن كافة المتلوفات المذكورة من حريق وقطع ارزاق ونهب اموال وبالاخص عدا المشروح أعلاه أعطي لنا انعام من بحر مكارم الدولة السعيدة ان نُعفى من اداء اموال الميري على ثلاث سنوات وبعد ذلك نؤدي بكل عام مالاً واحدا فقط بحسب فحوى بيلوردي شريفة من لدن سعادة ولي النعم سليم باشا السرعسكر المعظم والان من حيث حاصل التغافل والاهمال عن معاطاة المصلحة العمومية بطلب ما قد أنعم علينا به ثم والفقر الحاصل بزيادة مع الضنك الموجود علينا من قبل انتصاب الجمارك في قرايا بلادنا على غير عادة على كافة الاصناف التي مقتضية لمعاشنا الغير الممكن احتمال طاقتها فضلاً عن زيادتها تقتضي الحال الى صيرورة جمعيتنا هذه التي بها لاجل راحتنا بتقديم الاسترحامات لكلما يلزم لرفع الاثقال الغير الاعتيادية قد اقمنا وكلاء عن كامل جمهورنا حضرة اولادنا واخواننا واسيادنا الشيخ وديع والشيخ دبلين الخازن والشيخ يعقوب البيطار وميلاد القاموع وجرجس باخوس واسعد ادي وسمعان بوحيدر وصرفناهم التصريف التام لكي يقدموا الاعراض والاسترحام لاعتاب سعادة الوزراء العظام نيابة عن جمهورنا جميعه بتثبيت الانعام المعطى لنا بمال واحد بكل عام وبرفع الجمارك المستجدة في

بلادنا مع رفع زيادتها وبتعويض ما تلف من الارزاق من قطع اشجار وحريق ونهب مع كلما يحدث من الاثقال والمظالم وبكلما يأول لراحة وامنية بلادنا ومهما اقتضى لهم اكلاف ومصاريف بتوجههم ورجوعهم لتتميم هذه المصالح فلهم الاذن والاجازة بذلك ونحن قد تعهدنا لهم بدفعها تماماً سواء كانت قليلة او كثيرة بمقتضى ذمتهم وفطنتهم ولنا عليهم ان يبذلوا كامل الاجتهاد والغيرة وللايضاح قد حررنا ذلك

(منقولة عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخ حرب نادر الخازن)

٣٤٢— كتاب من الخوري ارسانيوس الفاغوري قاضي الموارنة في دير الشوير النصارى الى المشايخ بشاره وكنعان وكسروان الخازن بشأن اعفاء كسروان من المال الاميري في ٥ حزيران سنة ١٨٤٣

نعرض لجنابكم سرًّا

غب اهداء ما وجب ولاق بوفور الاحتشام انه لفي الطف آن تشرفنا بتحرير جنابكم الكريم وحمدناه تعالى على رفاه مزاجكم السليم وبه تفضلتم بالسؤال عنّا فربنا يسأل عنكم بمراحمه ويديم لنا حسن مجابرتكم فالمنة لله حين تاريخه حاصلون على ما قاسم لنا الباري من الصحة المرجو لجنابكم احسنها وكامل شرحكم لجهة انعام ترك ميري كسروان عن سنة ٣ بقي معلومنا وانكم فهمتم من حضرة الاب الخوري عبدالله اصاف ما عرفناه عنهُ بهذا الشأن ولم تزالوا راغبين منا بذل الجهد في تتميم ذلك الخ . فمن نحونا ان شاء الله لا يحصل منا قصور بهذا الشأن لاسيما كون ذلك صالح جمهوري فما تركنا ولا واسطه الا عملناها وتوجهت الكتابات كلها للاستانة من سعادة المشير ومن القناصل مع مركب النار بشأن ذلك وحيث توجه قنصل المسكوب للاستانة مع المركب المذكور وهو صاحبنا ترجيناه ايضاً بهذه المصلحة

ووعدنا انه بوجوده بالاستانة يساعد ايضاً بذلك وكتبنا لجناب القنصل وود بك بالشام ليكتب للاستانة مع بوسطة البر بشأن ذلك كونه كان عن يده واخبرناه عمّا عملناه من الوسائط في بيروت فنهار تاريخه حضر لنا منه الجواب من الشام ومعرفنا ان بيلوردي سليم باشا هي حقيقية وعن امر المأمورين بجونية يومئذٍ وعن رضى الدولة العلية وانه لازم يمشوا اهالي كسروان بموجبها وانه صار يكتب حالاً للاستانة بشأن ذلك وانسر جدًّا من الوسائط التي عملناها الحاصل حيث توجهت الكتابات من كل جهة للاستانة صار لازمنا الان استنظار الجواب والذي يجدّ نعرفكم عنه والذي يلزم عمله بعد فنعمله وان شاء الله بحسن نيتكم يتم المطلوب حسب المرغوب واما الان لا يتوقع اخراج امر من سعادة المشير المعظم للامير حيدر بعدم الطلب من كسروان فتعبنا على ذلك وما صحت المادة بل الواجب ان اهالي كسروان يمشُّوا حال الميري ويدفعوا منها قسطاً فاذا حضر الجواب بالترك فيخصم لهم المدفوع الان من مال الميري عن السنة الاتية فلا يتأخروا الان عن دفع ذلك حتى لا يعطوا سبباً لباقي البلاد بعدم الدفع وحتى لا يظهر للدولة والمشير انهم عاصيين ولا يريدوا يدفعوا الميري فهذا رأي القناصل ومحمد باشا وهو اوفق للمصلحة فلذلك نرجو ان حسن تبدّوا بدفع مال اول قسط وبعده يصير الرجا بعدم دفع الباقي لبينما يحضر الجواب فهذا هو رأينا الموافق لرأي المذكورين الوسطاء بهذا العمل وبذكاء نيرتكم كفاية ودام بقاءكم

(منقول بالحرف عن الصورة الاصلية الموجودة عند الشيخ حرب نادر الخازن)

٣٤٣ — اتفاقية على اجراء المساعة في ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٥٩
الموافق اوائل كانون الاول سنة ١٨٤٢

علم الترتيب الذي قرَّ عليهِ الرأي بتسوية مساحة البلاد وذلك بالاجتماع الذي حصل

في قرية برج البراجنة بحضور جناب الامراء وكلاء سعادة القيم مقامين ومشايخ
ومعتمدي وكلاء مقاطعات البلاد جميعاً وذلك قد جرى
في ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٥٩

بند اول : انه يجرى المسح على كافة جبل لبنان وكلما يتبعه ويعرف به بدون ترك شيء ولا تعويف لاحدٍ لا رفيع ولا وضيع بل يجرى على الجميع سوية بحسب صدور الامر الشريف المشيراني المنيف الصادر على فحوى مضبطة شورى بيروت المعلنة بهذا الخصوص اي بحسب التماس عبيد دولته اهالي ورعايا الجبل وصدور امره باحالة ترتيب اوجه اجراء العدالة بالمسح والعدد بالمجلس المذكور فليتراقب اجراء العمل طبق فحواها

بند ثاني : انه ينتخب اربعة وعشرين مقوماً واثني عشر كاتباً النصف محمديه والنصف عيساويه من جميع مقاطعات البلاد وفي عشرة ايام من شهر ذي الحجة يكون اجتماع الجميع في قرية الدكوانه يمسحوا كافة ارزاقها واراضيها محل محل ومنها يتوجهوا لمرج بشامون يمسحوا زيتونه سوية محل محل ايضاً لكي ان يتخابروا بعضهم ويسيروا جميعهم مسطرة واحدة والمحلين المذكورين اخراجهما هذا باطل لايكتب فقط لاجل يختبروا بعضهم ويتقرر رأيهم على مسطرة واحدة لكي لا يعود تناقض مسطرة فيما بينهم وبذلك اقرب التحاظ لرفع المغدوريات

بند ثالث : انهُ بعد اتفاق المقوّمين على كيفية مقدار الدرهم غب ان يختبروا بعضهم الاختبار الحقيقي أفراداً واجمالاً حسب الواجب لتمام وظيفتهم فليتفرقوا قسمين قسماً يبتدي من أوّل البلاد جهة نهر الزهراني وهناك يتفرّق ثلاثة فرق ويمشوا على المسح مقاطعة ومقاطعة ويتموا بقرب بعضهم أي كل فرقة بقرب الثانية والقسم الثاني يبتدي من أوّل البلاد جهة نهر البارد وهناك ينقسم ثلاثة فرقات أيضاً ويمشوا حسب الترتيب المذكور فيصير كل فرقة من الستة اربعة مقوّمين وكاتبين

نصفهم محمديّة ونصفهم عيساويّة وينرسم اثني عشر مباشر من قِبل سعادة القيم مقامين لكي يصير لكل فرقة مباشرين من قِبل سعادتهما وعند التقاء القسمين ببعضهم فالقسم الذي يكون مبتديء من جهة الزهراني يتم ماشياً بوجههِ شمالاً على القرايا الذي لم مسحها القسم الثاني الى ان يتممها لحد الجهة وادي خالد لنهاية كلما يُعرف بالجبل ولا يمسح قرية مسحها القسم الثاني قبله والقسم الذي ابتدأ من جهة البارد يتم بوجهه قبلةً إلى نهاية كلما يُعرف بالبلاد بحسب الترتيب المرقوم وكل قرية يصل اليها فرقة من الفرق المذكورين لا يصير تعرضاً من اهاليها لهم بشيء مناقض لهذا الترتيب ولا يمشي منهم أحد مع المقوّمين على سبيل التقويم بل يدلّوهم على كافة أملاكها وارزاقها فقط

بند رابع : انهُ قد تعين اجرة لكل مباشر يومية خمسة وعشرين غرش ولكل كاتب عشرين غرش ولكل مقوّم عشرين غرش وذلك على يوم الذي يشتغلوا بهِ فقط ويوم الذي لا يشتغلوا بهِ شيئاً لا يحسب لهم اجرة وكل مباشر أم كاتب أو مقوّم تؤكد عليهِ خلاًّ أو قبول رشوة أو ما شابهما فليكن معدوم الاجرة غب اجراء قصاصه من وليهِ بحسب استحقاقه وايام التعطيل الذي تحدث من قِبل امطار أو بتقدير ربّاني فالقرية التي تكون أقامتهم بها تقدم لهم مصروفهم المأكل وعليق خيول ويقام حسابه لاهالي تلك القرية ويعطى لهم بهِ رجعة من المباشرين ويقيد بحساب المصاريف والايام الذي يشتغلوا بها تلك القرية فليحسبوا اجرة المباشرين والكتّاب والمقوّمين الذين بذلك القرية ويأخذوا اجرتهم من اهاليها بحسب المتعين لهم المحرر ويعطوا بذلك المبلغ علم لاهالي القرية وبعد تمام هذه المصلحة تضاف جميع هذه المصاريف أي اجرة مباشرين وكتّاب ومقوّمين واثمان مآكل وعليق خيول بايام التعطيل جميعها وتتوزع على درهم الخراج عموماً غرماً وأمّا ماكل وعليق خيولهم بايام الشغل فهذا يتقدم لهم من اهالي القرية التي يشتغلوا بها ولا تحسب لهم ثم ان

لا سمح الله حدث تدقير باجراء هذه المساحة لاحد القسمين او لاحد فرقةٍ منهم وكان حدوثه من اهالي مقاطعة او قرية او شخصاً فليتقدم الاعراض عن محدثه ويسترحم باجراء قصاصه بموافقة العدالة وكلنا نسترحم اصالةً ووكالةً باجراء اتمام هذا المسح وعدم تدقيره والامر لوليه

بند خامس : ان الآن يعير ايراد القسط الثالث تماماً من كافة المقاطعات التي اوردوا القسطين الماضيين بحسب توزيع القسطين المذكورين الذي قبله وينورد لسعادة القايمقامين والتحصيلدارية لكي يوردوه لخزينة المالية السعيدة بحسب الامر الكريم حتى لا يصير توقيف عن الايراد للخزينة والمساواة تحصل في القسط الرابع وبذلك لاتكون تدقرت الاموال ولا افرقت على الاهالي

بند سادس: انهُ يتقدم الاعراض لسعادة افندينا ولي النعم المعظم والاسترحام من حلمهِ العميم بان يصدر أمره الكريم بطلب دفاتر اعانة الجبل من خزاين محروستي الشام وعكا وينرسلوا وينتخب ستة أشخاص محمدية وعيساوية مناصفة من ذوي العقل والدراية وخالين من النفس والميل ويجتمعوا بمحل واحد مع وكيلين سعادة القايمقامين وتصير المداولة بينهما غب الاطلاع على الدفاتر المحررة فاذا لحظ شبهة المغدوريات ام مناقضة العدالة وكان ذلك الالتحاط تخايل للميلين او لاحد منهم ولا يتخايل للاخر فليصرف النظر عن تلك الدفاتر وينظروا المذكورين لاستعلام العدد وجهاً يكون بهِ العدل والانصاف ويجري العمل على ذلك الوجه وغب تصحيح رأيهم على ذلك الوجه يصير توزيع الاعانة عليهِ بحسب الامر والمضبطة وتوزيع الصاليان والفريضة والمسعده والجزية بمثلها طبقهما

بند سابع : انهُ بعد تمام المسح وتمام استعلام العدد فليصير اجتماع وكلاء اهالي المقاطعات مع وكيلين سعادة القايمقامين وغب ووقوفهم على الدفاتر يصير توزيع الثلاثة الاف وخمسماية كيس على موجب مضبطة المجلس المحررة طبق مضمونها

بدون خلاف وغب صحة ذلك التوزيع فليتحرر رزم طبق بعضهم بكل دقة ويتقدموا تلك الرزم للقايمقامية حتى إذا حصلت الشبهة بمطلوب محل فاهاليه يفحصوه من الرزمتين وبهذه الترتيبات واجرائها على الاوجه المحررة ترتفع المغدوريات وتجري العدالة التي اجراها ممزوجاً بالذات الشريفة المشيرانية كما هو من الواجب على كلٍ منّا الدعاء المستديم بدوام انتصار حضرة ولي نعمتنا الدولة العلية وأيام سعادة افندينا ولي النعم الذي منها اجراء الرحمة وسلوك العبيد والرعايا على منهج العدل ولبيان قرار الرأي على الاوجه المحررة تحرّرت هذه المضبطة نسختين وتقدم لسعادة كل قايمقامين منهما مضبطة ممهورة من الميلين تحريراً في التاريخ المعين اعلاه في ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٥٩

المنسوب اليهم

يوسف نصرالدين . سلمان العيد . اسماعيل عبدالله . أسعد بلمع . وكلاء سعادة القايمقامين مخايل طوبيا . جرجس بوصعب . علي بوقيديبه . يوسف الرصيعي . بيت الخازن الحاج حمود طاهر . يعقوب البيطار . ضاهر بوسمده . أحمد علي عبدالصمد مخايل نصّار . أحمد الخطيب من شحيم . يوسف الاحمديه . مصطفى القعقور سليمان صالح . الياس حلبي الخوري . مخايل نصرالله . متري ناصيف . عيد حاتم

(منقولة حرفياً عن الاصلية الموجودة عند ناشري هذا الكتاب)

٣٤٤ـ كتاب الامير عبدر اسماعيل قايم مقام انصارى الى الشيخ بشاره الخازن بخصوص صحح البلاد في ١٧ ر سنة ١٢٥٩ الموافق سنة ١٨٤٣

جناب حضرة الاخ العزيز الشيخ بشاره الخازن المحترم حفظه الله تعالى

غب الاحتشام ووفور الشوق التام انه بابرك وقت وصل تحرير حضرتكم وفهمناه وسررنا بعلم صحتكم وجميع ما اوضحتموه صار معلومنا والاعراض وصل بمحله

فبارك الله بهمتكم وحسن ادارتكم وان شاء الله تعالى بسطوة سعادة ولي النعم المعظم لا يتم الأ ما به الخير ويحصل بهِ الراحة للجميع ومن جهة ان نطلب انسان من نواحيكم يكون مباشر ام كاتب بمادة المسح الان قد كملوا الكتاب والمباشرين على قدر المطلوب ومن جملتهم محبنا الشيخ نقولا خضره من الزوق واما يقتضي تلزوا بحضور المقومين وتوجهوهم للدكوانه ولا يصير بذلك اهمال كون لم عاد فرصه للعاقه وهذا لملحوظكم كفاية والله يحفظكم (مكان الختم) (التوقيع)

صح ونحن من البداية حررنا لحوتكم على تدبير مقومين وما جاوبتم فالمرغوب سرعة حضورهم وحيث موجود كاتب من نواحيكم يلزم ارسال المقومين فقط

(منقولة حرفيًا عن الاصل الموجود عند الشيخ حرب نادر الخازن)

٣٤٥–صورة قرار من ديوان شورى النصارى في لبنان بخصوص مال ميري كسروان

انهُ حضر الى المجلس جناب المشايخ خالد الخازن وقسطنطين الخازن بالاصالة عن انفسهم والوكالة عن عائلتهم المشايخ بيت الخازن مقاطعجية كسروان وقرروا انهُ صار متقدم لهم جملة تقريرات من اهالي المقاطعة المذكورة من وجوه ورؤساء اديرة وخلافهم لجهة استرحامهم السابق من معدلة الدولة العلية صانها رب البريَّة في شأن تسوية الاموال الميريَّة كما استرحم غيرهم من مقاطعات الجبل وصدرت الارادة السنية باجرائها أي باجراء التسوية المذكورة وذلك لرفع الزيادة الواقعة بالمقاطعات المذكورة وغيرها بمطلوب الميري ولكي تكون جميع المقاطعات بالتساوي والمطابقة للعدالة والانصاف بالوجه الحقاني وبناء على ذلك صار اجتماع مجلسي الجبل في بيروت في ايام سعادة كامل باشا في غرَّة جمادى الثاني سنة ٦٣ لاجل عمل التسوية المذكورة وصيرورة مساحة عامة يحصل بها تسوية يورك الجبل على الجميع بالعدالة والحقانية

وانهُ من بعد الاجتماع المذكور والمذاكرة يومئذٍ رجع اليهم وكلاء مقاطعتهم كسروان وأخبروهم بانهُ قد قرّ القرار في مباشرة المساحة العادلة والتسوية الحقّانية وصارت مبادرة إلى اجراء ذلك وانه لكي لا تتوقف الاموال الميريّة على الخزينة الماليـة يدفعون المطلوب من مقاطعتهم على النية المذكورة بوجه المقارضة حيث انه صـائر مباشرة بالمساحة وبمدة قريبة تصير التسوية العادلة وترتفع الزيادة الحاصلة بمطلوبهم المذكور عنهم وان مجلس هذه الادارة اقنعهم بالدفع المذكور موقتاً بوجه المقارضـة لوقت قريب وانهم بناءً على ذلك صاروا يدفعون مطلوبهم بما بهِ من الزيادات وتحملوا ظلم هذه الزيادات ولم يتمتعوا بالمرحمة المتمتع بها غيرهم في بعض باقي المقاطعات في مطاليبهم الميريّة وتكبدوا الضيق وعدم التساوي أملاً منهم عن قريب يحصلون على ذلك وانهم حيث لحد الآن لم يحصلوا على التسوية العـادلة الموعودين بها ولا على الرحمة ولا على العدل والانصاف ولا يعلم أي متى تصير هذه التسوية العامة القطعية العادلة فما عاد لهم مكنة ولا طاقة على دفع ما هم متظلمين بهِ من الزيادة باكثر ممَّا يتوجب على مقاطعتهم المزبورة من الاموال الاميريّة وان كان دفعهم ذلك على وجه الاقتراض على ان القرضة لا تكون إلى ما شاءالله فما عاد لهم احتمال ذلك لاسيما لوجود الضيق والعسر ومحل المواسم مع حال فقرهم الكلي وانهم يسترحمون الآن حيث طال أمر اجراء التسوية المذكورة بل ولا يعلم أي متى تجري ان ترتفع الزيادة الحاصلة عليهم التي تبلغ نحو ١٨ الف قرش بكل سنة التي إذا ارتفعت عنهم يصيروا حينئذٍ هم بمطلوبهم المزبور بالنسبة إلى مقاطعة بلاد جبيل وهم وأولئك مع ذلك لم يحوزوا الرحمة التي حايزها غيرهم ولم يزل باقيًا عليهم بعد ذلك زيادة ظالمة بالنسبة إلى غير مقاطعات وانهُ ليس من العدل والانصاف انهم يتحملوا أموال غيرهم من المقاطعات ويدفعونها عنهم وان كان ذلك بوجه المقارضة وتحت حساب عند التسوية العامة العادلة بل انهم غير ملزومين ان يدفعوا شيئاً قبل عمل التسوية المذكورة حسب مضمون تعليمات

سعادة شكيب افندي المثبتة من الدولة العلية التي يوضح بها ان تصير التسوية ويصير في المجالس نظم دفاتر عادلة لويركو الجبل كله محلًا فمحلًا إلى آخره ويكون ذلك دستور العمل أو انهُ يصدر الامر الكريم بعمل تسوية هذه الادارة كلها في بعضها الان لتوحيد الرحمة والعدالة بين مقاطعاتها كلها أو انهم بموجب التعليمات المذكورة يتوقفوا عن دفع مطلوبهم كله وايراده بعد التسوية العامة ليوفوا قدر مطلوبهم العادل فيوردونه . وأوضحوا أي الوكلاء المذكورون ان المشايخ من عائلتهم كلهم والاهالي عمومًا من هذه المقاطعة يطلبون من هذا المجلس المساعدة في ذلك لان المواد الميريّة منوطة بهِ ومن رأس ماموريتهِ حسب التعليمات المحررة وانه هو الذي تعهد لهم بحصول التسوية العادلة عن قرب واقنعهم بدفع ما دفعوه قبلًا من مطلوبهم وان كان بزيادة غير عادلة بحيث يكون بالنسبة لمقاطعات بلاد جبيل أقله . انتهى .

فالمجلس غب استماع تقريرات الوكلاء المحررين والكشف عن قيود جريدته عمًا صار بهذه القضية بالاجتماعات السابقة في بيروت بهذا الشأن وفي غيرها وجد ان التقريرات المذكورة في محلها وصحيحة غير كاذبة ولدى المذاكرات فملاحظةً للمصلحة الميريّة ولمنع الاسباب والحركات الموقفة لكل المال أو لجانب كبير منه على الخزينة المالية وملافاة لحال الاهالي المذكورين الضيقة لاسيما الفقراء رؤي ان تتناسب الان المقاطعة المذكورة أقله بمقاطعات بلاد جبيل ويتوقف عنها أي عن مقاطعة كسروان المزبورة من مطلوبها الزيادة المذكورة أي الـ ١٨ الف قرش المحررة التي بالنسبة للمقاطعات المذكورة هي زيادة وذلك حيث انهُ للآن لم تصر التسوية العادلة التي تعهد لهم المجلس وقتئذٍ باجرائها قريبًا وأقنعهم بدفع مطلوبهم من غير توقف ولا يعلم أي متى تصير وان يصير الاهتمام من سعادة القيم مقام بالاسترحام من الاعتاب الشريفة المشيريّة في شأن سرعة اجراء التسوية العامة العادلة أو في شأن تسوية ادارته فقط لرفع المغدوريات ولاجراء الانصاف والعدالة بين جميع اهالي هذه الادارة لمنع

التشكيات المتواترة المتواصلة ومنع أسباب الحركات المغايرة الباذل جهده هـذا المجلس دائمًا في منعها اتباعًا لمشرب سعادة قيم مقامه حسب مشرب حضرة ولي نعمتنا الدولة العلية صانها رب البرية التي من وفور انعطافاتها الملوكانية ومراحمها السنية ترغب جدًا في راحة رعاياها وان يكونوا متمتعين بالعدالة والحقانية والرفاهية فهذا ما رآه المجلس موافقًا لذلك تحرر بهِ هذه المضبطة لسعادة القيم مقام الافخم والامر لوليه (دون تاريخ) ديوان شورى النصارى

(مكان الختم) في جبل لبنان

(منقولة عن الصورة الاصلية الموجودة عند صاحبي هذا الكتاب)

٣٤٦ – اتفاقية بخصوص اجراء المساحة (١) بتاريخ ٢٤ ش سنة ١٢٦٥ الموافق سنة ١٨٤٩

انه لدى اجتماع سعادة القايمقامين وارباب المجلسين ووكلاء اهالي ادارتي الجبل بوجه العموم حصلت المذاكرة بمادة ابتدا المساحة العامة من اي طرف من اطراف الجبل تكون فنتب المذاكرة بين الوكلا المذكورين جميعًا بحضور ارباب المجلسين قرَّ القرار من الجميع على ان تكون بداية المساحة المزبورة من اول طرف الجبل القبلي اي من اول مقاطعة جبل الريحان ويمسح جبل الريحان المذكور بكماله ثم غربي البقاع بكامله واقليم جزين مقدار النصف منه وهو جل الشوك على الشير غربي جزين على الحمصيه على مشموشه على بكاسين ونازلاً لحد المرج للشمال الى النهر وشوف

---

(١) كان قد تعين حضرة امين مخلص باشا مأمورًا خاصًا لمراقبة اجراء المساحة فبدأ بها وقبل انجازها عُين لوظيفة أخرى فتوقف عن اتمامها وذلك في عهد مصطفى باشا اشقودري مشير ايالة صيدا

الحيتي بكامله والعرقوبين بكاملهما والجرد بكامله ثم بعلشميه وراس الحرف والشبانيه وحمانا وفالوغا وقرنايل وكفارسلوان ومنها على ترشيش على المجدل على عين طورا على زحله وقفا الريم على جبل المتين على بسكنتا على كسروان على بقعاتة كنعان على بقعتوته على المزرعة وفاريا على حراجل وميروبا على وطا الجوز ثم عجلتون بكاملها ومنها على ريفون على عشقوت والقليعات وفيطرون وبقعاتة عشقوت ورعشين واغبه وعرامون ومزارعها ثم الى الفتوح جارية هذه المساحة في الجهة العليا الى نهاية مقاطعة بلاد جبيل بالتتابع الى اخر جبة بشري وتوابعها ومن هناك تجري ايضاً على الجهة السفلى ماشية راجعة الى الطرف القبله باخر الجبل وان تكون هذه المساحة العامة شاملة جميع محلات الجبل كله من اعاليه واواسطه وسواحله بنوع لا يبقى منه شيء من غير مساحة بحسب منطوق اللايحة المنظومة قبلاً بخصوص هذه المساحة واذا فرض بانه لربما يحصل من اهالي مقاطعة ما من مقاطعات الجبل تعرض للمساحين عند اجرائها اي اجراء هذه المساحة ويحصل منهم ما يوقف ويعطل المساحة وبسببه حصل التعطيل والتوقيف بها فاهالي تلك المقاطعة الذين يحصل منهم ذلك يلتزمون بدفع جميع المصاريف والاكلاف التي تكون نفذت فيما كان انمسح من المحلات قبل ذلك هذا ما قر عليه الاقرار برضى الجميع تحرر به هذا الصك للبيان في ٢٤ ش سنة ٦٥ (التواقيع)

سيد أحمد مراد . أمين منصور قيدبيه . قاسم نكد . حسين تلحوق . امين الدين . وديع الخازن وكيل البطريرك . دبلين الخازن وكيل كسروان . علي حماده . خليل حبيش وكيل غزير وتوابعها . موسى الدحداح اصيل عن نفسه ووكيل عن الفتوح . يوسف حمود وكيل سعيد بك جنبلاط . القس ارسانيوس نيحاوي وكيل الرهبان البلديين . أحمد عبد الصمد وأحمد . . (غير جلي) وكلاء الشوف . شمس الحسنيه وانطون لاوندوس

وكلاء العرقوب الفوقاني . فارس طي وايوب الطراباسي والياس الصوصه وكلاء دير القمر. يوسف الصفي (غير جلي) وحنا شكور وكلاء العرقوب الفوقاني . سمعان لالا وكيل الديه ومزارعها . يوسف عبد الخالق وسلوم غندور وكلاء الجرد . سليمان معنيه وكيل الغرب الفوقاني . منصور المعوشي وسرابيون وعيسى وكلاء قرى وجبل الريحان . يوسف المبيض وكيل اقليم التفاح . علي الخطيب وابوعواد وكلاء اقليم الخروب . عيد ابونصور وكيل مقاطعة الغرب التحتاني والساحل . عباس الحلو وكيل جناب الامراء الشهابيين في ساحل بيروت . حسن شقير وطنوس حاتم وكلاء المتن وتوابعه وزحله . الياس حربوق وكيل قاطع بيت شباب . ميخائيل طوبيا وكيل مقاطعة بلاد جبيل عموماً

صورة قرار المجلس

ان القرار المحرر أعلاه قد جرى برضا المحررة اسماؤهم والموضوعة اختامهم فيه بحضور مجلسي وادارتي الجبل ومصادقتهما عليه (موقع باختام المجلس)

(عن الصورة الاصلية الموجودة عند صاحبي هذا الكتاب)

٣٤٧ – كتاب من الامير بشير قاسم شهاب الى المشايخ بيت ابي نوفل الخازنه بتاريخ ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٨٥٧ الموافق مزبراده سنة ١٨٤١

حضرة الاخوان العزاز المشايخ بيت بونوفل الخازن المكرمين حفظهم الله تعالى

اولاً مزيد الاشواق لمشاهدتكم بكل خير وعافية وبعده نخبر خوتكم بهذا الاثنى المبارك في ٢٧ حا ورد تاتار من طرف الاستانة العلية وعن يده فرمان عالي شان يشير فحواه السامي الخاقاني بان فاضت فيوضات بحر مكارم حضرة ولي نعمتي سلطان البرّين وخاقان البحرَين ظل الله بارضه الممدود على العالمين ووجّه وأحال

قبلًا والآن حكومة الجبل كما كان داخلًا تحت ايالة صيدا لعهدتنا العاجزة ومع هذه وفدت الانعامات الوافرة والاحسانات المتكاثره والارادة العدلية وبرزت المساعدة العلية بالتكرم لذاتنا بنيشان الافتخار على الاقران احسانًا على الاحسان وبقدومهِ تحصل البهجة والسرور ونتلقاه بالاحترام ومزيد الحبور وهناك تنتشر الافراح وتزول الاتراح ونقدم الادعية الخيريَّة لباري البريَّة بدوام اركان هذه الدولة السنية فلا زالت اطنابها على هام السماكين مرفوعة واوتاد مجدها على فلك الفرقدين منصوبة وكذلك قد تعطفت وتكرمت في نصب كتخداي في الباب العالي الهمايوني وان كافة المصالح التي لا يتوقف نهايتها من هذا الجانب نقدم عنها الاعراض للسدة الخاقانية عن يد المشار اليه وذلك مرحمةً لرفاه وراحة الرعايا فبناء على ذلك أصدرنا لكم هذه النشرة السنية لاجل تتلوها علنًا على رؤوس الاشهاد والجميع يقدموا الدعوات لباري السماوات على هذه المنة الوحيدة والنعمة الوافرة المديدة وحيث هذا مما يسركم لزم اشعاركم ولا تقطعوا اخباركم عنَّا في ٢٨ حا (كذا والمرجح جمادى الاولى) سنة ٥٧

(منقول بالحرف عن الصورة الاصلية الموجودة عندنا)

ويوجد نسختان اخريان لفرعي الاسرة الخازنية بيت أبي قانصوه وبيت أبي ناصيف

فهرس

صفحة	عدد	
١	١	– ٦ حزيران سنة ١٨٤٠ – نشرة ابرهيم باشا الى سكان لبنان ـ يطلب فيها جمع السلاح وينصحهم بالتزام جانب السكينة
٢	٢	– ٨ حزيران سنة ١٨٤٠ – اتفاقية الدروز والنصارى – عُقدت في انطلياس بين جميع اللبنانيين
٣	٣	– ٨ حزيران سنة ١٨٤٠ – نشرة الثوّار اللبنانيين الى مواطنيهم – يدعونهم للانضمام اليهم وشق عصا الطاعة على الحكومة المصريّة
٥	٤	– ١١ حزيران سنة ٤٠ – تقرير الموسيو بازيلي الى الموسيو بوتونييف – بيان انتشار الثورة في لبنان واسبابها وما يمكن ان ينجم عنها
٨	٥	– ١٢ حزيران سنة ٤٠ – كتاب اهالي لبنان إلى الامير امين نجل الامير بشير – يلتمسون به رفع مظالم ابرهيم باشا عنهم والاّ اضطروا إلى نشر راية الثورة
١٠	٦	– ١٦ تموز سنة ٤٠ – كتاب محمد علي إلى بوغوس بك – ينبئه باندحار الثوّار اللبنانيين
١١	٧	– تموز سنة ٤٠ – عريضة اهالي لبنان وسوريًا إلى السلطان عبدالمجيد – التماس انقاذهم من الحكومة المصريّة
١٣	٨	– تموز سنة ٤٠ – عريضة اهالي لبنان الى الكونت دي بونتوى – استنجادًا بالحكومة الفرنسوية للتخلص من الحكومة المصرية
١٤	٩	– ٢٤ تموز سنة ٤٠ – مذكرة الموسيو غيزو الى اللورد بلمرستون –

صفحة عدد

تتضمن دفاع فرنسا عن حقوق خديوي مصر والاحتجاج على سياسة الدول

١٦ ١٠ – ٧ آب سنة ٤٠ – رسالة البارون دي ستورمر الى البرنس دي مترنيخ – وفيها رواية رشيد باشا عن تهديد سفير فرنسا الحكومة العثمانية اذا وقعت صك الاتفاقية المبرم في لندرة وجواب رشيد باشا

١٧ ١١ = ١٧ آب سنة ٤٠ – تقرير البارون دي تستا الى البارون دي ستورمر – نص رواية رشيد باشا عن بلاغ سفير فرنسا المار ذكره

١٩ ١٢ – ١٩ آب سنة ٤٠ – نطاقة الكونت دي بونتوي الى رشيد باشا – نفي الاوّل ما نُسب اليه

٢٠ ١٣ – ٢٣ آب سنة ٤٠ – فقرة من كتاب المسيو تيارس الى المسيو غيزو – بيان فرح قيصر الروسية بافساده بين فرنسا وانكلترة

٢٠ ١٤ – ٣ ايلول سنة ٤٠ – نشرة الامير بشير عمر – هدّد بها بالموت كل من يقدّم ذخيرة ومؤنة للانكليز

٢١ ١٥ – ٣ ايلول سنة ٤٠ – الفرمان السلطاني إلى الامير بشير قاسم – مآله تعيين الامير بشير المشار اليهِ أميرًا على الجبل

٢٢ ١٦ – ٨ ايلول سنة ٤٠ – فقرة من كتاب المسيو تيارس إلى المسيو غيزو – اعتراض فرنسا على قيام الدول المتحالفة بالمظاهرة البحرية في بيروت

٢٣ ١٧ – ١٨ ايلول سنة ٤٠ – كتاب اللورد بونسونبي الى الكونت دي بونتوى – اعلان انكلترة حصر مرافئ مصر وسوريا اجابةً لطلب الباب العالي

٢٣ ١٧ – ١٧ ايلول سنة ٤٠ – جواب الكونت دي بونتوى – يتضمن احتجاج فرنسا على حصر المرافئ المار ذكرها

٢٤ ١٨ – ١٧ ايلول سنة ٤٠ – نطاقة الكونت دي بونتوى الى رشيد باشا –

صفحة عدد

احتجاج فرنسا لدى تركيا على حصر المرافىء المشار اليها

٢٤ ١٩ — ٢١ شوّال سنة ٥٦ ـ نشرة محمد سليم باشا الى اللبنانيين ـ بتعيين الشيخ فرنسيس الخازن سر عسكر عليهم

٢٥ ٢٠ — غرّة شعبان سنة ٥٦ ـ نشرة محمد عزّت باشا إلى اهالي ناحية بيت شباب ـ عين بها الشيخ صالح الخازن قائدًا عليهم

٢٦ ٢١ — ٣ ت ١ سنة ٤٠ ـ رسالة المسيو تيارس إلى المسيو غيزو ـ نقد بها رسالة اللورد بلمرستون وزير خارجية انكلترة إلى سفيره في باريس و برّأ السياسة الفرنسويّة ممّا نُسب اليها وأبان تساهلها في مسألة محمد علي وأوضح المراد بلفظة « سلامة السلطنة العثمانية »

٤٤ ٢٢ — ٢٧ ت ١ سنة ٤٠ ـ رسالة اللورد بلمرستون إلى اللورد بونسونبي ـ تطمين الحكومة العثمانية بعدم امكان فرنسا عضد محمد علي بقوّة السلاح خصوصًا بعد استقالة المسيو تيارس ووزارته

٤٥ ٢٣ — ١١ ت ٢ سنة ٤٠ ـ كتاب محمد علي إلى لويس فيليب ـ شكر له به مساعدة جلالته له وصرّح باستعداده بالاكتفاء بايالة عكّا وسلّم أمره اليه

٤٨ ٢٤ — ١٤ ايار سنة ٤١ ـ فقرة من رسالة المسيو بولڤر إلى اللورد بلمرستون ـ فيها بيان رضاء الدولة والدول عن منح محمد علي حكم ايالة مصر بالتوارث وابدال الجزية بمبلغ محدود

٤٩ ٢٥ — ٦ شباط سنة ٤١ ـ كتاب المسيو غيزو إلى المسيو بوجاد ـ اعتراف الاول بالاضرار التي لحقت بنفوذ فرنسا من جرّاء حوادث سوريا

٥٠ ٢٦ — آخر حزيران سنة ٤١ ـ عريضة الدروز إلى الباب العالي ـ استرحموا

صفحة عدد

بها نزع سلطة الامير بشير عنهم والعهد بادارة شؤونهم إلى حاكم درزي

٥٢ ٢٧ – آخر حزيران سنة ٤١ ـ فرمان الباب العالي إلى طيار باشا والي غزة والقدس ـ يخول المسيحيين حق التمتع بالامتيازات الممنوحة لهم

٥٣ ٢٨ – ٢٩ تموز سنة ٤١ ـ كتاب وزاري إلى الحاج ابرهيم بك ـ يوجب على المشار اليه دفع التعويضات إلى المنكوبين في حروب ابرهيم باشا وتوزيع المكافأة الذي وعد بها الباب العالي على مستحقيها

٥٥ ٢٩ – ٣ ايلول سنة ٤١ ـ صك موقع من امراء لبنان ومشايخه ـ تعهدوا به بدفع ٣٥٠٠ كيس بدل المطلوب سنوياً من لبنان

٥٦ ٣٠ – ٥ ايلول سنة ٤١ ـ أمر محمد سليم باشا إلى اللبنانيين ـ بوجوب انشاء مجلس لفصل الدعاوى

٥٧ ٣١ – ٧ محرم سنة ٥٧ ـ كتاب الامير بشير قاسم إلى أحمد ذكريا باشا ـ توصاة بالشيخ صالح الخازن وبيان الخدمات التي أداها

٥٨ ٣٢ – ٥ ايلول سنة ٤١ ـ أمر محمد سليم باشا إلى الامير بشير قاسم ـ بوجوب دفع ٣٥٠٠ كيس ميري الجبل

٥٩ ٣٣ – ١٦ ايلول سنة ٤١ ـ كتاب الامير بشير قاسم إلى سليم باشا وأدهم بك ـ اخبار الاول الاخرين بعقد اجتماعات غايتها انقاص التعريفة على الحرير ويستدعي فرقة من الفرسان والجند للمحافظة

٦٠ ٣٤ – ١١ ت ١ سنة ٤١ ـ كتاب المستر وود إلى رفعت باشا ـ توصاة بالشيخ فرنسيس الخازن

٦١ ٣٥ – كتاب آخر من المشار اليه إلى الشيخ صالح الخازن ـ توصاة

صفحة عدد

بهِ وبيان الخدمات التي أدّاها
٦٢ ٣٦ – ١٥ ت ١ سنة ٤١ ـ كتاب المسيو بوره إلى المسيو هيكنس ـ رفض الاول مرافقة الكولونل روز إلى دير القمر لمساعدة السرعسكر على توطيد دعائم السلم لانهُ لم يتلقَ دعوة من المشير
٦٣ ٣٧ – ١٥ ت ١ سنة ٤١ ـ كتاب المسيو لوريلا الى القائم مقام هيكنس ـ في المعنى ذاته
٦٣ ٣٨ – ١٨ ت ١ سنة ٤١ ـ كتاب الامير بشير قاسم إلى المسيو وود ـ يخبره بهجوم الدروز على دير القمر والاعتداء على اهاليها
٦٦ ٣٩ – ٢٤ ت ١ سنة ٤١ ـ مذكرة الكولونل روز والقومندان بينغ الى سليم باشا ـ نفى بها الاولان الاشاعة القائلة بان الانكليز وزّعوا أسلحة وبارودًا على الدروز
٦٧ ٤٠ – ٢٨ ت ١ سنة ٤١ ـ كتاب المستر وود إلى سليم باشا ـ يحدث الاول الاخر عن الحرب الاهليـة الناشبة بين الدروز والمسيحيين ويبدي النصيحة لهُ بعدم الانضمام إلى احد الفريقين ويحذره من ابدال الامير بشير بباشا تركي على لبنان لما في ذلك من الخطر على الدولة
٦٩ ٤١ – ٢٩ ت ١ سنة ٤١ ـ كتاب اهالي جزّين إلى الامير ين ملحم وسلمان ـ أخبار الاولين عمّا حلّ بهم من اعتداء الدروز عليهم والاستغاثة بهما وطلب النجدة منهما
٧١ ٤٢ – ٣٠ ت ١ سنة ٤١ ـ مذكرة المسيو وود إلى نجيب باشا ـ انتقاد المسيو وود جمع السلاح من مسيحيي حاصبيًا وراشيًا وزحله وابقاءه مع غيرهم وتحذير الباشا المشار اليه من امكان تبدل الحرب الاهلية

صفحة عدد

وانقلابها إلى قتال بين الدولة والسوريين
٧٣ ٤٣ — ١ ت ٢ سنة ٤١ ـ فقرة من تقرير الكولونل روز ـ يعترف بهِ باستسلام الموارنة الى فرنسا ويجهر بوجوب عضد الدروز
٧٣ ٤٤ ـ ٥ ت ٢ سنة ٤١ ـ عريضة مسيحيي دير القمر إلى قناصل الدول ـ بيان ما حلّ بهم من اعتداء الدروز عليهم والتماس ارسال قوّة من الجند لحفارتهم لانهم أصبحوا عزل بدون سلاح
٧٥ ٤٤ ـ ت ٢ سنة ٤١ ـ نطاقة اجماعية انفذها قناصل الدول الى سليم باشا ـ فيها بيان اعتداء الدروز وتغاضي الحكومة عن الاقتصاص منهم واشتراك الجند بالنهب والسلب وتغاضيها عن تصرف شبلي العريان بجمعه السلاح من المسيحيين
٧٨ ٤٦ ـ ١٣ ت ٢ سنة ٤١ ـ كتاب الموسيو وود الى نجيب باشا ـ طلباً للاقتصاص من الذين اعتدوا على البعض من تبعة دولة انكلترة في الشام
٧٩ ٤٧ ـ ك ٢ سنة ٤٢ ـ كتاب الامير بشير قاسم إلى الكولونل روز ـ اخبار الاول الثاني بوصوله الى الاستانة وبالاستقبال الذي جرى لهُ
٧٩ ٤٨ ـ ٩ شباط سنة ٤٢ ـ تعليمات الموسيو ستراتفورد كانين إلى المسيو بيزاني ـ ايعاز الاول الى الآخر ابلاغ الباب العالي اندهاشه من عزل الامير بشير قاسم وتعيين باشا مسلم مكانه وايقافه على القلاقل الجارية في لبنان وانذاره بسوء مغبة هذه السياسة ونزوع اللبنانيين الى فتنة تعجز الدولة عن قمعها
٨١ ٤٩ — ١٠ شباط سنة ٤٢ ـ تقرير الموسيو بيزاني إلى المسيو ستراتفورد

صفحة عدد

كانين ـ يفيده عن استياء ناظر الخارجية والصدر الاعظم من ابلاغهما التعليمات السابقة الذكر وانكار الصدر امتيازات لبنان وادعائه انه ينظر مستقلًا في اعادة الحكم الى امير وطني حين الضرورة

٨٣ ٥٠ ـ ١٧ ادار سنة ٤٢ ـ نطاقة صارم افندي الى سفراء الدول ـ ابلاغ السفراء توجيه سليم بك الى لبنان لاجراء التحقيق عن شكاوى اهليه والوعد بفصل عمر باشا

٨٤ ٥١ ـ ٢٧ ايار سنة ٤٢ ـ عريضة امراء لبنان ومشايخه الى الباب العالي ـ استرحام من جلالة السلطان عبد المجيد برفع التعريفة الجمركية المفروضة عليهم خلافًا للوعد باعفائهم من الضرائب لقاء خدماتهم بمقاتلة الحكومة المصريّة وانهُ لم يسبق لهم دفع العشر والخراج ويذكرون الباب العالي بوعد ممثليه وممثلي انكلترة بدفع الميري فقط ويلتمسون دفع التعويضات

٨٨ ٥٢ ـ ٢٧ ايار سنة ٤٢ ـ ملخص مفاوضة بين ناظر الخارجية العثمانية وممثلي الدول ـ حاول بها الناظر المشار اليه اقناع الممثلين المذكورين بابقاء طريقة الحكم الجديد في لبنان تحت ولاية باشا تركي بحجة ان مصطفى باشا وسليم افندي استحصلا عرائض من الاهلين بابقاء طريقة هذا الحكم فاحتجّ السفراء بان هذه العرائض أُخذت بالتهديد والوعيد وان معظم الاهالي يودُّون اعادة الحكم إلى الاسرة الشهابية فتمسك كل فريق برأيه على ان الباب العالي وعد بعدم اتخاذ قرار بهذا الشأن دون مشورة الدول وقبل عودة سليم بك ووصول افادات جديدة

صفحة عدد

٩٦ ٥٣ ـ آخر ايار سنة ٤٢ ـ عريضة اهالي لبنان إلى الباب العالي(١) شكوا بها حكم الشهابيين والتمسوا تولية باشا تركي عليهم

٩٨ ٥٤ ـ ٢٥ جمادى الاول سنة ٥٨ ـ بيورلدي من مصطفى نوري باشا إلى عمر باشا ـ كتاب توصاة بالمشايخ فرنسيس الخازن وصالح هيكل الخازن واخوانهما وابناء عمهما لمجاهدتهم بخدمة الدولة العلية

٩٩ ٥٥ ـ ٣ جمادى الاخر سنة ٥٨ ـ كتاب علي بك خزنه دار مصطفى باشا إلى احد حكّام المتاولة ـ ابلاغ الاول الآخر رسالة شفاهية بواسطة جبرائيل العوره

٩٩ ٥٦ ـ ٣ جمادى الاخر سنة ٥٨ ـ تحرير جبرائيل العوره الى الحاكم المذكور ـ صورة عريضة لاجل تختيمها من اهالي القرى المجاورة لبنان

١٠٠ ٥٧ ـ ٣ جمادى الاخر سنة ٥٨ ـ صورة العرض المراد توقيعه ـ التماس الاهالي السابق ذكرهم عدم اعادة الحكم إلى الشهابيين

١٠١ ٥٨ ـ ٢٦ آب سنة ٤٢ ـ تعليمات المسيو كانين الى المسيو بيزاني ـ ليبلّغ الباب العالي انه اوقف حكومته على ما دار من الجدال في جلسة ٢٧ ايار ويوافق على صحة افادات مندوبي الباب العالي في سوريا وان انكلترة تستحسن قسمة لبنان إلى قائم مقاميتين درزيّة ومسيحية وتولية وطنيًا على كل منها وربطهما بمشير ايالة صيدا وترتني اقصاء الجنود الالبانية عن لبنان وعدم استعمال وسائل العنف

---

(١) وهي من العرائض التي أشار اليها السفراء بانها أستحصلت بالتهديد وموقعة من بعض اللبنانيين لا كلهم كما يتوهم من العنوان

صفحة عدد

١٠٤ ٥٩ ـ ٢٩ آب سنة ٤٢ ـ تقرير المسيو بيزاني إلى المسيو كانين ـ يخبر عن ابلاغه التعليمات المار ذكرها إلى ناظر الخارجية العثمانية

١٠٤ ٦٠ ـ ١٩ شعبان سنة٥٨ ـ نشرة مصطفى نوري باشا إلى اللبنانيين ـ أذيعت بين الكسروانيين ونفى بها المشار اليه الاشاعة القائلة بقرب عودة الامير بشير وتهدد مذيعيها بالقصاص

١٠٦ ٥٧ ـ ٢٧ ايلول سنة ٤٢ ـ تعليمات صارم افندي إلى فؤاد افندي الترجمان (مكرر) الاول لدى الباب العالي ـ يوعز اليه بابلاغ سفير انكلترة عميد ممثلي الدول بان الحضرة الشاهانية أمرت بتنفيذ القرار المبرم في جلسة ١٠ شعبان المؤذن بابعاد الجنود الالبانية عن بيروت وبفصل عمر باشا عن ولاية لبنان والرضا بقسمة لبنان إلى قائم مقاميتين درزيّة ومسيحية على شرط انتقاء القائم مقامين من مأموري الحكومة العثمانية وان يكون لكل من الامتين الدرزيّة والمارونية نائب لدى عامل بيروت واعتزام الباب العالي على صدور أمره الى العامل المشار اليهِ باعادة الاموال المغصوبة إلى الموارنة وقدرها يتجاوز العشرين الف كيس

« ان هذا العدد كرر سهوًا هنا وقد أبقي على حاله بدون اصلاح »

١٠٨ ٦١ ـ ٧ك ١ سنة ٤٢ ـ نطاقة صارم افندي إلى ممثلي الدول ـ لابلاغهم رضا الباب العالي بتعيين قائم مقامين وطنيين أحدهما على الدروز والآخر على الموارنة بشرط ألاّ يكونا من الاسرة الشهابية

١١٠ ٦٢ ـ ١٥ ك ١ ستة ٤٢ ـ نطاقة الموسيو ستراتفورد كانين الى صارم

صفحة عدد

افندي ـ يظهر ارتياحه إلى قبول الباب العالي بتولية قائم مقام مسيحي على المسيحيين ودرزي على الدروز ويذكره بوجوب انفاذ سائر الوسائل كفصل عمر باشا واقصاء الجنود الالبانية عن سوريا واعادة الاموال المغصوبة الى الموارنة وحرّية ممارسة شعائر دينهم وانقاص الضرائب واثبات الدولة امتيازات لبنان القديمة. (وقد عُلق على هذه النطاقة حاشية في اصل الحزبين اليزبكي والجنبلاطي وتعهد الامير أحمد رسلان الذي جعل قائم مقاماً على الدروز باقتسام السلطة ورواتب منصبه مع اصحاب الاقطاعات الدرزيّة)

١١٢ ٦٣ ـ ٦ ك ٢ سنة ٤٣ ـ رسالة المسيو غيزو إلى البارون دي بوركنه ـ يظهر بها رضاه بقسمة لبنان إلى قائم مقاميتين وتولية وطنيين عليهما ويجهر بانه يعتبر طريقة الحكم هذه موقتة غير تامة ويحتج على حرمان الشهابيين من حكم الجبل وتنصل الباب العالي من تبعة الاضطرابات الواقعة في لبنان

١١٣ ٦٤ ـ ٢٩ ك ٢ سنة ٤٣ ـ تقرير المطران نقولا مراد الى ممثلي الدول ـ احتجاج سيادته باسم اللبنانيين على فصل جبيل وملحقاتها عن لبنان والحاقها بحكومة طرابلس والتماسه توحيد الامارة اللبنانية واعادة الاسرة الشهابية الى الحكم ضماناً لراحة لبنان

١١٥ ٦٥ ـ ٤ شباط سنة ٤٣ ـ تعليمات المسيو كانين إلى المسيو بيزاني ـ تتضمن الاحتجاج على فصل جبيل وملحقاتها عن لبنان وطلب الاوامر باعادتها إلى حكومة الجبل لانها كانت في يد الامراء الشهابيين وظلت في يد الامير بشير قاسم الى ان طلب ممثلو الدول اعادة امتيازات

صفحة عدد

لبنان القديمة إلى ما كانت عليهِ

١١٦ ٦٦ ـ ٧ شباط سنة ٤٣ ـ رسالة البارون دي بوركنه إلى المسيو غيزو ـ يخبره عن سبقه جميع السفراء بالاحتجاج على سلخ بلاد جبيل عن قائم مقامية الامير حيدر لانها مأهولة بالموارنة والمسئلة محصورة بالشؤون المسيحية ويفيده عن موافقة ممثلي الدول على رأيه وارسالهم اخطارًا رسميًا بهذا الشأن الى صارم افندي ناظر الخارجية وانه بلغ الغاية المقصودة ويحدثه بصعوبة حلّ مسألة القرى المأهولة بطوائف مختلفة وبمشروعين يشير احدهما بفصل بلاد الدروز عن بلاد الموارنة بخط جغرافي يشطر لبنان شطرين والآخر بتعيين مدير درزي في القائم مقامية المسيحية ومدير ماروني في القائم مقامية الدرزيّة وان المسيحيين يؤثرون المشروع الاول وانه اقنع السفراء بتأجيل مخاطبة الباب العالي بهذين المشروعين الى ما بعد الفوز بمسألة بلاد جبيل

١١٩ ٦٧ ـ ٢٤ شباط سنة ٤٣ ـ رسالة المسيو غيزو الى البارون دي بوركنه ـ يظهر بها ارتياحه الى عضد سفير انكلترة وسائر السفراء احتجاج سفارة فرنسا على سلخ بلاد جبيل عن ادارة الامير حيدر ويحرضه على مواصلة السعي لرفع السلطة التركية عنها ويستحثه على الاهتمام بحسن تسوية مسألة القرى المختلطة السكّان حتى اذا جاءت غير منطبقة على حقوق المسيحيين وجب عليهِ ان يطلب توحيد امارة لبنان

١٢٠ ٦٨ ـ ١ ادار سنة ٤٣ ـ تعليمات صارم افندي إلى فؤاد افندي ـ لابلاغ سفراء الدول رضا الباب العالي باعادة بلاد جبيل وملحقاتها الى

صفحة عدد

لبنان وعدم استيفاء ضريبة خاصة عليها

١٢١ ٦٩ — ٦ ادار سنة ٤٣ — رسالة البارون دي بوركنه الى المسيو غيزو — ابلاغه رضا الباب العالي باعادة بلاد جبيل وملحقاتها الى تحت حكم القائم مقام المسيحي وعدم استيفاء ضريبة منها

١٢٢ ٧٠ — ١٣ حزيران سنة ٤٣ — رسالة البارون دي بوركنه الى المسيو غيزو — ثناء على اسعد باشا وبيان المصاعب بتسوية مسألة النواحي المختلطة السكّان ونزوع مسيحي دير القمر الى الانعتاق من حكم الدروز وعرض كل خلاف يحدث على قائد الجنود وان لاتكون دير القمر مقرًّا للامير الدرزي

١٢٣ ٧١ — ١٧ ايلول سنة ٤٣ — رسالة البارون دي بوركنه الى المسيو غيزو — يفيده عن اجتماع السفراء واتفاقهم على ابلاغ الباب العالي وجوب تعيين وكيل مسيحي لاهالي دير القمر ينصبه الامير الدرزي

١٢٤ ٧٢ = ٩ ك٢ سنة ٤٤ — تعليمات السير كانين الى المسيو بيزاني — يوعز اليهِ ان يبلّغ ناظر الخارجية ارتياحه إلى قبول الباب العالي بما اقترحه السفراء بخصوص دير القمر ويثبت حق الالتانيين بادارة شؤونهم الداخلية على يد ولاتهم الوطنيين ويبسط رأيه في مسألة التعويضات المتوجب على الدروز دفعها إلى الموارنة ويلمع الى موافقة دفعها من خزينة الدولة اكتسابًا لشكر الدروز

١٢٧ ٧٣ — ٤ ادار سنة ٤٤ — رسالة اللورد كولي إلى اللورد ابردين — يحدثه بمساعي المطران نقولا مراد لدى المسيو غيزو لتعيين الامير امين بشير شهاب اميرًا على لبنان وعن رغبته بزيارة لندره

صفحة عدد

١٢٧ ٧٤ – ٩ ادار سنة ٤٤ – تحرير المطران طوبيًا عون إلى الكولونل روز – تجاهله سفر المطران نقولا مراد إلى باريس

١٢٨ ٧٥ – ٢٢ ادار سنة ٤٤ – عريضة مسيحي لبنان إلى الملك لويس فيليب – رفعها المسيحيون بواسطة المطران نقولا مراد وأبانوا فيها ما حلّ بهم من الشقاء والرزايا والتمسوا من جلالته عضده لانقاذ مواطنيهم في القرى المختلطة من سلطة الدروز عليهم واعادة الامير بشير أو ابنه الامير امين إلى تولّي ادارة الجبل

١٣٠ ٧٦ – ٣ نيسان سنة ٤٤ – عريضة معتمدي مسيحي لبنان إلى اللورد ابردين – رفعها المعتمدون المشار اليهم عن يد المطران نقولا مراد شكوا فيها ايلاء الدروز السلطة على مواطنيهم في القرى المختلطة وسوء تصرف الكولونل روز نحوهم وتغرضه للدروز

١٣٢ ٧٧ – ١٠ نيسان سنة ٤٤ – تقرير المطران نقولا مراد إلى اللورد ابردين – فيهِ بيان الحوادث التي جرَت بعد تسمية قائم مقامين ماروني ودرزي واستلامهما مقاليد الشؤون ويخبر عن الفوضى الضاربة اطنابها في البلاد واقتتال اسرتي حيش ودحداح واستيلاء باشا بيروت على الاموال الاميريّة في لبنان واخذه ٦٠ الف قرش من كسروان رشوة وعدم قيام الحكومة بوعدها باستدعاء الجنود الالبانية

١٣٤ ٧٨ – ١٣ نيسان سنة ٤٤ – رسالة المسيو غيزو الى المسيو دي بوركنه – يستوضحه فيها عن مناسبة اعادة حكم امارة لبنان الى الاسرة الشهابية

١٣٤ ٧٩ – ١٤ ايار سنة ٤٤ – رسالة المسيو غيزو إلى المسيو دي بوركنه – يستحسن تعيين وكيل مسيحي لدير القمر ويوضح عدم شرعية

صفحة عدد

وضع النواحي الآهلة بالمسيحين تحت سلطة القائم مقام الدرزي ويوعز اليهِ بوجوب مواصلة السعي لاعادة الحكم إلى الامراء الشهابيين وفقًا لرغبة الاهلين

١٣٦ ٨٠ – ١٧ ايار سنة ٤٤ – رسالة البارون دي بوركنه إلى المسيو غيزو – يفيده بها عن الفاته نظر وزير الخارجية العثمانية إلى ابطاء الباب العالي في بت مسألة التعويضات على الموارنة واحتجاجه على الحاق النواحي المختلطة السكّان بالقائم مقامية الدرزيّة ومفاتحته بأمر اعادة الحكم الى الاسرة الشهابية

١٣٧ ٨١ – ١٨ ايار سنة ٤٤ – كتاب اللورد ابردين إلى المطران نقولا مراد – يعنفه فيهِ على تقديمه عرائض شكوى من الكولونل روز قنصل دولته في بيروت ويظهر استياءه الشديد منذرًا بعدم مساعدة حكومته المسيحيين

١٣٨ ٨٢ – ٣٠ منه – رسالة البطريرك يوسف حبيش إلى الكولونل روز – يعلمه فيها على انه لم يجز للمطران نقولا مراد تقديم العريضة ويبرّىء الامير والحكومة التركية من أخذ ٦٠ الف قرش رشوة في مسألة ميري كسروان

١٣٩ ٨٣ – ٢٤ حزيران سنة ٤٤ – رسالة المسيو غيزو إلى البارون دي بوركنه – يوافق على طلبهِ من الحكومة التركية الغاء ترتيبات سنة ١٨٤٢ واعادة الحكم إلى الاسرة الشهابية وينبئه بانه كتب إلى سائر سفراء فرنسا لاقناع حكومات اوربا بما تقدم

١٤٠ ٨٤ – ٢٨ حزيران سنة ٤٤ – كتاب الياس حوّا معتمد الموارنة في الاستانة

صفحة عدد

إلى البارون دي ستورمر سفير النمسا – يؤكد فيهِ ان البطريرك الماروني يرغب في اعادة حكم امارة لبنان إلى الاسرة الشهابية ويحقق ان المطران نقولا مراد معه وكالات من الاكليروس والشعب الماروني ليسعى بتحقيق امنية اللبنانيين المار ذكرها

١٤١ ٨٥ – ١ تموز سنة ٤٤ – بيورلدي أسعد باشا – يعلن سكان القائم مقامية الدرزية فيها بوصول خليل باشا صهر السلطان وناظر البحرية على قيادة الاسطول الشاهاني لتنفيذ التدابير المتفق عليها مع الدول بخصوص تنظيم شؤون لبنان ويهددهم بالعقاب الشديد اذا طلبوا اعادة الامير بشير أو أحداً من اسرته لحكم الجبل زاعماً ان الدول اتفقت مع الحكومة التركية على عدم تولية أحد من هذه الاسرة

١٤٣ ٨٦ – ١ تموز سنة ٤٤ – نشرة أسعد باشا الى سكان القائم مقامية المسيحية ـ وهي بالمعنى ذاته

١٤٣ ٨٧ – ٥ منه – رسالة اللورد ابردين الى اللورد كولي سفير انكلترة في باريس – زعم فيها ان الترتيبات التي وضعتها الدول للبنان بالاتفاق مع الباب العالي سنة ١٨٤٢ كانت ضمنت راحة الجبل لو لم ينزع فريق من الموارنة برئاسة المطران نقولا مراد لما كستها قصد اعادة الامارة الى الاسرة الشهابية وارتأي وجوب انفاذ هذه الترتيبات تماماً وامتحانها حتى اذا لم تأتِ بنتيجة تبدل بغيرها

١٤٦ ٨٨ – ٣ ايلول سنة ٤٤ ـ تعليقات المستر اليسون مندوب سفارة انكلترة في الاستانة على شكوى المطران نقولا مراد ـ هي منطوية على انكار كل ما قاله سيادته في كتابهِ الى اللورد ابردين (وقد تركناها

صفحة عدد

على علّاتها دون تعرّض لما فيها من الامور المخالفة الحقيقة)

١٥٣ ٨٩ – ايلول سنة ٤٤ ـ مذكرة الكونت دي نيسلرود وزير خارجية الروسية إلى اللورد ابردين ـ يوافق على رأي الحكومة الانكليزية بوجوب اطالة اختبار طريقة حكم القائم مقامين حتى اذا ظهر عدم موافقتها يترك للباب العالي حق الانفراد باعادة احد اعضاء الاسرة الشهابية الى امارة الجبل على شرط حرمان الامير بشير الاول منها لموازرته محمد علي

١٥٤ ٩٠ ـ ١ ايلول سنة ٤٤ ـ عريضة مسيحي دير القمر الى قناصل الدول في بيروت ـ يبسطون فيها ان خليل باشا عالن وكلاء مسيحي الاقطاعات المختلطة الطوائف بوجوب خضوعهم للولاة الدروز او المهاجرة الى الاقطاعات المسيحية اذا أبوا ذلك وانهم رفعوا عريضة الى الباشاوات احتجاجاً على هذا الامر ملتمسين تعيين وكيلين في كل قرية احدهما عن الدروز والآخر عن المسيحيين مرجع كل منهما قائم مقامه

١٥٧ ٩١ ـ ايلول سنة ٤٤ ـ فقرة من كتاب احد كتّاب سفارة فرنسا الى المسيو بوجاد ـ يهنئه بفوز رأيه في مسألة الوكلاء ويخبره عن غيظ انكلترة من هذا الامر

١٥٧ ٩٢ ـ ايلول سنة ٤٤ ـ كتاب آخر منه الى المذكور ـ يخبره بفوز ارائه وبظهور عداء تركيا المتحدة مع اليونان لفرنسا بايعاز انكلترة وبيان صعوبة مركز سفير فرنسا في اثينا

١٥٧ ٩٣ – ٧ ت ١ سنة ٤٤ ـ نطاقة الباب العالي الى ممثلي الدول ـ يأمر

صفحة عدد

بتوزيع التعويضات على المسيحيين من خزينة الدولة بعد اسقاط مبلغ خسائر الدروز وانتخاب وكيل مسيحي في القرى المختلطة بموافقة القائم مقام الدرزي

١٥٩ ٩٤ – ٣ ت ٢ سنة ٤٤ ـ بيورلدي خليل باشا ـ يوجب تسليم ادارة النواحي المختلطة الطوائف في الشوف الى القائم مقام الدرزي ويجعل الدروز القاطنين في المتن تحت ادارة القائم مقام المسيحي ويأمر بانتخاب الوكلاء في مدى ١٠ ايام وارسالهم الى بيروت للقطع في امر المسلوبات

١٦٠ ٩٥ – ٦ منه ـ كتاب مسيحيي النواحي المختلطة السكّان إلى وكلائهم – يخبرونهم بعدم قبولهم الخضوع لسلطة الدروز وبعزمهم على المهاجرة إلى الاقطاعات المسيحية على شرط ان يدفع لهم ثمن املاكهم وفقًا لوعد قنصل انكلترة

١٦٢ ٩٦ – ٢٢ ك ١ سنة ٤٤ ـ نطاقة الباب العالي إلى ممثلي الدول – تتضمن تعيين مبلغ ١٦ الف كيس تعويضًا للموازنة بعد ان يسقط منه ٢٦٠٠ كيس قيمة خسائر الدروز وثمن الاملاك المنهوبة التي تعاد الى اصحابها وانهُ يدفع الباقي وقدره ٥ إلى ٦ الاف كيس اقساطًا متفاوتة وان يقيم القائم مقامان خارج دير القمر وان يقام فيها وكيلان درزي فماروني لادارة شؤونها

١٦٤ ٩٧ – ٤ ك ٢ سنة ٤٥ ـ نطاقة الباب العالي الى ممثلي الدول ـ تقريره مبلغ ١٠ الاف كيس كتعويض للموازنة يدفعها من خزينتهِ وينبئهم بتعذر قبوله مهاجرتهم ويستشيرهم بأمر استعمال القوّة لاكراههم

صفحة عدد

على البقاء تحت سلطة القائم مقام الدرزي

١٦٦ ٩٨ – ٤ ك ٢ سنة ٤٥ ـ مذكرة شفاهية تلاها تراجمة سفارات الدول على مسامع ناظر خارجية الباب العالي ـ طلباً لبعض الايضاحات عن نطاقة شكيب افندي المار ذكرها

١٦٦ ٩٩ – ١١ منه ـ رسالة المسيو دي بوتنفال وكيل سفارة فرنسا في الاستانة الى المسيو غيزو ـ اخبره بها عن المذكرة المار ذكرها وعن رفضهِ ان يكون جواب السفراء على نطاقة الباب العالي قاصراً على دعوتهِ الى تنفيذ نظام سنة ١٨٤٢ وعن تغلبهِ على اراء رصفائهِ وانكاره ان يكون النظام المذكور نهائياً

١٦٧ ١٠٠ ـ ٣٠ منه ـ نطاقة الباب العالي إلى ممثلي الدول ـ اخبرهم بها بعدولهِ عن استعمال القوة وباقراره على تعيين وكيلين ماروني فدرزي في القرى المختلطة السكّان مرجعهما والي صيدا ويطلب الى سفارة فرنسا اظهار رضاها عن هذا التدبير لتنفيذه

١٦٩ ١٠١ ـ ٨ شباط ٥٥ ـ نطاقة شفاهية تلاها تراجمة سفارات الدول على مسمع ناظر خارجية الباب العالي ـ احتجوا بها على نشر مقالة في جريدة ناطقة بلسان الحكومة يستشف منها انها قطعت في الامر قبل اجماع رأي الدول واعترضوا على تخويل والي صيدا السلطة على وكلاء الطوائف لان ذلك يناقض استقلال لبنان الاداري وذكروه بوجوب دفع التعويضات الى الموارنة

١٧١ ١٠٢ – ٢٤ منه – نطاقة الباب العالي الى ممثلي الدول ـ يوضح ان سلطة والي صيدا على وكلا القرى المختلطة الطوائف هي محدودة وليس

صفحة عدد

له ان يتدخل في ادارتهم الخاصة وان الباب العالي لم يفكر بالغاء حكم الاقطاعات ومس امتيازات لبنان واستقلاله الاداري وسيعجل بدفع التعويضات إلى الموارنة ويطلب موافقة الدول على النظام المسنون لبنان

١٧٣ ١٠٣ـ٢٦ شباط سنة ٤٠ ـ رسالة الموسيو دي بونتفال إلى الموسيو غيزو ـ يوقفه على خلاصة النطاقة السابقة

١٧٤ ١٠٤ـ١١ اذار » » ـ نطاقة الباب العالي إلى سفرا الدول ـ اعلاماً لهم بوصول مذكرتهم المتضمنة الموافقة على نظام لبنان وبان جلالة السلطان وافق عليه وامر ان يكون مرجع اصحاب الاقطاعات والوكلا قائم مقامي الامتين

١٧٦ ١٠٥ـ٣ ايار » » ـ نطاقة اجماعية انفذها قناصل الدول في بيروت إلى وجيهي باشا ـ احتجاجاً على عدم تنفيذ الترتيبات الموضوعة للبنان وعلى اهمال حكومة الولاية معاقبة الجناة والتزام الجنود الحياد في الاقتتالات الناشبة بين الدروز والمسيحيين ويلفتون انظاره إلى ايقاف تيار الشر

١٧٧ ١٠٧ـ ٥ منه ـ جواب محمد وجيهي باشا إلى القناصل ـ يعتذر عن تأجيله تنفيذ الترتيبات المذكورة لاباء الامير حيدر قائم مقام المسيحيين توقيع الاتفاق المبرم ويتنصل من تبعة اهماله معاقبة الجناة وتقعد الجنود العثمانية عن العمل وانهُ اتخذ كل التحوطات لقمع الفتن بارساله داود باشا ونجري باشا إلى لبنان ويفيد بانه عزم على الذهاب لخان الحسين واستدعاء القائم مقامين وأصحاب الاقطاعات واستكتاب

صفحة عدد

الفريقين صك وفاق ثم بتوزيع الجنود في انحاء لبنان

١٨١ ١٠٧ـ . . . سنة ٤٥ ـ كتاب الشيخ سعيد جنبلاط إلى الشيخ حمود أبي نكد - يفيده عن تغلب المسيحيين على دروز الشوف وينبئه بان داود باشا قائد الجنود أجاز للدروز ابادة الامة المسيحية وكتب الى الحاميات التركية لمساعدتهم ويحرضه على الفتك بمسيحيي الشحار والدبيه

١٨٢ ١٠٨ ـ . . . سنة ٤٥ ـ كتاب آخر منه إلى مشايخ اقليم الخروب واعيان المسلمين ـ بالمعنى ذاته

١٨٣ ١٠٩ ـ . . . سنة ٤٥ ـ كتاب اهالي زحله الى المسيو بوجاد- ينبئونه بان الجنود العثمانية ومعها جبران العوره وقاسم ومصطفى اغا منعوهم عن مطاردة الدروز الذين هاجموا بلدتهم في حين ان الباشا لم يوقف الدروز عن قتل مسيحيي راس المتن وحرق بيوتهم وان زعماء الدروز يكرهون رجال اقطاعاتهم على محاربة المسيحيين ويشكون سماح الحكومة العثمانية لزعماء الدروز المنفيين بالعودة الى لبنان وان خطار العماد يحرض مسلمي دمشق على ذبح المسيحيين وان دروز صفد انضموا الى اخوانهم للحملة على بلدتهم

١٨٤ ١١٠ ـ . . . ايار سنة ٤٥ ـ رسالة المسيو غيزو الى سفير فرنسا في الاستانة ـ يثبت تغرض مشير صيدا للدروز في قتالهم مع الموارنة وانتصار الجنود العثمانية للاولين وغمس يدهم في دم المسيحيين ويوعز اليه بطلب التعويضات من الحكومة العثمانية على قتل الاب شارل الكبوشي بحضور الجنود العثمانية وحرق ديري الاباء الكبوشيين في عيه وصليما

صفحة عدد

١٨٥ ١١١ـ ١٧ ايار سنة ٤٥ ـ نطاقة قناصل الدول في بيروت الى وجيهي باشا ـ يتهمونه فيها بالمراوغة ويظهرون استياءهم من سماحهِ للجنود السلطانية بالانضمام إلى الدروز في قضاء جزين وحرق القرى المسيحية في المتن وينذرونه بوجوب اخراجهم منها وارسال القائم مقامين واصحاب الاقطاعات الى بيروت

١٨٦ ١١٢ـ ٢١ منه ـ نطاقة الباب العالي الى سفراء الدول ـ يفيدهم عن وصول احتجاجهم على ما هو جارٍ في لبنان وانه يعتبر كتاب مشير صيدا إلى القناصل وافيًا بالمرام وانهُ ارسل الى المشير المرقوم الاوامر بسرعة تنفيذ النظامات الموضوعة مع حكوماتهم واستعمال القوّة ضد المقاومين اذا اقتضى الامر

١٨٨ ١١٣ـ ٢ حزيران سنة ٤٥ ـ وثيقة بين الدروز والموارنة تحت رئاسة بحري باشا ـ تعهد بها الفريقان بعدم الاعتداء على بعضهما وبتحاشي عقد الاجتماعات وبتسليم الجناة وبتناسي الماضي واعترفا للحكومة بحق اقامة الجنود على حراسة طرق الشام وصيدا ودير القمر وطرابلس

١٩١ ١١٤ـ ١٥ تموز سنة ٤٥ ـ خطاب الكونت دي مونتالمبر في مجلس الاعيان الفرنسوي ـ بسط فيهِ تفاصيل فتنة سنة ١٨٤٥ وقصّ ما حاق بالمسيحيين عمومًا وبالموارنة خصوصًا حمايا فرنسا وتجرؤ الدروز على قتل رئيس دير عيه الكبوشي وامتدح من المسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت واثبت تغرض مأموري الحكومة العثمانية للدروز واشتراك جنودها في المذابح والقى تبعة اثارة الفتنة على الحكومة الانكليزيّة وعلى الكولونل روز قنصلها في بيروت ولام وزير

صفحة عدد

الخارجية على اشراكه الدول الاربع الباقية في مسائل لبنان مع ان المسألة تتعلق بفرنسا وحدها حامية المسيحيين

١٩٩ ١١٥ـ ١٥ تموز سنة ٤٥ ـ جواب المسيو غيزو وزير الخارجية ـ اعتذر عن اشراكه الدول الاربع مع فرنسا في مسألة مسيحي لبنان نظرًا لما كان بين تلك الدول والدولة العثمانية من الولاء بعد معاونتها على طرد الحكومة المصرية فاستعان بها على رفع السلطة التركية عن لبنان واعترف بصحة خبر اشتراك السلطة التركية والجنود في المذابح مخبرًا عن وجود حزبين في تركيا حزب معتدل يحب الاصلاح وحزب متعصب يؤيد السياسة القديمة وان النزاع بينهما ممتد إلى سائر ولايات السلطنة وجهر بان فرنسا لا تعدل عن فكرة اعادة امارة لبنان الى ما كانت عليه قبلًا ولا تتنازل عن حقها بالانفراد عن حماية مسيحيي الشرق وانها طلبت عقاب قاتلي الاب شارل الكبوشي والمسيحيين وارسلت بوارجها لحماية شواطئ سوريا ووزعت الاعانات على المنكوبين واجل انكلترة عن انتهاج سياسة حزب تركيا القديم الموجه الى ابادة الدروز بواسطة الموازنة والعكس بالعكس

٢٠٤ ١١٦ـ ٢١ منه ـ رسالة البارون دي بوركنه الى المسيو غيزو ـ ينبئه بان شكيب افندي ناظر الخارجية ابلغه بان جلالة السلطان فوّض اليه الذهاب الى سوريا لتسوية جميع المسائل العارضة ووضع حد لقلاقل لبنان فيكفّ يد ارباب الحكومة ويطلب الايعاز إلى القناصل بعدم عرقلة مساعي الباب العالي الاصلاحية ويتفق مع السفراء على تحديد

صفحة عدد

خصائص اصحاب الاقطاعات والوكلاء وعلى حفظ حقوق المسيحيين وامتيازاتهم

٢٠٥ ١١٧ – ٢٨ تموز سنة ٤٥ ـ نطاقة شكيب افندي الى سفراء الدول ـ يبلغهم فيها ان جلالة السلطان عهد اليهِ بتسوية شؤون لبنان نهائياً ولذلك عوّل على استعمال القوّة لتنفيذ ما استقرَّ عليهِ الرأي ويعد بتوزيع قسم من التعويضات على الموارنة عند الشروع بتسوية المسألة اللبنانية ودفع الباقي عند نهايتها ويسألهم الايعاز إلى القناصل بعدم التدخل في المسألة ويبسط لهم طريقة حل مسألة ادارة القرى المختلطة موضحاً خصائص القائم مقامين واصحاب الاقطاعات والوكلاء في المسائل الحقوقية والسياسية والاجرائية

٢١٠ ١١٨ – ٤ ت ١ سنة ٤٥ ـ نطاقة البارون دي بوركنه الى عالي افندي وكيل نظارة الخارجية – احتجَّ بها على استدعاء شكيب افندي الاجانب من داخلية الجبل والقى تبعة هذا العمل على عاتق الباب العالي وذكره بوجوب دفع التعويضات الى المسيحيين ومعاقبة قتلة الاب شارل وناهبي ديري عيه وصليما والعدول عن اخراج الاجانب لمناقضتهِ احكام المعاهدات المرعية والتعويضات عليهم اذا نُفذ هذا التدبير بحقهم

٢١٢ ١١٩ ـ ١٢ منه ـ نطاقة عالي افندي الى البارون دي بوركنه ـ انكر بها معرفة ما قرره شكيب افندي بخصوص ابعاد الاجانب عن لبنان واعترف بوجوب حمايتهم وقال انه اوعز الى شكيب افندي المشار اليه بحماية الاديار والمحلّات الاجنبية ومحاكمة قتلة الاب شارل وتنفيذ

صفحة عدد

العقاب بهم والتحقيق عن نهب ديري عيه وصليبا وتقدير الخسائر لاداء التعويضات إلى أصحاب الديرين المذكورين وانه سينظر حيناً بتسوية التعويضات على بعض الفرنسويين الذين أبعدوا بالقوة

٢١٤ ١٢٠ـ ١٦ ت ١ سنة ٤٥ ـ نطاقة البارون دي بوركنه إلى عالي افندي ـ طلب بها اعادة الفرنسويين إلى اماكنهم ودفع التعويضات الى من أكره منهم على تركها واستدعاء الشيخ حمود ابي نكد إلى الاستانة ومحاكمته فيها والتفتيش عن شركائهِ ودفع التعويضات الى ديري عيه وصليبا ومعاقبة الضابط الذي كان يقود فصيلة الجند التي شهدت نهب ديرعيه وطلب مقابلة جلالة السلطان وهدد بمغادرة حاضرة السلطنة إذا رُفضت مطالبه

٢١٥ ١٢١ـ١٧ منه ـ رسالة البارون دي بوركنه الى المسيو غيزو ـ اعلمه فيها بان الباب العالي رضي بكل مطالب فرنسا الأ بالتعويض بحجة ان سائر الدول لم تطالب بهِ وارسل لهُ صورة الانذار وجواب الباب العالي عليه

٢١٧ ١٢٢ = ٢٣ منه – رسالة البارون دي بوركنه الى المسيو غيزو ـ اكد لهُ قبول الباب العالي انذاره تماماً وارساله الاوامر الى شكيب افندي لتنفيذه

٢١٨ ١٢٣ـ ٢٩ منه ـ رسالة المسيو غيزو الى البارون دي بوركنه ـ تهنئة لهُ بفوزه بتحصيل الترضية السابقة

٢١٨ ١٢٤ـ آخر ت ١ سنة ٤٥ – تعليمات شكيب افندي لمجلسي القائم مقاميتين تتضمن كيفية تأليف المجلسين المذكورين من قضاة ومستشارين واسمائهم ووظائفهم وخصائصهم في فصل دعاوى ابنـاء طائفتهم

صفحة عدد

بالاستقلال وتوزيع الاموال الاميريَّة وبيان كيفية انتخابهم ورواتبهم
٢٢٧ ١٢٥ – شعبان سنة ١٢٦٦ – صورة النظام المتقدم ذكره في ٣٨ مادة
٢٣٨ ١٢٦ – ١٢ ت ٢ سنة ٤٥ – كتاب الصدر الاعظم إلى شكيب افندي – يوعز اليه ان يطمن اهالي لبنان بان نزع السلاح من ايديهم لا يراد به مس امتيازاتهم القديمة ويشير عليه بعدم استعمال القوة الاَّ في اماكن خاصة
٢٣٩ ١٢٧ – ١٦ منهِ – تعليمات البارون دي بوركنه الى المسيو كور ترجمان السفارة – ليحتج لدى الباب العالي على طرق العنف التي لجأت اليها الجنود في لبنان بنزعها السلاح من الاهلين بأمر شكيب افندي وعلى عدم احترامهم الاكليروس والكنائس وعلى سوء سلوك الناظر المشار اليه مع القائم مقامين ومشايخ الدروز والمسيحيين ويطلب الايعاز إلى المندوب السلطاني بتحامي القسوة وبوجوب احترامه امتيازات الجبل
٢٤١ ١٢٨ – ١٧ ك ١ سنة ٤٥ – رسالة المسيو غيزو الى البارون دي بوركنه – اظهر بها استياءه من الفظائع التي اقترفها ضبَّاط الباب العالي وجنوده لدى نزعهم السلاح من اهالي لبنان وعدم ثقته بهمة شكيب افندي وارتياحه إلى اتفاق الدول على القاء التبعة على الباب العالي وايجابها عليهِ المحافظة على امتيازات جبل لبنان واستحسانه ايفاد سليم باشا للتحقيق في الشكاوى ورضاه عن خطة المسيو بوجاد الحازمة التي انتهجها بارساله بارجة حربية إلى جونية لانقاذ خليل المدور ترجمانه من السجن
٢٤٢ ١٢٩ – ١٥ حزيران سنة ٤٦ – خطاب المسيو دي ملفيل في مجلس النواب

صفحة عدد

الفرنسوي ـ انتقد فيه سياسة وزير خارجية فرنسا في مسألة لبنان وتكتمه وكشف القناع عن سياسة انكلترة في هذه البلاد وابان انها هي التي هدمت استقلال لبنان وقوضت اركان امارته المسيحية وقسمته الى قائم مقاميتين انتقاماً من المسيحيين الذين ابوا الانقياد لها ونكاية بنفوذ فرنسا ولام الوزير على عدم سعيه باعادة امارة الجبل المسيحية الى ما كانت عليه من الاستقلال وفقاً لرغبة الندوة ثم اظهر تغرض الانكليز للدروز لاسيما الكولونل روز قنصلها العام في بيروت من مجموعة المحررات الانكليزية وامتدح من الموسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت على حزمه في مسألة ترجمانه خليل المدور وابان تناقض وزير الخارجية وختم كلامه بقوله انه ينتظر انقاذ شعب لبنان المسيحي بواسطة الرأي العام بضغطه على الحكومة واستحلف الوزارة ان تقوم بوعودها للبنان ولا تسمح ان يكون مصيره كبولونيا

٢٦٢ ١٣٠ـ ٢٠ ك ١ سنة ٤٦ ـ كتاب المطران عبدالله البستاني رئيس اساقفة صيدا الى نساء فرنسا ـ أخبرهن بهِ بما حلَّ بهِ وبابناء رعيتهِ من القتل والسلب والفظائع وذكرهن بالعلائق الوثيقة التي تربط الموارنة بالفرنسويين واستغاث بهن ليحملن حكومتهن على اعادة حكم امارة لبنان الى الشهابيين

٢٦٦ ١٣١ـ ١٦ حزيران سنة ٤٦ – خطاب المسيو دي لامرتين في مجلس نواب فرنسا ـ بسط مسألة لبنان من سنة ١٨٤٢ وما حلَّ بهِ من البلايا طالباً اعادة الحكم الى الاسرة الشهابية وأشار الى معاكسة انكلترة

صفحة عدد

وسائر الدول نفوذ فرنسا وندد بحكومته لاهمالها الانتصار لمسيحيي لبنان

٢٧٠ ١٣٢ـ ٦ ك ٢ سنة ٤٧ ـ خطاب الكونت دي كاترباربِ في مجلس النواب ـ تلا عريضة من مسيحيي لبنان تتضمن وصف شقائهم واستغاثتهم بفرنسا لرفع سلطة الاتراك عنهم واعادة الحكم الى امير مسيحي ثم ندد الخطيب بسياسة وزير الخارجية وحثّ الحكومة على مواصلة حماية مسيحيي لبنان

٢٧٣ ١٣٣ـ » » » ـ خطاب المسيو بيليو ـ بالمعنى ذاته

٢٧٤ ١٣٤ـ ١٣ حزيران سنة ٤٧ ـ تصريح المسيو غيزو ـ أخبر عن حدوث كوائن جديدة في لبنان وجهر بعدم مناسبة فتح الجدال في هذا الشأن

٢٧٤ ١٣٥ـ ١٣ منه ـ جواب المسيو برِيير ـ ندد بسكوت الوزير

٢٧٤ ١٣٦ـ ٣ تموز سنة ٤٧ ـ بيان المسيو بول دارو ناقد العرائض ـ حدّث مجلس النوّاب عن عريضتين رفعهما المسيحيون والدروز الى الندوة طلباً لاعادة الحكم إلى الامير بشير أو ابنه الامير امين ومن بعدهما الى اسرتهما الشهابية واقترح احالة العريضتين الى وزير الخارجية

٢٧٦ ١٣٧ـ بالتاريخ ذاته ـ جواب الكونت دي كاترباربِ ـ حضّ به النوّاب على اجبار الحكومة على السعي إلى اعادة امارة لبنان المسيحية إلى ما كانت عليه مع دفع الجزية الى الباب العالي واعترافها بسيادته الاسمية

٢٧٧ ١٣٨ـ التاريخ ذاته ـ جواب الموسيو دي ملفيل ـ ذكّر الندوة النيابية بانها رفضت قبول النظام المسنون للبنان سنة ١٨٤٢ خلافاً لسياسة الحكومة وبيّن ما جرّته قسمة لبنان الى قائم مقاميتين من

صفحة عدد

الكوارث على هذه البلاد وندد باعمال شكيب افندي سنة ١٨٤٥ وعنف الحكومة على تغاضيها عن المسيحيين وانذرها بفقدان نفوذها في الشرق

٢٨٤ ١٣٩ – ٣ تموز سنة ٤٧ – خطاب المسيو كريميو النائب الاسرائيلي – أبان العلائق القديمة التي تربط مسيحيي الشرق بفرنسا واستنهض همة الحكومة الفرنسوية إلى حماية المسيحيين بطريقة فعّالة حفظاً لنفوذها

٢٨٨ ١٤٠ – ٣ منه – تصريح الموسيو دي ملفيل – ذكر بان حكومة الكونفنسيون الثورويّة حافظت على حماية مسيحي لبنان في سنة ١٧٩٤ مع اشتغال فرنسا بحرب مع اوربا

٢٨٨ ١٤١ – ك ٢ سنة ٥٨ – عريضة الشيخ ابرهيم العازر الى خورشيد باشا – (١) شكواه من سوء معاملة القائم مقام المسيحي لهُ ظلماً

٢٩٠ ١٤٢ – ١٣ ك ٢ سنة ٥٨ – اسعد خياط قنصل انكلترة في يافا الى الكونت دي كلارندون – ينبئه بالقتل والسلب على طريق القدس وبقتل المستر ديكسون احد رعايا اميركا وصهره وجرح ابنه واغتصاب النساء وبكره الوطنيين للاجانب وبأمر الباشا الى القاضي بعدم تسجيل صكوك بيع وشراء للاوربيين

٢٩٢ ١٤٣ – ٢٧ ك ٢ سنة ٥٨ – القنصل برانت الى المسيو اليسون – أنبأهُ

---

(١) ان هذا العدد وما يليه حتى عدد ١٥٠ مغلوط فقد انتقل مرتب الحروف سهواً من عدد ١٤١ . إلى ٢٤١ فاقتضى التنبيه

صفحة عدد

بان الامير محمد الحرفوش تمكن من اقناع أهالي زحله بمقاتلة نسيبهِ الامير سلمان وبان والي دمشق مال الى قسمة راتب الامير سلمان بينه وبين نسيبه فابان لهُ عدم موافقة ذلك

٢٩٣ ١٤٤ – ٢٨ ك ٢ سنة ٥٨ – الموسيو مور قنصل انكلترة العام في بيروت الى المسيو اليسون ـ أخبره بتأجيل وصول أحمد عطا بك الموكول اليهِ فحص الشكاوى من الامير بشير أحمد القائم مقام المسيحي واتهم الحكومة التركية بعضدها القائم مقام المذكور رغبةً بابقاء الاضطراب في لبنان للتذرع لالغاء ادارة حكمه الحالية

٢٩٤ ١٤٥ – ٣٠ ك ٢ سنة ٥٨ ـ القنصل برانت إلى الكونت دي كلارندون ـ ينبئه بكوائن بعلبك المذكورة في رسالتهِ إلى المسيو اليسون

٢٩٤ ١٤٦ – ١٥ شباط سنة ٥٨ ـ مور القنصل العام إلى المستر اليسون ـ حدثه بان خورشيد باشا عرض عليهِ اعادة محمود عبد الهادي قائم مقام نابلس اليها لدفع تعويضات المنكوبين ورفع العلَم الانكليزي الذي أنزلهُ الاهلون ووعد بالقبض على القائم مقام المذكور فيما بعد وبعض زعماء نابلس وأرسالهم الى الاستانة

٢٩٥ ١٤٧ ـ ١٧ منه – مور إلى الكونت دي كلارندون ـ طلباً لابعاد الامير محمد الحرفوش عن قضاء بعلبك

٢٩٦ ١٤٨ – ١٨ ادار سنة ٥٨ – القنصل جامس فين الى الكونت دي ملمسبوري – اخبارًا بحدوث خصام بين عائلتي عثمان لحّام ومحمد عطاالله في بلاد العرقوب من اعمال القدس وبانعقاد هدنة بينهما

٢٩٦ ١٤٩ – ١٦ منه – مور الى المستر اليسون – يخبره باستفحال الحركة على

صفحة عدد

الامير بشير احمد القائم مقام المسيحي وبانعقاد اجتماع هام في بلاد كسروان من المسيحيين والدروز وبان إبطاء عطا بك المندوب السلطاني يزيد الحالة حراجة ويرتئي استدعاء القائم مقام الى الاستانة

٢٩٨ ١٥٠ – ٦ شباط سنة ٥٨ – القنصل برانت إلى المستر اليسون – يخبره بان اسمعيل خيري بك زعيم النصيريّة هاجم مع عثمان حمرا عدة قرى في جوار صافيتا وباص اهلها وقتل منهم كثيرين فارسل السرعسكر قوّة لصدّهِ

٢٩٩ ١٥١ – ١٧ منه – نطاقة الموسيو مور إلى خورشيد باشا – يطلب اليهِ عدم السماح الى المتهمين بحوادث نابلس بالعودة اليها قبل معاقبة الجناة ويسأله ألاّ يعيد محمود عبدالهادي الى وظيفتهِ

٣٠٠ ١٥٢ – .. نيسان ٥ – جواب خورشيد باشا إلى المسيو مور – يخبره بان الصدر الاعظم أمر بتأجيل انزال العقاب بالجناة وبالاكتفاء بأخذ ٥٥ الف قرش منهم ودفعها إلى قنصلية انكلترة وباعطاء الامر الى الحكومة المحلية ان تتولّى حفلة اعادة العلَم الانكليزي ودفع ١٠ الاف قرش دية الابكم

٣٠١ ١٥٣ – ٤ ايار سنة ٥٨ – القنصل برانت الى المستر اليسون – انبأهُ بها عن حدوث اضطرابات في حماه وهجوم اهاليها على المتصرف وفراره إلى معسكر مصطفى باشا واعتداء النصيريّة على قرية كفربوهوم المسيحية

٣٠٢ ١٥٤ – ١١ منه – القنصل مور الى المستر اليسون – يخبره بان معاكسي الامير بشير أحمد القائم مقام المسيحي عقدوا اجتماعاً في جوار برمّانا فغادر هذا الامير بيته ليلاً

صفحة عدد

٣٠٢ ١٥٥ـ ١٢ ايار سنة ٥٨ - القنصل مور الى الكونت دي ملمسبوري ـ انبأهُ بحوادث نابلس واجتماع برمّانا وهرب الامير بشير أحمد إلى بيروت وعضد خورشيد باشا لهذا الامير واعتزام الاهلين على عدم الرضوخ لامره قبل اتمام التحري عن سلوكهِ

٣٠٣ ١٥٦ـ ١٤ منه ـ القنصل مور إلى المستر اليسون ـ يخبره عن تأخر وصول عطا بك الى لبنان ونسبة اللبنانيين هذا التأخير إلى رغبة الحكومة في ازدياد الانقسام لحملهم على طلب والٍ تركي

٣٠٤ ١٥٧ـ ١٥ منه ـ القنصل مور إلى الكونت دي ملمسبوري - اخبرهُ بأن حزبًا في كسروان ينوي تمكين الامير بشير احمد من العودة إلى الجبل لاتخاذ غزير أو جبيل مقرًّا لهُ

٣٠٥ ١٥٨- ٢٧ ايار سنة ٥٨ ـ القنصل مور الى الكونت دي ملمسبوري - انبأه بان الامير بشير احمد حاول العودة الى لبنان بواسطة البعض من الدروز وانه نصح خورشيد باشا بعدم عضد هذا الامير لئلّا يجرّ امره الى حرب اهلية وانه قد استقر رأي اعيان الدروز والمسيحيين في اجتماع عقدوه على مقاومة الامير المشار اليه بالقوة وان غاية خورشيد باشا والحكومة التركية ان يسود الاضطراب في لبنان فتتمكن إذ ذاك من الغاء امتيازاتهِ

٣٠٦ ١٥٩ - ٢٧ منه - جمعية العرعار ـ عقدها امراء اسرة بللمع مع جمهور غفير من أعيان دروز المتن ومسيحيه اقروا بها رأيًا على مقاومة الامير بشير احمد بالقوة اذا حاول العودة الى مركزه وقد أنفذوا رسائل بهذا المعنى الى غبطة البطريرك والمطران طوبيا عون والشيخ حسين

صفحة عدد

تلحوق واهالي زحله

٣٠٧ ١٦٠ – ٢٨ ايار سنة ٥٨ – القنصل مور الى الكونت دي ملمسبوري – أخبره بان خورشيد باشا اقر على اعادة الامير بشير احمد الى لبنان واصحبه بقوه مسلحة وبكاخيته والمفتي وانه نصح المعارضين بعدم مهاجمة الامير

٣٠٨ ١٦١ – ٢٩ ايار سنة ٥٨ – القنصل مور الى الكونت دي ملمسبوري – اكد له وصول الامير بشير احمد الى برمانا منذرًا بحدوث حرب أهلية بعد عودة المأمورين الاتراك من لبنان وان قنصل روسيا العام احتج على رجوع المشار اليه

٣٠٩ ١٦٢ – ١٢ حزيران سنة ٥٨ – بيورلدي خورشيد باشا الى خليل افندي غر واروتين آغا – ايعازًا اليهما بتبليغ أهالي القائم مقامية المسيحية وصول عطا بك المندوب السلطاني الى بيروت وتحاشي عقد الاجتماعات وان يأتوا الى بيروت فرقًا فرقًا لاجراء التحقيق

٣١١ ١٦٣ – ١٤ منه – بيان القنصل برانت الى سفير دولته في الاستانة – وصف فيه سوء حالة دمشق المالية والزراعية والتجارية وعارضها بنمائها في عهد الحكومة المصرية وافاض في بيان حالة الفوضى واعتداءات النصيرية وقبائل العرب في حوران ونزوع النصيرية والدروز والمتاولة الى الاستقلال وأفاد ان السوريين المسيحيين يؤثرون الخدمة العسكرية على دفع مال الاعناق وان الباب العالي متردد باجابة التماسهم

٣١٧ ١٦٤ – ١٦ منه – ومنه الى المستر اليسون – انباء بذهاب طاهر باشا الى

صفحة عدد

حوران لضمان راحة الحج ونجاحه وان عرب اللجاه ودروز حوران تعاضدوا

٣١٨ ١٦٥ – ١٨ حزيران سنة ٥٨ ـ الفيس قنصل روجرس الى القنصل فين – أنبأه بالتقائهِ في الناصرة بالقاضي الشيخ امين الذي أتهم الياس الصفوري البروتستاني باضلالهِ المسلمين وبان الفيس قنصل المذكور اعترضهُ بان جلالة السلطان أذاع خط كلخانه مانحًا رعاياه الحريّة المذهبية فاجابه المفتي بكلام الازدراء بجلالته زاعمًا بان المسلمين عليهم ان يرضخوا لاوامر جلالته اذا طابقت الشريعة

٣١٩ ١٦٦ ـ ٢٥ حزيران سنة ٥٨ – القنصل مور الى الكونت دي ملمسبوري ـ وصول الف لبناني إلى بيروت للشكوى من الامير بشير أحمد

٣١٩ ١٦٧ ـ ٢٩ منه – ومنه اليـه – وصول ٥ الاف لبناني الى بيروت للشكوى من الامير المشار اليهِ وانتظار قدوم غيرهم من زحله وشمالي لبنان وتأجيل عطا بك استـدعاءه الى بيروت مع وفرة الشكاوى منه ورياء عطا بك

٣٢٠ ١٦٨ ـ ٣ تموز سنة ٥٨ ـ ومنه اليهِ ـ اخبارًا بان عطا بك طلب حضور الامير بشير عساف والامير مراد وانسباءهما إلى بيروت قبل النظر في الشكاوى وعرضه اعطاء ورقة تأمين الى المشار اليهم بواسطة قنصلية انكلترة ورضاها بذلك موضحًا ان الحكومة تريد بمثل هذه الاعمال تذنيب الامير بشير القائم مقام المسيحي وانسبائه لتعيين حاكم تركي على لبنان

٣٢١ ١٦٩ ـ ٨ منه ـ جمس فين قنصل القدس الى الكونت دي ملمسبوري ـ

صفحة عدد

وصف هياج افكار المسلمين على اثر فتنة جده وتهديدهم المسيحيين بالذبح انتقاماً منهم لما خُوّلوه من الامتيازات واستيائهم من السطان

٣٢٢ ١٧٠ـ ١٧ تموز سنة ٥٨ـ مور قنصل بيروت الى الكونت دي ملمسبوري ـ انبأه برجوع عطا بك عن امره الى الامير بشير أحمد بجباية الاموال الاميريّة ووعده معارضي الامير باستدعائه الى بيروت بعد ورود اوامر الاستانة

٣٢٣ ١٧١ـ ٢٢ منه ـ مور الى امير البحر فنسهو قائد اسطول بحر المتوسط ـ حدثه عن هياج المسلمين بعد فتن يافا وجده وغزه وسأله أرسال بعض البوارج الحربية لحماية المسيحيين

٣٢٤ ١٧٢ـ ٢٠ منه ـ القنصل فين إلى دي ملمسبوري ـ اعتداء مسلمي غزه على كنيسة الروم الارثوذكس فيها

٣٢٤ ١٧٣ـ ٢٤ منه ـ نشرة خورشيد باشا وعطا بك ـ استدعاء أصحاب الاقطاعات والامراء والمشايخ الى بيروت للتحقيق في صحة عرائض الشكوى من القائم مقام والامتداح منه

٣٢٥ ١٧٤ ـ ٣١ منه ـ سكين قنصل حلب الى المسيو اليسون ـ أخبره بالهياج السائد في المدينة منذ ١٠ ايام واتخاذ الحكومة التحوطات وقبضها على بطرس الطويل محرض المسيحيين على الفتنة وبغض اهالي حلب العرب للاتراك وبقاء ارتباط سرّي بين بقايا جوق الانكشاريّة ونزوع المسلمين سكان شمالي سوريا الى تأليف دولة عربية تحت سيادة شرفاء مكة

٣٢٧ ١٧٥ ـ ٢ آب سنة ٥٨ـ برانت قنصل دمشق الى الكونت دي ملمسبوري ـ

صفحة عدد

هياج مسلمي دمشق على أثر مقتل قنصلي انكلتره وفرنسا في جده ووجوب معاقبة الجناة للارهاب واتخاذ الوالي التحوطات في ايام العيد وارتشاء ارباب الحكومة وسقوط هيبتها وانتشار الفوضى واباء قائد في حوران ترك منصبه

٣٢٨ ١٧٦ـ ٣ آب سنة ٥٨ ـ ومنه اليه ـ اقتتال قبيلتي ولد علي والروله بقيادة زعيميهما محمد الدوخي وفيصل الشعلان وانكسار الاول وتراجعه الى قرب صيدا وانقسام الدروز الى قسمين واتحادهما على الفريق المغلوب والمخاوف من حدوث فوضى عامة او ثورة كبيرة

٣٢٩ ١٧٧ـ ٥ منه ـ مور إلى الدوق دي ملمسبوري – اخبره بان عطا بك اتحد مع خورشيد باشا والامير بشير أحمد مخافًا وعوده وسأله اعطاءه تعليمات فيما إذا كان يؤمل انشاكين من القائم مقام بمواصلة مساعدة حكومة انكلترة لهم

٣٣١ ١٧٨ - ١٩ منه ـ القنصل فين إلى المشار اليهِ – قبض ثريًا باشا على المعتدين على كنيسة غزه إلاَّ المفتي . جزع المسيحيين

٣٣٢ ١٧٩ـ ٢٨ منه ـ القنصل برانت إلى المشار اليهِ – سكون المسلمين في دمشق بعد ذيوع خبر اطلاق المدافع على جده

٣٣٢ ١٨٠ـ ١٤ ايلول سنة ٥٨ ـ القنصل مور الى المشار اليه ـ قتل الدروز عائلة مسيحية بكاملها . ضعف الحكومة . عدم امنية الطرقات . فرار المديونين والمحكوم عليهم الى لبنان . عدم القبض عليهم . شكوى التجار الاوربيين

٣٣٣ ١٨١ـ ١٤ منه – ومنه اليه ـ تعيين الامير حسن بللمع وكيلًا عن القائم

صفحة عدد

مقام . فصل الامير بشير عساف عن منصب الاقطاعة انتقاماً .
استسلام عطا بك لخورشيد باشا

٣٣٤ ١٨٢ – ١٠ ايلول سنة ٥٨ ـ القنصل خياط الى القنصل مور ـ اهتداء
ايوب بك من اعيان يافا الى قتلة المستر ديكسون الاميركي .
الامتداح من نشاطه

٣٣٥ ١٨٣ ـ ١٤ ايلول سنة ٥٨ ـ القنصل فين الى دي ملمسبوري ـ اقتتال
عرب الطيّاحه في جنوبي غزه . غزوة بني صخر قضاء نابلس انتصاراً
لاسرة طوقان على إسرة عبدالهادي . الضرر من الحاق نابلس بايالة
بيروت

٣٣٦ ١٨٤ ـ ٢٧ ايلول سنة ٥٨ – القنصل مور الى المشار اليه – استعداد
خورشيدباشا لعزل الامير بشير احمد

٣٣٦ ١٨٥ ـ ٢٩ ت ١ سنة ٥٨ ـ القنصل فين الى المشار اليه – قتل رباح
زعيم بني صخر . استسلام قبيلة عدوان واسرة عبد الهادي للنهب .
خسائر البدو ٣ آلاف رجل في ٣ اشهر

٣٣٧ ١٨٦ ـ ١٢ منه ـ ومنه اليه – هياج المسلمين في القدس . خوف المسيحيين .
أمر الحكومة الى رؤساء الطوائف بمنع رعاياهم من العزف
بالموسيق بحفلات اعراسهم . سجن عريس قبطي وكاهن طائفته
وبعض المحتفلين بعرس . سكوت الحكومة عن احتفالات المسلمين

٣٣٨ ١٨٧ – ٢٧ منه ـ القنصل مور الى دي ملمسبوري ـ حدوث معركتين بين
القوات التركية والنصيرية بقيادة اسمعيل خيري بك . فوز الاتراك
في الاولى وانكسارهم في الاخرى . التماس خيري بك وساطة

صفحة عدد

معتمد انكلترة . قبول خورشيد باشا بها

٣٤٠ ١٨٨ـ ٢٦ ايلول سنة ٥٨ ـ مرسر فيس قنصل طراباس الى مور القنصل العام = طلب اسمعيل خيري بك وساطة انكلترة بينه وبين الحكومة العثمانية على يد الموسيو نوفل . سؤال القنصل العام رأيه . التماس المرسلين الاميركيين البروتستنت حماية انكلترة

٣٤٠ ١٨٩ ـ ٢٧ منه ـ الترجمان مشاقه الى مور ـ ايجاب خورشيد باشا على خيري بك الاستسلام الى طاهر باشا والوعد بالنظر في قضيته بكل نزاهة

٣٤١ ١٩٠ ـ ٢٠ منه ـ القنصل برانت الى السير بولفر ـ اقتتال بين اسمعيل خيري بك زعيم النصيرية وعبود آغا زعيم قبيلة الدندشلية المسلمة . فرار فارس المزيد رئيس فرع من قبيلة عنيزه من دمشق وجهره بالعصيان

٣٤١ ١٩١ ـ ٢٥ منه ـ ومنه اليه ـ حدوث معركة بين النصيرية والدندشلية . معاونة الدولة الاخرين . اضطرار المسيحيين الى الانضمام الى النصيرية لاباء الحكومة حمايتهم

٣٤٢ ١٩٢ ـ ١ ت ٢ سنة ٥٨ ـ مور الى دي ملمسبوري ـ سياسة عمال الدولة السلطانية . تأجيل عطا بك حل مسألة شكاوى المسيحيين من قائم مقامهم . اكتشاف مؤامرة سرية بين الشيعيين والدروز لعضد هذا الامير . رغبة الدولة في ايقاد حرب أهلية في لبنان لبسط حكمها عليه

٣٤٣ ١٩٣ ـ ٨ ت ٢ سنة ٥٨ ـ القنصل فين الى المشار اليه ـ رواية الموسيو ابلا قنصل صيدا عن تآمر الدروز والمسلمين والمتاولة على قتل المسيحيين بايعاز خورشيد باشا والامير بشير أحمد

صفحة عدد

٣٤٤ ١٩٤ـ ٨ ت٢ سنة ٥٨ ـ ومنه اليه ـ استيقاظ التعصب الاسلامي . عدم قبول المحاكم شهادة مسيحي على مسلم . اهانة بطريرك الروم في القدس. مفاخرة متصرف القدس بسعيه الى كسر سيطرة الشوكة الاوربية

٣٤٥ ١٩٥ـ ٨ منه ـ ومنه اليه ـ اعتداء المسلمين على المسيحيين في قضاء نابلس ـ قدوم طاهر باشا . نزوله في بيت كاهن الروم . طرح مؤنة الكاهن المذكور في الشارع . ازدياد كره المسلمين للمسيحيين

٣٤٦ ١٩٦ـ ٥ منه ـ ومنه اليه ـ مور الى السير هنري بولفر ـ تسليمه عطا بك الامر الوزاري بتسوية شكاوى المسيحيين من قائم مقامهم . محاولة المندوب المشار اليه القاء التبعة على رؤسائه. قوله للترجمان مشاقه انه لم يفعل شيئًا الاّ مأمورًا . وعده بمفاوضة خورشيد باشا

٣٤٧ ١٩٧ـ ١١ منه ـ ومنه اليهِ ـ تردد عطا بك في تحصيل ديون الحواجات طوبيًا وأصفر من الامير بشير أحمد . عزم المندوب المشار اليهِ على زيارة لبنان مستصحبًا الهدايا

٣٤٧ ١٩٨ـ ١١ منه – القنصل جمس فين الى دي ملمسبوري ـ اعتداء الجنود على المسيحيين . تحقير القاضي ترجمان القنصلية الانكليزيّة الاسرائيلي . رفضه الحكم بدعواه دون شهادة مسلمين

٣٤٨ ١٩٩– ١٦ منه – القنصل برانت إلى السير بولفر ـ انتصار اسمعيل خيري بك . قطع رأسه ورأس شقيقه ناصيف . عرضهما في دار الحكومة في دمشق

٣٤٩ ٢٠٠– ١٩ منه ـ ومنه اليهِ ـ اقتتال فارس المزيد ومحمد الخرفان. انضمام الامير سلمان الحرفوش إلى الآخر . استظهارهما على فارس المزيد .

صفحة عدد

نصرة قبيلة الحديدية له . انكسار الامير سلمان وقتل محمد الخرفان. تولية فارس آغا قادرو قائم مقامية بعلبك

٣٤٩ ٢٠١ – ٢٢ت٢سنة٥٨ – مرسر فيس قنصل طرابلس الى مور القنصل العام – مقتل اسمعيل خير بك في عين الكروم بخيانة عمه علي الشلّي وغدره باولاده الصغار

٣٥٠ ٢٠٢ – ٢٩ منهِ – مور الى السير بولفر – سفر بطريركي الروم الانطاكي والاورشليمي إلى الاستانة حاملي عرائض شكوى من الامير بشير أحمد

٣٥٠ ٢٠٣ – ٢٢ك ١ سنة ٥٨ – مور الى دي ملمسبوري – وصول ٣ الاف جندي الى دمشق وعودة طاهر باشا اليها

٣٥١ ٢٠٤ – ٢٢ ك ١ سنة ٥٨ – مور الى السير بولفر – قدوم وفد من زحله . التماسه من خورشيد باشا تعيين والٍ تركي عليهم . معارضة القنصل لهم لمخالفة طلبهم نظام لبنان . مساعي الحكومة العثمانية لبسط الحكم التركي على لبنان مباشرةً

٣٥٣ ٢٠٥ – ١٥ ك ٢ سنة ٥٩ – القنصل برانت الى الكونت دي ملمسبوري – القاء الحكومة القبض على الامير سلمان الحرفوش من بعلبك وايداعه السجن

٣٥٣ ٢٠٦ – ١٢ منه – ومنه الى السير بولفر – كيفية قبض اليوزباشي حسني بك على الامير سلمان الحرفوش في زحلة

٣٥٤ ٢٠٧ – ١٢ منه – ومنه الى السير بولفر – قبض الجنود على محمود بك الهادي قائم مقام نابلس سابقاً . تعيين رضا بك مكانه

٣٥٤ ٢٠٨ – ٢٦ منه – القنصل برانت الى السير بولفر – حدوث اضطراب في

صفحة عدد

حي الميدان في دمشق . قبض السر عسكر على الاغاوات والزعماء

٣٥٥ ٢٠٩ـ ٢٨ ك ٢ سنة ٥٩ ـ مور إلى بولفر ـ تسويف الحكومة العثمانية في التحقيق بالشكاوى من الامير بشير أحمد . دسائسها . تحريضها الفلّاحين على المشايخ . فرار هؤلاء

٣٥٥ ٢١٠ـ ٧ شباط سنة ٥٩ ـ اعتداءات فلّاحي كسروان على مشايخهم . نهب بيوتهم واهانة نسائهم . تجاهل خورشيد باشا هذه الحوادث . وعده بارسال قوّة

٣٥٦ ٢١١ـ ١٤ ادار سنة ٥٩ ـ ومنه اليهِ ـ انذار والي صيدا الطوائف المسيحية بوجوب دفع ٥ الاف قرش عن كل رجل اصابته القرعة العسكريّة مع المتأخر عن الاربع سنوات الماضية . تصريح رؤساء الطوائف المذكورة . ايثار المسيحيين الخدمة العسكريّة على دفع البدل وطلبهم مهلة لدفع بقايا السنوات المتأخرة . رفض الوالي طلبهم

٣٥٧ ٢١٢ـ ٢٩ منه ـ ومنه اليهِ ـ تعيين الامير محمد رسلان وكيلًا لقائم مقامية الدروز مكان والده المريض . سكوت الحكومة التركية عن الثورة على المشايخ الخازنيين والحيشيين انتقاماً منهم وتحقيقاً لغايتها

٣٥٨ ٢١٣ـ ١٤ نيسان سنة ٥٩ ـ القنصل فين الى دي ملمسبوري ـ تهيؤ الحملة العسكريّة العثمانية لمهاجمة العربة مع اسرة عبد الهادي في نابلس

٣٥٨ ٢١٣ـ ٢٠ منه ـ مور الى السير بولفر ـ عضد ارباب الحكومة العثمانية مكرر الامير بشير أحمد . تحريضهم الشعب على المشايخ وبالعكس . نجاح دسائسهم . طلب الزحليين والياً تركيًّا عليهم . اعتداء الشيعيين على البروتستنت . تعصب المدير . تغرض الوالي . انكسار اسرة

صفحة عدد

عبد الهادي في بلدة عربة . رفض مسيحيي صيدا البدل العسكري اقتداء بمسيحيي ايالة الشام . مرض القائم مقام الدرزي . وكالة ابنه. حالة الفوضى . اغراض الحكومة التركية

٣٦٠ ٢١٤ـ ٢٣ نيسان سنة ٥٩ ـ القنصل فين الى الكونت دي ملمسبوري ـ استيلاء الجنود على العربة . تدميرها . قتل زعماء اسرة عبد الهادي وتفرق شملهم

٣٦٠ ٢١٥ـ ٧ ايار سنة ٥٩ ـ مور الى السير بولفر ـ سماح خورشيد للاميرين بشير عساف ومراد بالمجيء الى بيروت . سعي موظفي دولته الى حملهما على ترك شكاويهما من القائم مقام. رفضهما

٣٦١ ٢١٦ـ ١٤ منه ـ القنصل سكين الى السير بولفر ـ حدوث مشاغب في عينتاب من جراء قلة الحبوب . هجوم الاهالي على دار الحاكم . ضربهم رئيس الشرطة . نهبهم مستودعات الحبوب

٣٦٢ ٢١٧ـ ٢٣ حزيران سنة ٥٩ ـ القنصل فين الى دي ملمسبوري زحف ثريا باشا على عبد الرحمن عامر قائم مقام حبرون . أسره شقيقه سلامه

٣٦٢ ٢١٨ـ ٢٧ منه ـ ومنه اليه ـ قمع ثريا باشا ثورة حبرون . كسره عرب السوالكه في بير سبع . ابوغوش ومقتل الآنسة كريزي

٣٦٣ ٢١٩ـ ٣٠ منه ـ مور الى السير بولفر ـ وفاة الامير امين ارسلان قائم مقام الدروز . الانهاء بتعيين ابنه الامير محمد اصيلا . تصالح امراء المتن اللمعيين مع القائم مقام الامير بشير احمد بواسطة خورشيد باشا . بقاء الامير بشير عساف على عزمه . استمرار دسائس الحكومة التركية بتوسيع نطاق الخلاف بين المشايخ الخازنيين وشعب

صفحة عدد

كسروان . مواصلة الاعتداء والنهب . سكوت الحكومة لبسط حكمها على لبنان

٣٦٤ ٢٢٠ – ٢ تموز سنة ٥٩ ـ القنصل برانت الى السير بولفر – بقاء الامير سلمان الحرفوش في السجن . محافظة ابن اسمعيل خير بك على استقلال النصيرية . فصل زحله عن ايالة صيدا والحاقها بدمشق . اشاعات عن الحج . التحوطات لحمايته

٣٦٥ ٢٢١ – ١٤ منه – مور الى السير بولفر ـ تعيين الامير محمد ارسلان قائم مقاماً على الدروز . معارفه وادابه . صداقته لهُ . توجيه رتبة اسطبل عامر الى سعيد بك جنبلاط

٣٦٦ ٢٢٢ ـ ١٤ منه ـ ومنه اليه – استفحال ثورة الفلاحين في كسروان . قتلهم قرينة الشيخ دياب وابنتها وجرح أخرى

٣٦٦ ٢٢٣ ـ ١ ايلول سنة ٥٩ ـ مور الى اللورد جون روسل – بقاء خورشيد باشا في المديرج . عدم معاقبة اصحاب الفتن . تفاقم الشرّ بين المسيحيين والدروز . عودة الضباط الفرنسويين والروسيين . التماس مسيحيي حاصبيا تعيين حاكم تركي عليهم

٣٦٧ ٢٢٤ – ٢٥ آب سنة ٥٩ ـ ومنه الى السير بولفر ـ اقتتال الموارنة والدروز في بيت مري ـ حرق بعض قرى المتن . ايفاد مأمورين فرنسويين وروسيين الى خورشيد باشا . سكوت الحكومة العثمانية عن المشاغب . مطامعها

٣٦٨ ٢٢٥ – ٢٦ منه – ومنه اليه ـ استدعاء خورشيد باشا الامير بشير احمد الى المديرج . ذهاب هذا الامير مع احد موظفي قنصلية فرنسا .

صفحة عدد

تباغض المسلمين والمسيحيين في بيروت . ارسال الاسلحة الى لبنان. تحريض الدفتردار عارف افندي على حفظ السكينة

٣٦٩ ٢٢٦ – ٣٠ آب سنة ٥٩ ـ القنصل فين الى اللورد روسل – اختلاف طائفة الروم الكاثوليك من جرّاء ادخال الحساب الغريغوري . البطريرك مكسيموس مظلوم والبابا. البطريرك اكليمنضوس بحوث. ادخاله الحساب الغريغوري . انشقاق الطائفة . اجتماع الاساقفة في زحله لانتخاب بطريرك جديد . طرد الطائفة في صور اسقفها . استيلاؤها على الوقف . رجوعه على بارجة فرنسويّة . طرده مجدداً. شكوى بطريرك اللاتين من الوكيل القنصلي في صور وترجمانه (١)

٣٧١ ٢٢٧ ـ ١٥ ايلول سنة ٥٩ ـ مور الى اللورد روسل – اجتماع اهالي كسروان لانتخاب طانيوس شاهين زعيماً لهم . مساعدة الاكليروس الماروني والروماني لهم

٣٧٢ ٢٢٨ ـ ٢ منه ـ مور الى السير بولفر – ثورة فلاحي كسروان على المشايخ الخازنيين . تحريض الحكومة الفلاحين عليهم . عوز المشايخ . شكواهم الى قناصل الدول

٣٧٣ ٢٢٩ – ١٩ منه ـ القنصل برانت الى السير بولفر ـ حدوث قلاقل في المعلقة . دخول الجنود العثمانية الكنيسة . قبضهم على اللاجئين

---

(١) لا يستغرب ما جاء في هذه الرسالة من التحامل على السلطة البابويّة والخاضعين لها لان كاتبها بروتستاني ولم ننقد ما تضمنته من الامور المخالفة الحقيقة عملاً بالقاعدة التي التزمناها في اثبات هذه المحررات دون تعليق عليها

صفحة عدد

اليها . ضربهم الاب بيليوته

٣٧٣ ٢٣٠ـ ٢٩ منه—مور الى السير بولفر ـ اعادة الامير بشير احمد الى منصبه . شقاء العائلة الخازنية

٣٧٤ ٢٣١ - ٣٠ منه ـ القنصل برانت الى السير بولفر ـ الارتياب بارتشاء الوالي . زيادة الضرائب . الظلم في استيفائها . اهمال الحكومة حماية الاهالي من العرب . ابتزازها اموال الفلاحين . خصب ارض سوريا . خرابها وسلاسة طبع اهاليها . فصل زحله عن لبنان والحاقها بايالة صيدا . بقاء الامير سليمان الحرفوش في السجن . استسلام نسيبه محمد الى السلب والنهب . المخاوف من انضمام دروز حوران الى اخوانهم في لبنان لمهاجمة المسيحيين . عودة الحجاج سليمين . زيادة نفقات الحج

٣٧٧ ٢٣٢ـ ١٥ ت ١ سنة ٥٩ ـ مور الى اللورد روسل ـ عودة خورشيد باشا الى بيروت . اقتياده ٣٦ شخصاً متهمين باثارة فتنة بيت مري . بقاء القائممقام المسيحي فيها مع قوة عسكرية

٣٧٨ ٢٣٣ـ ٣٠ ايلول سنة ٥٩ - مور الى السير بولفر ـ اشاعة ارجاع زحله الى لبنان . استمرار الفتنة في كسروان . فاقة المشايخ الخازنيين . اضطهاد محمد بك الاسعد المرسلين الاميركيين والوطنيين البروتستنت . فرض مبلغ ٢٩ على الدروز تعويضاً للمسيحيين . خلاف الاوربيين والحكومة المحلية على تأليف محكمة تجارة بيروت . مطامع الحكومة العثمانية في مد سيطرتها على لبنان . محل المواسم

صفحة عدد

٣٨٠ ٢٣٤ – ١٧ ت ٢ سنة ٥٩ ـ القنصل فين الى اللورد روسل ـ نفي عبد الرحمن وسلامه عامر من حبرون الى الاستانة . ابعاد عثمان لحام ومحمد عطاالله عن العرقوب الى قبرس وانسبائهما الى الرملة . انشاء حصون في غزة . طلب الباشا الى القنصل مساعدته لبقائه في مركزه . شكوى القنصل من مفتي غزه ومن ظلم ملتزمي اعشار الفلاحين . طلب كبح جماح قبيلة عدوان والاقتصاص من قتلة الآنسة كريزي

٣٨٣ ٢٣٥ ـ ٢٢ ك ١ سنة ٥٩ ـ مور الى اللورد روسل – تحسن الامن في سوريا . ازدياد القلاقل في لبنان . تآمر والي صيدا والقائم مقام المسيحي على خراب لبنان

٣٨٣ ٢٣٦ – ٣٠ منه ـ مور الى السير بولفر ـ شكوى المشايخ الخازنيين الى القناصل . وعد خورشيد باشا بالذهاب الى كسروان في الربيع بقوة عسكرية

٣٨٤ ٢٣٧ ـ ٣٠ ك ١ سنة ٥٩ – عريضة المشايخ الخازنيين – وصف فتنة كسروان . اغتصاب الفلاحين املاكهم وأموالهم وقتلهم النساء . عوز المشايخ المتشتتين . التماس مساعدة الدول لاعادتهم الى اقطاعتهم

٣٨٦ ٢٣٨ ـ ٣١ منه – القنصل برانت الى السير بولفر – انشغال الاهلين باخبار المؤامرة على السلطان . ورود الامر بفصل المأمورين الملكيين في بيروت والشام . الغاء منصب الدفتردار . شيوع خبر تعيين والٍ واحد لكل سوريا . الاقتصاد في النفقات . سوء حالة ولاية سوريا منذ ارجاعها الى الباب العالي . بقاء الامير سليمان الحرفوش في

صفحة عدد

السجن . خلاف بين رئيس محكمة التجارة واعضائها ووقوف اشغالها . اعدام ٧ من النصيرية

٣٨٨ ٢٣٩ – ٢١ منه – مور الى السير بولفر – استمرار الاضطرابات في القائم مقامية المسيحية . اطلاق سبيل المتهمين بحادثة بيت مري . تصالح الفريقين . اعادة زحله إلى لبنان . خلاف طائفة الروم الكاثوليك بسبب ادخال الحساب الغريغوري . بقاء مسألة المشايخ الخازنيين على حالها . ارسال عرائضها الى الاستانة . طلب التجار الاوربيين تأليف لجنة لفصل الدعاوى المختلطة . اتفاق القناصل على اضافة ٤ تجار اوربيين إلى محكمة التجارة

٣٩١ ٣٤٠ – سنة ١٨٤٤ – ذيل – بيان ميري جبل لبنان بموجب تنسيب شكيب افندي

٣٩٨ ٣٤١ – . . . صورة وكالة من اهالي كسروان – للسعي إلى اعفائهم من الاموال الاميرية عن ٣ سنوات والغاء الجمارك . توكيلهم الشيخ وديع والشيخ دبلين الخازن والشيخ يعقوب البيطار وميلاد القاموع وجرجس باخوس واسعد اده وسمعان أبي حيدر

٣٩٩ ٣٤٢ – ٥ حزيران سنة ٤٣ – الخوري ارسانيوس الفاخوري الى المشايخ بشاره وكنعان وكسروان الخازن – شهادة القنصل وود بان سليم باشا وعد اهالي كسروان باعفائهم من المال الاميري مدة ٣ سنوات مكافأةً لهم على مساعدتهم الدولة العلية في طرد الجنود المصرية . مساعيه في تحقيق هذه الامنية . نصحه بدفع الاموال الاميرية موقتاً إلى حين ورود اوامر الباب العالي

٤٠٠ ٣٤٣ – اوائل ك ١ سنة ٤٢ – اتفاقية على اجراء المساحة بين الامراء وكلاء

صفحة عدد

القائم مقامين ومشايخ ومعتمدي وكلاء مقاطعات البلاد
٤٠٤ ٣٤٤ـ سنة ٤٣ – كتاب الامير حيدر اسمعيل الى الشيخ بشاره الخازن ـ طلب ارسال مقوّمين الى الدكوانه للتفاوض بأمر مسح البلاد
٤٠٥ ٣٤٥ـ ... ـ قرار من ديوان شورى النصارى في لبنان بخصوص مال ميري كسروان ـ مساواة كسروان ببلاد جبيل واعفاؤه من مبلغ ١٨ الف قرش بناء على التماس الشيخين خالد وقسطنطين الخازن
٤٠٨ ٣٤٦ـ سنة ١٨٤٩ – اتفاقية بخصوص اجراء المساحة بتاريخ ٢٤ شعبان سنة ١٢٦٥
٤١٠ ٣٤٧ـ ... حزيران سنة ٤١ ـ الامير بشير قاسم شهاب الى المشايخ بيت ابي نوفل الخازن – تبشيرًا بتعيينه اميرًا على جبل لبنان ومنحه وسامًا ونصب « كتخداي » لهُ في الباب العالي
٤١٢ فهرس اهـ.

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١	١٢	المبلَّغ	المبلِّغ
٣	١٧	اسأت	اسأَت
٦	٢	طوّقت	طُوّقت
٩	٤	أنتدب	أنتدب
١٠	١٢	موثّرين	موثّرين
١١	١٤	الجأنا	الجأنا
١٥	١٠	أعتقدنا	اعتقدنا
١٨	٧	أستدعي	استُدعي
١٨	١١	المفاومة	المقاومة
٢٣	٩	واوربا	وسوريًا
٢٣	١٠	تجرأت	تجرأت
٣٠	١	اثناء	اثناء
٣٠	٣	اعمٌ	اعمٌ
٣١	٣	اراء	اراء
٣١	١٥	حرٌّ	حرًّا
٣٢	١٦	شروط	شروطًا
٤٠	٢١	مصلحة	مصلحته

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٤١	١	الامير	الامر
٤٢	١٤	بيده	بيدَ
٤٤	٥	القاء	القاء
٤٩	٥	الموسيو	الى الموسيو
٥١	١٧	الروّوف	الرؤوف
٥٥	٥	علي	على
٦٤	١٥	بدأوا	بدأوا
٦٩	١٠	غضاضةً	غضاضةٌ
٧٠	٤	اصداقائكم	اصدقائكم
٧٦	١١	زعماء	زعماء
٧٦	١٨	أستدعي	استُدعي
٩٥	٣	أرسالها	ارسالها
٩٥	١٧	أمعان	امعان
٩٧	١١	ألاَ	ألاَّ
٩٧	٢٠	نوَّمٌ	نوم
١٠٢	٦	فجلٌ	فجلٌ
١٠٢	١٥	أارشاء	الارشاء

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٠٣	٢٠	المطمأنين	المطمئنين
١٠٩	٣	وحضرة	وحضره
١١١	٢١	لائم	لاءم
١١٣	٤	الي	الى
١١٥	٧	موقّع	موقِع
١١٧	١٥	أرسال	ارسال
١١٨	١٧	يؤثرون	يؤثرون
١١٩	٧	أستفيد	استُفيد
١٢٣	٢١	عليها	عليه
١٢٤	٧	أراء	آراء
١٢٦	١٠	أرتكبت	ارتُكبت
١٢٧	٦	يستحصل	يحصل
١٢١	١٣	تبدِ	تبدُ
١٢٩	٢٠	ترأفوا	تأفوا
١٣١	٣	استعمال	باستعمال
١٣٣	١٢	دخل الى	دخل
١٣٤	٥	أرتكبت	ارتُكبت
١٣٥	٩	أضطرَّ	اضُطرَّ
١٣٦	٣	بأجلى بيان	(مكررة)
١٤١	١١	بدأنا	بدأنا
١٤١	١٤	عبدَ	عبدًا

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٤٤	١٦	الي	الى
١٤٥	٥	أمتحنت	امتُحنت
١٤٧	١٣	من سحب	سحب
١٤٩	١٢	من ذلك	ذلك
١٥٠	١٩	أستخدموا	استُخدموا
١٥٠	٧	أستوفي	استُوفي
١٥٥	١	رأوا	رأُوا
١٥٦	١١	جلٌ	جلُ
١٥٦	٢٢	تدعو	تدعوا
١٦٠	٩	ارتأت	ارتأت
١٦١	٢٢	في النواحي	النواحي
١٦٢	١٧	ظاهرة	او ظاهرة
١٦٣	٩	شوؤن	شؤون
١٦٥	٥	رأوا	رأُوا
١٧١	٤	أتخذ	اتُخذ
١٧٤	١٥	سكون	سكوت
١٧٦	٣	الموقّعين	الموقِعين
١٧٦	١١	أرتكبت	ارتُكبت
١٨٠	١	أعترض	اعتُرض
١٨٦	١٠	أرتكبت	ارتُكبت
١٨٦	١٥	ارسلتموها	ارسلوها

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٨٩	١١	ورثا	ورثة
١٩٤	٤	يريد	يدير
١٩٦	١١	معارضة	وهي معارضة
٢٠٨	١٠	آلائه	آلاءه
٢٠٨	١٦	جازم	جازماً
٢١٠	١١	اعطائها	اعطاءها
٢١١	١٦	الموقّع	الموقِع
٢١٢	٧	الموقّع	الموقِع
٢١٤	١١	الموقّع	الموقِع
٢١٨	٧	تباطئه	تباطئوه
٢١٨	١٢	تأجيل	تأجيل
٢٢١	٢١	اجنبي	اجنبياً
٢٢٢	٤	يوقّع	يوقِع
٢٢٦	٩	يوقّع	يوقِع
٢٣٨	٩	رأت	رأت
٢٣٩	١٢	أضطرّ	اضطُرّ
٢٤٠	١	تجرأوا	تجرأوا
٢٤٠	١١	بعض عن	بعض نواحي عن
٢٤٣	٧	يلجأني	يلجئني
٢٥٠	١٣	يظهر	نظهر
٢٥٤	١٦	بالتواطئ	بالتواطؤ
٢٥٤	٢٢	قرأت	قرأت
٢٥٧	١٩	قرأت	قرأت
٢٦١	٢٢	فتتذاكرانها	فتتذكرانها
٢٦٤	٣	ابنه	ابنها
٢٦٤	٥	فارأفنَ	فارأفنَ
٢٦٧	٥	شيء	شيءٌ
٢٧٣	١٦	تضطرون	لا تضطرون
٢٨٤	١٦	بالشرف	بالشرق
٢٨٦	٧	المهجزة	المجهزة
٢٩٥	٢٠	ان رجوع	ان قد رجع
٢٩٧	٩	على القائم مقام	من القائم مقام
٣١١	٤	الشكوى على	الشكوى من
٣١٣	١	جاهت	جهات
٣١٥	١٧	أعتدت	اعتدت
٣١٦	٩	أحذوا	أخذوا
٣١٧	١٨	فانبئتكم	فانبأتكم
٣١٩	٥	شكاويهم عليه	شكاويهم منه
٣١٩	١٩	على القائم مقام	من القائم مقام
٣٢١	٩	قرأت	قرأت
٣٢٤	١٥	اثناء	اثناء
٣٢٧	٦	وقتم	وقفتم

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٣٢٨	١٦	زعيمها	زعيميها
٣٣١	١٩	التفيء	التفيوء
٣٣٥	٦	القائم	القائم مقام
٣٣٥	٢٠	لسبب	بسبب
٣٤٣	١٨	مضادتهِ	مضاديه
٣٤٨	١٩	سمسين	شمسين
٣٤٨	١	جور	«كاور»
٣٤٧	٨	جور «كلب»	كاور (كافر)
٣٥٧	١٥	القائم مقامتين	القائم مقاميتين
٣٥٧	١٦	بادرة	بادارة
٣٥٨	١٠	وصفت	ان وصفت
٣٥٨	٢٠	على القائم مقام	من القائم مقام

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٣٥٩	١٨	لي صورة عنها	صورة عنها اليَّ
٣٦١	١٥	صاحبه	صاحبها
٣٦٦	١٨	مو	مور
٣٦٩	١٨	اكليمضوس	اكليمنضوس
٣٧٠	١٧	الاسقفي	القنصلي
٣٧١	١	هذا ان	هذان
٣٧٣	٧	السيت	السبت
٣٧٦	١٢	المدية	المؤدية
٣٨٣	٩	الملتجأة	الملتجئة
٣٨٩	١١	بطريرك الروم	الروم
٣٩١	٢	٣٤٠	٢٤٠
٣٩٢-٤١٢		٣٤١-٣٤٧	٢٤١-٢٤٧

المقدمة

الحمد لله موصل حبال الاخاء بعد البتات ومعيد شمل الإلفة بعد الشتات . لمعقب أسباب التقاطع ثِقَـة . الجاعل دواعي التباغض مِقَة . الآمر بالتجاوز عن المسيء وان جار وجاوز السبعين اساءةً في النهار . والله غفور لعباده . وعبـاده المتقون مقتفون سنن مراده .

وبعدُ فهذا الجزء الثاني من المحررات السياسية عن فتنة سنة ١٨٦٠ التي ماج الناس في تيّار أمواجها حتى تغطت أرض لبنان وسوريّة بالدم المراق . وحريٌّ بكل ناطق بالضاد من أبناء هذه البـلاد ان يحيط بها علماً وان كان في حديث موبقاتها شجون تنبو عنها الاسماع وتنكرها الطباع لِما هنالك من المهالك . دماء مسفوحة واشلاء منتثرة ورؤوس مقطعة وأضلاع مكسرة وأحشاء ممزّقة وأفئدة مصدَّعة وعظام مهشمة مطّرحة في كل مكان وبيوت مدمّرة وارض قفر مما كاد يلين لهُ الجماد وينفر منه الوحش الضاري في أفظع مظهر من مظاهر بربرية الانسان وفي تضاعيف هاتيك المستفظعات اعراض منتهكة على موارد الهلكة إلى غير ذلك من ضروب الشدَّة والضيق وألوان البؤس والضيم والجوع والعرى والبرد التي عمت من سلم من الرجال كهولاً وشيوخاً والنساء حوامل ووالدات والاطفال صبياناً وبنات تتفطر لهُ المرائر وتتصدَّع لهُ الأفئدة .

بيدَ ان ما نرجّيه من حصول فائدة العبرة لمطالعيها استنكارًا لهذه الخطوب الفوادح التي انثالت على بلادنا فاجتاحت النسل والضرع والحرث بالسيف والنـار فارتاع العالم المتمدّن لهولها واستاء ذوو السلطان الاكبر في تركيا وأوربا من فظائعها

وقبحوها وذمّوا مجترحيها ذمًّا لبسنا خزيهُ وشملنا عارهُ كل ذلك يشفع بحسن قصدنا ونيتنا في اذاعتها ـ والاعمال بالنيّات ـ وما نحن إلاّ مثل الواعظ الشفيق على سامعيهِ الرفيق بهم ينهاهم عن الذنوب والآثام بانذارهم هول يوم الحساب وتخويفهم شدّة العقاب ومرّ العذاب بنارٍ خالد سعيرها لا يخمد أبد الابدين أو كالطبيب الاسي الحكيم يحذرهم شرّ الداء المغتال ومغبّة الوبال ازادة صرفهم عن الدنوّ من مهاويهِ والارتطام في مغاويهِ تحوطًا واحترازًا.

فهذه مذابح أطنه الصادعة تُضارع مجازر لبنان وسوريّة بفظائعها وقد اكبرتها وأنكرتها الجرائد الخطيرة من أوربية وعربية وتركية وما تمالك كبار علماء المسلمين ان نددوا بالفاعلين المعتدين ناعين على جرائمهم تسوئةً لها قصد اطفاء ثائرة الشحناء ومحو حزازات الثأر والاحقاد من الصدور تفاديًا من تفرق الكلمة وتصدع بنيان الجامعة وحضًّا على لزوم الالفة واقلاعًا عن معاودة أمثال هذه المعاصي والشرور.

هذا ولمّا كان من القواعد المرعية عند الدول ان يباح بعد مرور خمسين سنة نشر المحررات المتعلقة باسرارٍ سياسية لانتفاء كل محذور فتصبح ملك المؤرخين وكانت انباء كوائن هذه الفتنة الصمّاء التي ثقلت على النفوس وطأتها ليست بذات بال من تلك الاسرار الدولية وقد أُذيعت في اوقاتها باللغات الاجنبية وانّما بقيت مجهولة عندنا رأينا من ثمّ ان ننشرها كاخبار تاريخية مجرّدة عن كل مغزى سياسي دونه محذور كما قدّمنا آنفًا وهي على قسمين

احدهما يتناول وصف المجازر الهائلة التي صبغت ارض لبنان وسوريًا بالدم البشري وما برحت اهوالها في محفوظ الاذهان لقرب عهدها يرويها الآباء للابناء فتقشعرّ ابدانهم.

والآخر وهو أقلّ انتشارًا على ان معرفته أشدّ لزومًا يشتمل على تراسل الدول وتفاصلها وسفرائها في هذه الشؤون المجرية ماء الشؤون ومفاوضات اللجنة الدولية

في بيروت في ماجريات هاتيك الخطوب الجسام الصادعة. فهي أي هذه المراسلات الدليل الهادي إلى معرفة اسباب الفتنة بل الاساس الذي بنت عليه الدول صرح امتيازات لبنان ومفاوضاتها في شؤون سورية .

ولهذا قادتنا الرغبة فيها إلى نشرها وهي ان تسمى « بسجلّ استشهاد » أحرى منها بمحررات . ولقد اقتصرنا في هذا الجزء على تعريب مجموع الاساطير الانكليزية المعروفة « بالكتاب الازرق » وأضفنا اليهِ بعض منثورات من الاساطير الفرنسوية نقلناها عن مجموع « دي تستا » وغيره من الكتب المتفرقة وسنتابع تعريب ما بقي منها عن الكتاب الازرق ونلحق بها ما نأخذه من الكتاب الاصفر الفرنسوي ممّا يخالف الرسائل الانكليزية أو لم يرد فيها .

وسيرى القارىء في هذا السفر بعد وقوفه على مقدمات الفتنة الاخيرة في الجزء السابق كيف أُستدرجت طوائف هذه البلاد الى التفاني وهم ابناء جيلٍ واحد استدلالاً بجامع المشابه بينهم سحنةً ولغةً وجنساً واجتماعاً

إذا اُحتربت يوماً ففاضت دماؤُها تذكرتِ القربى ففاضت دموعها

ثم يتلو روايات قناصل الانكليز ومرسليهم في وصف ويلات النازلة الصاّخة وصفاً يذيب لفائف القلوب إلى ذكر مساعي الاولين لدى الحكومة المحلية اتقاء لواحق المحذور ونوازل المكروه وتثاقلها ارسالاً لحبال الامور على غواربها وافراغاً للشؤون في غير قوالبها . ثم يعجب بنهضة فرنسا أُم الانسانية الرؤوم لمفاوضة سائر الدول واقتراحها سوق حملة اوربية إلى سوريا وأجابتهنّ ايّاها إلى سؤلها واتفاقهنّ بداءة ذي بدء ان تكون فرنسويّة ثم عدول انكلترة عن رأيها وتذبذبها في الامر نزوعاً الى المزاحمة السياسية وما زالت كذلك حتى اعطتها فرنسا الضمانة تنزيهاً لحسن مقاصدها عمّا يريب ونفياً لمظانّ الشك في شوائب الاستقلال بالاعمال

وأخذت على نفسها انفاذ البعث على نفقتها الخاصة حقنًا لدماء عباد الله المتدفقة مجاريها ايامئذٍ وسبقت المحسنين قاطبةً إلى اغاثة المنكوبين واعانة المرزوئين بان جادت عليهم بالاموال احسانًا إلى الانسانية وبرًّا بها . ثم يأتي ذكر تأليف لجنة دولية للاشراف على تحقيق اسباب الفتنة وجرائمها ومعاقبة الغامسين ايديهم في جناياتها وتعيين مبلغ التعويضات اغاثةً للملهوفين وكشفًا لكروبهم وتعديلًا لنظام لبنان . إلى ذكر غشيان الجنود الفرنسوية ثغر بيروت ومسارعة فؤاد باشا باعدام الجناة في دمشق الشام وقدوم اللجنة الدولية ومباشرتها عقد الجلسات المتوالية بحثًا في القسم الاوّل من مهمتها . كل ذلك مسرود بجلاء من اوائل كانون الثاني سنة ١٨٦٠ إلى اواخر تشرين الاوّل من السنة ذاتها .

فاذا ما أُرسل رائد الطرف في سطور المحررات المبسوطة في الجزء الاوّل ثم أُجيل في رسائل قناصل انكلترة ومرسليها وروايات المرسلين الانكليزيين والاميركيين وشهادة اللورد دوفرين المندوب الانكليزي الخاص المثبتة في هذا الجزء يُرى جليًّا انها مجمعة على اتهام فريق من رجال الدولة الخابطين اوائئذٍ طريقًا من السياسة « فرِّق تسد » ـ على ما جاء في خطاب الموسيو غيزو وزير خارجية فرنسا في مجلس الاعيان (١٥ تموز سنة ١٨٤٥ ص ٢٠١ ج ١ من هذه المحررات) وأيّدته خطب رجال هيئة الحكم الحالي في تركيا وتآليفهم ـ انه عمل على تدابر النفوس بين طوائف هذه البلاد بقصد هدم امتيازات لبنان المتناهية بالحصانة واقامة الحكم التركي مباشرة على انقاضه واثبات قدمه في ولاية سورية بحيث لا يهجس في ضمير أبنائها النزوع إلى الاستقلال ولا العودة إلى تحت رواق الحكومة المصرية . بيدَ ان تعهد الحكومة التركية في سنة ١٨٤٠ بحفظ امتيازات لبنان واستقلاله النوعي بدل مساعدة أبناء هذا الجبل المقدس تركيا والدول المتحدة على تقليص ظل الحكومة المصرية عن سورية وضمان الدول رعاية هذه العهود حالا دون ادراك ضالتهم

المنشودة ولمّا كان يعوزهم المال والرجال لانفاذ سياستهم في سوريا قوّةً واقتدارًا عمدوا الى الحيلة فحثّوا الولاة وحضّوهم على قطع عرى الوئام بين الطوائف فانكمشوا في الخطو الواسع مشمرين عن ساق السعي وكان من نكد جدنا ان أعمى الله قلبنا وغطّى على بصرنا فجاريناهم إلى غايتهم كافراس رهان . إذ ان بزور البغضاء التي نُثرت مبثوثة سنة ١٨٤٠ في اودية القلوب اللبنانية قد سقاها الولاة فما لبثت ان نبتت وأورقت وأثمرت شرًّا كثيرًا .

ذلك ان ولاة صيدا اتخذوا حقد الاسرة الجنبلاطية على الامير بشير الكبير لسعيهِ في الشيخ بشير جنبلاط إلى أحمد الجزّار فأرداه شنقًا وحبس أمواله ونفى ولديهِ سعيد بك ونعمان بك إلى مصر وسيلة لاذكاء جمر البغضاء فأثاروا الدروز سنة ١٨٤٢ على الامير بشير قاسم خلف الامير بشير عمر الكبير فعزلهُ وأدال منه عمر باشا (وهو مسيحي نمسوي الاصل تدين بالاسلام) عاملًا على الجبل فانكرت عليه الدول الاول الضامنة سلامة امتيازاتنا وما زالت بالدولة حتى عزلته وبهِ بدئت وانتهت ولاية الاتراك مباشرةً على لبنان . على ان توالي النكبات المنقضّة على امارة لبنان بسبب الاحقاد قد سلبتها منعتها فلم تستعد بهاء وحدتها وانّما قسمت إلى قائم مقاميتين مسيحية ودرزيّة واستمرّ ولاة صيدا يستمرأون ولاية هذا الجبل المحبوب فحضوا نصارى القائم مقامية الدرزيّة على طلب التملص من ربقة سلطة الدروز واستبدالها بولاية الاتراك مباشرة عليهم وأوعزوا إلي الدروز بالاعتداء على المسيحيين واعديهم بمساعدة الجنود وظلوا يعملون غير وكلين على احضاء نار البغضاء حتى استعرت سنة ١٨٤٥ وكان ان نهض قناصل الدول متواثقين وطلبوا إلى بحري باشا اطفاءها فاضطرّ الى اجابة سؤلهم واستقدم أصحاب الاقطاع من الموارنة والدروز لاصلاح ذات بينهم فعقد الصلح في ٢ حزيران سنة ١٨٤٥ لكن الجرح رُمّ على فساد فانتقض وأنفذت الدولة شكيب افندي ناظر الخارجية إلى سورية فوضع

ترتيبات خاصة للجبل واستمرّ الولاة على نهجهم .

ولمّا كان الخوف من ان اجتماع كلمة أصحاب الاقطاع كان يحول دون انجاح المكيدة صرفت المساعي لا يعتورها فتور إلى وضع الفرقة بين أبناء الامة المسيحية فأخلف الامير بشير أحمد أبي اللمع وانسباؤه وانقسم أصحاب الاقطاعات المسيحية وسكّان القائم مقامية إلى حزبين وكان الخازنيون في الجهة الثائرة عليه فاستحكمت النفرة من القلوب .

واكب أرباب الامر على كره الاهالي من طريقة الحكم التي منحتها الدول لبنان سنة ١٨٤٥ وأثير ثائر أهالي كسروان معقل النصرانية على مشايخهم الخازنيين فانفجر بركان الفتنة سنة ١٨٥٨ واستولوا على مقتنياتهم وطردوهم من بيوتهم وأساءوا ايضاً إلى مشايخ اسرتي دحداح وحبيش فوقعت الفرقة واختلفت الكلمة وعندها دُفع الدروز على المسيحيين بعد ان انتزعوهم سلاحهم وغمس الجند والضبّاط أيديهم في المجازر والنهب والسلب .

هذا وخلا ما أظهرته هذه المحررات من محجوبات أسرار هذه المجازر ومخبأاتها وكيفية وقوعنا في اشراك الخداع وأوهاقه على ما تقدّم ذكره فنحن نعلم من روايات رجال ثقات ان سعيد بك جنبلاط كان قد استشفّ بواطن المكيدة التي دبّرها خورشيد باشا وادرك كنه غوائلها فبدا له ان يستدرك الشر قبل وقوعه فاستقدم اليهِ الشيخ فارس خطّار الخازن وعهد اليهِ بشؤون المسيحيين في اقطاعته . ثم انهُ لمّا قامت قيامة الشكوى من الامير بشير أحمد وكان بعض المشايخ الخازنيين في عداد النافخين في بوقها انفذ اليهم سرًّا يوسف الخوري البكاسيني يحذرهم النشوب في فخاخها وحبائلها وينصحهم بتحاميها مع أنهُ لم يكن يودّ الامير لاستيائه قنصل انكلترة منه وقد خوّفهم مغبّة الفتنة وعقباها الضاربة الى مرمى حرمانهم ولاية الاقطاع . بيدَ ان الاهواء قد تغلبت على حسن البصيرة وكان ما كان من تفرّق الكلمة والتزّع

إلى الشر والضر والبلاء المحيط بجوافله المنيخ بكلاكله .

أمّا عمّال الولايات المجاورة لبنان لذلك العهد فانهم حرّكوا كوامن حسد المسلمين على المسيحيين لما أتاهم الله من نعمة الثراء وتهافتهم على طلب المناصب والمساواة بالملبس وركوب الخيل تمتعاً بالامتيازات التي مُنحوها في خط كلخانه عملاً بتعهد الدولة العثمانية في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ فاتهموهم بالخيانة وتسليم البلاد للاجانب ونفخوا في جذوة هذه النار فذكت وحدثت مجازر حاصبياً وراشياً وبعلبك والبقاع ودمشق وكان مدير دفّة هذه السياسة الخرقاء إذ ذاك أحمد باشا واليها ومشير فيلق البلاد العربية واليك ما قاله الموسيو برانت قنصل انكلترة في دمشق :

« في سورياً آفتان وهما المسيحيون والدروز فكلما ذبح احدهما الآخر استفاد الباب العالي (مجموع المحررات الانكليزيّة صفحة ١٣٢ رقم ١٣٨)

ومن الغريب ان يفوت من رزق حظاً ولو قليلاً من العقل ان المناوأة بين ابناء البلاد وبين مجاوريهم تصير بها إلى التلاشي والدمار وما انتفاع الحكومات من الارض القفر ؟

وكان ان عابت هيئة الحكم الجديد في تركيا سياسة التفريق التي سلبت الحكومة منعتها وسطوتها فانكمشت مستثيبة ما فقدته من الثقة بها .

هذا ولا بدّ لنا ان نعيد ابلاء الطوائف اللبنانية والسوريّة جمعاء معاذيرنا عن تعريب كلمات التسونة والمطاعن والمثالب والمنابذات الواردة في سياق اساطير هذه المحررات ايذاء بعضنا بعضاً تشفياً وانتقاماً ادراكاً للثأر المُنيم وانّما ذلك منّا اضطراراً رعايةً للشرط على الناقل ونزولاً على حكم المُعرّب الكلام طبق الاصل . ولنا شافع بصحة العزيمة وخلوص القصد عدم تحامينا نقل الملمّ بجانب طائفتنا المارونية وذوي قربانا الخازنيين والاسرة الجنبلاطية التي يربطنا بها صلة ودّ قديم وعهد مقيم . وكفى بما قدّمناه شاهداً صادقاً ودليلاً ناطقاً بخالص القصد يتلقّاه قلب سليم .

وفي الختام نرجو ان يكون لنا مما تضمن هذا الكتاب من الاساطير والتقارير تبصرة وذكرى لأولي الالباب متعظين بما كان من تورطات آبائنا السالفين

١ -- صورة القنصل العام الى السير هنري بولفر عن بيروت في ١٤ ك ٢ سنة ١٨٦٠

اتشرّف فانبئكم بان قد استدعي عارف افندي دفتر دار هذه الايالة واحمد عطا بك المعتمد الخاص وصبري افندي مدير الشؤون السياسية فالاخيران . هما على أهبة السفر احدهما عطا بك الى رودس حيث عُين والياً على جزائر الارخبيل والآخر صبري افندي الى الاستانة وقد زاراني مودعين فرددت لهما الزيارة

وقد أُلغيت وظيفتا الدفتر دارية ومديرية الشؤون السياسية ويقال ان الغرض من الغائهما الاقتصاد . وقد جاءني من عارف افندي بانه ينوي زيارتي مودعاً

(مجموعة المحررات الانكليزية سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٦٠ عدد ١١٤ ص ٩٣ و ٩٤)

٢ -- ومنه اليه في ١٨ منه

أتشرّف فاخبركم بانه عندما اتصل بي ان المشير كتب أمرًا « بيورلدياً » مؤذناً باعادة الامير بشير احمد الى تولي منصب القائم مقامية المسيحية في لبنان أوعزت الى ترجماني ان يغتنم الفرصة المناسبة لسؤال دولة خورشيد باشا عن صحة هذا الخبر فاثبته له

(عدد ١١٤ ص ٩٤)

٣ -- ومنه اليه في ٣٠ ايار سنة ١٨٦٠ [١٧ رمضان سنة ١٢٧٦]

اتشرّف فانبئكم بانه منذ ارجاع الامير بشير احمد قائم مقام النصارى الى منصبه تفاقمت حالة الفوضى في الجبل فان الشعب يحتقره ويطرد رجاله كلما حاولوا تنفيذ اوامره

لم يحدث أقل تغيير في حالة المشايخ الخازنيين المطرودين من بلادهم ولا أمل بان يبر خورشيد باشا بوعده فيعيدهم الي بيوتهم إذ صرح دولته بان السرعسكر أبى ان يسمح لقوة عسكرية بغشيان كسروان لهذه الغاية (عدد ١١٥ ص ٩٤)

٤– وصل اليه في ٢ نيسان سنة ١٨٦٠ [١٩ رمضان سنة ١٢٧٦]

يسوءني ان أراني مضطراً لاخبركم بان قد كثرت حوادث القتل والاعتداء وقطع السابلة في انحاء صيدا وضواحي المدينة بصورة تقلق البال

فلقد اخبرني الموسيو أبلا نائب قنصل انكلترة في المدينة المذكورة بوقوع تسع حوادث قتل منذ بدء سنة ١٨٥٩ حتى اخر ادار المنصرم . ولنكد الطالع لم تتخذ الحكومة التركية أقل وسيلة فعالة لقمع هذه المشاغب والقاء القبض على الجناة ومعاقبتهم بما يستحقون . ويقول الموسيو أبلا ان ارباب السلطة في صيدا قد اعتادوا وقوع هذه الفظائع فامسوا لا يعلقون عليها أهمية

قد الفتُ غير مرة بطريقة ودّية نظر خورشيد باشا الى هذه الحالة فلم يكن لكلامي صدىً فيه وقد شكا اليَّ هو ذاته من صمم حكومة الاستانة وعدم اهتمامها بمراسلاته بهذا الخصوص . وقد قال دولته انه كلما أخبر الاستانة بحدوث جناية طالبًا اليها ايلاءه السلطة الكافية لمعاقبة الجاني تقضي سنة أو سنتان قبل ورود الجواب عليه بحيث تتناسى الجناية وتضيع عبرة الارهاب من العقاب فيجرأ الجناة على ارتكاب جنايات جديدة في هذه الفترة (عدد ١١٦ ص٩٥)

٥– وصل اليه بالتاريخ ذاته

ورد قبلا في شهر كانون الثاني خبر بأن الباب العالي عزم على الغاء وظيفتي الدفترداريّة ومديريّة الشؤون السياسية في بيروت . فسافر المأموران اللذان كانا يشغلان هذا المنصب فور استدعائهما مع عطا بك المعتمد الخاص لشؤون لبنان .

والمظنون بان الحكومة أرادت باستدعائهم الاقتصاد . بيدَ ان صبري افندي مدير الشؤون السياسية قد نجح في الاستانة فاستحصل أمرًا برجوعهِ إلى منصبهِ الاول براتب ثمانية الاف قرش بدلاً من عشرة الاف وينتظر قدومه قريباً

ان الامير بشير أحمد القائم مقام المسيحي أعيد إلى منصبهِ في لبنان فساء ذلك كثيرًا شعب هذا القضاء . ولقد تحقق ما توقعتهُ فاستفحل الاضطراب والفوضى الضاربان اطنابهما في الجبل منذ مدة طويلة

ان حالة المشايخ الخازنيين المطرودين من بلادهم لم تتبدّل فهم متشتتون وفي عسر عظيم ولا يُرى امكان تسوية مسائلهم قريباً

ان اهالي علما القريبة من صيدا وقد اعتنقوا المذهب البروتستاني أسيئت معاملتهم مجددًا ويسوءني ان اقول ان خورشيد باشا لم يصغَ إلى شكواهم

لقد ورد على دولة المشير الموما اليه أمر باعادة اسقف صور الكاثوليكي إلى كرسيهِ بالقوّة وقد كان طرده ابناء طائفته في تلك المدينة لاتباعه الحساب الغريغوري. أمّا دولته فلم ينفذ حتى الآن الامر وان كان اتخذ الوسائل لهذه الغاية

لقد كثر القتل والنهب في جوار صيدا إذ قتل اشقياء الدروز والمتاولة بمدى الـ ١٥ شهرًا الاخيرة تسعة اشخاص من المسيحيين واليهود . وهذا ناتج عن ضعف الحكومة المحلية في مطاردة الجانين ومعاقبتهم مع ان محلّات مخابهم معروفة . فأمسى المسافرون غير أمينين على حياتهم بدون ان يكونوا مصحوبين بقوّة مسلحة

ان الحركة التجارية في خلال الاشهر الثلاثة المنقضية كانت بطيئة جدًا انما محصول الاراضي يبشر بالخصب والنماء (عدد ١١٧ ص ٩٥-٩٦)

٦- الفصل برانت الى السير هـ. بولفر . عن دمشق في ٨ نيسان سنة ١٨٦٠

ان الامير سلمان الحرفوش باقٍ في السجن وقد سُئلت الحكومة اطلاق

سراحه واعادته الى وظيفته في بعلبك لقاء ضمانة مالية قدرها يتراوح على ما يقال بين خمسة الاف وستة الاف كيس وهو مبلغ يساوي عشرين الى اربعة وعشرين الف ليرة انكليزية ويتعهد بهذا المبلغ اشخاص ذوو اقتدار تعرفهم الحكومة. ان الامير يعجز عن تقديم مثل هذه الضمانة. ومن المتفق عليه ان هـذا المبلغ هو لقاء الحصول على مرغوبه. اما انا فاني اعتبر ان هذه التسوية تشف عن قصر نظر فان الامير يستطيع دفع هذا المبلغ لو كان لديه مال مخبوء لكن املاكه كلها محجوزة وليس في وسعه دفع هذه الضمانة الا بابتزازها من فلاحي بعلبك المسلّمين لحكمه ممّا يلحق ضررًا بالحكومة

وخلا ما تقدم فيخشى انه اذا أطلق سبيل الامير ضمّ اليه اعضاء عائلته الكثيرين وابناء طائفته المتاولة وعاد الى اثارة الفتن التي اعتادتها هذه الاسرة فتسقط هيبة الحكومة وتخرب المحال الممتدة عليها سلطتهم (عدد ١١٨ ص ٩٦)

٧– سكان القنصل العام الى المذكور. عن حلب في ٢٨ نيسان [٧ شوال سنة ١٢٧٦]

اتشرّف بانباء سعادتكم ان جميع سكان حلب تولاهم القلق في ليل ٢٤ الجاري من جرّاء الاعلانات الملصقة على ابواب الجوامع تحريضًا للمسلمين على ذبح المسيحيين وقد طافت الجنود شوارع المدينة الليل بطوله شاكة سلاحها. أمـا المسيحيون فقد خبأوا اموالهم في اقبية دورهم وبعضهم نقلها الى بيوت المسلمين الواثقين بهم فامست الشوارع قفرة والمخازن مقفلة

ومن جملة ما جاء في النشرات الملصقة ان في المرة الماضية كان دَور المسلمين وكان النصارى يرومون ذبحهم. ويقدَّر ان كاتبي النشرة قد اشاروا الى ما شاع عن ثورة مسيحيي تركية اوربا

ولم يعرف كاتبو النشرات المذكورة ولكني ارجح انها ناشئة عن استياء جميع

طبقات الشعب من الوالي لسبب غير واضح. ومن الممكن ان الذين يرغبون بفصله عن منصبه عاجلاً قد استعملوا هذه الوسيلة على امل ان الحكومة تبدله بعمر باشا قائد الموقع العسكري المشهور بحزمه وكفائته على ضمان راحة المدينة مما اكسبه حب الاهالي على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم (عدد ١١٩ ص ٩٦-٩٧)

٨- وصلة البه في ١ ايار سنة ١٨٦٠

اتشرّف فانبئكم بان بعض المسلمين في انطاكية قد قاموا بمظاهرة دينية منكرة بدخولهم غير مرةٍ كنائس المسيحيين في خلال اقامة الذبيحة الالهية وترتيلهم باعلى اصواتهم صلواتهم مديرين ظهورهم الى المذبح. وفي كل مرة كانت الطوائف المسيحية تتحمل هذه الاهانات متابعةً صلواتها وقد انفذ الوالي حالاً اوامر شديدة لتدارك تجديد مثل هذه الحوادث

واني لاعجز عن ايضاح سبب عدم احداث هذه الاعتداءات المتعددة نزاعاً بين طبقات الشعب المختلفة. ان مسألة اليهود الذين هدموا قسماً من الجامع وقد سبق لي ذكرها توضح سبب كره المسلمين لعقيدتهم وللقناصل الاجانب الذين يدينون بها. بيدَ ان النشرات الثوروية المذكورة آنفاً والحوادث التي حصلت في الكنائس هي على ما يظهر مستقلة عن هذه المسئلة كل الاستقلال

وقد قُبض على عدة أشخاص وأجري تحقيق ربّما آل إلى كشف جانب من الستار المسدول على هذه المسئلة حتى اذا ظهر شيء ساتشرف باخبار سعادتكم بهِ (عدد ١٢١ ص ٩٨)

٩- صورة القنصل العام الى السر هـ. بولفر بتاريخ ٩ ايار سنة ١٨٦٠

لقد اخبرت سعادتكم في الرسائل السابقة التي تشرفت بانفاذها اليكم بان فريقاً من اهالي كسروان الثائرين طرد المشايخ الخازنيين من بلادهم وقد سلمني

هؤلاء المشايخ وسائر القناصل العامين عريضة جديدة طلبوا فيها الينا توسطنا لدى الحكومة التركية لتتخذ الوسائل الضامنة استدراك اغتصاب الاهالي محاصيل اراضيهم هذه السنة وقد اوشكت ان تجنى وهي مورد عيشهم الوحيد . فارتضيت بان اشفع بهم وخاطبت خورشيد باشا بطريقة ودّية بشأنهم وما كنت لازعج سعادتكم بهذه الرسالة لو لم يطلب إليّ الباشا ذاته ان اوقفكم على فحوى ارائهِ المبسوطة في الرسالة المتقدمة في طيهِ .

بيدَ اني أرى من الواجب ان اكشف لسعادتكم عن مكنون رأيي وهو انه لو كان خورشيد باشا يرغب حقيقةً في اعادة الراحة إلى القضاء المضطرب فان لديه من الوسائل ما يبغله هذا الغرض دون معاونة قوة عسكريّة إذ يتعذر الافتراض بان شرزمة من الفلّاحين ولا عضد لها تخاطر بمعاكسة سلطة الباب العالي

(عدد ١٢٠ ص ٩٧)

١٠ – حبيب مشاقه الى مور القنصل العام . عن بيروت في ٧ منه

انني عملًا بإشارتكم زرت خورشيد باشا لابلغه وصيتكم الودية بحق المشايخ الخازنيين حصولا على حماية مواسمهم وحاصلاتهم فاجابني دولته مبديا اسفه على سوء حالة المشايخ الخازنيين وقال انه كثيرًا ما سعى الى اقناع حكومته والسرعسكر في دمشق بان يضعا قوة عسكرية قيد اوامره لقمع فتنة اهالي كسروان اذا اقتضت الحالة وانه لا يستطيع ان يفرز قوة لهذه الغاية لان حكومته سحبت كل جنودها من ايالة الشام الى الاستانة وان السرعسكر سأله ان يرسل الى دمشق تابورًا من جنود حامية بيروت القليلة العدد فرفض دولته اجابة سؤله . واردف انه بالنظر لهذه الظروف يتعذر عليه ان يوطد الراحة في هذه الايالة اذ لم يسبق له ان تولّى ادارة الشؤون دون ان يكون لديه قوة عسكرية كافية ولذا اضحى موقفه مذلا

لحكومته وله . وصرح بانه مستاء من حالته الحاضرة وانه رفع كتاباً الى الباب العالي شرح فيه باسهاب حالة هذه الايالة وسألهُ اقالته من منصبه اذ انه يهون عليه ان يترك هذه البلاد على حالتها الحاضرة من ان يغادرها في حالة اسوأ منها . وختم دولته كلامه بابداء رغبته اليَّ بان ابلغكم رسمياً ما تقدم مع الرجا بان تكرموا برفعه الى سفير جلالة الملكة لدى الباب العالي (ملحق عدد ١٢٠ ص ٩٨)

١١ – صورة القنصل العام الى السر هـ . بولفر بتاريخ ١٨ منه [٢٧ شوال سنة ١٢٧٦]

يولمني ان اخبركم بازدياد الاضطراب وتعكر كأس الامن في القضاء الدرزي من اعمال جبل لبنان بمدى الخمسة عشر يوماً التي خلت فلا يخلو يوم من حوادث القتل والثأر بين المسيحيين والدروز وآخرها حادثة وقعت منذ يومين فقد هاجم الدروز بعض المسيحيين بينا هم سائرون من دير القمر الى جزّين وقد تحقق انهم قتلوا اربعة منهم بما فيهم كاهن ماروني وفي بعض الروايات ان عدد القتلى تسعة ومن المرجح على ما يلوح من الدلائل الكثيرة ان هذا الاعتداء سيثير انتقام المسيحيين اذا لم يجر الى اشتباك الطائفتين في قتال عام . ان الدروز يتغنون باهازيجهم الحربية وقد قال المطران طوبيا لوفدٍ من دير القمر ان المذنبين من المسيحيين لا يسلمون الى الحكومة لان المعتدين من الدروز لم يحاكموا حتى اذا ما حدث هجوم عام على المسيحيين فهو يتولى بذاته قيادتهم

ان الامير بشير أحمد القائم مقام المسيحي يقيم في بيروت مع ان قضاءه في حالة اضطراب وقلق يعجز عن قمعها

اني مواصل السعي دون فتور لتوطيد دعائم السلم ومن اعظم دواعي الامل بامكان منع نشوب الحرب الاهلية هو اتفاق مصلحة الفريقين في تأجيلها الى ما بعد موسم الحرير والحصاد وهما على الابواب . وبهذه الفترة يتسنى للباب العالي ان يتخذ

التحوطات الكافلة تقرير الامن

ان خورشيد باشا ارسل اليوم فصيلة صغيرة من الجنود الغير النظامية الى قضاء الدروز لحفظ الراحة

ملحق في ١٩ ايار – اتصل بي الان ان خورشيد باشا سيرسل اليوم سرية من الجند النظامي قوامها اربعماية جنديٍ لتعزيز حامية ديرالقمر التركية نظراً لاضطراب حبل الامن في قضاء الدروز

(مجموعة الرسائل الانكليزية عن اضطرابات سورية في حزيران سنة ١٨٦٠)

(الكتاب الثاني عدد ١ ملحق ٢ ص ١ - ٢ دي تستا ج ٦ عدد ٢٢ ص ٦٨ – ٦٩)

١٢ – وصفه اليه بتاريخ ٢٣ ايار سنة ١٨٦٠

اني عطفاً على رسالتي المنفذة في ١٨ الجاري اتشرّف فاخبركم ان خورشيد باشا ارسل أمس « كاخيته » وصفي افندي ليبلغني شكره لاشتراكي بطريقة ولائية في تسكين الهياج السائد في الجبل وتوطيد دعائم الراحة. فقال لي « الكاخية » ان دولته ينسب الاضطرابات الحالية الى دسائس لجنة مسيحية مقيمة في بيروت قوامها بعض رعايا الحكومة والقسم الاخر بعض حمايا الدول الاجنبية

ثم المع « الكاخية » الى العريضة التي تلقاها الباشا أمس من مسيحيي النواحي المختلطة واني مرسل لكم في طيه نسخة منهـا مع ترجمتها وقد وزع منها على قناصل الدول الخمس فمن مطالعتها ترون سعادتكم انها تتضمن الشكوى من ان الحكومة التركية هي السبب في القلاقل الحاضرة. وينسب « الكاخية » هذه العريضة الى المطران طوبيا اسقف بيروت الماروني لا الى اهالي القرى المختلطة

ان حوادث الاعتداء الافرادية لم تنقطع انما هي أقل من ذي قبل. وسيعقد هنا اجتماع يضم زعماء المسيحيين والدروز بمعرفة الباشا واجازته بغية اصلاح ذات

البين بينهم فلعله يأتي بثمار حسنة (عدد ١ ملحق ٣ ص ٢)

١٣ – عريضة المسيحيين القاطنين الانحاء المختلطة الطوائف في جبل لبنان الى خورشيد باشا بتاريخ ٢ ايار سنة ١٨٦٠ [٢٩ شوال سنة ١٢٧٦]

ان عبيد دولتكم المسيحيين القاطنين بين الدروز يستلفتون نظركم الى الاهانات والاعتداءات التي كانوا عرضة لها في المدات الاخيرة وفي الوقت الحاضر من قبل الدروز اصحاب اقطاعاتهم وهي أشهر من ان توضح بحيث سُلبنا راحتنا وأمن عيالنا وخربت املاكنا . ومن المشهور لدى الجميع ما أتوه من ضروب الاعتداء بقتلهم ابناء مذهبنا سرًّا وعلانيةً . ومن الجلي ان غايتهم ابادتنا عن آخرنا . ولا بدَّ ان يكون بلغ مسامع دولتكم ما اقترفوه في خان محمد علي بك شكيب من قتل اربعة اشخاص من قرية قيتوله مع كاهن بتدين اللقش عن تعمد وسبق اصرار وراهب واربعة نفر قرب الكحلونية في الشوف وكاهن قرية معاصر الفخار في بيته وذبح رئيس دير عميق (وكان ان عرضت ظروف هذا القتل الفظيع بوقته لدولتكم)

وقد اجتمع الان الدروز من كل جهة في المختاره مقر سعيد بك جنبلاط وقطعوا الطرق المؤدية اليها فامتنع علينا الذهاب الى بيروت لرفع شكاوينا من هذه الاعمال البربرية واضطر كثيرون من ابناء مذهبنا المتوطنين القرى المختلطة ان يهربوا من الاضطهاد ويلتجئوا إلى القرى المأهولة بالمسيحيين

أمَّا المسيحيون الذين تضرروا اكثر من سواهم من اعتداء الدروز فهم سكَّان بلاد العرقوب وغربي البقاع فلقد فرُّوا بعيالهم اتقاء الاشتباك في القتال تاركين بيوتهم ومحاصيل املاكهم ولاذوا بمدينة زحلة فاتبع الدروز أثرهم واوقعوا بهم وجرحوهم وانتزعوا سلاحهم ونهبوا أموالهم .

ان أصحاب الاقطاعات الدرزيَّة لم يُعاقبوا قط فيما مضى على مساوئهم ولم

تعنفهم الحكومة على ما ارتكبوه من الجنايات والمظالم بحقنا نحن عبيد الحكومة ولاسيما على الفظائع التي تجرأ عليها عاماً أوّل الشيخ يوسف عبدالملك فلقد حرق البيوت ونهبها وخربها وقتل المسيحيين الابرياء ولم تستدعه دولتكم لمقاضاتهِ . وعدا ما تقدم فان هؤلاء المأمورين قد اعتدوا على حقوق الباب العالي باحجامهم عن دفع الاموال الاميريّة التي استوفوها منّا وبابتزازهم الاموال الغير المشروعة ممّا هو ثابت لدى دولتكم .

ان معاملتهم بالرأفة والحلم واغفال معاقبتهم ومطالبتهم بالاموال الاميريّة التي جبوها باسم الحكومة قد جرأتهم على التناهي في ظلمنا بحيث ألجئنا الآن إلى الدفاع عن ذواتنا والى بذل كل ما في طاقتنا للتخلص من المظالم والمعانت المحيقة بنا قصد ابادتنا ونحن نعتقد اننا إذا ما عمدنا إلى هذه الوسائل فجميع الشرائع الطبيعية والبشريّة تبرّر عملنا . ومع ذلك فانّا نرفع هذه العريضة الى دولتكم ملتمسين ان تنظروا بعين الاهتمام إلى حالتنا وتتذرعوا بالوسائل الكافلة انقاذنا من جور اعدائنا القاسي القلوب العازمين على محقنا وقد دعانا الى ذلك نفاد جعبة صبرنا عن اطاقة المظالم والاهانات ومواصلة الخضوع لحكمهم الجائر وقد احتملنا نيره في الماضي مكرهين . وفي الوقت ذاته نضرع إلى الله القدير المتعال ان يحفظ ذاتكم الشريفة ويوطد اركان السلطنة العثمانية (عدد ١ ملحق ٤ ص ٢-٣ ودي تستا ج ٦ عدد ٢٣ ص ٦٩-٧٠-٧١)

١٤- عريضة النجار الاوريين في بيروت الى القناصل بتاريخ ٢٠ منه

ان الكوائن الجارية الان في لبنان وهي نتيجة الفوضى السائدة فيهِ منذ مدّة طويلة تبعث إلى الخوف من ان تأول الحوادث الافراديّة المتواصلة منذ بضعة أيام إلى حرب اهلية في القريب العاجل .

فاذا ما تحقق هذا الخوف وكل الدلائل لتكد الطالع تنذر بهِ تمسي التجارة الاوربية مهددة ليس فقط في مصالحها الذاتية نظرًا لما لها من البيوتات التجاريّة المهمة في الجبل بل ايضًا وبنوع أخصّ في المعاملات التجاريّة التي يعرقلها الاضطراب العام وان بطريقة أقلّ جلاء.

ولهذا فان التجار الاوربيين الموقّعين أدناه المقيمين في بيروت وقد استولى عليهم القلق يلتجئون الى قناصلهم ولهم ملء الثقة بعنايتهم سائليهم ان يسعوا لدى الحكومة نظرًا لخطورة الحالة لاتخاذ الوسائل العاجلة لاعادة الامن إلى ربوع لبنان ووقاية المصالح الاوربية بأقوى الوسائل إذا ما اقتضت الحال

(وهي مذيّلة بأربعة وثلاثين توقيعًا من أصحاب أهمّ البيوتات التجاريّة)

(عدد ٣ ص ٤ : ودي تستا ج ٦ عدد ٢٤ ص ٧١)

١٥- صور القنصل العام الى اللورد ج . روسل بتاريخ ٢٤ منه

اتشرف بان ارسل اليكم في طيهِ نسخًا من رسائلي المنفذة في الـ ١٢ والـ ١٨ والـ ٢٣ من الجاري إلى سعادة السير هنري بولفر عن الاضطراب السائد اليوم في لبنان

ثم عطفًا على رسالتي في ١٢ الجاري اخبركم انه منذ ذلك التاريخ ورد على قائد جيش عربستان العام بطلبه اوامر تجيز لهُ ابقاء الجنود التي لم تركب البحر بعد . وازيد على منطوق رسالتيّ المؤرختين في ١٨ و٢٣ ان الانباء التي وردت اليوم من لبنان تضعف الآمال المعقودة حتى الان على صون حياض السلم صافية إذ انها تنبيء بان جماعات كبيرة من المسيحيين والدروز المسلحين هم مجتمعون في عدّة انحاء استعدادًا للقتال ومن المقول انهُ أبدى نواجذه قرب عين داره . ان كثيرين من جبلي الطائفتين المستخدمين في بيروت او المقيمين فيها وفي الساحل قد غادروا اماكنهم ذهابًا إلى مكان الحوادث . (عدد ١ ص ١)

١٦-وصله الى السير هـ. بولفر بتاريخ ٢٦ منه

اتشرف بان ارسل اليكم في طيهِ نسخة من رسالتي بشؤون لبنان المنفذة في ٢٤ الجاري إلى وزير خارجية جلالة الملكة :

لقد حدث امس في جوار بيروت قتال بين فريق من الدروز والمسيحيين فقتل درزي وجُرح اثنان توفي احدهما وجُرح مسيحيان فأسرعت الحكومة في التوسط بين الفريقين وحقنت الدماء . وقد اتصل بي هذا الصباح خبر استئناف القتال حوالى زحله اخذاً بالثأر .

ان القلق والهياج بالغان اشدهما في كل مكان . ونار البغضاء متأججة بين المسلمين والمسيحيين في هذه المدينة .

قد وصلت امس البارجة « فيريفلي » الانكليزيّة بأمرة القومندان مانسل وكان وصولها غاية في المناسبة . (عدد ٣ ملحق ٣ ص ٥)

١٧ — وصله ايضاً في ٣٠ منه

اغتنم فرصة سفر الباخرة الروسية فانبيء سعادتكم بان الحرب الاهلية اتقدت نارها الآن في جبل لبنان بين المسيحيين والدروز وقد شاهدنا أوارها في القرى المسيحية والدرزية التي ترى من بيروت . ولم يتصل بنا انباء مفصلة من مواقع القتال انما الهياج والجزع شديدان في هذه المدينة فاقفل المسيحيون حوانيتهم واعتصموا في بيوتهم وقد انبأتْ الفيس اميرال فنسهوى بحالة هذه البلاد

ان البارجة الفرنسوية « لاسنتينل » المقيدة بخفارة هذه النواحي أُمّت على ما يقال في ٢٥ الجاري ثغر بيره لتأتي باسطول فرنسوي الى هنا احتساباً للمشاغب المكشرة عن نابها في الجبل

ان الباشا ذهب الى لبنان مصحوباً بفصيلة من الجنود النظامية والغير النظامية
(عدد ٤ ملحق ١ ص ٦)

١٨ – ومنه ايضاً في ٣١ منه

انهُ عطفاً على رسالتي بتاريخ أمس يشق عليَّ ان انبئكم بان الحرب الاهلية في لبنان تزداد اضطراماً وعلى ما اتصل بعلمي أقول ان القتال بدأ بعد ظهر ٢٩ الجاري بهجوم فريق من مسيحيي المتن على قرى صليما وقرنايل وبتخنيه المختلطة السكان وطردوا منها سكانها الدروز . أمَّا الدروز فأغاروا على قرية بيت مري وحرقوا دار الامير وفي اليوم التالي اضرموا النار في عدة قرى من المتن وفي سهل بيروت .

وانتهى اليَّ ان الجنود التركية أطلقت النار أمس على المسيحيين في الحدث وبعبدا وحرقتهما مع وادي شحرور وعاريا وبعض مزارع في الساحل على اني لم اتمكن من استثبات صحة الخبر . وقد أمر خورشيد باشا باطلاق المدافع بيد انهُ غير معلوم على من اطلقت وفي أيَّة ظروف . وبعد هذا الهجوم فرَّ المسيحيون وقد تولاهم الرعب فنهبت بيوتهم وحرقت ومن الشائع ان الجنود الغير النظامية اشتركت في النهب والسلب والاعتداء على المسيحيين . وقد حرقت ايضاً دور الامراء الشهابيين

ويقال ان نفراً من الباشبوزق انقضَّ على الامير بشير قاسم أمير جبل لبنان سابقاً بينا كان خدمه يقودونه الى خارج داره في بعبدا وهو بعمر خمسة وثمانين سنة اعمى البصر فهرب الخدم تاركين الامير . وقد وجدت جثته مثخنة بضرب السيوف وعنقه مقطوعة

ان فريقاً من المسيحيين الذين لجأوا من عدة مزارع الى قرية الدامور المسيحية فور نشوب المشاغب غادروها مجيئاً الى بيروت خوفاً من ان يهاجموا فيها . وكان في اثناء سيرهم في الليلة المنقضية ان التقاهم جماعة من الدروز والشيعية والباشبوزق

فسلبوهم امتعتهم وجرحوا وقتلوا كثيرين منهم دون احترام العمر ولا النساء . ان عدد المقتولين لم يعرف بالتدقيق ويقدر بانه يتجاوز الخمسين. ان « الكاخية » المعهود اليه بادارة الشؤون في بيروت بطريق الوكالة اخبرني هذا الصباح ان كل المتن وهو أوفر انحاء لبنان ثراء واكثره سكاناً قد اكلته نار المسيحيين والدروز (عدد ٤ ملحق ٢ ص ٦)

١٩ – وصله اليه بالتاريخ ذاته

أتشرف بان ارسل اليكم في طيه فقرة من تحرير أنفذه اليّ الفاضل المستر بيرد المرسل الاميركي المقيم في دير القمر حاضرة لبنان المسيحية بشأن الضيقة الشديدة المستولية على هذه المدينة من جرّاء اعوازهم المؤونة . وكنت قبل وصول هذا الكتاب قابلت خورشيد باشا وأخبرته بحالة دير القمر الحرجة فوعدني دولته بان يبذل كل ما في طاقته لفتح المواصلات معها وقد قطعها الدروز. ثم اني فور استلامي الكتاب المذكور ارسلت مندوباً بخطاب ودّي الى « الكاخية » وكيل خورشيد باشا فأكد لي بانهُ سيأمر بارسال المؤن الى دير القمر. على اني اشفق من ان لا يتمكن من تنفيذ نياته لان القتال قد نشب بين سكان تلك المدينة والدروز وهؤلاء هم البادئون بهِ (عدد ٤ ملحق ٣ ص ٧)

٢٠ – المستر بيرد الى صور عن دير القمر بتاريخ ٢٢ ايار سنة ١٨٦٠

اني اكتب اليكم هذه الاسطر الوجيزة اجابةً لالتماس اهالي هذه البلدة وانقياداً لدواعي الانسانية

لقد طلب اليّ رؤساء دير القمر ان يحادثوني هذا الصباح فاخبروني بما هو جارٍ وتراهم يتوقعون فظائع الحرب وويلات المخمصة اذ ان الغلة الموجودة اصبحت ملك العموم لان مسيحيي القرى المجاورة هجروها لائذين بهذه البلدة وطرق التموين

مقطوعة عنهم . وان شعب هذه البلدة قد فعل كلما بوسعه لاتقاء الحرب غير راغب فيها ولذلك يلتمسون منكم ان تفعلوا ما بطاقتكم لتمكنوهم من الحصول على حاجيات المعيشة الضرورية . أليس في وسع الحكومة ان تحفر قافلة تحمل اليهم الدقيق والحبوب من بيروت ؟ هل يتركون عرضةً لكسب قوتهم بجدّ سيوفهم وافواه بنادقهم ؟ فاذا ما كان يمكنهم الحصول على المؤن ففي نيتهم ان يستمرّوا مخلدين الى السكينة غير خائفين من الدروز ولا هيابين أمّا اذا كانوا لا يرجون الحصول عليها فانهم يضطرّون الى الخروج لمقاتلة الدروز ومن يعلم ما تكون عقباها. ومن الجلي ان الدروز هم المعتدون على الاقل في هذه الناحية . وقد كتب الباشا إلى شعب هذه البلدة ممتدحاً من صبرهم واعداً بفتح الطرق إذا ما بقوا مخلدين إلى السكينة على انها وعود فارغة

من يجسر من الوطنيين المسيحيين على الذهاب إلى مدينتكم بعد ان قُتل خادم العامل بحضور البكباشي التركي وجنوده ؟

اني أضمّ صوتي الى صوت الوطنيين مستغيثاً بكم لتبذلوا غاية الجهد لانقاذ حياة نفوس ثمينة . اسعفوهم في ضيقتهم إذا امكن . لا يوجد مؤونة هنا الاّ لبضعة ايام فقط وقد تحققت ذلك من مصدر ثقة وكثيرون لا يمكنهم الحصول على الخبز ليقتاتوا (عدد ٤ ملحق ٤ ص ٧)

٢١ – صور الى السير هنري بولفر بتاريخ ٣١ منه

اتشرف فانبئكم بان قد نشب قتال عام امس بين المسيحيين والدروز في المتن فدُحر الاولون وتشتتوا في كل ناحية واذ ذاك ارسل الدروز من اضرم النار في القرى المسيحية التي لم تُحرق بعد . امّا الخسائر فغير معروفة . ان نار القتال سكنت

اليوم والدلائل تحمل على الامل بهمودها إذا لم يعمد المسيحيون إلى الاخذ بالثأر
(عدد ٤ ملحق ٥ ص ٧–٨)

٢٢ – وصله ايه في ١ حزيران سنة ١٨٦٠

اتشرف فانبئكم بان ممثلي قنصلي فرنسا والنمسا العامين ومعتمدي الروسية وبروسية زاروني في الليلة المنقضية وقالوا لي انهُ نظرًا لحالة الشؤون في جبل لبنان والفظائع التي ارتُكبت فيهِ قد أقرُّوا جميعًا على ان يذهبوا باكرًا إلى معسكر خورشيد باشا ليعرضوا عليهِ مساعدتهم والعمل معًا لايقاف رحى القتل وتخريب الاملاك في لبنان ودعوني إلى مرافقتهم فرضيت ان انضمّ اليهم مدفوعًا مثلهم بعواطف الانسانية وبغيرها من العوامل التي تدرك كونها سعادتكم بسهولة لكني افهمتهم صريحًا باني اقتصر على ابداء ملاحظاتي واراني للباشا بصورة حية . وعليهِ ذهبنا عند فجر اليوم الى معسكرهِ وهو يبعد عن المدينة زهاء ساعة . فاقتبلنا خورشيد باشا بكل لطف فحدثناه في غرض زيارتنا فأجاب بانهُ بذل جهده لايقاف رحى الحرب وسيواصل مساعيه في هذا السبيل لكنهُ يلقي كل التبعة على المطران طوبيا ولجنة بيروت ويتهمهما بانهما مثيرا الفتنة وأوّل النافخين في بوقها . ثم اجاب على نصائحنا لهُ بما يتعلق بأحسن الوسائل الواجب اتخاذها لمنع تجدد القتال فقال انه يسألنا جميعًا ان نقنع المطران واللجنة بالامتناع عن التدخل وانهُ هو كفيل الدروز .وعليهِ جرى الاتفاق على ان القناصل عند عودتهم يكلمون المطران ومن يلقونه من اعضاء اللجنة وفقًا لاراء خورشيد باشا ويحذرونهم من شرّ مغبة أعمالهم . ولقد كان في نية الباشا ان يقبض على اعضاء اللجنة فعارضه رصفائي في رأيهِ بحجة الخطر الذي ينشأ عن استياء الاهالي المسيحيين من اتخاذ مثل هذه الوسيلة ولاسيما انهم تامو العدة ومستعدون للعصيان إذا ما مُسوا بل نظرًا ايضًا الى ما ينتج من العراقيل عن امكان

اكتشاف فروع تزيد المسألة تعقيداً .

وعند انصرافنا أعرب الباشا لنا عن امتنانهِ من مساعينا في سبيل مساعدتهِ .

لقد جرى لي حديث مع المطران طوبيا وأحد اعضاء اللجنة لم يسفر سوى عن ادعائهما البراءة وقد وعدني المطران المشار اليهِ باستعمال كلمته النافذة على المسيحيين لحملهم على التزام جانب السكينة وزاد بانهم لما كانوا قد تضرروا كثيراً لا يصعب عليهِ القيام بمهمتهِ لكنه شكا بمرارة من ارباب السلطة التركية وخاصةً من افتراءات خورشيد باشا عليه (كما سماها)

وقد أغفلت ان أقول ان المستر وبر لم يتمكن من ان يرافقنا الى الباشا بسبب مرضه لكنه كتب نطاقة صرّح فيها بانهُ يوافق كل الموافقة على عملنا (عدد ٤ ملحق ٦ ص ٨)

٢٣ـ طانيوس شاهين (١) الى وكلاء جبيل واهالبرها في ٣ نيسان سنة ١٨٦٠

بعد الترجمة وصل كتابكم وفهمت كل ما تضمنه بخصوص وصول الامير يوسف والبكباشي يحملان بيورلدياً لتولّي ادارة جبيل. فلا تقبلوا بهِ لان لديّ بيورلدياً من الدول السبع لتحرير المسيحيين فيجب ألاّ يبقوا عبيداً لاحد . فاذا شئتم ان تُعتقوا من عبوديتكم فلا يستطيع أحد ان يمنعكم لا المشير ولا القائم مقام . واني مرسل أمراً الى الامير يوسف ليعود الى مقره السابق فسلموه اياه حالاً ولا بأس عليكم. فاذا ما كنتم في حاجة الى قوّة اخبروني فارسلها اليكم واذا ما حاول الامير يوسف المقاومة فافيدوني فآتيكم برجالي . لا تخافوا شيئاً لان هذا الامر أمسى يعنيني دونكم وجميع القرى التي ترغب في الانضمام اليكم عيّنوا لها وكلاء فيحصون في عداد امثالهم خوفاً من اضمحلال الجمعية فالذين يرغبون ان ينخرطوا معكم اسمحوا لهم

(١) ان اللورد دوفرين أرسل هذا التحرير الى السير بولفر في ١٠ ادار سنة ١٨٦١

ان يأتوا من قبل القرية أو ان يسجلوا اسماءهم في السجل فيكون كافياً . وقد عهدت إلى حامل كتابي هذا ان يبلغكم بعض الامور شفاها اخوكم

طانيوس شاهين

ملحق : اني مرسل لكم في طيهِ كتاباً إلى الامير يوسف فسلموه اياه حالاً يداً بيد فمن المهم ان يصل اليه وافيدوني جوابه إذ اني منذره بانهُ إذا ما تردد اجيئه برجالي وألاحقه حيث يكون وتجدون أيضاً تحريراً إلى يزبك لحود اوصلوه اليه وانذروه شفاهاً بان يقلع عن عزمهِ . لا تخافوا شيئاً ولفطنتكم غناية (الكتاب الازرق الانكليزي عدد ٣٧٣ ملحق ٧ ـ صفحة ٤٨٤)

٢٤ـ المطران طويا الى اخباريّ دير القمر بتاريخ ٢٠ ايار سنة ١٨٦٠

بعد استمطار البركة الالهية عليكم والسؤال عن صحتكم اخبركم بوصول تحريركم المؤرخ في ١٨ الجاري أول من أمس فسررت بهِ لاحتوائهِ على اخبار الطمأنينة عنكم . وقد قبلت الاعذار التي ابديتموها عن تفوركم حتى اليوم من ايقافي على الحوادث التي جرَت في جواركم وفقهت انهُ لا يمكن لومكم على سكوتكم فانا مسرور من همتكم ونشاطكم واهتمامكم بكل ما يختص بالخير العام وحب الوطن والسكينة والامن والسعادة الداخلية. وقد دوّنا كل ما جاء منكم عن حوادث جهتكم حتى اليوم في جدول خاص فيستشف منها ان نيّات زعماء الطائفة الدرزيّة موجهة الى حفظ السكينة وتحاشي كل سبب يجرّ الى انفجار بركان الاحقاد وايقاد نار الحرب . فكلما دققت النظر في هذه النيّات وعارضتها بنيّات الامة المسيحية المفطورة على تحامي زرع الاحقاد واذكاء نارها الساعية في تجنب كل حركة وكل مؤامرة ان جهاراً وان سراً كما هو معلوم منكم) اراني بين امرين او ان اثق بصحة الافادات المتجمعة لديّ عن نيّات زعماء الطائفة الدرزيّة التي قيل لكم انها راغبة

في استئصال جرثومة الشر وابطال كل حركة ودسيسة او ان اقابل بين هذه الافادات وبين ما فعلوه ويفعلونه في اقليم جزّين قتلًا ونهبًا واتهامهم الاهلين بدعاوٍ كاذبة وقطعًا عليهم الطرق المؤدية الى بيوتهم بحيث أمسى هؤلاء السكان محاطين من كل الجهات يتعذر عليهم القيام باشغالهم وهم يرون جماعة الدروز تسومهم الهوان . ولهذا السبب اضطر إلى تبديل رأيي لكنني اخشى ان أُخدع لانه اذا استمرّ المسيحيون راقدين على وسادة الطمأنينة لا شك بان يصيبهم ما حلّ بهم في سنتي ١٨٤١ و١٨٤٥ . هذا ولا يمكننا ان نستسلم الى الامال ولا ان نثق بانكم اصبحتم في مأمن من كل غدرٍ بكم الاّ متى رأينا طريق جزين مفتوحة أقله أمامكم بحيث يتسنى لكم الوصول إلى البلدة المذكورة بكل امن . فمتى حصلتم على ذلك نرضى إذ ذاك بمشاطرتكم رأيكم . ولذلك نرفض كلما هو مخالف لاعتقادنا هذا لانه ثبت ان اهالي اقليم جزين فقدوا كل أمل بانقاذ حياتهم لانقطاع كل مواصلاتهم مع الخارج . فتيقظوا واخبرونا بدقة عن هذه الحركة واذا نجحتم اكون شاكرًا لهمتكم ويتيسر لي موافقتكم على طرد الدروز الذين هم سبب الفتن والدسائس واذا لم تتمكنوا من انجاح مشروعكم قريبًا نضطر الى الاستسلام لسوء الظن فينتج عن ذلك عاقبة وخيمة اذا لم تنتبهوا وتتيقظوا غير مستسلمين للقدر . وهذا كافٍ لتبرتكم وننتظر منكم جوابًا عاجلًا تطمينًا لنا . ونسأل الله ان يفتح اعين الغافلين ليتدبروا سوء هذه الحوادث ويتلافوا الاخطار المؤدية الى الدمار والفناء والبركة الالهية تشمل جميعكم والله يحفظكم

(عن الكتاب الازرق الانكليزي عن حوادث سنة ١٨٦٠-١٨٦١ صفحة ٤٨١-٤٨٢ ملحق ٤ عدد ٣٧٣)

٢٥ – حبيب عكاوي (١) الى سعيد بك جنبلاط

لدى وصولي الى بيروت وجدت الموارنة قائمين بحركة كبيرة لاخبار اهالي الجبل عموماً من جبة بشرّاي حتى زحله بان الحرب نشبت بين دروز الشوف ومسيحيي اقليم جزين وان يستعدوا لنجدة اخوانهم عند وصول كتاب آخر اليهم وقد علمت انهم ارسلوا خمسين رجلاً من دير القمر واقليم جزين الى الحدث مع طانيوس شاهين واغا والامير ناصيف من جزين فمتى تكامل عددهم هناك يقصدون جزين عن طريق صيدا فيقتلون كل الدروز والمتاولة الذين يجدونهم في طريقهم . وفور اطلاعي على هذا الخبر ذهبت الى الخواجا بورتاليس فاخبر الحكومة فارسلت تنذر الموارنة بوجوب الاسراع في تفريق رجالهم والاّ ترسل عليهم جنوداً يقبضون عليهم ويصير ابعادهم مدى الحياة فاطلع الموارنة جمعيتهم على انذار الحكومة وهاك الجواب الذي ورد في اليوم الثاني الى بيروت :

« قد اتممنا عدتنا وفي نيتنا ارسال ٥٠٠ رجل لمساعدة اهالي جزين وسائر الاقاليم وقد اوعزنا الى الاهالي بان يكونوا على أتم اهبة . »

وهذا الكتاب تلقاه المطران طوبيا . فاجابوا (يريد زعماء الموارنة في بيروت) انهم ينفذون رسلاً الى جبة بشرّاي وجبيل والبترون ويوسف كرم وطانيوس شاهين يطلبون اليهم ان يتهيأوا للذهاب الى المتن وارسال ذخائر الى جونية . فاستلم اهالي بيروت الكتاب المذكور وارسلوا نسخاً منه الى جميع الجهات محرضين الشعب على النهوض الى المتن .

ولما اتصل هذا الخبر باسعد جاويش قصد المطران طوبيا وسأله عن غاية

---

(١) من اهالي دير القمر من طائفة الروم الكاثوليك

هذه الخطة موضحاً له ما ينتج عنها من الخراب . فاجابه سيادته : « اذا كنتم انتم شعب دير القمر لا تطيعون فترفضون ان ترحفوا على العدو فاني اقنع الدروز والمسيحيين بان يهاجموكم . » فخرج اسعد حالاً من عند سيادته بعد هذا الجواب . ثم ان المطران ارسل بشاره فرعون الى طانيوس شاهين يستعجله في القدوم . وانفذ ايضاً الشنتيري الى المتن والقاطع ليجمع اهالي اقطاعة المتن . ارجح ان الاثنين قاما بما عُهد اليهما بهِ . أمَّا زعماء هذه الحركة في الموارنة فهم خليل افندي نقاش ونعوم فيقانو واسعد تابت . وقد صرحت الطائفة المارونية بانها مستعدة لانفاق الف كيس (زهاء ٤١٧٠ ليرة انكليزية) كما ان المطران طوبيا شديد الرغبة بان يتولى بذاته قيادة المقاتلين .

فلما نظرت ذلك انا عبدكم واسعد جاويش تكهنَّا بخراب البلاد وذهبنا معاً الى مطارنة طائفتنا واخبرناهم بما هو جارٍ . ويظهر انهم كانوا يجهلون كل الجهل هذه الامور فقالوا لنا ان نذهب الى قنصلية انكلترة العامة ففعلنا واطلعنا القنصل على ما تقدم فاجابنا بانه يخبر الحكومة وزاد بانه اذا اصرَّ المسيحيون على مقاصدهم فالحكومة ترسل عليهم الجنود وفضلاً عنه فقد وعد باتخاذ التحوطات اللازمة . ان طائفة الروم الكاثوليك كتبت الى ابناء مذهبها في زحله تنصحهم بان يخلدوا الى السكينة ويعالنوا الجمهور ان القائمين بهذه الحركة هم الموارنة وحدهم ومن الثابت ان الروم الكاثوليك لا يشتركون في الحركة بعد وصول هذه التحاذير اليهم

ولما غادرت بيروت انفذت رسولاً الى خليل افندي جاويش ليوافيني الى كفرشيما فجاء واطلعته على كل ما جارٍ ورجوته ان يبلغ ذلك الى القائم مقام والمشير فذهب فور مقابلتنا الى الشويفات لاخبار سعادته . أمَّا الغاية فهي جعل الامير مجيد على قيادتهم وقد وعد بقبولها فور بدء القتال ووعدوه بتحريض الشعب على الثورة . وفي طريقي التقيت برسول آتٍ من بيروت الى عيه

هذا ما علمته اخبرتكم به فارجوكم ان تبلغوه الى الحكومة لكي تتفق روايات القناصل والقائم مقام مع روايتكم .

ان الروم والروم الكاثوليك في بيروت أبوا ان يشاركوا الموارنة في عملهم ومع ذلك فالموارنة يزعمون بان الروم والروم الكاثوليك يرغبون في الحرب بينما هم يسعون في تجنبها

تنبيه : ان هذين التحريرين ارسلهما اللورد دوفرين الى السير هنري بولفر في ٧ ادار سنة ١٨٦١ بغية ان يبرهن بان المطران طوبيا والموارنة هم البادئون بايقاد نار الفتنة وقد علّق المستر روجرس فيس قنصل انكلترة في بيروت على كتاب حبيب عكاوي ما يلي :

« ان محرر هذا الكتاب هو مسيحي من دير القمر دمّر الدروز بيته وكل املاكه اثناء الحصار . فشهادته اثناء محاكمة سعيد بك وما فاه بهِ في احاديث سرّية عليه مسحة الاعتدال ومطبوع بطابع الصدق . ان الامير مجيد المشار اليهِ لمن الاسرة الشهابية وهو الذي طلق منذ مدة امرأته التركية واعتنق الديانة المسيحية بناء على وعد المطران طوبيا لهُ بترشيحه لقائم مقامية جبل لبنان وقد رشحه المسيحيون حديثاً لهذا المنصب . ان هذا الكتاب خالٍ من تاريخ انما يظهر انه كتب قبل الفتنة ببضعة ايام وربما قبل تحرير المطران طوبيا بيوم أو يومين ومن المرجح ايضاً ان رسالة المطران طوبيا تشير الى مضمونهِ لكنه آثر شرح مسئلة خطيرة كهذه في ملحق سرّي عملاً بالعادة الجارية في هذه البلاد . (عن بيروت في أوّل ادار سنة ١٨٦١)

(الكتاب الازرق الانكليزي ص ٤٨٢ ـ ٣ ـ ٤ ملحق ٥ عدد ٣٧٣)

٢٦ — *صفر وتبوس اسقف صور وصيدا الى اهالي ماصيا* (١)

الى اولادنا الكرام الاماجد مشايخ واعيان وقدماء طائفتنا الروم الارثوذكس

---

(١) ان هذا التحرير اذاعته جريدة « التيمس » في أحد اعدادها دون تاريخ ونقله عنها

في حاصبيا المقيمين في الوادي ادام الله معاليهم واسبغ عليهم بركاته السماويّة :

نعلمكم ايها الابناء الاعزاء ان ما فعله الدروز المفسدون في الارض والمرتكبو المظالم المطابقة مذهبهم قد ايقظ ابناء رعيتنا المحبوبين في الرب من غفلتهم فنسأل الله ان يهبهم بشفاعة مريم العذراء القوّة للتغلب عليهم وقد طغاهم الشيطان في ارتكاب الموبقات

ثم نخبركم بان اهالي زحلة ودير القمر وكسروان وجزين والاماكن المجاورة عقدوا اجتماعاً في الجبل ليكونوا كلهم يداً واحدة ضد الطائفة الدرزيّة القليلة العدد فيبيدونها ويهدرون دمها ويستولون على اموالها واملاكها ويطردونها من البلاد التي كانت تخص امتنا الارثوذكسية

وقد تلقينا كتاباً من قدس سيدنا البطريرك السامي المقام يطلب الينا ان نساعد هؤلاء القوم في رغبتهم ولهذا وجهنا اليكم هذه الاسطر لتتسلحوا وتشجعوا بعضكم بعضاً وتنبهوا أولادنا المسيحيين في جواركم للتغلب على اعدائكم الدروز . وقد استقرّ الرأي هنا في حاصبيا على ان يبدأ بالدفاع نهار الاثنين اذا شاء الله بقيادة الامراء الاجلاّء اذ لا يخفاكم ان لهم العناية بشعبنا وعليهِ كونوا مستعدين لانقاذ البلاد من اعدائكم المشهورة عداوتهم لديانتكم بعناية والدة الله والبركة تشملكم جميعاً

٢٧ – صورة الى السير بولفر في ٢ حزيران سنة ١٨٦٠

اتشرّف بان ارسل اليكم في طيهِ نسخة الرسالة التي تلقيتها من فيس قنصل انكلترة في صيدا بخصوص القتال بين الدروز والمسيحيين في جوار تلك المدينة

الكاتب ريشار ادارس الانكليزي واثبته في الصفحة ١٣٧ من مؤلفه المعنون « سوريّة » من سنة ١٨٤٠–١٨٦٢ وهو يتضمن الدفاع عن مأموري الدولة العثمانية والدروز فنقلناه على علاّتهِ وليس لدينا ما يثبت صحته او يظهر تحريفه

وقد خابرت « الكاخية » في احوال صيدا بشأن حماية المصالح الانكليزية فيها فأكد لي ان الانباء الاخيرة التي وردت عليه لاتدعو الى الخوف من حدوث اضطرابات جديدة

وقد افادت الانباء الواردة اليوم من لبنان ان الدروز ضيقوا حلقات الحصار على دير القمر فأمسى اهلوها في أشدّ حالات ضيق العيش انما ارسل اليوم من دار الحكومة كمية وافرة من الدقيق والحبوب واتخذت الوسائل الكافلة ايصالها بامنٍ

ان الربّان مانسل قائد البارجة « فيريفلي » اجابني الى رجائي ورضي بان يؤجل سفره من بيروت لمتابعة وظيفته في مراقبة الشواطي.

علمت ان في النية ارسال الباخرة النمسوية من شركة اللويد الراسية الآن في المرفإ الى مصبّ نهر الدامور الواقع في وسط الطريق بين بيروت وصيدا لنقل المسيحيين الباقين هناك . وقد سبق لي ان انبأتكم في رسالتي المنفذة في ٣١ المنقضي ان الدروز هجموا على فريق منهم بينا كانوا آتين الى بيروت للاحتماء بها.

ان الاخبار الواردة اليوم من مواقع القتال لاتبشر بانقطاع الحرب .

ملحق : اتصل بي ان خورشيد باشا هو على وشك ان ينقل معسكره الى مكان أعلى في الجبل . (عدد ٤ ملحق ٧ ص ٩)

٢٩– يعقوب ايلا فيس قنصل صيدا الى مور في اول حزيران سنة ١٨٦٠

اتشرّف فانبئكم بان قاسم يوسف ورجاله نهبوا هذا الصباح ديري المخلص للرهبان والراهبات واخذوا مواشي مزارع عين الدلب وميه وميه وقريّه ومجدليون وقتلوا كثيراً من مسيحييها . ثم ان يوسف المبيض طاردهم ومعه بعض المسيحيين بيدَ انه بعد ان تبادل الفريقان اطلاق الرصاص تراكض المسيحيون هرباً الى جهة صيدا فارتأت الجنود الاّ يسمح لهذا الجمهور المسلح بدخول المدينة وذهبت حالاً

لمنعه وفي خلال ذلك اطلق عليها الرصاص فجرح جنديان فنشأ عن ذلك ثورة في المدينة واخذ المسيحيون والمسلمون يحاذرون بعضهم بعضاً ولم يقتل احد من الطرفين انمّا يتوقع طروق حوادث خطيرة في كل آن . أمّا شيوخ الطائفتين فيبذلون كل ما في وسعهم لمنع وقوع أقل محذور .

فمن قائل ان الذين اطلقوا الرصاص على الجنود هم الجبليون الموجودون في بيوت المسيحيين الكائنة عند اسوار المدينة ومن مؤكد الخلاف .

وعند وقوع الحادثة كنت مع انسبائي في معمل الحرير خاصتنا فلما شاهدنا قاسم يوسف يقترب من المعمل رفعت العلم الانكليزي وتهيأنا للدفاع عن أنفسنا وفي الوقت ذاته كتبت للمدير ليرسل الينا من يحرسنا فلم يتمكن من ارسال سوى شرطيين . ان كثيرين من مسلمي المدينة وهم من اكبر اصدقائنا جاءوا وعرضوا ان يرافقوني الى مقرّي اذا شئت الرجوع اليه الساعة الخامسة مساء .

ان الشرطيين المرسلين من المدير هما لحماية المعمل لكنّ انسبائي يخشون وقوع اعتداء على المعمل يجرّ الى خرابهم.

بيدَ اني اسألكم ان تستحصلوا كرماً أمرًا الى البكباشي قائد حامية هذه المدينة ليرسل بعض الجنود لحماية هذا المعمل الخاص برعايا جلالتها (الكتاب الازرق المذاع في حزيران سنة ١٨٦٠ عدد ٤ ملحق ٨ ص ٩-١٠)

٣٠ — نوبل تامبل مور فيس قنصل بيروت الى السير هنري بولفر بتاريخ ٣ منه

اني بغياب المستر مور وبحسب أمره اتشرّف فانبئ سعادتكم ان قد ورد اليوم باكرًا خبر بان الدروز هاجموا بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في أوّل الجاري دير القمر بقوّة فاستمرّ القتال نهار أمس بطوله وان قد حُرقت ضواحي هذه المدينة وأصبحت ذاتها في خطر داهم وان الاهالي عرضوا ان يستسلموا على شرط ان توقى حياتهم

فرفض الدروز أجابتهم الى سؤلهم . بيدَ ان الاولين اوشكوا ان يموتوا جوعًا من نفاذ المؤن امَّا رجال الحامية التركية « والمحصل » في ديرالقمر فقد امتنعوا في القصر ورفضوا ان يتدخلوا . وبناء على هذه الحوادث الخطيرة عزم القناصل العامون على ان يذهبوا إلى معسكر خورشيد باشا للالحاح على دولتهِ بان يتخذ بعض الوسائل غوثًا لاهالي ديرالقمر وعليهِ ذهبوا معًا اليوم الساعة التاسعة صباحًا .

ان المؤن التي ذكر المستر مور في رسالتهِ المؤرخة في ٣٠ المنقضي انها أُرسلت من دار الحكومة لم تبرح في مكانها بحجة عدم وجود مكارين يرضون بنقلها .

ان الانباء التي وردت هذا الصباح على القنصلية من فيس قنصل انكلترة في صيدا تشف عن حراجة الحالة فيها وكان ان حدثت الضابط مانسل قائد البارجة فيريفلي بها فسافر في الحال الى صيدا لحماية المستر أبيلًا والرعايا الانكليزيين المقيمين فيها . ويظهر ان الاضطراب نشأ عن وصول جماهير من المسيحيين اللاجئين اليها فأثار على ما يبان ظنون المسلمين وتعصبهم . ان الدروز خربوا كل الناحية التي حوالى صيدا ويقول المستر ابلًا ان النفوس التي قُتلت والاملاك التي خُربت كثيرة

وصل هذا الصباح بارجة روسية لم اتمكن من معرفة اسمها (عدد ٤ ملحق ٩ ص ١٠)

٣١ – مور القنصل العام الى المذكور في ٣ منه

لما كنت قد عدت من زيارة خورشيد باشا في معسكره وقد سبق للفيس قنصل ان أشار اليها في رسالته اليكم في هذا الصباح اتشرف فانبئكم بنتيجة حديثنا مع دولته

ولما كنت عميد القناصل افتتحت الحديث فسألت دولته عن الانباء التي تلقاها من دير القمر . فاجاب ان قد ورد عليه في الليلة البارحة ان الدروز هجموا على هذه

المدينة وان القتل كثير ولاسيما في جهة الدروز. فاستوضحته عمّا فعل فقال انه ارسل « مهر داره » الى دير القمر واوعز اليه ان يتدخل بين الفريقين المتقاتلين وهو ينتظر ورود نبإٍ منه في هذا المساء حتى اذا لم يكن مطمئناً فيوعز الى القائد طاهر باشا ان يذهب الى دير القمر أو يؤمها بذاته.

فرجوت دولته اذ ذاك ان يراقب ما يمكن حدوثه في هذه الفترة لاعتقادي ان الحالة تستدعي اغاثة دير القمر عاجلًا وزدت ان هذا هو رأي رصفائي اجمع. فاجاب الباشا على ملاحظتي الاخيرة ان طاهر باشا هو على قيادة الجنود فاقترحنا استدعاء القائد الى حضور المفاوضة فرضي خورشيد باشا في الحال وجاء طاهر باشا. فاعدت على مسامعه الكلام السابق بايجاز واوضحت ضرورة سرعة العمل فاعتذر بانه يخشى على مدينة بيروت اذا ما تغيب عنها وعند ذلك بسطت ما كنت اعتزمت عليه عند ما تلقيت الاخبار عن دير القمر ان اذهب بذاتي اليها وحدي اذا اقتضى الامر لابذل كل ما لي من نفوذ الكلمة على زعماء الدروز لانقاذ الاهالي من الخطر المحدق بهم فلم يقع اقتراحي موقعه الحسن من رصفائي

وكان ان قرأ الكونت بنتيڤوليو في وجهي الوالي والقائد اللذين ظهرت عليهما مخائل التردد سيماء التأثر فقال: لربما دولتهما يرغبان في ان يتفاوضا منفردين وارتأى ان نخرج الى خيمة أخرى. فاجابا انهما يخرجان وفعلا ثم عادا بعد بضعة دقائق فابلغنا طاهر باشا أنه مستعد ان يذهب بذاته في الحال وخرج متهيئًا للسفر بعد ان أكد لنا انه يبذل كل ما بطاقته لحقن الدماء.

واذ ذاك اوقفنا خورشيد باشا على الانباء المقلقة التي وردت علينا هذا الصباح من صيدا واخبرته انني سألت الضابط مانسل قائد البارجة « فيريفلي » ان يوم المدينة المذكورة فاستحسن دولته هذا التدبير وقال انه تلقى ذات الاخبار وكتب الاوامر اللازمة.

ثم ألفت دولته انظارنا الى لجنة بيروت واشار الى وجوب تشتيت شمل اعضائها بابعادهم عن هذه البلاد فوافقناه جميعًا الى رأيه. وبعد ذلك شرح لنا سبب عدم توغله في البلاد فقال ان المسيحيين ينتظرون قدوم يوسف بك كرم لنجدتهم وان لديه مدافع سيقابله عاجلًا بمثلها . (ان يوسف بك هذا هو ماروني وصاحب اقطاعة واسعة حوالى طرابلس ويعتبر انه حاصل على حماية فرنسا .)

قد وعدنا الباشا بان يرسل الينا باحدث الاخبار التي ترد عليهِ من دير القمر فانصرفنا

ان بطريرك الموارنة قد أمر اليوم بايقاف اقامة الشعائر الدينية وحض جميع المسيحيين باسم الدين ان يسرعوا لنجدة اخوانهم في الانحاء المختلطة بحيث اصبح الفريقان الآن يحسبان حربهما حربًا دينية (عدد ٤ ملحق ١٠ ص١٠ – ١١)

٣٢ – وصله اليه في ٦ منه

اتشرف فانبئكم بان دير القمر استسلمت دون شرط في ٢ الجاري الى الدروز الذين يقودهم بشير بك نكد . ومن المقول ان خسائر المحاصرين بلغت ماية قتيل والمحصورين ٢٥ وبعد استسلام المدينة نهب الدروز زهاء ١٣٢ بيتًا وحرقوها ثم غادروها . ان سكان دير القمر يستعدون الان لهجر هذه المدينة التي اصابتها حطمة لا تنهض من تحتها فوالحالة هذه ان خورشيد باشا لم يبرّ بوعده بصد الدروز كما ذكرت برسالتي اليكم في اول الجاري . ان جنود الحامية التركية لزموا حد الحيادة اما الكتب الواردة الى هنا فتنسب اليهم معاونة الدروز على المسيحيين.

ان الانباء الآتية هي خلاصة ما جاء حديثًا من لبنان :

ان المسيحيين جمعوا قواهم في كسروان بقصد التهيوء لصد هجوم الدروز أو الاتفاق على مهاجمة هؤلاء الاخيرين استعادةً لشرفهم . ان يوسف بك كرم وصل الى جونية ومعه الف مقاتل مجرب مدرب ويقال انهم مسلحون ببنادق مينيه ومدفعين

سهلين . وقد ذهب البك المشار اليه الى بكركي لمفاوضة البطريرك . واتصل بي هذا الصباح ان الشيخ خليل حبيش من غزير قصد زحله بخمسماية مقاتل وان البطريرك منح من ماله الخاص مايتي قرش لكل مسيحي ينضم الى الجيش وخمسة قروش يومياً الى عائلته . وقد هدد باستنزال الغضب على كل من يقوى على حمل السلاح ويحجم عنه .

ومن الشائع ان الدروز من جهتهم اجتازوا الانحاء المسيحية لمهاجمة زحله وسائر الاماكن فانفذ القناصل كتاباً الى خورشيد باشا ليحول دون بغيتهم فلم يحصلوا من دولته على غير وعود فارغة بانه سيبذل جهده . ومن ثم وجه القناصل المشار اليهم عنايتهم لاقناع المسيحيين بان يتفرقوا فاعتذروا اليهم بانهم ملتزمون جانب الدفاع ويخشون اذا ما تشتتوا من هجوم الدروز على حين غرة كما حدث في جزين فانهم بعد ان تعهدوا لهم العهود المعززة بالايمان بانهم لا يمسونهم باذى فاجأوهم ونهبوهم.

ان خورشيد باشا انتقل بقسم من جنوده الى مكان اعلى .

ورد اليوم انباء من صيدا تسكن البال نوعاً وتفيد ان الراحة مستتبة في المدينة اما بخصوص ما جرى فيها فاني مرسل اليكم في طيه مقتطفات كتب انفذها المرسلون الاميركيون المقيمون في صيدا ومنطوقها يؤيد لوائح الفيس قنصل.

ان الضابط مانسل عاد من صيدا وقد أتت زيارته لها بفوائد عديدة وسارسل الى سعادتكم يوم السبت نسخة من البيان الذي رفعه اليّ .

(عدد ٤ ملحق ١١ ص ١١ — ١٢)

٣٣ــ مقتطفات كتب حضرة الفاضلين المستر فورد والمستر ادي المرسلين الاميركيين في صيدا الى قنصلية اميركا في بيروت بتاريخ ٣ منه

بينا كان جمهور قوامه ثلاثماية شخص بما فيهِ النساء والاولاد مطروداً من جزين

ونواحيها يوم هذه المدينة للاحتماء بها قُتلوا عن بكرة ابيهم على مرأى من سكان صيدا وذلك بعد تسليم سلاحهم واستسلامهم وفي جملة القتلى نحو عشرين كاهناً وراهبة أو راهبين ومن شر البلية ان المسلمين خرجوا من المدينة وانضموا الى الدروز في ذبح هذا الشعب المستأمن الاعزل وقد شهد بهذه الفظائع البستانيون المسلمون والنساء ايضاً وقد رأيتهم بأمّ عيني خارجين بسلاحهم من المدينة وعائدين اليها وهم في اقصى درجات الظماء اشرب الدماء . وقد جُرح كثير من النساء واغتُصب غيرهنّ فتوفي بعضهنّ على الاثر واللواتي وصلنَ الى هنا عُرِّينَ من ثيابهنّ . ان عدداً كبيراً من اللاجئين هم الان حوالى « معاريه » وقد شاهدنا الدروز اليوم زاحفين عليهم فحاولوا الهرب لجهة صور لكنّ المتاولة صدّوهم عنها .

وقد اختبأ كثير من اللاجئين في الكهوف وبين اشجار البساتين . وكل من عثر عليه جرعه الدروز كأس المنون وبعضهم شربها من يد المسلمين .

ان الدروز هم اليوم هنا يشترون جهاراً بارودا ورصاصاً .

قد طلبنا جنوداً لحراسة محلنا فلم نجب اليه

ان المخمصة ستشتد هنا في القريب العاجل .

ان القناصل هنا سألوا البكباشي ان يسمح بدخول اللائذين لكنه لا يفعل .

(عدد ٤ ملحق ١٢ ص ١٢)

٣٤- ومنها ايضاً بتاريخ ٤ منه

نحن مديونون كثيراً للبارجة « فيريفلي » الانكليزية فان قدومها كان في غاية المؤاتية وكان من حسن نتيجته ان اعاد السكون الى المدينة الى حين على الاقل .

ان المجزرة والنهب يتزايدان حوالى الاسوار خارج المدينة وفي هذا الصباح قُتل خمسة من الاكليريكيين في دير مجاور وقد تمكن احد الجرحى وجرحه خطر

من الفرار فأخبر بما تقدم

ان مجيء البارجة « فيريفلي » في الوقت الحاضر كان ظهيرًا قويًّا للمدينة بيدَ انه يخشى من تفتح عين الثورة بعد ذهابها .

ان قدوم البارجة الروسية الى هنا لاسماع دوي مدافعها الكبيرة ربما يكون وسيلةً لفقي عين الثورة المطبقة جفنها تناومًا ويحول دون المذابح الفظيعة وقتل المسلمين لا الدروز المسيحيين أشنع الميتات وهم عزل يطلبون الالتجاء إلى هذه المدينة . وكنت اعتقد ان جمهور الاشقياء هم من الدروز لكني تحققت الآن ان اكثره من المسلمين .

٣٥ — الضابط مانسل الى الفيس اميرال فانسهوى . عن بيروت بتاريخ ٤ منه

اتشرف فانبئكم باني القيت مراسيَّ في مياه صيدا أمس الساعة الرابعة بعد الظهر فخفَّ إلى ظهر البارجة الموسيو أبيلا الفيس قنصل يصحبه المستر فورد والمستر ادّي المرسلان الاميريكيان وأخبروني ان قتل المسيحيين وذبحهم خارج الاسوار وفي ضواحي المدينة لمستمرّ وان المسلمين هم مرتكبو هذه الفظائع

وقد شاهدنا من محل مرسانا الشعب محتشدًا على الشاطئ والجنود تفرق شمله. وبعد حين نزلت الى البرّ وفاوضت المدير والمفتي وبكباشي الجنود النظامية الذين جاءوا لمقابلتي فأوضحت للمدير وجوب اتخاذ الذرائع العاجلة لتسكين فائر الشعب وان يبذل كل جهده لتقرير الامن في المدينة وان يرسل في الوقت ذاته قوّة كافية إلى الضواحي لايقاف رحى القتل والمذابح التي يديرها المسلمون على المسيحيين .

فأجاب بانهُ سيوجه عنايته الى هذه الامور من الآن وصاعدًا ويضمن سلامة حياة المسيحيين ويكون مسئولاً بها فوافقه المفتي والبكباشي على تعهدهِ وأجمعوا على ان حضوري أنقذ المدينة لان الشعب كان هائجًا ومستشاطًا غضبًا . وبما ان المدير

قال لي ان سلطته لا تتجاوز مدى عشرة دقايق عن الاسوار وكنت قد سمعت ان قاسم بك يوسف حماده زعيم الدروز معسكر برجالهِ على ضفاف نهرِ بجوار المدينة سألت عمَّا إذا استطيع استدعاؤه فأجبت إلى طلبي بعد ان وعدتهم بعدم القبض عليهِ فكتبوا اليهِ مستقدميه في الحال .

ثم انطلقت إلى بيت الفيس قنصل فمررت في قسم من المدينة وقد رأيت الشعب على ممرّي ساكناً كثير الاحترام لي وكان يقف لي اجلالاً .

وقبل ان اعود الى ظهر الباخرة زرت الخان الفرنسوي حيث عدد غفير من المسيحيين اللاجئين اليه . وكانت ساحته الداخلية غاصة بالحيوانات وبثلاثين جريحاً وجدوا في ضواحي المدينة والراهبات قائمات على تمريضهم.

ان الشوارع الان وهي الساعة التاسعة لمهجورة وكل شيء هادئ. وقد انقضى الليل دون حدوث أقل اضطراب في المدينة وشاهدنا الشعب رجالاً ونساء واولاداً مباكرين البساتين في ضواحي المدينة .

وعند الساعة التاسعة عدت الى البرّ وقابلت الزعيم الدرزي في بيت المدير بحضرته وحضور المفتي والبكباشي . فاوقفته على سبب قدومي واني رغبت في هذا الاجتماع على أمل ان يسفر بمساعدته عن ايقاف المذابح المستفظعة في الضواحي . فاجابني بانه مستعد لاجابة طلبي ووعد بحقن الدماء في الحال وانه سيبذل جهده لتسكين ثائر الشعب بحيث يمكنه الان ان يعود الى بساتينه وانه يوقّع تعهداً يضمن به سلامة المسيحيين وعند ذلك انصرفت وبعد قليل زارني المدير والزعيم والدرزي والمفتي والبكباشي في دار الموسيو أبيلا الفيس قنصل حيث قرأ بصوت جهوري تعهد الزعيم الموما اليه ووقعه بختمه . فاجمع الحضور كلهم على ابداء الولاء واعربوا عن رضاهم التام .

ثم ان الشيخ زارني على ظهر الباخرة وعند استئذانه بالانصراف أوضح لي

ان وصول البارجة انقذ المدينة واعاد الثقة والراحة اليها . وعليه رأيت انه لم يبقَ من لزوم لاطالة اقامتي هناك فغادرت المرسى الساعة الواحدة بعد الظهر. (عدد ٤ ملحق ١٣ ص ١٣ — ١٤)

٣٦— الفصل برانت الى اللورد ج. روسل بتاريخ ٤ منه

ان مسيحيي دمشق هم في قلق شديد من جرّاء مظاهر العداء والاهانات التي يسومهم اياها المسلمون . أما الباشا فقد زاد الحرس في احياء المسيحيين تسكيناً لروعهم وحظر بيع الاسلحة والذخائر وارسالها إلى سائر الجهات .

الخواطر في حاصبيّا وراشيّا حيث تقيم الجنود هائجة بعض الهياج خوفاً من هجوم دروز اللجا الذين يريدون نجدة اخوانهم في جبل لبنان بيدَ اني نُبئت بان دروز اللجا لم يحركوا ساكنهم .

ان مصطفى باشا المرابط في اللجا مع بعض الجنود قد هجم حديثاً على فيصل الشعلان شيخ قبيلة الرولا بمساعدة محمد الدوخي زعيم قبيلة ولد علي فهزمه ثم ادركه وقتله مع ولده فعظمت صولة محمد الدوخي بحيث ان اسماعيل الاطرش الزعيم الدرزي لا يجسر ان يذهب بذاتهِ الى لبنان أو ان ينفذ احداً من رجالهِ اليهِ اشفاقاً من هجوم الدوخي عليه لسبق معاداته دروز حوران . ولا مراء ان ذلك يقنط دروز لبنان من املهم في هذا العضد القوي وترجح كفة الميزان في جانب المسيحيين فتساعد على ايقاف رحى القتال

ان الشيخ كنج زعيم الدروز في البقاع حرق عدّة قرى مسيحية فلحق سكانها بمواطنيهم بعد ان اودعوا عيالهم وأموالهم في زحلة .

ان الامير اسعد شقيق الامير سلمان الحرفوش الباقي في السجن غادر المدينة وهو يجوب الناحية المجاورة ويبلصها . فأرسل الباشا قوّةً قوامها خمسون فارساً

لوقاية بعلبك من النهب. (عدد ٦ ص ١٥)

٣٧ – السر هـ . بولفر الى ج . روسل . عن الاستانة في ٨ حزيران سنة ١٨٦٠

وردت عليَّ رسالة برقية من قنصل جلالتها في ازمير تنبيء باجمال عن حدوث قتال شديد بين الدروز والمسيحيين في سوريا فانفذت في الحال رسالة إلى قنصل جلالتها العام في بيروت في طيهِ نسخة منها اوعزت فيها اليه بان يشترك مع رصفائهِ قناصل فرنسا والنمسا والروسية وبروسيا توحيداً للسعي بوضع حد ان أمكن للقتال الناشب هناك . وقد اطلعت سفير فرنسا ومعتمدي الروسية وبروسيا والنمسا على رسالتي فكتبوا بمعناها إلى قناصلهم في بيروت .

وقد طيَّرت أيضاً رسالة على لسان البرق إلى أمير البحر في جزيرة مالطه سألته عمَّا إذا كان يستطيع ان يرسل بارجة كبيرة لائقة إلى مياه بيروت نظراً للحوادث الخطيرة الجارية فيها . ومن الشائع ان الجنود التركية انضمت إلى مسلمي صيدا مناصرةً لهم على المسيحيين وارتكبت عدَّة فظائع (عدد ٨ ص ١٥ – ١٦)

٣٨ – وصله الى صور القنصل العام في ٦ منه

ورد الى هنا نباء بحدوث قتال خطير بين الدروز والموارنة في لبنان ومن المرجح انه عندما تبلغكم هذه الرسالة تكون نار الحرب مضطرمة الاوار . فمن المهم في مثل هذه الحالة ان لا يسود الاعتقاد في تلك البلاد باختلاف الدول الاوربية العظمى رأياً بشأنها ومع انه يتعذر عليَّ ان اعطيكم تعليمات وافية قبل ان اقف على تفاصيل ما جرى عندكم فاوعز اليكم بان تسعوا مع رصفائكم قناصل فرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا متفقين وتبذلوا كل جهدكم لاقناعهم بان يوحدوا مساعيهم بحثاً عن أحسن طريقة توجبها الحالة لوضع حدٍ للقتال الناشب الان وازالة الخلاف الذي نشأت عنه هذه الحرب . (عدد ٨ ص ١٦)

٣٩ ـ من الى اللورد جون روسل في ١٠ منه

لقد تعجلت بايقاف الباب العالي على الاخبار الخطيرة التي تلقيتها من بيروت وشدَّ ما كان دهشتي لما علمت ان الحكومة التركية لم يرد عليها انباء من سوريا غير التي تضمنتها رسالة والي بيروت (صيدا) المؤرخة منذ نحو ثلاثة اسابيع وهي مقصورة على خبر نشوب القتال بين الدروز والموارنة وعليه فالحكومة تجهل حقيقة الاضطرابات التي حدثت هناك وهي حليفة القلق وقد انبأتني بانها معتزمة ان ترسل في الحال بارجة وتابورين الى شواطئ سوريا وتتخذ وسائل قوية لاعادة الامن الى نصابه .

وستوفد معتمداً كبيراً وقائداً عاماً الى ذلك الصوب .

ولا أتأخر عن انباء سيادتكم بما يرد عليَّ من التفاصيل من المستر مور او من مصدر اخر موثوق بهِ.

ملحق في ١١ منه – بعد كتابة ما تقدم خبرني المستر مور بحدوث قتال بين الجنود التركية وبعض المسيحيين الفارين من الجبل التجاء الى صيدا . (عدد ٩ ص ١٦)

٤٠ – مور الى السر ه. بولفر بتاريخ ٩ منه

اتشرف بان ارسل لكم في طيهِ نسخة الرسالة التي انفذتها في ٧ الجاري مع ملاحقها الى اللورد جون روسل .

في ليلة اول من أمس اجتمع في خارج هذه المدينة جمهور من مسلميها يتراوح عددهم على ما قيل بين ٣٠٠ و٤٠٠ رجل ثم تفرقوا فرقاً عديدة وظلوا يطوفون في ضواحيها الى آخر الليل وبعد ذلك عادوا الى بيوتهم دون ان يعكروا كاس الراحة فقلق المسيحيون بالاً وارسلوا وفداً الى دار الحكومة وقناصل الدول متشكين من

هذه الاعمال . وعلى أثر ذلك قيل ان سبب هذه المظاهرة متأتٍ عن الاشاعة المتفشية على الالسن في المدينة بعد ظهر الاربعا في ٧ الجاري بحدوث قتال جديد بين المسيحيين والدروز في المتن كانت الدائرة فيه على الاخرين وان خورشيد باشا بعد ان انتقل الى المديرج عاد في ذات الليلة الى معسكره السابق في سفح الجبل وفي الوقت ذاته شوهد بعض المسيحيين الفارين شاكي السلاح آتين الى الجهة الغربية من ضواحي المدينة وعند ذلك استولى القلق على المسلمين واوجسوا من ان يكون تآمر مسيحيو المدينة مع ابناء مذهبهم في الجبل للايقاع بهم . على انه بناء على شكاوى المسيحيين وملاحظات القناصل وعد « الكاخية » بان يستدعي اليوم رؤساء الاحياء من المسيحيين والمسلمين الى عقد اجتماع يرمي الى اتقاء تجدد مثل هذه المظاهرات من الطرفين ومعاقبة مثيري مظاهرة الليلة المنقضية .

ويسرني ان انبئ سعادتكم ان كثيرين من سكان بيروت المسلمين من الاعيان والعامة عاملوا المسيحيين المنكودي الحظ اللاجئين الان الى المدينة بمنتهى العواطف الانسانية فقد فتحوا اكتتاباً ليمدوهم بالطعام ويسدوا حاجياتهم المعاشية واووهم في بساتينهم وفي منازلهم مجاناً

يستفاد من الاخبار الواردة من لبنان ان الدروز اعتدوا على راشيا وحاصبيا وقد هجموا على الاولى خدعة واضرموا فيها النار بعد ان نهبوها وارتكبوا فيها الفظائع كحرقهم البيوت بسكانها وان الجنود التركية المرابطة هناك لم تكتف باهمالها حمايتهم بل انها قفلت ابواب الثكنة ودار الحكومة بوجه المسيحيين الطالبين الالتجاء اليها . ان عدد القتلى لم يعرف بعد وقد لجأ مائة وخمسون مسيحي الى دمشق .

اما في حاصبيا فان عاملها الامير سعد الدين وهو من فرع الاسرة الشهابية المسلم قد تمكن بمساعدة الجنود الغير النظامية المرابطة فيها من صد الدروز عنها وهو معادٍ لهم .

وقد هوجمت ايضاً قرية رشميا قرب دير القمر ونهبت وهي واقعة في حكم بيت عبد الملك فان هؤلاء المشايخ وعدوا اهل هذه القرية بحمايتهم ولما اطمأنوا بالاً كاهل راشيا فاجأهم الدروز فقتلوا منهم ثلاثة في بدء الهجوم .

لقد زارني أمس مطران جزين الماروني وقد كتبت لهُ النجاة في لوح الحياة فوصف لي ما حل من الشؤم بتلك البلدة المارونية وبناحية جزين باسرها وهي واقعة في اقطاعة المشايخ الجنبلاطيين واخبرني ان الدروز بعد ان اعطوا الضمانات الشفاهية والخطية تأميناً للسكان هجموا على قضاء جزين في اول الجاري وحرقوا قراه وشتتوا شمل اهليه فلاذوا بالاحراج والكهوف مختبئين وهم قيد خطر الوقوع في ايدي العصابات الدرزية وجيرانهم الشيعيين فبناء على طلب المطران المشار اليه واجابةً لداعي الانسانية كتبت الى سعيد بك جنبلاط حاثاً اياه على ان يجمع هذا الشعب التعس ويمكنه من الالتجاء الى مكان أمين .

لما كان قد وردت اخبار سيئة عن حالة صيدا وصور رأيت ورصفائي والضابط مانسل مناسباً ان تعود البارجة « فيريفلي » الى صيدا ثانية ثم الى صور نظراً لما يرجى من وجودها من التأثير الادبي . وعليه سافر الضابط السابق الايماء اليه في الليلة المنقضية وعاد اليوم حاملاً اخبار الطمأنينة عن المدينتين المذكورتين وقد لقي كثيراً من المسيحيين الهاربين فأغاثهم واخبرني احدهم انه يوجد زهاء ستماية الى سبعماية لاجيء من جزين مختبئين في الكهوف والغابات على مقربة من صيدا قد نفذ زادهم فامسوا عرضةً للموت جوعاً فكتبت الى ارباب السلطة التركية ملحاً باتخاذ الوسائل الكافلة انقاذ هذا الجمع السيء الطالع .

ملحق : ان الدلائل اليوم تدعو الى الامل بعودة مياه الراحة الى مجاريها فقد وقف القتال منذ يومين وخورشيد باشا يسعى بنفسه لتقرير الامن (عدد ١٠ ص ١٧ – ١٨)

٤١- وصله اليه بتاريخ ١١ منه

اتشرف فانبئكم بان قنصل الروسية العام أرسل إليَّ يخبرني بانهُ بينا كان قنصل دولته في دمشق عائداً إلى مقرّهِ عن طريق زحلة انفذ منها رسولاً ينبئه بحالة تلك المدينة والرسول يحمل عرائض مطارنة زحلة واهاليها الى القناصل العامين التماساً لتوسطهم في انقاذ المدينة المهددة بهجوم الدروز وانك تجد في طيهِ صورة عن عريضة الاساقفة تماثلها تقريباً وقد رفعوا الى خورشيد باشا مثلها .

اني اجابةً لرغائب رصفائي في عقد اجتماع قنصلي للتفاوض في الاخبار التي تلقوها من زحلة دعوتهم للانتداء في دار القنصلية . فاقترح الكونت بتيڤوليو انفاذ كتاب اجماعي الى خورشيد باشا تُلقى فيهِ عليه تبعة اغفال انقاذ زحلة فرُدَّ اقتراحه. وبعد جدال وجيز أجمع الرأي على انفاذ تحرير الى الباشا مقصور على ابلاغهِ تحارير الاساقفة واستلفاته الى حالة زحلة واهليها . وفي طيهِ صورة كتابنا وترجمة جواب خورشيد باشا . واني اتشرف أيضاً بان ارسل إلى سعادتكم ترجمة كتاب ارسلهُ إليَّ بطريرك الموارنة واساقفته مع نسخة من الكتاب الذي بعثوا بهِ الى الباشا بشأن حالة المسيحيين الحاضرة في لبنان . (عدد ١٢ ملحق ١ ص ١٩)

٤٢- كتاب بطريرك الموارنة واساقفته الى خورشيد باشا بتاريخ ١٠ منه

ان عبيدكم الموقّعين أدناه بغنىً عن الامتداح من همة دولتكم الناهضة باسراعكم الى معسكر الحازمية لقمع القتال الهائل الذي نشب بين المسيحيين والدروز فذهب بالنفوس والاموال وجرَّ الى حرق البيوت وقد رفعنا قياماً بالواجب صلواتنا الحارة الى القدير المتعال مبدع الكائنات ليقي شخص دولتكم ويكلل مساعيكم بالنجاح لنستمرّ مستظلين بوارف ظلّ حمايتكم وقد شئتم دولتكم منذ عشرة ايام بالاتفاق مع قناصل الدول المتحدة ان تذيعوا اوامركم في الطائفتين لتلتزما جانب السكينة

وحدود نواحيها بحيث يسهل انعام النظر في فصل الخلاف ومعاقبة الجناة وتعيين التعويضات وفقاً للعدالة . فكررنا تنبيهاتنا ونصائحنا لجميع المسيحيين بان يخلدوا الى السكينة متحاشين كل ما من شأنه ايقاد نار القتال واعادة الاضطرابات فانقاد جميعهم إلى نصائحنا وأبدوا الخضوع اللازم لاوامركم الشريفة ومن ذلك الحين حتى الان لم يأتوا أقلّ عملٍ يجرُّ إلى الخلاف او الى احداث أدنى اضطراب وانما ظلوا حلس بيوتهم وفي اماكن بعيدة عن ساحات القتال منتظرين انجاز وعودكم بمعاقبة الجناة وبالتعويض عليهم . بيدَ ان الدروز فعلوا عكس ذلك فانهم بعد اذاعة اوامركم بالاتفاق مع القناصل هجموا على مسيحيي قضاء جزّين الصغير بينا كان هؤلاء مطمئنين في بيوتهم وغدروا بهم وقتلوا جميع من اتصلت اليهِ ايديهم رجالاً ونساء وأولاداً وكهنة ورهباناً وراهبات ونهبوا الاموال وحرقوا الاملاك والكنائس والاديار وشتتوا شمل الاهالي .

وفي الوقت عينه أتوا ذات الفظائع في دير القمر بينا كان سكّانها ساكني البال في بيوتهم وأخذوا ينهبون سائر المسيحيين القاطنين بين الدروز في الاقاليم الثلاثة ويدمرون بيوتهم ويطاردونهم وأتوا مثل ما تقدم في الشوف وغربي البقاع والعرقوب والمناصف والشحار والجرد والغرب وسهل بيروت والمتن. وهم مواصلون اعتداءاتهم التي أمست لا تطاق . وعدا ما تقدم فقد ثبت اليوم انهُ خلا جماهير الدروز المتألبة في قضاء المتن للزحف إلى الامام فان دروز انطيلبنان ذاتهم وولاية دمشق يزحفون على زحلة قصد حصرها واضرام نار القتال فيها .

لا شك ان كل هذا مناقض لارادة دولتكم ورغائبها . اذ ان غوائل هذه الحالة تجرّ الى خراب عام والخسائر تلتحق خاصةً بسلطان البلاد ظلّ الله على الارض « أيّد الله اركان دولته وأبّدها »

ولقد اقدمنا على رفع هذه العريضة رجاء ان تنظروا بعين الاهتمام الى هذه

الحوادث الخطيرة وبأن توقفوا تيار هذه الشرور وتتخذوا الوسائل اللازمة لمعاقبة المعتدين لان السلطة المخولة لدولتكم تمكنكم دون غيركم من حقن الدماء التي يخشى اراقتها ومن منع تخريب الاملاك وهذه من وظائف دولتكم المعهود بها اليكم لان على كل راعٍ ان يصون رعيته (عدد ١٢ ملحق ٢ ص ١٩ ـ ٢٠ ودي تستا ج ٦ عدد ٢٨ ص ٧٣ ـ ٧٤)

٤٣ – رسالة اساقفة زحلة الى القناصل العامين بتاريخ ٩ منه

بعد الترجمة : المعروض لا بدّ من ان يكون بلغ مسامعكم ان الدروز أقدموا على ابادة مسيحيي الجبل وسائر المدن وتخريب أملاكهم بحيث أمسى هؤلاء محرومين من كل حاجيات المعيشة وقد تحقق لنا الآن ان جمهوراً كبيراً من دروز حوران وحاصبياً وراشياً وغيرها من المدن سيأتي لنجدة اخوانهم اللبنانيين بقصد مهاجمة مدينة زحلة وتخريبها وانهُ بعد يومين أو ثلاثة ايام يجتمع شملهم في جوارنا .

ان بعض دروز لبنان مرابطون الآن في مدينة تبعد ساعتين ونصف من هنا . فنناشدكم بغيرتكم المسيحية ان تهتموا بنا وتبذلوا جهدكم لدى الحكومة لمنع هذا الاعتداء عن خدامكم سكان زحلة لانهُ اذا لا سمح الله خربت هذه البلدة لا يبقى اسم للمسيحيين في هذه البلاد فالعدو يوجه عنايته لتدميرها تحقيقاً لهذه الامنية لان جميع سكانها هم مسيحيون ويمهد للدروز سبيل الاستيلاء على كل املاك المسيحيين في هذه البلاد . ونحن نكرر رجاءنا لتوجهوا اهتمامكم عاجلاً لمنع الاعتداء والاغتصاب المنويين واننا مسلّمون لفطنتكم بعمل ما ترونهُ مناسباً

التواقيع

باسيلوس مطران زحلة على الروم الكاثوليك. ومتوديوس مطران صيدنايا على الروم

(عدد ١٢ ملحق ٦ ص ٢٢ . ودي تستا ج ٦ عدد ٢٥ ص ٧١ ـ ٧٢)

٤٤ – رسالة بطريرك الموارنة وخمسة من اساقفته الى مور القنصل العام في ١٠ منه

بعد الترجمة : من مطالعة صورة العريضة المرسلة في طيهِ وقد رفعناها لدولة المشير تقفون على تفاصيل الكوائن الحالية ويتضح لكم ان المسيحيين اقاموا دليلاً قاطعاً على خضوعهم لاوامر دولته وانقيادهم الى نصائحكم بتحاميهم كل اشتباك في قتال او عداء في حين ان الدروز فعلوا العكس وليس في نيتهم ان يعدلوا عن حركاتهم العدائية التي أمست لا تطاق . فاستغربنا تجرؤهم على اتيان هذه الاعمال المخالفة لاوامر الحكومة وسكوتها عن اعمالهم الجهارية وتجاوزهم الحد فيها ! ولمّا كان قد اغمض علينا كشف هذا المعمى جئنا نبسطه امامكم . وفيما نحن واثقون ان غيرتكم ومروءتكم تدفعانكم لتدارك هذه الشرور وهذا الخراب وقد استفحل أمرهما نسألكم ان ترمقونا بعين الاهتمام وتتخذوا أقوى الوسائل لمنع البلايا المتزايدة التي تهددنا بخراب عام يتعذر أصلاحه واننا لموقنون بان هذه الاستغاثة لا تذهب سدًى ونكرر لكم تأكيد احترامنا . الخ . (عدد ١٢ ملحق ٥ ص ٢١ ودي تستا ج ٦ عدد ٢٧ ص ٧٢ ـ ٧٣)

٤٥ ـ كتاب القناصل العامين الاوربيين في بيروت الى خورشيد باشا بتاريخ ١١ منه

نتشرف بان نرسل لكم في طيه نسخة من الكتاب الذي تلقيناه من اساقفة زحله ونسألكم بالحاح سرعة الاهتمام بحالة المدينة المذكورة واهاليها .

التواقيع

ن . مور قنصل انكلترا . بيجر قنصل الروسية . الكونت بونتيفوليو قنصل فرنسا . وكبكر قنصل النمسا . وبر قنصل بروسيا. (عدد ١٢ ملحق ٣ ص ٢٠ ودي تستا عدد ٢٩ ص ٧٤)

٤٦ــ محمد فورشيد باشا والي ايالة صيدا الى القناصل العامين
بتاريخ ٢٣ ذي القعدة سنة ١٢٧٦ و١٢ مزيران سنة ١٨٦٠

بعد الترجمة : طالعت كتابكم الاجماعي وقد وصل اليّ وانا في المعسكر وقرأت ايضاً عريضة اساقفة زحله الملحقة به .

فلا يغبى نيرتكم وحبكم العدالة اني لم اغفل اتخاذ ما استطيعه من اسباب التحوط درءاً للفتنة المشتعلة في الجبل . أجل لقد اتصل بي منذ يومين ان دروز حوران زاحفون على البقاع قصد مهاجمة زحله وتدميرها . وقد انضم اليهم زرافات من دروز سائر الاماكن في ايالة دمشق . فاذا صح هذا الخبر فانه ليس فقط يغلي مراجل الاضطرابات والعداء ويعقم المساعي التي بُذلت حتى الآن في سبيل تسكين فائرها بعد ان بدت تباشير حسن نتائجها بل يثير نار القلاقل من ربضتها بأشد مما كانت وفي ذلك مخالفة للارادة السنية . فهذا لا يُسمح بجدوثه بيدَ أنهُ لما كانت بلادا حوران والبقاع خارجتين عن دائرة سلطتي في نطاق ايالة دمشق فان مداواة أمرها عائدة الى دولة مشير جيش عربستان ووالي هذه الايالة . وقد كتبت الى دولته مع خصيص حضاً لهُ على استعمال اقوى الوسائل لمنع هذه الجماهير من اتيان هذه الاعمال المستفظعة وانذارهم بالعودة الى بيوتهم فان ما عُرفوا به من حسن الانقياد لاوامر الحكومة يبعث الامل حياً على ان هذه التحوطات تكون كافية لايقاف زحفهم وتراجعهم . ومن ثم فقد عُوّل على ذات التدبيرات التي تذرع بها هنا لاعادة الجماهير الى محلّاتها وزيادةً عما تقدم فقد أذيعت النشرات الشديدة اللهجة والنصائح المنخولة لمنع دروز هذه الجهات من الخروج خارج بلادهم ولتحاشي كل عمل عدائي من الان وصاعداً لازمين بيوتهم . فعسى ان تكون هذه التحوطات موافقة لِما اتفق عليه ونرجو من مراحمهِ تعالى ونضرع اليهِ بان يكلل هذه الوسائل بالنجاح

ويظهر منافعها. (عدد ١٢ ملحق ٤ ص ٢٠ – ٢١)

٤٧ – صور الى السير بولفر في ١٣ منه

اتشرف فانبئكم بان قد وصلت أمس الى هنا البارجة الانكليزية « غلانت » قادمةً من ثغر بيره بقيادة الربان لامبير وذلك على أثر الانباء البرقية التي انتهت اليكم من ازمير عن اشتعال نار الفتنة في هذه البلاد وقد قدم ايضاً هذا الصباح من الثغر المذكور البارجة الفرنساوية « زينوبيا » معقودة اللواء على القومودور لارونسيير لي نوري قائد الاسطول الفرنساوي في الشرق ومعها السفينة «لاسانتينيل» التي ارسلت من بيروت قُبيل اشتعال جمرة الحرب الاهلية كما اخبرتكم في حينه وقد ذهبت هذه السفينة الاخيرة صباح اليوم الى صيدا وصور نظراً لحراجة الحالة في البلدتين المذكورتين. (عدد ١٢ ملحق ٧ ص ٢٢)

٤٨ – ومنه اليه في ١٦ منه

ان وصول عصابات من دروز حوران وعربها وذعر مسيحي دمشق الشديد من قيام المسلمين عليهم وخوفهم من انضمام قبائل عرب البادية اليهم وهي منحشرة حوالى المدينة طمعاً بالاسلاب وقصد ابادتهم قد البست الاضطرابات المجتاحة هذا القسم من البلاد السورية ثوباً جديداً قاتماً. وعندما انتهى الينا رسول خاص بانباء دمشق المقلقة قصدت ورصفائي في الليلة المنقضية خورشيد باشا الى معسكره فاخبرنا بانه سمح للمسيحيين المحتشدين في بكفيا وعددهم خمسة الاف ان يبقوا فيها بسلاحهم وانهُ سيصدر امره باعادة السلاح الى من يريد من المسيحيين اللاجئين الى هنا العودة الى الجبل انضماماً لاخوانهم وانه سيرسل خمساية جندي نظامي لنجدة زحله وانه انفذ الاوامر الجازمة الى زعماء دروز لبنان بالاَّ يبدوا أقلَّ حركة. وقد ارسلت الجنود اليوم الى زحله حيث دروز حوران يضيقون عليها حلقات الحصار ويأتون

فظائع تقشعرّ لها الابدان بعد ان خربوا كل شيء على طريقهم ودمّروا حاصبيا وراشيا وقتلوا المسيحيين والمسلمين والعمال المسلمين (الامراء الشهابيون) وانسباءهم بما فيهم الشبّان

وفي ١٣ الجاري حدثت واقعة خارج زحله استمرت ساعات على انها انتهت دون نتيجة فاصلة لان الفريقين انسحبا الى مواقعهما : ومن ذلك الحين لم يتصل بنا خبر حصول معركة جديدة .

يقال ان في زحله سبعة الاف مقاتل وموُونة كافية من الحبوب والذخائر الحربية فاعتقد انها ستقاوم طويلاً محاصريها إلاّ اذا انضم اليهم دروز لبنان أو خانت الجنود التركية التي ارسلت الى هناك . فاذا ما استولى الدروز على هذه المدينة وهي حصن المسيحيين الاخير يجتاح الاولون كل لبنان ويخربونه أجل انه يتعذر التكهن عن النتيجة على ان الرأي العام مجمع على انه اذا سقطت زحله في يد محاصريها يتمهد لهم الاستيلاء على دمشق بمساعدة العصابات التي انضمت اليهم .

وصلت ليلة أمس من مالطة البارجة الانكليزية « موهاك » بقيادة القومودور وست وقد افادني الاميرال مارتين انه سيتبعها بارجة كبيرة . (عدد ١٢ ملحق ٨ ص ٢٢ – ٢٣ ودي تستا عدد ٣٠ ص ٧٥)

٤٩– القنصل برانت الى اللورد جون روسل عن دمشق بتاريخ ١٨ منه

اتشرف بان ارسل لكم في طيهِ رسالتين رفعتهما إلى سفير جلالة الملكة لدى الباب العالي . وقد اتصلت بي بعض تفاصيل من مصدر موثوق بهِ عن حوادث حاصبيا وراشيا وهي :

ان دروز حوران بقيادة اسماعيل الاطرش دمّروا مدينة راشيا وأهلكوا القسم الاعظم من سكانها المسيحيين الذكور مع بعض اعضاء من اسرة الامراء حاكميها وذبحوا بعض النساء وهنّ يحاولنَ انقاذ أولادهنّ . بيدَ انهُ يظهر انه لم يكن في النية

قتل النساء . ان الاولاد الذكور الذين يتراوح عمرهم بين السادسة والثامنة وما فوق قد طوردوا وقُتلوا وعفي عن الاطفال . أما الجنود فلم تحاول حماية المسيحيين الذين لجأوا الى هنا تاركين وراءهم أموالهم وذخائرهم وقد حملها اليهم فيما بعد الاشخاص الذين أرسلهم المشير .

ان اسرابًا من النساء وأولادهنّ جاءوا دمشق ففتح اكتتاب لمساعدتهم إذ ليس عليهم سوى الثياب التي هربوا بها وأغلبهنّ ارامل أو بنات ليس لهنّ ازواجٌ أو اولادٌ أو اشقاءٌ لمساعدتهنّ . ان الاموال التي يمكن جمعها ستخصص لاعانة هذه الجماهير وتكاد لا تكفيها واعتقد اني لا ألام اذا كنت انتظر من جود حكومة جلالتها مدّ يد السخاء إلى اغاثة هؤلاء المنكوبين

أمّا في حاصبيًا فان الاشخاص الذين ارتكبوا الاعمال المستفظعة الموبقة هم علي بك حماده « كاخية » سعيد بك جنبلاط الزعيم الدرزي في المختارة والشيخ كنج عماد مأمور الحكومة في البقاع وكان قد ارسله المشير لحماية اسرة الامراء (الشهابيين) والمسيحيين فقبض على سبعين شخصًا وذبحهم على مقربة من حاصبيًا .

ويقال ان في اليوم الاول من معاودة الدروز الهجوم أحسن عثمان بك قائد الجنود التركية السلوك وأطلق النار عليهم على انه كان في الليلة السابقة ابلغ الامراء والمسيحيين ان يسلموا أسلحتهم لان الدروز لا يمسونهم فجمع السلاح وأرسلهُ على بغال إلى دمشق دون حرس فاستولى عليهِ الدروز عند خروجه من حاصبيًا .

ان الانباء الاولى عن مقتل جميع أسر الامراء والمسيحيين بأجمعهم لم تثبت والحقيقة ان قد قتل خمسة أو ستة من الامراء وبعض مئات من المسيحيين المنكودي الحظ والباقون لجأوا إلى دار السيدة نايفة شقيقة سعيد بك جنبلاط وهي ارملة مقيمة في حاصبيًا قد لاذ كثير من المسيحيين بدارها وطالما هم فيها فيبقون آمنين لكنها لا تتمكن من اعالتهم حتى اذا خرجوا ذُبحوا في الحال ومن الشائع ان عدد الملتجئين

بين أسر الامراء والمسيحيين يناهز المائتين. لقد بلغ دمشق سبعة أو ثمانية من المسيحيين وأميران بمساعدة بعض دروز حاصبيا لقاء مكافأة مالية كبيرة.

قد سألت الباشا تكراراً ان يرسل حرساً ليأتي بشعب حاصبيا وراشيا فعللني بالوعود الفارغة ولم ينجز وعده وهو ينتظر انتهاء هذه الفاجعة فيحتج إذ ذاك بفوات الفرصة. وقد قال دولته انهُ أمر مصطفى باشا ان ازحف من حوران لنجدة حاصبيا فالتمس مشايخ الدروز بقاءه وجنوده والاَّ اضطرُّوا لمرافقتهِ خوفاً من ان تنهبهم العرب اذا بقوا وحدهم هناك. ولهذه التعللات تُركت حاصبيا وشأنها. وقد طُلب الى الباشا ايضاً ان يعزز حامية بعلبك الضعيفة فوعد بارسال بعض الفرسان ولكنه اخلف فنهبت اسرة حرفوش ومعها ماية فارس من اتباعها المدينة المذكورة. فدولته يعدُ حيناً الاهالي سكان المدينة بضمان حياتهم وان لا خوف عليهم ثم لا يعتم ان يبدل لهجته وهذا من شأنه تحقيق المخاوف من معاودة المسلمين الكرَّة على المسيحيين أو تجرء الدروز على مهاجمة المدينة والظاهر ان سلوكه غير مبني على خطة مقررة فهذا التردد يثبط عزائم المسلمين والجنود والمسيحيين أيضاً بالسواء ويؤيد اعتقاد البعض بان دولته يرغب في ابادة المسيحيين غير مهتم بانقاذ المدينة لانه موطد العزيمة على الاعتصام في القلعة حتى اذا ما استولى الدروز على المدينة دمَّرها بكلل المدافع. على اني لا استطيع ان اقطع فيما إذا كان لهذا الاعتقاد اساس في غير مخاوف الشعب. بيدَ ان الريبة بدولتهِ سائدة على افكار الجميع.

ان القناصل انتدوا واستقرّوا رأياً على تقديم كتاب اجماعي إلى الباشا ليسمح بان يعقد المجلس الكبير جلسة عامة يحضرها ارباب السلطة العسكرية للنظر في الذرائع الآيلة الى وقاية المدينة فاستصوب المسلمون أصحاب النفوذ في المدينة واعضاء المجلس هذا الرأي. وفي اعتقادي ان لا خوف من ان يسيء المسلمون معاملة المسيحيين واذا ما تصرَّف الباشا بحزم ولباقة لا يبقى من اثر للخوف. واذا

ما حدث أدنى شرّ فلا بدَّ من نسبتهِ إلى سوء تصرف دولته . (عدد ١٣ ص ٢٣ ـ ٢٤)

٥٠ – خلاصة رسائل (١) يعقوب ايلا فيس قنصل انكلترة في صيدا الى مور القنصل العام في ٢ منه

يوجد الآن زهاء مائتي شخص لاجىء الى بيتي وبيت اخوتي على انه ليس فيهما محل كافٍ ليرقدوا وقد أُخبرت بانه عثر في أحد بساتيني على خمس عشرة جثة فيها جثتا كاهنين وقد قُتل أيضاً شريكي في معمل الحرير في البستان المذكور ونهب الجناة ماشيتي وحريري وفيالجي ويتعذر عليَّ معرفة مقدار خسائري والخسائر التي التحقت برعايا جلالتها .

في ٣ منه – اتصل بي في هذا الصباح ان أبا سمرا غانم ومعه خمسماية شخص موجود على مسافة ساعة من جنوبي بساتين المدينة يقصد الالتجاء الى هنا ومن الشائع انه لم يسمح لهُ وقد اخبروا بان مهردار قضاء جباع طرد من جزين كل اللاجئين . ان قاسم يوسف ومسلمي القرى والمدينة يطاردون الآن كل مسيحي يصادفونه في سهل صيدا ويقتلونه . فالسيف مسلول على كل من يدين بالمسيحية . ان الحرب لاتنتهي بترك السلاح بل ان العزائم معقودة على ابادة جميع الجبليين الذين يعتقدون بالمسيح . من الشائع انه على أثر معركة اول أمس التي لم يُقتل فيها احد من المسيحيين وجد في سهل صيدا اكثر من ثلاثماية جثة مذبوحة ذبح الانعام . ماذا يستطيعه هؤلاء المسيحيون المنكودو الحظ ؟ فلا يمكنهم الالتجاء الى صيدا ولا يسمح لهم في البقاء في نواحي المتاولة والدروز يذبحونهم ذبح النعاج حتى على

---

(١) ترجمها عن أصلها الايطالي الى الانكليزية جس فين قنصل انكلترة في القدس

ابواب صيدا في حين ان مأموري الحكومة التركية وضباطها ليس فقط لا يهتمون بأمر هؤلاء الرعايا الكثيري العدد بل على ما يظهر يمهدون السبيل للدروز والمسلمين لقتلهم . وقصارى القول ان السيف مسلول خارج المدينة والرعب والذعر سائدان في داخلها. ان المسيحيين مختبئون في بيوتهم وقد سافر رصيفي قنصل الروسية باسرته وانسبائه الى بيروت كما اخبرتكم وانا لا أزال انتظر أقوى وسائل الحماية لي ولرعايا جلالتها لانقاذ هؤلاء الاشخاص المنكودي الطالع المعرضين للهلاك قتلاً او جوعاً .

لا يجسر أحد على الخروج لدفن الموتى وقانا الله من شر انتشار الوباء.

وفي هذه الحالة لا استطيع شيئاً غير الاستعانة بصداقتي الشخصية مع مأموري الاتراك والمسلمين في هذه المدينة لمساعدة هؤلاء المنكوبين وانا انفق عليهم من مالي الخاص على انه لا يسد عوزهم

في ٥ منه — اتشرف فانبئكم بان الضابط مانسل ربّان الباخرة «فيريفلي» وقد وصل الى هنا الساعة الثالثة بعد ظهر الاحد سلمني رسالتكم المؤرخة في ٣ الجاري وقد اجتمع الضابط بالمدير واعضاء المجلس والقائد العسكري . فكتبت ومدير صيدا الى قائم يوسف فجاء صباح الاثنين وبعد ان القينا عليهِ النصائح اللازمة وقّع تعهداً على ذاته تجدون نسخة منه في طيّه وقد سلم هذا التعهد الى الضابط مانسل وهذا سافر أمس بعد الظهر بنصف ساعة . وقد كتبت ايضاً الى سعيد بك جنبلاط وارسلت له نسخة تعهد معتمده المذكور راجياً اليه ان يستعمل كل الوسائل لانفاذ مضمونه .

وقد سمعنا منذ أمس بتلاطم امواج الاضطراب على انه لم يتصل بنا سوى حصول خمس جنايات في قرية عاريه .

وقد قدّر كثيرون ان عدد القتلى يتجاوز الثلاثماية بين رجل وامرأة وولد وراهب وراهبة ويؤكدون ان مرتكبي معظم هذه الجنايات هم مسلمو صيدا وقد فعلوا

ذلك تسليماً وانقياداً لتعصبهم . لا شك ان دم هذا الشعب المسيحي يصرخ الى الله طالباً الانتقام وحتى الان لم اتمكن من تقدير الخسائر التي ألمّت برعايا جلالتها

وفي التاريخ ذاته — في طيهِ كتابان أرسلهما اليَّ سعيد بك جنبلاط مع ملحقيهما . لم ترد عليَّ تفاصيل عمَّا جرى في جزّين بل شاهدت جماهير كبيرة آتية الى صيدا ولما لم يؤذن لها بالدخول عاد فريق منها لجهة بلاد المتاولة ولبث الفريق الاخر في سهول صيدا حيث يقاسون أمرَّ العذاب

في ٦ منه — ورد عليَّ تفاصيل جديدة عمَّا سبق لي بسطه . ذلك انهُ لمَّا رؤي ان الحرب على قاب قوسين أو أدنى أخذ اعيان صيدا والمدير واعضاء المجلس يتأهبون للدفاع كأنهم اوشكوا ان يُهاجموا . ثم كان ان أذيع بين المسلمين سرًّا ان المسيحيين سيأتون يوم الجمعة في أوّل الجاري الى الجامع اثناء الصلوة ويقتلون جميع من فيه . وبناء على هذه الاشاعة أحجم كثير من المسلمين عن المجيء اليهِ وتسلح المفتي والقاضي وغيرهما من اعيان الشعب لردّ هجوم الاعداء المزعومين . ويقدّر ان الدروز اذاعوا هذا الخبر كي لا يسمح للمسيحيين بدخول المدينة فيتسنى لهم ابادتهم وقد تبودلت الرسائل العديدة بين قاسم يوسف والمسلمين في هذا الصدد . ثم حدث ان نهار الجمعة اشتبك المسيحيون والدروز في معركة وبما ان المسلمين أمسوا يعدّون المسيحيين من ألدّ اعدائهم كما سبق لي القول فلما كسر المسيحيون تراكض المفتي والمدير وسائر الزعماء الى ابواب المدينة صارخين « طاردوا الكفار واحموا المدينة ! » فتسلح عامة الشعب المسلم وخرجت الجنود بحجة حماية المدينة من العدو الوهمي المفاجيء . وقد أكد لي كثيرون من المسيحيين ان الجنود المذكورة قتلت كالمسلمين عدداً غفيراً من المسيحيين عند ابواب المدينة على مرأى من زعماء المسلمين الذين كانوا يحرضونهم على الذبح . وبعد هذا اشترك جمهور المسلمين مع من خرج منهم الى خارج المدينة في قتل الفارين منعاً لهم من دخولها ولو عُزِلاً من السلاح

فكانوا يقعون في ايدي الاشقياء المنتشرين في السهل يسلبونهم ويقتلونهم ويغتصبون نساءهم مقترفين كل أمر مستفظع .

لقد ثبت ما اخبرتكم بهِ من ان قد مُثِّل في قتل الرجال والنساء والاطفال وان عدد القتلى يتجاوز الثلاثماية فيهم فلاحون ورعاة في سهل صيدا كانوا عائدين الى المدينة عزّلاً وآخرون فعلة يجهلون ما هو جار فقتلوا على حين غرة . اما في داخل المدينة فلم يقتل احد بيدَ ان المسيحيين شديدو القلق اذ لا بدَّ للمسلمين الذين يأتون الى خارج الاسوار لقتل المسيحيين من ان يسقوهم ذات الكاس في داخل المدينة

وفي التاريخ ذاته — لقد ارسل رئيس دير المخلص يخبرني بان الدروز لم يكتفوا بنهب ديره وحرقه بل خربوا اليوم الكنيسة . ان كثيرين من مسيحيي قرية عازور اللاجئين الى ناحية جباع قد اغتروا أمس بوعود بعض الدروز ان يجيروهم في قرية المجدل وفي هذا الصباح قتل الدروز المذكورون اربعة منهم ولا يعلم ما حلّ بالباقين . ومجمل القول ان ظلّ الامن مقلصٌ من البلاد

وفيه ايضاً — عند الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم استولى الجزع على هذه المدينة فان المسلمين بين متقلدٍ سيفاً وحاملٍ عصاً أخذوا يركضون في الطرقات صارخين « ان المسيحيين آتون ! » فاقفل المسيحيون حوانيتهم واعتصموا في بيوتهم واستمرَّ الاضطراب سائداً اكثر من نصف ساعة ثم عُلم منشأه فان بعض الفرسان الغير النظاميين اثناء ذهابهم من صور الى بيروت اطلقوا بنادقهم فتوهم انهم المسيحيون الجبليون وبلغ الجزع والذعر أقصاهما فكتبت الى المدير كتاباً في طيه نسخة منه

وأرى انه اذا ما تكرر حدوث هذا الذعر في صيدا فتسوء الحالة فيها كثيراً . ان المدير والمفتي والقاضي واعضاء المجلس كلهم سواء في اغفال اتخاذ التحوطات الواقية من هذه الشرور .

وفي ٧ منه — اتصل بي الآن ان قاسم يوسف ذهب مع ولده الى المختاره فلم يخرج احد الى خارج المدينة وعلمت ايضاً ان درزياً اختطف امرأة مسيحية على بعد خمسة دقائق من باب المدينة بيدَ انهُ بناء على توسط الكثيرين اطلق سبيلها ولا يزال الدروز يرتكبون الجنايات في الانحاء المجاورة وخُبرت ايضاً بان المسيحيين الفارين من جزين وقد مُنعوا من دخول صيدا قصدوا بلاد المتاولة أنزلت بهم ضروب الافتيات والنهب بحيث اضطروا الى التراجع لجهة بلادهم واختبأوا في الغابات والكهوف . أما اللائذون بصيدا فيعوزهم الطعام والمال والمأوى فاذا ما استمرت الحالة على ما هي فلا ريب ان الجمع العظيم يهلك عن آخره . ان المدير لم يجبني على كتابي الذي أنفذته اليهِ أمس وانما سمعت انهُ قبض على اثنين أو ثلاثة من رعاع الناس واوباشهم . ان هذا غير كافٍ بل عليه ان يقبض على جميع الذين حملوا السلاح في خلال الاضطراب .

وفي ظهر اليوم المذكور — قلت ان رئيس دير المخلص لم يشأ ان يخبرني عن مكان وجود الكاهن اسطفان وعن الشعب المختبئ معه في الغابات على بُعد ثلاث ساعات من صيدا الاَّ على شرط ان اضمن لهُ سلامتهم من كل شرٍ خوفاً من ان يُقتلوا كما أصاب الرهبان وغيرهم الذين ذهبوا تحت حماية رجال الشرطة «والقواسة» فنُهبوا جميعاً أو جُرحوا أو قُتلوا على قاب قوسين من باب مدينة صيدا . فرغبةً في تخليص المذكورين سألت البكباشي ان يرسل إليَّ ببعض الجند النظامي فاعتذر بعدم امكان ارسال أحدٍ إلى خارج المدينة فخاطبت إذ ذاك اسمعيل بك قائد موقع صيدا قبلاً ورجوته ان يذهب بذاته مع بعض الاصدقاء بيدَ ان امير الاي اللواء الخامس نسيب اسمعيل بك لم يشأ ان يعهد اليهِ بهذه المهمة بحجة ان الدروز اذا كانوا يكرهون الكاهن المذكور فانهم يقتلونهُ ولو كان في حضن طاهر باشا وانه من جهتهِ لا يثق بوعود درزيٍ .

في ٨ منه — في طيهِ جواب المدير.

جاء بعد ظهر اليوم « خزندار » المشير يحمل الاوامر إلى كل طائفة بالاخلاد الى السكون والى الفلّاحين بمعاودة اشغالهم بيدَ انه لم يجسر أحد على ترك المدينة.

في ٩ منه — اذاع « الخزندار » هذا الصباح النشرة الواصلة في طيهِ.

ان الحكومة هنا تتظاهر بعدم التشيع لفريق دون آخر على انها ليست على شيء من النزاهة. ففي ٤ الجاري كانت وعدت الضابط مانسل بالافراج عن بعض اهالي الجبل المحبوسين هنا بدعاوٍ كاذبة وبعد ذلك أبت ان تبرّ بوعدها مع ان ثلاثة شهود في المجلس شهدوا ببراءة هؤلاء الاشخاص بحضور مدير الجمرك والضابط المشار اليه.

وفيهِ أيضاً — في طيهِ صورة عريضة الكاهن حنا عازر من جزّين المتجي إلى جباع وفيها يخبرني بما ذاق من الآلام المرّة ويسألني عن الوسائل التي تضمن ايصاله وجمهور المسيحيين المنتشرين في الجبال سالمين إلى أحد الشواطىء البحريّة

ان الدروز يواصلون في الضواحي اعتداءاتهم وارتكاب الجنايات والسرقات فيقيدون الرجال ويكرهونهم على افتداء حياتهم بالمال أو بتسليم جواهر نسائهم ويستكتبونهم وثائق بمبالغ يتعذر عليهم دفعها حال حياتهم وكثيراً ما يقتلونهم بعد هذه الاعمال.

ان كثيراً من الدروز جاءوا صيدا وقبضوا على شركائهم المسيحيين اللاجئين الى هنا وبعد ان أخذوا منهم مبالغ عظيمة قتلوهم. ان حمل السلاح في صيدا محظور على الجميع أمّا الدروز فيطوفون الاسواق شاكي السلاح

ان البارجة « فيريفلي » جاءت اليوم باكراً وذهبت إلى صور وعادت الساعة الواحدة ميممة بيروت وقد نخل الضابط مانسل نصائحه بخصوص حوادث نهار الاربعاء المنقضي.

وفيهِ أيضاً – أرسل رئيس دير المخلص يخبرني ان قد جاءه نهار الخميس الماضي حسين بركات الدرزي وأخبره ان سعيد بك جنبلاط أوفدهُ وخمسة من انسبائهِ لحماية الدير وفي الوقت ذاته يقول ان الدير نُهب ولم يُحرق منه سوى بعض غرفه وقد جمع الدروز في الكنيسة كل النوافذ الخشبية وسائر الادوات الخشبية الصالحة للاشتعال لكنه تمكن من اطفاء النار. وان حسام حسين بعد ان رقد في جون جاء هذا الصباح الى الدير فوجد على بابه امرأة قتيلاً وجميع آنية الكنيسة منهوبة وخصوصاً كاساتها الذهبية والفضية وعصا ثمينة مرصعة بالحجارة الكريمة والحلل الكهنوتية والكتب الكنسية والسجلات . وبجمل القول ان كل النفائس التي جُمعت في هذه الكنيسة منذ ١٧٥ سنة قد تناولتها أيدٍ درزيّة من عائلة أبي هرموش .

وفيهِ أيضاً – ارسلت نفراً من الضابطة مع قواستي فجاءوا بالراهب اسطفان شقيق سليم افندي ومعه ٥٩ مسيحياً واليوم ذهب سليم افندي وشقيقه الى ظهر البارجة « فير يفلي » .

وفي ١٠ منه – قتل دروز من بيت أبي شهلا ثلاثة من مسيحيي المجدل غير الذين قُتلوا نهار الاربعاء المنقضي في البلدة المذكورة . وفي الليلة المنقضية قتل الدروز مسيحياً في قرية السامريّة

ان الدروز لا يزالون يجوبون البلاد طالبين إلى المسيحيين فدية مالية ثم يقتلونهم. وفي هذا النهار دفعت قرية مغدوشه إلى عائلة شمس سبعة الاف قرش فديةً عن حياة اهليها. ان الدروز والمتاولة والاسلام يواصلون النهب والاعتداءات في البساتين الكائنة في ضواحي صيدا. ان ملحم بك قال « للخزندار » انهُ إذا اعطاه المجلس مضبطة وأمره سعيد بك فهو يحمي البساتين . لا مراء انه إذا لم يسد فيها الامن خربت عاجلاً . وصل من نابلس تابور من الجند النظامي وذهب إلى دير القمر .

وفي ١١ منه – أجابني « الخزندار » انهُ أرسل خمسة فرسان مع حسن آغا

لانقاذ اهالي المجدل بيدَ انهم لم يجسروا على الذهاب الى القرية المذكورة فعادوا إلى هنا وكان ان قتل جميع المسيحيين فيها . وقال لي أيضاً ان الدروز حرقوا هذا الصباح قرية عاريه وانه يتعذر عليهِ ارسال الجنود النظامية إلى تلك الاماكن على انه قد كتب أمس وسيكتب اليوم مجدداً إلى العامل بانه اذا لم يرسل جنوداً نظامية اوفر عدداً أو اذا كان لا يأمر سعيد بك بالمجيء بذاته لا امل بسيادة الامن بل يشمل الحريق ناحية جباع كلها .

وفي الساعة العاشرة صباحاً — سمعت اليوم ان الدروز اضرموا النار في غابات جباع لاكتشاف المسيحيين المختبئين فيها وقتلهم .

وفيهِ الساعة الواحدة مساء — ان مدير هذه المدينة أبدل بغيرهِ والجديد ليس بأقلّ تعصبٍ من سلفهِ وقد ارسل هذا المساء إلى بيروت سجني المسيحيين الذين سبق لي ان اخبرتكم عنهم وقد شهد ببراءتهم في المجلس بحضوري وحضور الضابط مانسل وغيره من الضباط والمأمورين ومدير الجمرك

ومن المقول ان المجلس والمفتي مستاءان من هذا الاخير لانه اكتشف السلاح والبارود المرسلين من مسلمي المدينة إلى الدروز وضبطها

لاي سبب لا يُعاقب جميع مسلمي صيدا الذين ارتكبوا الامور المستفظعة في اوائل هذا الشهر خارج المدينة ومعظمهم معروف من الحكومة ؟.

وفيهِ الساعة الرابعة مساء — نُبئتُ ان بعض المسيحيين الذين لجأوا الى الشيعيين فرُّوا بعد ان نُهبوا ومن الشائع انهم قتلوا منهم اكثر من ماية . ان الدروز وسائر الطوائف الغير المسيحية لمواصلة عدوانها على المسيحيين .

في ١٢ منه الساعة العاشرة صباحاً — ان دروز غريفي وجدوا احد عشر مسيحياً تائهين فسلبوهم امتعتهم واخذوها الى قراهم ثم قتلوا ثمانية منهم ولجأ الباقون الى هنا ويستفاد من اخبار الشيعيين ان اربعماية درزي جاءوا من الشوف الى جزين

وقتلوا ثمانية رجال واربع نساء .

وقتل الدروز ايضاً الياس سويدي وهو مسيحي من عاريه بينا كان ذاهباً بأمر سعيد بك لقطف فيالجه . ان المقدم محمد الشيعي جاء من كفرحونه الى قضاء جزين وقتل مسيحيين وسلب ١٣ رأس بقر و ٧٠٠ ضانة .

ان الدروز قتلوا مساء أمس خمسة مسيحيين في قرية سربا وحرقوا قرية جرجوع وكلتا القريتين واقعتان في ناحية جباع .

وفيه الساعة الثانية مساء — جاء أمس رافع عبد الصمد وبعض الدروز الى سهل صيدا ونهب جميع قطعان الماشية وقبض على رعاتها المسلمين فانفذت رجال الشرطة في الحال واكرهوه على اعادة ما يخص المسلمين منها أما التي تخص المسيحيين فلم تعد . ألم يكن في وسع هؤلاء الشرطة الذين تولوا انقاذ قطعان الماشية ان يذهبوا في اول الجاري وثانيه لانقاذ النفوس ؟؟ . ان الاضطرابات لمستمرة في سهل صيدا

وفيه الساعة السادسة مساء — في طيه كتاب من اهالي جزين الى المستر مور القنصل العام يتضمن الامتداح من حسن سلوك حسين بك متولي شؤونهم

وفي ١٣ منه الساعة السادسة صباحاً — في طيه تحرير من سعيد بك جنبلاط الى المستر مور وآخر من مسيحيي دير القمر القاطنين الآن المختاره الى ابرهيم افندي مشاقه ليسعى في وقاية مدينة زحلة من غارات دروز حوران المحصورة منهم .

وفيه الساعة العاشرة صباحاً — في طيه تحرير من اهالي جزين المختبئين في غابات جباع يصفون فيه ما قاسوه من ضروب القتل والجوع ويتلمسون عوناً .

وفيه الساعة الثانية مساء — وصل الى هنا رجل من حاصبيا وأخبرنا ان الدروز هاجموا هذه البلده ايام الجمعة والسبت والاحد المنقضية دون ان يستولوا عليها . وان ضباط الجنود التركية المرابطة هناك وقد اعلنوا بانهم يحمون ذمار

المسيحيين اطلقوا المدافع على الدروز وحشواتها فقط من البارود ويوم الاحد طلبوا الى المسيحيين ان يسلموهم جميع اسلحتهم لانهم يريدون اظلالهم بحمايتهم فاخذوا منهم ثمانماية بندقية وارسلوها مع مكارين دروز الى دمشق وصباح الاثنين بينا كان المسيحيون ممتنعين في قصر الامير تسلق الدروز جدرانه وقتلوا ثمانماية شخص على ما روي والضباط ينظرون اليهم غير محركين ساكنًا. بيدَ انه من الشائع ان محمد بك الاسعد وعد بحماية مسيحيي مرجعيون انما يقول الآن ان ليس لديهِ أوامر بحمايتهم وهم مسلحون (عدد ١٤ ملحق ٢ ص ٢٦ – ٣٢

٥١– المستر جونه هرفه قائد اليخت الملكي «كليمور» الى القنصل فين عن القدس بتاريخ ١٥ منه

اني اجابةً لطلبكم ارسل اليكم بتفاصيل ما فعلهُ اليخت «كليمور» في صور في ٩ و١٠ الجاري :

لمَّا كان لابدَّ من ان يغالى بما جرى هنالك وكان غير مرغوب في ان تتجاوز السفن حدود امتيازاتها بتدخلها في المسائل السياسية اراني سعيدًا بانتهازي هذه الفرصة المناسبة لاعلان حقيقة ما فعلته والاسباب الداعية اليه :

بينا كنَّا ملقين مرساتنا بين صور وصيدا شاهدنا عند صبح التاسع من الجاري البارجة «فيريفلي» ماخرة لجهة صور وعند الساعة العاشرة التقينا بها عائدة منها فاوقفنا سيرنا لمكالمتها وعلمنا منها ان الامن مستتب في ذلك الصوب.

ولمَّا اقتربنا من صور نحو الساعة الثالثة بعد الظهر رأينا العلامات التي لوحت لنا بها قنصلية اميريكا فنزلت الى البرّ ولقيت المستر عطا الله قنصل انكلترة واهالي المدينة المسيحيين في قلق عظيم من جرّاء ورود كتاب عليهم فور سفر البارجة «فيريفلي» مضمونه ان جمهورًا من الدروز ينوون الاغارة على هذه المدينة ليلًا.

فقال لي القنصل ان وصولنا ازال مخاوفهم ورغب اليّ بالحاح ان نلبث يوماً أو يومين ثم لان وجود السفن الانكليزيّة تحول على الارجح دون مهاجمة المدينة . ولمّا كنت اعلم ان سوق مثل هذه التهويلات أبان الحرب رائجة في الشرق مع ضعف اساسها رفضت اجابة السؤل محتجاً بضيق وقتي وبوجود اسرتي معي .

بيدَ انهُ عند الساعة العاشرة عاد القنصل الى ظهر الباخرة يصحبه جمهور من اعيان المسيحيين وأخبرني بأن قد ورد على مطران الروم تحرير آخر من زعيم الشيعيين يؤكد لهُ بهِ ان الهجوم سيتمّ هذه الليلة وينصحه بنقل النساء والاولاد الى السفن وارسالهم بحرًا . فاستحلفوني بالله الاّ اتركهم على هاوية هذا الخطر قائلين « اذًا كنت مسيحياً فافعل حباً بالمسيح » وانقذ من استطعت من النساء والاولاد وسألوني ان ادنو باليخت من الشاطيء ـ وقد كان منه على مسافة ميل ـ والقي مراسيه في مكان استطيع منه حماية ابواب المدينة . فلم يتسع لي التردد لان الكتاب صريح جلي ولهُ صفة رسمية نظرًا لموقف كاتبهِ والمرسل اليهِ . فقلت للقنصل ان يدون هذا الطلب خطاً ففعل وستصل اليكم نسخة منهُ من يافا .

فجاء القنصل برئيس المينا ليهدي سفينتنا الطريق وببعض فلك لقطرها لان البحر كان هادئاً . فالقيت مراسيّ على مرمى بندقية من المدينة الى جانب بعض السفن الوطنية وجعلت مقدمها وموخرها في موقف يمكنني من تسديد مدافعي الى جوانب كل فريق يزحف على المدينة بحيث تصيب الشواطيء وما وراها من الاراضي المنبسطة وحشوت كل مسدساتنا ووزعت البنادق وقذائفها على البحارة وخطبت فيهم فاجابوا أنهم مستعدون لاطاعة أوامري . وخلاصة القول انني اظهرت كل معدات القتال . وفي الوقت ذاته أفهمت القنصل ما يمكنني فعله وما لا يمكني واني وضعت اليخت في موقف يمكنه من منع كل فريق مهاجمة المدينة فامطره نار مدافعي وبنادقي . على أني لم اكتمه اني غير محق باطلاق النار لان الحكومة التركية

لم تسألني مساعدتها لا شفاهًا ولا خطًا ولاني أعجب كثيرًا بالدروز الذين اكرموا ضيافتي . وجل ما استطيعه قائم بتنبيه المسيحيين عند بدء الهجوم ليرسلوا كل النساء والاولاد الى ظهر السفن الوطنية التي سارسي بقربها واطلق النار على كل سفينة تقترب من هذه السفن بنية عدائية واني اقابل بالمثل كل طلقٍ ناري مسدد نحوهم من الشاطئ على شرط ان لا يكونوا هم البادئون بهِ واني لا ألو جهدًا لابلاغ زعيم الدروز كل ما تقدم والسعي الى مقابلته ومفاوضته . فاخبرني القنصل الانكليزي ان جمهورًا من النساء والاولاد لجأوا الى بيته فاعتصموا فيه يحميهم خمسون رجلًا تامي العدة وترأس هو ذاته جماعة وطاف بها انحاء المدينة الليل بكامله وان القائم مقام التركي ترأس جماعة اخرى لحماية المضيق

فانقضى الليل بكل سكينة وعند الصباح نزلت الى الشاطئ . وأشرت على القنصل بوجوب ارسال طلائع الى الجبل لاستكشاف الحالة فيه وبحجز جميع الفلك ووضع حامية قوية فيها . ثم ذهبت معه لارى اذا كان يمكن العمل سرًا لمواصلة تمديد الحائط شرقي المدينة في عرض مضيقها ثم عدلت عن هذا الرأي لصعوبة تحقيقه لان الارض كثيرة الخنادق والعلوات ولاني اعتبرت ان معظم الخطر من الشيعيين سكان المدينة ذاتهم . ثم كان ان التقيت بالطلائع التي ارسلها القائم مقام وبقوة أخرى منفذة لحجز السفن بيدَ أنهُ لما كان حجزها يحدث تأثيرًا عظيمًا ويسوء الشيعيين أشرت بتأجيل العمل الى ان يظهر العدو للعيان . ثم انقضى النهار بكل هدوء واستمرت غيوم المخاوف مخيمة على القلوب الى الليل المقبل فاتخذت التحوطات التي سلفت ولما تكرر الرجاء بان ابقى الى يوم الاثنين أجبت السؤل . وكان ان ساد الاعتقاد اذ ذاك بانه اذا لم تُهاجم المدينة ليلًا فذلك لان الدروز غيروا خطتهم وزال كل خطر . ولربَّما ان وصول اليخت « كليمور » فور سفر البارجة « فيريفلي » اوهم بانه بارجة حربية بامرة الاولى اذ قد اتصل بي ان رجلين معروفين

بكونهما من جواسيس الدروز غادرا المدينة فور اقتراب اليخت من الشاطي. واسرعا الى الجبال يخبران اصحابهما بوصول قوة عظيمة الى صور خائفين من سفينتي الصغيرة ذات الاربعة مدافع الحقيرة.

بيدَ اني اعتقد ان الدروز لا يهاجمون مكاناً تحميه قوة انكليزية وان صغيرةً لانهم يحترموننا كثيراً ويحجمون عن اتيان كل ما يتوهمونه عداء لبريطانيا العظمى

ولما كنت اخشى ان اشتراكي في هذه المسألة ينفّر الدروز من انكلترة ويعرقل تجولنا في ارض لبنان في مستقبل الايام سأكتب الى صديقي سعيد بك جنبلاط أمير الدروز في المختاره لاخبره بانه لو كانت هوجمت المدينة لكنت اقتصرت على حماية النساء والاولاد وانا موقن بانه كان ساعدني على ذلك واني كنت شملت ايضاً الدروز في ذات الحماية فيما لو هوجموا. وقبيل سفري تلقيت كتاب شكر من اهالي المدينة الروم ومن كثير غيرهم من المسيحيين.. وكان ان جاء القائم مقام الى ظهر اليخت واعرب لي عن شكره. واني اغتبط بان اقول ان القنصل الانكليزي على ما ظهر لي سالك في هذه المسألة بحزم وعزم ونشاط (عدد ١٥ ملحق ٢ ص ٣٢-٣٣-٣٤)

٥٢-القنصل سكين الى السير هنري بولفر. عن حلب في ١٦ منه

اتشرف فانبي. سعادتكم ان الطبقة العاملة في حلب رفعت يوم الثلثا المنقضي الواقع في ١٢ الجاري عريضة الى الوالي تظلماً مما المّ بمصالحها من جرّاء الازمة المتأتية عن المخمصة وعن تعيين اسعار العملة التي لم يعمل بها الاّ في اسواق الحبوب والمأكولات في حين انها كانت تدفع باسعارها السابقة مما خسر اصحابها ٢٥ في المائة والتمسوا منه ان يأمر بتسوية هذه المسألة فاحال الوالي العريضة على مألوف عادته الى المجلس البلدي وهذا الاخير اكتفى بان يعدهم بالنظر في طلبهم. ومن الغد

حدث في سوق المأكولات حيث يتألب الناس بكثرة كل يوم ان مسلماً يبيع خياراً ادعى زوراً بان قد نهب حانوته فجاء جاويش اسمه حسن ومعه عدة نفرٍ من الشرطة وانقضّ على المسيحيين واهانهم واستلّ سيفه وأمر الضابطة بضربهم . وفي ذلك الحين وقع أحد رجاله الى جانبه مجروحاً جرحاً خفيفاً برأسهِ برمية حجر ومع انهُ لم يعلم قاذفه استمر رجال الشرطة يسيئون معاملة المسيحيين دون ان يمسوا مسلماً . وفي خلال ذلك اراد الجاويش ان يلبس هذه الحادثة صفة فتنة فابلغها الحكومة مجسمة وطلب قوةً فجاء « الكاخية » ومعه رجال الضابطة ولما لم يجد أحداً سار بهم الى الاحياء المسيحية ملقياً القبض على كل من كان يجده في طريقه دون تمييز بين الذين كانوا جالسين امام بيوتهم أو خارجين من الكنائس أو ذاهبين لشراء حاجياتهم المعاشية واقتادهم لدار الحكومة عاملاً في اقفيتهم العصا بمنتهى القسوة . واني اقتصر على ذكر الحوادث الآتية .

ان فتىً اسمه يوسف صنعته الحلاقة كان واقفاً على باب حانوته فشاهد شرطياً يسوق شاباً مسيحياً يتراوح عمره بين ١٣ و١٤ سنة وهو ينتحب من ضرب الشرطي فشاء الحلاق ان يسكن روع الشاب المسوق فقال لهُ : لا تخف سيطلق سراحك قريباً . فلما بصر بهِ « الكاخية » يخاطب ابن مذهبه أمر جلاوزته فطرحوه في الارض واخذ هو يضربه بقساوة الزمته فراشه .

وكان مسيحي آخر يدعى فتح الله بطق من اسرة كريمة مستخدم في قنصلية انكلترة هنا واقفاً على باب بيتهِ وعلى ذراعهِ أحد اولاده واذ برجال الشرطة داهموه وأخذوا يضربونه ولم يتمكن من تسليم ولده الى امهِ التي ركضت على صوت الجلبة الاّ بشقّ النفس فاقتادوه الى دار الحكومة مواصلين ضربه

وقد وقعت عدة حوادث مماثلة لهذه ليست بأقلّ قساوة وفظاعة لكنه لم يساء الى مسلم مع انه كان يوجد كثيرون منهم بين مقدمي عرائض الشكوى والجمهور

المتألب في سوق المأكولات فاضطرّ الاكليروس الى طلب معاونة قناصل الدول فسارعوا بأجمعهم الى مرافقة رجال الدين الى نادي دولة والي الولاية . فاعتذر عن مقابلتهم بمرضهِ فألحوا فجاء اليهم واستوضحوه عمّا جرى فأنكر ان يكون أصدر امرًا بهذا الشأن وانما قال بانه اوقظ من نومه بناء على الحاح الشيخ بابا افندي وقد وفد عليه شاكيًا من سرقة حانوت شريكه بائع الخيار فأرسل « الكاخية » وعمر باشا لمحل الحادثة .

بيدَ ان عمر باشا لم يتجاوز في ذلك اليوم محلة « قرانليق قبو » حيث شاهده فيس قنصل انكلترة بينا كان الكاخية وحسن جاويش يعاملون سكّان الحي المسيحي بقساوة مستفظعة . ثم انه الوالي اجابةً لطلب القناصل أمر باحضار بقية المسيحيين المسجونين ورأى بعينه اثار الضرب والجرح والكسر في اعضائهم فاضطرّ ان يعد بالاقتصاص من الفاعلين بتأليف لجنة يشترك فيها نوّاب القناصل والمطارنة . ولم يكتفِ القناصل بذلك بل ألحوا بوجوب احضار « الكاخية » وحسن جاويش لسؤالهما عمّا جرى في ذلك اليوم المشوم فاستقدمهما دولته والجلاوزة فاعترف « الكاخية » بحادثة الفتى الحلّاق فقط محتفظًا بحق تبرير نفسه . فطلب القناصل اطلاق سبيل المسيحيين المسجونين لظهور براءتهم للعيان وثبوت الذنب على رجال الشرطة فأظهر الباشا ميله الى اجابة الطلب لكنه شاء ان يستطلع المجلس رأيه فردّ هذا الطلب محتجًا بنص القوانين وبالخوف من اضطراب المدينة وكان ان وافق عمر باشا قائد الموقع العسكري على هذا الرأي . فلما رأى القناصل محاولة الحكومة وتلاعبها آثروا الانسحاب وارسلوا نطاقة اجماعية الى الوالي يؤيدون بها طلب الاساقفة وقوامه القاء القبض على الكاخية وحسن جاويش فردّ المجلس هذا الطلب وكان الباشا اطوع اليه من بنانه فتحقق القناصل عقم توسطهم للمسيحيين ازاء عداء بعض اعضاء المجلس فأبوا الاشتراك في لجنة التحقيق وأعلنوا الوالي اعتزامهم على ايقاف

سفاراتهم على ما تقدم أملاً بحمل السلطة العليا على منع مظالم المجلس ودائرة الجزاء اللذين طوّحا بمصالح الاهلين المسيحيين والمسلمين لاغراض خاصة وسعيا لاخذ البريء بجريرة المذنب واقلاق راحة المدينة وتدنيس شرف الحكومة التي وكلت اليهما امر هذه الولاية التعسة (الكتاب الثالث عدد ٤ ملحق ٢ ص ٤-٥)

٥٣- صورة القنصل العام الى الشيخ اسماعيل الاطرش بتاريخ ١٦ منه

لقد اتصل بي خبر وصولكم بجمهور كبير من رجال حوران وسائر الاماكن قصد مهاجمة زحله بعد ان افظعتم في اذى مسيحيي حاصبيا وراشيا وغير اماكن ولم يكن ليخطر في بالي ان زعيماً درزياً يقترف هذه الاعمال الذميمة في حين ان الامة الانكليزيّة قد رسخ في اعتقادها بان الدروز مشهورون بالبسالة في ساحات القتال دفاعاً عن انفسهم يصدرون عن نبالة وعزّة نفس لا تضام اجابةً لنداء الانسانية

وبعدُ فأني اسألكم ان تعدلوا عن مهاجمة زحلة فتبعتها ثقيلة عليكم وان تعودوا الى بلادكم دون ايذاء احد من الذين تصادفونهم بطريقكم. وانكم لعالمون بعطف حكومتي الى الطائفة الدرزيّة وروسائها وبالمساعدات التي طالما اصابتها منها وقت الحاجة والضيق فاذا لم تجبوني الى رغبتي تضرّون بمصالح طائفتكم. ولي الرجاء بانه لدى وصول كتابي اليكم تسلكون بموجبه وتنبئوني عن اجابتكم رغبتي لاعلم حكومتي (الكتاب الثالث عدد ١٣ ملحق ٧ ص ٢٢-٢٣)

٥٤- ومنه الى الامير محمد ارسلان بتاريخ ٢٠ منه

انه لمّا كنت قد سمعت بان جمهوراً من الدروز احاط مجدداً بدير القمر مهدداً اهاليها تعجلت بانفاذ هذا الكتاب اليكم لتبذلوا جهدكم وتستعملوا نفوذكم وهيبة وظيفتكم لايقاف هذه القوّات حالاً عن زحفها ومنعها من مهاجمة هذه المدينة واعادتها إلى بيوتها دون ان تمد يدها بالاذى الى اهاليها والى سائر المسيحيين المنبثين

في انحاء قائم مقاميتكم. ان اجابتكم الى رغائبي لهو البرهان الوحيد على صدق وعدكم ووعد سائر زعماء الدروز قبلاً بانكم تكونون جميعاً قيد اشارتي وتعملون بنصائحي واني لارجو بان تلاقي نصائحي اذانا صاغية فتمتثل حالاً ويتحاشى ركوب هذه الطريق المملوءة خطراً وسوء مغبة

واني مرسل لسعادتكم في طيه تحريرين احدهما إلى سعيد بك جنبلاط والاخر الى بشير بك نكد فاسأنكم سرعة ايصالهما لصاحبيهما مشفوعين برشد سديد من قبلكما لتحقيق مقاصدي الخطيرة وانبئوني عن النتيجة (عدد ١٣ ملحق ٤ ص ٢١ ـ ٢٢)

٥٥ – جواب الشيخ اسماعيل الاطرش في اخر ذي القعدة سنة ١٢٧٦ الموافق ١٩ مزبر الله سنة ١٨٦٠

بعد الترجمة : تشرفت بوصول امركم المؤرخ في ١٦ حزيران (وهنا أعاد منطوق كتاب المستر مور) وكلما تضمنه قارن الافهام فأرجوكم ان تثقوا باني قد طالما كنت واظلّ تحت امر حكومتي الجليلة وأوامر سعادتكم. ان سبب قدومي الأ هو انه لما حدثت الاضطرابات في هذه البلاد وثبت ان رؤوساء الطائفة المارونية نشروا اوامرهم في جميع المسيحيين واجتمعت قواهم من جوار طرابلس حتى هذه الجهات ونشبت عدة مواقع انتشرت غيوم القلق على نواحينا اعتزم الشعب على المجيء إلى هنا لاستطلاع حالة انسبائه واخوانه فرأيت من المناسب ان اصحبهم لتسكين فائر اكثرهم هياجاً. لكن المسيحيين هم الذين تحرشوا باخواننا وبادونا القتال فعاقبهم القدير المتعال. والان فور وصول امركم فاوضت المشايخ وفي اليوم ذاته عاد كلٌ منهم اطاعةً لاوامركم. واني واثق بانكم تشملوني بالتفاتكم كما عودتموني وهذا رجائي (عدد ١٣ ملحق ٨ ص ٢٣)

٥٦- من القنصل العام الى بشير بك نكد بتاريخ ٢٠ منه

انه بعد ورود تحاريركم السابقة المنبئة بما بذلتم من الجهد لمنع الدروز من الزحف على دير القمر لدن مهاجمتها قبلاً قد اتصل بي الان ان زرافات درزيّة وافرة العدد تحصر هذه المدينة فاكتب اليكم هذا التحرير لكي لدى بلوغه اليكم تعجلوا من غير ابطاء في استعمال نفوذكم وأقوى الوسائل لاقناع الدروز بالعدول عن قصدهم وبالعودة الى محلاّتهم بحيث تقون دير القمر من نبال الشر وبلائه. فهذه الخدمة ستكون لديّ بمثابة شهادة عدل على صدق وعودكم واستعدادكم لعمل كل ما تستطيعونه اتقاء وقوع هذه الحوادث الشديدة التبعة بل اسألكم ألاّ تقتصروا على ذلك فقط بل عليكم ان تحموا المسيحيين الموجودين في اقطاعتكم بنشر رايات الامن ودفع كل اذىً عنهم وفتح الطرقات المؤدية إلى دير القمر وحراسة الذين يرغبون بمغادرتها وضمان وصولهم سالمين الى الاماكن المأمونة التي يختارونها فاذا ما سلكتم هذا المسلك اتخذت عملكم دليلاً على برّكم بالوعود السابقة واني انتظر منكم جواباً يفيدني عن اتباعكم نصحي وأؤمل منكم ان تنصحوا الباقين بالاقتداء بكم

(عدد ١٣ ملحق ٥ ص ٢٢)

٥٧- ومنه الى سعيد بك جنبلاط بالتاريخ ذاته

انهُ على أثر الكتب العديدة التي تلقيتها منكم اعرابًا عن اسفكم من حالة الشؤون الحاضرة الموجبة الكدر واظهارا لحسن استعدادكم للائتمار باشارتي اخبركم ان قد اتصل بي الان ان جماعة من الدروز استأنفوا الكرة على دير القمر فحصروها فاطلب اليكم برهانًا على صدق وعودكم السابقة بان تعجلوا باستعمال ما لكم من النفوذ منعًا لتحقيق هذه المقاصد وتشتتوا شمل جماهير الدروز المرابطة حول دير القمر وترجعوها الى اماكنها وتعيدوا مياه الراحة الى مجاريها والامن الى نصابه في هذه

البلدة وتحولوا دون كل اعتداء عليهم وتضمنوا وقاية جميع المسيحيين المشتتين في انحاء اقطاعتكم فتجمعونهم وترسلونهم بامن الى الاماكن التي يختارون الالتجاء اليها ولا تسمحوا بان يلتحق بهم ادنى اذى . فهذه هي النصيحة الوحيدة التي اوجهها اليكم ملحاً بوجوب التقيد بها فانها ستكون لدي بمثابة البرهان الوحيد على صدق وعودكم السابقة . واعتقد بان نصائحي السابقة والحالية لكافية وانا انتظر ان تعملوا بها وتحملوا سائر الدروز على اتباعها (عدد ١٣ ملحق ٦ ص ٢٢)

٥٨ــ ومنه الى السر هنري بولفر بالتاريخ ذاته

ان الانباء التي بلغتنا حتى اليوم عن مدينة زحلة المحصورة لمتناقضة . فالدروز يشيعون ان قد اخذت هذه البلدة وحرقت من اساسها في حين ان الانباء الاخيرة الواردة من مصدر مسيحي تنبيء ببقاء المدينة في يد اهليها. ومن المحقق ان الفريقين المحاصر والمحصور تفانيا في الدفاع والهجوم وقد جرى ذلك نهار الاثنين في ١٨ الجاري وقد أُخبر ان الدروز دخلوا المدينة في خلال المعركة وحرقوا بعض بيوتها وقتلوا راهباً وبعض نساء في كنيسة الاباء اليسوعيين وذبحوا تلامذة مدرستهم وانه عند ذلك تركَ المحاصرون والمحصورون سلاحهم الناري واعملوا السيوف والخناجر وان الدروز صُدوا من كل الجهات وطُوردوا الى مسافة ساعتين من المدينة ولم يقف المطاردون الاّ عندما شاهدوا معسكر الجنود التركية فخافوا من ان ينضموا الى الدروز ضدهم. ومن المقول ان عدد القتلى والجرحى قد بلغ الف وخمسماية من الدروز وسبعماية من المسيحيين . بيدَ ان هذه الاخبار ليست بثابتة الى ان ترد اخبار مصدرها صحيح فتويدها. ومن الشائع ان المسيحيين الذين بأمرة كرم وصلوا الى زحلة .

ان الجنود التركية التي ارسلها خورشيد باشا للدفاع عن زحلة وقد ذكرتها لكم في رسالتي السابقة ليس فقط لم تحرك ساكناً بل عسكرت في مكان يبعد ساعتين

عن المدينة . أما بخصوص سلوك المشير وارباب السلطة التركية واعمالهم فاني اتأسف على ان أقول انه مع شدة ميلي الى أن احسن الظن بهم وانسب اعمالهم الى افضل النيات فالانباء والظواهر تلقي شديد الريبة في صدق مقاصدهم تقرير الامن في هذه البلاد وانقاذ حياة المسيحيين في حين انهم قادرون على ذلك . ان الدلائل التي تجيز لي هذه الشكوك لكثيرة لا يسعني الان تعدادها هنا بيدَ أنه من واجبي ان أبسط ظروفها لسعادتكم ملفتاً انظاركم الى الشواهد الآتية : غرابة سلوك عثمان بك قائد حامية حاصبيا وقد ذكرها القنصل برانت ونهج خورشيد باشا ذاته في حادثة دير القمر وتصرف الحامية التركية فيها وحادثة زحلة السابقة الذكر وعمل القائد العام في دمشق وقد أنبأ بهِ القنصل برانت . ومن الشائع ان الدروز أرادوا بمهاجمة زحلة نهار الاثنين من جهة الجبل المعسكرة فيها الجنود التركية اثبات الاعتقاد العام بانهم يعتبرون الجنود التركية محالفيهم . (عدد ١٧ ملحق ١ ص ٣٥ ـ ٣٦)

٥٩ ـ بيان اجماعي رفعه قناصل الدول العامونه في بيروت بتاريخ ١٩ منه

نحن قناصل انكلترة والنمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا لما كنا قد تلقينا في ٧ـ١٩ حزيران تعليمات متماثلة من سفاراتنا للاتفاق دون تأخير على الطريقة الاكثر مناسبة توسطاً بين اهالي لبنان بغية حقن الدماء ذهبنا في اليوم ذاته الى دار عميدنا المستر مور تفاوضاً فيما يجب عمله . وفي خلال ذلك بلغنا خبر استيلاء الدروز على زحلة فجئنا حالاً معسكر خورشيد باشا في الحازمية فقال لنا انه لم يتلقَ انباء عن استسلام المدينة واظهر الريبة في الخبر فاجبناه ان المهمَّ في الاونة الحاضرة حقن الدماء وان الدول الخمس الموثقة عرى اتفاق لا يشوبهُ أدنى شك لتأسف شديد الاسف على الاقتتالات بين الدروز والمسيحيين وتقبحها فمن الواجب التعجل في اعادة الامن الى نصابه في البلاد . ثم عرضنا عليه ان نذهب معه الى محل الحوادث

لتتدخل بين الفريقين بالصلح فاجابنا الباشا بانه حيث ليس لديه جنود كافية فلا سبيل لجعل تدخله نافعاً وان سلطته الادبية لاتمتد الى دروز حوران واقناع زعمائهم وسائر القبائل الخارجة عن ايالته بالانقياد الى أوامره وعرض علينا ان ينشر أمر ابالصلح وهو الوسيلة الوحيدة التي يستطيعها الان على شرط ان يصرح الفريقان بتناسيهم الماضي وبعدولهما عن طلب تعويض الخسائر التي اصابتهما (وهذا الشرط أوجبه الدروز لايقاف القتال والاّ فلا)

وقد استعمل الباشا بهذه المناسبة عبارة عربية وهي « مضى ما مضى » وزاد بان هذا الاتفاق لا يقيّد يد الباب العالي بل يظل حرّا بعدم الموافقة عليه .فصرحنا له بان هذا التصرف يمس شرف الباب العالي ويحط من كرامته فأجدر بنا ان نتحامى الدخول في هذا الشرط . فاجاب ان حراجة الحالة تضطره الى الالتجاء الى هذه الوسيلة المحظورة واقرّ اخيرًا على نشر أمر الصلح .

التواقيع : مور . وكبكر . كونت بنتيڤوليو . وبر . بيجر .

(عدد ١٧ ملحق ٣ ص ٣٦ – ٣٧ ودي تستا عدد ٣١ ص ٧٦ – ٧٧)

٦٠– القناصل الاوربيون الى خورشيد باشا بتاريخ ٢٠ منه

نحن الموقّعون أدناه قناصل انكلترة والنمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا وقد تلقينا في ٧–١٩ حزيران تعليمات متماثلة من سفاراتنا فنتشرف بان نلفت انظار دولتكم الى وجوب التعجل بحقن الدماء . ولمّا كان لا يوجد أدنى سبب في اتفاق الدول الخمس الموثق العرى الآسفات المقبحات الاقتتالات الدائرة رحاها بين الدروز والمسيحيين فمن اللازم اللازب المبادرة الى اعادة الامن الى نصابه .

ان الغرض من كتابنا هذا الاجماعي الى دولتكم الاّ هو الرجاء لتتذرعوا بأقوى الوسائل. ثم السؤال عن التحوطات التي سبق لكم اتخاذها وعن النتائج التي

حصلتم عليها بغية اعادة مياه الراحة إلى مجاريها وتسويد الامن الشديد اللزوم عاجلاً. راجين ان تتكرموا بانبائنا بما اذا كنتم ترون فائدة من عضدنا لكم في الحالة الحاضرة فنحن نسرّ ونبتهج بان نعلمكم اننا على قيد الاستعداد لمعاونتكم في ايقاف رحى القتال حالاً

(عدد ١٧ ملحق ٤ ص ٣٨ ودي تستا عدد ٣٢ ص ٧٧)

٦١ – صورة الى السر هنري بولفر بتاريخ ٢١ منه

اتشرف فانبئكم عطفاً على رسالتي الماضية بان مدينة زحلة سقطت في يد الدروز فلقد أسفر هجومهم عليها يوم الاثنين المنقضي وقد اخبرتكم بهِ قبلاً عن استيلائهم عليها . فغادرها اهلوها مصطحبين النساء والاولاد. واذ ذاك حرقها الدروز ولم يتصل بي عدد الذين قتلوا من الفريقين ويقال ان الجنود التركية اشتركت مع الدروز في مهاجمة المسيحيين وقد اكد هذا الخبر اناس يقولون انهم شهود عيان وان قد وصل المدينة خفيةً زهاء ثلاثين جندياً جريحاً .

لا يعلم ما سيفعله الدروز بعد هذا . بيدَ انهُ بعد سقوط زحلة أمست كل انحاء لبنان المسيحية مفتوحة امامهم . وقد نشأ عن ذلك اضطراب عظيم في بيروت وكثير من اهليها المسيحيين ينوون مغادرتها بحراً لانهم فقدوا كل ثقة في الحكومة التركية. ورد أمس خبر بان دروز الغرب تألبوا مجدداً حوالى دير القمر وحاصروها . فتعجلت بان أرسلت بواسطة الحكومة التركية كتباً شديدة اللهجة الى قائممقام الدروز والى سعيد بك جنبلاط وبشير بك نكد حثاً على نبذ هذه الفكرة وتفريق شمل جماهير الدروز حالاً وفتح الطرقات المؤدية الى دير القمر واظلال المسيحيين بحمايتهم . وقد غفلت عن ان اخبر سعادتكم بأني انفذت قبلاً مثل هذا الكتاب الى اسماعيل الاطرش زعيم دروز حوران عندما بلغني خبر وصوله الى هذه الجهات ومحاصرته زحلة ولم يصل

إليَّ جوابه بعد . ان ضيق الوقت لم يفسح لي بنقل صوَر هذه التحارير الان على اني سأنقلها بأقرب آنٍ .

وفي الوقت ذاته اشتركت مع رصفائي في استنهاض خورشيد باشا لانقاذ ديرالقمر وقد فعلنا ذلك مراعاة للظواهر على غير أمل في نجاح مسعانا . بيدَ اني غير قانط من تأثير كلامي على زعماء الدروز وانا واثق بان سعادتكم توافقون على مسعاي هذا .

ان ما يقاسيه المسيحيون الفارون من أنواع الشقاء والتعاسة لما تنفطر لهُ الاكباد فالطاعنون في السن والعجزة والنساء والاطفال هائمون على وجههم في سلسلة هذه الجبال القاحلة الباردة لا ملجأ لهم يأوون اليه ولا طعام يقتاتون بهِ ولا يملكون من حطام الدنيا سوى الاطمار التي عليهم واعداؤهم يطاردونهم كحيوانات ضارية. وقد قيل لي ان عددهم يتجاوز العشرين الفًا .

ملحق : وصلت اليوم الى هنا البارجة « اكسموث » بأمرة قائدها بانتر وهي قادمة من مالطة ائتمارًا بأمر أمير البحر مارتين (عدد ١٧ ملحق ٥ ص ٣٨-٣٩)

٦٢- ومنه اليه بتاريخ ٢٣ منه

يؤلمني جدًّا ان اخبر سعادتكم بان الدروز ذبحوا في ٢٠ الجاري جميع سكَّان دير القمر الذكور . والظاهر انهم عفوا عن النساء والاطفال ففرُّوا الى السهل . وعندما اتصل بي أمس ان اللاجئين مجتمعون عند مصب نهر الدامور بين هذه المدينة وصيدا سألت القائد بانتر ان يوجّه حالاً السفينة « غانيت » إلى المكان المذكور لينقل هؤلاء التعساء إلى هنا . فذهبت وجاءت بسبعمائة نفس نساء واولادًا في حالة يرثى لها من العرى والجوع . وقد بقي ٤٠٠ نسمة على البارجة « موهوك » التي ذهبت لتقلّهم ولم تعد للآن .

ان الانباء المفصلة التي وردت عليَّ عن مذبحة دير القمر تفيد ان الحامية التركية خدعت الاهالي واقنعتهم بتسليم أسلحتهم وان السراي غصت بجثث القتلى المتراكمة اكداساً فوق بعضها وان اثار ضرب السيوف ظاهرة في ايدي معظم المقتولين الذين حاولوا اتقاء الضربات بأيديهم وهم عزّل . ومن المقول ان عدد القتلى يتجاوز الالفين واعتقد ان هذا العدد مبالغ فيهِ انما يزيد على الالف على الاقل . ان النساء التي جاءت بهنَّ البارجة « غانيت » قلنَ لقائدها لامبر ان الجنود التركية اسأت معاملتهنَّ اكثر من الدروز . ان البارجة « موهوك » جاءت أمس باربعمائة لاجيء من صور وصيدا حيث يسود ذعرٌ شديد . أمَّا السفينة الحربية الفرنسوية « سانتينل » فهي راسية في جونية لتقلّ البطريرك الماروني فيما لو هاجم الدروز كسروان .

ان الانباء الواردة من دمشق اليوم لا كثر اطمئناناً من ذي قبل .

قد استولى على هذه المدينة هذا الصباح قلق شديد بسبب قتل مسلم وقد قيل ان قاتله مسيحي من دير القمر في حين ان الآخرين يؤكدون ان قاتله مسلم فتسلح المسلمون ودخلوا السراي صاخبين طالبين الانتقام فهرب جميع المسيحيين لاجئين الى بيوت القناصل الاوربيين ثم كان ان ساد بعض السكون انما الهياج لا يزال شديداً .وقد بُذلت المساعي لاكتشاف القاتل ومنع كل فتنة .

وصل في الليلة الماضية من الاستانة بارجة عثمانية عليها الفا جندي بأمرة اسمعيل باشا « واصله مجاري اسمه الجنرال كميتي » .

ان ضيق الوقت يحول دون انبائكم مفصلاً بالمساعي التي اتخذتها ورصفائي بالاجماع قصد توطيد دعائم الراحة والامن . بيدَ اني اؤكد لسعادتكم اننا نعمل بتمام الاتفاق والوئام ولا نهمل ما بوسعنا لبلوغ هذا الغرض .

ملحق : ان البارجة « موهوك » رجعت الان من مصب نهر الدامور ناقلة

ستمائة نسمة نساء وأولاداً وفي بعضهم جراح خطرة . وفي هذا المساء عقدنا اجتماعاً دعونا اليه اسمعيل باشا . ان الامن في المدينة منوط باخلاص الجنود فيما لو هوجمت

ملحق آخر : قد عثر على القاتل والقي القبض عليه وسمعت بان قد ثبتت عليهِ الجناية وحكم عليهِ بالاعدام وسينفذ الحكم حالاً . ان خورشيد باشا ذهب الى دير القمر ولكن بعد ان سبق السيف العزل وذُبح كل اهليها (عدد ١٩ ملحق ١ ص ٤٠ ـ ٤١)

٦٣ـ عريضة المسيحيين الفارين من حاصبيا الى قنصل روسيا العام في ١٦ منه

ان سعادتكم قد علمتم بالنكبة العظمى والكارثة الجلى التي حلت علينا بقتل الدروز رجالنا ونهبهم مدينتنا . لانستطيع في حالتنا التعسة ان نصف لكم كل ما نزل بنا انما نقول باختصار ان الدروز بدأوا منذ شهر باساءة معاملتنا كما كانوا يعاملوننا قبلاً فاخذت الجنود العثمانية المرابطة في حاصبيا بتسكين بالنا .

وفي بدء هذا الشهر جاء دروز حاصبيا واخذوا يهاجموننا وفي الليلة التالية اجتمعوا في مرج شوايا وضموا قواتهم الى التي جاءت من سائر الاحياء وطلبوا عثمان بك القائم مقام التركي واختلوا بهِ مدة ثلاث ساعات ولما عاد هذا الموظف الى المدينة أعلن المسيحيين ان الدروز ينوون قتلهم جميعاً فيجب على مسيحي جميع قرى هذه الناحية ان يأتوا كلهم الى حاصبيا حاملين نفائس اموالهم وامتعتهم فانقادوا الي رأيه . وفي يوم السبت هاجم الدروز قرية الكفير قرب حاصبيا وحرقوها وقتلوا جميع من بقي فيها وفي صباح الاحد حملوا على حاصبيا فقال عثمان بك للمسيحيين « اخرجوا وقاتلوا زمناً وجيزاً ثم تراجعوا واذ ذاك ترون المساعدة التي امدكم بها » . فامتثل المسيحيون أمره وبعد الظهر أمرهم بالرجوع الى دار الحكومة واطلق مدفعين في الجو فدخل الدروز حينئذٍ بيوت المسيحين مستسلمين للنهب والقتل والحريق الليل

بطوله . وصباح الاثنين أحاط الدروز بدار الحكومة وطلبوا تسليم اسلحتنا فجاءنا عثمان بك وقال لنا « أعطوني اسلحتكم وسأقوم بما يجب عليَّ من أمر حمايتكم » فدفعناها اليه ثقة بوعوده . ولبثنا ثمانية ايام في السراي تحت مراقبة الجنود والدروز نقتات حبوباً . وفي اليوم الثامن جاء مشايخ الدروز الى دار الحكومة وهم علي بك حماده وكنج العماد وحسن آغا طويل وتفاوضوا مع عثمان بك وعند انتهاء المفاوضة أمر الجنود بجمع المضارب المضروبة في الساحة وبعد ذلك بدأوا بجمع المسيحيين المنتشرين في دار الحكومة وساقوهم كالنعاج الى الباحة التي في مدخلها . ولمَّا تم احتشادهم هناك فتح الجنود ابواب السراي فانقض عليهم الدروز واطلقوا عليهم بنادقهم دفعةً واحدة ثم استلوا سيوفهم وأخذوا يذبحونهم حتى أتوا على آخرهم وقد قتلت ايضاً النساء التي طوقت بناتها وصبيانها حمايةً لهم . ان عدد القتلى يتجاوز الثمانماية وقد نجونا باختبائنا تحت اكداس جثث القتلى وبفضل قرب انسدال الظلام ولما خيم الليل هربنا الى هنا ولا نعلم ماذا جرى بعد ذلك انما نعرف بان النساء والاطفال لجأوا الى حماية السيدة نايفه شقيقة سعيد بك جنبلاط ومعهم زهاء مايتي رجل دخلوا دارها عنوةً .

ان بيوتنا أمست رماداً وجثث القتلى ركاماً واذا ما نجا النساء والاطفال من سيف الدروز فانهم يظلون عرضةً للموت جوعاً وبرداً وذعراً .

فنسألكم باسم الله العلي ان ترفقوا بهؤلاء المساكين وتمهدوا لهم سبيل المجيء الى هنا عن طريق صور بخفارة محمد بك أو علي بك الاسعد فانقذوهم واغنموا شكر النساء والاطفال وصلواتهم فانهم يترامون على اقدامكم .

التواقيع : جراسيموس اسقف صور وصيدا . المسيحيون الناجون من حاصبيا .

ذيل : ان الباخرة « موهوك » نقلت جميع هؤلاء المسيحيين الى بيروت .

(عدد ٢١ ملحق ٥ ص ٤٤ – ٤٥)

٦٤- شهادة شاكر وفتح اله جرجي الحلبيين وكتبي المستر برد المرسل الاميركي في دير القمر

انه في صباح الاربعاء الواقع في ١٩ الجاري دخل مائتا درزي مسلح دير القمر زاعمين ان بشير بك نكد ارسلهم بامرة ابن اخيه شاهين بك وجمهور اخر لمرافقة المسيو رافائيل مشاقه وقد وقفوا عند عين المزاريب مفتاح المدينة. وبعد وصول هؤلاء جاءت زرافات زرافات من دروز القرى المجاورة فدخل بعضهم أهمّ احياء البلدة واحاط الآخرون بعدّة امكان خارجها ولم يحاول أحد منعهم بحجة انهم مرسلون من قِبل زعمائهم لحراسة بيوت أهمّ أسر البلدة. وعند الظهر بدأ الدروز بجمع اسلحة المسيحيين فلم يبدوا ممانعة ثم دمقوا على الحوانيت والمخازن وكسروا أبوابها ونهبوا سلعها فأرسلت حينئذٍ بعض النساء إلى بشير بك يسألنه ايقاف الهجوم. وفي خلال ذلك جاء موره آغا يوزباشي الجند النظامي ومعه خمسة عشر جندياً يتقدمهم الشيخ خطار نكد وكانوا كلما صادفوا جمهوراً من الدروز يوعزون اليهم بلطف ان يغادروا المدينة ثم ينتقلون الى سائر البيوت والاحياء فلم يعارض المسيحيون كل هذه الحركات بشيء.

فلما شاهدت ذلك استوضحت بعض الجنود القائمة على خفارة بيت المستر برد عن سبب عدم منعهم تجمع الدروز في المدينة فاجابوني انهم مأمورين بعدم التعرض لاحد الدروز مهما فعل واذا أقدموا على اتخاذ تدبير فيكون ذلك تمويهاً. ثم أخذ الدروز ينهب كل بيت في المدينة بمشاركة الجنود التركية. وعند الساعة الرابعة بعد الظهر سمعت دويّ الرصاص على أني لم اعرف مصدره وعند رجوع الجاويش وبعض الجنود التي كانت على خفارة بيت المستر برد في الميدان حيث كان اطلاق النار متواصلاً اخبروني بان الجنود التركية تشارك الدروز

باطلاق النار وانهم أول من اطلقها .

وقبل الغروب قُتل كاهن ورجل اسمه حبيب ديبان فساد رعب عظيم على المسيحيين وتراكضوا الى دار الحكومة والى بعض البيوت الحصينة للامتناع فيها وهرب نحو مائتي شخص لاجئين بالثكنات العسكرية في بيت الدين تحت حماية أمير الالاي. أمّا الدروز فاستمروا الليل بطوله يفدون على دير القمر من سائر انحاء البلاد الدرزيّة وبيدهم المصابيح ثم يرجعون غانمين الاموال المنهوبة. ولما كنا قد اوجسنا خيفة ان ينهب بيت المستر برد ذهبت نحو الساعة الثامنة ونصف مساء الى دار الحكومة طلباً لزيادة عدد الحفراء فلقيت بيت القائد مملوءاً باللاذين وبامتعتهم الثمينة. بيدَ ان منازل الجنود ما خـلا بعضها كان خالياً فاستأذنت بالدخول اليها فلم يسمح لي فكررت رجائي الى أمير الالاي فأذن لي وقد كان مختلياً بالشيخ نايف منصور نكد فسألته زيادة الحفر فاجابني لا تخف ان يدخل البيت أحد . وعندما غادرت منازل الجنود سمعت جندياً يقول بانه نهب خرجاً فيهِ ليرات انكليزية فكان من نصيب ضابطه وصرّح انه يؤثر ان يكون قتل في ذلك اليوم على ان يحرم غنيمته التي حازها مخاطراً بحياتهِ . ثم ذهبت الى حي الخندق وهناك شاهدت الجنود مشتركة في النهب والدروز فاحييت الليل ساهراً على سطح البيت حتى الفجر . وقبل بزوغ شمس نهار الخميس بساعتين أُضرمت النار في البيوت وبُدئ بذبح الرجـال وبتمزيق الاولاد الذكور واغتصاب النساء على دوي البنادق واصوات الصخب والتجديف . فحجب الدخان السماء ولقد كان المشهد هائلاً جداً بحيث يصعب على أفصح خطيب ان يصفه القاء وكتابةً ثم أشرقت الشمس والمذبحة مستمرة وحينئذٍ نفخ بالبوق استدعاء للجنود التركية فاحتشدوا في معسكراتهم لكنّ الدروز وثبوا على دار الحكومة بكثرة فاستقبلهم أرباب السلطة العسكرية ومتسلم البلدة بمزيد التودد والحفاوة واخذوا يسلمونهم المسيحيين اللاجئين فيذبحونهم ذبح الشاة ولم ينجُ

منهم سوى رجل اسمه بولس صوصا لاذ ببيت المستر برد . واكرر بان جميع الرجال والاولاد الذين لاذوا بدار الحكومة قتلوا عن بكرة ابيهم بحيث ان الدم في باحتها كان يغمر الساق. ثم ان الدروز ذهبوا الى ثكنة بيت الدين وقتلوا كل اللائذين بها واضرموا النار في البيوت الخاصة المجاورة دون ان يلاقوا أدنى مقاومة من الجنود التركية . وظلت المجزرة متواصلة في عدة اماكن والقتل جارٍ بانواع السلاح بصور تقشعرّ لها الابدان طول ذلك النهار وليله انما عند الساعة الثامنة مساء وصل خورشيد باشا الى دير القمر واستمرّ سائرًا الى بيت الدين . أمّا اطلاق النار والذبح فظلّا يزدادان الليل بطوله حتى طلوع شمس نهار الجمعة واذ ذاك وزعت الحكومة نشرة موعزة بايقاف النار والذبح وبوجوب مغادرة الدروز المدينة مهددة بالقبض على من يأبى الخضوع وارساله الى « ليمان » عكا وملقية تبعة المخالفة على الزعماء فلم يحفل أحد من دروز ومسلمي قريتي البيره وبعاصير الذين اشتركوا في المذبحة بهذه الاوامر بل ازدادوا قساوة في فظائعهم حتى الساعة العاشرة قبل الظهر . واذ ذاك هجم جمهور من الدروز على بيت الخواجا خليل جاويش كاتب سر القائم مقام الدرزي وقد ظل محفوظًا حتى ذلك التاريخ بخفارة الشيخ بشير مرعي نكد وبعض الجنود فنهبوا كل ما اتصلت اليهِ ايديهم وقتلوا كل الرجال واضرموا النار في البيت انما عفوا عن الخواجا خليل وشقيقه . ثم حرقوا ما بقي من البيوت ولم يسلم سوى بيت المستر برد الاميريكي وعندئذٍ أحاط بهِ ثلاثة الاف درزي بامرة الشيخ قاسم العماد وطلبوا تسليمهم الرجال الموجودين فيه وهم زهاء العشرين فرد طلبهم وفي أثناء الجدال جاء أحد زعماء الحماديين وتلى عليهم أمرًا من الباشا مآله انه متى أطلق ثلاثة مدافع من دار الحكومة يجب على الدروز مغادرة المدينة والاّ هاجمتهم الجنود ثم وصل المستر برد يخفره قواس وبعض رجال الزعيم النكدي الذي اعطاه بحضرة الباشا ورقة تأمين له وللرجال المختبئين في بيته وحينئذٍ أطلقت الثلاثة مدافع فظهر سعيد بك جنبلاط والاميرالاي

يصحبهم الحمادية وبعض الجنود فوعد سعيد بك المستر برد بعدم حرق بيته فتركنا دير القمر الى عبيه ومن هناك ذهبنا الى بيروت مخفورين فبلغناها سالمين . ان ما رويناه هو حقيقة ما شاهدناه باعيننا . (عدد ٢١ ملحق ٦ ص ٤٥ – ٤٦ – ٤٧)

٦٥ – صورة الى السير هنري بولفر بتاريخ ٢٦ منه

اني عطفاً على رسالتي المرفوعة الى سعادتكم بتاريخ ٢١ الجاري اتشرف فانبئكم بان هياج المسلمين ازداد تأججاً وقد استخفوا بالحكومة المحلية وأنذروها بانهم لا يدفنون قتيلهم الاّ بعد ان يُنفذ حكم الاعدام بقاتلهِ المسيحي فاذا لم يتم ذلك قبل غروب الشمس فهم يثأرون بقتيلهم فأظهرت الحكومة جبناً وتذللاً رغماً عن وجود القوّات العسكريّة العثمانية البرّية والبحريّة الصالحة لتعزيز السلطة وجعل القانون محترماً . وفي الحقيقة ان الفوضى مخيمة فوق المدينة وزمامها بيد الغوغاء . وفي ذلك الاثناء شُرع بمحاكمة المتهم وانتهت بالحكم عليهِ موتاً بحجة ثبوت الذنب عليه . ولم يستغرق القبض عليهِ ومحاكمته والقضاء عليهِ بالاعدام سوى ساعتين ولقد تمّ ذلك تحت تأثير هياج الشعب والخوف منه . وهنا بدت الصعوبة لان الحكم بالاعدام يستوجب موافقة المشير عليه قبل تنفيذه وكان خورشيد باشا باقٍ في دير القمر فيقتضي ثلاثة ايام للحصول على موافقتهِ فاختار وكيل الوالي واسماعيل باشا في الامر وجاءا إلى دار القنصلية حيث كان جميع رصفائي منتدين فبسط وكيل الوالي المسألة وقال ان انقاذ المدينة متوقف على تنفيذ الحكم عاجلاً وطلب موافقتنا على ذلك فامتنعنا عن اجابتهِ وقلنا لهُ اننا نعتبر بانه مفوض بالسلطة التامة من المشير فيمكنه ان يفعل ما يفعله المشير فيما لو كان حاضراً.وصرّح اسمعيل باشا بانه مستعد لاخراج الجنود وضرب المدينة بالمدافع لكنه يخشى بان هذا العمل يعجل طروق الازمة ويبيد المسلمين والمسيحيين معاً . واذ ذاك انصرف المأموران المذكوران وتمّ اعدام

القاتل المزعوم نحو الساعة الواحدة بعد الغروب وظلّ يعلن براءته حتى فاضت روحه . وحدث في ابان هياج فائر المسلمين ان ضُرب غير واحد من المسيحيين بالعصي وديس آخرون وقد جرح أحدهم برأسهِ جرحًا خطرًا بضربة آلة راضة . وبينا كان الكونت بنتيڤوليو ذاهبًا إلى دار الحكومة ليشاهد جثة القتيل أُصيب بوجهه بضربة سيف من احد اقارب القتيل الادنين وقد ضرب مسلم انكليزيًا ببندقيتهِ وصوّبت بندقية أخرى على ضابط من ضبّاط البارجة « اكسموث » بينا هو في الشارع وأهين انكليزي آخر . وفي صباح اليوم التالي وهو الاحد أرسل فيس قنصلي انكلترة وفرنسا في صيدا إلى رصيفي الفرنسوي وإليّ انباء مقلقة مآلها ان الدروز والمسلمين موطدو النية على الاعتداء على المسيحيين العزّل اللاجئين الى صيدا في الخان الفرنسوي وان البارجة « سنتينل » الفرنسويّة انزلت خمسة وثلاثين بحارًا ومدفعًا سهليًا في جزيرة صغيرة من ثغر صيدا ليحموا موقتًا الفرنسويين المقيمين في المدينة ريثما تصل النجدة المطلوبة من بيروت . وفور وصول هذا الخبر إليّ سافرت البارجتان « غانت » و « موهوك » الانكليزيتان والسفينة الحربية الفرنسوية « زينوبيا » إلى صيدا . وفي آخر النهار تمكنًا من حمل الحكومة التركية على ارسال بارجتها الى صيدا مقلةً اربعمائة جندي بأمرة عزيز باشا . وفي اليوم التالي جاءها خورشيد باشا من دير القمر فاستقرّت السكينة بواسطة هذه الوسائل المناسبة .

عادت أمس البارجة « موهوك » وعليها اكثر من ستمائة مسيحي لاجئ نصفهم نساء واطفال من دير القمر والنصف الآخر من صور وصيدا علاوةً على الالف والستمائة شخص الذين نقلتهم قبلًا ولا يزال بضع مئات ينتظرونها عند مصب نهر الدامور وعليهِ ستعود غدًا لنقلهم .

يتعذر عليّ ان أصف لسعادتكم الذعر الشديد المستولي على مسيحي بيروت وهم يعتقدون بان الحكومة التركية وجنودها ومسلمي المدينة والدروز سيفعلون

بهم ما فعلوا بسكان دير القمر. ان وصول الجنود بأمرة اسمعيل باشا والاخبار الواردة من صيدا وهياج المسلمين المذكور آنفاً وعصابات الدروز المسلحة التي تسمح لها الحكومة بالتجوّل في الشوارع رغماً عن احتجاجاتنا كل ذلك قد ألقى شديد الرعب في قلوب المسيحيين بحيث ان كثيرين منهم وفيهم كبار التجار وصغارهم أخذوا يسافرون الى مالطة والاسكندريّة وقد سافر اليوم منهم زهاء المائتين ويستعدّ عدّة مئات للاقتداء بهم . ولمّا كان دولاب التجارة قد وقف فقد أخذ ارباب الثراء والصناعة في هذه المدينة التي كانت زاهرة فيما سلف بمغادرتها وقد كتب التجار برفض البضائع التي كانوا طلبوها بقيمة عدة الاف من الليرات. ان الباخرتين اللتين وصلتا اليوم من ليفربول لم تتمكنا من انزال بضائعهما فاضطرتا ان تنقلها إلى مالطة وايداعها هناك . قد نُقلت أموال المصرف العثماني الى ظهر البارجة « اكسموث » تأميناً ووصلت اليوم السفينة « هيرون » الفرنسويّة قادمة من ثغر بيره . (الكتاب الثالث من مجموع المحررات الانكليزيّة المذاعة في ٢٣ تموز سنة ١٨٦٠ عدد ١ ملحق ١ ص ١ـ٢)

٦٦- ومنه اليه بتاريخ ٢٧ منه

ان المخاوف من مهاجمة الدروز النواحي المسيحية في شمالي لبنان ابتداء من كسروان لعظيمة جداً .

ان الشيعيين الذين يقطنون بعض قرى في وادي نهر « ادونيس » (ابرهيم) في ناحية جبيل قاموا على جيرانهم المسيحيين بتحريض سرّي وأضرموا النار في بعض بيوت قرية فتري . فثأر المسيحيون لانفسهم وحرقوا بيوت الشيعيين فيها ولمّا كانوا اكثر عدداً طردوهم منها .

ان السفينة الحربية الفرنسويّة «زينوبيا» برحت ثغر جونية في كسروان وعادت أمس ان الحرب في الجبل لا تزال ناشبةً يتخللها بعض فترات . أمّا المسيحيون فباقون

تحت السلاح في جونية بأمرة يوسف بك كرم والدروز يتأهبون مراقبين مجرى الحوادث .

ان بكوات الدروز لم يجيبوا حتى الان على تحاريري لهم المذكورة تحت رقم ٣٩ وارجح بان سكوتهم ناتج عن عدم امتثالهم مضمونها . أمَّا اسمعيل الاطرش زعيم دروز حوران فقد ارسل اليَّ جوابًا مملوءًا بوعود الاخلاص والطاعة لكنه كتبه بعد مهاجمته زحلة واستيلائه عليها .

وقد انفذنا رسالة اجماعية الى القائد العام في دمشق ونطاقة شديدة اللهجة الى خورشيد باشا عن حالة البلاد وهذا الاخير باقٍ في صيدا بيدَ اني علمت من كتاب المسيو أبيلا بتاريخ أمس بان دولته لم يتخذ أدنى وسيلة لمنع الدروز من متابعة اعتداءاتهم على جوار هذه المدينة .

ان الحكومة هنا أقرَّت على منع مهاجرة المسيحيين ورفضت اعطاءهم جوازات السفر وأقامت رجالاً من الشرطة على الشاطىء منعًا لركوبهم البحر . وقد اتصل بي ان ثمانمائة مسيحي كانوا على أهبة السفر اليوم الى الاسكندريَّة ومالطة على باخرة انكليزيَّة .

ان القلق والجزع سائدان في مدن الداخلية والشواطئ (عدد١ ملحق٢ص٢)

٦٧ – تابع بيانات انفيس قنصل ابيلا الى مور من ١٤ حزيران الى ٢٣ منه

في ١٤ منه – أمس عند الغروب القت البارجة « سانتينل » مراسيها في مياهنا وهي قادمة من بيروت تريد صور فاجتمع قائدها « بالخزندار » حينًا لكنه لم ينجح في استحصال مساعدته التعساء الذين يتحملون العذاب والشقاء شاربين كأس الموت في الغابات

وفيهِ الساعة الخامسة بعد الظهر – علمت الان ان الدروز هاجموا أمس

مرج عيون ونهبوها وحرقوها ويقال ان محمد بك الاسعد لم يبدِ أقلّ مقاومة حمايةً لمسيحيي قضائه مع انه أخذ وشعبه منهم هديّة قدرها مائة الف قرش وكمية عظيمة من المؤن ومن الشائع أيضًا ان الشيعيين انضموا الى المسيحيين . اننا نخشى الآن من سقوط زحله

في ١٥ منه — في طيهِ عريضة من اهالي زحلة العائشين في غابات جوار السوس. بينا لا يسمح للمسيحيين الواقفين على ابواب صيدا بالدخول اليها بأسلحتهم نرى الدروز والمسلمين والشيعيين يتجولون فيها شاكي السلاح . ان الدروز لمشتغلون بقطع اشجار المسيحيين وحرقها مما ينذر بخرابهم .

في ١٦ منه الساعة ٩ صباحًا — بينا الحكومة تجيب ان ليس لديها القوّة الكافية لانقاذ المسيحيين المختبئين في الغابات نرى ان القوّة لا تنقصها وانما الارادة والدليل على ذلك ان الخوري بطرس معوشي من جزّين تمكن من الوصول الى ابواب صيدا ومعه خمسون لاجيء فمنع من دخولها وذهبت كل مساعيّ لدى الحكومة في سبيل ادخاله ادراج الرياح . وكان بعد انقضاء اربع ساعات ان سمح لهم بالدخول واعتذر اليّ « الخزندار » عن ممانعتهِ اولاً بانه خشي من ان بعض الدروز الموجودين في المدينة يقتلون الخوري وعليهِ فقد أرسله حالاً الي بيروت مع القس حنا عازار .

وقد اتصل بي سرًا ان البكباشي لام سرًا شيخًا شيعيًا على ايصاله هؤلاء المسيحيين الى صيدا .

وصل مسيحيون آخرون من دير المخلص فلم يسمح لهم بالدخول كما يظهر من تحرير رئيس الدير المتقدم لكم في طيهِ نسخة منه وقد أوقفت « الخزندار » عليه .

وفي الساعة ١١ صباحًا — في طيهِ صورة كتاب أهالي جزين المتشتتين في الجبال يلتمسون فيهِ عونًا .

في ١٨ منه – وصل اليوم الى هنا الساعة الرابعة صباحاً بطريرك الروم الكاثوليك وكان قبلاً في دير القمر ولجأ الى بيت سعيد بك جنبلاط في المختاره مع خمسة وثلاثين شخصاً من الرهبان وغيرهم وقد صحبهم سعيد بك جنبلاط حتى جون ومن هناك رافقهم قاسم يوسف الى صيدا . ان المسيحيين لايجسرون على ترك المدينة والذعر مستولٍ على كل القلوب والمخمصة شديدة بحيث لا تقدر صيدا ان تمول هذا الجمهور اللائذ بها الى مدة طويلة .

وفي ٢٠ الساعة ٩ صباحاً – ان « الخزندار » وقاسم يوسف بذلا أقصى جهدهما لحمل مسيحيي جزين وجباع على الرجوع الى بيوتهم واعديهم بحماية الحكومة التركية وسعيد بك جنبلاط فاجابوا انه متى أنقذ اخوانهم المختبئون في الغابات أو عدل الدروز عن مطاردتهم يتجرأون على مغادرة أبواب صيدا . وقد اوعز بمثل ذلك الى البستانيين المسيحيين فاعتذروا عن الاجابة بما يجري يومياً من الاعتداء والسلب في الجوار .

جاء أمس دروز من بيت أبي شقرا وصادفوا خليل أبي الروس المسيحي خارج المدينة ولا يعلم ما حلَّ بهِ . ولا يزال الدروز ينهبون مستودعات حبوب المسيحيين ويكرهونهم على دفع مبالغ من المال حتى على مقربة من صيدا . ان الرعب سائد في المدينة وخارجها لان ارباب السلطة يعلنون بان ليس لديهم أوامر لمعاقبة المعتدين بالقوة .

وفيهِ الساعة ٢ بعد الظهر – ان عامل جباع اخبر « الخزندار » بحضور شقيق بان خليل أبا الروس أخذه الدروز الى قرية كفر شلال وقتلوه وانهم ما برحوا مستسلمين للنهب والسلب في كل قضاء . ان الاعتداءات لمستمرة في البساتين الكائنة في ضواحي صيدا حتى اذا ما دخل اليها مسيحي جرع كأس الموت . جاء أمس واليوم كثيرون الى بساتين أسرة أبيلا ونهبوا ما بقي فيها من الحبوب والتبن

وكثيرون منهم يرسلون كتباً الى اصحاب البساتين طالبين مبالغ من المال مهددينهم بانهم اذا لم يدفعوا يحرقون بيوت شركائهم فيها . جاء الدروز خبر سقوط زحله في ايديهم وان اخوانهم ابادوا كل سكان هذه المدينة فاعتزم كثير من الاسر المسيحية على مهاجرة سوريا .

في ٢٣ منه — انقضّ الدروز أمس على جباع وحرقوا بيوت المسيحيين ونهبوا القرية وجرحوا الشيخ عبدالله نعمه الشهير وهو الرئيس الديني على جميع الشيعيين في سوريا فتراكض جميع شيعي ناحية جباع وبلاد الشقيف وشومر وبلاد بشاره لجهة جباع لمهاجمة الدروز .

ان مائتين وخمسين نسمة من جزين كانوا في الغابات فطاردهم الدروز من محل الى آخر وقتلوا بعضهم ولم يصل منهم الى قرب صيدا غير ١٥ فقط وقد التقى هؤلاء التعساء ببعض اناس في جوار اقليم الخروب فسلبوهم متاعهم وقتلوا واحداً منهم وفي رواية اخرى انهم قتلوا اربعة .

ان ابن قاسم يوسف قبض انيوم في صيدا على مسيحيٍ من الجبل عند «سراي» الحكومة واكرهه على مغادرة المدينة بحجة انه مودعه اسلحةً وبعد تضرعات وتوسلات حميمة قاده الى الحكومة وألجاه على ان يردّ لهُ الاسلحة او الثمن الذي يوجبه .

وقد سلب آخر من ناحية اقليم الخروب مسيحياً جبلياً كيسهُ في ساحة صيدا .

لقد هجرت عيال كثيرة في هذه الايام الاخيرة مدينة صيدا وهذا يحرضني على تكرار طلب بارجة حربية لحمايتنا . (عدد ٩ ملحق ١ ص ١٥ — ١٦ — ١٧)

٦٨ — الفنصل برانت الى السر هنري بولفر بتاريخ ٣٠ منه

اني كلما تذكرت حوادث الثلاثة الاشهر المنقضية اتردد في ايقاف سعادتكم على

تفاصيلها فهي في ذاتها محزنة جداً ويتعذر استثبات حقيقتها نظراً لمبالغة المسيحيين فيها لشدة ما قاسوا من ويلاتها ولما اعتذر به تبريراً لسلوك الجنود. ومع ذلك فاني ابذل جهدي لاروي اليكم فقط كل ما هو محقق ثابت أخذاً عن اوثق المصادر وان تعذر عليَّ في الاونة الحاضرة استثباتها بنفسي.

ان العداوة بين الدروز ومسيحيي لبنان ليست بحديثة العهد بل يرجع تاريخها الى سنة او سنتين بيدَ انه ما كان لينتظر حدوث اقتتال بينهما والظاهر انه فاجأ الجميع. ان حامية حاصبيًا وراشيًا كانت على قلتها كفوءة لحماية هذا الموقع الحصين من اعتداء دروز الجوار اذ لم يكن يتوقع انضمام دروز حوران الى اخوانهم. ان القوات العسكرية في هذه الايالة تكاد لاتكفي لحفظ الامن ومع هذا فان الباب العالي استدعى معظمها منذ بضعة اشهر. وقد قال المشير بان استدعاءها جرى بدون ارادته وانه طلب اقالته اعتقاد انه لا يستطيع ان يكون مسؤولاً عن الامن العام مع قلة الوسائل لديه فلما نشب القتال لم يكن بوسعه ان ينجد المنكوبين لان العرب كانوا كمادتهم نازعين الى العصيان فاضطرَّ الى ابقاء معظم الجنود في جوار حوران لحماية الحصيد وهو قوام قوت الدمشقيين. وعند بدء هجوم الدروز صدر الامر الى الفرقة المرابطة في حوران بالذهاب الى حاصبيًا فلم يمتثل مصطفى باشا قائدها الامر وتبرئةً لنفسهِ أرسل عريضة من الفلاحين المزارعين مآلها انه اذا ما ذهبت الجنود يتركون حصادهم فقبل العذر واستُدعي فقط تابور من الجنود الى دمشق لان حاميتها غير كافية لحفظ الامن فيها وتُركتْ حاصبيًا وراشيًا وشأنهما تحت حماية مرابطتها القليلة العدد. فبسط للمشير الخطر الذي يتهددهما فلم يفعل شيئاً بحجة عدم اقتداره على فرز قسم من الجنود وارسالها.

لقد طُلب الى المشير فور اعتداء الدروز وقتل بعض المسيحيين وشقاء الباقين من جرَّاء مضايقة اعدائهم لهم ونفاذ قوتهم ان يرسل قوةً كافيةً لمرافقة جميع الذكور

المسيحيين الذين نجوا من المذبحة مع النساء والاولاد فوعد وأخلف . ولمّا ذاع خبر الكارثة اعلن ان الوقت قد فات بيدَ انه لمّا كان بعض الذكور الذين نجوا وجميع النساء والاولاد اوشكوا ان يموتوا جوعاً واملاقاً ألحّ مجدداً على الباشا باتخاذ الوسائل لنقلهم من حاصبيّا فأجاب بانه قد فعل وانه سبق فارسل بغالاً الى المدينة المذكورة لهذا الغرض. أمّا عدد هذه البغال فكان كافياً لركوب الجنود فقط فرفض عثمان بك قائدها ان يسمح للمسيحيين بمرافقة الجند على ان بعضهم تنكّر وتمكن من الخروج بخفارة بعض الدروز لقاء مبلغ من المال . أمّا معظم الذين نجوا فبفضل حماية السيدة نايفه التي ذهبت الى دار شقيقها سعيد بك جنبلاط زعيم الدروز في المختارة . وجاء جميع النساء والاولاد الى راشيّا وعادت الجنود أيضاً .

لقد قصّ عليّ حضرة الفاضل المرسل سميلي روبصن تفاصيل المجزرة في حاصبيّا رواها لهُ من رجل بروتستاني في المدينة المذكورة شهد كل حوادثها وكُتبت لهُ النجاة منها باعجوبة . ومآل الرواية انهُ بعد ان هاجم الدروز عدّة قرى في الجوار ولجأ اهلوها الى المدينة حاصر الدروز حاصبيّا يوم الاحد الواقع في ٣ الجاري فاستغاث المسيحيون بعثمان بك قائد الجنود لحمايتهم مذكريه بوعده ان يساعدهم ضد أي من يحاول تعكير كأس السلم فأجاب ان قد سبق لهُ بذل الجهد لاقناع الدروز بعدم مسّ المسيحيين فذهبت مساعيهِ ادراج الرياح لكنه سيجدد سعيه وأرسل ضابطاً الى الدروز بهذا الصدد فأجابوا بانهم موطدو العزيمة على مهاجمة المدينة .

فلما قنط المسيحيون من مساعدة عثمان بك امتنعوا بقرب حيهم فهاجمهم الدروز وبعد قتال قصير المدة أيقن المسيحيون بضعفهم لقلة عددهم فهربوا الى السراي حيث كان عثمان بك مع الجنود .

وفي ٤ منه قصد عثمان بك السيدة نايفه وعاد معها الى السراي طالباً الى

المسيحيين ان يسلموه أسلحتهم واعطاهم برضا السيدة المذكورة تعهداً خطياً تكفل به بان الحكومة تحميهم حقيقةً. ولمّا كانوا عارفين بانه لا يمكنهم مقاومة الدروز قبلوا باقتراحه وجُمعت أسلحتهم في باحة السراي فاختار الدروز أجودها وارسل الباقي وقدره خمسمائة بندقية مع مكارين دروز يخفرهم جندياً وقال عثمان بك للمسيحيين انهُ ارسلها الى دمشق. وبقي المسيحيون في السراي آمنين حتى ١١ منه لكنهم كانوا يتلهبون ظمأ ويتضورون جوعاً لقلة الماء والمأكولات وقد بلغ ثمنها مبلغاً فاحشاً بحيث لا يقوى على ابتياعها الاّ القليلون فان رطل الدقيق بلغ ٥٠ قرشاً ضعف ثمنه الاصلي عشرين مرّة فاضطرّ الشعب الفقير ان يقتات من النخالة وحبوب الشعير وورق التوت والعنب.

وفي ١١ منه ذهب عثمان بك الى مقرّ السيدة نايفه حيث كان علي بك حماده «كاخية» سعيد بك جنبلاط ومعه ثلاثمائة رجل. وعند الظهر وصل الشيخ كنج العماد المقيد بخدمة الحكومة التركية ومعه «ياور» يحمل كتاباً من المشير الى عثمان بك مضمونه ان الشيخ كنج تعهد بان يقود الامراء والمسيحيين الى دمشق سالمين ويأمر عثمان بك برافقتهم مع جنوده. ولمّا تُلي هذا الامر في السراي جأر جميع المسيحيين بالدعاء للسلطان واستعدّوا للسفر ثم عُقد اجتماع في «السراي» حضره كل من السيدة نايفه وعلي بك حماده والشيخ كنج وعثمان بك وياور المشير فاستدعى عثمان بك جرجس الريس أحد اعيان المسيحيين وكان كاتب سرّ الامير سعد الدين وهو مبغوض من الدروز فدفعه اليهم وقتلوه حالاً ثم فُتحت أبواب السراي ودخلها الدروز الذين جاءوا مع علي بك حماده وكنج العماد وانضمّ اليهم اخوانهم الموجودون في المدينة فذبحوا هذا الشعب المسكين بينا كانت الجنود تمنعه من الفرار والاختباء وتدفعه الى حيث المجزرة. ولمّا فرغوا من قتل الذين كانوا في الطابق السفلي صعدوا الى الطابق الثاني وقتلوا جميع من فيه. ثم توقلوا الطابق الثالث حيث الامراء

واسرهم فانتزعوهم سلاحهم وقطعوا رأس الامير سعدالدين ورموا بجثتهِ الى الحديقة وقتلوا كثيرين من الامراء . ولمَّا انتهت المجزرة أخذت السيدة نايفه الاولاد والنساء والامراء الذين نجوا والجنود الى دارها فنزع الدروز جميع ما وجدوه على جثث القتلى وسلبوا امتعة المسيحيين التي كانت في السراي وأضرموا النار فيها وكانت الجنود قد سبقتهم فسلبت الامراء ونسائهم عدَّة امتعة ثمينة .

ان عدد الذين قتلوا من حاصبيًا يقدر بتسعماية وسبعين لاجيء من القرى المجاورة .

ان بعض المسيحيين كانوا اعتصموا بدار السيدة نايفه قبل المجزرة . أما الامراء الذين نجوا فقد سلبوا كل ما يمكن اخفاءه قبل تركهم «السراي» .

ان الشخص الذي قصَّ رواية هذه المجزرة لذكي الفؤاد وهو احد افراد البروتستانت القلائل الذين كتبت لهم النجاة وقد روى هذا الخبر مرارًا لاناس عديدين في اوقات مختلفة بذات التفاصيل دون ان يبدل شيئًا فيها . وبناء على ما اتصل بي من ينابيع أخرى اعتقد انه يجب اعتبار هذه الرواية حقيقية لا ريب فيها . أما نجاة هذا الراوي فكانت بتجرده من ثيابهِ وتظاهره بالموت ملقىً بين الجثث الى ان انتهت هذه المأساة المحزنة وحينئذٍ فرَّ من السراي الى بيت السيدة نايفه ثم جاء دمشق بحالة يرثى لها من العرى والسغب واللغب

لقد حدث في دمشق قلق عظيم ولاسيما بين المسيحيين واليهود حتى اتصل بالمسلمين فان القوات العسكرية كانت قليلة جدًا وخُيل ان المشير فقد كل ثقة في جنوده وفي الاهالي وفي ذاته وقد كان يباحث يوميًا المجلس انما لم يقرّ على رأيٍ وكثيرًا ما زاره القناصل واقترحوا عليهِ اتخاذ الوسائل لتقرير الامن فكان يقبل بعضها واعدًا بتنفيذها ويخلف . لقد خشيَ من هجوم الدروز وحدوث فتنة من جرَّاء اقدام الشرّد في المدينة على النهب والسلب . على ان دولته كان يخاف من

افراز بعض الجنود وارسالها الى القرى المجاورة لحمايتها وقضى اكثر من خمسة عشر يوماً قبل ان يعمل بما اقترح عليه من استدعاء جنود غير نظامية بقيادة زعماء مشهورين والعهد اليها بالتجول في النواحي للمحافظة على الامن في القرى والطرقات .

جاء عدد قليل من الجنود التي في راشيا وحاصبيا وحمص وحماة ومن الفرقة المرابطة في حوران بحيث عادت الآن الثقة الى دولته . وقد قتل بعض الدروز وهم يحاولون سلب قطعان الماشية ونهب القرى المسيحية والمسلمة في انحاء هذه البلدة. ان هذا النشاط قد شجع الجبناء وعليه صار يؤمل ان تكون انقضت أشد حالات الازمة واعتقد انه متى انقضت اعياد الفطر – وهو زمن يزداد فيه المسلمون اعتداء وتعجرفاً – تعود مياه الثقة الى مجاريها .

وفي خلال هذه المدة أخليت زحلة وحرقت وهاجم الشيعيون بقيادة بعض الامراء الحرافشة بعلبك فكان ان أنفذت قوة عسكرية لتعزيز الحامية فيها بحيث اصبحت بنجوة . ان الحرافشة واتباعهم ورجالهم يبلصون القرى . ومن الشائع ان بعض دروز حوران قد استُدعوا لمعاونة دروز لبنان في الهجوم على كسروان انما هذا الخبر لم يتحقق . ان وصول الجنود الى بيروت بأمرة اسمعيل باشا (الجنرال كميتي) قد طمن الخواطر قليلاً واعتقد بانه متى بلغ بها دمشق تتوطد دعائم الامن ويتقلص الهياج منها .

اني اشارك الفلاحين في مخاوفهم من تعطيل مواسم الحبوب وخسارتها واتوقع مخمصة وغلاء . ان نتيجة هذه الفتنة سيشعر بها طويلاً لان النهب والتخريب قد قللا الملك الصالح للاستغلال بحيث أمسى يتعذر على الاهالي دفع الضرائب وهذا التأثير في هذه الجهة من لبنان يكون أقل منه في قراه الداخلية .

ستحمل الحكومة التركية على مساعدة النساء والاطفال المستسلمين للاستعطاء لعدم وجود اقارب ذكور لهم يعولونهم . وقد أصبح من الثابت ان تركيا يجب ان

تكون ذات جيش قوي قادر على كبح جماح الطوائف الهمجية المتألفة منها سكان المملكة كالدروز والمتاولة والنصيرية والعرب الميالين الى اغتنام فرصة ضعف الحكومة للاقدام على النهب وهو من طبيعتهم ومطابق لعوائدهم . وسيصير اقناع الحكومة التركية بان كثرة تبديل الولاة الغرباء عن البلاد الجاهلين عوائدها وحاجات اهليها لايقود الى أصلاح الخلل واكساب الحكومة الثقة بها والاحترام الواجب لها وانه اذا كانت تنتظر ورود أدنى دخل الى خزينتها او توطيد اركان المملكة العثمانية فلتعلم ان البلاد تطلب حكومة رؤوفة ابوية بالعمل لا بالقول . وانه يمكن جعل الدروز رعايا مفيدين ذلك بغل ايديهم عن الاعتداء وباخضاع العرب وبعدم السماح لهم بدخول البلدان المأهولة للنهب والسلب ويجب اكراه اسرة حرفوش واتباعها المتاولة على تقديم ضمانة على اخلادهم الى السكينة وان أبوا ينفون . وقصارى القول انه يجب حفظ الراحة باسناد مقاليد الامور الى والٍ عزوم نشيط نزيه معزز بقوة عسكرية كافية حسنة التنظيم تدفع لها رواتبها في اوقاتها . فاذا ما عولت الحكومة التركية على تنفيذ هذه الاراء بتدقيق واخلاص تتوطد سلطة السلطان ويكون اسمه محترماً وتزداد ثروة الولايات ويتوفر دخل الحكومة وتنصرف الاميال المخاصة الى تعزيز العرش .

(عدد ٦ ملحق ١ ص ٩ — ١٠ - ١١)

٦٩ — صور الى السر هنري بولفر في ٢٨ منه

اتشرف فانبئكم بان الكونت بنتيڤوليو كتب اليَّ صباح أمس يستدعيني الى بيته حيث اجتمع برصفائي قناصل النمسا والروسية وبروسيا العامين الراغبين في مفاوضتي . فذهبت اليه وفي خلال الحديث خطرت على بالي تعليمات سعادتكم الرامية الى بذل جهدنا لوضع حدٍ للنزاع المضطرمة ناره في الجبل بما لدينا من الوسائل

الحسنة فاقترحت مفاوضة زعماء الدروز مباشرةً وهي أفضل خطة نستطيع انتهاجها. فارتأى الكونت دي بنتيڤوليو ان ينفذ قناصل الدول الخمس بأجمعهم تحريرًا الى الزعماء المذكورين. فذكرتُ المستر ـ سيريل كراهام ـ وهو فتى انكليزي مهذّب مشهور برحلاتهِ في الشرق وثيق عرى الالفة مع كثيرين من الزعماء المار ذكرهم يجيد التكلم باللغة العربية وعارف بعوائد الشرقيين وافكارهم قد عرض عليَّ منذ بضعة ايام خدماته في ما يختص بالشؤون الحاضرة وأشرت بان يُعهد اليهِ بحمل كتابنا الاجماعي فقبل رصفائي بذلك وكتب التحرير باللغتين الفرنسوية والعربية وفي طيه نسخة منه وعليهِ سافر المستر كراهام في المساء ذاته مصحوبًا بجلواز (قواس) من كل قنصلية ونحن الان بانتظار افادته. وقد أنفذت تحارير مثله مبنيً ومعنىً الى قائم مقامي الجبل والى بطريرك الموارنة بأن يوجبوا على المسيحيين انتهاج خطة المسالمة.

وقد اصحبت المستر كراهام بتحارير توصاة خاصة الى زعيمي الدروز الكبيرين سعيد بك جنبلاط وبشير بك ابي نكد وزوّدته تعليمات شفاهية ونصائح ليسير بموجبها وحذّرته كثيرًا من ان يتعهد بما لا نستطيع القيام به.

تلقيت الان رسالة من نائبنا القنصلي في صيدا يقول فيها ان الدروز ظلوا اثناء وجود خورشيد باشا في تلك المدينة يقترفون يوميًا الفظائع المتنوعة في جوارها وانه لم يتخذ أدنى وسيلة للقبض على مرتكبي هذه الجنايات بل ان الدروز يتجولون بحرّية في المدينة ذهابًا وايابًا متسلحين.

اتصل بي الان ان خورشيد باشا استخدم الزعيم الشهير قاسم يوسف حماده الذي ذبح مئات من المسيحيين اللاجئين الى قرب صيدا منذ بدء الفتنة وهو الذي اعطى تعهدًا خطيًا الى الضابط « مانسل » قائد البارجة « فيريفلي » الانكليزية.

(صفحة ٢٠ ملحق ١ عدد ١٣)

٧٠- القناصل العامون في بيروت الى زعماء الدروز في لبنان بتاريخ ٢٧ منه

نحن قناصل انكلترة والنمسا وفرنسا وبروسيا وروسيا العامون نرى بمزيد الاستياء ان السلب والنهب والمذابح والتخريب المتصلة لعلى ازدياد أثار امتعاضنا كل الاثارة وعليهِ فنحن نطالب اليكم بحزم ابطال كل هذه الفواجع . ثم اننا بصفة كوننا ممثلي الدول العظمى ننبهكم باسم سفاراتنا التي اعطتنا التعليمات الجلية الحازمة في هذا الشأن بانهُ اذا ما بدا منكم او من رجالكم اعتداءات على المسيحيين وقراهم وأملاكهم فمسئولية ذلك ملقاة على عاتقكم. فمن اللازم اللازب ان تعجلوا في عقد الصلح بأقرب وقت وتستقدموا عصاباتكم الموجودة في جهات الشام وصيدا وزحله ودير القمر وكسروان وغيرها من الاماكن مشددين عليكم بذلك . ففكروا في العواقب الوخيمة والاضرار الجسيمة التي تصيبكم جميعاً إذا اغفلتم العمل بنصيحتنا واعلموا ان حكوماتنا لا يسعها السكوت عن استمرار هذه الحالة .

الموقعون : مور . ويكبكر . كونت بنتيفوليو . وبر . بجر

(عدد ١٣ ملحق ٢ ص ٢٠-٢١ ودي تستا ج ٦ عدد ٣٤ ص ٧٩)

٧١- المستر كراهام الى القنصل العام مور . عن المختارة في ٢٩ مزيران سنة ١٨٦٠

وصلت أمس صباحاً إلى هنا فاذ سعيد بك على اهبة ركوب فرسه بعدد كبير من رجالهِ الدروز لمرافقة البكباشي إلى بتدين فاخذته على حدة وأخبرته بغاية زيارتي ورغبت اليهِ ان يستدعي الزعماء دون تأخير. وكان اسمعيل الاطرش عاد برجالهِ الى حوران منذ يومين . فأجابني سعيد بك انه لا يستطيع استدعاءهم وانهم لا يلبون طلبه . فقلت لهُ اذا لم يجتمع الزعماء لا استطيع ان افضّ كتاب القناصل العامين الذي احمله لهم . فأصرّ على رفضهِ لكنه قال « سأعود من بتدين بعد ٣ ساعات واذ

ذاك تتفاوض في الامر » . وفي هذه الاثناء وصل بشير بك نكد فجرى لي معه حديث طويل على انفراد فعرفت من أوّل حديثه ومن سلوك سعيد بك وكلامه اخفاق مهمتي . ولمّا عاد سعيد بك كان الليل قد أرخى سدوله فالحت عليهِ بوجوب استدعاء سائر الزعماء فأخذ ينتحل اعذارًا وفي آخر الامر رفض بصراحة ان يكتب اليهم زاعمًا ان لا سلطة لهُ عليهم بل هو على خلاف معهم . فقلت : « اذن انا اذهب اليهم » وسألته ان يصحبني ببعض الفرسان فأجاب ان ذلك يتعذر عليهِ لوقوع عيدهم الكبير في غد اليوم ولا أحد يرضى ان يذهب في تلك الليلة . فقلتُ « حسن بل اذهب اليهم بذاتي راكبًا حصاني » . وعند ذلك جيء بفارس ليذهب الى خطار بك العماد وبتُّ انتظر جوابه في كل دقيقة

ففكرتُ بادي بدء ـ انه اذا كان الجواب غير مرضٍ ـ ان افتح الكتاب امام سعيد بك وبشير بك بيدَ انهُ لمّا كنتم قد أمرتموني وسائر قناصل الدول العامين ان اجمع الزعماء في المختاره فاعتقدت انه لا يجوز لي مغادرتها قبل ان اتلقى أجوبةً تصرّح برفضهم موافاتي اليها .

ان قوّاسكم سعدالدين حامل تحريري هذا اليكم يحمل ايضًا تحاريري الى سائر الزعماء ويصحبه فارس درزي ليأتي إليَّ بأجوبتهم بيدَ انهُ لا يستطيع ان يعود الى هنا قبل السبت فاذا كانت أجوبتهم لي غير مرضية كما ارجّح فاني اسافر حالاً حاملًا جوابي سعيد بك وبشير بك وامرُ على الباقين لاخذ اجوبتهم أيضًا للقناصل وعليهِ أؤمل ان اصل الى بيروت نهار الاحد . ان سعيد بك وبشير بك يرفضان اعطاءي كتابًا يعدان فيهِ بالصلح وقد قالا بانهما بذلا ما بوسعهما طول السنة لحماية المسيحيين وانهما لم يتدخلا بوجه من الوجوه بالحرب الناشبة بل وجّها كل مساعيهما لتسكين ثائر الدروز . وقصارى الكلام انهما يريدان ايهامنا بان لا سلطة لهما على رجالهما ولهذا السبب أبيا ان يتكفلا بحفظ السلم في المستقبل . فقلتُ لهما ان قد غلت

أيدي المسيحيين وأنفذ الى اساقفة الموارنة كتب مثل التي حملتها الى زعماء الدروز بحيث أصبحا بمأمن من كل اعتداء من جهة المسيحيين في كل الاحوال ومع ذلك بقيا مصرَّين على رفض تعهدهما بحفظ السلم بوجه من الوجوه .

ومهما قلتُ في سوء سلوك الحكومة التركية فلا احيط بوصفه . ففي يوم مذبحة دير القمر كان سعيد بك « السيء الطالع عادةً ! » قد ذهب الى صيدا ولمَّا سمع بالخبر عاد على جناح السرعة فلقي الامر قد تمَّ .

انا على ثقة من انه يُضمر شراً أعظم من هذا فيجدر بكم ان تطلبوا بوارج لحماية صيدا وبيروت .

قد مررتُ بدير القمر فوجدتُ بعض البيوت تحترق وجثث القتلى دون دفن ورأيت دروزًا في وسط هذا المشهد المفجع متثاقلين لئلَّا يشموا نتن الجثث ينهبون البيوت ويحملون كل ما وجدوا فيها . ولم نتمكن من التقدم في المدينة الاَّ بمزيد الصعوبة لان جثث القتلى كانت مكدسة في بعض الاماكن بحيث تعذر على خيولنا اجتياز الطريق . وفي وسط هذه المناظر التي تقشعرّ منها الابدان كان الدروز يضحكون ويمزحون .

وقد كالمت سعيد بك بلهجة حازمة شديدة بقدر ما استطعت من الهدو فصرَّحت لهُ بانه خان انكلترة وخسر مساعدة اكبر اصدقائه واصدقاء شعبه فأجابني كعادته : « نحن عبيد جلالة ملكتكم فلتفعل بنا ما تشاء »

لا اذهب من هنا قبل الغد ومن المرجح اني امرّ في طريقي بيوسف عبدالملك وحسين تلحوق فاذا شئت ان ترسل قوَّاسك الى أحد هؤلاء الزعماء يحمل اليَّ كتابًا تعرفني بهِ عمَّا اذا كان يجب ان افعل اكثر مما فعلت فاكون ممتنًا لك واذا رأيت فائدة من ذهابي الى الزعماء قرب كسروان فاسألك ان ترسل لي تحاريرَ اليهم وباسماء الذين ترغب في ان ازورهم

حاشية : — وصل إمام من دمشق أمس واليوم احتفل جميع الدروز الذين هم مسلمون بالعيد بطريقة حافلة جداً وبمظاهرة عظيمة مشاركين الجنود التركية .
(عدد ١٤ ملحق ٢ ص ٢٧ـ٢٨)

٧٢ـ رواية مخائيل غبريل عن مذبحة راشيا وجوارها بتاريخ ٢٩ منه (١)

عرفتم بمذبحة ابناء مذهبنا ونهب اشيائنا وحرق بيوتنا فظروف هذه الحوادث لهائلة جداً بحيث لا اجد عبارة تحيط بوصفها ومع ذلك ارجوكم ان تصغوا الى روايتي المختصرة وها كها :

ان عشرة مكارين من احدى القرى التابعة دير القمر كانوا ينقلون الى دمشق ترابة افرنجية فاعترضتهم جماعة من الدروز بجوار كفرقوق وأطلقوا عليهم النار فقتلوا اثنين منهم وهرب الباقون . فلما اتصل الخبر باقاربهم في دير القمر جاءوا وحملوا جثتي القتيلين وجمعوا الثمانية الهاربين وذهبوا الى اميرالاي الجنود التركية المنظمة المرابط في حاصبيا والى الامير علي شهاب عامل الناحية المذكورة وقصوا عليهما الحادثة فامرا بتشريح الجثتين المار ذكرهما ثم أرسلت قوة بقيادة الامير الشهابي الى قرية كفرقوق فقبضت على اثنين من الجناة وجاءت بهما الى راشيا فزجا في السجن ثم بعد يومين طلب دروز راشيا والجوار بلهجة شديدة اطلاق سبيل السجينين فأجابهما العامل واميرالاي إلى طلبهما وأطلقا سراح السجينين وبعد ذلك هدد الدروز مسيحي دير القمر بالانتقام منهم فيقتلونهم ويحرقون بلدتهم ويلجأون الى راشيا . ومن الغد السبت قبل الظهر قصد دروز راشيا وجوارها دير القمر واضرموا فيها النار

---

(١) ان هذه العريضة رفعت الى المستر مورقنصل انكلترة العام في بيروت فارسلها الى السير بولفر سفير دولته في الاستانة في ٤ تموز سنة ١٨٦٠

وحرقوا جميع بيوتها بعد ان نهبوها .وفي يوم الاحد هاجموا قرية حوش وقتلوا كثيرين من الرجال ونهبوا كل بيوت المسيحيين وفي اليوم عينه ذهبوا الى قرية أخرى تدعى بيت لهيا وانتزعوا المسيحيين سلاحهم وقتلوا كثيرين منهم ويوم الاثنين التالي هاجموا قرية كفرمشقي وأخذوا سلاح المسيحيين ونهبوا بيوتهم ثم اضرموا فيها النار وقتلوا كاهناً وبعض المسيحيين فيها . وبعد ظهر اليوم عقدوا اجتماعاً وأقرّوا رأياً على مهاجمة راشيا فجاء شخص واخبر المسيحيين بالمؤامرة فذهب في الحال كهنة راشيا وشيوخها الى رؤساء عائلة عريان وهي اهم عائلة بين دروز راشيا ومن اقارب عريان باشا واخبروهم بما يضمر الدروز فاستدعى هؤلاء الزعماء ابناء مذهبهم في المدينة والقرى المجاورة وجمعوهم بمسيحيي المدينة وفي هذا الاجتماع تعهد الدروز للمسيحيين بعدم الاعتداء عليهم ثم رافقهم الزعماء المذكورون الى المدير الامير علي شهاب واميرالاي الجنود التركية واعادوا امام هذين المأمورين تعهدهم السابق الذكر. ثم اذاع اميرالالاي نشرة في المدينة سكن بها بال الجميع وحثهم على المعيشة بامن وسلام فاطمأن المسيحيون بالاً لكن الدروز هاجموا المدينة في ليل ذلك اليوم من جهاتها الاربع واضرموا النار في بيوت المسيحيين واسرفوا في القتل والنهب واستمرت المذبحة حتى ظهر اليوم التالي الاربعا فقتل كل من لم يتمكن من الفرار بيد ان جمهوراً كبيراً من الرجال التجأوا مع عيالهم الى دار الحكومة طالبين حماية الجنود التركية وظلوا فيها حتى نهار الاحد وفي ذلك اليوم دعا زعماء الدروز اميرالالاي الى منتداهم في قرية تلقاطه في جوار راشيا وعند عودته اوعز الى المسيحيين اللاجئين ألاّ يبارحوا السراي . ويوم الاثنين وصل امام راشيا دروز حوران بقيادة اسمعيل الاطرش وواكد الحمدان وهزيمه هنيده وابوعلي حناوي وبيت النوافلة وبيت القلعاني وخليل اغا فذهب قسم من هذه الجموع الى عيحه وحرقوا كنيستها وقتلوا بعض المسيحيين الذين كانوا فيها واذ ذاك دخل جمهور الدروز دار الحكومة

وقتلوا المسيحيين اللاجئين بمن فيهم رجال الدين ولم يعفوا الاَّ عن النساء فقط وقد بلغ عدد القتلى الـ ٨٠٠ وحُرقت جميع الكنائس وسُلب ما فيها ودُنست مذابح التقديس.

وقصارى القول ان بيوتنا صارت رمادًا وجثث القتلى ركامًا كاكداس الحبوب والارامل والاطفال وبعض الرجال الذين نجوا من هذه المذبحة هم الان مشتتون في البراري معرضون للجوع والرعب والعرى. وعليهِ نتجاسر على ان نستغيث بكم ملتمسين منكم باسم الانسانية ان تمدوا يد المساعدة لمن بقي منهم في قيد الحياة بتأمينهم ورفدهم فانهم لا يملكون شروى نقير من حطام هذه الدنيا فاعطفوا عليهم وانقذوهم من ضيقتهم ومن المخاطر التي تكتنفهم

التوقيع: مسيحيو راشيا والقرى المجاورة (عدد ١٣ ملحق ١٢ ص ٢٦)

٧٣– شهادة السيد محمود درباله قواص قنصلية روسيا في بيروت بتاريخ ٢٥ منه
[٦ ذي الحجة سنة ١٢٧٦]

اني ائتمارًا بأمر القنصل ذهبت الى دير القمر لآتي بخليل الباشا ترجمان القنصلية في دمشق وهاك ما شاهدته بأم عيني:

١ً: ذهبتُ من بيروت يوم الاربعاء في ٢٠ حزيران فوصلت الشويفات في اليوم ذاته وعرفت هناك ان خليل الباشا ذهب الى المختاره فقصدتها مصحوبًا بفارسين اعطانيهما قائم مقام الدروز وقبيل مغادرتي الشويفات ألحَّ عليَّ القائم مقام المشار اليهِ بان اعدل عن المرور في دير القمر فاذا ما ذهبت اليها لا يضمن لي حياتي

٢ً: بلغت المختاره في ذات اليوم وكان خليل الباشا قد برحها الى صيدا فوجدت في الساحة التي امام بيت سعيد بك جنبلاط جثتي مسيحيين مذبوحين وأُخبرت بان ٤ مسيحيين فرُّوا من دير القمر حين المذبحة فتعقبهم ٤ دروز حاملين ما

غنموه من تلك المدينة فادركوهم وحملوهم الغنايم حتى المختاره فلما وصلوا امام بيت سعيد بك ترك اثنان من المسيحيين احمالها واختبئا في بيت البك المشار اليه اما الاخران فبعد ان القيا حمليهما قصد الراحة هجم عليهما رفيقاهما الدرزيان واوثقاهما وقاداهما الى الساحة التي امام دار سعيد بك وقتلاهما

وقد شاهدت ايضاً في هذه القرية زهاء ماية جندي نظامي تركي عند سعيد بك وعلمت ان قد مرّ على وجودهم هناك ٤ الى ٥ ايام ولما عزمت على مغادرة المختاره حدثت سعيد بك برغبتي في زيارة دير القمر فالحّ عليّ كثيرًا بألاّ افعل بحجة ان دير القمر خارجة عن اقطاعته فاذا ما مررت فيها يتعذر عليه ضمان حياتي . ومع ذلك قصدتها .

٣ً : عند وصولي لدير القمر نصحني الفارسان اللذان رافقاني من قبل قائم مقام الدروز بالعدول عن دخولها وان خالفت يتنصلان من كل مسئولية فلم انقد لكلامهما لكني مزقت كمّ قميصي واعتممت بهِ على طريقة الدروز ودخلت المدينة فرأيت الدروز مشتغلين مع نسائهم وأولادهم بنهب بيوت المسيحيين واضرام النار فيها ووجدت جميع الاسواق والطرقات مسدودة بركام الجثث وأقدّرها بنحو ألفين ومعظمها فيهِ اثار جراح في اليد اليمنى وفي العنق ناشئة عن خناجر أو اسلحة قاطعة واكثر هذه الجثث ملقى في ساحة ثكنة الجنود العثمانية الداخلية وفي السراي حيث يقيم المتسلم التركي وقائد الجنود المذكورة وعند مشاهدة هذه الاعمال المستفظعة عدلت عن تسليم المتسلم المذكور كتاب التوصاة الذي زوّدتني اياه حكومة بيروت

٤ً : عند ذهابي الى بيت الدين لقيت ابنة خليل جاويش من مسيحيي دير القمر وابنه وخادمته بين يدي درزي فطلبت اليه ان يسلمني اياهم فهددني باطلاق غدارته عليّ ثم عرضت عليه ان ابتاعهم منه بالمال فأبى أوّلاً ثم رضي بان يهبني اياهم فسلمهم اليّ فأوصلتهم الى اقاربهم في كفرحيم

٥ً: شاهدت في بتدين ١٥٠ جثة مسيحي في دار الحكومة (السراي) حيث الجنود التركية معسكرة. وقد تمّ رجوعي الى بيروت يوم الجمعة مساء. وللبيان حرّر.

(عدد ١٣ ملحق ٩ ص ٢٣ ـ ٢٤ ودي تستاج ٦ عدد ٣٣ ص ٧٧ ـ ٧٩)

٧٤ــ فقرة من جواب المطرانة طوبيا عوده الى القناصل العامين في اوائل حزيران سنة ١٨٦٠

قد أكدتم لي اثناء حديثي معكم ان خورشيد باشا تعهد لكم بمنع الدروز من معاودة الاعتداء على المسيحيين وذبحهم ونهبهم وتخريب املاكهم وحرقها وطلبتم اليّ بلهجة غاية في الشدة ان اوجه كل عنايتي لاقناع المسيحيين بالانقياد لاوامر دولته ونيّاته المنصرفة الى حقن الدماء ونشر ألوية السلم في البلاد. وبما انه لا يعاكس تحقيق هذه الامنية غير الشيطان او المجنون وعدتكم صريحًا ببذل جهدي لايقاف زحف المسيحيين. وانا موقن باني اتممت واجبي وضميري مرتاح من هذا القبيل اذ لدن تلقي المسيحيون كتبي اوقفوا زحفهم وامتنعوا عن الدفاع عن نفوسهم رغمًا عن اعتداءات الدروز عليهم وغدرهم بهم وهذا يوضح سواغية تأهبات المسيحيين للذود عن انفسهم. فنكون والحالة هذه اعطينا دليلًا قاطعًا على احترامنا اوامر دولة الوالي وقناصل الدول العظمى وانقيادنا لها. في حين ان الدروز قد سلكوا عكس سلوكنا فاستأنفوا الهجوم على دير القمر ودمروا كل ناحية جزين فتشتت شمل العدد القليل الباقي من اهليها في قيد الحياة ولم يحترم الدروز الاديار والكنائس. ولا يزالون يضرمون النار في بيوت المسيحيين المهجورة في نواحي الشوف والعرقوب والغرب والمناصف والجرد والشحّار والمتن. وبينما اكتب اليكم هذه السطور فان النار تأكل قرية العباديّة على مرأى من دولة المشير

فمن يستطيع ان يصبر على مثل هذه الفظائع ؟ فاقسم لكم اني لم أمل قط الى الحرب وسأستمر على ارشاد القوم منادياً بالسلم والوئام . بيدَ انهُ اذا كان الدروز يواصلون التدمير والتخريب لابدَّ للمسيحيين من الثأر لذواتهم فيضطرون ان يقابلوا القوَّة بالقوَّة . وفي النهاية اجرأ على الامل بان خورشيد باشا يتوفق على اثر الحاكم عليه الى ايقاف حملات المعتدين قبل ان ينجزوا كل مقاصدهم الشريرة .

(عن كتاب ذكرى سوريَّة والحملة الفرنسويَّة سنة ١٨٦٠ ص ٥٢ ـ ٥٤ المطبوع سنة ١٩٠٣)

٧٥ ـ الكونت بنتيفوليو دي اراغونه قنصل فرنسا العام في بيروت الى سفير دولته في الاستانة بتاريخ ٣٠ منه

لقد نعم اهالي اقطاعة كسروان براحة تامة في مدى ١٢ سنة اي من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٥٧ بيد أنه كان بعض الاهلين يشكون احياناً استبداد اصحاب الاقطاع المسيحيين الذين يمثلون في هذه القائم مقامية المسيحية طبقة الاشراف كاصحاب الاقطاعات في النواحي المختلطة الطوائف لكن هذه الشكاوى لم تتكاثر الاَّ منذ سنتين تقريباً ولقد توالت في خلالها مساعٍ سرّية اكليريكية بجسمتها وبدت تباشير روح الاستقلال اذ ان الاكليروس كان قد بدأ منذ سنة ١٨٤٢ بالتدخل في الشؤون السياسية ولم يطل الامر حتى ظهر روح حزبية . ولما رأت طبقة الاشراف المسيحية مزاحمة البطريرك والاساقفة لهم ازدادوا تمسكاً بحقوقهم محافظةً على الاولية كما ان رجال الدين لما رأوا ما لهم من النفوذ في الاهالي طمعوا باحراز حكم الجبل ومن ثمه امتنعوا عن مراعاة أمر الامراء والمشايخ فنشأ عن ذلك نزاع خفي ومزاحمة مستمرة من قِبل الفريقين وصولاً الى تحقيق امانيهما .

ان قيام اسرة بللمع على نسيبهم الامير بشير احمد القائم مقام المسيحي والتحقيق

الذي عقبه وآل الى تبرئته وثورة فلاحي كسروان على مشايخهم من الاسرة الخازنية وطردهم من اقطاعتهم هي اهم الحوادث التي تتابعت في هذا القسم من الجبل. فسعادتكم تعرفونها ومن العبث تكرارها بيد أني اقتصر على بيان كون الاكليروس لعب في هذه الحركات دورًا غير مطابق لمهمته السلمية طمعًا بالسلطة واخذ مقام الاشراف واستلام دفة الشؤون لكن طبيعة الاشياء ذاتها ومقاومة فئة الاشراف وسلوك الحكومة التركية الرامي الى اضعاف فريق بواسطة الاخر كل ذلك احبط مساعي الاكليروس بحيث فقد الاشراف والاكليروس معًا سلطتهم على الشعب وعجزوا عن كبح جماحه وتولي ادارته. وعلى هذا المنوال كانت جراثيم الشقاق والفوضى وروح التمرد تختمر منذ بضع سنوات في قائم مقاميتي جبل لبنان على انها وان اختلفت اسبابها فلقد كانت موجهة الى ايقاظ التباغض بين الطائفتين واصلاء سعير الهياج بينهما دائمًا. فالمسيحيون كانوا يتحينون الفرص المؤاتية لرفع نير الدروز عنهم وهؤلاء كانوا يواصلون تأهباتهم لحفظ سلطتهم بالقوة وردّ هجوم محكوميهم.

(عن كتاب «سورية» من سنة ١٨٤٠ ـ ١٨٦٢ لواضعه ريشار ادوارس. ص ١٢٥ ـ ١٢٦)

٧٦ـ صور القنصل العام الى السير بولفر في ٣٠ منه

اتشرف بان ارسل الى سعادتكم الجدول الآتي المتضمن تقدير الخسائر التي ألمّت بلبنان من جرّاء الحرب الاهلية حتى الآن:

١٥٠	قرى مسيحية محترقة
٥٠٠	مسيحيون قُتلوا في الحرب
٥٥٠٠	مسيحيون ذُبحوا
٧٥٠٠٠	مسيحيون منكوبون

أمَّا المنكوبون فيقسمون الى ٣ اقسام . الاول : جميع الذين نُهبت أملاكهم . الثاني : الذين حُرقت بيوتهم علاوةً على نهب املاكهم وهم الاغلبية . الثالث : النساء اللواتي فقدنَ ازواجهنَّ والاولاد الذين يُتموا وعددهم يناهز الـ ١٥ الفًا والفتيان الاخيرتان هما الآن بلا مأوى ولا معين هائمتان على وجوههما تستنديان اكف المحسنين

ان خسائر الدروز لا تذكر بالنسبة لخسائر المسيحيين فقد قُتل منهم في الحرب عدد يساوي العدد الذي قُتل من المسيحيين أمَّا عـدد بيوتهم المحروقة في المتن فقليلة جدًّا

حاشية : ان عدد المسيحيين المعتاشين من الحسنات في هذه المدينة وفي جونية يبلغ ٢٣ الفًا (عدد ١٣ ملحق ١٠ ص ٢٥)

٧٧– *مقتطفات من بيان المستر كراهام عن مهمته الى زعماء الدروز في لبنان في ٣ تموز*

غادرت بيروت بعد ظهر الاربعا ٢٧ حزيران سنة ١٨٦٠ مصحوبًا « بقواس » من قبل كل قنصل من قناصل الدول الخمس . فسريت طول ذلك الليل راكبًا وبلغت دير القمر الساعة السابعة من صباح الخميس بعد ان عرجت في طريقي على كفرحيم مقرّ بشير بك احد زعماء الدروز فوجدته غائبًا فسلمت أحد اعضاء اسرته كتابًا سألته بهِ ان يتبعني الى المختاره .

وكان قد مضى على حريق دير القمر ٨ ايام وجثث المسيحيين المذبوحين باقية فيها دون دفن فمررت بكثير من شوارع المدينة وهي حاضرة لبنان القديمة وقد كانت منذ بضعة ايام في مقدمة مدنه الزاهرة يقطنها كثيرون من اصحاب الثراء حسنة البناء وبيوتها منظمة . اما الان فقلما يوجد بيوت قائمة كما ان النار لا تزال متأججة في بعضها وجثث القتلى مطروحة في الطرقات اكداسًا فوق بعضها بحيث

ان خيولنا لم تتمكن من المرور فاضطررنا الى التراجع .

ثم بلغت المختاره بمدى ساعتين فوجدت سعيد بك زعيم الدروز الاكبر في ساحة قصره محاطاً باتباعه لابساً بزة امير الاي تركي وكان في المختاره مايهٔ جندي نظامي بامرته مما لم يسبق له مثيل وهو يراسل دون انقطاع قائم مقام الجنود في بتدين وخورشيد باشا الموجود الآن في صيدا

وعند وصولي اوقفت سعيد بك على غاية مهمتي وقلت لهُ اني احمل تحريرًا من قناصل الدول الخمس الى زعماء الدروز اسلمهم اياه عندما يجتمعون وسألته ان ينفذ في الحال رسلًا الى سائر الزعماء يستدعيهم الى الحضور لعقد المجلس فاجاب ان لا سلطة له عليهم ليستدعيهم للاجتماع فالححت عليه ان يكتب لهم فأبى

ومن هذا تحققت عدم نجاح مهمتي لانه لو كان ميالاً للمفاوضة لاستدعى سائر البكاوات للاجتماع في الحال ومع ذلك كتبت لهم باسمي موطدًا النية على بذل كل ما في طاقتي عمله وبينما كنت انتظر أجوبتهم لبثت أدلي بكل البراهين التي ظننت انها تقوي على حمل سعيد بك على ان يعد بايقاف رحى القتال حالاً . وممَّا قلته لهُ انهُ يجب ألاَّ يفتكر بانه نظرًا لكوني انكليزيًّا قد جئت بمهمة سرّية غايتها عضد الدروز على المسيحيين لانهم من رعايا سائر الدول (كما وهم في أوَّل الامر) بل جئت وحدي من قِبل جميع قناصل الدول لاعلمه باجماع رأيهم واتحاد كلمتهم على تقبيح هذه الحرب الفظيعة وايقاف تيَّارها . ثم ذكَّرته بفضل الانكليز على الدروز وبمقدار ما هم مديونون لهم حتى بحياتهم وأردفتُ بأنهم فقدوا بسلوكهم الحديث محبتنا وكل اعتبارنا وان لا اصدقاء لهم غير الانكليز فاذا كانوا يأملون بتجديد الصداقة عليهم ان يعقدوا الصلح في الحال . فكان يجيبني دائمًا بهذه العبارة الشرقية « اني وشعبي تحت أمر جلالة ملكة انكلترة وجلّ رغبتنا الطاعة لانكلترة في كل شيء . وهلمَّ جرًّا » فقلت له : « اظهروا طاعتكم واعملوا وفقًا لنصحنا فعدوا صريحًا بانكم تكبحون

جماح رجالكم الدروز بحيث لا يحدث ادنى اعتداء من الآن وصاعداً على المسيحيين ». فاجاب: ليس لي سلطة على شعبي فانا احب السلم وقد اشتغلت ليل نهار مدة هذه الحرب لاوقف شعبي على الحيادة.

ومجمل القول ان سعيد بك وهو اكبر زعيم لجميع الدروز وله سيطرة عظيمة عليهم فيأتمرون بأمره وينتهون بنواهيه فكلمة منه تجمع شملهم بلمحة طرف وكلمة أخرى تفرقهم بالسرعة ذاتها اراد ان يوهمني بانه كأحد الفلاحين لا سلطة له. فلم املك من الضحك وقلت له: اذا كان يظن باننا نثق بدعواه الضعف الى هذا الحد فكأنه يعتقد باننا مجانين فاقدو كل ادراك وزدت انه اذا كان زعماء الدروز ضعفاء الى حدٍ يعجزون معه عن منع اتباعهم من ان ينزلوا الجوائح في البلاد مع رغبتهم الشديدة في تأييد السلم اصبح من اللازم اللازب ان يبدل الباب العالي طريقة الحكم في لبنان ويحرم المشايخ سلطتهم الاسمية. على انه اذا كان لكم سلطة عليهم ولا تريدون غل يد اتباعكم عن الاعتداء تكونون انتم وسائر زعمائهم مسؤولين وعلى كلا الحالين اعلنكم ان جميع حكومات دول اوربا العظمى ستلح على الباب العالي طالباً لنزع السلطة من ايدي الزعماء الدروز.

ثم دبّر حيلة لاقناعي بان لا سلطة له على شعبه وهاك الرواية التي مثلت امامي: أدخل درزي الى الديوان عليهِ اطمار بالية ومسيحي فأخذ المسيحي يشكو من ان الدرزي سرق لهُ فرسه فاوعز اليه سعيد بك ان يرده له فأبى فالحّ سعيد بك بوجوب اعادة الملك الى مالكه الشرعي ثم التفت اليّ وقال: « انا احب العدالة كثيراً فالمسيحيون والدروز متساوون في عيني ». على ان الدرزي ظل مصراً على رفضه فرفع سعيد بك اذ ذاك صوته مهدداً الدرزي لكن هذا اهانه ولعنه وهجم الى الخارج وهو في اشد حالات الغضب صارخاً بانه لا يوجد قوة على الارض تقوى على اكراهه على اعادة ما هو في حوزته الآن. واذ ذاك التفت اليّ سعيد بك وقال:

« أنظرت بعينك مبلغ سلطتي فهذا الرجل وهو احقر اتباعي وافقرهم في الجبل ليس فقط قد رفض اطاعتي بل اهانني في وجهي كما سمعت باذنك ولم اجسر ان اصفعه صفعة واحدة كما كنت اريد فكيف تنتظر مني ان اراقب ٧ الى ٨ الاف رجل مسلح وامنع اعتداءاتهم ؟ » . فتبسمت وأبنت له اني ادركت سرّ الامر وكشفت حيلته وكررت عليه ما قلته قبلاً فذهبت كل براهيني ادراج الرياح .

وفي يوم السبت ٣٠ منه وصلت الاجوبة من سائر الزعماء وكل منهم ابدى عذراً على عدم مجيئه فادعى احدهم انه مريض وزعم الآخرون بان الامن في اقطاعتهم متوقف على عدم مغادرتها ساعة واحدة. وقد جاء بشير بك وحده لكنه كان منقاداً لسعيد بك وطوع بنانه بحيث خيل لي انهما في بردة اخماس . ففتحت بحضرتهما تحرير القناصل العامين فوعداني بالجواب عليه هذا المساء بعد ان صرحت لهما بعزمي على ان اذهب الى كل من الزعماء بمفرده واخذ اجوبتهم فأخراني حتى منتصف الليل باعذار متنوعة وفي آخر الليل قالا لي : لا يمكننا ان نعطيك جواباً لان التحرير موجه الى الزعماء الخمسة فيجب ان يكون الجواب من جميعنا بعد اجتماعنا. فسألتهما لماذا لم يصرحا بذلك منذ البدء فاجابا انهما لم يعلما بانه مكتوب باسم الزعماء الخمسة مع ان سعيد بك اطلع عليه منذ اول يوم وارسل نسخة منه الى خورشيد باشا وقد اعطى اوامره باللغة التركية ظاناً اني لا افهمها فتأففت نفسي من هذا السلوك المعوج وألححت بطلب كتابة الجواب لان قناصل الدول الخمس العامين أولوه شرفاً بمكاتبته فاذا لم يجاوب اعتبر سكوته اهانة كبرى لهم واحتقاراً لهم. فاضطره كلامي في آخر الامر ان يفعل شيئاً وعيّن مندوباً من قبله لمرافقتي الى سائر الزعماء وفعل فعله بشير بك نكد وكل من الزعماء المذكورين سيقتدي بهما الى ان انتهي منهم فيعقد المجلس المؤلف من الزعماء المار ذكرهم والمندوبين الاربعة ويكون مخولاً حق اعطاء الجواب الذي سيرسل الى كل منهم لتوقيعه . وكان ان زرت الزعماء

الكبار الثلاثة الباقين وهم خطار بك (العماد) ويوسف عبدالملك وحسين تلحوق وبسطت لهم ذات الحجج التي بسطتها لسعيد بك فكانت النتيجة واحدة فكل واحد كان يتبرأ من تدخله في الحرب على انهُ اذا كان بعض اتباعهم اشتبكوا في الحرب فذلك ضد ارادتهم وانهُ اصبح لا يُخشى حصول اعتداء جديد من قِبل الدروز انما اذا هاجمهم المسيحيون فلا يستطيعون اذ ذاك اتقاء استعار نار الحرب. ولم يكن أحد من الزعماء الثلاثة السابق ذكرهم في بلدته بل اضطررت ان اسعى وراءهم إلى اماكن أخرى مع انهم في تحاريرهم لي كانوا صرّحوا بعدم استطاعتهم مغادرة بيوتهم .

ان الخطر الاكبر كائن اليوم في جهة كسروان حيث جماهير غفيرة من المسيحيين محتشدة هناك بما فيهم اللاجئون من زحلة واذا حدث قتال جديد يتعذر معرفة ما يُهرق من الدماء . قد عدت الى بيروت بعد ظهر الاثنين ٢ الجاري بعد غيبة ٥ أيام تسنى لي في خلالها مشاهدة عدد عظيم من الدروز ومخاطبة كثيرين من المسيحيين النساء وسماع قصصهم من فمهم . ان جميع الروايات عن حادثة دير القمر متطابقة بحيث نستطيع ان نتصور بجلاء ما حدث فيها ونتأكد ان الاخبار عن فظائع المذبحة لم يُبالغ فيها وفي استطاعتي ان اشهد بذلك . قد ألححت على سعيد بك ان يدفن الجثث هناك فتبسم وقال انه يمكنه ان يتركها حيث هي انما في آخر الامر وعد بانه يعمل وفقاً لطلبي . ان عدة عيال مسيحية (ومعظمها من النساء) موجودة في المختارة حيث تحسن معاملتها وللدروز في ذلك غاية سياسية لان النساء التي أُرسلت الى صيدا بخفارة رجال سعيد بك قد سُلبت في الطريق كل اشياءهنَّ . أمَّا شقيقة سعيد بك فقد امتازت بسلوكها في هذه الحرب فانها انقذت اكثر من ٣٠٠ مسيحي بين رجل وامرأة في حاصبيا وأوتهم في دارها وهدَّدت كل من يجسر من الدروز على دخول بيتها ومخالفة أمرها بالهلاك .

ان الجميع أكدوا بانه لمّا وصل الاميرالاي الذي ارسلهُ الباشا الى دير القمر بأربعمائة جندي قال لجميع المسيحيين انهم اذا سلموه سلاحهم يضمن لهم حياتهم ففعلوا طبق مرغوبه وذهب معظمهم الى السراي حيث كانت الجنود معسكرة طلباً لزيادة التأمين فأحاط الدروز في الحال بالمكان وخلا أحد زعمائهم بالاميرالاي المذكور فسمعه المسيحيون يقول هذه الكلمة « هبسي » أي جميعهم. واذ ذاك فُتحت الابواب ودخل الدروز مسلحين بالخناجر والفؤوس والبلطات وبأنواع الاسلحة التي لديهم وانقضوا على المسيحيين وذبحوا كل هذا الشعب الآمن الاعزل حتى انهم لم يعفوا عن بعض الاطفال الذين لم يتجاوز عمرهم الـ ٤ سنوات وقد تمكن رجل من الهرب فأخبر بما جرى. وكانت النساء ترى بأعينهنّ ازواجهنّ واباءهنّ وأولادهنّ يُذبحون وكانت الجنود التركية تنظر الى هذا المشهد الفظيع وتساعد احياناً الدروز وتمنع كل ذكر من الفرار. وقد جرى مثل ذلك في حاصبيا واستعمل عثمان بك قائد الجنود فيها ذات الطرق فأدخل المسيحيين الى السراي ثم دفعهم ليد الدروز غدراً وخيانةً وقد تحققت من شهود عديدين ذوي ثقة منزهين عن كل غرض ان الجنود التركية اشتركت بالمذبحة واساءت معاملة النساء هناك وفي صيدا. ويظهر ان الدروز لم يمسوا النساء انما قُتل بعضهنّ وجُرحت اخريات بينما كنّ يرمينَ بانفسهنّ فوق اولادهنّ لحمايتهم فقتلت الأم وولدها معاً بيد الدروز الخالين من كل شفقة.

(عدد ٢٨ ملحق ٣ ص ٦٠-٦١)

٧٨ــ جواب زعماء الدروز الى القناصل العاصين بتاريخ ١٤ ذي الحجة سنة ١٢٧٦
[٣ تموز سنة ١٨٦٠]

بعد الترجمة : فقهنا كل ما أمرتم بهِ وابلغتموناه بواسطة حضرة المستر كراهام ومآله : (اعادوا كتاب القناصل السابق) فترجوكم ان تثقوا بان المسيحيين

هم البادئون بالاعتداء على الدروز وبمقاتلتهم حتى في بلدانهم وهذا ثمرة دسائس الوكلاء في بيروت والرئيس الروحي المعلوم مع ان واجبه يقضي عليهِ بمنع الاختلافات في الارض وازالة النفور في أوّل امره . اجل ان هذا الشخص قد سلك خطة مخالفة لوظيفته ومثله الوكلاء الذين سببوا ما قد حدث وهذا مقدّر منذ بدء العالم والله يعلم اننا بذلنا قصارى جهدنا منعاً لكل اعتداء وتحرش ذلك سلوكنا وتلك مساعينا ايامئذٍ فكيف نكون قد ارتكبنا ما عزوتموه الينا في تحريركم وبواسطة مندوبكم من مقاومتنا عدالة حكومتنا السنية ورغائب حكوماتكم المعظمة . ان مندوبكم قد رأى بأم عينه الراحة والنظام السائدين هنا وشعبنا يتجنب أقلّ مظاهرة من شأنها احداث أدنى اضطراب . كما ان الدروز في المتن مخلدون إلى السكينة لكنهم قلقون من اجتماعات المسيحيين فان جمهوراً منهم متألب في قرية المجدل البعيدة ساعة او نصف ساعة عن القرى الدرزيّة وآخر في المروج على مسافة ساعة فقط منها والقسم الثالث في جورة البلوط قرب برمّانا على مسافة ساعة ونصف ساعة من رأس المتن حيث احتشد الدروز الذين حُرقت بيوتهم .

أمّا نحن فلا نهمل والاتكال على الله شيئاً ممّا في طاقتنا لمنع الدروز من ان يبدأوا بالشرّ اطاعة للارادة السنية .

أمّا ما ابلغتموناه بخصوص المساعي المبذولة لعقد الصلح بين الفريقين فهو جلّ رغبتنا وبناء عليهِ ونظراً الى حبنا للخير العام والسلم نستسمحكم في ان نعرض لكم ما اتصل بنا وما نعتقده مستدلّين بالماضي على الآتي . ان العداوة بين الدروز والمسيحيين ما برحت راسخة في القلوب وبما ان املاكهم متجاورة ومختلطة فلا ريب ان البعض سيقدمون على اغتصاب املاك جيرانهم ويتشاتمون فاذا لم تبادروا والحكومة بمزيد النشاط الى عقد صلح نهائية ترضي الفريقين لابدّ من طروء نزاع ولو بين شخصين يتطاير شرره الى الجمهور فيتفاقم الشرّ بحيث تسوء الحالة اكثر من

الاول ولاسيما انه يتعذر مراقبة كل فرد من الدروز والمسيحيين لاتقاء الشرّ. فالمرجو ان تنظروا الى ذلك بعين الاهتمام حتى اذا حدث شيء (لاسمح الله) ولم يتسع لنا ان نردع الشعب (ما خلا بعض الخدم الموجودين في بيوتنا) فلا تقع علينا سهام لومكم فاذا ما كانت قوّات الحكومة تعجز عن كبح جماح الخواطر المتهيجة في وقت بلغ الهياج معظمه فكيف ينتظر ذلك من اشخاص مثلنا ؟ فنستحلفكم بميلكم ومحبتكم اللذين تشيرون اليهما بتحريركم ان تسعوا بغيرتكم المشهورة الى عقد اتفاق بين الفريقين مبني على اساس يضمن وضع حدٍ للاقتتالات وتوطيد السلم. اطال الله بقاكم

الموقعون : سعيد جنبلاط . خطار عماد . بشير نكد . حسين تلحوق

(عدد ٢٨ ملحق ٢ ص ٥٩ـ٦٠ ودي تستا ج ٦ عدد ٣٥ ص ٧٩ـ٨٠ـ٨١)

٧٩ – بنتر قائد البارجة الكسموث الى انيس امير ال مارنين . عن بيروت في ٥ منه

اني عطفاً على كتابي المؤرخ في ٢٨ المنقضي اتشرف بأخباركم بان المدن الواقعة على سيف البحر قد أخذت أمواج الراحة تمتد اليها تدريجاً لكن الثقة لم تعد الى النفوس حتى الان ولم يعاود الناس الاعمال والاتجار ودولاب الدفع واقف وجميع السندات التجاريّة أقيمت الشكوى بشأنها (بروتستو) وستستمرّ هذه الحالة الى ان تتخذ الدول الاوربية وسائل حازمة لوضع حد للحرب .

اني مرسل لكم في طيهِ صورة عريضة ثانية من مسيحيي راشيا وقصتهم محزنة تشابه ما قبلها فظاعةً فان جميع الذكور ذُبحوا وحُرقت البيوت ونُهبت الكنائس ودُنست مذابح التقديس وقد هرب كثير من العيال الذين نجوا من المذبحة الى دمشق أمّا الباقون فقد نقلتهم مراكبنا من نهر الدامور .

لقد ورد على قنصل بروسيا العام في دمشق رسالة سرّية ذكرتها لكم في رسالتي المؤرخة في ٢٥ المنقضي وهي بمكان من الخطورة واقلاق البال على مدن دمشق

وحلب وحمص بحيث أهابت بكثيرين من القناصل العامين ان يطلبوا الى المستر سيريل كراهام وهو من الجوّالة المشهورين في الشرق ان يحمل كتاباً اجماعياً منهم إلى كثيرين من زعماء الدروز ذوي النفوذ حضاً لهم على الخروج من المؤامرة المعقودة بينهم وبين الحكومة التركية .

قد وُزع اليوم تقرير المستر كراهام على القناصل انما لم اتمكن من أخذ صورة عنه لارسلها لكم في هذا البريد بيدَ اني ارسل اليكم بصورة كتاب منه الى المستر مور بخصوص مقابلته سعيد بك جنبلاط ومنه يظهر انهُ أخفق في مهمته لكنه موقن بان الحكومة التركية هي التي دبرت المذابح التي جرت في هذه البلاد وشجعت عليها والاوربيون أجمع في سوريا يشاطرونه اعتقاده هذا . وارجح بان قنصل فرنسا العام وقائد الاسطول الفرنسوي ألحّا على حكومتهما بالتدخل لانهُ قُتل في زحلة راهبان فرنسويان وراهب ايطالي تحت حماية فرنسا ودُمرت كنيستهم ومدرستهم

وفي خلال هذه الحوادث وقعت منازعات بين المسلمين والمسيحيين في شوارع حلب وسُجن كثيرون من اعيان المسيحيين بعد ان اشبعتهم الجنود ضرباً وجلداً .

وقد ورد من المستر برانت قنصل دمشق ان تعصب المسلمين ازداد تسعراً بحيث لا يسمحون للمسيحيين بركوب الخيل ولبس الثياب الملونة وينزلون بهم ضروب الاحتقار والذل مع ان هذه المعاملات قد أُلغيت منذ عدة سنوات بواسطة الدول الاوربية .

لقد حُظر على مسيحيي هذه المدينة ان يحملوا السلاح في الشوارع مع انه مسموح به للمسلمين وللدروز . لقد ألحّ تكراراً على ارباب الحكومة المحلية الاتراك ان يعاملوا جميع الاهلين بالاسوة فلم يفعلوا شيئاً لانهم لا يريدون أو لا يجسرون .

لقد قتل الفرسان الذين بخدمة الحكومة مسيحيين منذ ٣ ايام على مقربة من

ابواب المدينة وحتى الآن لم تتخذ أدنى وسيلة للقبض على القتلة .

اني مرسل لكم في طيهِ المحررات الآتية :

١ً : رواية المستر كراهام عن مذبحة راشيا .

٢ً : تقدير خسائر المسيحيين في الحرب حتى اليوم .

٣ً : صورة كتاب المستر كراهام الى الموسيو مور عن المختاره .

(عدد ١٤ ملحق ٣ ص ٢٨ — ٢٩)

٨٠— صور الى السر بولفر في ١٤ منه

اتشرف بان ارسل لكم في طيهِ نسختين من جواب زعماء الدروز على كتاب القناصل الاجماعي ومن رواية المستر كراهام عن مهمته الى الزعماء المذكورين واضيف اليها ايضاً صورة صك الصلح الذي عقد بين المسيحيين والدروز . ولا حاجة الى القول بان شروط هذه الصلح شديدة على المسيحيين بحيث يتعذر عليهم ان يوقّعوا عن طواعية مثل هذه الوثيقة القاضية بخرابهم . وفي الحقيقة ان التواقيع من جهة المسيحيين اقتصرت على القائم مقام وعدد قليل من موظفيه

(عدد ٢٨ ملحق ١ ص ٥٩)

٨١— عهد صلح بين الدروز والموارنة وقع في بيروت بتاريخ ٦ منه
[١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٦]

نحن الموقعون ادناه قائم مقام ووكلاء واصحاب الاقطاعات وديوان شورى النصارى واعيان المسيحيين ذهبنا اجابةً لامر دولة مشير صيدا عند سعادة كاخية دولته والقائم مقام وصفي افندي فاجتمعنا بقائم مقام الدروز والوكلاء واصحاب الاقطاعات ورجال ديوانه واعيان الدروز فسعينا جميعاً الى استئصال اسباب الشقاق

الواقع بيننا وضمان الراحة العمومية في المستقبل وفقًا لاوامر دولته وحبًّا بمصلحة البلاد واعترفنا بان الحكومة وزعماء البلاد وعقلاءها المحبين خيرها وامنها لم يفتروا عن مواصلة السعي اتقاء وقوع الاضطرابات . بيدَ ان دسائس محبي البلبلة ولاسيما الاشخاص الخالية قلوبهم من الرحمة الذين لا يشفقون على الاطفال والاولاد والبنات وعناد الجهّال حال دون منعهم نشوب الحرب فاجمعوا على انه لا يوجد في هذا المأزق الحرج وسيلة تضمن حقن الدماء واعادة الامن إلى نصابه إلاّ عقد الصلح بين الفريقين المتحاربين طبقًا لشروط الوثيقة المبرمة في سنة ١٢٦١ هجرية (١٨٤٥) وقوامها : « تناسي الماضي »

وبناء على ماتقدم تمّ الاتفاق بعون الله على كتابة صك الصلح العام هذا على الشرط المذكور آنفًا وهو انه لا يحق لاحد الفريقين ان يطلب تعويضات عمّا حدث منذ بدء الحرب حتى الان وكل من يحاول بعد توقيعه الصك نقض الشرط يُعاقب . وعلى جميع الزعماء ان يتحدوا لمنع وقوع هذا الامر .

ان اوامر الحكومة ستصدر وفقًا لنظامات جبل لبنان وعلى القائم مقام واصحاب الاقطاعات ان يطبقوا اعمالهم على النظامات المذكورة كل الانطباق فيبادرون إلى تنفيذ كل أوامر الحكومة متعهدين بايقافها على مجرى الشؤون كلما اقتضت الحاجة وعليهم ان يبذلوا جهدهم لتوحيد كلمة الطائفتين وبث روح الولاء والوئام بينهما لتوطيد راحة الاهلين وامنهم وضمان رفاهيتهم ولاسيما لاعادة كل شخص الى بيته ليعيش براحة ويستلم امواله واملاكه دون ان يلاقي ممانعة من أحد أو يلتحق بهِ أدنى ضرر . وعند اللزوم يجب عليهم ان يساعدوا الاهالي على قدر طاقتهم وفقًا لنظامات الحكومة مستعينين بدولة مشير صيدا .

وستتخذ عاجلًا الوسائل الحازمة لازالة كل سبب خلاف واستبدالها بتوثيق عرى الالفة وتوطيد دعائم الامن وفقًا لارادة جلالة السلطان أيده الله ولنيات

دولة المشير.

بيدَ أنهُ لما كان من المقرر ان اسباب الاضطراب الرئيسية منشاها التراخي في تنفيذ الاوامر والنظام اللبناني فالموقعون أدناه يلتمسون من دولته ان يتخذ أقوى الوسائل لنصب ميزان العدل لتجري الامور مجراها الطبيعي وانصاف كل شخص بمنتهى النزاهة.وعلى جميع اصحاب الاقطاعات والموظفين ان يتموا واجبات وظيفتهم بنشاط ومزيد انتباه وفقاً لنظامات الجبل وألاَّ يسمحوا بحدوث أدنى ظلم وانا لنرجو انهم يسارعون الى قضاء هذا الواجب بالنزاهة المفروضة على ضميرهم.

وبناء على ما تقدم عُقد الصلح بيننا على الشروط المشروحة اعلاه وروي مناسباً ان يكتب اربع نسخ من هذا الصك توقعها كل من الطائفتين فاثنتان منها يتبادلها الفريقان والاثنتان الاخريان تسلمان الى دولة المشير ليحفظهما في خزائن أوراق الحكومة ليكونا قاعدة للعمل في الحال والاستقبال.

التواقيع : القائم مقامان المسيحي والدرزي واصحاب الاقطاعات واعضاء الديوان وكلاء واعيان البلاد.

(عدد ٢٨ ملحق ٤ ص ٦٢ – ٦٣ ودي تستا عدد ٣٨ ص ٨٤ – ٨٦)

٨٢–المستر جيمس فين قنصل انكلترة في القدس عن المختارة في ٥ منه

ذهبتُ هذا الصباح الى بتدين بحثاً عن المسيحيين الباقين هناك لايصالهم الى

---

(١) هو شاب انكليزي خدم سابقاً في دائرة التجهيزات العسكريّة في حرب القريم انقذه المستر جمس فين قنصل انكلترة في القدس إلى الموسيو ابيلاً فيس قنصل صيدا ليسعى في انقاذ اهالي جزّين المتشتتين وايصالهم إلى مكان أمين وأصحبه بكتب إلى سعيد بك جنبلاط وقاسم يوسف حماده وعلي بك من تبنين والى رئيس دير المخلص (عن تحرير فين الى ابيلا)

صيدا سالمين فوجدتُ امرأة عمرها ١٦ سنة يدها مكسورة منحلة القوى مرضوضة الجسم لانها رمت بنفسها من نافذة ثم رجلًا مبرحًا بالجراح ولاسيما في جنبه فعالجهما طبيب الجنود الموجود في القرية ثم ٦ نساء طاعنات في السن لا يقوين على المشي. فانفذتُ قوّاسًا الى المستر ابيلًا الفيس قنصل اسأله ان يرسل إليَّ أسرّة لنقل الجرحى ومن هناك انتقلتُ الى عين المعاصر فوجدتها مدمّرة من اساسها خاوية خالية من السكّان. ثم قصدت كفرقطره وثلثا سكّانها مسيحيون يعيشون على أتمّ وفاق مع الدروز وهؤلاء يحترمونهم كثيرًا وهذه القرية تبعد نصف ساعة عن دير القمر وقد انقذ سكّانها نحو الف نسمة من دير القمر فأوصلوهم إلى صيدا وبيروت وقوام القافلة الاخيرة التي خفروها ٥٠ شخصًا أوصلوهم أمس إلى صيدا. وكانت الجنود في بتدين قد قادت ٣٥ شخصًا الى صيدا في اليوم ذاته ولا يزال في كفرقطره ٣ نساء فسألتهنّ عمّا اذا كنّ يرغبنَ في الذهاب الى صيدا فرفضنَ. وبعد ذلك أتيت دير القمر فوجدتها خرابًا وطرقاتها غاصّة بجثث القتلى المنتنة فلم اتمكن من الوقوف هناك لِما كان ينبعث منها من الروائح الكريهة فتابعت سيري الى بعقلين وفي طريقي التقيت بقوّاس المستر مور القنصل العام يخفر نساء لايصالهنّ الى بيروت. وفي بعقلين علمت ان الاهالي قادوا أمس الى صيدا زهاء ٢٥ شخصًا فتبين لي ان الدروز لمّا علموا بمهمتي أسرعوا الى قضائها بايصال المسيحيين اللاجئين اليهم قبل وصولي الى قراهم.

وفي طريقي الى المختاره التقيت بعلي بك حماده عائدًا من الاجتماع الذي دعاه اليهِ سعيد بك جنبلاط وفيهِ كرّر على مسامع البكاوات الحاضرين ذات الكلام الذي قلته لهُ في اليوم السابق وهو: «انتم الدروز تقولون ان الانكليز لهم اهتمام عظيم بشؤونكم وانهم اصدقاوكم أتفتكرون بانهُ يحسن بكم ان ترعجوهم لاجل ذلك؟ أتحبون ان يشتبكوا في حرب مع احدى الدول الاوربية اتمامًا لغايتكم

ويفقدون من ٥٠ الى ٦٠ الف من أحسن رجالهم وتكونون انتم السبب ؟ لربما تسكت الحكومة التركية عن لومكم على هذه الحرب استناداً على الاوراق التي في يدكم الناطقة بان المسيحيين هم البادئون في القتال فلا يعارضونكم و يوقفونكم قبل ان تدمروا احسن قراهم وتجعلوها قاعاً صفصفاً وتقتلوا افضل رجالهم .بيدَ ان سائر الدول ستعنفكم انتم والحكومة العثمانية . تتوهمون ان الانكليز سيساعدونكم لقد ساء فألكم بل أؤكد لكم اولاً :انه اذا لم تكبحوا جماح الذين انطلقوا يقتلون المسيحيين اللاجئين وينهبون نساءهم . ثانياً : اذا لم تمدوا يد المساعدة الى المسيحيين المذكورين . ثالثاً : اذا لم تبرروا نفوسكم من التهم العديدة الموجهة اليكم بانكم انتم الذين بدأتم بهذه الحرب وكنتم سببها فالانكليز يكونون في مقدمة الذين يعاقبونكم او يسمحون لسائر الحكومات بالتمثيل بكم . ان الحكومة الانكليزيّة هي دائماً مستعدة لمساعدة الذين يكون الحق في جانبهم او على الاقل فهي تمنع خصومهم من الاعتداء عليهم . والان استحلفكم بان تبذلوا مجهودكم لاتقاء حدوث مذابح جديدة وتوقفوا النهب تحقيقاً لغاية الانكليز الذين تدعون محبتهم وحباً بصالحكم الخاص الاّ اذا كنتم تؤثرون ان ينزل بكم شديد العقاب . »

فيظهر ان هذه الكلمات قد كان لها وقع عظيم في البكاوات واعتقد انهم سيبذلون اقصى جهدهم لنشر الامن في البلاد. (عدد ٢٦ ملحق ٦ ص ٥٤ـ٥٥)

٨٣ــ وصله اليه في ٦ منه

اخبرني سعيد بك هذا الصباح ان بعض الدروز اعتدوا على قرية « المزرعة » ملكه وقتلوا مسيحيين واثخنوا ثلاثة جراحاً . فقلتُ لهُ انه كان غنم شكري لو نبهني الى امكان حدوث مثل هذه الفظائع وانا ضيفه في المختاره فما كنت مكثت في هذه البلاد بحيث يتسنى لي على الاقل ان اجهر بان الدروز يحترموننا نحن الانكليز الى

حد انهم لم يمسوا مسيحياً اثناء وجودي في بلادهم . فأجابني : « ان الامر يسوءني اكثر منك فأنا مالك القرية والمسيحيون القتلى والجرحى هم شركائي وأؤكد لك انهُ لولا وجود الجنود العثمانية في داري لما كنت استطيع حماية المسيحيين اللاجئين اليَّ ولا الذين يلجأون . ان الدروز عثروا على مراسلات بين المسيحيين ومنها علموا انهم يريدون اهلاكهم . وقد قبضوا في زحلة قبل نشوب الحرب على امرأتين درزيتين وذبحوهما . ولمَّا كان الدروز يعلمون ما يضمره المسيحيون لهم فمبلغ غضبهم لاحدٌ لهُ وليس عندي احد يساعدني على ايقاف الدروز فسل المستر مور القنصل العام ان يطلعك على الكتب التي حرَّرتها لهُ طالبًا اليهِ ان يسأل المشير ارسال ألفي جندي نظامي إليَّ لاتمكن من تقييد الدروز واخضاعهم . فاذا لم احصل على عون الحكومة لا استطيع شيئًا لان انتصار الدروز في معاركهم قد زادهم عجرفة فأصبحوا لا يطيعون أحدًا . لقد ارسلت كاتب اسراري مع خمسة فرسان للبحث عن اسباب هذه الجناية الاخيرة وسأوجّه مزيد عنايتي إلى معاقبة مقترفيها.»

كتبتُ الى الفيس قنصل المستر ايبلًا ان يعرّفني عن الاماكن التي اختبأ بها المسيحيون لارسل من يخفرهم إلى صيدا وان يرسل لي امرأة تهديني إلى ملجأهم.

(ملحق ٧ ص ٥٥)

٨٤ -- وصله اليه في ٧ منه

قدم هذا الصباح إلى هنا سلمان بك حماده وأخبرني ان البلاد آخذة بالسكون وانهُ عندما طرق سماع الدروز خبر وجود مندوب من قِبل الحكومة الانكليزيّة في المختاره يريد اعادة السلام إلى البلاد صاروا اكثر مسالمة للمسيحيين ثم قال لي ان مجيئي اراح البلاد فوق مأمولي وان جمهورًا من الدروز أوصلوا عددًا كبيرًا من المسيحيين اللاجئين الى صيدا إلى قراهم واني سأسمع بعد بضعة ايام بان الفريقين عادا

إلى بيوتهما ويشتغلان معاً باستغلال الارض . فأجبتهُ انه ليسرّني ان يقدم الدروز على هذه الصنائع قبل ان يُكرهوا عليها بالقوّة وتتخذ بحقهم الوسائل القاسية فاتأكد إذ ذاك انهم فعلوها اكراماً لانكلترة لا خوفاً من العقاب .

عاد القواس بعد ظهر اليوم حاملاً جواب المستر أبيلاً وفيه يصرّح بعدم امكانهِ ارسال أسرّة لنقل الجرحى الموجودين في بتدين وانه يقال بانه يوجد زهاء ٤٠ رجلاً من جزين مختبئين في جبل فوق القرية يرغبون في ان يُنقلوا إلى صيدا . ولما كان جوابهُ هذا غير كافٍ لمساعدتي على الاهتداء اليهم ولم يُرسل إليَّ أحداً يرشدني إلى مخبأهم وكانوا اذا شاهدوني يتنكرون عليَّ اذ يروني مصحوباً بالدروز في حين انهم يجهلون اني ذاهب لاجلهم عزمت على أن أعود الى صيدا لاجد شخصاً يدلني على مكانهم بعد اني اتفقت مع سعيد بك جنبلاط بان يرسل لي رجالاً لحفارتهم عندما أنفذ اليهِ كتاباً بهذا الشأن .

أخبرني القواس هذا المساء بانه لما كنّا في بتدين رأى الجنود تبيع الحلى التي نهبوها من دير القمر . (ملحق ٨ ص ٥٥ – ٥٦)

٨٥ – عربضة النائبين عن اهالي حاصبيا الى قناصل الدول الخمس في بيروت في ١ تموز

جاء يوم الجمعة ٢٠ ايار (اول حزيران سنة ١٨٦٠) درزي الى حاصبيا مخبراً بان قد نشب القتال بين الدروز والمسيحيين في ميمس (وهي قرية تبعد نصف ساعة عن حاصبيا) فتراكض الدروز في الحال وتسلحوا وانقضوا على حي الحوارنة يقتلون المسيحيين الذين صادفوهم ومع هذه المباغتة ظلّ هؤلاء يدافعون عن انفسهم مدة نصف ساعة. فأرسل عثمان بك قائم مقام جنود التابور الاول العثمانية المرابط في حاصبيا قوّة لفصل المتقاتلين فذهب اليوزباشي يوسف اغا الى محل المعركة في حين كان الدروز الآتون من الجوار أخذوا بدخول المدينة فانتزع منهم علماً يخص قرية عنجره

التي تبعد نصف ساعة عن حاصبيًا واخذ سلاح حامله واقتاده أسيرًا الى الثكنة العسكريّة . وقد جُرح من الدروز في هذه الواقعة ٤ أو ٥ رجال ومثل هذا العدد من المسيحيين ومن الغد قدم درزيّان من قرية شبعه وهي تبعد ٣ ساعات عن حاصبيًا فأخبرا ان دروز مجدل شمس واقليم البلّان وصلوا الى قرية شبعه المذكورة ورغبوا الى المسلمين ان ينضموا اليهم لمهاجمة مسيحيي حاصبيًا فأجابوهم انهم لا ينتصرون الى أحد الفريقين الاّ إذا أذنت لهم الحكومة التركية بذلك. انما الدروز تمكنوا من اقناع ٣٠ مسلمًا ان يلحقوا بهم. ولمّا اتصل الخبر بعثمان بك قصد شبعه في الحال وفاوض الدروز ثم رافقهم الى شويًا على مسافة نصف ساعة من حاصبيًا وبقي معهم حتى الساعة الرابعة ليلًا . وعند عودته الى حاصبيًا ذهب اليه كبار شيوخ المسيحيين لاستطلاعه نيّات الدروز فأجابهم انهم مستعدون لمهاجمتهم وانهم أبوا ان يصغوا لنصائحهِ السلمية وزاد ان في عزمه مخاطبتهم مجددًا في هذا الشأن . وفي تلك الليلة فور عودة عثمان بك الى حاصبيًا اضرم الدروز النار في قرية الكفير الكائنة على بُعد ساعتين من هذه المدينة وقتلوا كثيرين من سكّانها ولجأ الباقون الى حاصبيًا

وفي يوم الاحد دنا الدروز من حاصبيًا وأحاطوا بها من كل الجهات فطلب المسيحيون الى عثمان بك ان يحميهم وذكّروه بوعده ان يعاقب الحزب الذي يبدأ بالاعتداء. فأجابهم انه يكالم الدروز مجددًا للحصول على الصلح وانفذ اليهم عيسى بك. فهذا ما شهدناه بيدَ انهُ لم يكن سوى اخدوعة . ثم عاد عيسى اغا بعد حين وانبأ بان الدروز رفضوا قبول اقتراحات السلم وانهم يتأهبون لمهاجمة المدينة . وكان ان عثمان بك صرّح للمسيحيين انه لا يريد ان يحميهم فتسلحوا اذ ذاك واستعدوا للدفاع وبعد برهة اقترب الدروز من المدينة وبدأوا بمهاجمتها ثم تراجعوا لحمل المسيحيين على اللحاق بهم على ان هؤلاء الاخرين كانوا واقفين موقف الدفاع فلم يشاءوا اقتفاء اثرهم . ولمّا جاء الليل عاود الدروز الكرّة من جميع الجهات وكان عددهم

عظيماً بحيث ان المسيحيين اضطروا الى ترك بيوتهم والاستجارة بعثمان بك ليحميهم فأوعز اليهم ان يدخلوا الثكنة واقفل عليهم الابواب واقام الجنود على حراستها ثم اطلق ٣ قذائف محشوّة بارودًا وبعد ذلك اعلن ان المدفع تعطل واوقف اطلاقه . أمّا الدروز فاستمرُّوا يضرمون النار في المدينة واقتربوا كثيرًا من ثكنة الجنود بحيث ان المسيحيين لم يأمنوا على نفوسهم فيها فخرج بعضهم وبينا هم ذاهبون اطلقت عليهم الجنود النار فسقط ٤ منهم واذ ذاك رأى الاخرون نيران بنادق الجنود مصوّبة اليهم فعادوا الى الثكنة فأمر عثمان بك الجنود والمسيحيين بايقاف النار فصدعوا بالامر حالاً . أمّا الدروز فظلوا ينهبون المدينة و يوقدون فيها النار الى ان لم يبقَ فيها بيت سالمًا وحرقوا جميع الكنائس والصوَر ومزّقوا الكتب المقدسة

وصباح اليوم الرابع الواقع يوم الاثنين ذهب عثمان بك الى دار السيدة نايفه (شقيقة سعيد بك جنبلاط وقرينة سليم بك شمس) وحدثها مدة ساعتين ثم جاء معها لاقناع المسيحيين بتسليم سلاحهم الى الحكومة المحلية ووعداهم بصيانة حياتهم اذا فعلوا ولما رأى المسيحيون ذاتهم في موقف اليأس لا يستطيعون الذود عن حياتهم أو الفرار اقتبلوا هذا الاقتراح وتمسكوا بهِ كخشبة النجاة في يد الغريق لكنهم طلبوا الى عثمان بك تعهدًا خطيًّا يأخذ بهِ على نفسه تبعة كل ما يصيبهم من المصائب بعد تسليم أسلحتهم فكتب لهم هذا العهد ووقّعت عليه السيدة نايفه وسلّم الى جرجس الرئيس .

فتوهم المسيحيون اذ ذاك انهم اصبحوا بمأمن وسلموا جميع أسلحتهم لعثمان بك وبعد الفراغ من ذلك نادى المنادي في أسواق المدينة باسم عثمان بك والسيدة نايفه بوجوب استسلام الاهالي الى الطمأنينة والامن . وكان ان وضعت أسلحة المسيحيين في ثكنة الجنود وسمح لمن شاء من الدروز اختيار أجودها فلم تركوا سوى ٥٠٠ بارودة أرسلوها فيما بعد الى عين عطا بخفارة جنديين نظاميين

لايصالها الى راشيًا الى أمير الالاي التركي ليرسلها من هناك الى دمشق مع تابور من الجند. ويوم الخميس التالي عاد الجنديان وأخبرا بان الدروز نهبوا هذه الاسلحة على طول الطريق بحيث لم يبقَ منها سوى ٨٠ بندقية معطلة مكسرة غير صالحة لم يقبلها أمير الالاي المشار اليه فوهبها الى حامليها دروز عين عطا. وظلَّ المسيحيون على هذه الحالة محبوسين في الثكنة مدة ٩ أيام من الاحد حتى الاثنين يتضورون جوعًا لا يُسمح لهم بالخروج لشراء الخبز وتصاعدت أثمان الحبوب بحيث بيع الرطل بخمسين قرشًا. فمات كثيرون من الرجال والاولاد جوعا وعطشًا. وفي خلال ذلك كانت السيدة نايفه ترسل تأخذ من تريد انقاذه وفي عدادهم الشيخ ميخائيل غبريل واسرته.

أمَّا عثمان بك فلم يفتر عن تطمين بال المسيحيين قائلًا لهم بانهُ يخاطر بحياته ولا يسمح بقتل أحد منهم وانه يحميهم ولو قُتلت جميع الجنود التي بأمرته فسدَّ جميع مخارج الثكنة ولم يترك إلاَّ بابًا واحدًا اوقف الجنود على حراسته منعًا لخروج المسيحيين. وكان الدروز يأتون بكل حريّة يأخذون الخيول والبغال وسائر الدواب خاصة المسيحيين ويستخدمونها لنقل ما سلبوه من دور المسيحيين دون ان تحاول الجنود منعهم. بل استحسنوا هذه الحالة لانهم كانوا يشترون من الدروز تلك الخيول باثمان تافهة مشترطين ارجاع كل دابة يثبت انها تخص مسلمًا أو يهوديًا واعادة ثمنها. وكان علي بك حماده يضمن تنفيذ هذه الشروط.

ويوم الاثنين الواقع في ٢٩ منه ذهب عثمان بك مع السيدة نايفه بحجة انهُ مضطر الى ان يذهب الى شويًا لحضور دفن الشيخ كنج أبي صالح زعيم دروز مجدل شمس وبعد الدفن اجتمع عثمان بك بالسيدة نايفه وببعض الدروز في دار السيدة المار ذكرها وهناك صرَّح عثمان بك على ما اتصل بنا انهُ يؤثر صداقة الشيخ صالح على صداقة جميع المسيحيين وانه يسمح بذبح جميع هؤلاء الخنازير المحبوسين في

الثكنة . وفي ذلك الحين وصل علي بك حماده مع ٣٠٠ درزي من الشوف مرسلًا من قبل سعيد بك جنبلاط وبعد ان ترك رجاله على نهر حاصبيًا على مسافة نصف ساعة من المدينة جاء هو دار السيدة نايفه وخلا بعثمان بك . وبعد ذلك عاد هذا الاخير الى الثكنة حيث سهر على ابقاء جميع الابواب التي يمكن المسيحيين الفرار منها موصدة ففقهوا اذ ذاك حراجة موقفهم وكانوا أمسوا في عوز شديد يسدون رمقهم باوراق العنب والتوت والنخالة وغيرها . وفي تلك الاثناء وصل كنج آغا العماد مرسلًا من قبل المشير في دمشق مع ٤٠ فارسًا من الضابطة يقود ٧٥ مسيحيًا من سكّان البقاع وكاهنًا استجاروا به وهو يحمل أمرًا من المشير الى عثمان بك مآله ان كنج آغا الموما اليه كتب على نفسه عهدًا بان يذهب الى حاصبيًا وراشيًا لانقاذ جميع مسيحييها وايصالهم سالمين الى دمشق فتلي هذا الامر على مسمع الامراء ففرحوا وجأروا بالدعاء ليحفظ الله أيام مولاهم جلالة السلطان وممثله في دمشق شكرًا على انقاذه حياتهم وفي الحال أخذ المسيحيون يستأجرون مراكيب لمرافقة الجنود و كنج العماد الى دمشق وفقًا لامر المشير . بيدَ ان كنج آغا وعثمان بك قصدا على الفور دار السيدة نايفه لمفاوضتها فعقدوا مجلسًا حضره علي بك حماده وفيه استقرّ الرأي على قتل اثنين من أعيان المسيحيين اوّلهما جرجس الرئيس وكان مختبئًا في الطابق العلوي من دار امير الالاي فاوعز عثمان بك الى الكاتب عبدالله افندي واليوزباشي يوسف اغا ان يأتيا به وبعد ان فتشا عنه قليلًا اهتديا اليه واقتاداه الى عثمان بك فدفعه الى الدروز لقتله والغاية من ذلك استرجاع التعهد الخطي الذي كتبه عثمان بك ضمانةً لحياة المسيحيين وأودع جرجس الرئيس . فلما رأى ذاته بين يدي جلّاديه قال لهم : « لكم قدرة على قتل الجسد ولا سلطة لكم على قتل النفس . » ثم استشفع بالقديس اسطفان اوّل الشهداء صارخًا : يا إلهي استودعك نفسي ! » فثّلوا به وقبل الاجهاز عليه عذبوه كثيرًا وعندما لفظ روحه نصبوا جثته وخاطبوها بهذه الالفاظ : « اكتب الان الى

الملوك المسيحيين والى القناصل الموجودين في مدن عربستان والى البطاركة والى زحله ودير القمر ليأتوا لانقاذك ! » ثم قطعوا يده اليمنى وحرقوها وفصلوا رأسه عن جثته وقطعوه اربعة اجزاء اقتسموها بينهم .

ثم بُحث عن أبي ملحم مرعي فوجدوه في الشكنة فاستاقوه الى عثمان بك فسلّمه الى الدروز ولمّا كان يمشي ببطء وخزته الجنود برؤوس حرابها

وبعد قتل جرجس الرئيس وأبي ملحم المذكور هجم الدروز على الشكنة بين الصخب الشديد ومظاهر الفرح فأمر عثمان بك الجنود بفتح الباب والسماح لهم بالدخول . وكانت الجنود قد اصطفت في ساحة الشكنة كأنها واقفة للاستعراض فدخل كنج العماد بالـ ٣٠٠ درزي الذين أرسلهم سعيد بك جنبلاط بقيادة علي بك حماده فذبحوا بدون شفقة جميع المسيحيين العزّل دون أن يعفوا عن أحد . فكانوا يذبحون الاولاد على ركب امهاتهم والرجال على ركب نسائهم واستمرت هذه المجزرة الهائلة مدة ساعتين كاملتين وكانت الجنود تصد بحرابها جميع الذين يستجيرون بها وعدا ما تقدم فان الجنود النظامية ساعدت الدروز على اكتشاف مخبأ الذين لاذوا بزوايا الشكنة . أمّا الامراء فكانوا في الطابق العلوي فاهتدى الدروز اليهم ودمقوا على غرفة الامير سعد الدين شهاب عميد الامراء فقتلوه ثم حزّوا رأسه واحتفظوا به ورموا بالجثة الى الساحة وقتلوا ايضاً ٥ من الامراء فيهم الامير جهجاه عامل بلاد حاصبيا

ولمّا انتهت المجزرة سأل ضباط الجنود النظامية السيدة نايفه ان تأتي الى الشكنة لتمتع نظرها بهذا المشهد وبعد ان جاءت ونظرت ارجعوها باحتفال عظيم ثم ذهبت الجنود الى دارها وحرق الدروز الشكنة بعد ان اخذوا منها ما تركه المسيحيون حتى انهم جرّدوا الجثث من ثيابها . وهذه الشكنة كانت تخص اسرة الامراء الذين ذُبحوا وقد بلغ عدد الضحايا في الشكنة زهاء ٩٠٠ عدا الـ ٧٥ مسيحياً والكاهن

الذين جيء بهم من القرعون من أعمال البقاع .

ان زهاء ١٢٠ مسيحاً كانوا لاذوا بدار السيدة نايفه فطاب الدروز اليها تسليمهم وهددوهم بالقتل على أمل ان يفتدوا ذواتهم باموالهم واوجبوا تسليمهم صكوك املاكهم فدفعت اليهم. وعلى اثر هذه الفظائع عرض بعض الدروز على الامراء والمسيحيين الباقين في قيد الحياة ايصالهم الى دمشق لقاء بدل مالي فأعطوا ٦ الاف قرش لايصال احد ابناء الامراء فاقتادوه الى خارج القرية وجرحوه بضربة سيف واعادوه الى حاصباً طالبين زيادة مال فاعطاهم والده تحويلاً بخمسة الاف قرش على الخواجا ميخائيل مشاقه قنصل اميركا في دمشق فأوصل درزيان هذا الشاب الامير الى المدينة المذكورة وقبضا المبلغ . وقد اوصل غيرهم من الدروز ٣ امراء آخرين لقاء مبلغ الفي قرش عن كل واحد . كما ان ٣٠ مسيحياً من الذين كانوا عند السيدة نايفه لم يأمنوا على نفوسهم فاتفقوا مع الدروز على خفرهم حتى دمشق وعند وصولهم الى أبوابها أبقى الدروز البعض منهم رهينة ليأتي الآخرون بالفدية .

ان الدروز طلبوا الى عثمان بك شريكهم في الجناية ان يعطيهم شهادة بان المسيحيين كانوا البادئين بالعداء فسلمهم كتابة بهذا المعنى وفقاً لرغبتهم.

أما السيدة نايفه فاصحبت معها من بقي عندها من المسيحيين والامراء وذهبت بهم الى شقيقها سعيد بك جنبلاط في المختاره فسألها عشرون مسيحاً ان ترسلهم الى محمد بك الاسعد صاحب مرجعيون فعهدت الى بعض الدروز بخفارتهم ولما بلغوا النبي حمام انقض عليهم فرسان دروز من عائلة سيف وذبحوهم ولم ينج منهم إلاّ اثنان.

أما عثمان بك فغادر حاصباً بعد ان صارت قاعاً صفصفاً يريد دمشق وقد حمل جميع ما غنمته جنوده من بيوت المسيحيين على دواب اشتراها من الدروز خاصة المسيحيين وهو الآن يبيع فيها علناً هذه الاسلاب . (عن كتاب سورية في سنة ١٨٦٠-١٨٦١ لجامعه الاب جوبين فصل ٦ ص ٢٢ - ٣٠)

٨٦- المستر بنر مبشولام الى فين فنصل انكلترة في القدس بتاريخ ٩ منه

أسرُّ باخباركم باني قبل مغادرتي المختاره نجحت باقناع سعيد بك بان يرسل سليمان بك حماده باربعماية فارس لتوطيد الامن في البلاد فارسل ينذر جميع الدروز بان كل من يعتدي على مسيحي فسليمان بك يقبض عليهِ ويعاقبه بشدة .

اتصل بي اليوم ان قد قُتل ٣ مسيحيين في خلايل الغنم قرب جزين .

لقد ارسلت تحريرًا الى سعيد بك جنبلاط وصورته واصلة في طيهِ وبعد الظهر سمعت ان سعيد بك جاء قيتوله فرأى بعض الدروز يحصدون غلال المسيحيين فطردهم ويظهر انهم فيما هم عائدون الى بيوتهم التقوا بالمسيحيين الثلاثة المذكورين آنفًا فقتلوهم .

بدأ الدروز بان يقودوا كثيرين من المسيحيين الى قراهم ولي الامل بان وعد سعيد بك لي هو على وشك الانجاز .

قد طردت موسى « القواس » لانه رفض ان يحمل تحريري الى سعيد بك جنبلاط بحجة انهُ يخاف ان يذهب وحده وانه بحاجة الى من يخفره الى المختاره فبينت لهُ ان لا محل لخوفه لانه جاء وحده من المختاره في اليوم السابق لكنه اصرَّ على رفضه.

في طيهِ جوابا سعيد بك جنبلاط وقاسم بك يوسف على كتابيكم اللذين سلمتهما لهما . (الكتاب الازرق الانكليزي ملحق ٨ ص ٥٦)

٨٧- وصله ايه في ١١ منه

اعرض لك باني سألت المستر ابيلًا ان يرشدني الى مخبأ المسيحيين الفارّين الواجب ايصالهم الى صيدا فأجابني انه لا يستطيع الاهتداء الى مخبأهم . ومع ذلك سأبذل كل جهدي لاعادة الامن الى البلاد ووقاية المسيحيين وعليهِ فاني سأواصل

مراسلة سعيد بك جنبلاط فاكتب اليهِ كلما اتصل بي خبر حدوث اعتداء على المسيحيين مستعملًا البراهين سائلًا متوسلًا وعند الحاجة مهددًا . ولي الامل اني بمثل هذه الوسائل اتمكن من ايقاف الاعتداءات على المسيحيين وعلى الاقلّ تقليلها وتخفيف شقائهم .

في طيهِ صورة جواب سعيد بك جنبلاط على تحريري ومنه تعلمون ان كتابي اليه وقد ارسلت نسخة منه اليكم ضمن رسالتي المؤرخة في ٩ الجاري قد جاء ببعض النتيجة . سألت المسيو ابيلًا ان يعطيني ٣٠ ليرة انكليزيّة فدفع لي منها الف قرش وقال انه سيدفع لي الباقي متى تلقى افادة منكم . (ملحق ٩ ص ٥٦)

٨٨ – *رواية الاب روسو البسوعي عن سقوط زحله وحالة صيدا . عن صيدا في ٤ منه*

ان مدينة زحلة كانت مأهولة بـ ١٢ الى ١٥ الف مسيحي فصدُّوا الدروز على مرتين محمليهم خسائر لكن هؤلاء في المرة الاخيرة لجأُوا الى حيلة ونجحوا بها ذلك انهم لمَّا علموا ان مسيحيي زحله ينتظرون نجدة اصطنعوا اعلامًا وصلبانًا ووضعوها في مقدمة جمهور قوامه الفا رجل متنكرين ولما داوا زحله أخذوا يهزجون متغنين باغاني المسيحيين الوطنية فانخدع أهالي زحله وخرجوا الى لقاء هؤلاء الاخوة الكذبة دون حذر فقابلهم هؤلاء باطلاق البنادق وباغتوهم بالهجوم وأعملوا فيهم السيف وقتلوا عددًا كبيرًا منهم ومع هذه المفاجأة تمكن معظمهم من التراجع . لكن كان قد سبق للنساء والاولاد ان التجأُوا الى الجبال منذ بضع ساعات وهكذا كانت المذبحة في زحله اقلّ من غيرها لكنها اصابتنا بسهم مؤلم بافقادنا الاب بيليوته وهو مثلي من اقطاعة فرانش – كونته . وقد قُتل بالقرب منه ٣ اخوة وعدد من الذين كانوا لاذوا بديرنا معتقدين انهم يجدون فيهِ ملجأً أمينًا تحت ظل العلم الفرنسوي . . .

ان الامر الذي أراع أهالي زحلة واضطرهم الى الفرار هو رؤيتهم الجنود التركية

تطاق المدافع على المدينة التي أمست رماداً .

قد أصاب راشيا والجديده الكائنتين في السهل ما حلّ بزحله من جرّاء خيانة قواد الجنود وغدرهم .

ان جمهوراً غفيراً من المسيحيين لاذوا بعد خراب مدنهم وقراهم بالكهوف والغابات فطاف الدروز الجبال مصحوبين بكلاب لاكتشاف مخبأهم فعثروا على ماية في مكان واحد فقيدوا أيديهم وراء ظهورهم لقتلهم بعد تعذيبهم فكانوا يبترون أذرع البعض وأيدي الآخرين ويقطعون لحانهم ويفقأون أعينهم أو يحرقونهم أحياء .

ان بيروت غير أمينة ولا مطمئنة مع وجود القناصل العامين واكثر من ٢٠ بارجة حربية راسية في ثغرها وأوشك المسلمون ان ينزعوا الى الفتنة وعند حدوث أقل اضطراب يخشى من ذبح جميع المسيحيين وهم يعلمون ذلك وعليه سافر عدد كبير منهم الى الاسكندرية ومرسيليا . وقد هاجر ايضاً من صيدا من جرّاء ذات المخاوف أهم اسرها فقد كان كل شيء في هذه المدينة معداً للنهب والذبح واوشك عاملها التركي والمفتي ان يأمرا بهما واذا اتصل خبر الخطر بامير البحر الفرنسوي المرابط في بيروت ارسل في الحال احدى سفنه . ولما وصل « الموسيو كرانتز » قائدها قصد العامل المذكور وسأله اذا كان يضمن سلامة المدينة فاجابهُ : « لا اكفلها ساعة واحدة » فخرج حالاً القائد المشار اليه وعاد الى سفينته وانزل في جزيرة صغيرة على مقربة من المدينة ١٠٠ جندي مع مدفع وعاد على جناح السرعة الى بيروت ليقص على أمير البحر ما رأى وسمع .

فلما وقف أمير البحر على الحالة خفّ من بيروت الى صيدا فبلغها بعد بضع ساعات ومعه ٤ بوارج اثنتان فرنسويتان واثنتان انكليزيتان فارتاع الدروز والمسلمون من قدوم هذه القوات ولم يجسروا على مهاجمة المسيحيين .

وقد وصل ايضاً خورشيد باشا لكنه تابع خطة الخيانة والغدر وفور وصوله

سلّم زعيم الدروز وساماً مكافأةً له على قيامه بواجبه بذبحه الفي مسيحي وحرقه اكثر من ٨٠ قرية . ان امير البحر الفرنسوي عاد الى بيروت بعد ان اخذ عهداً من أرباب الحكومة الملكيين والعسكريين بوقاية المدينة وقد أبقى احدى بوارجه الراسية في المرفإ لارهاب المسلمين والدروز .

ومع ذلك فالمخاوف على ازدياد والحالة تنذر بخطر عاجل فاذا لم تعجل فرنسا بمساعدتنا يكون نصيبنا نصيب سائر المدن التي دُمرت . ان جماهير المسيحيين التعسين المحشورين في المدن الساحلية ليس لديهم من القوت سوى ما توزعه فرنسا عليهم كل يوم من الخبز فلولا سخاء فرنسا لمات هذا الشعب المسيحي جوعاً لان باقي الحكومات لم تجد بكسرة خبز لسد رمق هؤلاء التعساء .

ان القلب ليقطر دماً عند مشاهدة بقايا سكان عدة مدن وعدد كبير من اهل القرى محشورين في الخان الفرنسوي في صيدا عراة حفاة ترعاهم الحشرات لا قوت لهم سوى قطعة الخبز التي توزعها عليهم فرنسا على يد قناصلها . فهناك اناس من اسرٍ كريمة ومن كبار التجار كانوا بالامس ينعمون بالثراء فأمسوا اليوم يعتاشون من الحسنات .

يذيع الدروز ان عدد المسيحيين الذين ذبحوهم في لبنان بلغ ٢٢ الفاً في حين ان المسيحيين يعتقدون ان عددهم لا يتجاوز الخمسة عشر الفاً (وقد قدرهم بعض الاحصائيين بـ ٧٧٠٠)

ان الموسيو دوريكاتو قنصل فرنسا في صيدا ابدى تجرداً وبذل ذات حرّيين بالاعجاب فان غيرته على المنكوبين لم تفتر ومعين سخائه لم ينضب . أمّا الموسيو غلياردو من بلدة لونيفيل وهو طبيب الشكنة العسكرية في صيدا عارف بجيل الاتراك وخبثهم قد حال دون كثير من الشرور بفضل وظيفته وقد أفاد كثيراً الجرحى المسيحيين فانهُ يزورهم مرتين في النهار ويضمد جراحهم .

ان الموسيو حبيب ابيلا قنصل اسبانيا والبرتوغال قد خاطر غير مرّة بحياته

لادخال مئات من المسيحيين الفارّين الى صيدا وحال دون نهبهم وذبحهم على أبواب المدينة . ان راهبات مار يوسف فتحن ديرهن لمرضى المسيحيين وجرحاهم وقدمن لهم الثياب والمؤونة وهن يعتنين بهم بحنان والدي وقائد البارجة الفرنسوية يزورهن مرتين في النهار معجباً باعتنائهن بالمرضى .

ذيل : ان الدروز انزلوا العلم الفرنسوي المنصوب على ديرنا في زحله وغمسوه بالزيت واشعلوه ولما احترق وضعوا حذاء عتيقاً على رأس الصاري مكان العلم وركزوه في وسط الخرائب . (عن كتاب الاب جوبين ص ٣٢ـ٣٥)

٨٩- عربضة الناجين من مذبحة دير القمر الى قناصل الدول الخمس في اول تموز

ان دير القمر لمحاطة من كل جهاتها بقرى عديدة درزيّة واهلوها يضطرون في كل آن الى الخروج منها شراء لحاجياتهم المعاشية فموقفهم هذا قضى عليهم بتحاشي كل حركة او سعي يعرضهم للحصار او إلى قطع وصول الزاد اليهم. فصبروا طويلاً على الضيم اتقاء حدوث نزاع بينهم وبين الدروز بغية حفظ السلم . وفي سنة ١٨٤١ امتحنوا سوء نتائج الحرب الاهلية وخبروا مشايخ الدروز واعيانهم فتحققوا انهم اشرار لا يمكن وضع ادنى ثقة فيهم فانهم يخفرون ذمة واجبات حسن الادارة مستسلمين لِما فُطروا عليهِ من الاستبداد والارهاق والنهب . فلهذه الاسباب بذلت بلدة دير القمر ما في طاقتها للتخلص من ربقة حكم القائم مقام الدرزي واستبدلته بعامل تركي يعينه الباب العالي مباشرةً . وهذا ما دعا اهالي دير القمر الى التصرف بمزيد الحذر والفطنة .

ومنذ ١٥ آب سنة ١٨٥٩ يوم نشب القتال بين الدروز ومسيحيي بيت مري لم يفتر اهالي دير القمر عن استعمال الوسائل المانعة وقوع الخلاف بينهم وبين الدروز فاستحقوا بسلوكهم هذا الصادق الواضح ارتياح الحكومة المحلية وقناصل الدول

العظمى الخمس

بيدَ ان الدروز الراغبين في ابادة المسيحيين للاستيلاء على اموالهم ما برحوا يبغضون اهالي دير القمر وزحلة وقد وجّهوا دسائسهم ومساعيهم الى تدمير هاتين المدينتين بلوغاً لغرضهم فتحققت امانيهم الان .

ذلك انهُ يوم الجمعة الواقع في ١-١٣ حزيران سنة ١٨٦٠ عند الساعة الـ ١١ صباحاً بينا كان اهالي دير القمر في بيوتهم آمنين واذ فاجأهم الدروز بالحصار يقودهم زعماء أسر حماده وأبي نكد وعماد مع جميع اتباعهم فبدأوا حالاً بالهجوم . أمّا الجنود التركية فبدلاً من ان تعارض الدروز امتنعت في ثكناتها وكان دولة خورشيد باشا مشير ايالة صيدا قد ارسل في اليوم السابق امرًا باللغة التركية الى متسلم المدينة يمتدح فيهِ من سكّان دير القمر وحسن سلوكهم اخلادًا للسكينة ويضمن سلامتهم وراحتهم واعدًا بحمايتهم من اعتداء الدروز بقوّة السلاح اذا ما اقتضى الامر وهذا الوعد هو السبب في خراب دير القمر وذبح اهاليها .

وفي ذلك اليوم استمرّ القتال حتى الساعة الثانية بعد غروب الشمس وفي خلالهِ ذهب بعض التجار المسيحيين مع وفد من الاعيان الى المتسلم التركي في الثكنة فوجدوا جميع الابواب مقفلة فبدأوا يصرخون متوسلين إلى الجنود بأن تفتح لهم الابواب وتجيرهم فتصاموا عن السماع مع انهم كانوا يسمحون بالدخول لمن ينقد الضبّاط مالاً ويأبونه على من لا مال لهُ يرشيهم وكان صراخ النساء وعويل الاولاد يدوي في كل جهة فلم ينجدوهم

وفي ذلك اليوم لم يدرك الدروز ضالتهم بل خسر المسيحيون سبعة عشر رجلًا .

وفي اليوم التالي السبت الواقع في ٢-١٤ منه عاود الدروز الكرّة واقتربوا كثيرًا من المدينة لالجاء اهاليها إلى القتال فذهب أعيان المسيحيين ثانيةً إلى المتسلم والى قائد الجنود التركية وسألوهما شفاهًا وكتابةً حمايتهم من عصابات الدروز وفقًا لاوامر

المشير ووعوده على انهما اذا رفضا وقايتهم فعليهما على الاقلّ ان يعطيـاهم بارودًا للدفاع عن انفسهم . فأجاباهم بانه لما لم يكن لديهما أوامر فيتعذر عليهما حمـاية المسيحيين أو اعطاءهم بارودًا لكنهما نصحاهم بالاستسلام إلى سعيد بك جنبلاط وبشير بك نكد وتسليمهما اسلحتهم . فلما رأى الاهالي اباء الحكومة عن مساعدتهم على وقاية حياتهم التجأوا الى سعيد بك جنبلاط وكان موجودًا اذ ذاك في بتدين عند عبدالسلام بك قائم مقام الجنود التركية فارسلوا اليهِ عريضة جهروا بهـا بالاستسلام اليهِ والانقياد لاوامره على شرط ان ينقذهم من الاخطار التي تهددهم وسلّموا هذه العريضة مفتوحة الى متسلم دير القمر فوضعها ضمن كتاب منهوأرسلها الى قائم مقام الجنود مع جنديين . فورد الجواب من سعيد بك راغبًا اليهم بمفاوضة بعض أعيانهم فاجتمعوا بهِ وصار الاتفاق على ابتعاد الدروز عن دير القمر ففادروها ولكن يومًا واحدًا .

ويوم الاحد ٣-١٥ حزيران استأنف الدروز الاحاطة بالمدينة وقطعوا مواصلاتها مع الخارج ونهبوا البيوت الواقعة على اطرافها وحرقوها وذبحوا خليل دَبر وعبد الله حلبي وسلبوا بعض النساء وجرحوهنّ . فشكا الاهالي الامر للحكومة فاذاعت نشرة حظرت بها الخروج من المدينة ومداناة البيوت المنفردة متصلة من كل مسؤولية اذا ما خولف أمرها. وعند ظهر ذلك اليوم دخل سليم وشاهين بك أبي نكد دير القمر بجمهور كبير من الدروز وقصدا ثكنة الجنود فاحسن المتسلم وقائد الجند استقبالهما ثم وصل رجالهما واخذوا يسيئون معاملة المسيحيين رجالاً ونساء مانعيهم من اللياذ بالثكنة . وبعد بضع ساعات انتشر الدروز في شوارع المدينة زرافات بحجة طرد الذين دخلوها .

وعند غروب الشمس قدم الفريق طاهر باشا من بيروت ومعه ماية جندي تركي يصحبه سعيد بك جنبـلاط وعلي بك حماده برجالهما الدروز شاكي السلاح

وقبل دخوله دير القمر كان قد سبق له مفاوضة الزعيمين المشار اليهما بحضور بشير بك أبي نكد فاستغرق حديثهم ساعة من الزمن .

وفور وصول طاهر باشا قصده جميع أعيان المدينة فقال لهم انهُ علم بمزيد الاستياء بما حصل لهم مما دعاه الى التعجل بالمجيء لمساعدتهم وانه يتوجب عليه حمايتهم بصفة كونهم من رعايا الباب العالي ولاسيما لانهم لم يشتركوا بالاضطرابات الحاصلة في الجبل وبعد ان ضمن لهم سلامة اشخاصهم واموالهم صرفهم . ثم قصد بيت الدين تاركاً في دير القمر المائة جندي الذين جاء بهم .

ومن الغد تلقى أعيان دير القمر أمراً بموافاته الى بتدّين ولما قابلهم ضمن لهم مجدداً سلامتهم لكنه الحَّ عليهم باعطائه عهداً خطياً يتكفلون بهِ بالاخلاد الى السكينة وبتجنب الاشتراك في القلاقل الجارية في الجبل وبامتثال إرادتهِ وبعدم حملهم السلاح في المدينة . فوقع جميع أعيان المدينة هذا العهد وسلموه اليهِ ثم سألوه ان يتعهد لهم كتابة بصيانة حياتهم واموالهم فأبى بحجة ان كلامه ضمانة كافية وان الحكومة المحلية والجنود المسؤولين يسهرون بدون ريب على حياتهم واموالهم وأردف قائلاً : « كونوا ناعمي البال اشتغلوا بشؤونكم لا تخشوا بأساً على انه اذا خرج أحد المسيحيين من المدينة وقُتل فالحكومة تتصل من كل تبعة . »

فاطمأن الاهلون بالاً وعادوا آمنين إلى بيوتهم . وفي ذلك اليوم نهض أخص أصدقاء سعيد بك جنبلاط بعيالهم ونفائس أموالهم قاصدين داره في المختاره بخفارة رجاله وعند مرورهم امام بتدّين أوعز طاهر باشا الى امير الالاي بمنعهم عن متابعة طريقهم وأمرهم بالعودة الى بيوتهم محظراً عليهم مغادرة المدينة وكرر عليهم وعوده فالحَّ المذكورون استسماحاً بمواصلة سيرهم فاصرَّ على الرفض واكرههم على الرجوع الى بلدتهم . فلو ظلوا متابعين سيرهم لكانوا بلغوا المختاره آمنين ككثيرين غيرهم لجأوا منها الى بيروت وهم الآن فيها .

وفي يوم الثلاثا ٥ – ١٧ حزيران برح طاهر باشا بتدين الى دير القمر فاستدعى الاعيان وكرر على مسامعهم عهوده السابقة ملقياً على عاتقه مسئولية الاضرار التي يلحقها الدروز بهم فعرض لهُ المسيحيون انهم عرفوا باعتزامه على مغادرتهم الى بيروت وتركهم محاطين باعدائهم وقد اشتدت عليهم حلقات الفاقة فخلوا من المؤنة لاعالة عيالهم لان الدروز ينهبون كل ما يُرسل اليهم ولا سبيل لاستحصال قوتهم الضروري لانه محظور عليهم الخروج من المدينة فاذا ما سافر دولته يفقدون طمأنينتهم فوعدهم بألاَّ يغادرهم إلاَّ متى وصل عدد كاف من الجند لتأمينهم لانهم رعايا الباب العالي . وبعد بضعة أيام وصل من صيدا زهاء ٥٠٠ جندي منظم ومعهم مدفعان سهليان وكان في المدينة وبتدين نحو ٤٠٠ جندي فجاء الباشا اذ ذاك دير القمر واستدعى اعيانها وكرر لهم وعوده وقسمه موردًا اياهم موارد الطمأنينة لما ان الجنود السلطانية ستحميهم من اعتداء الدروز وانه أمر الضباط ان يذودوا عنهم لدى الاقتضاء بالقوة وانه اتسع للاهلين المجال ان يتعاطوا اشغالهم دون خوف. ثم استقدم منادياً وأمره بان يطوف اسواق البلدة وشوارعها معيدًا وعوده على مسامع الاهلين باعلى صوته محرّضهم على التزام جانب السكينة وفي الوقت ذاته أمر المتسلم وضباط الجند بألاَّ يسمحوا لدرزي مسلح بدخول المدينة ورتب عسساً للتجول في المدينة ليل نهار وأوعز الى الضبّاط المذكورين ان يجلبوا الدقيق وحاجيات الاهلين المعاشية .

ثم غادر البلدة وفور سفره احاط الدروز بها وضيقوا عليها حلقات الحصار وغنموا جميع المؤن المرسلة اليها . وكان ثلاثة من المسيحيين المعيلين قد تعدوا حدود المدينة قطفًا لبعض ورق الكرمة لاعالة أولادهم فقتلوهم في الحال فرفعت الشكوى للمتسلم فاقتصر على تجديد الاوامر محظرًا الخروج من المدينة وملقياً التبعة على من يخالف .

واستمرّت هذه الحال حتى يوم الاربعاء ١٩ حزيران وفيهِ أخذ الدروز

يلجون المدينة من كل جهاتها متفرقين إلى جماعات معلنين انهم موفدون من قِبل أصحاب اقطاعاتهم لحماية الاهالي ومنع كل اعتداء عليهم. فلما شاهدهم الاهلون يدخلون المدينة دون ممانعة الجنود بسطوا الامر للحكومة المحلية وفي الحال خرج المتسلم مع الضباط وطافوا المدينة مجددين الوعود قاسمين بان لا خوف على الاهلين. وفي الوقت ذاته ألحوا عليهم بشدة بألاَّ يتسلحوا. واذ ذاك سُمع صوت النفير فعادت جميع الجنود الى ثكناتها وبدأ الدروز ينهبون بيوت المسيحيين وعند الساعة الخامسة ليلًا قتلوا مسيحياً يدعى حبيب الباحوط امام الثكنة على مرأى الحرس وبعد برهة قتلوا راهبين في المكان ذاته وقضوا الليل مستسلمين للنهب يطوفون المدينة مع نسائهم وبايديهم المشاعل.

ومن الغد الخميس ٢٠ منه وصل جمهور درزي غفير من انحاء الجبل فلم تحرّك الجنود ساكنًا. ولمَّا رأى المسيحيون الخطر الداهم توهموا انهم يحسنون بالتجائهم الى الثكنة حيث كانت الجنود والمتسلم وحملوا اليها كل ما تمكنوا من اخفائهِ وانقاذه من النهب في الليلة الماضية فادخلتهم الجنود ثكنتها ولجأ قسم آخر إلى ثكنة بتدين لاثذين بقائم مقام الجند. وعند ما فرغ الدروز من نهب المدينة شرعوا يذبحون الرجال والاولاد وقتلوا أيضًا بعض النساء فكانوا يمزقون الاولاد على صدور امهاتهم ويذبحون الرجال على ركب نسائهم ويفتضحونهنَّ علانيةً ويحرقون جثث القتلى في الطرقات فكانت ساعة نحيب وعويل علا فيها صراخ النساء والاطفال إلى الجوّ وجرى الدم كالانهر. ولمَّا انتهوا من ذبح الموجودين في المدينة جاءوا إلى الثكنة وكان فيها على الاقلّ زهاء ٥٠٠ رجل خلا النساء والاولاد فسمح لهم بدخولها وتقدمهم بعض الجنود بحضرة المتسلم وقائم مقام الجند وفتحوا لهم الابواب حيث كان المسيحيون فانقضَّ الدروز عليهم وبايديهم الاسلحة والفؤوس والخناجر وطفقوا يذبحون ممثلين في بعضهم فانهم كانوا يقطعون اصابع البعض قائلين ان هذه الاصابع

هي التي كتبت تطلب نجدة وصبوا على رؤوس البعض الآخر ماء غالياً صارخين : « انتم في حاجة للحلاقة » واعملوا فؤوسهم في رقابهم فاطاروا الرؤوس .

ان امرأة فارس الحداد كانت حاملة ولدها على ذراعها فجئت تتضرع اليهم قائلة : اشفقوا على هذا الولد ! لكن هؤلاء القساة القلوب ذبحوه امام عينيها . وكانت امرأة أخرى مطوقة ولداً عمره ست سنوات فانتزعوه من بين يديها وهو ينادي : « يا أماه خلصيني » فقطعوه شطرين وأعادوه اليها فقضت نحبها في الحال وذبحوا عبدالله أبي نجم على ركبة امرأته مع اولاده الثلاثة . ورأتهم امرأة رابعة يذبحون ولدها فسقطت مغشياً عليها فالقوا فوقها حطباً وحرقوها . فلو شئنا تعداد الفظائع والمنكرات لزمنا كتاب ضخم . ان صراخ الاستغاثة واليأس وكل هذه المشاهد المفجعة لم تحرك عواطف الشفقة والحنان في قلب المتسلم وضباطه

وكانت الجنود تدفع برؤوس حرابها المسيحيين الذين يلتجأون اليها الى جهة الجلادين وتسمح لهم بالتفتيش عنهم في زوايا الثكنة واشتركت معهم بالنهب فعرّت المسيحيين من ثيابهم وسلبتهم متاعهم وسلمتهم للدروز ليذبحوهم وهذا هو العون الذي أمدّت بهِ الجنود العثمانية رعايا السلطان ! .

ان النساء اللواتي تمكنّ من الفرار صرّحن بان المتسلم ذاته كان يدلّ الدروز على مخبأ المسيحيين داخل الثكنة وان بعضهم ترامى على قدميهِ مستغيثين مستجيرين فكان يعدهم بانقاذهم ويأخذ ما عليهم من المال والحلى ثم يسلمهم للدروز فيذبحونهم وقد استمرّت المذبحة إلى ان أتوا على آخرهم وكان رجلان قد توفقا إلى الصعود على السطوح فرآهما الجند والقوا بهما من شاهق فماتا . وامتلأت الثكنة بالجثث وظلت الجنود تبحث في وسط بحيرة الدماء عن الباقين في قيد الحياة لتسليمهم إلى الدروز وكانوا ينتزعون الاطفال الذكور من ايدي امهاتهم ويقتلونهم.

ولمّا تمّ خراب دير القمر ذهب الدروز ولم يرتووا من شرب الدماء إلى بتدين

وذبحوا جميع المسيحيين اللاذين بالثكنة وفي عدادهم ١٠٩ اشخاص من قريتي بتدين والمعاصر ثم حرقوا هذه القرى على مرأى من القائم مقام وجنوده وقد ترامى مسيحيان على اقدام بعض الضباط الاتراك مستجيرين فسلموهما للدروز ودفعوا اليهم أيضاً رجلاً مقيداً بخدمتهم منذ سنين فقتلوهم

وبعد ذلك عاد الدروز إلى دير القمر لذبح رهبان الدير (امطوش سيدة التلة) مع رئيسهم فولجوا الدير حاملين الفؤوس وقطعوهم أرباً وكان راهب ساجداً يصلي فمسكوا بهِ وقطعوا اصابعه ثم اذنيه وقدموها لهُ قائلين : « خذ هذا هو جسد الله . » وطفقوا يوخزونه بالحراب في فمه وقلبوا مذابح التقديس وحرقوا بيت الجسد ومزّقوا الصوَر وداسوا باقدامهم الاواني المقدسة وحرقوا الصوَر المحطمة وكسروا الاجراس وبعد ان نهبوا الدير أضرموا النار في كل المدينة فلم ينجُ منها أحد الأَ من وجد إلى الفرار سبيلاً فهامت النساء والبنات على وجوههنَّ في الجبال حافيات عاريات طلباً لمأوى وكانت النساء تفتشنَ عن أولادهنَّ والاولاد عن امهاتهم .

وقد اساء الدروز معاملة النساء وارتكبوا الفظائع والموبقات وأسرفوا في القتل والنهب مما لم يسبق لهُ مثيل في التاريخ فان خراب اورشليم لم يكن أشدَّ منه هولاً

ان عدد المذبوحين في دير القمر قد بلغ زهاء ٢١٠٠ نسمة خلا النساء والبنات ولم ينجُ سوى سدس الاهالي تقريباً واستمرّت المجزرة طول نهار الخميس ٢٠ منه

وفي ذلك اليوم وصل مشير الايالة من صيدا الى بتدين ومن الغد الجمعة جاء دير القمر .

وكان قد اختبأ ٣٥٠ شخصاً في دار خليل الجاويش كاتب القائم مقام الدرزي فحاول الدروز دخولها ولما رأوا الخطر الداهم عرضوا على بشير بك أبي نكد الزعيم الدرزي كل أموالهم فديةً عن حياتهم فقبل لكنه خفر وعده بعد بضع ساعات . وتراكض أمير درزي من اسرة رسلان ومعه أمير من بيت الدين فانقذوا خليل

الجاويش واخوته لكن الدروز قتلوا كل الذين لجأوا إلى هذا البيت ولم يعفوا عن الاولاد وجُردت النساء من ثيابهنّ وقُتلت بعضهنّ وبعد نهب البيوت اضرموا فيهِ النار.

ولما فرغوا من هذه المجزرة الجديدة نادى المنادي في الاسواق بامر الباشا بانه لم يبقَ خوف على الباقين في دير القمر !!! وانذر الدروز بالخروج من المدينة وهدد المخالفين بالطرد بقوة السلاح !!! فامتثل هؤلاء الامر لانهم كانوا قد اتموا مهمتهم في دير القمر ونالوا منها بغيتهم .

أمّا زعماء الدروز الذين كانوا في دير القمر وقت المذابح فهم سعيد بك جنبلاط ومشايخ بني عماد وأبي نكد وحماده مع كبار زعماء الدروز قاطني البلدة .

وعند الساعة الثالثة بعد الظهر اطلق المشير المدافع دلالة على الاطمئنان . هل دار في خلده ان دوي المدفع يوقظ الجثث المكدسة في الطرقات وفي ثكنتي دير القمر وبتدين ؟ .

ومن الغد ٢٢ منه حرق الدروز بيت الامير قاسم شهاب الكائن أمام ثكنة بيت الدين حيث نزل المشير .

ان مدينة دير القمر الزاهرة فيما مضى أمست اليوم ركامًا من الخرائب وتلالاً من الرماد فالجثث باقية فيها دون دفن وطيور السماء تأكل لحمانها(١) والمسافر ينظر اليها مطرقًا كانه يسمع كلام النبي إرميا : « قفوا ايها المارّون وانظروا اذا كان يوجد حزن يضارع حزني ! » .

هذا هو تصرف طاهر باشا وهذه هي نتيجة ثقة المسيحيين في وعوده ووعود

---

(١) ان هذه الجثث ظلت بدون دفن من ٢٠ حزيران حتى ٢٦ ايلول الى ان وصلت الجنود الفرنسوية الى دير القمر فاهتمت بدفنها

متسلم بلدتهم ! فانظروا انتم الذين توقفون مساعيكم على انجاح الممالك وتمدين الشعوب في أية هاوية من التعاسة رُمينا ! ان الجبال الرواسي لترزح تحت عبء مثل هذه البلايا ! ارمقوا باعينكم جماعات النساء والفتيات البريئات عاريات تائهات على شواطيء البحر محسورات الرؤوس مسترسلات الشعر يمتنَ جوعاً متوسلات الى اعدائهنّ ! ان ارسال قناصل الدول العامين بوارجهم لنقل التعساء المشتتين على شاطيء البحر كتب لهم في قلوبنا شكراً لا يمحوه كرور الايام .

لقد رأى أهالي بيروت باعينهم حالة اولئك النسوة المحزنة حين نزولهنّ الى البر فهنّ الان بلا نصير ولا عميد لانهنّ فقدنَ اباءهنّ وازواجهنّ واولادهنّ واشقاءهنّ . فهنّ باكيات ناحبات يجتزنَ شوارع المدينة حافيات يستندينَ اكف المحسنين لسد رمقهنّ وقد كنّ في الامس غنيّات وهنّ الان محشورات على الحضيض بدون مأوى ومطعم ! من ذا الذي يستطيع ان يفتكر بهنّ ولا ينوح على مصابهنّ ولا يزرف الدموع السخينة على مصير الايتام الذين سقطوا في هوّة الشقاء بعد ان كانوا ينعمون بالرفاه وكفاف العيش ! فما هو ذنب هؤلاء التعساء ؟ ما هو السبب الذي ضُحوا لاجله بطريقة لا يسبق لها مثيل منذ بدء العالم ؟

ان الباقين من سكّان دير القمر التعساء والناجين من مذبحة حاصبيّا ينطرحون على اقدامكم معلنين انهم لم يقترفوا اثماً ولا ذنباً سوى انهم مسيحيون وهذا هو الذي جلب عليهم هذه النكبات . ويسألونكم ان تعطفوا عليهم وتساعدوهم على ترك هذه البلاد حيث لا امن لهم ولا وسيلة فيها لكسب قوتهم اليومي ويرجونكم بالحاح ان تنيلوهم هذه النعمة رأفةً بنفوسهم الحزينة وتنقلوهم من هذه البلاد الى مكان آخر من الارض تعينونه لهم يقضون فيهِ باقي ايامهم التعسة . فتغنمون شكرهم وتتصاعد الادعية الى السماء من قلوب الارامل والايتام وهي مستجابة لديه تعالى

(عن الاب جوبين ص ٣٧ـ٤٨)

٩٠ ــ عريضة اراضي المعاصر وبيت الدين الى فؤاد باشا

ان الجنود التركية اكرهت الرجال والنساء والاولاد في بتدين على دخول السراي في ٢٨ ايار المنقضي بحجة حمايتهم فيها بسهولة من الدروز فصدقنا وعودهم ولجأنا الى السراي . ومن الغد وصل الدروز بقيادة الشيخ ملحم وأحمد بك حماده من بعقلين فاتلفوا مزروعات المعاصر وحرقوا بيوتها فحاول أصحابها اللاجئون الى السراي الخروج لرؤية ما هو جار فاطلقت عليهم الجنود التركية الرصاص فقتلتهم

وفي ٢٩ منه أوعز الينا الضبّاط بالخروج من السراي وحشرونا في الاصطبلات التي بناها الامير بشير ولم يكن لدينا ما نقتات به . وقد أجاز احد الضبّاط لبعض نسائنا الذهاب الى البيوت التي لم تُحرق للاعتناء بتربية دودة القز وعند عودتهنّ جلبنَ لنا معهنّ سنابل قمح واعشاباً لسد رمقنا لان الضبّاط الاتراك لم يعطونا ما نقتات بهِ ولا ماء نروي بهِ عطشنا . وكان عددنا هناك ٢٠٦ نسمات فبقينا حتى ١٩ حزيران وهو يوم مذبحة دير القمر .

وفي ٢٢ منه قدم الدروز بيت الدين ودخلوا الاصطبلات وقتلوا الرجال والنساء والاولاد بحد السيف وبالرصاص ايضاً ونحن التعسات بقية من نجا من تلك المجزرة جئنا دولتكم معولات ناحبات . وما كانت الجنود التركية الحاضرة لتعارض الدروز المستسلمين للذبح بل سلبوا النساء حلاها وافتضحوهنّ وجرّوهنّ بشعورهنّ . فياللفظاعة ! لقد شاهدنا الدروز يقطعون ثدى النساء بسيوفهم الامر المحرّم من الله ومن جميع شرائع البشر انما الدروز كانوا على الاقل لا يمسون عرض النساء والبنات بعكس الجنود التركية فانها تناست ان لها امهات وشقيقات فارتكبت الفظائع . هل شوهد مثل هذه الفاجعة منذ بدء العالم ؟

وكانت جماعة من التعساء لجأوا إلى السراي على أمل وقاية حياتهم فدخل

عبد السلام بك القائم مقام العسكري ومعه الدروز فاستأنفوا المذبحة وكان لهذا الضابط خادم مسيحي فشاهده الى جانبه فدل عليه درزيًا وقال لهُ : « اقتل هذا الكلب ! » وفي الحال وقع هذا المسكين قتيلًا على اقدام سيده . وقد قُتل ايضًا مسيحي آخر كان ملتزمًا تقديم الارزاق للجنود فأثرى فاقتسم الجنود والدروز ماله . وكانت الجنود تتراكض مع الدروز منتقلة من بيت الى آخر وبعد نهبه تحرقه . وعلينا ان نشهد اجابة لداعي النزاهة بان بعض الضبَّاط الاتراك شفقوا على بعض المسيحيين التعساء وشاءوا انقاذهم لكن عبد السلام بك درى بهم فعاد يستشيط غضبًا وأمر بعدم العفو عن أحد قائلًا : ان قد قضي على المسيحيين بالذبح .

هل شوهد في العالم حيوانات عوملت كما عوملت في ذلك اليوم المشؤم خلائق الله البشرية ؟ ان الصخور لو كان في وسعها سماع هذه الفظائع لتصدعت !

بيدَ ان الحق يقضي علينا ان نعلن انهُ اذا كان عبد السلام بك قد تصرف كنمر ظمىء الى دماء المسيحيين فان قرينته قد أبدت حنانًا وشفقة وعطفت على بعض النساء المسيحيات كغزالة على اولادها فانقذتهنَّ وخبأتهنَّ في بيتها فنضرع الى الله ان يكافئها على ما فعلت من الخير وينقذها من مخالب الرجل القاسي القلب البربري المرتبطة معه برباط الزيجة .

اننا نكتفي بما تقدم ياحضرة صاحب الدولة وان كنَّا لم نحط بكل ما جرى . ان قلوبنا لتقطر دمًا ولا نقوى على زيادة الشرح ففراشنا الارض وغطاؤنا السماء فنسألك اجراء العدالة ولا نكف الاَّ بعد انصافنا .

(عن الاب جوبين ص ٦١ — ٦٣)

٩١ — القنصل برانت الى القنصل مور . عن دمشق في ١٠ منه

اني ارسل اليكم اليوم باشأم الانباء عن حرق الحي المسيحي ونهبه . قليل هي

البيوت التي نجت حتى الآن من ألسنة اللهيب على انهـا ما زالت تندلع ملتهمة الابنية . أمَّا سلوك المشير فقد كان معيباً جـدًّا ودل على انه خالٍ من صفات الحكم فلم يحضر بذاته الى جهة من الجهات كما ان الجنود شاركت في النهب بدلاً من منعه واذا ما ظل هذا الرجل متولياً ادارة الشؤون فلا يمكن معرفة مبلغ هذا الشرور . قد نجوت لان بيتي في حي المسلمين . ان فيس قنصل النمسا وزوجته التجأا الى بيتي وقد احترق عدد كبير من الوطنيين رجالاً ونساء وفي عدادهم الموسيو ماركوبولي (١)وقرينته . ان قناصل فرنسا وروسيًا واليونان لجأوا الي بيت الامير عبد القادر وقد فرَّ الدكتور مشاقه باسرته ولجأ الى هذا الحي انما بيته احترق اما المستر كراهام والخواجا مسك فقد لاذا بيت مصطفى بك الحواصلي بيدَ اني لم اتحقق عمَّا اذا كانا حُرقا أو نجيا لان هذا البيت كائن في الحي المسيحي . ارسلت الان اسأل عن المستر روبصن وقرينته وكيف قضيا هذا الليل الهائل . ان بيت الخواجا عبدو قدسي أكلته النيران . لم يتصل بي شيء عمَّا حلَّ بالدكتور ميدانا ويقال ان الموسيو فريج لجأ الى بيت احد المسلمين . ان انطون ومتري شلهوب وغيرهما من الكتبة موجودون في القلعة . ان المشير مختلٍ في القلعة مشتغل بمفاوضة مجلسه وكان الاجدر بهِ ان يعمل ويقلل من المفاوضة . والراي العام مجمع على انه لو ابدى حزماً ونشاطاً لامكنه استدراك الحريق والنهب لكن الجنود مثل دولته لم يحركوا ساكناً في هذا السبيل .

ان عدد القتلى حتى الان ليس بكثير وقد التهى المعتدون بنهب البيوت وحرقها وذهبت معظم الكنائس طعاماً للنار إلاَّ دير الآباء اللعازريين الفرنسويين فلم

---

(١) ان خبر احتراق الموسيو ماركوبولي وقرينته كان طائشاً إذ تمكنا مساء من الالتجاء إلى بيت المسيو برانت ومنه انتقلا الى بيروت

يُمس باذى ومن الشائع ان قد حُرق دير اللاتين لآباء الاراضي المقدسة . بدأ الهجوم على قنصلية روسيا وكان القيس قنصل اذ ذاك عند رصيفه الفرنسوي . أما السبب الرئيسي لهذه الحركة فهو ان اولاد المسلمين اخذوا يرسمون صورة الصليب في الطرقات ويدوسونها ويهينون المسيحيين المارين فقبض عليهم « التفنكجي باشي » وقيدهم بالسلاسل واكرههم على تكنيس الطرقات فهجمت الغوغاء وانقذتهم فاشتعلت الفتنة اذ ذاك بعيد الظهر وما برحت مستمرة دون انقطاع حتى الان .

قد تلقيت رسالتين من المشير يعرض عليّ بهما عضده وملجأ فرفضت الامرين اعتقاد اني اكون في بيتي بمأمن أكثر من عنده .

ملحق : الساعة العاشرة مساء . لا تزال الحالة على ما هي عليه . وارباب السلطة لا يحركون ساكناً وليس فيهم الكفاية للعمل ومن الشائع ان ٣ الى ٤ الاف مسيحي لجأوا الى القلعة فاصبح عدد القتلى قليل انما يخشى من تفاقم الشر بعد انضمام الدروز الى الناهبين . ان الشوارع مكتظة بجماهير غفيرة من الناس بحيث يعجز قواسيّ عن فتح طريق لمرورهم ولذلك لا استطيع ان احصل على غير ما يأتونني بهِ من الانباء .

في طيهِ صورة الجواب الذي جاءني أمس من المستر روبصن واشكر لك اذا اطلعت عليه المستر بلاك . (عدد ٢٠ ملحق ٣ ص ٣٦)

٩٢ــ المستر كمبلي روبصن الى القنصل برانت . عن دمشق في ٩ منه

ما زلت منذ ساعتين ونصف ساعة أرى في الطريق المارة أمام بيتي مشهداً هائلاً فان رجالاً مسلحين وأولاداً ونساء عزّلاً أخذوا يركضون في الشارع صاخبين لاعنين المسيحيين الكفّار صارخين : اقتلوهم ! اذبحوهم ! انهبوا ! احرقوا ! لا تبقوا على أحدٍ ولا على بيتٍ ! لا تخافوا الجنود ولا غيرهم ! ان الجنود لا تعارضكم ! »

لقد صدقوا إذ لم يصدّهم أحد ثم اني رأيت بمدّة ساعتين رجالاً ونساء وأولادًا واغوات وجنودًا يمرّون امام بيتي حاملين أنواع المسلوبات والغنائم كأنهم عصابة خرجت من الجحيم . لا استطيع ان اذهب الى داركم . أيمكنني ان امرّ مع قرينتي وخدمي في وسط الاشقياء المسلّحين الظمأى الى سفك الدماء ؟ ان فتح باب بيتي لعزيز عليّ كحياتي فعليّ ان ابقى حيث انا مسلّمًا مصيري لمشيئته تعالى . أين هو مشيركم الان ؟ ان ٥٠ رجلًا يستطيعون قمع الفتنة . ألم يبدِ أقلّ اهتمام لوقاية حياة رعايا السلطان أو رعايا سائر الدول وصيانة أملاكهم ؟ ربّما لا تشاهدون في حيكم الفظائع الهائلة التي تقشعرّ منها الابدان . ألم يكن المسيحيون الوطنيون المنكودو الحظ مصيبين في مخاوفهم ؟ لا اعلم أي متى يتذكر بعض هؤلاء اللصوص والقتلة الذين يمرّون دون انقطاع امام باب بيتي بان قاطنه رجل أجنبي مسيحي فيتوقفون عن النهب ويقتلوننا . لا أمل لي بان هذه الشرور تنتهي اليوم أو في هذه الليلة . ان الغوغاء كلما طالت معاملتهم باللين وأبطئ في انزال العقاب فيهم ازدادوا جرأة في سفك الدماء وارتكاب المنكرات والفظائع . لقد عرض عليّ جيراني اجارتي وتخبئة أموالي . بيدَ اني لا أرى اني اكون في مأمن عندهم ولا ثقة لي بهم وربما متى بدأ النهب ان يقلّ في الحي المسيحي تمكن من الفرار . واعتقد بان الاشقياء يحترمونكم بصفة كونكم قنصل انكلترة . ان اسفي لبالغ أشدّه اذ كان لي بعض اليد بابقاء المستر كراهام في هذه المدينة واجهل ما حلّ بهِ لانه لا يوجد مسيحي يجسر على المرور في هذه الشوارع ولا يمكنني ان ارسل أحدًا للبحث عنه .

قد استنتجت من دعوتكم لي الى الخروج من بيتي ان الحالة في حيكم تختلف كثيرًا عمّا هو جارٍ هنا والاّ لما كان خطر لكم ان تستدعوني . ان جيراني الموالين لي نبهوني منذ بدء الفتنة الى وجوب قفل أبوابي . لقد جاءني عثمان افندي محاولاً تطميني وعرض عليّ ان يأخذني إلى بيتهِ لكنني رأيت الرعب مستحوذًا عليه اكثر مني فلم

اتمالك من ان اكشف لهُ اعتقادي في حكومتهِ ولا شك بانه يشاطرني رأيي باطناً . فرفضت دعوته فتوهم ان لا ثقة لي بهِ مع اني لم اشك بصدقهِ لكنني في الحقيقة لا أرى افضل من ان انتظر مشيئة الله حيث انا . يوجد عندنا في البيت مؤونة من الخبز تكفينا يوماً إلى يومين اذا سُمح لنا بالبقاء فيهِ لكني موقن باننا لا نبقى آمنين دقيقة واحدة على بيتنا وحياتنا. هل تهتم الحكومة بايقاف هذه الشرور وهذه المنكرات ؟ أو تبقى متغافلة تاركة الحبل على غاربه ؟ أليست هي اساس كل ما حدث ؟ إذا ظلت الحكومة لا تحرك ساكناً فتكون هذه الليلة أشدّ هولاً من النهار . ارجوكم ان تعذروني على كتابتي هذه المستعجلة لاني لا اريد ان اعيق قوّاسكم

(عدد ٢٠ ملحق ٤ ص ٣٧)

٩٣- الضابط بنتر الى الفيس اميرال مارتين . عن ظهر البارجة اكسموث في بيروت بتاريخ ١١ منه

اغتنم فرصة ارسال قائد الاسيطيل الفرنسوي السفينة « اكليرور » الى ازمير لابعث اليكم بالانباء الآتية اعتقاد انها تبلغكم بأسرع ممّا لو أرسلتها عن طريق مالطه

ان قنصل اليونان هنا جاءه في الليلة المنقضية رسول خاص من فيس قنصل دولته في دمشق يحمل اليهِ خبر حدوث فتنة فيها بعد ظهر الاثنين ٩ الجاري. ان رسائلي الاخيرة عن مجرى الاحوال لا بدّ من ان تكون هيأتكم لهذا النبأ وهاك ملخصه :

قد ذُبح ٥٠٠ مسيحي بينهم كثيرون من النساء والاولاد . يقال ان قنصل بروسيا قُتل وفيس قنصل اميركا جُرح . ان دور البطريركيات والكنائس والاديار والمدارس والقنصليات كانت مشتعلة حين ارسال النبأ . ان قنصلية الروسية هي أول قنصلية هوجمت انما لحسن الحظ كان القنصل غائباً . ان القناصل الاوربيين واسرهم لاذوا ببيت عبدالقادر الذي طلب إلى الجنود بالحاح ان تتقدم لايقاف المجزرة. كان

الذعر الشديد سائداً في دمشق حين سفر رسول قنصل اليونان

وصل هذا الصباح بارجة وسفينتان حربيتان تركية حاملة ٣ الاف جندي بأمرة أمير البحر مصطفى باشا وسيرسل منها ١٤٠٠ الى دمشق بامرة خالد باشا . لا يزال الدروز مواصلين ارتكاب المستفظعات في جوار صيدا وقد اعتنق اهالي قرية مسيحية بكاملها المذهب الاسلامي لينقذوا حياتهم وحياة عيالهم . (عدد ١٥ ملحق ٢ ص ٣٠)

٩٤– القنصل برانت الى السر بولفر . عن دمشق في ١١ منه

اتشرف بان ارسل لسعادتكم في طيهِ صورتي الرسالة وملحقها المنفذين الى المستر مور القنصل العام في ١٠ الجاري ولمّا كانت قد كُتبتْ تحت تأثير الحوادث فلربما مثلتها بطريقة افضل مما لو كتبتْ بعد استتباب الامن . ومع ذلك يؤلمني ان اقول انهُ لا يُعلم أي متى تعود الطمأنينة الى القلوب وعلى كلٍ فاني اواصل رواية الحوادث .

اضطررت الى انفاذ رسولٍ خاص الى بيروت لان المشير كان سيّر البريد قبل ميعاد سفره ببضع ساعات دون ان يعلمني . وبعد ان ختمتُ كتابي نويت ان اذهب اليهِ زائرًا فأثنى قوّاسيّ عزمي مبينين لي الخطر على حياتي لان الرعاع كانوا مشتغلين بنهب الاسواق التي عليّ ان امرّ بها فارسلت الى دولته ارجوه ان يبعث اليّ بحامية فأجاب طلبي . فذهبتُ معها الى السراي فوجدتُ الساحة مكتظة بالجنود مشاةً وفرساناً وفيها عدة مدافع . ورأيت ان الخوف اوهن دولته فحاولتُ ان ابثّ فيهِ روح الشجاعة موضحاً لهُ ان الجدال والتأسف على ما مضى لا يجديان نفعاً وانما يحسن بهِ منع امتداد الشر وانقاذ ما بقي في دمشق سالماً من ألسنة النار وايقاف تيّار النهب والقتل . ثم اقترحت عليه الأ يسمح للدروز بدخول المدينة فأجاب دولته ان

مشايخهم حضروا المجلس الذي عُقد ووعدوا بانهم يخرجون برجالهم من المدينة حالاً. ثم قلتُ لهُ انه يجدر بهِ ان يعهد الى منادٍ يعلن جميع الاجانب المنتشرين في القرى المجاورة ان يبقوا حلس بيوتهم وانهُ لا ينظر الى ما مضى بل يعاقب كل اعتداء يحدث فيما بعد. فأجاب دولته: قد سبق للمجلس ان وافق على هذا الرأي في جلستهِ ثم استأذنته بالدخول الى القلعة لارى اذا كان بعض الاوربيين التجأوا اليها فوجدت الاباء اللعازريين وراهبات المحبة والخواجا انطون شامي من اغنياء المسيحيين المستخدمين في السراي ليس غير مع اني كنت قد نُبئت بان كثيرين من اعيان المسيحيين موجودون هناك ولاسيما حضرة الفاضل وليم كراهام أحد المرسلين البروتستنت فلم اجدهُ هناك ولا اعلم الى اين التجأ فانه كان لجأ بداءة بدء الى بيت مسلم ثم غادره على ما اظن الى بيت آخر اكثر امناً لانه كائن في حي مختلط وحتى الان لم اعثر لهُ على أثر وانا آسف على ذلك شديد الاسف.

وعند غروب الشمس عادت بعض السكينة الى المدينة فانه رغماً عن تواصل الحريق قد خمدت ناره قليلاً مما بعث على الامل بانطفائها. لم يحدث ما يقلق البال في الليل انما عند الصباح استولى الجزع على القلوب من جراء انتشار خبر قوامه ان المسيحيين اطلقوا الرصاص على بعض المسلمين المشتغلين باطفاء الحريق فقتلوهم. وفي الحقيقة ان بعض المسلمين قُتلوا اذ نُقلوا الى قرب بيتي.

فاخذ المسلمون يتسلحون ويتفوهون بانواع السباب متوعدين جميع المسيحيين بالقتل. ثم بدأ صبح الحقيقة ان يظهر ذلك ان مسلماً كان يبني داراً قرب الحي المسيحي فسلّح فعلته المسيحيين لحمايتهم واذ مرَّ جمهور ذاهب لاطفاء النار فتوهموا انهم آتون لمهاجمة الدار فارتاعوا واطلقوا عليهم الرصاص فجرحوا بعضهم وقتلوا اخرين على انه مع ظهور سر هذا الحادث لم يقف الاضطراب بل قتلوا كل مسيحي صادفوه في طريقهم. ان بيوت المسلمين لا يمكن ان تكون ملجأً للمسيحيين على

مدة مستطيلة لان الذين يجرأون على ابقاء المسيحيين الذين اجاروهم قليل .

سألت الباشا ان يرسل اليَّ بجامية لحراستي ففعل ومثله الامير عبدالقادر

عند الساعة الـ ١٢ مساءً ورد عليَّ مذكرة من المستر روبصن يقول لي فيها انه امسى غير أمين على حياته ويسألني ان ارسل اليه بجامية تأتي بهِ الى القنصلية فاكببت على السعي انما انقضى ساعة قبل ان افوز بها وقد ارسلتها الان . ان الجزع الشديد قد استولى على الاتراك كالمسيحيين ويخشون ان يأتي الدروز فيطلبون اليهم تسليمهم المسيحيين المختبئين عندهم وهم يرغبون في التخلص منهم .

نحن في قلق عظيم والاعتقاد سائد بان الحكومة لا تحمي المدينة وقد شاع ان ارباب الحكومة الجدد راكبون الطريق الى هنا او بلغوا بيروت بيد ان البريد الاخير بيَّن كذب هذه الاخبار فانقلبت الامال الى يأس . وحقيقة الامر لا يوجد حكومة ولا احد يثق بالمشير بل يعدونه ضعيفاً أو سيء النية وان معظم ما فعله جاء متأخرًا او غير مناسبٍ . قد سافر البريد اليوم قبل ميعاده بثلاث ساعات فلم اتمكن ان اعرف اكثر مما بسطته انما لي أمل كبير بان المستر كراهام حي يرزق في أحد بيوت الاتراك وسأبحث عنه حالاً . (عدد ٢٣ ملحق ٣ ص ٤٨ – ٤٩)

٩٥– ومنه ايضاً في ١٢ منه

وصل كتابكم المؤرخ في ٩ الجاري فاشكركم واني لمنبئكم الآن بما قد جرى عندنا . كان يوم أمس يوماً مشؤماً هائلاً كثر فيه القتل والنهب والحريق والاضطراب وشمل الخوف جميع من في المدينة . طلبت الى المشير حامية من الجنود فارسلها . وعندي حرس من الجزائريين اتباع الامير عبد القادر فوجودهم يطمن اللاجئين الى داري . علا الصراخ ان المسيحيين قتلوا بعض المسلمين فتسلَّح جمهورهم وانقضوا على المسيحيين يقتلون كل من يصادفونه منهم واستمرَّ ذلك حتى غروب الشمس

وكل من خرج الى الشارع يلقى حتفه لان المسلمين كانوا يعدون كل من يلقونه مسيحياً . استقدمت حنا مسك مع عائلته ولا اعلم كيف تمكن من المرور . مسكين المستر كراهام اخشى ان يكون قُتل ولا أمل لي بان اجده حياً . بلغ عدد اللاجئين حتي الغروب الى القلعة سبعة الاف وخمسماية مسيحي اكثرهم من النساء والاولاد مع بعض الرجال والباشا يقول ان قد انضم الى هذا العدد ثلاثة الاف فاوصيت دولته ان يوزع عليهم خبزاً فوعد بذلك وبايوائهم تحت الخيام وبدفن الجثث التي يبلغ عددها زهاء الالفين اتقاء تفشي الوباء وتعهد ايضاً بان يخرج ببعض الجنود المنظمة باحثاً عن الهاربين المختبئين بين الخرائب فانهم سيموتون جوعاً اذا لم يُقتلوا عند خروجهم من مخبأهم . ان رجال عبد القادر انقذوا أمس نحو ٣٠٠ نسمة ومن باب التخمين يرجح ان جمهوراً اعظم باقٍ مختبئاً . لا يمكن معرفة اسماء ضحايا المجزرة . ان اسر روبصن وبفكفنجر وماركوبولي والياس هي الان في بيتي . ان بيتي روبصن والياس لم يُمساَ لكن بيتي الاسرتين الاخيرتين نُهبا وحُرقا والله وحده يعلم قبل خمس دقائق بمن ينجو . ان داري ملأى باللاجئين وليس عندي طعام لاقدمه لهم لان مؤنة بيتي قد فرغت ودراهمي لا تكفي لمدة طويلة وعليَّ ان اعول ماية نسمة خلا الحرس في حين ان شهوتهم للطعام تزداد مع قلته. ان جميع ضيوفي هربوا بالثياب التي عليهم وجيوبهم فارغة وقد نهبت مونة بيوتهم وامتعتهم كلها . ماذا كانت دعوتنا لمسيحي حاصباياً وراشيا التعساء الى هذه الكارثة فعددهم يبلغ على الاقل ٢٠ الفاً وهم في حاجة الى الملجإ والقوت والكسوة . يقتضي على الاقل مليون ليرة تعويضاً عن المفقود والمنهوب فمن اين يؤتى بهذا المال ؟ اذا كانت بريطانيا العظمى لا تساعدهم فمن يأتيهم بالفرج ؟ الله يساعد هذا الشعب التاعس ! ليس لدينا اخبار عن المستر كريفورد وقرينته ولا وصول اليهما . لم يصب اوربي بسوء إلاَّ المستر كراهام المنكود الحظ فقد نال اكليل الشهادة فليكن ذلك

عبرة لغيره انما يجب الاَّ نعجب اذا كان ذلك نصيبنا ان مصيرنا بيد الله ولا ثقة لنا باحد من الناس . ان الامير عبد القادر قام بواجبه ومثله محبو السلامة انما الرأس قد خان وفقد كل جرأة وحزم فهو جبان عاجز فقد قصدته غير مرة وحدثته فكان جوابه لي على كل نصائحي واحدًا : « قد عملت او سأعمل » لكنه لم يفعل وعندما كنت ألومهُ على اخلاف وعده وخيانة عهده كان جوابهُ دائمًا : « ما تريد ان اعمل وليس لي قوة ؟ » وهذا ما يتفوه بهِ في تركيا كل والٍ غاشم . ان دولته لم يغادر السراي حيث هو محاط بالجنود والمدافع الضخمة .

تلطف بتلاوة هذا التحرير على المستر مور اذ ليس لديَّ وقت لاكتب له . قد قضيت طول النهار وانا منتصب على قدميَّ اقتبل الناس واعطي التعليمات وازور المشير وعدت الى بيتي منهوكًا من التعب لا اقوى على كتابة حرف قبل ان ارتاح بل اضطررت الى ان اقص نتيجة مساعيَّ على الاجانب الذين جاءوا لاستماع الاخبار وملأوا دار القنصلية وقد تجالدت كثيرًا على نفسي عند كتابتي هذا التحرير لاني متأثر كثيرًا من حديثي مع الباشا ومن عدم حصولي على جواب يعزيني بل انا متحقق انها وعود رجل ضعيف غاشم لا يقوم بها . فقد قال لي اولاً ان قد جاء من حوران الف رجل هذا المساء بامرة مصطفى باشا وهو يؤمل كثيرًا في شدة حزمه و ٦٠٠ من بعلبك بقيادة امين باشا فلما الححت عليه امسى عددهم ٥٠٠ و ٣٠٠ والارجح ان عدد القوتين لا يتجاوز الـ ٥٠٠ ثم زاد بانهُ ينتظر هذا المساء قدوم ٢٠٠٠ جندي من بيروت بامرة قائد لا يعرفه .

(عدد ٢٣ ملحق ٤ ص ٤٩ ـ ٥٠)

٩٦ – القناصل العامون في بيروت الى خورشيد باشا في ١٣ منه

انه على اثر الحوادث الفظيعة التي جرَت في دمشق اعتداء على دور القنصليات

وشخصية القناصل مع ان المعاهدات الدولية تضمن لهم حرمة بيوتهم وشخصيتهم فالقناصل العامون الموقعون أدناه يرون ذواتهم مضطرين إلى سؤال دولتكم اذا كان لديكم ضمانات كافية لحماية رعايانا وهذه المدينة

التواقيع : مور . بيجر . وبر . ڤيلانيس . عن الكونت دي بنتيڤوليو بريتي . اغوستوس جونسون . كناريس .

(عدد ٢٧ ملحق ١ ص ٥٧ـ ٥٨ ودي تستا عدد ٤١ ص ٨٨)

٩٧ ــ جواب خورشيد باشا الى القناصل العامين في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ [١٣ تموز سنة ١٨٦٠]

بعد الترجمة المألوفة : تلقيت كتابكم وفيهِ ان عدم احترام شروط المعاهدات الدولية بخصوص حرمة القنصليات اثناء حوادث دمشق اضطركم الى ان تسألوني إذا كان لديَّ وسائل كافية لضمان امن رعايا حكوماتكم ووقاية هذه المدينة فجميع ما ذكرتموه قارن الافهام . ان المخاوف المتأتية عمَّا حدث في دمشق قد حملتكم على هذا الطلب مع انه رغماً عن ان عدد الجنود السلطانية لم يكن الاَّ ربع ما هو الان ورغماً عن خطورة كوائن لبنان غربيه وشرقيه في ايالة دمشق لم يحدث هنا بعون الله وبسطوة الحضرة السلطانية ما يعكر كأس الراحة ويقلق البال . أمَّا الهياج الذي فار فاثره نهار السبت على اثر تجرو رجل يدعى بطرس من جبل لبنان على قتل مسلم فقد هدأ غليانه في الصدور وذلك بانهاء هذه المسألة بمنتهى السرعة في يوم واحد كما هو معلوم وفقاً للتدبيرات المتخذة معاً في الحال وعليهِ استتبَّ الامن وتوطدت الراحة في المدينة بعون القدير المتعال دون حدوث ما يؤسف لهُ. أمَّا الان فان دعائم الراحة قد توطدت اكثر من ذي قبل لوجود قوَّة كافية تزيد ٤ اضعاف عمَّا كانت عليه في ذلك الوقت وذلك بفضل مساعي الحكومة المحلية المستمرَّة وسهرها ليل

نهار. وبناء عليهِ فقوّة الحكومة وهيبتها كافيتان مع بركة الله لحفظ راحة المدينة اذا ما حاول أحد الاخلال بها

أمّا في ما يختص بجبل لبنان فقد استقرّ الرأي على نشر السلم فيهِ بمصالحة الفريقين وبناء على العهد الذي كتب بينهما حررت الاوامر المؤذنة بانعقاد الصلح مشفوعة بالتنبيهات اللازمة وارسلتها أمس إلى القائم مقامين وقد اوشكا ان ينشراها في البلاد وفقاً لعوائد الجبل القديمة ولنظامه الخاص فلا يطول الامر حتى تتبدل سوء حالة هذه البلاد قلقاً وشقاقاً براحة ووئام.

ونحن نرجو من مراحمه تعالى ونضرع اليه ليساعد على ازالة المخاوف وقطع دابر الانباء المقلقة المنشورة لغرض في النفس واذا على فرض المحال حدثت فتنة داخلية أو خارجية فمن الثابت ان الحكومة قادرة على قمعها بعون الله. هذا ولمّا كنتم ورعاياكم تقطنون بيروت مركز الايالة التي عهد إليّ بها جلالة مولاي السلطان الاعظم فاتعهد لكم اني طالما انا في قيد الحياة لا ادّخر وسعاً في سبيل حفظ شروط المعاهدات وحسن الوئام من كل مساس وآخذ على ذاتي مسئولية وقايتكم ورعاياكم من كل أذى. وبناء عليه يجب على المدينة ألاّ تستسلم إلى المخاوف استناداً على سطوة الحكومة وعون الله بيدَ ان الحكومة ترغب اليكم ان تأمروا رعاياكم وموظفيكم والمستظلين بحمايتكم ان يطبقوا أقوالهم واعمالهم على مقتضيات الحال في هذه الاونة الحرجة متجنبين اتيان ما يخلّ بالراحة من مثل اهانة المستائين منهم أو ضربهم الامر المحظور عليهم في كل آن وعليهم ان يتحاشوا اذاعة الاخبار المقلقة الطائشة الخالية من كل صحة واني أؤمل منكم ذلك بحيث تغنمون شكر الحكومة المحلية فتتمكن من تنفيذ الوسائل اللازمة في الكوائن الحالية

(عدد ٢٧ ملحق ٢ ص ٥٨ ودي تستا عدد ٤٠ ص ٨٦ـ٨٨)

٩٨- صور الى السر بولفر في ١٤ منه

اتشرّف بان ارسل لكم في طيه صورة رسالتي المؤرخة في ١٣ الجاري الى وزير خارجية جلالة الملكة مع ملاحقها في ما يختص بفتنة دمشق :

غادر اليوم بيروت معمر باشا والي دمشق الجديد يريد محل مأموريته . أمّا الـ ١٧٠٠ جندي المرسلة إلى دمشق بقيادة خالد باشا فقد توجهت اليها مساء أمس بسرعة ويؤمل وصولها الى هناك غداً .

اطلعت على تحرير خاص من المستر برانت يقدر به عدد المسيحيين المذبوحين حتى نهار الخميس ١٢ الجاري بألفين والخسائر بمليون ليرة انكليزيّة . أما اذا انضمّ البدو والاكراد والدروز وغيرهم الى المشاركة في النهب كما يخشى فيتعذر معرفة الحد الذي يقف عنده الشر الاّ اذا وصلت القوّات التركية في حينها وقامت بواجبها

ان جميع الروايات مجمعة على تقبيح سوء تصرف أحمد باشا والي دمشق السابق منذ بدء الفتنة فانه لم يحرّك ساكناً لقمعها .

أمّا في ما يختص ببيروت فيقدّر ان قد غادرها اليوم الف مسيحي على بواخر روسية وتركية الى الاسكندريّة وسيرا وغير اماكن ويظهر ان منع المهاجرة لم يُنفّذ بقوّة .

ان الانباء الواردة من حلب تحدث عن القلق والهياج السائدين فيها وعن تقاعد حكومتها مع حدوث اضطرابات يومية فيها وخارج اسوارها . ويخشى من ان وصول انباء دمشق يقدح شرر الفتنة فيها . (عدد ٢٨ ملحق ٥ ص ٦٣)

٩٩- وضه الى اللورد روسل في ١٨ منه

وصل يوم الاثنين ١٦ الجاري بارجتان فرنسويتان احداهما تدعى « دوناورس »

معقودة اللواء على الكونتر اميرال « جهين » والاخرى « ردوتابل » .

وصل أمس على البارجة التركية « طائف » صاحب الدولة فؤاد باشا المندوب السلطاني الخارق العادة يصحبه حليم باشا مشير فيلق عربستان الجديد وفور وصوله ذهبت لتهنئة دولته واستوضحته عن الساعة التي يشأ ان يقابلني فيها في اليوم التالي فضرب لي موعداً ذهبتُ فيه اليه فاقتبلني بمزيد المجاملة والتودد ثم زرت بعده حليمَ باشا .

علمت ان دولته استدعى فور وصوله متسلم دير القمر وقائد حاميتها للتحقيق عن تصرفهما وارسل اليوم بوارج حربية تركية الى الشواطيء لتطمين اهالي المدن الواقعة على شيف البحر وأنفذ خورشيد باشا على احداها الى اللاذقية ويقال ان ذلك للغاية ذاتها

ان الاحوال في دمشق لم ترل كما كانت عندما كتبت اليكم حديثاً بيدَ انه جاء خبر بان الوالي والجنود المرسلة اليها بلغوها مساء الاثنين في ١٦ الجاري وتدلّ الانباء الحديثة الواردة من حلب ان حوض الامن فيها لم يُعكر صفوه بصورة تقلق البال وان اخبار المجزرة لم تبلغها حتى الان

ان قدوم البوارج التركية المقلة الجنود لمتواصل (عدد ٢٧ ص ٥٦ـ٥٧)

١٠٠ـ مقتطفات من رسالة المستر كراهام الى اللورد دوفرين . عن بيروت في ١٨ منه

انه وان كان أذيع في الجرائد بمدى الشهرين الاخيرين روايات عديدة عن الفظائع التي ارتُكبت في سوريا وقد ارسلت اليكم دون انقطاع اخباراً عنها لا ريب بانكم ترون أفيد لكم وللشعب الانكليزي عموماً الحصول على خلاصة رواية هذه الحوادث المشؤمة شاملة كل دقائقها مذ بدء الاقتتالات حتى اليوم . ولما كنت في هذه الاماكن خلال هذه الحرب وشاهدت بعيني ـ ربما اكثر من

سائر الاوربيين ـ ويلاتها وفظائعها وكنت قد صرفت كل عنايتي الى جمع الاخبار الصحيحة اعتقد ان الرواية التي ارسلها اليكم صادقة وتفاصيلها موثرة لكنها لسوء الحظ حقيقية .

لا اخالكم نسيتم ان قد حدث قتال بين الدروز والموارنة بعد ظهر يوم أحد من الصيف المنقضي في قرية بيت مري وهي تبعد زهاء ساعتين ونصف ساعة عن بيروت فقتل كثيرون انما لحسن الحظ لم يعقبه قتال آخر . بيد ان الحزازات الكامنة في صدور الدروز والموارنة بقيت على حالها ومع انه كان نودي بصلح تامة بين الفريقين ظلت القلوب واجفة من تجدد القتال في سنة ١٨٦٠ اذ لم تتخذ الحكومة التحوطات لحقن الدماء .

ان الدروز هم الذين بدأوا بالاعتداء اذ وُجد في اوائل شهر ايار قس مقتولاً في منتصف الطريق بين بيروت ودير القمر على انه وان لم يُهتدَ الى قاتليه لم يرتب احد بانهم دروز لان المسيحيين لا يجسرون على قتل كاهن . فثأر اذ ذاك المسيحيون له وقتلوا اول درزي صادفوه ثم قتل الدروز مسيحيين قرب نهر الدامور بين هذه المدينة وصيدا فانتقم اهلوهما لهما وقتلوا درزيين وفقًا لعوائد هاتين الامتين .

فلو كانت الحكومة أبدت اقل اهتمام في ذلك الحين لتمكنت من منع انتشار الحرب . لقد كنت عند وقوع هذه الكوائن عند سعيد بك جنبلاط كبير زعماء الدروز في المختاره وهي على مقربة من بتدين حيث قصر الامير بشير فالحت عليه ان يبذل جهده لحقن الدماء .

وفي ٢٨ ايار اصطلت الحرب . وفي الليل شوهد من بيروت ٣٢ قرية تحترق وفي ٢٩ منه أمست بعض بلدان لبنان الزاهرة مهجورة خربة .

وقد تقدم الدروز الى مسافة ٤٠ دقيقة من بيروت فرقوا بحضرة خورشيد باشا ومعسكره (لانه كان خرج من المدينة بحجة ايقاف رحى الحرب) قرية الحدث

الزاهرة مقرّ الامراء الشهابيين وأسرفوا في النهب والقتل . ويقال ان الجنود التركية اطلقت الرصاص هناك على المسيحيين الفارين (والمرجح ان الخبر صحيح)

وفي ٢٩ ايار هاجم الدروز مدينة حاصبيًا الكائنة عند سفح جبل حرمون «جبل الشيخ » وفيها امير مسلم من الاسرة الشهابية يبغضه ولاة دمشق لما لهُ من مزيد البسطة والسلطة . وفي السنة المنقضية ارسل المشير أحمد باشا والي دمشق فصيلة من الجند لاحتلال المدن الكائنة عند سفح الجبل المذكور والحقها حديثًا بنجدات أُخرى بأمرة عثمان بك الذي سيظلّ اسمه مكروهًا من المسيحيين. فان هذا الرجل قال لمسيحي حاصبيًا حين هاجمها الدروز انه أُرسل لحمايتهم وطلب اليهم تسليمه اسلحتهم والاّ جرُّوا على نفوسهم كدر الحكومة فاطاعوا ظنًّا بانه يبرّ بوعده ثم دعاهم الى الاعتصام بالسراي (المعسكرة فيها الجنود) لزيادة الطمأنينة فانحشر الرجال والنساء والاولاد في هذه البناية . ثم ارسل عثمان بك سلاح المسيحيين المسلّم اليه مخفورًا على بغال الى دمشق على ان رجال الحفر كان عددهم قليلًا جدًّا بحيث لا يصح ان يطلق عليه هذا الاسم إلاّ من باب الاستهزاء. وقبل ان تجتاز البغال وادي حاصبيًا حضر الدروز (وهذا كان المقصود) واستولوا على الاسلحة فلم تمنعهم الجنود . وكان المسيحيون لا يزالون في السراي في أشد حالات العوز لا طعام عندهم ولا ماء . وفي ٥ حزيران رأوا نساء الحاكم يتهيأن للسفر فاستولى عليهم الجزع وطفقوا يسألون عن السبب فاجيبوا اجوبة مبهمة .

وفي ٦ حزيران بدأت الجنود بمغادرة المدينة فادرك اذ ذاك المسيحيون المنكودو الحظ انهم خُدعوا بالاكاذيب وان الفرصة قد فاتت فتراكضوا الى الساحة وطلبوا ان يُسمح لهم بالخروج . فاعطيت الاشارة المعهودة الى الدروز وفُتحت الابواب فدخلوا مسلّحين واخذوا يذبحون جميع الرجال فتمكن بعضهم من اجتياز الباب لكن الجنود التركية لحقت بهم وقتلتهم . وقد استوضحت كثيرين من

المسيحيين عن حقيقة الحادثة فاقسموا لي بانهم رأوا الجنود تشترك في المذبحة واساءوا معاملة النساء ويظهر لي من الجراح التي شاهدتها ان في اجسام الاحياء وان في جثث القتلى ان الجزارين قد تصرفوا بقساوة وفقاً لخطة مرسومة فكثيراً ما شوهد ١٠ الى ١٢ الى ١٤ جرحاً عميقاً وبعضها بالات راضة وقصارى القول ان الجناة استعملوا كل ما وجدوه من الاسلحة فقطعوا الايدي والارجل وشقوا الرؤوس او رضوا الاجسام وهشموها . ولم يفلت من جميع الرجال الذين كانوا في السراي سوى ٤٠ الى ٥٠ شخصاً ومعظمهم جُرح جراحاً خطرة وتُركوا كقتلى تحت اكداس الجثث ولما انسدل الظلام هربوا وقد قدم بعضهم الى بيروت فكانت ثيابهم مخضبة بدم الجثث التي اختبأوا تحتها .

ان الدروز لم يقتلوا النساء ولم يسيئوا معاملتهنّ بوجه عام بل تركوا ذلك الى الاتراك والمسلمين .

فقد انتزع اطفال يتراوح عمرهم بين ٤ الى ٥ سنوات من اذرع والداتهم وضُربت الارض بهم او مُزقوا اربا اربا واذا ما طوقتهم امهاتهم كان القساة يقتلونهم على ركبهنّ واحياناً كانوا يقتلون الوالدات والاطفال معاً توفيراً للوقت . وقد اكدت لي عدة نساء ان الجنود التركية مسكت اطفالهنّ برجليهم وشطروهم الى شطرين واستمرت المجزرة حتى غروب شمس ذلك النهار غير مبقية على ذكر من سكان المدن الواقعة في سفح جبل الشيخ لانه في اليوم ذاته ذُبح مسيحيو حاصبيا بالطريقة ذاتها .

لم يبقَ على ما أظن من لم يغمس يده في هذه الاعمال المستفظعة الاّ امرأة واحدة هي شقيقة كبير زعماء الدروز فانها اشارت على المسيحيين قبل بدء المذبحة بالاّ يذهبوا الى السراي لمعرفتها على ما ارجح بمصيرهم وعرضت عليهم ملجأ في بيتها . انما لسوء الحظ لم يثق الجمهور بكلامها ومع ذلك لاذ بها ٤٠٠ من هؤلاء .

المنكودي الحظ وعندما جاء الجزّارون الظمأى الى شرب الدماء وطلبوا اليها تسليم المسيحيين « الكلاب » انتهرتهم قائلة : « ادخلوا اذا جسرتم وخذوهم . » فلم يجرأوا على خفر حرمة بيت احد كبار امرائهم مع انهم سكارى من الدم بل عادوا على رسلهم كاظمين غيظهم . وهذه المرأة قادت بذاتها هؤلاء المسيحيين التعساء حتى المختاره ومنها أرسلوا الى صيدا فنقلتهم احدى بوارجنا الى بيروت .

ان الامير الشهابي الذي سبق لي ذكره قُتل وجميع الذين كانوا في داره فجميعهم مسلمون ولهم مقام عالٍ وسطوة كبيرة لكنهم كانوا اعداء والي دمشق فضحّوا لهذا السبب ويظن ان مندوب الوالي قد اجاز قتلهم . لو لم يكن لدينا سوى هذه الدلائل لكفت اثباتاً لاشتراك مأموري الباب العالي في المذابح

وبينا كان التعساء الذين لجأوا الى سراي حاصبيا يتضورون جوعاً ويتلهبون عطشاً هجم الباشبوزق وغيرهم من المسلمين في اوائل حزيران على اهل صيدا المتقسمة قلوبهم فرقاً وجزعاً محكمين فيهم السلاح قتلاً اياماً ولم يكن احد من المسيحيين خارج المدينة ليأمن على حياته بل قُتل الرجال والاولاد الذكور وانتهكت حرمة النساء .

وهذه الاعمال شجعت الدروز فقالوا في نفوسهم : « ان المسلمين لادرى منّا » فانقضوا اذ ذاك على دير في ضواحي صيدا ونهبوه وقتلوا ١٦ راهباً . كل هذا وعامل صيدا لم يحرك ساكناً مع ان هذه المدينة محاطة باسوار فلو اوصد ابوابها لامتنع على الدروز دخولها . ولم يعاقب ايضاً جنود الباشبوزق على ما قد جنت ايديهم .

فاتني انباؤك ان جمهوراً من المسيحيين اللاجئين الى الجبال على أثر حرق قراهم في ٢٨ ايار قصدوا المجيء الى بيروت فداهمتهم الدروز والجنود الغير النظامية على بعد ثلاث ساعات منها وقتلوهم . وقد جرى ما تقدم في ٣٠ او ٣١ منه .

وفي ٣ حزيران بدأ الهجوم الاول على دير القمر حاضرة جبل لبنان القديمة

الآهلة بسبعة الاف نسمة وفي صباح ذلك اليوم رغب اهالي قريتين مجاورتين الى المستر برد احد المرسلين الاميركيين ان يأتي لنجدتهم ويوصلهم الى دير القمر اعتقاد انهم يلاقون فيها ملجأ اكثر امناً فذهب المستر برد حالاً الى المتسلم وقائد الجند وسألهما أصحابه بجرس فرفضا اولاً ثم أعطياه جنوداً لحفارته . ولم يمر على ذهابه ساعة من الزمن حتى فاجأ الدروز دير القمر هازجين متغنين باغانيهم الحربية فاستمر اطلاق الرصاص بين الفريقين حتى الليل فقتل كثير من المسيحيين و ٧٠ الى ٨٠ درزياً لان المسيحيين أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع. ولما خيمت ظلمة الليل تراجع الدروز ومن الغد اعادوا كرّتهم . اما المسيحيون فرغبوا في عقد الصلح فذهب المستر برد وكان قد تمكن من العودة الى المدينة في صباح ٤ منه الى زعيم الدروز موفداً من قبل الشعب فرضي بعقد الصلح لقاء بعض شروط. وفي الحال دخل الدروز المدينة واستسلموا للنهب مدة ثلاثة ايام ولم يكن المسيحيون يأمنون على حياتهم اذا ما خرجوا الى اطراف المدينة فلقد قتل الدروز رجلاً مسناً كان ذاهباً لرعاية بقرته . على اني اجهل سبب عفوهم عن سائر الاهالي في ذلك اليوم .

أمّا مشروعهم الحربي الاخر فكان قوامه الاستيلاء على زحلة وهي آهلة بعشرة الاف نسمة انما تضاعف عددها في ذلك الحين (في اوائل حزيران) لان جمهوراً من اهالي القرى المجاورة لاذوا بها . وعندما ذاع خبر فوز الدروز تراكض قسم كبير من ابناء مذهبهم في حوران بقيادة زعيمهم اسمعيل الاطرش وهو رجل حربي همجي يدفعهم الطمع في النهب واستصحبوا عرباً من القبائل الرحالة الصغيرة النازلة حوالى حوران مجتازين جميعاً سهل البقاع الكائن في سورية المجوفة بين سلسلة جبال لبنان الشرقية والغربية ووقفوا عند الشعاب المؤدية الى زحلة . وهناك لحق بهم جماعة من اكراد دمشق واهالي حمص ومتاولة بعلبك معللين نفوسهم بالنهب وذبح المسيحيين .

وفور انتهاء هذا الخبر الى بيروت بذل قناصل الدول الخمس العامون قصارى

جهدهم لحقن الدماء فذهبوا الى الباشا وسألوه عمّا إذا كان لا يريد ان يهتم للامر واحتجوا بشدة على تهاونه واهماله (لانه لم يحرّك ساكناً منذ انفجار بركان الفتنة بل اقتصر على الذهاب بعسكره الى مكان يبعد نصف ساعة عن بيروت) وألحوا عليه باتخاذ التحوطات لابعاد الخطر عن زحلة . فأجاب : « سأرسل جنوداً لحماية المدينة . » ففعل بيدَ ان ارسالها سبّب خرابها . إذ عندما شاهد الدروز قاطنو السلسلة الاولى من منحدرات جبال لبنان وكانوا قد التزموا جانب السكينة حتى ذلك التاريخ زحف الجنود التركية هتفوا هتافهم الحربي وهجموا على زحله يقودهم احد كبار مشايخهم (وهو حاصل على لقب بك لتقيده بخدمة الحكومة التركية)

ان عدة وديان عميقة تتشعب من اعالي قمم لبنان الشرقية متجهة إلى سهل سوريا المجوفة ومدينة زحله كائنة في إحدى هذه الشعاب في منتصف الطريق فهي أوفر مدن لبنان عمراناً وازدهاراً وفيها دير كبير للاباء اللعازريين الفرنسويين (والصحيح لليسوعيين) وتشتمل على بنايات عمومية وكنيسة اسقفية كبرى ومدارس ودور فخيمة . وكان اهالي زحله طلبوا الى دروز البقاع عقد الصلح معهم فلم يحصلوا سوى على شروط مذلّة أبتها نفوسهم واستدلّوا من كنهها ان موجبيها هم مسلمو دمشق لا الدروز .

وفي ١٩ منه ظهرت الجنود العثمانية ودروز لبنان امام زحله وعندما شاهدهم دروز البقاع اشتد ازرهم فأخذوا بالزحف عليها . فخرج المسيحيون من المدينة متوقلين الجبل على أمل الاستدارة بدروز لبنان والانقضاض عليهم في الوادي . لكنهم ابطأوا بحركتهم وقبل ان يبلغوا قمة الجبل رأوا القوّتين قد انضمتا الى بعضهما وبدأتا باضرام النار في المدينة . فتبادل الفريقان اطلاق الرصاص وعندما رأى المسيحيون ان الجنود التركية انقلبت عليهم تراجعوا القهقرى . ولم يكُ باقٍ في المدينة سوى الرجال المسنين والعجز وبعض النساء والاطفال فذُبحوا. وقُتل راهبان عازريان

فرنسويان (يسوعيان) وجُرح ثالثهما ولم يكن الاوربيون بنجوة من الاعتداء .

ان الجنود التركية وهي بأمرة نوري بك اشتركت بمهاجمة زحلة بصورة أوضح من ذي قبل فقد اطلقت قذائف مدفعها على المسيحيين ويقال ان قذيفة هدمت قبة الكنيسة الاسقفية . وهذا معنى وعود خورشيد باشا !

وكان ان الدروز سكروا من خمرة الانتصار والنهب فقصدوا استئناف مهاجمة دير القمر . وعندما بلغ اهاليها وسكانها المنكودي الحظ خبر اقترابهم تأهبوا للدفاع بيدَ ان المتسلم وقد كان لديه ٤٠٠ جندي في دار الحكومة و٣٠٠ غيرهم في بتدين على مسافة نصف ميل تعهد بحمايتهم مشترطاً تسليمه أسلحتهم . فطلبوا اليهِ حرساً يخفرهم الى بيروت فأبى عليهم فاضطروا الى الانقياد لمشيئته فاوجب عليهم نقل امتعتهم النفيسة وأموالهم الى السراي فانحشر الرجال والنساء والاطفال فيها ليل ٢٠ حزيران

وفي صباح الغد ٢١ منه اجتمع الدروز حوالى البلدة وقدم أحد زعمائهم السراي لمفاوضة المتسلم فجرى الحديث بينهما بصوت خافت بواسطة ترجمان لان المتسلم تركي يجهل العربية وفي آخر الحديث سمع المسيحيون المتسلم يجيب على سؤال الزعيم الدرزي بلفظة « هبسي » أي الجميع . فانصرف الزعيم وبعد بضع دقائق فُتح باب السراي ودخل الاشقياء فذبحوا جميع الذكور بمساعدة الجنود . وقصارى الكلام ان هذه الفاجعة كالتي حدثت في حاصبيا على ان المجزرة كانت أشدّ هولاً والذين تخلفوا عن المجيء الى السراي لم ينجوا منها بل قُتل جميع من بقي في البيوت والذين عبروا الساقية لائذين ببيت الدين على ان بعضهم قد تمكن من الهرب باختبائه في الخنادق وبقي بعض الجرحى في قيد الحياة . وقد وصف لي هذا المشهد الهائل بجميع دقائقه كثير من النساء اللواتي كنّ هناك وقصصنَ عليّ كيف رأينَ ازواجهنّ وابائهنّ واشقائهنّ وأولادهنّ يُذبحون وكيف جرحن بينما كنّ يحاولنَ انقاذ اطفالهنّ وكيف انتزعهم هؤلاء الجزّارون من ايديهنّ وقطعوهم أرباً ورموا لحمانهم في

وجوههنَّ وروينَ لي ان الجنود التركية لم تحترم عرضهنَّ وان الدروز سلبوهنَّ كل ما يملكنَ . ومن المشهور انه كان في دير القمر اناس ادباء ذوو ثروة يعيشون بنعيم العيش الرافغ في دور فخيمة معتادين على الرفاه فأمسوا الان في فاقة يمدون ايديهم للاستعطاء .

لقد اختلف في تقدير عدد قتلى هذه المجزرة الهائلة فمن قائل انها بلغت الـ ٩٠٠ ومن قائل ٧٠٠ وأرجح بعد التدقيق في جميع الروايات ومعارضتها ببعضها ان عدد الذكور الذين قُتلوا في ذلك اليوم بلغ ١١٠٠ الى ١٢٠٠ . ثم اضرم الدروز النار في المدينة فامتدَّ دخانها الى بيروت كعمود من الغيوم منبئاً بالكارثة . ان الروايات عنها غير مبالغ فيها اذ قد جلت في كل البلاد قبل انتهاء الحرب وبلغت دير القمر قبل بضعة ايام بعد المجزرة فشاهدت بيوتها محروقة وطرقاتها غاصة بجثث القتلى ومعظمها معرّاة من ثيابها مبتورة الاعضاء مشنَّع بها . لقد كان عليَّ ان اجتاز المدينة لكن حصاني لم يتمكن من المرور في بعض الطرقات من تراكم الجثث اكداساً وجميع التي حدّقت فيها رأيتها مهشمة بالجراح واكثرها مبتورة اليد اليمنى والمرجح ان هؤلاء التعساء كانوا يدرأون بايديهم ضربات السيوف وشاهدت اطفالاً يتراوح عمرهم بين الثالثة الى الرابعة مطروحين على الارض وبجانبهم شيوخ مسنون وسيماء النزع واليأس منطبعة على وجوه بعضهم وقد قُتل أحدهم وهو راكع على ركبتيه يضرع الى جلاديه مستغيثاً

رأيتُ في الساحة جثثاً بلا رؤوس ورؤوساً بلا جثث قد تُركت كلها دون دفن فريسة للضباع والوحوش الكاسرة وفي وسط هذه المشاهد المفجعة رأيت بعض الدروز الذين جاءوا لاخذ ما بقي من الاخشاب في تلك البيوت يقهقهون ويبتهجون عند نظرهم الى جثث ضحاياهم وهو مشهد كنت اعتقد انه يدعو اسفل الناس الى السكوت تهيباً .

وقد اعربت لكبير زعماء الدروز عن نفوري من هذا السلوك المعيب الهمجي وألححت عليهِ ليعتني بدفن القتلى فتبسم وسألني لماذا . ثم وعدني بان يأمر بدفنها ولي بعض الامل بانه فعل وان قال انه يصعب عليه اقناع الدروز بدفن جثث المسيحيين .

وعندما وصل الخبر الى بيروت بلغ الاشمئزاز والخنق اشدهما مع اننا قد اصبحنا معتادين على مثل هذه الفظائع بيدَ ان هذه الفاجعة قد فاقت كل ما نعرفه من نظائرها ودلت على مقدار خداع الباشا وان كان يتعذر اقناع احد ساسة اوربا الرصينين بان والي ولاية كبيرة كهذه يشغل منصباً عالياً غمس يده في كل هذه المذابح .

ان الباشا وصل الى دير القمر مساء يوم المذبحة وقد قال « انه سينوح طول حياته على ابطانه.» هكذا قال ومن عادته الصدق ! ! وما اتصلت بنا هذه التفاصيل حتى جاءتنا السفينة الحربية الفرنسوية « سنتينيل » بعد ظهر يوم الاحد ٢٦ حزيران بانباء مقلقة من صيدا فان الدروز هددوا هذه المدينة مجدداً بالهجوم والمفتي وعظ في الجامع وفي الشوارع محرضاً على قتل المسيحيين داعياً المؤمنين ليأتوا وينظروا كيف يكون فوز الصادقين وكان يصرخ قائلاً : « قد آن الوقت . ان الله قد دفع اليكم الكفّار » . وفي الليلة السابقة ٢٥ منه سُمح للدروز بالبقاء في المدينة وقضى المسلمون ليلتهم في الجامع مسلحين بانواع الاسلحة وعتاد القتال متأهبين لمساعدة الدروز بما في طاقتهم عندما يبدأون بالمجزرة. وكان ان اربع بوارج اثنتان انكليزيتان واثنتان فرنسويتان مخرت قاصدة صيدا والقت مراسيها فيها قبل الغروب فخفض قدومها من غطرسة المتعصبين وهوسهم فارتاعوا وخلصت المدينة من فتنتهم

وقد أظهر التحقيق ان قد دبرت هناك مكيدة لان متولي صيدا جمع سلاح كل المسيحيين بحجة ان حالة الاضطراب السائدة في البلاد تقضي به مع انه سمح في

الوقت ذاته للدروز والمسلمين بدخول المدينة والبقاء فيها مسلحين دون ان يتعرض لاحد منهم. وليس اظلم من هذه المعاملة ولاشيء يوضح باجلى بيان منها غايته السيئة ولما سئل رسمياً لم ينكر بل صرّح بانه سيكره جميع الاهالي على اختلاف مذاهبهم على تسليم اسلحتهم ولما رُغب اليه ان يكتب بذلك تعهداً على نفسه أبى بحجة انه لا يقوى على منع الدروز من دخول صيدا بسلاحهم مع ان لديه حامية قوامها ٣٠٠ جندي ومدفع والمدينة ذات اسوار.

انه بعد مذبحة دير القمر بينا كان الرعب سائداً في صيدا هُددت بيروت ذاتها وكاد ان يصيبها ما أصاب سائر المدن لولا وجود عدة بوارج اوربية. ان معظم التجار الوطنيين هاجروا الى الاسكندرية. ومما زاد الطين بلة انه وجد مسلم مقتولاً فاحدثت هذه الجناية هياجاً عظيماً والحّ المسلمون بوجوب اعدام مسيحي فقبض على فلّاح مسكين وحوكم وأُعدم في مدى بضع ساعات وهو بريء من هذه الجناية براءة امبراطور الصين منها (١)

ولما لم يبقَ للقناصل العامين أدنى ثقة بالباشا اجمع رأيهم على ارسال كتاب اجماعي الى كبار زعماء الدروز سألوهم فيه ايقاف الاعتداءات. وتواصلت حوادث القتل وأمست بيروت وصيدا في خطر وكانت الالوف المؤلفة التي لجأت الى كسروان (وهذا اسم الناحية الواقعة وراء نهر الكلب) تتوقع في كل ساعة وثوب الدروز.

ان زعماء الدروز اوضحوا بجلاء انهم لم يكونوا في حرب الجبل الأ آلة بيد

---

(١) ان الشاب المذكور يدعى بطرس بن يوسف ابي مرعي من بكاسين لجأ الى بيروت بعد المذابح وقد ظلّ ينادي ببراءته من التهمة الى ان تقدم اليه الجلاّد فقال امام الجمع المزدحم في ساحة البرج: «انا بريء وكلكم تعلمون ذلك وتريدون قتلي لاني مسيحي فأني أموت مرتاحاً اذا كان في سفك دمي كفارة عن الجميع.»

الباشا وقد حاولوا ألاَّ يعطوا تعهداً صريحاً على ان كتاب قناصل الدول العظمى الخمس الاجماعي قد اتى ببعض الفائدة ولما اتصل خبره بالباشا رأى ان قد كشف سره وايقن ان لا أمل له برفع المسئولية عن عاتقه الا في الالحاح بعقد الصلح .

وقد تحقق حدسنا انه كان في النية احداث مذبحة في كسروان مثل مذابح حاصبيا ودير القمر وقوام الدسيسة ان الدروز يزحفون على حدود هذه البلاد فينفذ الباشا قوة كبيرة من الجنود العثمانية بحجة « وقاية الامن وحماية المسيحيين من اعتداء الدروز » واذ ذاك تبدأ المجزرة فلا تنتهي حتى تكون الجنود والدروز قد ذبحوا معظم سكان لبنان المسيحيين فلو نجحت هذه السياسة السرطانية لقضي على الوف من المسيحيين .

وكانت النتيجة ان قد أعلن وجوب عقد الصلح في لبنان على شرط واحد قوامه ان المسيحيين « يتناسون ما مضى » . فلجأ الباشا الى الحيلة واستدعى عدداً متساوياً من وكلاء الامتين لكن الذين أتوا من قِبل المسيحيين كانوا خوَنة رُشوا بالمال وعلى فرض انهم كانوا نزهاء لما جسروا على مخالفة أمر الباشا ورفض توقيع ما املاه عليهم . يالتعاسة هذا الشعب ! كيف يتناسون ما مضى ؟ أنَّى ينسون ان عدة الاف منهم سُلبوا كل اشيائهم واموالهم وامسوا لا يملكون شروى نقير وكيف ان جمهوراً من النساء اصبحن لا مجير ولا معين لهنَّ وقد حُرقت بيوتهنَّ واشياؤهنَّ وكيف ان ٦٠ بلدة وقرية في لبنان قد دمرت وكيف هذا الجبل العامر أمسى قاعاً بلقعاً !

يقال ان عدد المنكوبين بلغ ٧٥ الفاً وربَّما خُيل ان في التقدير مبالغة على انه يسهل تصور مقدار ضحايا المجزرة اذا ما قلت ان البوارج الحربية الانكليزية وحدها نقلت من صيدا ونهر الدامور الى بيروت ٢٤٠٠ لاجيء فيهم ٢١٠٠ من النساء والبنات . ان معظم الاولاد الذكور الذين نجوا قد فرُّوا بزيّ النساء . ان الجميع

يرغبون في هجر البلاد لان هذا الشعب التعس هو في رعب مستمر فلو امكنه السفر لما رضي ان يبقى ساعة تحت حكم تركيا إلاَّ البعض القليل منه. لكن الحكومة هنا أتت عملاً دلَّ على الاستبداد الفظيع وتعمدها استئصال شافة المسيحيين . فان الباشا انذر هؤلاء التعساء الذين رغبوا منذ حين في مغادرة دمشق وسائر المدن حرصاً على حياتهم بانه لا يعطيهم جواز مرور (تذكرة) مع ان لاحق له بمنعهم اذ لكل فرد من رعايا الحكومة العثمانية ان ينتقل في السلطنة من بلدة الى اخرى حسب هوائه .

يتعذر معرفة عدد المسيحيين الذين قُتلوا في مذابح جبل لبنان فالتخمينات متباينة فبعضهم يقدّر عدد القتلى باربعة الاف واخرون بعشرة . فهذا العدد الاخير مبالغ فيه كثيراً وارجح انه لا يتجاوز الاربعة الاف فقد جمعت عدة انباء موثوق بصحتها وعارضتها ببعضها فتبين لي ان عدد القتلى في دير القمر يتراوح بين ١١٠٠ الى ١٢٠٠ وفي حاصبيا وراشيا ٧٠٠ وفي صيدا ٥٥٠ بحيث يبلغ مجموع هذه المذابح الثلاث الكبيرة ٢٢٥٠ ذكراً الى ٢٣٥٠ واذا ما اضفنا اليها ٢٠٠ لاجيء قُتلوا في ٣٠ و٣١ ايار في جوار بيروت والف مسيحي ذُبحوا في بيوتهم على ما أُرجح فلا اعتقد ان عدد القتلى يتجاوز ٣٥٠٠ ذكر انَّما فقدهم يحرم البلاد من ايدٍ عاملة كان يتوقف عليها نجاحها وجمع الثروة .

يوم الاربعا الواقع في ١١ تموز وصل ثغرنا بارجة وثلاث سفن حربية تركية وعليها ٣٠٠٠ جندي فارتاع المسيحيون من قدومها واستعدوا للرحيل والحَّ القناصل على الباشا ليسمح لهم بركوب البحر . ان مسيحي بيروت شعروا الآن بما جرى لهم منذ بدء الحركة فقد كانوا حتى الآن ينظرون بعين الطمأنينة الى وجود البوارج الحربية الاجنبية الراسية في الثغر لكن رأوا ذاتهم بين نارين لان نزول الجنود المار ذكرها الى البر بدلاً من ان تدعو إلى الطمأنينة زادت في غطرسة المسلمين ومن ثمه

في الخطر المهدد المسيحيين .

هنا يقف وصفي الحرب الناشبة في لبنان . وهذه الحرب (ومن الهزء اطلاق هذه اللفظة على مجزرة) قد انتهت اليوم وكنتُ اودُّ ان تنتهي معها روايتي . لكنه في اليوم الذي أُعلن عقد الصلح حدثت فتنة في دمشق منشأها التعصب . وقد كنّا نتوقعها . وفي الحقيقة ان جميع العارفين بشؤون سوريا تكهنوا منذ ثلاث وأربع سنوات عن امكان حدوث فاجعة في هذه البلاد ولاسيما في حاضرتها . اذ ليس أشدّ تعصباً من اهالي دمشق والمسيحيون فيها قليلو العدد بحيث يخشى ان يُبادوا عن آخرهم . ان عدد المسلمين فيها يناهز ١٣٠ الفاً في حين ان المسيحيين لا يتجاوزون الـ ٣٥ الفاً . ان بركان الفتنة الموَّجج منذ زمن طويل انفجر نهار الاثنين ٩ تموز الساعة الثانية بعد الظهر فهوجمت أوَّلاً دار قنصل روسيا ثم أُضرمت النار في بعض بيوت كبار تجار المسيحيين عملاً بالعادة السيئة الجارية في هذه البلاد ولكنهم رأوا ان هذا العمل بطيء جداً فذهبوا الى باب حلب (باب توما) وأخذوا يحرقون الحي المسيحي بأجمعه . فاقتصر على ما تقدم لان كارثة دمشق لم تنتهِ إذ يستفاد من الرسالة الحديثة الواردة منها ان ألسنة النار لا تزال تلتهم حي المسيحيين بعد انقضاء ٨ ايام على بدء الحريق وصراخ المسلمين لم ينقطع وهياجهم لم يخمد وظمأهم للدم لم يرتوِ . لم يسلم أحد . ان الشوارع ممتلئة بالمتعصبين وهم يصرخون دائماً « اقتلوا المسيحيين ! اقدموا فقد سُمح لنا بذبحهم لا تبقوا على أحد ! » . وفي الرسالة المذكورة ان الاوربيين نجوا انما بغير مساعدة الاهالي وقد حرقوا جميع القنصليات الاَّ قنصليتي انكلترة وروسيا وطلبوا علناً تسليم قنصلي الروسية وفرنسا الى يدهم .

ان الاوربيين القليلي العدد في دمشق نجوا بفضل عبد القادر والمستر برانت قنصل انكلترة الذي تمكن من انقاذ كثيرين حتى الان بحزمهِ ونشاطهِ العجيب . لكنه محصور في داره مع مائة لاجيء ومعرَّض للخطر في كل دقيقة . يضاف إلى

هذه الاحوال ان العرب والاكراد جاءوا المدينة ينهبون ويقتلون الرجال ويسبون النساء. كل ذلك والمشير غافل لم يبدِ حراكاً ولم يأمر بقفل الابواب! ولم تمتز الجنود التركية الأ بذبح المسيحيين وهتك حرمة النساء.

ان عثمان بك وقد كان في حاصبيا عاد إلى دمشق منذ بضعة ايام فاستُقبل فيها بمظاهر التعظيم والاجلال كفاتح. لا يوجد شيء افظع من سلوك أحمد باشا وجميع ضبّاطه وموظفيه.

ان خوفنا على حلب وحمص وحماه والقدس لعظيم. هل تنجو هذه المدن؟ لا اظن. اذ يتعذر بقاء حلب في مأمن. (عدد ٢٢ ملحق ص ٤٠-٤٦)

(تنبيه) ان هذه الرسالة لم تبلغ اللورد دوفرين الأ بعد ان غادر انكلترة وقدم باريس لمفاوضة الحكومة الفرنسويّة وسفير حكومته فانفذها الى اللورد روسل وزير خارجية دولته مع الكتاب الآتي المؤرخ في ٥ آب :

اتشرف فارسل الى سيادتكم مقتطفات من رسالة وردت عليّ الان من المستر سيريل كراهام تتضمن رواية مذابح سوريّة الحديثة متناسقة فيمكن سيادتكم ان تثق كل الثقة في صدق اقوال المستر كراهام نظرًا لمعرفتهِ اللغة العربية وعلاقاته مع الدروز والموارنة وتمكنه من زيارة المحال التي مُثلت فيها هذه المأساة مما مهد لهُ معرفة الحقيقة بجلاها. وسترى سيادتكم انه قد قبح بأمرّ الكلام سلوك ارباب السلطة التركية في سوريّة وستحقق اللجنة الدولية صوابية الاعتقاد السائد في بيروت باشتراك هذه الحكومة والجنود في المذابح بيدَ اننا إذا ما تذكرنا ان المستر كراهام شاهد بعينيه الفظائع التي يرويها لا نستغرب العبارات القاسية التي عاب بها أعمال مثيري الفتنة. (عدد ٢٢ ص ٤٠)

١٠١ – تعليمات الموسيو توفنل وزير خارجية فرنسا الى سفراء دولته في لندرة وفيانا وبطرسبورج وبرلين بتاريخ ٦ تموز سنة ١٨٦٠

ان الكوائن التي جرت في لبنان قد اثارت كثيراً الرأي العام كما هو المنتظر وفقهت جميع الوزارات ان هذه الكوائن تفرض عليها واجبات . فسارعت جميعها الى امداد ممثليها في الاماكن المذكورة بما في طاقتها من الوسائل لحماية المسيحيين والرجاء وطيد ان هذه الوسائل مع الجنود العثمانية الموضوعة قيد ارادة فؤاد باشا تكفي على الاقل لايقاف المجزرة. بيد انه بعد حدوث مثل هذه الفظائع ومثل هذا الاضطراب الشديد في حبل العلائق لا يكفي ايقاء لموجبات العدالة وقياماً بسنن النظام واعادةً لمياه الراحة الى مجاريها ان تقمع الفتنة ويُكره الدروز على ترك السلاح بل الحالة تستدعي اتخاذ وسائل جديرة باصلاح ما خربتهُ الكوارث وضمان عدم تجددها. فأرى، ان للدول في الشطر الثاني من المهمة الموكولة اليهن خطة رسمتها لهن من قبل سوابق المسألة فان المنازعات بين الموارنة والدروز وان كانت لم تظهر في الماضي بهذا المظهر من الاحتدام ولم يتفاقم شرها الى هذا الحد فانها شغلت وزارات الدول في ازمنة مختلفة بحيث ان اتفاقية سنة ١٨٤٢ الموضوعة لتنظيم ادارة لبنان هي نتيجة وفاق عُقد بينهن والباب العالي . أمّا الآن وقد خفر الدروز ذمة هذه الاتفاقية فأصبح من حق الدول التي اتفقت مع الباب العالي على وضع شروطها وبنودها ان تبحث معه مجدداً في الاسباب التي يخلق نسبة حدوث هذا الخرق اليها وان تنظر في ابدال التنظيم بغيره أوفر مناسبةً . ان الباب العالي لم يمانع قط في ما مضى في قبول توسط الدول في المنازعات التي حدثت بين طوائف لبنان. فالاتفاق معه وهو ضربة لازب ليس بالامر المستحدث ولا يُعدّ تدخلاً يخشى ان يمس هيبة الحكومة التركية او استقلالها وانما هو مطابق لما سلف وليس الاّ

نتيجة اتفاق سابق رضي بهِ الباب العالي ولا بدَّ من ان يكون راغباً في بقائهِ لانهُ يجد فيهِ سبيلاً لايلاء الاتفاقيات التي تعقد مجدداً السلطة اللازمة. واذا أُريد استجلاء كنه الحوادث التي جرت ومعرفة مقتضيات الحالة أرى ان طبيعة الاشياء تخطّ لنا الطريق الواجب اتباعها فالدول اذا لم تبادر الى اجراء تحقيق اجاعي في محلّات الحوادث لا يمكنها معرفة عقبات المسألة وحاجات الاهلين الجديرة بالاعتداد. وعليهِ فحكومة الامبراطور ترى من المفيد تأليف لجنة قوامها مندوبو الدول والباب العالي وارسالها إلى لبنان للبحث في اسباب الاقتتالات الحديثة وبيان درجة مسئولية زعماء الفتنة ومأموري الادارة المحلية وتعيين التعويضات الواجب اداؤها لاهل ضحايا الفتنة الذين عضتهم بانيابها ثم درس النظامات التي يوافق اتخاذها تداركاً لتجدد مثل هذه الشرور والكوارث وعرضها على حكوماتهم والباب العالي لاجازتها. فاذا ما حاز هذا الاقتراح قبول الحكومات المشار اليها كما يؤملني اجماع رأيهنَّ فور تلقيهنَّ انباء المجازر اللبنانية فاننا نحصل بهذه الواسطة على جميع الافادات اللازمة لابرام اتفاق مع الباب العالي مكفول البقاء ولاسيما اذا كان مؤسساً على فحص مدقق وصادراً باجماع الرأي. فاوعز اليك بما لي من الثقة بك ان تطلع حضرة وزير الخارجية على اقتراحي هذا واني مرسل مثل هذا الكتاب الى سائر الحكومات.

ان فرنسا اهتمت منذ القديم في شؤون لبنان وهي عادة (تقليد) مألوفة لا يسع حكومة جلالته انكارها وهذه العادة هي التي اوجبت علينا السعي لدى الدول. بيدَ اننا مع مبادهتهنَّ في هذا الشأن لسنا بمدفوعين بغاية خاصة ولا نتعمد استحصال منفعة مقصورة على إحدى الطائفتين المتنازعتين إذ نحن لا غرض لنا إلاَّ مشاركة الدول بجامع الحق الواحد والتناصر على اعادة الامن والنظام إلى نصابهما في بلاد لا يمكن اقلاق راحتها دون تعريض السلم في الشرق إلى خطر عظيم.

فلك ان تتلو هذه الرسالة على حضرة وزير الخارجية وتسلمه نسخة عنها .

(الكتاب الازرق الانكليزي في حوادث سورية سنة ١٨٦٠ ـ ١٨٦١ عدد ٦ ص ٣ـ٤ ودي تستا عدد ٣٦ ص ٨١ـ٨٣)

١٠٢ – رسالة الموسيو نوفيل الى المركيز دي لافالت في الاستانة بتاريخ ٦ منه

ياحضرة المركيز : وصلت اليّ أمس رسائل الكونت دي بنتيڤوليو فتصلنا في بيروت وتاريخها حتى ٢١ حزيران وفيها يخبرني بالمجزرة التي جرت في لبنان ولاسيما في زحله ودير القمر . ولا حاجة لي ان اقول لك ان هذه الانباء قد كان لها وقع سيء في حكومة الامبراطور فانهُ فضلًا عن عواطف الحزن والشفقة التي ستلقاها في في كل اوربا ضحايا هذه الفاجعة فالتقاليد المتقادمة العهد تقضي على فرنسا ان ترفع صوتها موجبة اتخاذ الوسائل التي تستلزمها حالة هذه الحوادث المؤلمة وتشارك فيها فلا سبيل اليوم لتحكيم الخلافات السياسية والتزاحم على النفوذ بل ان الشعائر الانسانية تستدعي تدخلًا عاجلًا وتحوطات سريعة . واني لموقن بانك بادرت في الحال الى اقناع الباب العالي بكل مالديك من الوسائل ليقوم بالواجبات التي يفرضها عليه شعوره بمسئولية ملقاة على عاتقه . اني امتنع عن الحكم في سلوك مأموريه فالحوادث قد أثبتت عليهم الذنب ففي بيروت ودمشق فاجأتهم الحوادث دون ان يحتاطوا لها فهرق دم المسلمين والمسيحيين . ان المذابح والحريق بعد ان اجتاحا لبنان يهددان الان سكان المدن ويستفاد من احدث الانباء الواردة علينا انه يُجهل اين تقف الشرور التي عجزت الحكومة عن اتقائها بعد ان شجعت عليها بسكوتها ان لم نقل باشتراكها . كان في مقدمة واجبات الباب العالي واظنه تفهمها ان يسرع لاتخاذ كل الوسائل الكافلة حقن الدماء فاعتقد انه اسرع بارسال القوات الكافية لكبح جماح عصابات الاشقياء التي دخلت لبنان

حتى اذا استتب السلم توجب على تركيا حفظاً لشرفها ان تقتص من المجرمين لان الرأي العام يلح بذلك فاذا احبطت آماله ستحكم او ربما بعجز الدولة حكماً يضطر سائر الحكومات الى الموافقة عليه . ان الحكومة العثمانية لا يمكنها ان تتجاهل في موقفها الحالي نوع واجباتها واهميتها . فعليها ان تنيل الرأي العام ورعاياها الترضية اللازمة وانا على يقين من انها تريد ذلك. انما يبقى على الدول ان تنظر حين الاقتضاء فيما اذا كان يوافق ابقاء التنظيم الذي وضعته للبنان بالاتفاق مع الباب العالي في سنة ١٨٤٢ او تعديله واكون شاكراً لك ان شئت تمحيص هذه المسألة وايقافي على رأيك فيها .

(دي تستا عدد ٣٧ ص ٨٣ ـ ٨٤)

١٠٣ ـ رسالة السلطان عبد المجيد الى الامبراطور نابوليون الثالث عن قصر طولمه بغجه في ١٦ تموز سنة ١٨٦٠

يهمني جداً ان تتيقن جلالتكم اني تلقيت خبر كوائن سورية بأسف لا مزيد عليه فلتثق باني ابذل كل ما في طاقتي لاقرار الامن واعادة الراحة اليها وانزال أشد العقاب في الجناة أيٍ كانوا وانصاف الجميع ولكي لا يبقى أدنى ريب في نيات حكومتي قد شئت ان اعهد بهذه المهمة الخطيرة إلى ناظر خارجيتي المعروفة اراؤه لدى جلالتكم .

(عدد ١٢ ص ١٠)

تنبيه : وقد انفذ أيضاً مثل هذه الرسالة البرقية الى جلالة ملكة انكلترة.

(عدد ٣٤ ص ٢٢)

١٠٤ ـ الموسيو نوفيل الى الكونت دي برسبني سفير فرنسا في لندره عن باريس في ١٧ منه

ياحضرة الكونت : ان سفير جلالة الامبراطور في الاستانة طيَّر اليَّ الرسالة

البرقية المرسلة في طيهِ بخصوص كوائن دمشق وهي تثبت مآل الرسالة التي سبق لحضرة وزير البحرية اطلاعي على خلاصتها وهكذا قد تحققت المخاوف التي حدثتك عنها منذ بضعة ايام . ان هذه الحرب الفظيعة المعلنة على المسيحيين قد اتسعت دائرة حلقاتها بحيث يتعذر معرفة مبلغ امتدادها فاذا لم تبادر الحكومات الى اتخاذ جميع الوسائل الكافلة ايقاف هذه المشاهد المفجعة وهذه المجازر على قدر استطاعتها فلا تكون قد قامت بما يطلبه منها الرأي العام . ويظهر ان الباب العالي ذاته قد ادرك خطورة موقفه ودليلي على ذلك الكتاب الذي انفذه السلطان الى جلالة الامبراطور وأبلغه أولاً الى الموسيو دي لافاليت سفيرنا في الاستانة ليرسله بالاسلاك البرقية وفي طيهِ نسخة منه وربَّما يكون السلطان كتب في ذات المعنى الى جلالة ملكة انكلترة .

بيدَ ان المضاء في الامر ليس باقل لزوم من ابداء الحزم في هذه المسألة ولما كان يخشى لسوء الحظ ان لا تكون وسائل العمل متوفرة لدى الباب العالي مطابقة لنيَّاته فاني أرتاب في استطاعته اتمام ما توجبه هذه الحالة الخطيرة اذا كانت الدول لا تتفق على مساعدته .

ان الامر المعطى لقواد الاساطيل بان يضعوا رجالهم قيد ارادة القناصل غير كاف لادراك محور الفتنة في قلب لبنان وقمعها ولاسيما في مدن الداخلية حيث امتدَّت اليها أو تهددها بالاشتعال فيها وعندي ان فيلقاً من الجنود متوفرة لديه وسائل العمل حسب الظروف يمكنه وحده ان يقوم بهذه المهمة . واذا أحطنا بالمسألة من جميع وجوهها نرى ان الفيلق المذكور يستطيع ان يؤثر تأثيرًا حسناً ليس فقط بالنظر الى المساعدة التي يمد بها الحكومة التركية لدى الحاجة بل بالنظر الى النفوذ الادبي الذي يأتي عن وجوده اذ يطمن بال الاهالي ويؤثر في سلوك المأمورين العثمانيين ذاتهم .

بيدَ ان هذه التدبيرة لا تُنفذ إلا بالاتفاق مع الباب العالي وعدا ما تقدم فمن

اللازم اللازب ان تتفق عليها بصراحة الدول الخمس وعلى هذا يكون التدخل اجماعياً في اساسه . ان الجنود الاوربية المرسلة بالاشتراك لغاية واحدة تقوم بالمهمة التي انتدبتها اليها الدول .

فاذا شاطرتنا حكومة انكلترة هذا الرأي يصبح في الامكان الاتفاق دون تأخير مع سائر الدول والباب العالي واتخاذ الوسائل العاجلة الكافلة تحصيل الترضيات اللازمة للانسانية والسعي بالاشتراك الى اعادة السلم الى سورية .

وهذه النتيجة ياحضرة الكونت تكون عظيمة الاهمية ليس فقط عند الرأي العام والمسيحيين بل ايضاً عند الباب العالي الذي يعجز بالنظر الى الازمة التي تجتازها ادارته وماليته عن ان يتحمل دون خطر محنة قمع فتنة متسعة بهذا المقدار فهذه ملاحظة لا تغرب عن نبرة الحكومة الانكليزية . أمّا نحن فنعتقد بموافقة التعويل على مثل هذه التدبيرة التي بسطت رأيي فيها نعم اني لا اجهل صعوبتها انما العدول عنها يجرّ الى اخطار اعظم ازاء الاضطرابات المتوقع حدوثها .

فاسألك ان تطلع اللورد جون روسل على رأي حكومة جلالة الامبراطور وتباحثه بهذا الشأن ونظراً لما هو ثابت من حراجة الموقف اكون شاكراً لك اذا شئتَ ان تعرّفني بأقرب وقت رأي الحكومة الانكليزية فيه ونيّاتها

(المحررات الانكليزية عدد ١١ ص ٨)

١٠٥ــ الكونت دي برسبني الى الموسيو توفنيل . عن لندره في ١٨ منه

ياحضرة الوزير : اني فور تلقيّ رسالتك بتاريخ أمس عدد ١١٣ قصدت حضرة وزير خارجية جلالة ملكة الانكليز فلم اتمكن من الاجتماع به إلاّ في آخر النهار بينما كان يرأس مجلس الوزراء . ولمّا حدثته باقتراحك اضطرب لانه يرى فيه كبير خطر ثم اتفقنا على انه يجيبني هذا المساء الساعة السادسة ونصف الساعة ففعل

وقد ارسلت لكم خلاصة جوابه بالسلك البرقي وهاك مجملها :

ان الحكومة الانكليزية تقبل مبدئياً مقترحكم لكنها لا تستطيع ارسال جنود انكليزية الى سوريّة لاسباب يعرفها الجميع وهي ان ليس لديها قوّات برّية انّما ستعزز قواها البحرية في شواطىء سوريّة بارسال بعض بوارج لتتمكن من حماية سكّان المدن الساحلية . أمّا البلدان الداخلية ولاسيما بلاد لبنان المسيحية فيعهد بحمايتها الى جنود فرنسويّة ربّما أضيف اليها جنود نمسويّة . ولا ترى الحكومة الانكليزيّة لزوماً لاشراك الجنود الروسية أو البروسية . انما يشترط ان لا يتم احتلال الجنود الفرنسويّة الأ بموجب وثيقة يجري التفاوض فيها والموافقة عليها بينا تكون هذه الجنود ذاهبة لمحل مقصدها . ويسألكم حضرة اللورد جون روسل ان تكتبوا مسودّتها .

(دي تستا عدد ٤٢ ص ٨٨ـ٨٩)

١٠٦ــ المركز دي لافابت الى الموسيو نوفبل . عن طرابلس في ١٨ منه

ياحضرة الوزير : تلقيت الرسائل التي شرّفتني بتوجيهها اليّ بما فيها رقم ٥٣ وقد ألفتَ نظري خاصةً الرسالة الـ ٥١ الباحثة في كوائن سوريا . ولا بدّ من ان تكونوا واثقين باني لم اهمل ما بوسعي لحمل الباب العالي على التعجل باتخاذ احزم الوسائل الكافلة ايقاف نكبات سوريا . وقد رأيت من الفضول ان اوقفكم على تفاصيل مساعيّ اليومية لاعتقادي انكم لا تشكّون في ما ابذله من النشاط للنجاح في هذه المسألة الخطيرة انّما دولتكم تعرفون موقفي دون ان ازيدكم ايضاحاً . ان الصعوبة كائنة كما قلت لكم سابقاً في عسر الدولة ومشاكلها لا في نيّاتها اذ لم تكن لتستطيع ارسال جنود جديدة الى سوريا دون خطر قبل دفع رواتبها خشيةً من ان تضم الى الناهبين اناساً مستائين ومستعدّين للتمرد . ولمّا تمكنتْ من الحصول على الاموال اللازمة لدفع رواتب الف جندي متأخرة أرسلتهم الى سوريا والحقتهم

بغيرهم تدريجًا وكنت ساهرًا على ما هو جارٍ . وعندما تسنى لها جمع عدد من الجند كافٍ لجعل سلطة قائدها محترمة طلبت وفقًا لتعليماتكم ان يُعهد بقيادتها الى رجل حاصل على ثقتنا واذ ذاك تقرر ايفاد فوّاد باشا .

ان الكتاب الذي انفذته الى الناظر المشار اليه وقد ارسلت لكم نسخة منه تُلي أوّلاً على مسامع مجلس الوزراء ثم عُرض في اليوم ذاته على جلالة السلطان فكان وقعه عظيمًا . فاستدعى في الحال ناظر خارجيته وخاطبه بلهجة حازمة خارجة من صميم فوّاده بحضرة قائم مقام الصدر الاعظم عالي باشا ونزع من طربوشه الطغراء السلطانية وهي شعار السلطة العسكرية وسلمه اياها قائلًا لهُ انه يعتمد عليه لاخذ ثأر شرف جيشه .

وهذه عبارة من حديث فوّاد باشا حين سفره مع الموسيو اوتري (قنصل فرنسا في دمشق) : « قل لسفير فرنسا اني سأغسل العار الذي لحق بشرف الجيش ولو كان في ذلك مماتي وان الجنود تقوم بواجبها . »

قد سافر فوّاد باشا نهار الخميس المنقضي ١٢ الجاري على بارجة تصحبها سفينتان حاملتين جنودًا وذخائر .

قد أصبتم دولتكم في اعتقادكم ان لا علاقة لهذه المسألة بالخلافات السياسية ومزاحمات النفوذ الدولية وعلى كلٍ أرى من المبتسر النظر منذ الان في تنظيم سوريا بل يجب الاهتمام قبل كل شيء بوضع حدٍ للنهب والحريق والمجازر ومتى عادت الطمأنينة الى المسيحيين الباقين في قيد الحياة بفضل الاحتياطات العسكرية وأُنزل الرعب في قلوب الدروز والمسلمين شركاهم في الجناية فهابوا سطوة الحكومة فيحسن اذ ذاك التدقيق في عيوب نظام سنة ١٨٤٢ الموضوع للبنان واصلاحه .

اتشرّف بأن ارسل لدولتكم في طيهِ ترجمة الخط السلطاني المتعلق بالمهمة الموكولة الى فوّاد باشا . (دي تستا عدد ٤٣ ص ٨٩ـ٩٠)

١٠٧ – فرمان السلطان عبد المجيد لفؤاد باشا ناظر الخارجية في اوائل ذي الحجة سنة ١٢٧٧ [اوائل تموز سنة ١٨٦٠] (١)

الدستور المكرّم المشير المفخم نظام العالم مدبّر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي السديد الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى أفخم وكلاء دولتنا العلية واعظم مشيري سلطنتنا السنية المنوطة بهِ نظارة الامور الخارجية في دولتنا العظمى المختار من لدن ملوكيتنا مستقلًا بمأمورية خرق العادات لمصالح سوريًا الحامل علامتنا المجيدية والحائز باستحقاق شرف نيشان امتيازنا الملوكي والخدمة العسكرية من الرتبة الاولى الوزير الالمعي محمد فؤاد باشا أدام الله تعالى اجلاله .

توقيعنا الرفيع الشأن هذا بوصوله اليك لتحط علمًا انك ايها الوزير الهمام المشار اليه بالبنان لعالم حق اليقين بالفتنة التي اشتعل اوارها الان بين الموارنة والدروز سكّان جبل لبنان الذي هو في سوريًا وحينما انتهى الينا ما نشب بينهم من المناقشة والجدال والمبادرة الى المجالدة والقتال كان ذلك ممّا تكرهه عنايتنا الرحيمة رأفة

---

(١) احتُفل بتلاوة هذا الفرمان في بيروت في ١٩ تموز ثم انفذ فؤاد باشا اذاعته الى شعب سوريًا ووزّع نسخاً منهما على القناصل . أمّا بطانته فكانت مؤلفة من المفتي شروان زاده محمد افندي وشوكت افندي كاتب سرّه الاول والقائم مقام حسن بك رئيس اركان حربه (وهو انكليزي عُرف باسم اوريلي وقيل انه ابن اللورد بلمرستون) والقائم مقام رؤوف بك والضابطين مصطفى افندي وجميل بك ومن ابرو افندي مدير المراسلات الفرنسويّة في نظارة الخارجية وفرنقو افندي رئيس قلم فصل الدعاوى (وهو الذي صار فيما بعد متصرفاً على لبنان) ودانيش افندي وكونستان افندي وارزومان افندي من تراجمة النظارة

بالعباد وسطوتنا القاهرة تأبى الا النظر بالشفقة على الرعية متساوياً لدينا جميع صنوف المتسمين بتبعة دولتنا العظمى على اختلاف مللهم ليكونوا بالامن والراحة رغيداً عيشهم مطمئنة قلوبهم في ظلال الامن راتعين وان لا يتجاوز بوسيلة على اخرين تلكم قصارى بغيتنا ونتيجة مأربنا . فاما ما اضطرب بهِ جبل لبنان من الحركات الغادرة الظالمة فانها من جميع الوجوه تغاثر رضانا وتعاند معدلتنا ولهذا انطنا بدرايتك الكافية النظر في ذلك وفوضنا الى فطنتك الذاتية التي اتصفت بها في الخافقين الامر في الاستقلال لتسرع باخماد هذه الثائرة واستئصال جرثومة الذين ايقظوا الفتنة فلا تبقِ عليهم ولا تذر اولئك الذين عثوا مفسدين عدواناً وكانوا سفاكين دما البشر. فيا ايها الوزير الواحد الاحد المستجمع غرر الصفات السابق الايماء اليها الجليل المهاب بين رجال سلطنتنا المظفرة انت انت الذي وثقت بك عظمتنا وقد عولت عليك اعتمادها لتكون من لدنها بالاستقلال في الحادث الجلل مطلق الامر ماضي الاحكام ولقد سيَّرنا نحوها تيك الاقطار الجيش العرمرم وجحافل العسكر الجرار تصرفها أنّى شئت حسب رأيك وتدبيرك واجتهادك في المصالح وبحول الله عزّ وجل تجدّ في المسير من هنا الى تلك الناحية حتى اذا وطأتها اضحى وزراء الملك والجيش كافة اليك مرجعهم برأيك يأتمرون وعلى تدبيرك يسلكون في ما ينبغي لاضمحلال اثر هذه الفتنة التي نشبت بين الموارنة والدروز في اسرع حين . والجهد كل الجهد بردّ الامن والسكون والراحة الحقي برّها بالناس أجمعين والذين تجاسروا عدواناً على سفك دماء ذرية بني البشر اجعل جزاهم بمقتضى الاحكام التي نصّ عليها عدلنا في قانون الجزاء ردعاً وتأديباً والهمة الهمة في محو أثر هذه الغائلة الفظيعة مستعملاً في ذلك ما استقلت بهِ رأياً واجتهاداً وقد فوضناه اليك وأنطناه بك من تدبير مصالح السياسة وترتيب الجيش ايفاء بما يجب من حق الدراية والقيام بواجبات الوظيفة وبذل ما تتصل اليه الاستطاعة وعلى ذلك صدرت اليك الاوامر من ديواننا الملوكي بولاية

هذا العمل والاذن بالذهاب لتكون منتهجاً بمقتضاه موئتمناً بهِ معتمداً على علامتنا الشريفة تحريراً في اواخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٧٦

(نُقل بالحرف عن الصورة المعربة الموجودة عند صاحبي هذا الكتاب . والكتاب الازرق الانكليزي المذاع في سنة ١٨٦٠ ـ ٦١ عدد ٦٥ ملحق ٢ ص ٤٣ـ٤٤ ودي تستا عدد ٤٤ ص ٩٠ـ٩١)

١٠٨– تسرة فؤاد باشا فى ٣٠ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ [١٩ تموز سنة ١٨٦٠]

الى شعوب سوريا

ان الحرب الاهلية التي نشبت في جبل لبنان بين الموارنة والدروز وأسالت أنهراً من الدم قد اوجبت استياء جلالة المتبوع الاعظم الشامل برأفته جميع رعاياه على السواء دون أدنى تمييز .

من الامور المخالفة لنيّات جلالته اعتداء فردٍ على فرد أو ملة من الملل على أخرى لاي سبب كان أو بأية صورة كانت وبناء عليه فجميع الذين يخالفون هذه الاوامر يعدون كمتمردين على الحكومة . ومن ثمه يجب محو آثار كل عداء بعد الفظائع التي اقترفها أهالي لبنان .

قد جئت موفداً من قبل الحضرة السلطانية بمهمة مستقلة وخارقة العادة لمعاقبة الذين ارتكبوا هذه الجنايات وقد تضمن الفرمان السلطاني العالي الشأن الموجه اليّ بيان السلطة المخولة لي فاظهر عدالة الحضرة الشاهانية ملجاء المظلومين التي تصغى لشكاويهم وتقتص من الظالمين وسأتمم ما عهد اليّ بهِ بكل نزاهة فليرتح بال الجميع . أما في ما يختص بالعيل التي طُردت من بيوتها فأتكفل باعادتها وسد حاجاتها المعاشية مظهراً لها بذلك الشفقة الخاقانية والمعدلة الشاهانية . ينبغي ان يقف الاقتتال حالاً فان الجنود السلطانية التي بامرتنا ستعمل

منذ اليوم ضد من يخالف هذه الاوامر ويبدأ بالعداء منذرين بانزال العقاب العاجل في كل من يعكر كأس الراحة . وقد فُوض الينا خلا السلطة لوضع حد للاقتتالات وسائل غير عادية لمحاكمة الافراد الذين اقترفوا الجنايات . فللجميع كبارًا وصغارًا ان يبسطوا لدينا شكاويهم فنعيرهم اذانًا صاغية . ولاحاطة الجميع بذلك حرر . (عدد ٦٥ ملحق ٣ ص ٤٤ ودي تستا عدد ٤٥ ص ٩١ ـ ٩٢)

١٠٩ — امر سام عام الى ولاة كردستان وخربوط والموصل وبغداد ومرعش واطنه وسيواس وانقره وطرابزون وارضروم ومشير فيلق الاناطول في ذي الحجة سنة ١٢٧٦ [تموز سنة ١٨٦٠]

لقد علم الباب العالي بمزيد الكدر ان المسلمين في دمشق اعتدوا على المسيحيين رعايا جلالة السلطان الامناء وتجرأوا على ارتكاب الفظائع كالقتل والنهب . ولا حاجة الى تكرار القول بان حماية اموال المسيحيين رعايا الباب العالي وحياتهم وعرضهم التي عهد بها عزَّ وجلَّ الى جلالة مولانا السلطان الاعظم هي من قواعد الشرع الشريف الاساسية وتعاليمه المجيدة . ومن الجلي الثابت ان من يخالف هذه القواعد لا ينجو من العقاب دنيا وأخرى .

ان مقترفي هذه الفظائع المخالفة لشريعة نبينا محمد ولعواطف الحضرة الشاهانية المملوءة رأفة ورحمة سينزل بهم العقاب الشديد قريبًا وفقًا للشريعة وقانون الجزاء . أمَّا إذا حدث ان بعض الفاقدين رشدهم والجاهلين تعاليم ديانتهم ونواهيها يرتكبون مثل هذه الامور المستفظعة معتدين على المسيحيين فيجلبون أشدَّ الاخطار على الحكومة تلقى كل المسئولية على عاتق مأموري الباب العالي ولا يستطيعون التنصل منها . ومن ثمه فعلى كل مأمور ان يعرف واجباته ويبذل جهده لحفظ الراحة في البلاد وليتيقن انهُ يحاسب على عمله ويعرض ذاته للقصاص اذا وقعت لا سمح

الله مثل هذه الجنايات . ينبغي في كل آن حفظ السكينة في ولايات السلطنة بل ان ذلك اشد ضرورة في هذه الاونة . فاسهروا ليل نهار وافكروا بان بلادنا في وقت حرج وخطر فاتحدوا بارباب السلطة العسكرية واوقفوا مساعيكم على استدراك وقوع نزاع بين سائر طبقات الرعايا وحفظ الامن وملافاة كل مايضطرب لهُ حبل الالفة بحيث توفرون على الحكومة الكثيرة الارتباك الآن مشاكل جديدة فاذا ما لاح لكم بان المسلمين يضمرون الشر للمسيحيين وبالعكس خذوا حالاً جميع الوسائل الاحتياطية لملافاة الشر . واذا ارتُكبت جناية لا تتركوا الشر يتفاقم بل سارعوا بنشاط الى تسكين الخواطر واتقاء حدوث اضطرابات .

ولما كان اقرار السكينة في الولاية الموكولة اليكم ادارة شؤُونها هي من الاهمية بمكان كما اوضحنا آنفاً فاذا ما تحققتم ان القوّات التي لديكم لا تكفي فلكم ان تجندوا دون استئذان العدد اللازم وتنتقوا هذه الضابطة من بين الاشخاص الصادقين الحسان السلوك الذين لم يسبق لمواطنيهم الشكوى منهم ثم تعلمون الباب العالي بما فعلتم

وقصارى القول ان جلّ رغبة الحكومة ان توطدوا الراحة في الولاية التي تديرون شؤُونها وتسهرون على عدم حدوث نزاع بين المسلمين والمسيحيين او اعتداء على المأمورين الاجانب ورعاياهم فتقيدوا بالنصائح المشروحة آنفاً واجعلوا نصب عيونكم سوء عقبى الاضطرابات التي نرجو ألاَّ تقع صارفين عنايتكم الى توطيد اركان السكينة وهو الامر الجوهري واثبتوا بالاعمال صداقتكم واخلاصكم وحبكم لحكومتكم وسلطانكم ومذهبكم وأُمتكم. (دي تستا عدد٤٦ ص ٩٢-٩٣)

١١٠ - الكولونل اوريلي الى السير بولفر . عن بيروت في ١٨ منه

سألني فؤاد باشا ان اكتب اليكم لاقص عليكم ما رآه من حالة هذه البلاد

واطلعكم على ما تحوى رسائله الى حكومته من الانباء التي يظن انكم تودون معرفتها . وقد رغب اليّ في الوقت ذاته ان اهديكم تحياته وان اخبركم بانه لولا كثرة اشغاله لكتب اليكم بيده . فقد وجد حالة الناحية حوالى بيروت في سكينة تامة وأنا مثله لانه عُقدت هدنة بين الدروز والموارنة وعاد الاولون الى قراهم . وهو يعني الآن باعادة ثقة الاهلين بالحكومة وقد زعزعها تصرف قواد الجنود التركية في بعض الاماكن ولهذه الغاية أمر خورشيد باشا بالذهاب على سفينة لتفقد المدن الواقعة على سيف البحر حتى اللاذقية واوفد ألفيس أميرال مصطفى باشا بهذه المهمة الى عكا واصحبه باحد رجال بطانته من الكاثوليك لتوزيع الاموال وانفاقها على جرحى الموارنة الموجودين في المدن الساحلية وقد اعطى ايضاً راهبات المحبة الفرنسويات مبلغاً لينفقنه على الجرحى في مستشفاهنّ .

لقد توالت الاعتداءات على مسيحيي دمشق منذ بضعة ايام . أمّا جميع مسلمي دمشق محبي السلام والعلماء وسائر مشايخ الدين الاسلامي يبذلون جهدهم لايقاف الاشرار وهم سكّان حي الميدان الواقع في ضواحي المدينة المأهول باشقياء الحوارنة والعرب الذين انضمّ اليهم الاكراد المقيمون في الجوار. ان مقترفي هذه الجنايات جميعهم مسلمون أو دروز لكن جميع اعيان المسلمين وجّهوا عنايتهم لاطفاء نار الفتنة انما يظهر ان ارباب السلطة العسكرية لم يعضدوهم في سعيهم ولذلك اوعز فوّاد باشا الى أحمد باشا المشير السابق ان يأتي بيروت مستسلماً اليه وسيحاكم ايضاً في هذا الاسبوع امام مجلس حربي الضابطان عثمان بك وعبد السلام بك على تهاملهما في مذبحتي حاصبيا ودير القمر . ان عدد القتلى في دمشق يناهز الـ ٥٠٠ لان سائر المسيحيين لجأوا الى القلعة .

تلقى فوّاد باشا منذ وصوله رسائل تؤكد لهُ استتباب الامن . وقد انفذ كتاباً الى حلب موعزاً الى قائدها ان يستعمل القوّة في الحال عند حدوث أقلّ

اضطراب ويجود بنفسه وبحياة آخر جندي من رجاله لتوطيد الراحة.

بعد بضعة أيام نسافر للداخلية واذ ذاك ينزل دولته أشد العقاب في الفريق الذي ارتكب الجنايات في دمشق.

(المحررات الانكليزية عدد ٧٣ ص ٥٥ ـ ٥٦)

١١١ـ خلاصة عريضة مسيحي دمشق الى القناصل في ٢٠ تموز

ان مسلمي دمشق الشديدي التعصب أخذوا قبل عيد الاضحى الواقع في ٢٩ حزيران يعقدون جلسات سرية مكثرين من الاختلاء ببعضهم وكان احمد باشا مشير فيلق عربستان واقفاً على مجرى هذه الدسائس والمؤامرات لان المسلمين كانوا يجهرون بها منزلين ضروب الاهانات بالمسيحيين يومياً. ثم كان ان شاع خبر دخول الجيش الروسي مولداڤيا فازداد حنق المسلمين تأججاً. وفي الوقت ذاته حدثت مجازر لبنان. وفي علم الجميع كيف تصرفت الجنود التي ارسلها أحمد باشا في زحله وحاصبياً فان بعض الضباط لاموا رفيقهم عثمان بك ضابط هذه الفصائل لدى رجوعه الى دمشق على عمله فأجابهم انه فعل مؤتمراً بتعليمات أحمد باشا. وفي ذلك الحين استقدم المشير الموما اليه سراً كثيرين من زعماء الدروز الى دمشق فأُخبر الموسيو لانوس مدير شؤون قنصلية فرنسا بالوكالة والامير عبد القادر بما ضُمر من الشر للمسيحيين فاجتهدا باستدراك الخطر وتوفق الامير عبد القادر باقناع كثيرين من زعماء الدروز بالعدول عن الايقاع بالمسيحيين فتعهدوا له بعدم السماح لرجالهم بدخول دمشق. واذ ذاك اعتزم المتعصبون على ايقاظ الفتنة عاجلاً وضربوا عيد الاضحى موعداً لها على ان الامير كان يقظاً لا تأخذه سنة النوم فاستقدم اليه جميع الجزائريين المشتغلين بحراثة الاراضي في السهول المجاورة فاجتمعوا لديه فسلّحهم وقسمهم الى جماعات وأمرهم بالطواف في الاحياء والسهر على حفظ الراحة

العامة وبهذه الوسيلة اتقى وقوع الشر ومضت أعياد المسلمين دون ان يحدث ما يكدر معين الراحة واستمر الحال على هذا المنوال حتى ٩ تموز وماء الطمأنينة تجري مجراها في القلوب فصرف عبد القادر رجاله وذهب الى الصالحية للاصطياف .

على ان اعداء المسيحيين لم يعدلوا عن فكرتهم الشيطانية فارسلوا في ٩ منه بعض الرعاع الشرّد للتحرش بالمسيحيين فانتشروا في احيائهم يسبون الصليب ويهينونه ويلعنونهم موجهين اليهم كل أنواع الشتائم فاستلفت القناصل وزعماء الاسر انظار أحمد باشا الى هذه الاعمال التحرشية فكان ان تستر وراء واجبات العدل واوجب على المذنبين عقاباً من شأنه اثارة غضب المسلمين فبينوا لهُ الخطر الذي ينجم عن هذه الوسيلة فأبى الرجوع عن أوامره مع انهُ لم يكن يجهل هياج الافكار وقرب طلوع جنين الفتنة فاصراره يثبت ما أتهم بهِ من رغبتهِ في ايجاد سبب للمسلمين يتخذونه حجة للايقاع بالمسيحيين فلقد ارسل الرعاع المذكورين الذين أهانوا الصليب مكبلين بالحديد الى أحياء المسيحيين ليكنسوا تلك الشوارع فاغاظ هذا المشهد المسلمين فاجتمعوا وهجموا على المسيحيين الامنين في الشوارع وكان ذلك عند الظهر . وبعد ساعة بلغ الهياج معظمه واحتشد جميع المسلمين مسلحين . وعند الساعة الثانية بدأوا بمهاجمة قنصلية روسيا وكان القنصل في زيارة الموسيو لانوس فذبحوا ترجمانه خليل شحاده وسائر الموظفين . ثم استسلموا للنهب والحريق وفي برهة وجيزة اشتعلت النيران في حي باب توما كله فتراكض سكّانه الى قنصلية فرنسا طلباً للالتجاء فقتل كثير منهم في الطريق .

وفي ذلك الحين وصل عبدالقادر من الصالحية بالجزائريين الذين تسنى لهُ حشدهم فذهب توًّا الى قنصلية فرنسا وقد اصطحب اليها المسيحيين الذين التقى بهم ثم اوصل هؤلاء النساء مع قناصل فرنسا والروسية واليونان وراهبات المحبة والاباء اللعازريين إلى داره . وظلّ طول الليل يطوف انحاء المدينة وكان قد انضمّ

اليه ابناؤه وجمهور من الجزائريين فخرج بهم سبع مرّات واوصل الى داره او الى القلعة عدّة الاف من المسيحيين فبلغ عدد الذين انقذهم واوصلهم الى القلعة الـ١١ الف نسمة وعدد الذين أواهم في بيته يربو على الثلاثة الاف

أمّا جنود الحامية وعددها الفان فقد انتشرت منذ الساعة الثالثة في الاحياء المسيحية دون ان تمدّ لهم يد المساعدة ولمّا جاء الليل نُفخ في البوق فعادت الجنود الى القلعة .

وكان كثيرون من المسيحيين لم يتمكنوا من اللحاق بعبدالقادر عند مروره في احيائهم فاجتاز عدد عظيم منهم سطوح البيوت لائذين بدار بطريركية الروم الكاثوليك وكنيستها لكن ألسنة اللهيب اتصلت بهذه الابنية فاضطرّوا الى الفرار وعدد هؤلاء التعساء من ثلاثة الى اربعة الاف بينهم البطريرك وأربعة اساقفة و٣٤ كاهناً وكثير من العيال التي نجت من مذابح حاصبيا وراشيا والقرى المجاورة دمشق . فخرج هذا الجمهور من المدينة قاصداً دير صيدنايا وهو يبعد نحو ساعتين عن دمشق فساروا صفّاً طويلاً في وسطهم النساء والكهنة والاطفال وعلى جوانبهم الرجال مسلحين. وبعد مسير ربع ساعة بلغوا الطواحين في المكان المعروف بجسر «الحدعشرية» ففاجأهم هناك عصابة من المسلمين قوامها ٧٠٠ الى ٨٠٠ رجل فقتلوا كل القافلة الا الف و٨٠٠ امرأة وبنت فاقتادوا هذه التعسات الى البساتين وبيوت المسلمين المجاورة واغتصبوهنّ واكرهوا بعضهنّ على اعتناق الاسلام وذبحوا من أبت الاذعان لارادتهم ثم ساقوا معظمهنّ في الاسواق عاريات لا يستطعنَ وقوفاً وباعوهنّ بالمزاد الى البدو والعرب الآتين من الصحراء كل واحدة بمائة الى ١٥٠ قرشاً .

وقد تمكن قسم من الرجال وفيهم عدّة كهنة من الالتجاء الى بعض المسلمين فأجاروهم وبينا كان جمهور المسيحيين السابق الذكر خارجاً من البطريركية والكنيسة

التقى بالجنود سائرة الى القلعة وفي مقدمتهم النافخو في الابواق فتوسلوا اليهم ليرافقوهم ويحموهم فلاقوا اذانًا صمَّاء . وبعد ان تناولت الجنود طعام المساء عادت الى المدينة واشتركت بالذبح والسلب وقد شوهدوا غير مرَّة عائدين الى القلعة حاملين الغنائم لايداعها مكانًا أمينًا ثم يرجعون الى مكان المجزرة .

ان ضابطًا يدعى سليم بك وبأمرته الف من الباشبوزق كان موجودًا في الميدان أحد احياء دمشق المتطرفة وهو مأهول بألفي مسيحي وبعشرين الف مسلم فعند بدء المذبحة انتصر للمسيحيين وردَّ سفاكي الدماء والناهبين وقبض على ١٥ شقيًّا وقادهم الى قصر المشير فالتقى بطريقه بجنود نظامية فعنفوه على عمله واضطروه الى اطلاق اسراه فذهب الى أحمد باشا محتجًّا فلم يصغَ لهُ وتركته جنوده وانضمت الى السالبين. وقد جرى ذلك يوم الثلاثاء الواقع في ١٠ منه .

ومن الغد الاربعاء ١١ منه اشتعلت النيران في الحي المسيحي كله فأمسى كأتون مضطرم وغطت جثث القتلى الارض ولم يرتوِ الجزَّارون . وفي ذلك اليوم دخلوا بيت الخواجا عنحوري وهو شيخ جليل كان لهُ المقام الاول في دمشق بثروته ومنزلته العليا فأبى الهرب لانه كان قد احسن الى الجميع في حياته فاعتمد على مبرَّاته واستسلم للآمال . وكان لسان اللهيب المندلع قد اوشك ان يتصل ببيته عندما دخل عليه الجناة فقتلوه مع كل ذكور عائلته الكثيري العدد وستة كهنة وضيوفه وخدمه ونهبوا البيت . وكان في عداد اللاجئين ٢٤ امرأة وبنتًا فافتضوهنَّ وعذبوهنَّ ثم جرُّوهنَّ في الاسواق مغمى عليهنَّ من الحزن والحياء عاريات داميات نائحات وبيع بعضهنَّ من الاكراد واتفق ان التقت الباقيات بالمسيو لانوس وكيل قنصلية فرنسا متنكرًا بزي بدوي طائفًا في الشوارع ومعه عدد من الجزائريين لانقاذ المسيحيين الذين يصادفونهم فاشتراهنَّ ولفهنَّ الجزائريون ببرانسهم واقتادوهنَّ إلى عبدالقادر . وفي اليوم ذاته اتصل بالامير ان النساء اللواتي اوصلهنَّ

إلى القلعة وسلمهنّ إلي أحمد باشا أمسينَ عرضةً لاعتداء جنود الحامية وان الالوف من المساكين الذين اجارهم فيها يتضورون جوعاً فعقد والقناصل مجلساً وكان الزاد قد نقص عند الامير فوقع الاتفاق على انه لا يبقي عنده سوى الذين يمكنه ان يقيتهم ويعولهم ويرسل الباقين الى القلعة تحت حماية رجاله فتمّ ذلك وذهب المسيو لانوس وكيل قنصلية فرنسا والموسيو سبارتاليس وكيل قنصلية اليونان إلى القلعة للسهر على أمن اللاجئين اليها فرافقهما الاباء اللعازريون وراهبات المحبة لتعزية هؤلاء المنكودي الحظ والاعتناء بهم. فابتاع الموسيو لانوس ما وجد من الخبز والمأكولات المتنوعة وتولى الآباء اللعازريون والراهبات السابقات الذكر توزيعها . أمّا مشهد هؤلاء الـ ١١ الف نسمة المنكودة الطالع المحشورة في ساحات القلعة المتوسدة التراب فكان يدمي القلوب ويفتت الاكباد. فكنت ترى الرجال والنساء والاطفال مختلطين مذعورين عائشين في قلق مستمرّ فقضوا هناك ثمانية ايام كأنها ثمانية قرون فأشعة الشمس تصهرهم والنداء يبللهم والبرد يقرسهم والارض فراشهم والسماء غطاؤهم لا يجسرون على الابتعاد عن بعضهم اكثر من عشرة اقدام حتى لقضاء حاجاتهم الضرورية وكلهم مرضى يرتجفون من الحمى لا خبز عندهم ولا ماء وكل يوم يشهدون نزع كثيرين منهم . لقد وضعت بعض النساء واجهضت اخريات من جراء هول هذه الحالة وليس من يعتني بهنّ . وخيم السكون المريع فوق تلك الجماهير القانطة التي كانت ترتعش لكل حركة خارجية معتقدة ان قد اقترب أجلها كلما سمعت صراخ سفاكي الدماء. انما بعد وصول الموسيو لانوس والاباء اللعازريين وراهبات المحبة عاد الى هؤلاء التعساء بعض روعهم .

أمّا المجزرة فلم تقف إلّا يوم الاثنين ١٦ تموز عند الساعة الثالثة بعد الظهر . وحينئذ وصل محمد باشا والي دمشق الجديد ومعه ثلاثة الاف رجل من الجنود النظامية فأحاطوا بالمدينة وأمر بنزع السلاح من الجميع .ومن الغد ١٧ منه اوعز الى

المسيحيين بان قد صار في وسعهم الخروج من القلعة آمنين بيدَ انه لم يجسر أحد منهم حتى ١٩ منه ان يخطو خطوة واحدة خارج هـذا الملجأ دون ان يكون مخفوراً بالجزائريين .

ان عدد الضحايا يتراوح بين ستة إلى سبعة الاف ولا تزال جثث كثيرة تحت الردم وفي خرائب البيوت المحروقة والابار هذا خلا الاولاد والنساء المتراوح عمرهم بين ١٠ إلى ٢٠ سنة الذين اقتيدوا الى الصحراء . (عن الاب جوبين ف١ ص٦٩ـ٧٥)

١١٢ – نظافة الباب العالي الى سفيري فرنسا وانكلترة في اول محرم سنة ١٢٧٧ [٢٠ تموز سنة ١٨٦٠]

لقد طُرح على انجاث مجلس الوزراء الرسالة البرقية التي بعث بها حضرة الموسيو توفنيل فتسلمنا نسخة منها وهي تتضمن المطالب الآتية :

١ً : ايفاد لجنة اوربية الى سورية لاجراء تحقيقات فيها بالاشتراك مع مأموري الباب العالي وادخال التعديلات اللازمة على نظام سنة ١٨٤٥

٢ً : انفاذ قوة الى سورية للمساعدة على اعادة مياه الراحة الى هذه الايالة .

٣ً : عقد اتفاق مع الدول العظمى للقطع بهاتين المسألتين .

٤ً : تفويض سفيرنا في باريس تلغرافياً الاجتماع بممثلي الدول الاول لمفاوضتهم والاتفاق معهم وضعاً لبنود هذه الاتفاقية .

فدقق مجلس الوزراء المشار اليه في محتويات هذه الرسالة البرقية . وعليه أبادر الى ايقاف سعادتكم على ما استقرَّ عليه رأياً وصدرت الارادة السنية باجازته وهو

إنه لما كانت خصائص هذه اللجنة ستقتصر على تنقيح نظامات لبنان الادارية الموضوعة في سنة ١٨٤٥ وتحصر في شؤون الجبل دون غيرها بحسب ماهية النظامات المذكورة وكانت من جهة أخرى طريقة الادارة الجاري العمل بموجبها

الآن في لبنان قد بُحث فيها ووضعت باتفاق الدول العظمى فمن البديهي ان تجري المفاوضات في التعديلات المراد ادخالها عليها والقطع بها بمشاركة الدول أيضاً. وعليهِ بادر الباب العالي الى القبول بارسال اللجنة المقترح ايفادها.

(دي تستا عدد ٤٧ ص ٩٣ ـ ٩٤)

١١٣ – *الدوق دي موتيبلو سفير فرنسا في بطرسبورج الى المسيو نوفيل في ٢١ منه*

ياحضرة الوزير: تلقيت في ١٩ الجاري رسالتكم البرقية المنفذة اليَّ في ذلك اليوم وفيها تنبئونني بالاقتراحين اللذين عرضتموهما على حكومات لندره وڤيانا وبرلين بشأن سورية وبان انكلترة قبلت بهما وارتأت ان تقوم فرنسا بتقديم معظم القوات الاوربية التي سيعهد اليها بالاشتراك في اعادة السلم الى سورية بموجب اتفاق يعقد بين تركيا والدول الاول.

لكني لم اتمكن من مقابلة البرنس غورتشاكوف وهو دائماً في بترهوف إلاَّ أمس الجمعة فتلوت على مسامعه رسالتكم وابرقت لكم مساء أمس خلاصة جوابهِ لي بعد ان فاوض الامبراطور. فقد صرَّح لي البرنس المشار اليه دون تردد ان الروسية لا تجعل أدنى تمييز بين الطوائف والمذاهب كلما قضت الاحوال باتخاذ وسائل لحماية المسيحيين وتكون دائماً مستعدة للاشتراك بها ولذلك يوافق على مقترحاتنا ويؤثر روية علم فرنسا خافقاً في تلك الاصقاع على غيره دون حسد بل بالسرور وملء الثقة.

وفي الحال انفذ تعليمات مطابقة لرغائبكم الى البرنس لوبانوف (سفير حكومتهِ في الاستانة) ورسالة برقية الى الكونت دي كيسيليف (سفير دولتهِ في باريس) مجيزاً لهُ عقد اتفاقية مع الحكومة الفرنساوية وسائر الدول.

وزاد انه تلقى من الامبراطور أمراً بوجوب الالحاح باضافة مادة الى الاتفاقية المذكورة تتعهد بها الدول بتحسين حالة المسيحيين في كل السلطنة فعلاً بالاتفاق مع

تركيا وفقاً لوعودها الصريحة وبالسهر على اصلاح ما ظهر من الخلل واتخاذ الوسائل الادارية منعاً لتجدده . وعدا ما تقدم على الدول ان تتكفل بمساعدة تركيا اذا ما حدثت اضطرابات في غير أماكن وفقاً للطريقة التي يتفق عليها بخصوص سورية .

(دي تستا عدد ٤٨ ص ٩٤ ـ ٩٥)

١١٤ ـ الارل كولي الى اللورد روسل . عن باريس في ٢٢ منه

تمكنت من محادثة الموسيو توفنيل بضع دقائق بعد ظهر اليوم فأخبرت دولته باننا قد تلقينا في ٢٠ الجاري من الاستانة نبأ بانعقاد الصلح بين الدروز والموارنة في ١٠ منه وبان سيادتكم ترون انه اذا ثبت هذا النبأ ينبغي تأجيل ارسال البعثة العسكرية الفرنسوية إلى سورية أو العدول عنها . فأجابني انهُ لم يبلغه ما يحقق هذا الخبر بل ان الانباء التي تلقاها من بيروت حتى ١٢ الجاري لا تتضمن أدنى اشارة الى وقوف القتال بين الدروز والموارنة فلو كانت عُقدت الصلح بينهما في ١٠ الجاري لذاع خبرها في بيروت في ١٢ منه . وأردف انهُ من الممكن ان تكون أبرمت لكنه لو ثبت ذلك لا يمكنه ان يجاري سيادتكم في رأيكم بان هذه الصلح من شأنها ان تحول دون كل تدخل

ثم قال : « وفي الحقيقة ما هي هذه الصلح ؟ فلربما ليست سوى اضطرار الموارنة الى الخضوع للدروز لانقاذ انفسهم من مجزرة جديدة . لكن أي تعويض نالوه عن الخسائر التي لحقت بهم ؟ ويستفاد من الاخبار التي تلقتها حكومة الامبراطور ان قد قُتل عشرة الاف مسيحي ولم يُتخذ أقلّ تحوط لاتقاء تجدد مثل هذه الفظائع . »

فقلت ان حكومة جلالة الملكة قبلت بمقترح الحكومة الفرنسوية وقوامه ايفاد لجنة تحقيق وانا موقن بانها ستساعدها بما في وسعها الأ انه لما كان أصبح لدى الباب

العالي في سوريّة قوّة كبيرة من الجند فيرجح ان هذا العدد كافٍ لضمان السكينة اثناء اشتغال اللجنة بمهمتها

فسلّم الموسيو توفنيل بان في وسع القوّات التركية ايقاف الاعتداء على المسيحيين لكنه واثق كل الثقة بانهم لا يُنصفون اذا لم تذهب الجنود الاجنبية. وعلى كلٍ فلا يستطيع ان يبدي رأيه في هذا الشأن الاّ بعد وقوفه على نص عهد الصلح الذي عُقد بين الفريقين اذا ما ثبتت صحة انعقاده.

(المحررات الانكليزيّة عدد ١٨ ص ١٣)

١١٥ – ومنه ايضاً بالتاريخ ذاته

لمّا اجتمعت بعد ظهر اليوم بالمسيو توفنيل تلا عليّ رسالة برقية بتاريخ أمس وصلته هذا الصباح من سفير فرنسا في الاستانة وهاك خلاصتها :

« ان الموسيو لافاليت لم تصله رسالة الموسيو توفنيل البرقية التي يقترح بها عقد اتفاقية بين الباب العالي والدول العظمى لاقرار السلم في سوريّة قبل الساعة الرابعة بعد ظهر أمس وعندما بلغته قصد عالي باشا وتلاها على مسامعه فاضطرب كثيرًا وقال لهُ انه لا يستطيع اعطاءه جوابًا قبل مشاورة رصفائه واستطلاع ارادة السلطان لكنه واثق بان نزول الجنود الاجنبية في سوريًا يكون بدء كوارث جديدة

وقد جرى هذا الحديث بحضرة السير هنري بولفر الذي تلقى أوامر بعضد مشروع ارسال لجنة مختلطة الى سوريّة لكنها لا تشمل اقتراح ارسال بعثة عسكريّة أجنبية. وختم الموسيو لافاليت رسالته سائلًا : « ما الرأي في وقاية الاستانة ؟ » مردفًا ان قلقًا شديدًا ساند فيها ».

ان رسالة الموسيو لافاليت كأغلب الرسالات البرقية فيها بعض الغموض وخاصة بما يقصده عالي باشا بمخاوفهِ من حدوث كوارث جديدة. ويظن الموسيو توفنيل

انه يعني الاستانة وأنا اميل إلى هذا التفسير .

ثم أوضح الموسيو توفنيل انه لا يمكنه القبول بعدول الدول عن ارسال قوّات أجنبية الى سوريّة بحجة ان احد نظار تركيا اوجس خيفةً من ان نزول هذه القوّات يحدث اضطرابًا في الاستانة مع انه قد سبق لها ان حكمت بضرورتها لتوطيد اركان الراحة في هذه البلاد فاذا ما قُبلت هذه الحجة مرّة واحدة ستدلي بها تركيا كلما روْي وجوب تقويم معوج فيها . فقلت اني استنتجت من السؤال الذي ختم بهِ سفير فرنسا رسالته المذكورة آنفًا انه يشاطر عالي باشا مخاوفه من وقوع فتنة في الاستانة . أمّا الآن وقد عرفت بالفظائع التي ارتُكبت في سوريّة لا استطيع ان اقيس بذات المقياس النتائج التي يمكن ان تعقب حدوث فتنة في الاستانة . وسألته عمّا اذا كان لا يفضل تأجيل التدخل في سوريّة بقوّة السلاح أو العدول عن هذه الفكرة اذا كان ينشأ عن متابعتها بلايا عظيمة تنقضّ على الاستانة . وقلت دعوا اولاً رأس المال (يريد الاموال الاجنبية المتجر بها في السلطنة) تطمئن عليه افكار اصحابها واذ ذاك يتسع لكم المجال للحكم فيما اذا كان يجب التدخل في هذه الولايات وفي كيفية هذا التدخل . بيدَ ان الموسيو توفنيل لم يصغَ لهذه البراهين بل ذهب الى ان عسر الباب العالي هو الذي جعل روْوس الاموال في خطر .

(عدد ١٩ ص ١٣ ـ ١٤)

١١٦ — اللورد روسل الى اللرل كولي في ٢٣ منه

ان الانباء التي تلقيناها من سوريا بمدى العشرة الايام الماضية لهائلة تقشعرّ لها الابدان . فانه خلا الذين قُتلوا في المعارك قد ذُبح ٥٥٠٠ شخص وأمسى عشرون ألفًا مشتتين في البلاد يتضورون جوعًا بمن فيهم ارامل المذبوحين وأولادهم . وبينا كانت هذه الفظائع جارية لم تحرّك الحكومة التركية ساكنًا بل ان من لم يغمس من

مأموريها يده في المذابح وقف وقفة المشاهد .

ففي دير القمر نزع عثمان بك السلاح من أيدي المسيحيين وبعد ان أجاعهم أياماً دفعهم الى يد اعدائهم فقطعوهم أرباً أرباً .

ان سلوك الاتراك في غير اما كن اثار الريبة فيهم فاتهموا بمساعدتهم القتلة على أبادة جميع المسيحيين فاغضب فقدان عاطفة الانسانية منهم وضعفهم الحكومة الانكليزية وقبلت اقتراح امبراطور فرنسا بارسال جنود اوربية الى سورية لاستدراك حدوث مذابح جديدة . وفي طيهِ صورة رسالة الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني بهذا الشأن. ولمَّا أبلغنيها أجبتهُ شفاهاً ان حكومة جلالة ملكة انكلترة لاتعارض في ارسال بعثة عسكرية اوربية الى سورية على شرط ان يتفق عليها الباب العالي والدول الخمس . وقد سلمني الموسيو دي برسيني أمس مسودّة الاتفاقية المراد ابرامها . لكن حكومة جلالتها ترى انه وان كانت هذه الظروف الغير العادية تسوّغ ارسال هذه البعثة فاذا كانت انباء الـ ١٠ الى الـ ١٥ يوماً الماضية تدفع الى الامل بان المجازر وقفت ولن تتجدد فلا يبقى من سبيل للمخاطرة بارسال جنود أجنبية الى سورية بحجة اعادة الامن اليها وعليه فلا لزوم لركوب الجنود الفرنسوية البحر وان ركبته تعاد في الحال . وترتأي ايضاً حكومة جلالتها وجوب تحديد ميعاد جلاء الجنود الاجنبية عن سورية في المعاهدة المذكورة ويمكن جعل مدة الاحتلال ٦ اشهر . واذا لم يتوطد الامن في تلك الفترة فمهما طال الاحتلال لا يقوى على اعادة الامن والراحة .

ان مادة اخرى من الاتفاقية تستدعي الملاحظة الآتية: ان حالة تركيا المالية لا تمكنها من دفع نفقات هذه البعثة العسكرية واذا استُكتب السلطان تعهداً بتسديد هذا المبلغ يمسي تحت عبء ثقيل مما يزيد في عسر الحكومة العثمانية وضيق ذات يدها وعليه ترتأي حكومة جلالتها انه يجدر الغاء هذه المادة .

لم اتكلم في كل هذه الرسالة إلاَّ عن الجنود الفرنسوية فقط مع ان جلالة الملكة عزمت على ارسال أسطول الى ثغور سورية مخولة أمير البحر السلطة بانزال البحارة الى البر اذا اقتضى الامر. انما ليس في نية جلالتها استخدام قواها البرية في سبيل استدراك هذه المذابح واعادة الامن الى نصابه. ولا يرجح ان دولة أخرى من الدول العظمى ترسل جنودها الى سورية.

واضيف الى ما تقدم ان حكومة جلالتها لم توافق على ارسال الجنود الاجنبية الى داخلية سورية إلاَّ مرغمة اذ ربَّما أثار ارسالها تعصب المسلمين فيؤخر اعادة السلم الى سورية بدلاً من تعجيله وهي وسيلة من شأنها احداث عراقيل دولية خطيرة. وعليه يُرغب بان لا يُقدم على الاحتلال إلاَّ متى ثبت وجوبه ويبادر حالاً الى وضع حدٍّ له عندما لا يبقى اليه حاجة. (عدد ٢٢ ص ١٥ ـ ١٦)

١١٧ – الارل كولي الى اللورد روسل بالتاريخ ذاته

جرى لي بعد ظهر اليوم حديث آخر مع الموسيو توفنيل في شؤون سورية فعلمت ان دولته تلقى رسائل من الموسيو دي برسيني ينبئه بها بعدول حكومة جلالتها عن القبول بارسال بعثة عسكرية فرنسوية الي سورية وعدم استحسانها اقتراح عقد اتفاقية بين الباب العالي والدول العظمى تأييداً لهذه البعثة. وقد سبق لي ان اوقفتكم على خلاصته في رسالتي المنفذة في ١٩ الجاري ثم اطلعكم الموسيو دي برسيني على جميع تفاصيله.

ينوي الموسيو توفنيل ارسال تعليمات الى الموسيو دي برسيني جواباً على هذا البلاغ وستحتوي على ما أعتقد ذات الاراء التي اوقفني عليها دولته أمس وتشرفت بابلاغها سيادتكم في رسالتي المؤرخة في ٢٢ الجاري لكنه زاد اليوم بان على حكومة جلالتها ان تتذكر بانه لم يقترح ارسال بعثة عسكرية الى سورية الاَّ عند

حدوث فتنة دمشق وانه لو ثبت ان الصلح عُقدت بين الدروز والموارنة وهو لم يزل جاهلًا ذلك فيخشى ان تكون المذابح تواصلت في دمشق اجهازًا على المسيحيين وامتدت الى اورفه وحلب وسائر الاماكن وعليه فان فرنسا محقة في طلبها التعويض عن نهب دار قنصلها في دمشق وتخريب اديار اللاتين في لبنان الموضوعة منذ عهد القديس لويس تحت حماية فرنسا وبدعمها هذا الطلب بالقوة لكنها لا ترغب في الانفراد في المسائل الطارئة في الشرق وقد برهنت على ذلك في الخطة التي انتهجتها.

وختم الموسيو توفنيل قوله انه كان يرغب بان يستطلع الموسيو دي برسينيي رأي حكومة جلالتها في الاقتراحات التي يمكنها قبولها وهو يعتقد انه يتعذر عدم التدخل في هذه الكوائن الخطيرة. (عدد ٢٤ ص ١٧ ـ ١٨)

١١٨ـ ومنه اليه بالتاريخ ذاته

اتصل بي بان بضعة الاف من بنادق مينيه وُزعت على الموارنة فاطلعت الموسيو توفنيل على هذا الخبر فاجاب انه من المشهور دخول كمية عظيمة من الاسلحة حديثًا الى سورية مرسلة من المعامل الفرنسوية والانكليزية وانها بيعت جهارًا في بيروت من الدروز والموارنة وانه حين كان في الاستانة حادث السير بولفر غير مرة بهذا الشأن مبديًا مخاوفه من تجدد القتال بين الطائفتين المتعاديتين المذكورتين.

ثم تكلم عن اسباب النزاع السابق فقال انه لا يستبعد ان يكون بعض كهنة الموارنة حرّضوا ابناء مذهبهم على ابتداء القتال لتوطيد سيادتهم في النواحي المختلطة وجلّ رغبته اظهار الحقيقة لانزال العقاب في مسببي هذه الفواجع واذا ما افترض ان ذبح الرجال والنساء والاطفال كان من قبيل الدفاع الشخصي وان تجاوز حدّه فذبح المسيحيين سكّان زحلة ودمشق وهم روم لا موارنة يدلّ على انه لم يُقصد بهِ الدفاع بل ابادة المسيحيين أجمع. وانه تلقى منذ شهر ادار افادة مآلها

ان أحمد باشا والي دمشق ضمر استئصال شافة مسيحيي زحلة ودير القمر فخيل لهُ ان هذه الدسيسة بعيدة التصديق لفظاعتها فلم يحفل بالخبر . ثم طلب دولته رسالة رفعها اليه الكونت دي بنتيفوليو قنصل فرنسا العام في بيروت بتاريخ ٢٨ ادار المنقضي ينبئه بدسيسة أحمد باشا فأُحضرت لهُ فتلاها على مسامعي. وقد ارسل نسخة منها الى الكونت دي برسيني لاطلاع سيادتكم عليها . وفي الحقيقة ان مضمونها يدعو الى الدهشة فاذا ثبتت هذه التهمة على أحمد باشا فلا يوجد عقاب يضارع جناياته . (عدد ٢٥ ص ١٨)

١١٩ ـ الموسيو نوفنبل الى الكونت دي برسيني في ٢٣ منه

ياحضرة الكونت : تلقيت الرسالة البرقية والكتاب اللذين انفذتهما اليَّ بتاريخ أمس .

ان حكومة الامبراطور علمت بمزيد الاندهاش والاسف بعدول الحكومة الانكليزيَّة عن الاتفاق المبرم بينها وبيننا تحت تأثير أسمى العوامل وأنبلها . لم يبلغنا خبر انعقاد الصلح بين الدروز والموارنة في ١٠ الجاري فان الرسالة البرقية التي انفذها الينا قائد قوانا البحريَّة في بيروت في ١١ منه لاتتضمن أدنى اشارة الى هذه الصلح بل يذكر فيها المذابح التي بدأت في دمشق في ٩ منه ولمَّا كنَّا نعلم ان كثيرين من المسيحيين المنكوبين لاذوا بكسروان فلا يُستغرب ان يكون هذا الجمهور وقد ثبطت البلايا التي نزلت بهِ عزائمه قد قبل بعقد الصلح مع الدروز درءاً لخطر استئناف الكرَّة عليه وابادته

لكن ما هي قيمة هذا العهد ادبياً ؟ هل في وسع الرأي العام ان يسلّم بان وسائل الاكراه على الصلح تبرر الفظائع السابقة وتمحو اثار الدم المسفوك ؟

وعلى كلٍّ ان كوائن لبنان ليست بالوحيدة التي اثرت في افكارنا ودفعتنا الى

اقتراح التدبيرات السابق الايماء اليها وانما مذابح دمشق هي التي استحثتنا على الفات نظر الدول الى وجوب التدخل عاجلًا بالقوة المسلحة في شؤون سورية . من يعرف منّا اذا كانت المجزرة التي بدأت في ٩ منه لم تتابع في الغد ؟ وهل أَمِنّا بانها لم تمتد الى سائر الاماكن وان الدم المسيحي لم يُهرق في حلب وديار بكر والقدس وسائر البلدان المعرّضة سكّانها لثوران فائر التعصب عند ذيوع خبر مجازر دمشق ولبنان ؟ فلو صحّ ان الصلح عُقدت في لبنان فالحالة لم تتبدل بل يوجد أسباب كثيرة تدعونا الى الخوف من تفاقمها !

وبناء على ما تقدم يتعذر علينا ياحضرة الكونت ان نشاطر الحكومة الانكليزية طمأنينتها فان الحالة لم يعترها حوْل في نظرنا وان كان اللورد روسل اخبر بانعقاد صلح لم يرد علينا حتى الآن ما يثبتها ويوضح أسبابها .

وفضلًا عمّا تقدم فاني أريد ان أُبيّن صفة المفاوضات والاراء التي تبادلناها وحكومة لندره . فهي التي فور ورود أنباء لبنان بادرت الى دعوتنا الى ارسال بوارج حربية الى شواطي سورية وتخويل قواد الاسطول حق انزال بحارته . ولمّا بلغتنا أخبار كوائن دمشق تجلت لاعيننا مرامي هذه الحرب الفظيعة التي بدأ بها الدروز ثم ناصرهم عليها المسلمون ففكّرنا بان هذه الفاجعة تقضي علينا بان نفعل اكثر ممّا تقدم بسطه فارتأينا وجوب تدخل الدول الاجماعي دون تحديد وظيفة كل منهن ولم يجل في خاطرنا ان نختص ذواتنا بدور اعظم من أدوار سائر الدول وانما اشترطنا عقد اتفاق سابق مع الباب العالي قبل الاقدام على هذا العمل . وعلى كلٍ فقد روعيت الاصول والقواعد بصورة لم يسبق لها مثيل حتى ان حكومة روسيا لم تتردد في قبول اقتراحنا .

ويستفاد من كلام اللورد روسل الذي نقلته الينا في رسالتك المؤرخة في ١٠ الجاري ان انكلترة أقرّت على تعزيز بوارجها في شواطيء سورية ليتسنى لها حماية

سكّان المدن الساحلية وعلى الرضا باناطة حماية سكّان الداخلية بفرنسا بمساعدة جنود نمسوية اذا ما اقتضى الامر . وقد دعانا ايضاً حضرة وزير الخارجية الى كتابة مسودّة الاتفاقية المراد عقدها لتحديد عمل الدول الاجماعي والباب العالي وقد فوض اللورد كولي سفير انكلترة هنا ابلاغي هذه الاقتراحات .

ان الاتفاق الخاص الذي تمكنّا من عقده دون اضاعة وقت نظراً لمجاورة البلادين أملنا في نجاح مساعينا لدى سائر الحكومات . فحررنا مشروع الاتفاقية وشاء اللورد روسل ان يعلننا بانه وجده مطابقاً للغرض الذي نتوخاه معاً. ومن ثمه اجتهدنا في عدم الباس اقتراحنا صفة نهائية بل قدمناه بصورة مسودّة تتضمن ذكر الشروط الاساسية التي ستتخذ اساساً للمفاوضات. وهذا ما اوضحته في رسائلي لسائر الدول

أمّا نحن فلا نودّ الانفراد بالتدخل حالة كون نهب دار قنصلنا في دمشق وقتل المرسلين الفرنسويين وعدم احترام علَمنا هي اسباب كافية توجب علينا الاستقلال بالتدخل ومع هذا لم نفكر الاّ بالاتفاق مع سائر الدول فرفعنا بذلك عنّا التبعة الملقاة على عاتقنا . انّما نسأل الحكومة الانكليزيّة مجدداً ان تعود إلى حسن استعدادها الاول وتشاركنا في العمل في سوريّة على وجه متساوٍ فاذا كانت ترى انها لا تستطيع ذلك فما هي نيّاتها وماذا تبغي ؟ فاننا مستعدون للنظر في ارائها والقبول بها اذا كانت اكثر مناسبة مما اقترحناه واوفر ملائمةً لمقتضيات الحالة لكنها ستفقه كما انا موقن اننا بسوء الها ايقافنا على ما ترتأيه لم نصدر الاّ عن حسن نية اجابة لداعي الضمير . فلك ان تتلو هذه الرسالة على مسامع اللورد روسل وتسلمه نسخة منها .

(دي تستا عدد ٤٩ ص ٩٥–٩٧)

١٢٠ – اللورد روسل الى السر بولفر في ٢٤ منه

افدتكم في رسالتي البرقية بتاريخ ١٩ الجاري ان الحكومة الفرنسوية اقترحت ارسال جنود اوربية الى سوريا بعد عقد اتفاق بين الدول العظمى والباب العالي وان حكومة جلالتها قبلت بهذا الاقتراح . وقد صرّحت في الوقت ذاته بوجوب ربط هذه البعثة العسكرية بوثيقة يشترط فيها جلاءها فور انتهاء مهمتها

وافيدكم اليوم ان قد أوقف ارسال الجنود الفرنسوية إلى سورية على اثر ورود الخبر بانتهاء القتال بين الدروز والموارنة . بيدَ انه يجدر بالسلطان ان يعجل باستشارة الدول العظمى في شروط الاتفاقية المذكورة آنفاً كما انه يجب عليه اتخاذ التحوطات اللازمة لاقرار الامن في سوريا واتقاء تجدد المذابح .

ان سفير فرنسا ابلغني صورة الاتفاقية فاقترحنا تعديل موادها وطلبنا ان تُجعل مدة احتلال الجنود الاوربية سوريا ٦ اشهر وان يعفى السلطان من دفع نفقات هذه البعثة . (عدد ٢٦ ص ١٨–١٩)

١٢١ – الارل كولي الى اللورد روسل في ٢٤ منه

لما تلقيت هذا الصباح رسالة سيادتكم بتاريخ أمس المتضمنة ما جرى بينكم وبين المسيو دي برسيني بخصوص اقتراح الحكومة الفرنسوية ارسال جنود اوربية الى سورية والمنبئة بانه لما وافقت حكومة جلالة الملكة على هذا الاقتراح على كره منها كانت معتقدة بان البعثة لا تُرسل اذا ثبتت الاخبار التي تلقتها سيادتكم بان الراحة استتبت في ذلك الصوب فقصدت حالاً المسيو توفنيل واطلعته على ارائكم العامة . فانشرح صدرًا بهذا التصريح لان دولته كان يعتقد ان حكومة جلالتها رجعت عن قبولها بهذه البعثة او اوشكت . فازلت عنه كل وهم في هذا

الصدد واوضحت لهُ ان حكومة جلالتها فكرت كثيرًا وتروّت قبل الاقدام على هذا العمل الخطير. وقلت انها اظهرت رغبتها في مجاراة فرنسا الى ما تريد عندما تثبت ضرورة التدخل بالقوّة في سوريّة وانه ليس بكثير اذا طلبت لقاء ذلك التروي قبل الاقدام على هذا التدخل ازاء مشاكله وخطره . فلم احصل على جواب جازم من المسيو توفنيل

ان دولته لم يصله حتى الان جواب حكومتي الروسية وبروسيا على اقتراحه بخصوص التدخل ولا من الباب العالي بشأن توقيع الاتفاقية ويظهر انه يرغب في عقد مؤتمر بحضرة ممثلو الدول الخمس وسفير الباب العالي بحثًا في مواد هذه الاتفاقية فقلت انه وان كانت سيادتكم أبدت بعض ارائها بهذا الصدد كنت اتصوّر ان الحكومة الفرنسويّة اقترحت عقدها في الاستانة

فأجاب دولته انه عرض على الدول والباب العالي عقدها في باريس . وعليه اكون شاكرًا لسيادتكم اذا شئتم ان تمدوني برأيكم بهذا الشأن .

هذا وان المسيو توفنيل مستعد كل الاستعداد لالغاء المادة الموجبة على الباب العالي دفع نفقات البعثة العسكريّة بل اضافها إلى الاتفاقية بيانًا لكون الحكومة الفرنسويّة لم ترغم الباب العالي عليها . اما انا فلا اعتقد ان الموسيو توفنيل يرفض في المفاوضات المقبلة اضافة مادة الى الاتفاقية يحصر بها عدد الجنود التي يراد استخدامها ويحدد مدة الاحتلال . (عدد ٢٧ ص ١٩)

١٢٢ – الكونت دي برسبيي الى الموسيو توفنيل في ٢٥ منه

يا حضرة الوزير : خرجت الان من وزارة الخارجية حيث انتظرت طويلًا انتهاء جلسة مجلس الوزراء وعليه لا اتمكن من ان ارسل لكم سوى خلاصة ما اقرت عليه الوزارة رأيًا . فقد جزمت بقبول ارسال جنود اوربية الى سورية بناء

على الثلاثة الشروط الآتية :

اولها : ان لفؤاد باشا ان يطلب تدخل هذه الجنود اي انه لا يلجأ الى الى استخدامها إلاَّ اذا عجز الاتراك عن اعادة الراحة .

ثانيها : وجوب عقد اتفاقية بين الدول العظمى والباب العالي باقرب آن .

ثالثها : ان احتلال سورية لا يستمر اكثر من ستة اشهر .

يظهر ان الانكليز موقنون بانعقاد الصلح بين الدروز والموارنة مما سيحول دون تجدد المذابح في دمشق . (دي تستا عدد ٥٠ ص ٩٧ ـ ٩٨)

١٢٣ – الموسيو نوفنبل الى الكونت دي برسبني في ٢٦ منه

يا حضرة الكونت : استدعيت اليوم ممثلي الدول بيد انه لما كان سفير تركيا لم يتلقَ من دولته التفويض اللازم خلافاً لما كان افادني المركيز دي لافاليت في رسالته البرقية فان هذا الاجتماع لم يأتِ بنتيجة بل اقتصر فيه على مطالعة صورة الاتفاقية التي عرضتها على انظار السفراء وفي طيهِ نسخة منها .

وفضلاً عما تقدم صممت النية على عرض (البروتوكول) المرسل في طيه على ممثلي الدول الاوربية لتوقيعه بعد الاتفاقية وذلك رغبة في اعطاء ضمانات جديدة على حسن نيتنا . وقد تلوته على اللورد كولي فلم يتردد في الاعتراف بانه رأى فيه دليلاً واضحاً على رغبتنا في تحقيق متمنيات حكومة انكلترة وتبديد اوهام الرأي العام وسوء ظنونه .

بيد اننا لا نستطيع القبول بشروط منافية لأمن جنودنا ولاستقلال قائدها .

لقد سهل عليكم كما كتبتم لي ان تبرهنوا للورد روسل انه يتعذر علينا جعل أمر انزال جنودنا الى البر معلقاً على دعوة سابقة من فؤاد باشا كما انهُ يصعب علينا ان نضمها بامرتهِ ونعهد اليه بادارة حركاتها . اننا نرضى بارسال جنودنا الى

سوريّة بصفة مساعدين مشترطين انها تعمل باسم اوربا بالاشتراك مع قوات سائر الدول التي تمد مثلنا يد العون لتركيا . انما يجب ان يكون قائدنا مستقلًا نظرًا للمسئولية الملقاة على عاتقه ومفوضًا بتوزيع القوات حسب ما يراه اكثر ملائمة لبلوغ غاية مهمته ووقاية شرف جنديتنا وذلك بعد مفاوضة ممثل جلالة السلطان .

(دي تستا عدد ٥١ ص ٩٨ ـ ٩٩)

١٢٤ – اللورد روسل الى اللورد كولي في ٢٨ منه

انبأتني برسالتك في ٢٦ الجاري باقتراح الحكومة الروسية اضافة مادة الى الاتفاقية المتعلقة بارسال بعثة عسكرية الى سوريا تتضمن تصريح الدول الاوربية بانتصارها لجميع المسيحيين فاعلمك ان هذا الاقتراح لا يناسب في الحالة الحاضرة واذا ألحَّ بهِ سفير الروسية فعليك ان ترفض توقيع اتفاقية أو وثيقة (بروتوكول) تحتوي على مادة بهذا المعنى . (المحررات الانكليزيّة عدد ٣٨ ص ٢٤)

١٢٥ – اللورد اللورد نابوليون الثالث الى الكونت دي برسيني . عن سان كلو في ٢٩ منه

عزيزي برسيني : أرى ان الامور كثيرة التعقيد من جرّاء عدم الثقة السائدة في كل مكان منذ حرب ايطاليا ولذلك اكتب اليك لتحادث اللورد بلمرستون بصراحة كاشفًا لهُ غايتنا واني لآمل خيرًا من هذه المكاشفة . ان حضرة اللورد يعرفني ومتى اكدت شيئًا يصدقني فحقق لهُ باسمي انه لم يكن لي منذ انعقاد الصلح في فيلافرانكا (١) سوى همّ واحد وغاية واحدة قوامها فتح عصر سلم

---

(١) هي إحدى مدن ايطاليا واقعة على نهر « بو » اجتمع فيها نابوليون الثالث امبراطور فرنسا بفرنسوى جوزف امبراطور النمسا في سنة ١٨٥٩ ووقّعا فيها صك الصلح

جديدة وتوثيق عرى الوداد مع جيراني ولاسيما انكلترة . وكنت قد تنازلت عن اقطاعتي سافوى ونيس لكن توسع بلاد البيامون الخارق العادة دفعني إلى الرغبة في ضم الاقطاعتين المار ذكرهما إلى فرنسا لان أصلهما فرنسوي .

وربَّ معترض يقول : انك تدعي حب السلم في حين انك تريد قوى فرنسا العسكرية فوق المعتاد. اني انكر ذلك واردّ هذه التهمة . ليس في قوى جيشي واسطولي تهديد موجه إلى احدى الدول. فسفننا البخاريّة لا تقوم بحاجاتنا وعددها لا يضارع عدد السفن الشراعية التي روْي لزوم لها في عهد الملك لويس فيليب . ولديَّ ٤٠٠ الف جندي تحت السلاح انّما اذا اسقط من هذا العدد ٦٠ الف مقاتل في الجزائر و٦ الاف في رومية و٨ في الصين و٢٠ من رجال الضابطة (جندرمة) والمرضى والعجز يضطر الى الاعتراف بان عدد رجال ألويتي هو دون ما كان عليه في العهد السابق ولم نزد الاّ الحرس الامبراطوري

لكنني مع حبي السلم ارغب أيضًا في تنظيم قوى البلاد على أحسن طريقة لانه اذا كان الاجانب لم يروا في حروبنا الاخيرة سوى محاسن جنديتنا فانا شاهدت عن قرب الخلل والنواقص فيها فأريد ان اصلحها . وعليه فاني منذ انعقاد صلح فيلافرنكا لم أفعل شيئًا أو اطمح الى شيء من شأنهِ اقلاق بال أحد. ولمَّا سافر لاڤاليت الى الاستانة اقتصرت على ترويده التعليمات الآتية : « اصرف كل عنايتك لحفظ الحالة الحاضرة » لان لفرنسا مصلحة بطول عمر تركيا .

وعندما حدثت مذابح سوريّة كُتب بأني سررت بايجادي فرصة جديدة لاقدم على حرب صغيرة وألعب فيها دورًا جديدًا . لقد وهموا وأيم الحق ورموني زورًا بقلة التبصر والحكمة فاذا كنت قد اقترحت ارسال بعثة عسكريّة حالاً فلاني اشعر كالشعب الذي انتخبني رئيسًا عليه ولان انباء سوريًا قد أثارت مزيد استيائي واشمئزازي . ومع ذلك فأوّل شيء فكرت بهِ الاتفاق مع انكلترة

فما هي المصلحة التي تدفعني إلى ارسال جنود الى تلك الناحية إلاَّ الانتصار للانسانية ؟ هل ان امتلاك تلك البلاد يزيدني سطوة وقوَّة ؟ هل اجهل ان الجزائر مع الفوائد التي ستأتينا بها في المستقبل هي إحدى الاسباب التي تضعف فرنسا وقد مرَّ عليها ثلاثون سنة وهي تنفق عليها أموالها وتسفك فيها دم أفضل رجالها ؟ قد سبق لي ان قلت في بوردو في سنة ١٨٥٢ ان عليَّ فتوحات عظيمة ولكن في فرنسا. وما زلت على رأيي . فان تنظيم ادارتها الداخلية وانماءها الادبي وتزييد مواردها تستغرق وقتاً طويلاً . فهنا ميدان واسع لاركاض افراس مطامعي فيهِ وهو كافٍ لاشباعها .

لقد تعذر عليَّ ان اتفق مع انكلترة بخصوص أواسط ايطاليا لاني كنت مرتبطاً بعهد صلح فيلافرنكا لكني مطلق اليدين في ما يختص بجنوبي ايطاليا وأود كثيراً ان اتفق مع انكلترة على هذه المسألة وغيرها فاستحلف باسم الله الرجال العظام الذين يديرون شؤون الحكومة الانكليزية ان يدعوا جانباً الحسد الممقوت وسوء الظن لان لا محل لهما . فلنتفق باخلاص قصد كاناس صادقين كما نحن متحاشين التصرف كاصوص يخادعون بعضهم . وقصارى القول ان جل ما ابتغيه عودة السلام الى ايطاليا بأيَّة صورة كانت لكن بدون تدخل اجنبي وان تتمكن جنودي من مغادرة رومية دون ان تعرَّض راحة البابا الى خطر .

اتمنى من صميم فؤادي الاَّ اضطر الى ارسال بعثة عسكرية الى سورية وفي كل الاحوال الاَّ انفرد بها . أولاً : لانها تكلفني أموالاً كثيرة . ثانياً : لاني أخشى ان ينجم عن هذا التدخل فتح المسألة الشرقية . اذا من جهة أخرى أرى انه يتعذر عليَّ مقاومة الرأي العام في بلادي فلن يسكت عن عدم معاقبة قتلة المسيحيين والذين حرقوا دور قناصلنا ومزقوا علمنا ونهبوا الاديار المظللة بحمايتنا .

قد كشفت لك كل سرائري دون مواربة فافعل بكتابي هذا ما تراه مناسباً

وثق بودي الخالص اه . (عن الاب جوبين ص ٢١٣ ـ ٢١٥)

١٢٦ ـ البابا بيوس التاسع الى بطريرك الطائفة المارونية واساقفتها في ٢٩ منه

الى اخواننا الاجلاء بطرس بولس (مسعد) بطريرك انطاكية على الطائفة المارونية ومطارنتها السبعة

أيها الاخوة المحترمون السلام والبركة الرسولية

وصلت تحاريركم المحزنة في ٢٦ الجاري فعلمنا بمزيد الاسف وانشغال البال الفظائع الهائلة التي اقترفها اعداء الاسم المسيحي في انحائكم بانزال اعتداءاتهم في المؤمنين وكنا قد قرأنا تفاصيلها المفجعة في صحف الاخبار . ان مشهد الاديار والكنائس التي حُرقت والقرى التي دُمرت بالسيف والنار والاواني المقدسة التي نُهبت ودُنست وهذا الجمهور الذي لا يحصى عدده وقوامه اشخاص مختلفو العمر والمنزلة والجنس وقد ذُبح فريق منه بصورة هائلة وأمسى الفريق الآخر ساقطاً في وهدة الشقاء مشتتاً شمله هائماً على وجهه طلباً للمأوى وفراراً من الموت العاجل . كل هذا قد زاد احزاننا وبلايانا ومحننا بل قد ساءنا ايضاً انكم كنتم انتم وغير واحد من الاساقفة عرضة لخطر فقدان حياتكم بسبب القساوة الغريزية في قلوب الغير المؤمنين وقد ثار فائرهم من جراء لهج الجرائد غير مرة في المدات الماضية باقتسام السلطنة العثمانية فتنمروا غيظاً وصمموا على ابادة الامة المسيحية . ومما يؤسف لهُ خاصةً ان الممالك المسيحية ذاتها أمست في عصرنا هذا تظاهر النافخين في بوق الفتن والثورات ايثاراً لهم على الامم المسيحية وقد سبق لاوربا في الازمنة الفائتة ان خاضت غمار حرب ضروس لاعتاقها من نير العبودية . حتى انه شوهد خطباء في ندوة نواب احدى الامم يطرئون رجلاً سعى الى بلبلة الديانة والهيئة الاجتماعية في كل

مكان خلافاً لكل حق وانصاف .

ان الذين يكفرون بالدين المسيحي وهو الوحيد الذي يقود الى الحقيقة ويعلّمها ويبري، جراح الالفة البشرية وينشطها ويقيلها من عثراتها وينهضها من كبواتها ينزلون دركات الهاوية فتفسد أفكارهم ويفعلون الشر . وانّا لنتمنى من صميم الفؤاد ان يتحقق جميع الذين هم اكثر احتياجاً لهذه المعرفة ان الاخطار التي تهدد الهيئة الاجتماعية ليست من قبل كنيسة الله بل من اعدائها الذين اذا سوعدوا وعُضدوا ينتهي بهم الامر الى رمي سهامهم بوجه من قلدهم اياها عاملين على نقض السلطتين الروحية والزمنية .

بيد اننا ايها الاخوة المحترمون لنرجو بعون الله تحسن حالة مسيحي جهاتكم لان الامة الفرنسوية الكريمة المحتد وحكومتها يعدّان اسطولاً عظيماً لارساله الى بلادكم وحمايتها كما ان سائر الدول انفذت بوارج حربية لحماية رعاياها وانقاذها من يد الجزّارين ولقد سعينا بتحريضاتنا على قدر استطاعتنا الى تحريك هذه الغيرة الجديرة بكل ثناء مدفوعين بعاطفة الحب الوالدي ولا نشك بازدياد هذه الغيرة نماء لضمانة سلامتكم وراحتكم .

ومن ثمّ تقوا اننا نشاطركم احزانكم في النكبات التي حلّت بكم . هذا ومع مبادرتنا الى ارسال مبلغ من المال على قدر ما سمحت لنا حالتنا الضيقة (١) لنتعزّى باننا ساعدنا على تخفيف مصاب المسيحيين وشقائهم العظيمين نضرع الى ابي المراحم ان يتنازل من علو عرش مجده فيرمق هذا القطيع التعس بعين عنايته ويقويه على احتمال مصابه بمنه وكرمه .

فنسأل الله السرمدي القابض بيده على قلوب الملوك ان يدفع اعظم الامراء

---

(١) ان اول مبلغ جاد به قداسته لزهاء مائة الف فرنك ثم توالت احساناته

المسيحيين بأساً الى ردع الغير المؤمنين لئلا يزدادوا جرأة فيجهزون على الاسم المسيحي ويمحون اثاره ! وعسى ان يفقه هؤلاء الامراء الخطر الشديد المهدد الهيئة الاجتماعية اذا كانوا لا يوحدوا قواهم وسطوتهم لكبح جماح الاشرار في اوربا واحباط مساعي أولئك الرجال المتأججة في صدورهم نيران الحقد المستعملين كل الدسائس لاطفاء شعلة كل عاطفة دينية في النفوس والغاء جميع الحقوق الالهية والانسانية الساعين لجعل الالفة البشرية كغار حيوانات ضارية بافقاد الناس التميز بين الحق والبطل .

على اننا وان كنا في وسط هذا الاضطراب العظيم وبلبلة الشؤون المدنية ورغماً عن مخاوفنا من حدوث عواصف جديدة فانه لينشط عزائمنا الاعتقاد بان المؤمنين المنتشرين في جميع اقطار الدنيا مواصلون رفع التضرعات الحارة الى عرش الرحمة لتسكين غضب الرحمن الرحيم فيهبنا حين يشاء الراحة ضالتنا المنشودة . حتى اذا ما شاهدنا تحقيق امانينا نرتل آيات الشكر على هذه المنة العظمى فتتصاعد الى مدبر كل الامور حارس كنيسته والمنتقم لها .

وعلى هذا الرجاء نحضكم ايها الاخوة المحترمون من صميم فؤادنا والقطيع الموكول الى رعايتكم بركتنا الرسولية تفاؤلاً بمستقبل حسن في هذه الدنيا وعربوناً للسعادة الابدية .

أعطي في رومية قرب كنيسة القديس بطرس في ٢٩ تموز سنة ١٨٦٠ وهي الخامسة عشرة لحبريتنا . (عن الاب جوبين ف ٥ ص ١٥٣-١٥٥)

١٢٧ – نشرة ائمة دمشق الى مسلمي سورية (١)

ان المسيحيين بدأوا باحتقار احكام الشريعة المطهرة منذ جلوس السلطان

---

(١) ليس لهذه النشرة تاريخ وقد وقعت بيد قناصل الدول على ان فؤاد باشا رجح انها مزورة لانه لم يهتد إلى معرفة كاتبها لخلوها من توقيع

عبد المجيد وتجاوزوا حدود الواجبات المفروضة عليهم من عهد الامام عمر بن الخطاب وقد اتصلت بهم القحة الى ان يزدروا بالمسلمين ساخرين بكل ما يتعلق باصول عقيدتهم وعوائدهم المرعية من ذلك زعمهم ان على المسلمين النهوض للسلام عليهم وان لهم حق التقدم عليهم في المجالس والاجتماعات مع ان هذا الادعاء من شأنه اذلال المسلمين وصب اللعنات على رؤوسهم . ولم ينفرد اعيانهم بهذا الطلب بل شمل صعاليكهم وغايتهم مساواة المسلمين لا بل احراز السيادة عليهم وهم يجهلون ان المسلمين صمموا على ابادتهم عملاً بتعاليم الشريعة الغرّاء .

أولاً : ان سفك دم المسيحيين وهتك حرمة عرضهم واغتصاب أموالهم وحرق كنائسهم وتدمير بيوتهم مباح لانهم امتنعوا عن دفع مال الاعناق (الجزية)

ثانياً : ان كثيراً من الفتاوى الهندية والبخارية تنهى بصراحة عن السماح للمسيحيين باستداد ساعدهم وتوجب اضعافهم باهلاك نسلهم وتخريب بيوتهم وعرقلة كل اعمالهم وقصارى القول منع نجاحهم .

ثالثاً : اياكم واحترام المسيحيين والوقوف لهم ومهاداتهم وتكريمهم لان الرسول قد قال : « ان المسيحيين واليهود كفرة فاللعنة تحل على من يكرمهم . »

رابعاً : ان شهادة المسيحي غير معتبرة شرعاً بل يجب تفضيل شهادة النصيري عليه اذ قال الرسول : « ان أمة الكفر واحدة »

ويؤخذ من تعاليم مشايخ الطريقة النقشبندية جواز ابادة المسيحيين وعلى كل فنحن نذكركم بكلامه تعالى عزّ وجلّ في القرآن الكريم : « لا تفرقوا بين الامم الكافرة لاننا القينا بينها الشقاق والعداوة حتى يوم الحشر » . فاستيقظي ايتها الامة الاسلامية واستأصلي شأفة خدَمة الصليب في هذه البلاد المقدسة التي دنسوها ولا تبقي على أحد منهم .

ويؤخذ من اقوال بعض كبار رجال الدولة ان الدول الاوربية لا تقوى الان

على القتال وقد استنزفت حرب القريم قواها . فلننتهز هذه الفرصة الموآتية للتغلب على الامة المسيحية فقد آن وقت محو اثارها ودنا أجلها !

ان امال المسيحيين أصبحت ظاهرة للعيان واذا تركناهم سنتين ترداد قواهم فيغنمون أملاكنا ويبيدوننا ولذلك فاوضنا بعض اركان الدولة وانتظمنا في سلك الجمعيات السرّية المؤسسة في الاستانة منذ السنة المنقضية ووفقنا على مقاصدها

ان معظم ساستنا عقدوا مجلساً سرّياً وأقرّوا على خلع السلطان وابادة المسيحيين عن وجه البسيطة لان السلطان حاد عن النهج المسنون في الشريعة الاسلامية بادخاله صوَرًا إلى قصره وبتعليق مثاله وقبوله وسامات اوربية عليها رسم الصليب . فهذه الاعمال منافية للشرع الاسلامي فاذا سكتنا عن سلوكهِ ينتهي بهِ الامر لا محالة الى جحد مذهبنا واضطهاده .

وقد وطّد المجلس السرّي المذكور الذي عُقد منذ سنتين وحضره الوزراء والعلماء واعيان الامة الاسلامية على خلع السلطان كما قلنا ومحو اثار حزبه ومبايعة شقيقه (عبدالعزيز) لانه قائل برأينا فيعيد إلى الدين الاسلامي مجده القديم باضعاف النصارى وارجاعهم الى حالتهم الاولى وكسر شوكتهم . وعليهِ يجب استئصال جرثومتهم من هذه البلاد ان امكن لانه اذا نشبت حرب بيننا وبين الدول الاوربية لا يجدر بنا ترك اعداءنا الالدّاء وراءنا فيساعدون الاجانب علينا

ان المسيحيين هم متآمرون على المسلمين مع الدول الاوربية ولاسيما اهالي جبل لبنان البالغ عددهم ٢٠٠ الف المعروفين بدسائسهم المستمرّة فانهم يمالئون الاوربيين الذين لا يستطيعون دخول بلادنا بغير واسطتهم

ولمّا استثبتنا كل ما تقدم صممنا بالاتفاق مع الوزراء والعلماء على ابادة المسيحيين قاطني الجبل المذكور ودمشق وحلب وحمص وحماه وسائر المدن السورية ولقد اثرنا الفتنة في لبنان فاهلكناهم وشتتنا الباقين فاذا حدث عندكم مثل هذا لا تغيثوا

المسيحيين انما تصرفوا بحكمة وافيدونا لنعلمكم كيف تتدبرون .

(عن كتاب ذكرى سورية ص ١١٢ ـ ١١٧ وعن بوجولا ص ٢٣٠ ـ ٢٣١)

١٢٨ـ رواية الموسيو شارل اوبانل عن مذابح دمشق الى الجمعية الشرقية في ٢٩ منه

ان المكيدة التي كادها مسلمو دمشق المتعصبون لاهلاك مسيحيي سورية نصبت حبائلها بمهارة فائقة . أمّا خطتهم فكان قوامها ابادة سكّان لبنان الاشدّاء ليتسنى لهم ذبح اهالي المدن الضعفاء . بيدَ ان متعصبي دمشق ملّوا الانتظار وضاق صبرهم . وعند دنو العيد تآمروا مع الدروز واكراد الجوار على ايقاظ الفتنة فهيأوا المعدّات . انّما المسيو لانوس وكيل قنصلية فرنسا اخبر بهذه الدسيسة في اليوم السابق الامير عبد القادر وهو البطل الذي احرز بسلوكه مكانًا في التاريخ ازاء اعظم مشاهير الرجال . فجاء مسرعًا الى الجامع الكبير والقى على الجموع الظمأى الى دم المسيحيين كلامًا بديعًا لحمته الحكمة وسداه حب الانسانية محرضًا اياهم على الاقلاع عن دسيستهم الشيطانية . وفي الوقت ذاته انذر الدروز بعدم دخول المدينة بسلاحهم فتوقفت الحركة بفضل حزمه ونشاطه لان المسلمين كانوا يخافون الاربعة الاف جزائري بقدر ما كانوا يهابون أميرهم . فتأجلت المجزرة الى حين لكن الاعتداءات على المسيحيين ظلت متواصلة فشكا الاساقفة الامر الى المشير وأيّدهم القناصل فطلبوا اليه ان يرسل جنودًا الى الحي المسيحي لحمايته من كل طارئ . ولسوء الحظ انخدع قناصل دمشق نظرًا لحسن طويتهم بوعود الاتراك كما خُدع رصفاؤهم في بيروت من قبلهم . أمّا المسيحيون فلم يغتروا ولاسيما اللاجئين من حاصبيا وراشيا لانهم كانوا يعرفون مبلغ الثقة التي يمكن وضعها في تلك الجنود وهي التي قتلت اقاربهم واشقاءهم فقالوا لمسيحي دمشق : « لمّا أرادوا ان يقتلونا وكلوا حراستنا الى الجنود . » ومع ذلك لم يفتر المسيحيون عن اكرام الجنود المذكورة .

واستمرّت المخاوف حتى ٧ و٨ تموز وفي تلك الايام وصل خبر استيلاء الدروز على زحلة ونهبها الى دمشق فاكثر المسلمون اذ ذاك من اهانة المسيحيين وتجاوزوا فيها الحد . ولنكد الطالع لم يكن عبدالقادر في قصره بل كان في مصطافه في بلدة مجاورة فجاءت جماعة من الاشرار بخمسة كلاب واطلقت عليهم اسامي الملوك المسيحيين الخمسة موقعي معاهدة سنة ١٨٥٦ (١) ثم أتوا بغيرهم ودعوهم قناصل وأخذوا يوقفون كل مسيحي يمرّ من هناك ويسوطون امامه هذه الحيوانات قائلين : « هذا الامبراطور نابوليون ! وهذا الامبراطور اسكندر ! وهذه الملكة ڤيكتوريا ! (تمثلها كلبة) » . . . ولم يقتصروا على هذه الاهانات بل علقوا صلباناً من خشب في عنق هذه الكلاب واكرهوا المارّين على السجود امامها قائلين : « اعبدوا إلهكم . . . » ومن الغد ٩ تموز رسم المسلمون صلباناً على الارض وداسوها باقدامهم واكرهوا المسيحيين على الاقتداء بهم . فغضب المسيحيون وكادت تقع الفتنة فاحتجّ القناصل فقبض الوالي على بعض المشكو منهم وسجنهم فتجمهر الرعاع وطلبوا اطلاق سبيلهم فأرسلهم عن خبث نية الى الحي الذي رسموا بهِ الصلبان ليكنسوه لتيقنه انه ينجم عن هذا العمل بدء المجزرة .

فكان ما توقّع اذ علا الصياح عند الظهر وملأ جوانب المدينة وكان الباشا في الجامع فاخبروه بهياج الاهالي فلم يحرّك ساكناً ثم جاءه رسول آخر منبئاً بان المذبحة والحريق ابتدأا فلم يفه ببنت شفة . أمّا الجنود فخيّل انها مستعدة لاعادة الراحة فقتلت بعض الثائرين وأخذ جمهورهم بالتراجع . بيدَ انه لم تمضِ فترة حتى

---

(١) هي المعاهدة التي أبرمت في مؤتمر باريس بين الدول الخمس العظمى والباب العالي واوجب فيها عليه لقاء دخوله في مصاف الدول الاوربية احترام امتيازات المسيحيين الدينية والسياسية تمّا آل الى اذاعة الخط الهمايوني المعروف بالتنظيمات

نُفخ في الابواق وأطلق مدفع فعادت الجنود الى ثكنتها انقياداً لاوامر ضبّاطها. ولمّا رأى المتعصبون ان الجنود اكتفت باطلاق قذائف محشوّة بارودًا فحرقت الهشيم المخيم فوق الشوارع عادوا ألوفًا مؤلفة واستأنفوا المجزرة واضرام النار

من ذا يستطيع ان يصف الفظائع التي ارتُكبت في ذلك اليوم المشؤم! فبينما ألسنة النار تلتهم البيوت الفخيمة كان الجزّارون يذبحون الفارين أو تدفعهم الجنود التركية الى النار برؤوس حرابها.

ان قائد الجنود الغير النظامية أسرف في القتل ومطلقو المدافع (طوبجية) ملأوا عجلاتهم بالاسلاب التي كان يرميها مضرمو النار في الازقة وسلب الاشرار النساء والبنات امتعتهنّ واغتصبوهنّ ثم ساقوهنّ امامهم كقطيع من البهائم الى بيوتهم وباعوا بعضهنّ - وهنّ من بيوتات كريمة - من الاكراد. وشوهد غيرهنّ جاثيات على ركبهنّ يتوسلنَ الى مختطفيهن ان يحترموا عرضهنّ فيلقون على صدورهنّ ملاءة قصيرة لا تستر باقي جسمهنّ وقد حدث ان وحشاً ضاريا قتل فتاة بعد ان افتضها لكي لا تلد هذه الكلبة المسيحية مؤمناً على ما قال!... ان الدخان الكثيف الذي تصاعد من الحي المسيحي حرّك مطامع عصابات الرعاع المجاورة فانقضّ الدروز والاكراد على هذه الغنيمة مطمح اطماعهم انمّا لحسن الحظ كان هذا الدخان نذيرًا للشهم الباسل المقدام الامير عبد القادر فتراكض مع بضع مئات من رجاله الجزائريين وانفذ رسلاً الى الباقين ليلحقوا بهِ إلى قصره في دمشق واذ ذاك بدأ الانقاذ فالتجأ الموسيو لانوس وسائر القناصل اليهِ وانتشر الجزائريون في انحاء المدينة يجمعون الفارين وينقذون المحصورين ونظرًا لعظم هيبة عبدالقادر في دمشق كان جزائري يقود وحده ٤٠ او٥٠ مسيحيًا دون ان يجرأ احد على معارضته. وهكذا نجا الآباء اللازاريون وراهبات المحبة وجمهور من البنات اللواتي لجأنَ اليهنّ. وقد بلغ عدد الذين انقذهم الامير ورجاله من يد السفّاحين ونُقلوا

الى دار الامير والقلعة اكثر من عشرين الفاً فاقتبلهم فيها أحمد باشا مرغماً. وكان قد جلس كالظالم نيرون على سطح القلعة وهو يدخن تبغاً ليشاهد خراب الحي المسيحي على ضياء الحريق بينا كانت الموسيقى العسكرية تصدح بألحانها وقد سبقه إلى ذلك متسلم دير القمر إذ ظل جالساً مكانه كأنه قد من جلمود بينا كان الدروز يذبحون المسيحيين في دار الحكومة

أما الحريق فبدأ بالقنصلية الروسية وذبح الاشرار مسجلها فيها. ثم أضرمت النار في سائر القنصليات ولم ينج غير دور قناصل فرنسا وانكلترة وبروسيا لوقوعها في الحي الاسلامي ولان مالكيها مسلمون. ان المعهد الخاص براهبات المحبة ملجأ ذوي الشقاء والعاهات أمسى ركاماً من الرماد فور خروجهن منه. وقد حلت نكبة أعظم بدير الآباء الفرنسيسكان فلم ينج أحد من رهبانه وكان عددهم ٧ آباء وراهبين جميعهم اسبانيون أو ايطاليون وذبح أيضاً عدد وافر من المسيحيين اللاذين بالدير وجرى فيه مشهد استشهاد كاهنين من شأنه تعزية قلوب الكاثوليك الدامية في وسط هذه المجازر والفظائع. فان الاشرار انذروا الاب انجلو كاهن اللاتين في دمشق بان يجحد دينه ويعتنق الاسلام فاجاب برباطة جأش وبجزم انه لا يعرف غير الله وابنه يسوع المسيح فمزقوا جسده وقطعوا اعضاءه أرباً أرباً ثم جرّوا هيكله المبتور الى الشارع لعرضه على الانظار. وكان في الدير أيضاً رجل ماروني من أسرة مسابكي وهو شيخ جليل صاحب ثروة معروف بتقواه فدُعي الى الاسلام وهُدد باشنع ميتة اذا أبى فاجاب انه قد كُتب في الانجيل: « لا تخافوا الذين يستطيعون ان يقتلوا الجسد بل خافوا الذي يمكنه ان يهلك النفس والجسد معاً في جهنم. » فاعملوا فيه بالحال الخناجر والفؤوس والسيوف فانتثرت لحمانه.

وقد أسف عبدالقادر كثيراً على مقتل الآباء الفرنسيسيين اذ كان أرسل اليهم ثلاث مرّات رجاله البواسل لانقاذهم فأبوا مرافقتهم اليه ولا يعلم إذا كانوا تمنعوا

لقلة ثقتهم بهم توهماً بان الجزائريين هم شركاء السفاحين أو لانهم كانوا يعتقدون بمناعة ديرهم فهلكوا جميعاً تحت انقاضه المشتعلة . فاذا فرضنا انهم استسلموا للحذر فلم يخطي ظنهم لان كثيراً ما كان غوغاء المسلمين يكيفون اصواتهم ويتكلمون بلهجة الجزائريين ويدعون المسيحيين النساء المختبئين في الابار ومجاري المدينة الى الخروج من مخبأهم فينخدعون ويقتلونهم هازئين بهم . وقد استمرت هذه المشاهد المفجعة ثلاثة أيام وثلاث ليال منذ الاثنين ٩ تموز الى يوم الخميس وعند وصول خالد باشا عادت عصابات الناهبين والسفاحين الى اوجارها مرتوية من الدم حاملة الاسلاب.

ان الدول المسيحية مدينونة بامتنان عظيم للامير عبد القادر لسلوكه الباهر. ومما يعود على فرنسا بالفخر ان اسمها وذكرى انتصاراتها هما اللذان دفعا الامير المشار اليه الى هذا التفاني الجدير بكل اعجاب. فهي التي اعالت مدة ١٥ يوماً زهاء ١٢ الى ١٥ الف نسمة كما ان هذا الامير المجيد قدم رجاله لحفارة جماعات المسيحيين البائسين الى بيروت وقنصلية فرنسا امدتهم بالمال اللازم فأول قافلة غادرت دمشق جاوز عددها الف نسمة وفي عداد حراسها ٥٠ درزياً تحت مراقبة الجزائريين .

(عن كتاب فرنسا في لبنان لمؤلفه لويس دي بوديكور ص ١٤٢ ـ ١٤٨)

١٢٩ ـ رواية ضابط تركي في دمشق (١)

بعد الدعاء إلى الرحمن الرحيم لينتقم لعباده ! اخبركم ان السبب الوحيد الذي

---

(١) ان المستر مور قنصل انكلترة العام في بيروت انفذ هذه الرواية الى اللورد روسل في ٤ آب سنة ١٨٦٠ كاتماً اسم كاتبها وقال في كتابه انها مرسلة الى أحد اصدقاء هذا الضابط في بيروت . فرأينا اثباتها هنا لتكون روايات هذه المجزرة متتابعة ليسهل معارضة بعضها ببعض وسنردفها برواية المستر روبصن وان كانت تشتمل على ذكر ذات الحوادث

دفع شعب دمشق والقرى المجاورة الى ايقاظ الفتنة التي اروي لكم تفاصيلها هو انه قبل انفجار بركان هذه الشرور بعشرين يوماً طلب قناصل الدول الى الحكومة تجنيد بعض الاهلين لزيادة الامن فعينت بعض رعاع القوم وغوغائه ضبّاطاً وانفاراً في دائرة الشرطة. ولمّا كان هؤلاء الاشخاص زعماء الفتنة ضموا اليهم جمهوراً على شاكلتهم وسلّحوهم وعهدوا اليهم بالمحافظة على الحي المسيحي فأثار ذلك ظنون الدمشقيين ولولاه لما كان جال بخاطرهم امكان حدوث فاجعة مثل هذه .

ففي يوم الاثنين ٢٧ حزيران حسابًا شرقيًّا (٩ تموز سنة ١٨٦٠ حسابًا غربيًّا) عند الساعة الثانية بعد الظهر أخذ بعض الفتيان يرسمون صلباناً في كل انحاء المدينة ويكرهون المارّين على دوسها ويشتمون المسيحيين . ولا ريب في ان هؤلاء الفتيان لم يقدموا على هذا العمل من ذاتهم بل دفعهم اليه بعض زعماء الفتنة . ولم تنقضِ نصف ساعة حتى نُمي الخبر الى الحكومة انّما لا يعلم بأيّة طريقة فأرسلت في الحال رئيس الشرطة مع بعض رجاله فذهبوا وقبضوا على فريق من هؤلاء الفتيان وغيرهم وارسلوهم إلى دار الحكومة حيث كبلوا بالحديد وأعيدوا إلى الاسواق لتكنيس شوارعها ولمّا هموا التفّ حولهم مسلمو الجوار وخلصوهم من ايدي رجال الشرطة وفكوا الاغلال من ارجلهم ورموها وفور اطلاق سبيل هؤلاء الفتيان أقفلت المخازن في كل الاسواق بمدى ٥ إلى ١٠ دقائق . وبعد مضي ربع ساعة أطلق مدفعان وسُمع دوي رصاص البنادق وكان الخائن سليم آغا بلوكباشي الجنود الغير المنظمة في الميدان قد حشد جمهوراً من رعاع هذا الحي وسلحهم وذهب بهم على جناح السرعة الى حي المسيحيين وعندما دخلوه هجم حالاً على بيوت المسيحيين التي كان اختارها من قبل وكسر أبوابها واسرف ورفقاؤه في النهب والحريق والقتل . أمّا عدد الرعاع المسلّحين الذين كانوا بأمرتهِ فكان عظيماً جدًّا بحيث لم يتمكن أحد من سبقهم الى سلب انفس المتاع

أجل ان سكّان القرى المجاورة دمشق والبدو والدروز جاءوا المدينة جماهير غفيرة بعد بضع ساعات وملأوها واستسلموا للنهب والقتل واغتصاب النساء. فمن يرتاب بان انضمام هؤلاء القرويين والبدو الى شعب دمشق واتحادهم معه واتفاقهم وتآخيهم في ظرف ساعة من الزمن لاتمام الفتنة في دمشق لم يكن عن سبق تآمر بين زعمائهم؟ ومما يبرهن عن ذلك جلياً ويظهره كالشمس في رائعة النهار ان جميع المسلمين ركزوا فوق بيوتهم بمدى ٥ أو ١٠ دقائق اعلاماً بيضاء وخضراء فلم تمس هذه المنازل بأذى. هل من الممكن ان تكون أُعدّت هذه الاعلام بفرصة وجيزة كهذه وفي مثل هذا الوقت الحرج دون سبق استعداد؟. ان حرس المدينة والجنود الغير النظامية التي حُشدت بأمر المجلس الكبير بحجة حماية الحي المسيحي هم الذين بدأوا بالنهب واضرام النار والذبح. فلو كانت شرطة هذه المدينة وسكّان حي الميدان الذين جُندوا للمحافظة وقفوا في رأس الشوارع المؤدية الى الحي المسيحي وقفلوا أبوابه وأطلقوا النار على المهاجمين واجتهدوا بارجاعهم على اعقابهم ومنعهم من دخوله كالجنود النظامية لما وصلت الحالة الى هذا الحد بل وقفت حالاً على ما أرجح. ولو كان اعضاء المجلس الكبير وزعماء القوم وأعيان المدينة ذهبوا في ذلك الوقت الى الحي المسيحي لما حدث شيء مما تقدم لكن لم يقل أحد من الاعضاء والزعماء المذكورين آنفاً لاحد من الرعاع «امتنع». ومن هذا يظهر جلياً ان هذه الكارثة التي انقضت على رؤوس المسيحيين المنكودي الحظ وأموالهم وبيوتهم وأولادهم ونسائهم قد دبّرها من قبل الزعماء المذكورون كما وضح من سلوكهم.

ان كثيرين من المسيحيين الذين اختبأوا في بيوتهم ذهبوا فريسة النار ومات كثير منهم بعد ان أُذيقوا أفظع العذابات لحملهم على الاقرار بدفائن أموالهم فذُبحوا بعد ان دلوا عليها. وكثير من النساء قُطعت معاصمهن لسلب اسورتهن واخريات بُترت اصابعهن لنزع خواتمهن ومُزّقت اذانهن لاخذ حلاهن خلا اللواتي قُتلن

ان رجال الامير عبد القادر الجزائري انقذوا كثيرين من المسيحيين المختبئين في الآبار والدهاليز والاسراب وأوصلوهم الى القلعة وفي الطريق اطلق الغوغاء عليهم النار فجرحوهم . وقد اغاث الامير جمهورًا كبيرًا في داره ثم نقلهم الى القلعة . فهو الوحيد الذي سعى بانقاذهم .

اجل ان بعض اعيان المدينة قادوا الى دورهم بعض الاسر المسيحية ان من الحي المسيحي وان من القلعة معلنين انهم يريدون ايواءهم واعالتهم . لكن يا لتعاسة أولئك الذين وثقوا بكلامهم فاستجاروا بهم فان هؤلاء الاشرار عذبوهم بأنواع العذاب لاكراههم على الاقرار بالمكان الذي خبأوا فيهِ أموالهم وبعد بلوغ غرضهم قتلوا معظمهم وارغموا الآخرين على جحد دينهم ولم يعيدوا الى القلعة الاَّ نفرًا قليلًا

وكان الرعاع يدخلون القلعة وينتقون النساء والبنات ويأخذونهن دون أدنى ضمانة حتى اذا بلغوا بهنَّ الشوارع تركوا النساء المسنَّات واحتفظوا بالفتيَّات لاشباع شهواتهم . وقد كنت يومًا في القلعة فشاهدت بأم عيني فريقًا من الغوغاء ينتق نساء فتيَّات ويقتادهنَّ دون ان تمانع الجنود .

وقد فتح الاشرار كنائس الارمن والروم والروم الكاثوليك وسلبوا الاواني الكنسية وقتلوا كهنتها ثم اضرموا النار فيها ونهبوا أيضًا القنصلية الروسية وحرقوها . أمَّا القنصل فهو الان في دار الحكومة ولم تمسَّ دارا قنصليتي انكلترة وفرنسا لوجودهما في حي المسلمين

وكان في ذلك الحين في ادارة الجمرك زهاء ٢٠٠ مسيحي فذهبتُ حالاً إلى دار الحكومة وجئتُ ببعض الجنود النظامية فتمكنتُ من انقاذهم . ان جميع البيوت المسيحية المنتشرة في الاحياء المسلمة وعددها زهاء ٣٠٠ نُهبت أوَّلاً ثم جُعلت طعامًا للنار

وفي ٩ تموز حسابًا شرقيًّا (٢١ منه) وصل الفريق خالد باشا فأرسل اناسًا الى

الحي المسيحي للبحث فيه عن الاموال المخبوءة عملاً بحكم المجلس الكبير وحظر دخوله على غيرهم انما سمح لبعض المسيحيين الموجودين في القلعة ان يفتشوا في انقاض بيوتهم المحروقة .

لقد أخذ بعض المسيحيين منذ ٣ أيام بالخروج الى الشوارع المجاورة القلعة انما شاع ان مسيحياً قُتل أمس قرب القيمرية . وفي يوم اشتعال الفتنة أخذ السفاحون جرس إحدى الكنائس ووضعوه مقلوباً في وسط الصليب المطروح منذ عهد قديم عند مدخل الجامع الاموي وأبقيت أبواب المدينة مفتوحة في يوم الحادثة وفي الليل التالي ليتسنى للناهبين نقل الاسلاب . وبعد ان انتهوا من نهب دور المسيحيين كسروا أبواب مخازنهم وحملوا كل ما فيها من المتاع ليلاً . ان كثيرين من المشايخ واعيان القوم تنكروا بازياء مختلفة ونهبوا الحي المسيحي . وقصارى القول انه لم يعارض أحد من الدمشقيين نهب أموال المسيحيين حتى النساء المسنات .

ولما كنت قد كتبت اليك هذا الكتاب بعجلة فقد سهوت عن ذكر بعض التفاصيل وغفلت عن ذكر اسماء بعض الاشخاص المشهورين وأعمالهم فاذا شئتَ استطيع ان اخبرك بهم . (المحررات الانكليزية عدد ٨٦ ملحق ٢ ص ٦٩-٧١)

١٣٠ – اللورد دوفرين الى اللورد روسل . عن بيروت في ٢٦ ايلول

اتشرّف بان ارسل لسيادتكم نسخة الرواية التي سألت المستر روبصن ان يكتبها اليّ لايقاف سيادتكم على أسباب مذبحة دمشق وتفاصيلها . ان المستر روبصن هو مرسل ايرلندي بروتستاني رصين متوقد الذكاء أقام في دمشق ١٨ سنة يجيد التكلم باللغة العربية محيط بشؤون البلاد ولذلك كان كلامه عن معرفة تامة . ان روايته هذه مع رواية المستر كراهام التي سبق لي ارسال نسخة منها لسيادتكم تؤلف تاريخاً متناسقاً جديراً بكل ثقة شاملاً الكوائن المحزنة

التي روّت ارض هذه الولاية بالدم البشري (عدد ١٤٦ ص ١٤١)

١٣١ – رواية المستر روبنسن

انه منذ بدء القتال بين المسيحيين والدروز في لبنان أمسى مسيحيو دمشق في مخاوف عظيمة لان مواطنيهم المسلمين أخذوا يهددونهم ويتوعدونهم ويقذفونهم بأنواع السباب والشتائم فكانوا كلما خرجوا الى اسواق وشوارع حي المسلمين يقابلهم الرجال والاولاد بالكلام البذيء موجهين اللعنات اليهم والى ديانتهم متوعديهم بالقتل. وكان ان فوز الدروز المتوالي زاد المسلمين غطرسةً وانزل الرعب في قلوب المسيحيين واشتدّ هياج الاولين على أثر ذيوع خبر مقتل المسيحيين في كناكر ومذابح حاصبيًا وراشيًا واعتداءات المسلمين والدروز في القرى المجاورة الايالة ومشاهدتهم ٥ الى ٦ الاف من الفارين النساء الذين لجأوا الى المدينة طلبًا للنجاة والقوت . فساد الاعتقاد في جميع الطوائف والطبقات بان الحكومة ذاتها راغبة في ابادة المسيحيين وموطدة النية على ذلك . ولم يبقَ المسيحيون في المدينة الاّ لاعتقادهم انهُ يتعذر عليهم الفرار الى مكان اخر اكثر امنًا . ثم ان خبر سقوط زحله ومجزرة دير القمر أجج فائر المسلمين واسكرتهم خمرة الفرح فاشتد ذعر المسيحيين .

وفي خلال هذه المدة تعاظم عتوّ المسلمين ووقاحتهم وكثر وعيدهم واعتداءاتهم في حين ان خوف المسيحيين بلغ حدًا لا غاية بعده وهلمت قلوبهم وطارت شعاعًا . وخيل انهم تنازلوا دفعة واحدة عن كل الحقوق والامتيازات التي كانوا حصلوا عليها في مدة الـ ٢٧ سنة الماضية فلم يجسروا على ركوب الخيل في المدينة وسكتوا عن الاهانات الموجهة اليهم ولم يشكوا منها كأنهم لم يشعروا بها وامتنعوا عن المطالبة بديونهم وملاحقة دعاويهم على المسلمين وصبروا على الضيم وانقادوا صاغرين الى كل ما كان يفرضه عليهم المسلمون وينزلونه بهم من ضروب الاعتساف وانقطعوا

عن الذهاب الى القهاوى والمتنزهات في البساتين والمجتمعات العامة اتقاء الاسباب. وعلاوة على ما تقدم أقفلوا مخازنهم وتركوا أشغالهم . ولم يكن سوى القليل منهم يأمل بان أعياد المسلمين تنقضي دون هجومهم على حيهم ولذلك لزموا بيوتهم مدة أيام العيد الاربعة .

وقد بدأت حفلاته في ٢٩ حزيران وفي ذلك اليوم عسكرت الجنود في الحي المسيحي فاطمأنت قلوبهم قليلًا . انما كانوا يعلمون بان الجنود السلطانية هي التي حضرت مذابح اخوانهم في لبنان وان بعض الضبّاط الموجودين في حيهم وكثيرين من رجالهم غمسوا يدهم في مذبحتي حاصبيًا وراشيًا فكانوا كلما لهجوا بهذه الكوائن وفكروا فيها يزداد خوفهم من هذه الجنود

ولمّا انقضت الاعياد تنفسوا الصعداء وسكن روعهم قليلًا . بيدَ انه لمّا كان سلوك المسلمين لم يتبدل وظلوا يعتدون على المسيحيين ويشتمونهم ويسبون دينهم عاودهم الاضطراب والجزع . ولمّا كان نهار الاثنين في ٩ تموز ورأوا انهُ لم يقع في المدينة كوائن ذات بال ولم تحدث مذابح في الخارج وهموا بان الخطر الذي توقعوه ووجفت منه قلوبهم طول هذه المدة كاد يزول . ويظهر ان بعض المسلمين بذلوا مجهودهم لتطمين افكارهم . ذلك ان النذل اللئيم مصطفى بك الحواصلي استدعى اليه في الليل السابق كثيرين من اعيان المسيحيين لاقناعهم بانه لم يعد من داعٍ لخوفهم وان في استطاعتهم ان يناموا في بيوتهم آمنين وأبوابها مفتوحة وانه يضمن سلامتهم من كل أذى . وفي ذلك اليوم اي ٩ تموز أخذ المسيحيون المنكودو الحظ يهنئون بعضهم بعضًا على نجاتهم وعادوا جميعًا الى أعمالهم بعد انقطاعهم عنها طويلًا فذهب المستخدمون في الحكومة الى السراي والتجار الى حوانيتهم ومخازنهم والاولاد الى المدارس .

وحدث ان الباشا أمر يومئذٍ بوضع الاغلال في رجلي ولدين مسلمين أهانا

المسيحيين وعند الساعة الثانية بعد الظهر أرسلها لتكنيس الشوارع . ففي الحال عمد المسلمون في أهم الاسواق الى قفل حوانيتهم دلالةً على سبق اتفاق بينهم والوالي و كبّروا وهللوا ولعنوا الكفّار وحرّضوا بعضهم بعضاً على التسلح ومهاجمة المسيحيين وركضوا جميعاً الى الحي المسيحي . وفي ذلك الحين أخذ الرعاع يجتمعون ويتسلّحون ويركضون قاصدين الشوارع المجاورة الحي المسيحي فريق منهم من الشاغور الواقع في جنوبي المدينة والاخر من الميدان الكائن في جنوبيها الغربي على بُعد ميل ونصف ميل الى ميلين من الحي المسيحي ومن الصالحية وهي قرية في الضواحي تُبعد مسافة ميلين وأخذوا يشجعون بعضهم بعضاً باسم ديانتهم ونبيهم ويقذفون الكفّار بانواع الشتائم صارخين « تسلحوا تسلحوا ؟ اقتلوا انهبوا احرقوا. فقد آن وقت الذبح واشرقت شموسه » الى غير عبارات مماثلة لها .

وكانت النساء ايضاً يثرن الرجال بصراخهنّ وشتائمهنّ ودعائهنّ لهم بالنجاح والفوز . أمّا الجماهير فخافت أولاً الجنود وتجنبت الاحياء المعسكرة فيها لكنها ما عتمت ان تحققت انها لا تعارضها .

ان الباشبوزق الموجودين بأمرة سليم آغا المهايني ومصطفى بك الحواصلي وغيرهما والاكراد مع زعيمهم محمد سعيد آغا ورجال الضابطة والشرطة كانوا في مقدمة الذين أسرفوا في القتل والنهب . مع ان كثيرين من الباشبوزق الذين بقيادة الحواصلي جُندوا خاصةً لحفظ الامن في المدينة مدة الهياج . وقد انضم إلى أهل المدينة مساء الاثنين ويوم الثلاثا دروز من حي الميدان وجرمانا « وهي قرية آهلة بالدروز تُبعد مسافة ميلين عن المدينة » وعدد غفير من فلّاحي المسلمين من القرى المجاورة . انّما لم يشترك في هذه الفتنة زعيم درزي أو قوة درزيّة منظمة .

ان سلاح رعاع القوم كان دون سلاح الباشبوزق جودةً وكمالاً فقليل منهم كانوا يحملون بنادق وبعضهم « غدّارات » وآخرون سيوفاً وكثيرون فؤوساً وخناجر

ومعظمهم نابليت وعصياً وربّما كان نسبة الذين يحملون البنادق واحد الى عشرين وكثير من هذه البنادق غير صالحة . فلو كان رجال الباشبوزق والضابطة قاموا بواجبهم لاستطاعوا قمع الفتنة في الحال حتى انهم لو كانوا التزموا الحياد لسهل ايقاف الرعاع . واقول مثل ذلك عن الجنود النظامية فلو كانت أبدت بعض الحزم لما لقيت أدنى مقاومة حتى من الباشبوزق

أمّا المسيحيون فلم يدافعوا عن انفسهم . وقد قيل ان يونانياً اطلق بعض طلقات ناريّة على الرعاع وخرجت بعض رصاصات من بيتين من الوطنيين وعدا ذلك لم يلاقِ السفّاحون مقاومة لانه لم يكن لدى المسيحيين سلاح سوى بعض بنادق صيد « وغدارات » بيد نفر من شبّانهم انّما ارجح انه لم يكن عندهم سيف أو فأس

ان قنصلية الروسية الكائنة في وسط الحي المسيحي هوجمت في بادي، الامر ونُهبت وحُرقت وقُتل ترجمانها ونجا اثنان من الخدَمة باختبائهما في نفق حيث بقيا ٤ ايام دون قوت وماء بينما كانت الدار تحترق فوقهما. وفي عداد البيوت التي دخلوها في البدء دور فيس قناصل بروسيا وبلجكا والولايات المتحدة والمستر فرازيه المرسل الاميركي . فالاولان فرّا بأسرتيهما قبل الهجوم على داريهما وكان المستر فرازيه قد غادر المدينة بأسرته قبل الفتنة . أمّا فيس قنصل اميركا فجرح جراحاً خطرة ولم يتمكن من الفرار الاّ بشقّ النفس وولداه الكبيران كانا خارج البيت وتشتتت اسرته ولم يتمكن من الاجتماع بها إلاّ بعد بضعة أيام. وقد هاجم الرعاع بيوت أغنياء المسيحيين مدفوعين بعامل الطمع بما يجدونهُ فيها من الامتعة الثمينة ثم انتقلوا إلى البيوت المجاورة وهكذا أخذ النهب والقتل والحريق والدمار يزداد ساعة فساعة ونهبوا كنيسة الروم ودار البطريركية وأواني الكنيسة الذهبية والحلى الاكليريكية الثمينة وأمتعة البطريرك الفاخرة وكل ما كان في خزانته من الاموال . وكانت الجنود تحرسهما في يوم الفتنة حتى بعد غروب الشمس فلما دخلها الرعاع أطلقوا

الرصاص وأضرموا النار فقتل كثيرون .

أمّا طريقة العمل فكانت واحدة ذلك ان الرعاع كانوا يكسرون أبواب البيوت بفؤوسهم ويفتشونها مفتشين أولاً عن الرجال فيقتلون من يعثرون عليه بضرب النبابيت والعصي والفؤوس والخناجر والسيوف واحياناً يميتونهم رمياً بالرصاص . ثم يبدأون بنهب ما في البيوت من الامتعة والثياب والارزاق والمؤن والسلع التجارية ويبحثون باعتناء عن الاموال والاشياء الثمينة المخبوءة ويهولون على النساء والاولاد ويرعبونهم ليرشدوهم الى مكان وجود الرجال والى دفائن النفائس ويفتشون النساء لئلا تكون خبأت حلاها وأموالها في ثيابها فيجردونهن والاولاد من كل ما يعثرون عليه ويعرّونهم من ثيابهم ويسبون البنات والنساء والفتيات ويأخذوهن إلى بيوتهم مدة وفي النهاية كانوا يضرمون النار في البيوت المنهوبة .

ان السفّاحين الذين كانوا يفضلون غيرهم بجودة سلاحهم ومقامهم وجرأتهم وقساوتهم خصوا ذواتهم بأثمن الاشياء التي وجدوها في البيوت وتركوا الباقي لمن هم دونهم اذ كان يتبعهم جماعات من الغوغاء والعزّل والفقراء والصعاليك والنساء وصغار الاولاد فيسلبون كل ما ابقاه الاولون غير مكتفين بما فيها بل يحملون الابواب وأخشاب النوافذ وزجاجها وكل ما هو على الجدران حتى الحطب والفحم وبلاط الرخام وجذوع السقوف . وخلا الرجال والنساء والاولاد الذين كانوا ينقلون الاسلاب فقد استخدم الناهبون ايضاً الجمال والخيل والبغال والحمير .

ولمّا انفجر بركان الفتنة كان جمهور من التجار وأصحاب الحوانيت وموظفي الحكومة ومستخدمي التجار المسلمين وبعض أصحاب المهن كالحجّارين والبنائين قد ذهبوا إلى اشغالهم في حي المسلمين فلما أخذ المسلمون بالاجتماع حاول هؤلاء العودة إلى بيوتهم بعضهم على أمل ضعيف بحماية عيالهم والبعض الآخر

لجلهم مكاناً أميناً آخر يلجأون اليه فتمكن فريق منهم من الوصول الى بيوتهم ولقي الفريق الاخر حتفه في الطرقات . وقصد قسم دور قناصل انكلترة وفرنسا وبروسيا والامير عبدالقادر او بيوت شركاءهم ومعارفهم المسلمين . وكثيراً ما كانوا لخوفهم ويأسهم يدخلون بيوت المسلمين بالقوة فيلاقون وجوهاً كالحة ويختبي آخرون في الخانات التي يصادفونها في طريقهم فتقودهم الجنود من الغد الى القلعة القديمة . فلو بقي المسيحيون في حيهم وبيوتهم كما لزموها مدة العيد فلربما كانت المذبحة أشد هولاً وضحاياها أوفر عدداً .

ان بعض الرجال الذين كانوا في بيوتهم أو في الحي المسيحي لجأوا الى الكنائس أو الى دار قنصلية النمسا أو الى بيوت جيرانهم الاغنياء لكنهم لم يجدوا فيها امناً . واختبأ كثيرون في بيوت الخلاء والمخادع والانفاق أو في سقوف البيوت فاهتدى الاشرار الى مخبأ معظمهم وقتلوهم . ونزل جمهور منهم إلى الابار ومع عمقها وضيقها وخطرها فقد نجا معظمهم وأنقذوا منها بعد ان مكثوا فيها ٣ الى ٥ ايام دون طعام ولا نوم . وقد نجا نفر قليل بانتقالهم من سطح الى آخر واختبائهم بين انقاض البيوت المحروقة وفرّ آخرون الى خارج المدينة لكن الفلاّحين قتلوا بعضهم فيما بعد واكرهوا الاخرين على الاسلام . وقصارى القول انهم لم يهملوا وسيلة للنجاة اختباءً أو فراراً إلاّ وحاولوها فبعضهم تزيّا بزي النساء لكنهم عُرفوا وآخرون بزيّ السفّاحين وأخذوا يقتلون الامتعة إسوةً بالناهبين وبعضهم قضوا النهار والليل في الهرب من بيت مسلم الى آخر ومع انه قُتل كثيرون منهم فقد تمكن معظمهم من الوصول الى ملجإ أمين . وقد صحب فرار هؤلاء الجزع والذعر والاخطار ومشاهد النهب وانتهاك العرض والقتل واطلاق الرصاص . وكان يمازج خوفهم على حياتهم قلقهم على عيالهم واصدقائهم حتى انه لم تتمكن عائلة بكاملها من الالفي عائلة التي شملتها المذبحة من الفرار واللياذ بمحل أمين دون افتراق اعضائها وكثيراً ما يجهلون ما حلّ بافرادها

وتمرّ الايام قبل ان يجتمع الباقون في قيد الحياة باقاربهم .

ان نهب البيوت وحرقها والقتل وانتهاك عرض النساء وافتضاض البنات استمرّ متواصلًا من الساعة الثانية بعد ظهر ٩ تموز حتى الساعة الثانية بعد الغروب . وفي هذه المدّة اشترك بالنهب والقتل والحريق عدّة الاف من الثائرين فأسرفوا فيها ونقلوا معظم الاسلاب الى مكان أمين . ان القسم الاكبر من الرعاع غادروا الحي المسيحي في الليل لكن بقي كثيرون فتابعوا التدمير والتخريب وامتدّت ألسنة اللهيب كثيرًا في ذلك الحين ملتهمة عدّة مئات من البيوت . ومن الغد باكرًا عاد المسلمون الى حي المسيحيين بعدد أوفر من اليوم السابق واستسلموا للنهب والحريق والقتل طول ذلك النهار واخذ عددهم ينقص عند المساء لانه لم يبقَ سوى بيوت قليلة لمهاجمتها . وفي ذلك اليوم كُسرت أبواب معظم مخازن المسيحيين في الاسواق الكبيرة ونُهبت وعند الغروب لم يبقَ شيء ممّا يملكه المسيحيون سوى حجارة البيوت المحروقة وبعض اخشابها وبعض بيوت وغرف لم تكن اتصلت اليها ألسنة اللهيب بعد. ولم يبقَ من المسيحيين في الحي سوى الذين اختبأوا في الابار او بين انقاض البيوت .

وصباح الاربعاء أذيع خبر ملفق مآله ان بعض المسيحيين اطلقوا الرصاص من بيت مسلم على المسلمين في الشوارع فقتلوا اثنين منهم ثم ظهرت الغاية من نشر هذا الخبر . ذلك ان جمهورًا من مسلمي الصالحية بقيادة الشيخ عبدالله الحلبي جاءوا بحجة اطفاء النار واقدموا على ارتكاب فظائع هائلة ساعدهم عليها الباقون . فطافوا جميع الاحياء التي لاذ بها المسيحيون وطلبوا إلى أصحابها تسليمهم اليهم فقتلوا البعض في الحال عند خروجهم الى الشارع وجرّوا جثثهم إلى الحي المسيحي أو قادوهم الى ما بين انقاض بيوتهم ثم قتلوهم . يتعذر معرفة عدد الذين قُتلوا بهذه الطريقة الفظيعة بعد ان دُمرت بيوتهم ونُهبت أموالهم وبعد ان املوا بزوال خطر الموت ولا يستطيع

ذلك إلاّ الحكومة اذا أجرت عن صدق نية تحقيقاً دقيقاً في انحاء المدينة التي حدثت بها هذه المجازر والفواجع . ومن المؤكد ان عدة مئات من الذين كانوا استسلموا للآمال عند وجودهم ملجأ قُتلوا في ذلك اليوم ولم ينجُ منهم سوى الذين فرُّوا الى بيوت خاصة أو اعتنقوا الاسلام .

وبعد يوم الاربعا هذا لم يُقتل إلاّ القليل لان السفّاحين لم يصادفوا أحداً من المسيحيين لكنهم ظلّوا ينقلون ابواب البيوت والاخشاب والرخام من تحت الانقاض وما فتأت النار مشتعلة حتى أوائل الاسبوع التالي ولم تخمد إلاّ لقلة مواد الاحتراق مع انها استمرّت مدة ١٠ أيام أخرى تلتهم ما بقي من البيوت . لانّ بيوت دمشق ولاسيما بيوت الفقراء لا تحترق سريعاً نظراً لكيفية بنائها ومن النادر حدوث حريق في البيوت الخاصة قضاء الاّ في حوانيت الطبّاخين أو الافران . ولمّا كان الهواء ساكناً اثناء المجزرة كادت النار تنطفي دون ان يندلع لسانها لو لم يكن اضرامها متواصلاً في البيوت المجاورة .

ان الايدي الناهبة لم تعف عن شيء ذي قيمة في الحي المسيحي . وكان كثير من المسيحيين قد خبأوا أنفس متاعهم تحت جذوع السقوف وفي الدفائن وبيوت الخلاء والخزائن وثقوب الجدران والآبار فنجا قسم مماً خبيء في هذه الاخيرة انّما اهتُدي إلى اكثره وأخذ . لقد نهبت الحوانيت التي في الاسواق لكن الخانات وما فيها من اموال المسيحيين لم تمس ومثلها دور قناصل انكلترة وفرنسا وبروسيا لوقوعها في حي المسلمين ولقوة حرسها إلى غير أسباب . ولقد نجا ايضاً بيت في الحي المسيحي يقطنه انكليزي .

ان البيوت التي نُهبت يناهز عددها ١٥٠٠ بيت وسلم بيت واحد غير مأهول وغير محروس . وقد نُهب أيضاً ٢٠٠ بيت مجاور لبيوت المسلمين وعطلت كثيراً انّما لم تُحرق .

أمّا سائر الحي المسيحي المشتمل على ١٢٠٠ إلى ١٣٠٠ بيت فأمسى الان ركاماً من الانقاض بما فيهِ الكنائس والمدارس والاديار ومخازن الصنائع والخانات . وفي كثير من الاماكن تشاهد اثار اجتهاد القوم في تخريب ما لم تلتهمهُ النار من جدران مهدومة إلى اشجار مقطوعة

ان الخسائر على أقلّ تقدير واقربه الى الحقيقة تتراوح بين ٣٠٠ الف الى ٤٠٠ الف كيس قيمتها مليون و٢٥٠ الف الى مليون و٥٠٠ الف ليرة . وينبغي ان يضاف اليها الخسائر الناجمة عن وقوف دولاب الاعمال وانقطاع المسيحيين اضطراراً عن مزاولة أعمالهم .

لايمكن الاهتداء الى معرفة الاشخاص المقتولين بالتدقيق . بيدَ ان المشهور ان مئات قد اختفى أثرها والباقون في قيد الحياة مشتتون ومهتمون بمصابهم بحيث يتعذر عمل جدول صحيح بالمفقودين . انّما يسهل تقدير عدد الذكور المسيحيين الذين كانوا موجودين في دمشق يوم الفتنة واحصاء الذين بقيوا في قيد الحياة فيعرف عدد المقتولين . لقد كان عدد الذكور في دمشق ثمانية إلى تسعة الاف وعدد اللاجئين اليها من القرى المجاورة ألفين الى ثلاثة الاف فيكون مجموعهم يتراوح بين عشرة واثني عشر الفاً فاذا ما اسقطنا عدد الاولاد الذين دون الرابعة عشرة من سنيهم وهو الثلث يكون عدد الباقين ٧٥٠٠ الى ٨٠٠٠ قُتل منهم زهاء ثلاثة الاف أي اكثر من ثلثهم وهذا أقلّ تقدير ولربّما كان يقرب من الحقيقة

انّما يصعب القطع في المسألة نظراً لتباين ما أصاب كل عائلة وكل طائفة فان معدل المذبوحين من طائفة الروم كان اكثر من سائر الطوائف لان الهجوم بدأ على بيوتهم . فكثير من العيال لم يبقَ منها فرد وكثير منها فقد جميع ذكورها . فقد قُتل في بيت كائن بجانب قنصلية الروسية لجهة الشمال اب واولاده الثلاثة واغتُصبت النساء ونُهب البيت وحرق كغيره . وكان اربعة اخوة يعيشون معاً فتركوا بيتهم

قبل دموق الرعاع عليه وتفرقوا في الشوارع فقُتل الكبيران ونجا الصغيران. وكان رجلان مقيمين في بيت واحد فاختبأ احدهما في البئر فنجا والآخر اختبأ فوق سقف البيت فقُتل. وكان اربعة عملة غير متزوجين في بيت واحد فقتل اثنان وجُرح الاخران جراحاً خطرة فتركا ظناً بانهما ماتا. وكان قد التجأ إلى المعبد البروتستاني اربعة رجال وعدة نساء فتنكر احدهم بزي امرأة وخرج من الكنيسة فجرح في الطريق واختبأ الثلاثة الاخرون انما اكتشفوا فذُبح اثنان منهم. وذُبح ايضاً نحو ثلاثين رجلاً في بيت كاهن رومي. وحدث ان لاذ تسعة اشخاص ببيت عامل غائب في بيروت فقتلوا جميعاً بحضور امرأته. وكان في كنيسة الروم ودار البطريركية جمهور غفير من اهالي راشيا ومن سكّان البيوت المجاورة فهجم عليهم الرعاع بعد غروب شمس اليوم الاول من الفتنة وذبحوا عدداً كبيراً من الوطنيين والغرباء اللاجئين. وكان ايضاً عدد كبير من اللاجئين في البيوت المتصلة بدير الارمن فقتل معظمهم وقد وجدت جثث عديدة في الشوارع والبيوت المجاورة دار مصطفى بك الحواصلي. ان الرهبان الفرنسيسيين قُتلوا عن اخرهم اما اللعازريون فانقذهم الامير عبدالقادر فيكون مجموع خدمة الدين الذين ذبحوا زهاء الثلاثين بما فيهم الآباء الفرنسيسيون ومرسل بروتستاني. ولم ينجُ من الكهنة الوطنيين سوى خمسة او ستة.

ان عفو السفّاحين عن الاطفال لم يكن عن شفقة او حنان اذ لو كانوا مدفوعين بعاطفة الرحمة لما قتلوا العجز والشيوخ الضعفاء كالاطفال بل انقادوا الى عقيدة اسلامية مؤسسة على حديث نبوي يحترمه جميع السنيين قوامه ان كل طفل يولد مسلماً وهي الديانة الحقيقية وعندما يشبّ يجعله اقاربه الكفّار يهودياً او مسيحياً او وثنياً حسب عقيدتهم. وعليه لما كان الاطفال مسلمين لا يجوز قتلهم اقتصروا على اخذهم لجعلهم مسلمين فان كثيرين من الذين أُعيدوا الى اقاربهم وجدوا مختونين

ان مسلمي دمشق اساءوا معاملة النساء بوجه الاجمال بعكس الدروز فانهم

احترموهنَّ. ولربما كان عدد البنات والمتزوجات اللواتي اغتصبنَ يفوق كثيراً عدد الرجال الذين قُتلوا فجمهور منهنَّ أُخذنَ الى بيوت المسلمين في المدينة أو الى القرى المجاورة والبعيدة وابقينَ هناك بضعة أيام وأسابيع قبل ارجاعهنَّ إلى اقاربهنَّ. أمَّا المعاملة التي عوملنَ بها فمختلفة.

ان كثيرين اسلموا خلال المذابح أملاً بالنجاة لكن قليلين افلتوا من يد الرعاع وانما نجا كثيرون من الذين لاذوا أولاً ببيوت المسلمين واعتنقوا الاسلام لانقاذ حياتهم أو اتقاء تسليمهم ليد الغوغاء. ان معظم الذين جحدوا دينهم اقدموا على ذلك اضطراراً لمزيد رعبهم من مضطهديهم واغتنموا اول فرصة سنحت لهم لمغادرة دمشق والوصول إلى محل أمين فارتدُّوا إلى الدين المسيحي. لكنَّ القليل منهم باق في المدينة متظاهر بالاسلامية. وقد أكره ايضاً عدد كبير في القرى المجاورة على جحد الدين المسيحي واعتناق الاسلام.

ومن الجلي ان اصحاب الفتنة قصدوا استئصال شأفة ذكور المسيحيين وسبي نسائهم واكراههنَّ على التمذهب بمذهبهم وتنشئة اطفالهنَّ عليه وتدمير الحي المسيحي ونقضه من اساسه.

ان شعب دمشق الاسلامي اعتقد ان كل ما فعله كان برضاء مأموري الحكومة واعيان المدينة ورؤساء الدين ان لم يكن بايعازهم فطالما خضع اليهود والمسيحيون للمسلمين وأدُّوا الجزية حقٌّ لهم ان يتمتعوا بحماية حياتهم وعرضهم وأموالهم حتى لو شقوا عصا الطاعة على سلطانهم. ثم ان أرباب الحكومة الجدد صرَّحوا بانهُ اذا سُمح لاوربي ان يعيش بأمن بين المسلمين مدة ما وان كان غير تابع للسلطان ولا يدفع الجزية المرتبة على الكفَّار يحرز حقاً بحماية المسلمين فلا يجوز قتله او حجز أمواله او أخذ امرأته واولاده لمخالفة ذلك المذهب الاسلامي.

بيدَ انه خلافاً لهذه الاصول قام في وهم مسلمي دمشق انه بالنظر لما احرزه

المسيحيون في مدة الثلاثين سنة الماضية من الامتيازات والنعم جعلوا ذواتهم في مقام الثوّار والخوارج ففقدوا كل حقوقهم في الامن والحماية ولذلك جاز شرعاً قتلهم ونهبهم وسبي نساءهم واخذ اطفالهم .

ان اعتقاد القوم بان ما فعلوه كان مطابقاً لشريعتهم ومذهبهم ولرغائب رؤسائهم يخفف من فظاعة أعمالهم لكنه يلقي أشدّ المسئولية على عاتق الزعماء والأئمة الذين بثوا هذه الافكار ونشروها بين عامة الشعب وعلى الحكومة التي لم تفعل شيئاً لازالة التصوّر الفاسد ان ذلك كان جلّ رغبتها ومقاصدها كما ذاع بين القوم وصدقوه .

ان الامير عبدالقادر بذل ما في طاقته منذ بدء الهياج لتقويم ما اعوجّ من اعتقادهم ومن المقول ان شيخاً اقتدى بهِ لكن المفتي والشيخ عبدالله الحلبي ولهما منزلة سامية أو غيرهما من العلماء أو اعيان القوم لم يؤيدوهما بل تناقلت الالسنة انهم فعلوا الخلاف.

وكان أمير الالاي علي بك على قيادة الجنود في الحي المسيحي يوم اشتعال نيران الفتنة فأبى ان يصدّ الجمهور . بيدَ ان امير الالاي صالح ذكي بك استقلّ بان أمر جنوده برمي موقظي الفتنة بالرصاص واطلق عليهم قذائف مدفع مرّة او اكثر فقتل رجل او اثنان وجُرح البعض . وعندما امطرتهم الجنود رصاصاً تراجع الرعاع ولم يبدوا أقلّ مقاومة على ان دفاع الجنود هذا المنفرد لم يطل أمره . وبعد الغروب حُشدت الجنود في مكان واحد وأبقيت حتى الساعة الواحدة أو الثانية من صبح الثلثاء فذهبوا إذ ذاك الى ثكناتهم ولم يبقَ منهم احد في الحي المسيحي . وفي اليوم التالي استخدمت بعض هذه الجنود لايصال بعض المسيحيين من الخانات وسائر محلّات اختبائهم الى القلعة

(عدد ١٤٦ ص ١٤١ ـ ١٤٧)

١٣٢ – عالي باشا الى احمد وفيق افندي سفير باريس في ٢٧ منه

ان كدر الحضرة الشاهانية من كوائن سوريَّة المحزنة ليس بعده كدر فقد وطدت العزيمة على انزال اشدّ العقاب في مقترفي الفظائع ومسبيبها وفي المأمورين الذين لم يقوموا بواجبهم استدراكاً لها وخوَّلت فؤاد باشا سلطة مطلقة بهذا الشأن ووضعت قيد اوامره القوَّة الكافية . فاذا ما شاءت العناية الالهية تسوَّت هذه المسألة حالاً وفقاً لاميال قلب جلالتها الرؤوف ولرغائب جميع المسلمين الصادقين واوربا ذاتها . ان المسيو دي لاڤاليت ابلغ الباب العالي الرسالة البرقية التي انفذتها الحكومة الفرنسويَّة طلباً لايفاد لجنة اوربية الى سوريا لاجراء تحقيق في اسباب الكوائن المار ذكرها والاتفاق مع مأموري الباب العالي لاصلاح نظامات سنة ١٨٤٥ وارسال بعثة عسكريَّة لمعاونة الحكومة السلطانية وفقاً للوثيقة التي ستعقد بين جلالة السلطان والحكومات الاوربية وتخويل ممثل جلالته في باريس برقياً ملء السلطة للتباحث مع ممثلي الدول المذكورة توصلاً الى ابرام الوثيقة المار بيانها .

وكان ان انعم مجلس الوزراء النظر في محتويات هذه الرسالة تكراراً فاستحسن فكرة ايفاد اللجنة . أمَّا بخصوص ارسال بعثة عسكريَّة الى سوريا في هذه الظروف فقد ابلغ الباب العالي اراءه بهذا الشأن إلى سفيري فرنسا وانكلترة في الاستانة وبسط لهما اعتبارات ذات شأن . وقد ثبت من الانباء الحديثة الواردة على الباب العالي ان جيش جلالة السلطان الموجود الان في سوريَّة كافٍ لقضاء المهمة الموكولة اليه وادراك الغاية التي هي مطمح انظار جلالته وحلفائه. انما اذا ترآى للدول العظمى صديقات الدولة العلية وحليفاتها خلال بحث ممثليها المفوضين المجتمعين في باريس في هذه المسألة وجوب ارسال قوَّة عسكريَّة اوربية تعمل بالاتفاق مع مندوب

الباب العالي لضمان اعادة السلم عاجلًا إلى تلك الانحاء وتوطيد سلطة الحكومة الشاهانية فان جلالتها قد شاءت ان تخولكم ملء السلطة لتبحثوا في مواد الاتفاقية مع ممثلي الدول المشار اليها وتوقعوها على شرط ان تكون متضمنة ما يأتي :

١ ان حركات الجنود المراد ارسالها تدار بالاتفاق مع مندوبي الباب العالي.

٢ يعين عددها وفقًا لمقتضيات الحالة الحاضرة .

٣ يحدد وقت جلائها .

ولكم ان تفاوضوا الموسيو توفنيل حالاً بهذا الشأن وتسلموه نسخة من هذه الرسالة البرقية . (عدد ٧٤ ص ٥٧)

١٣٣ — *موزوروس افندي الى اللورد روسل في ٣٠ منه*

ان سفير الباب العالي في لندره (يعني ذاته) قد تلقى الان من حكومته رسالة برقية توعز اليه بها ابلاغ مضمونها الى صاحب الدولة اللورد روسل

ويستفاد من هذه الرسالة المؤرخة في ٢٧ تموز ان جلالة السلطان الاعظم بناء على طلب انكلترة وفرنسا فوّض الى سفيره في باريس أمر المفاوضة في ابرام وثيقة مع الدول بخصوص ارسال بعثة عسكرية الى سوريا وتوقيعها إذا أجمع رأيهن على ذلك . وفي هذه المناسبة يصرّح الباب العالي بانه عوّل على هذا الرأي لاعطاء حليفاته برهانًا على ثقته ورغبته الصادقة في قمع المشاغب التي اسف لوقوعها اكثر من الجميع . ومع ذلك لم يكتم سفيري فرنسا وانكلترة في الاستانة جميع الاضرار والاخطار التي تنجم عن مثل هذا التدخل وألفت انظارهما الى امكان اضطراب افكار سكّان السلطنة من نزول الجنود الاوربية في احدى جهاتها وما سيجرّ وراءه من الكوارث . ولا غرابة في الامر إذ لربّما يسيء بعض المسيحيين أصحاب القلاقل تأويل عمل الدول واهمين ان ذلك مساعدة لهم فيقدمون على التمادي

في الشر. ومن جهة أخرى يخشى ان المسلمين الذين لا يستطيعون ان يفقهوا نيّات اوربا الحقيقية يغضبون لمعاملتهم بمثل هذا لان الدروز ونفراً من الاشقياء ليسوا على الاسلام من شيء قد أتوا أعمالاً قبيحة في نظرهم فيستسلمون الى اليأس ويقابلون الشرور بمثلها

ومن الجلي ان حراجة هذه الحالة ستؤول إلى تأجيج الاحقاد التي تبذل الحكومة السنية جهدها لاطفاء نارها. وعدا ما تقدم فاذا ما ذاع في المسلمين ان الحكومة طلبت قوّات أجنبية لمعاقبة ابناء مذهبها تفقد كثيراً من هيبتها في أعينهم.

ومن ثمه لمّا كانت الحكومة الشاهانية وقد اتخذت الوسائل الفعالة الكافلة قصاص مقترفي هذه الفظائع وكانت قد أوفدت ناظر خارجيتها وخولته ملء السلطة فهي موقنة بان في وسعها وحدها بعون الله قمع الفتنة ومعاقبة المذنبين.

وبناء عليه فالباب العالي لا يرى وجوباً لاتخاذ وسيلة من شأنها احداث اخطار عظيمة مثل هذه وعلى كلٍ تُعدّ مساساً بسيادة الحضرة الشاهانية المطلقة ويرجو من حكومة جلالة ملكة انكلترة ان تنظر إلى هذه الملاحظات الصادقة بعين الاعتبار وبناء على هذا الامل ابلغتها حضرات ممثلي الدول الذين وعدوها بايقاف دولهم عليها.

(عدد ٤٥ ص ٢٧ ودي تستا عدد ٥٢ ص ٩٩ ـ ١٠٠)

١٣٤ – الارل كولي الى اللورد جون رسل. عن باريس في ٣١ منه

انه على أثر بحث المؤتمر أمس في مواد الوثيقة التي أشرتُ اليها في رسالتي السابقة بتاريخ اليوم والموافقة عليها اخبر المسيو توفنيل ممثلي الدول المجتمعين ان الجنرال كيسيليف سفير الروسية راغب في عرض اقتراحٍ عليهم. فوقف إذ ذاك وقال انه تلقى اوامر من حكومته ليطلب اضافة مادة إلى الوثيقة تجعلها شاملة سائر انحاء السلطنة حيث يحتاج المسيحيون الى مثل هذه الحماية حتى اذا لاقى اقتراحه اعتراضاً

فقد عهدت اليه حكومته بان يدعو ممثلي الدول المفوضين إلى اثبات تصريح في صكّ « بروتوكول » تلاه على مسامعنا وقد سبق لي ذكره في رسالتي المنفذة في ٢٦ الجاري . ثم اردف انه اذا لم يحز احد هذين الاقتراحين قبولاً فالتعليمات المزود بها تنهيه عن توقيع الاتفاقية .

فأجاب سفير تركيا محتجاً على هذا الاقتراح وجهر بانه اذا اصرّ سفير الروسية عليه يرفض توقيع الاتفاقية المذكورة ووصف هذا الاقتراح بانه اعتداء على استقلال سلطانه ومجحف به ومملوء اخطاراً تهدد ليس فقط الحكومة التركية بل اوربا باسرها نظراً لما ينشأ عن التعويل عليه من الاضرار .

فانكر الموسيو توفنيل بلهجة شديدة على ممثل تركيا حق الاعتراض باسم حكومته دون مراجعتها واحتجّ على تصريحه بأبائه توقيع الاتفاقية اذا أصرّت الروسية على اقتراحها

فقلت ان ممثل تركيا اعرف منّا بواجباته نحو حكومته واني أفقه تردده في توقيع اتفاقية تجيز لقوة أجنبية احتلال املاك سلطانه ويُراد اضافة مادة اليها تولي حق احتلال سائر انحاء السلطنة في المستقبل وزدت اني لا استطيع القبول بشيء من مقترحات الروسية لان تعليماتي لم تشر اليها بل هي مقصورة على مسألة معينة لا عامة. وبعد جدال قصير عدّل الجنرال كيسيليف اقتراحه على الصورة الآتية وهي : وجوب كتابة صك « بروتوكول » وتوقيعه في الحال يسجل فيه اقتراحه مع الرجاء بان ممثلي الدول يعرضونه على حكوماتهم وان بعثة سورية تُرسل في خلال هذه المدة وتبقى المسائل العامة مطروحة على بساط البحث .

فابديت تأسفي من عدم استطاعتي قبول هذا الاقتراح وقلت انه يتعذر عليّ توقيع صك «بروتوكول» يتضمن مسألة خارجة عن الموضوع الذي اتفقنا على البحث فيه وان اكون واسطة ابلاغ سيادتكم مقترحات حكومة الروسية بل يجب ان

تجري المخابرة بشأنها توًّا بين الحكومتين. وقد اشكل عليَّ ادراك سبب رضاء ممثل الروسية بسفر البعثة العسكرية وابانه في الوقت عينه توقيع الاتفاقية مع ان ارسال الجنود يتوقف على توقيعها. واذا ما كنت فهمت اقتراح سفير الروسية اراه اغرب شيء طرأ على مسامعي في حياتي فانه بمحاولته ابلاء شروط اتفاقية موضوعة لغرض معين ولم تزل قيد البحث لانها لم تُوقَّع بعدُ أعمَّ يكون قد اوثق يد الدول وارغمهنَّ على جعل هذه الاتفاقية شاملة السلطنة العثمانية بأسرها في حين قد رفض توقيعها لما كانت مقصورة على سوريا وحدها

فقال المسيو توفيل انه لا يعتقد ان في وسعي رفض توقيع قرار « بروتوكول » يتضمن ابحاث المؤتمر بل لي ان أبدي الاعتراضات التي تحلو لي على كل اقتراح فتُدوَّن جميعها في القرار المذكور. فأجبت اني اذا قبلت بتوقيعه اكون ساعدت على نشر اقتراح لا تراه حكومة جلالة الملكة مناسبًا وانه كان يحق لي فور انتهاء الجدال في مبنى الاتفاقية الخروج من المؤتمر فلم افعل اجابةً لعامل المجاملة لاني لا اعدّ ذاتي مفوضًا بتوقيع صك يتضمن رواية ما جرى من البحث بعد انتهاء المؤتمر. واننا أمسينا جميعًا في موقف حرج من جرّاء اقتراح سفير الروسية لعدم استطاعتنا القطع بقضية ذات بال في نظر الحكومة الفرنسوية الاَّ اذا رضينا بقبول أمرٍ لا علاقة لهُ بالمسألة المعروضة على ابحاثنا.

فسلَّم الموسيو توفيل بان الحكومة الروسية سيئت دون تعمد لا ريب وقوف المفاوضات وسأل الجنرال كيسيليف ان يوقف حكومته على ما جرى ويطلب اليها العدول عن اقتراحها.

ان سفيري النمسا وبروسيا لم يشتركا في الجدال بل اقتصرا على التصريح باستعدادهما لقبول مقترح الروسية.

واختم رسالتي مصرحًا بان كل هذا الجدال لم يحتدم بل ظلت عليه مسحة

الاعتدال وان خيل لسيادتكم الخلاف من قرائة هذا الوصف الوجيز .

(عدد ٤٨ ص ٣٠ ـ ٣١)

١٣٥ ـ فؤاد باشا الى السر صور (١) . عن بيروت في ٢٦ منه

يتشرف فؤاد باشا بانباء حضرات قناصل الدول الموالية المقيمين في بيروت انه رأى لزوماً لكف يد خورشيد باشا والي ايالة صيدا عن معاطاة وظيفته فعهد بادارة شؤونها بالوكالة الى امير البحر مصطفى باشا قائد اسطول الحضرة الشاهانية في البحر المتوسط .

ان ناظر خارجية الدولة العلية الموكول اليه مهمة خارقة العادة في سورية بابلاغه حضرة قنصل جلالة ملكة الانكليز العام في بيروت ما تقدم له ملء الرجا بان وكيل الولاية الجديد يحسن علائق الحكومة المحلية مع قنصلية انكلترة نظراً لما امتاز به من جميل الصفات ويحقق الثقة الموضوعة فيه .

وعليه ففؤاد باشا يغتنم الفرصة الخ . . . (عدد ٨٢ ملحق ٢ ص ٦٢)

١٣٦ ـ صور الى السر بولفر . عن بيروت في ٢٨ منه

اتشرف بانبائكم ان فؤاد باشا سافر بعد ظهر أمس إلى دمشق مستصحباً تابورين من الجنود وستة مدافع وقد حدثني بعزمه على استعمال أقصى الشدة في دمشق . وقد وصل ليل امس سفينة تركية قادمة تواً من الاستانة حاملة كتباً الى

---

(١) ان فؤاد باشا انفذ مثل هذه الرسالة الى سائر قناصل الدول . وقد جاء في رسالة للمسيو مور عدد ٨٢ ص ٦٠ ـ ٦١ ان فؤاد باشا فصل خورشيد باشا اجابةً لطلب امير البحر مارتين قائد الاسطول الانكليزي وقد كان وصل على البارجة ملبروك في ٢٤ تموز . وفي اليوم ذاته أوقف علي وصفي افندي « كاخية » خورشيد باشا وعبدالسلام بك متسلم دير القمر

فؤاد باشا على أثر وصول انباء فاجعة دمشق الى الباب العالي فأُنفذ رسول خاص في الحال بالتحارير المذكورة فادرك فؤاد باشا على بُعد بضع ساعات من بيروت . وستعود السفينة المار ذكرها هذا المساء الى الاستانة وقد تلطف حضرة أمير البحر مصطفى باشا بافادتي عن ميعاد سفرها فاغتنمت هذه الفرصة الموآتية لاكتب إلى سعادتكم هذه الرسالة .

ان فؤاد باشا وجّه قبيل سفره فرنقو افندي احد رجال بطانته والمطران طوبيا (عون) الى كسروان ليسعيا بالصلح بين الفلّاحين والمشايخ الخازنيين الذين طُردوا من هذه الاقطاعة منذ سنتين تقريباً كما تعلمون . وقد ذهب المعتمدان المذكوران إلى جونيه على بارجة تركية صغيرة . وكان في نية دولته أولاً ان يوفد لهذه الغاية القائم مقام المسيحي لكنه عدل عن هذا الرأي بناء على ما اوضحه له المطران المشار اليهِ من خطر ايفاد القائم مقام المذكور نظراً لشدة كره أهالي كسروان له . وفي الحقيقة ان استياء اللبنانيين منه لعامٌّ ومعظم الكوائن التي وقعت تُنسب اليه .

وصلت البارجة نبتون الانكليزية . (عدد ٧١ ص ٥٤)

١٣٦ — ملاتيوس مطران الروم الكاثوليك في بعلبك الى القنصل مور عن جبة بشراي في ١٩ تموز

أرى من واجبي ان اخبركم بالبلايا التي نزلت بي وبابناء رعيتي بما فيهِ كنائس بلاد بعلبك واديارها. اولاً : ان متاولة هذه البلاد ومسلميها تسلحوا بعد ان فازت قبائل الاشقياء الهمجية على زحلة ونهبتها وحرقتها وهجموا على المسيحيين وقلوبهم تتقد حنقاً وقتلوهم ونهبوا اموالهم وحرقوا بيوتهم وكنائسهم وسلبوا قطعان ماشيتهم وأخذوا محاصيل ارضهم . وبعد ان انتهوا من تدمير القرى قدموا بعلبك مقرّ العامل فلم يبدِ أقلّ اهتمام بحماية رعايا جلالة السلطان من اعتداء اعدائهم مع وجود

اميرالالاي حسين بك وبامرته لواء من الجنود السلطانية المنظمة وتابور من الفرسان ومدفعان

ثانياً : كان الامراء الحرافشة الفارّون من وجه الحكومة قد تأسوا في خلال هذه المدة عصابة من اللصوص وفاجأوا فارس آغا قادرو عامل بعلبك قصد الفتك به فلم يتمكنوا الاّ من قتل بعض اتباعه فلم تعارض جنود الحامية التركية عصابات الاشقياء هذه ولم تتخذ أدنى تحوط لحماية المسيحيين المنكودي الحظ من هذه الاخطار العظيمة بل ظلت على الحياد .

ثالثاً : لمّا رأيت ذاتي محاطاً بالاخطار من الداخل والخارج لذت بالفرار مع بعض ابناء رعيتي تاركين كل اموالنا وارزاقنا ومؤنتنا وحللنا الفاخرة وثيابنا الثمينة حتى انه لم ينفسح لنا الوقت لنتزوّد طعام ذلك اليوم

رابعاً : عند بلوغنا بعناية الله بلدة بشرّاي سالمين اتصلت بنا الاخبار بان حسن اغا يازجي قدم بعلبك بـ ٤٠٠ جندي غير منظم بزي الارناؤود وكان قد استنفرهم من ثفالة شعب دمشق ورعاعه ولاسيما من الاكراد المشهورين بفظائعهم متظاهراً بانه يريد حماية اهالي بعلبك لكنه انقلب حالاً ووضح ان هذا الآغا ورجاله الاشرار كانوا أشدّ ضربة على المسيحيين الباقين في بيوتهم . فان هذا الزعيم لمّا سمع بالفظائع التي اقترفها مسلمو دمشق اطلق العنان لجنوده فهاجموا كنيستنا ومقرّنا الاسقفي وبيوت المسيحيين عامةً وسلبوا الاموال ودمروا الباقي ودنسوا مذابح التقديس وقتلوا بعض الرجال واغتصبوا النساء وافتضّوا البنات ثم قتلوهنّ ولا يزال حتى الآن عدد عظيم منهنّ هائماً على وجهه في الجبال المقفرة واخر في يد اعدائهنّ والباقيات منهنّ جحدن الدين المسيحي واعتنقن الاسلام لانقاذ حياتهنّ

خامساً : ان الكارثة التي أصابت مسيحيي بعلبك امتدّت حالاً الى القرى المجاورة فان المسلمين والمتاولة وعليهم الامراء الحرافشة هاجموا المسيحيين مسرفين في

القتل والنهب فسلبوا الكنائس والبيوت وحرقوها . وفي كل يوم نشاهد جمهوراً من المسيحيين وكهنتهم قادمين أو مشتتين وهم في عوز تام عراة حفاة قد سُلبت ثيابهم ومحاصيلهم ومونتهم وماشيتهم وبعضهم سبيت نساؤهم واولادهم وقد بقي كثيرون مختبئين في البراري والآبار على ان اماكن مخبأهم غير امينة .

سادساً : ان الرواية الوجيزة السابقة البيان تدلكم كم قد سُفك من الدم المسيحي وكم قد سبي من النساء والاولاد وعلى مقدار الاموال المنهوبة وعدد الكنائس التي سُلبت وحُرقت في بلاد بعلبك فعددها يتجاوز العشرين بما فيه ١٢ كنيسة وديرا الغزال وسيدة الراس خاصة طائفتنا وقد قتل فيها ثلاثة رهبان .

سابعاً : ان ثمن الاموال المنهوبة والاملاك المخرَّبة يبلغ زهاء ٥٠٠ كيس يضاف اليها مثلها لقاء الـ ١٢ كنيسة والديرين السابق ذكرها و٢٠٠ كيس بدل املاكها فيكون المجموع زهاء ١٧٠٠ كيس وتقدَّر خسائر ابناء طائفتنا العالمين بخمسة الاف كيس . وقد تجاوز ثمن ما نُهب من اموال سائر الطوائف المسيحية في هذا القضاء وقوامها محاصيل الاملاك والحبوب والماشية والجمال والخيل والحمير والبيوت المحروقة العشرين الف كيس . هذه هي الخسارة المالية عدا فقدان الرجال والنساء وهتك العرض وتدنيس المعابد والاواني المقدسة

وقد رأيت من واجبي ان ابسط لحضرتكم هذه الحالة متوسلاً الى رأفة حكومة انكلترة العظمى الممتازة بغيرتها السامية واقتدارها العظيم لانه لم يبقَ لنا ملجأ بعد الله الاَّ ها ان ترمق بعين الشفقة حالة شقاء المسيحيين رجالاً ونساء وأطفالاً المعرضين للهلاك وهم عراة حفاة جياع ليس لديهم ما يسدون به رمقهم . فعسى ان تنتصر لهم وتحصل لهم على تعويض وانصاف فتغنم دعاءهم الحميم إلى العزة الالهية لتؤيدها وتوطد دعائم سلطتها وتجعل أعداءها موطئاً لقدميها وتعقد النصر فوق اعلامها المجيدة إلى الدوام .

(عدد ٧٦ ملحق ٣ ص ٧٢ ـ ٧٣)

١٣٧ – اللورد روسل الى اللورد دوفرين في ٣٠ منه

ان جلالة الملكة قد انتقت سيادتكم لتمثلوا مملكة بريطانيا وايرلندة المتحدتين في اللجنة التي ستؤلف عن قريب لاجراء التحقيق في كوائن سورياً المحزنة . فعلى سيادتكم ان تسافروا في الحال الى الاستانة حيث يزوّدكم السير بولفر سفير جلالتها التعليمات ويمدّكم بالافادات اللازمة لقضاء مهمتكم على أحسن وجه

ان غرض اللجنة الرئيسي هو الحصول على ضمانة اقرار السلم في سورياً وتوطيد اركانها . انما لا يستقرّ الامان في الداخلية الاّ إذا أوجد فيها ادارة نزيهة عادلة نقية الذيل حزومة لانه عندما يرى جميع الذين يصيبهم ضرر عدم معاقبة مقترفي الجنايات أو سالبي الاموال يعمدون اخيراً الى الاقتصاص بيدهم او الاثآر لانفسهم تعويضاً عما فقدوه او خسروه

فعليك ان تؤدي الاكرام لارباب السلطة المعينين من قِبل السلطان وتجعل نصب عينيك دائماً ان حكومة جلالتها لا تسعى إلى احراز أرض جديدة وأرجحية نفوذ وفائدة تجارية خاصة ولا تريد ان تستقل احدى الدول بذلك . وسأرسل اليك نسخة من الاتفاقية المتعلقة بسورية فور توقيعها في باريس .

(عدد ٤٢ ص ٢٦)

١٣٨ – المسيو نوفيل الى الكونت دي برسبني في اول اب سنة ١٨٦٠

ان اللورد كولي جاءني وحدّثني بارتياب خالج فكر حكومته حتى اذا لم نستطع ازالته لا يمكنها القبول بان ننفذ عاجلاً الوسائل التي قضت حالة سورياً باتخاذها . ان حكومة لندره تعتقد انه يصعب عدم الاعتداد بالمعاملات المرعية في مثل هذه الحال كالاجازة لمثلي الدول توقيع الاتفاقية قبل ان تكون بلغتهم الكتابة التي

تخولهم ملء السلطة والمبادرة إلى تنفيذ موادها قبل تمام الموافقة عليها .

ولقد بدا لي ياحضرة الكونت انه يمكن ازالة هذه الصعوبات وقد أمست غير ذات بال بعد اتفاق الدول على جميع المسائل اذا وُقع حالاً صك «بروتوكول» يتضمن جميع المواد المقطوع بها ويشترط فيه ابداله باتفاقية عندما يتمكن ممثلو الدول من ابرامها وانه يُبدأ حالاً بتنفيذ الوسائل المقرَّرة بالاجماع . وتشرَّف بأن ارسل اليكم في طيهِ مسودَّة هذا الصك وارى ان نصه يرضي الجميع فأسألك ان تبلغه اللورد روسل ولي الامل بانه يرضى بتفويض سفير جلالة الملكة في باريس توقيعه. ومثل هذا النهج لم يخلُ من سالفة فقد عُمل بهِ كلما اضطرَّت الدول إلى التدخل بسرعة

وقد اعلمني ايضاً اللورد كولي ان الوزارة الانكليزية لا يسعها مع الاسف الاَّ الاصرار على رأيها رفضاً لاقتراح الروسية لكنها لما كانت راغبة في تمهيد السبيل لعقد اتفاق بين جميع الحكومات ترضى باضافة تصريح يسمح لحكومة بطرسبرج ان توافق عليه دون ان يمسَّ سيادة السلطان وهيبته. وهذا التصريح يطابق الرغبة التي سألتكم ابلاغها اللورد جون روسل وقد صرفت كل عنايتي الى ايجاد طريقة توفق بين الجميع واعتقدت اني وجدتها فعرضتها على حضرة سفير انكلترة مقترحاً عليهِ توقيع صك مع سائر ممثلي الدول يوضح كيفية التدخل وصفته ويعرب عن رغبتهنَّ إلى الباب العالي ان يقوم بالوعود المدونة في مؤتمر باريس واعترفت الدول باهميتها .

فهذا التصريح مع ارتباطه بالترتيبات الموضوعة في سنة ١٨٥٦ يكون ضمانة لتركيا وفي الوقت ذاته عهداً على اهتمام جميع الدول دون تميز في حفظ السلم وعنايتها بحالة المسيحيين رعايا السلطان . وقد ترآى لي اننا بذلك نكون قد راعينا أرقَّ العواطف واعربنا عن رغبة الدول وقد أثارتها ظروف قاهرة غير عادية لا مردَّ

لحكمها مع كل المراعاة الواجبة للحكومة العثمانية. وقد سلّمت نسخة من هذا الصك إلى اللورد كولي فاشكر لك اذا شئت ان تنبئني بالسلك البرقي اذا كان يجوز القبول لدى اللورد روسل. وستعلم من رسالة المركيز دي لافاليت البرقيـة وفي طيه نسخة منها ان من اللازم اللازب المبادرة الى مساعدة تركيا لحقن الدماء الجارية كالانهر في سورية. (دي تستا عدد ٥٣ ص ١٠٠ ـ ١٠١)

١٣٧ – اللورد روسل الى السير بولفر في اول اب سنة ١٨٦٠

اني مرسل لكم في طيهِ نسخة النطاقة التي رفعها إليّ المسيو موزوروس.

ان حكومة جلالة الملكة تعلم مقدار الضرر الذي يتأتى عن احتلال البلاد بقوة أجنبية. لكن سلوك الباشاوات الاتراك والجنود التركية الشائن في سورياً هو الذي ارغم حكومة انكلترة على القبول بمقترحات فرنسا. وكان في الوسع ان تناط معاقبة مقترفي مذابح لبنان وقمع الفتنة بعدالة فؤاد باشا ودرايته لو لم تكن الانباء المفجعة الواردة من دمشق قد اوضحت بجلاء ان أرباب السلطة التركية عاجزون عن وقاية حياة المسيحيين حتى في أهم مدن السلطنة. فسواء كان ذلك ناشئاً عن وهن السلطة أو ضعف الارادة فعدم وجود الامن على الحيـاة والاملاك ثابت. (المحررات الانكليزية عدد ٤٩ ص ٣١)

١٣٨ – صك « بروتوكول » جلسة المؤتمر المعقود في باريس في ٣ اب سنة ١٨٦٠

الحاضرون: ممثلو النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا وتركيا

انه لما كان جلالة السلطـان يريد ان يحقن الدماء في سورية باتخاذ أقرب الوسائل الناجعة واظهار عزمه على المحافظة على حسن النظام وبسط الامان بين الشعوب الخاضعة لسلطنتهِ وكان أصحاب الجلالة امبراطور النمسا وامبراطور فرنسا

وملكة بريطانيا العظمى وايرلنده وسمو كفيل الملك في بروسيا وجلالة امبراطور الروسية قد عرضوا على جلالة السلطان مساعدتهم الفعّالة فقبلها قد اتفق ممثلوهم على المواد الآتية :

المادة الـ ١ يُبعث إلى سورية جيش من العساكر الاوربية يمكن زيادة عدد رجاله الى اثني عشر الفاً ليعمل على توطيد الراحة فيها .

المادة الـ ٢ ان جلالة امبراطور الفرنسيس رضي ان يجهز في الحال نصف الجيش . واذا اقتضى الامر ابلاغه الى العدد المحدد في المادة السابقة فعلى الدول الأوّل ان تتفق دون تأخير مع الباب العالي بطريق المفاوضة الدولية العاديّة على تعيين الدولة التي يتوجب عليها تقديم الجنود اللازمة .

المادة الـ ٣ على قائد هذه البعثة العام ان يخابر فور وصوله مندوب الباب العالي الخارق العادة للاتفاق على اتخاذ جميع الوسائط التي تستدعيها الاحوال ولاحتلال المواقع التي يجب النزول فيها لبلوغ الغاية المقصودة .

المادة الـ ٤ ان اصحاب الجلالة أمبراطور النمسا وأمبراطور الفرنسيس وملكة بريطانيا العظمى وسمو كفيل الملك في بروسيا وجلالة أمبراطور الممالك الروسية وعدوا بمواصلة ارسال القوات البحرية الكافية إلى شواطئ سورية وابقائها فيها مساعدةً على انجاح المساعي المشتركة الآئلة إلى توطيد الراحة في تلك البلاد .

المادة الـ ٥ ان الدول المتعاقدة جعلت مدة احتلال الجنود الاوربية سوريّة ستة أشهر لتيقنها انها كافية لاعادة الامن والراحة المبتغاتين .

المادة الـ ٦ يتعهد الباب العالي ان يبذل ما في وسعه لتسهيل تموين هذه البعثة العسكريّة .

قد استقرَّ الرأي على نظم المواد الست السابقة البيان بشكل اتفاقية يوقّعها ممثلو الدول فور وصول تفويض دولهم المطلق اليهم . بيدَ ان شروط هذا الصك

تنفذ في القريب العاجل

أمّا القائم بوكالة سفارة بروسيا فقد ألفت الانظار الى ان توزيع بوارج الاسطول البروسي حالياً لا يسمح لحكومته ان تشترك منذ الان في تنفيذ محتويات المادّة الرابعة .

التواقيع : مترنيخ . توفنيل . كولي . رسّ . كيسيليف . أحمد وفيق .

(عدد ٥٩ ملحق ١ ص ٣٦ ـ ٣٧ ودي تستا ص ٤٢ ـ ٤٤)

تنبيه : ان هذا الصك قد نُظم بشكل اتفاقية فوقّعت في ٥ ايلول سنة ١٨٦٠ بعد ان خُوّل ممثلو الدول المذكورون مل. السلطة وأضيف اليه الفقرات التالية :

بعد عبارة « عرضوا على جلالة السلطان مساعدتهم الفعّالة فقبلها » :

فأقرّوا رأياً على عقد اتفاقية في هذا الصدد وعين كل منهم ممثلاً لهُ مفوّضاً اليهِ مل. السلطة كما يأتي مفصلاً :

جلالة امبراطور النمسا : الموسيو ريشار أمير مترنيخ وينبورغ ودوق بورتلاً وكونت كونسفارت الحائز رتبة عظيم اسبانيا طبقتها الاولى ووسام الملك ألبر دي ساكس طبقته الاولى ووسام الدوق ارنست دي ساكس ـ كوبورغ ـ غوتا ووسام ليوبولد ملك بلجيكا طبقته الثانية ووسام جوقة الشرف من طبقة فارس ورتبة فارس فخري في جوق فرسان القديس يوحنا في مالطة وحاجب جلالته وسفيره الخارق العادة لدى جلالة أمبراطور الفرنسيس .

جلالة أمبراطور الفرنسيس : الموسيو ادوار ـ انطوان توفنيل من اعضاء مجلس الاعيان الحامل وسامات جوقة الشرف وتاج النمسا الحديدي والقديس اسكندر نيوسكي الروسي والمجيدي العالي الشأن طبقتها الاولى الخ الخ . . . ووزير خارجيته

جلالة ملكة بريطانيا العظمى وايرلندة : حضرة النبيل هنري ـ ريشار شارل

كونت كاولي وفيكونت دنكان وبارون كاولي وأحد اعضاء مجلس النبلاء ومجلس جلالتها الخاص الحامل وسام الاستحمام طبقته الاولى (١) وسفيرها الخارق العادة المفوض اليه مل. السلطة لدى جلالة امبراطور الفرنسيس

سمو كفيل الملك في بروسيا : الامير هنري السابع دي روس ـ شليز ـ كستريز الحائز وسام النسر الاحمر طبقته الرابعة ووسام القديس يوحنا الاورشليمي البروسيوي الخ . . . ووكيل سفارته في باريس .

جلالة امبراطور الممالك الروسية : الكونت بولس دي كيسيليف رئيس اركان حربه وقائد المشاة وأحد اعضاء مجلس الامبراطورية الحامل وسام جوقة فرسان الروسية من طبقة فارس ووسامي العاهلين نقولا الاول واسكندر الثاني المرصعين ووسام جوقة الشرف طبقته الاولى والوسام المجيدي المرصع وسفيره الخارق العادة المفوض اليه مل. السلطان لدى جلالة أمبراطور الفرنسيس .

جلالة سلطان العثمانيين : أحمد وفيق افندي الحامل الوسام المجيدي طبقته الثانية الخ . وسفيره الخارق العادة لدى أمبراطور الفرنسيس

فالمشار اليهم بعد ان اطلعوا على الكتابات المفوض اليهم بها مل. السلطة ووجدوها مطابقة للاصول اتفقوا على المواد الآتية :

وهنا أعيد ذكر هذه المواد دون تبديل وأضيف اليها مادة سابعة وهي :

المادة الـ ٧ تتم الموافقة على هذه الاتفاقية ويُتبادل توقيعها في باريس في مدى خمسة اسابيع أو قبلها اذا امكن .

---

(١) دخل هنري الرابع ملك انكلترة الحمّام ذات يوم فبادر اليه أحد حجّابه وقال له ان أرملتين مظلومتين تطلبان العدل فخرج لساعته من الحمّام ولبس ثيابه وهو يقول : العدل واجب والحمام لذّة والواجب يفضل اللذة ـ فهذا كان سبب انشاء وسام الحمّام

واشعارًا بذلك فقد وقّعها المفوضون المشار اليهم ومهروها بطابع شعارهم .

كُتب في باريس في ٥ ايلول سنة ١٨٦٠

١٣٩ – قرار اخر في ٣ منه

لمّا كان معتمدو دولة النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيًا يرغبون في ان يبينوا صفة المساعدة المبذولة للباب العالي تحقيقًا لنيّات دولهم وفقًا لمواد الصك « بروتوكول » الذي وقعوه وان يوضحوا العواطف التي أملت عليهم شروطه وتجرّدهم عن كل غرضٍ فيصرحون بصورة علنية قاطعة بان الدول المتعاقدة لا ينوينَ ان يطمحنَ ولن يطمحنَ أبدًا في اثناء اجرائهنّ عهودهنّ الى الاستيلاء على بعض اراضٍ او اكتساب نفوذ خاص او بعض امتيازاتٍ تتعلق بتجارة رعاياهنّ ممّا لا يمكن منحه لرعايا سائر الدول

بيدَ انهم لا يتمالكون من تذكير الباب العالي بعهود جلالة السلطان المثبتة في المادة التاسعة من المعاهدة المعقودة في ٣٠ ادار سنة ١٨٥٦ (١) المعلنة خطورتها

---

(١) هي عهد صلح وقّعتهُ دول النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وسردينيا والباب العالي من جهةٍ ودولة روسيًا من جهةٍ أخرى وأشركت بهِ بروسيا وذلك في باريس في ٣٠ ادار سنة ١٨٥٦ . وهذا نص المادة ٩ فيه :

المادة الـ ٩ : لما كان جلالة السلطان مدفوعاً الى خير رعاياه ورفاهيتهم بعامل عنايته المتواصلة فقد جاد بفرمان يثبت حسن نيّاته نحو الملل المسيحية القاطنة سلطنته على اختلاف طوائفها ويضمن تحسين حالها . ولمّا كان يرغب في ابراز دليل جديد على حسن استعداده أقرّ على ابلاغ الدول المتعاقدة هذا الفرمان الذي اصدره اختيارًا .

ان الدول المتعاقدة تعترف بأهمية هذا التبليغ . بيدَ انهُ من المقرّر انه لا يوليهنّ بأيّة صورة كانت حقًا في التدخل في علاقات جلالة السلطان برعاياه وفي ادارة داخلية مملكته ان بالانفراد وان بالاجماع . اهـ

ومن ايضاح ما تُعلّق كل واحدة من دولهم من كبير الاهمية على وفاء الباب العالي بوعوده فيتخذ وسائل ادارية حازمة وتحوطات واقية تكفل اصلاح احوال المسيحيين من كل الملل المقيمين في السلطنة العثمانية .

ان سفير تركيا المفوّض اطلع على تصريح ممثلي الدول الأول وأخذ على نفسه ان يبلغ دولته ذلك ملفتاً الانظار الى ان الباب العالي قد وجّه ولم يزل يوجه عنايته إلى تحقيق الامنية السابق بيانها . حُرّر في باريس في ٣ آب سنة ١٨٦٠ وكتب منه ست نسخ . (عدد ٥٩ ملحق ٢ ص ٣٨ ودي تستا ص ٤٤ ـ ٤٥)

١٤٠ – الورد كولي الى اللورد روسل في ٢ منه

وصل اللورد دوفرين باريس ليل اول أمس ولما كان الموسيو توفنيل قد انشغل كثيراً أمس فلم يتمكن من مقابلته فصحبته اليوم الى وزارة الخارجية . ولمّا علم الموسيو توفنيل ان اللورد دوفرين سيتلقى تعليمات من سفير جلالة الملكة في الاستانة قال انه يخشى وقوع ارتباك والتباس اذا انتهجت الحكومة الانكليزية هذه الطريقة. فان اقتراح دولته ـ وقد قبلته الحكومة الانكليزية على ما فهم ـ يتضمن طلب ارسال لجنة مختلطة إلى سورية ليجري اعضاؤها تحقيقاً في اسباب الفتنة الاخيرة بالاتفاق مع مندوب الباب العالي ويراقبوا معاقبة مسببي المذابح والمحرضين عليها وينظروا في التعديلات الواجب ادخالها على نظام سنة ١٨٤٥ وفي الوسائل الكافلة عدم تجدد الفواجع السابقة وتحسين إدارة شؤون سورية . وللوصول إلى هذا الغرض يرى دولته ان على الدول الخمس ان تتفق على التعليمات التي ستزودها مندوبيها وإلاّ يضطرب حبل اتحادهم وبدونه لايمكن الحصول على نتايج مرضية . امّا هو فينوي ارسال المندوب الفرنسوي من هنا الى سورية توّاً مزوداً التعليمات . أمّا اذا كانت حكومة جلالة الملكة تؤثر ان تعطى التعليمات من الاستانة فيجدر ان

توضع هذه التعليمات في جلسة يعقدها ممثلو الدول الخمس بحيث يعطى كل مندوب تعليمات متماثلة وبدون ذلك يتعذر اتحاد كلمتهم فيقع بينهم الخلاف لتباين ارائهم. ولكي يتمكن سفراء الدول في الاستانة من ان يحسنوا فهم الغرض المراد ادراكه بارسال اللجنة ويتسنى لهم الاجماع على اعطاء تعليمات متماثلة ينبغي ان ترسل كل حكومة الى ممثلها ذات التعليمات التي سبق لهن الاتفاق عليها وان لم تفعل لا يرجى نجاح في الاستانة.

وقصارى القول ان غايته ترويد المندوبين تعليمات متماثلة سواء أعطيت من الاستانة أو من غير مكان. (عدد ٥٤ ص ٣٤)

١٤١ – اللورد روسل الى الارل كولي في ٤ منه

وصلتني رسالتكم البرقية المؤرخة في ٣ الجاري بعد انفاذ رسالتي اليكم فعلمت منها ان الموسيو توفنيل لم يزل مصرًا على ابائه تخويل ممثلي الدول الخمس في الاستانة حق ترويد مندوبي الدول الموكول اليهم اجراء التحقيق في سورية التعليمات اللازمة. فاجيبكم ان حكومة جلالتها تعتقد انه يتعذر الاتفاق على وضع تعليمات في باريس تنال استحسان جميع الدول وانه إذا كان لا بدَّ من ذلك يجب وضعها في الحال.
(عدد ٥٨ ص ٣٥)

١٤٢ – الكونت كافور رئيس وزارة سردينيا الى المركيز دي ازيليو سفير دولته في لندره. عن تورين في ٣ منه

انه منذ بدأت العراقيل الناشئة عن حالة المسيحيين في الشرق بادرت حكومة الملك استنادًا على الحقوق المستمدة من المعاهدة المعقودة في باريس سنة ١٨٥٦ فطلبت الاشتراك في المفاوضات التي ستجري بين الدول التي وقعت معها العهود المعين فيها

موقف تركيا تجاه اوربا .

ولما حدثت فيما بعد اضطرابات سورياً ومذابحها فأثارت استياء اوربا وأوضحت وجوب اتخاذ وسائل عاجلة تكفل وقاية حياة الطوائف المسيحية المنكودة الحظ القاطنة تلك البلاد وتضمن راحتها فحكومة الملك شاطرت جميع البلدان المتمدنة عواطف الشفقة عليها وعنايتها بها فطلبت مجدداً الاشتراك في الاتفاق الذي يُبرم بين الدول الموقعة معاهدة باريس للاقرار على وسائل من شأنها مساعدة تركيا على وضع حد لهذه الشرور والكوارث . ومن البديهي انه كان على الدول ان تحفل بطلب حكومة سردينيا لانه مبني على مواد معاهدة شهيرة وعلى الواجب المفروض على وزارة تورين وهو حماية رعاياها العديدين المقيمين في سورياً وعلى صوالح تجريتها وتجارتها ولذلك لقينا في عدالة حكومات باريس ولندره وبطرسبورج ونزاهتها افضل استعداد لاجابة طلبنا

ثم كان اتصل بنا ان الدول رغبةً في تسهيل عقد اتفاق ـ يخشى ان ينجم عن تأجيله استمرار أهالي سوريّة معرضين لاعتداءات اعدائهم ومظالمهم ـ قد عولت على ان تبني تدخلها على الاتفاقية المعقودة في سنة ١٨٤٥ ولم تشترك بها سردينيا . وعليه فاهمال العمل بمبنى المعاهدة الموقعة في باريس في ٣٠ اذار سنة ١٨٥٦ في هذه المسألة يستدعي اعتراضنا .

لست أجهل انه في سنة ١٨٤٥ شاءت الدول منع تجدد الاضطرابات التي أسالت الدماء في سورياً فاتفقت مع الباب العالي على ايلاء سكّان تلك البلاد المنكودي الحظ بعض تنظيمات اداريّة داخلية ضمانةً لراحتهم وطمأنينتهم . ولا خلاف في ان الكوائن الهائلة التي فاجأ خبرها اوربا المسيحية وأقامها واقعدها منشأها واحد . ومن البديهي ان الدول التي وهمت بانها اتقت تجددها بوضعها نظامات سنة ١٨٤٥ وتحققت اليوم عدم كفايتها أو عدم تنفيذها قد اضطرّت اليوم الى اتخاذ

وسائل أنجع وأحزم من ذي قبل بالاتفاق مع الباب العالي .

لا مراء انه إذا كانت المسألة مكانية نظرًا لبقعة الارض التي مُثلت فيها هذه الفواجع فقد أصبحت عامة لامتدادها إلى اوربا واثارتها اهتمامها فأثرت في حالة تركيا وفي العلائق بين سائر دول اوربا . ولا غروَ فاننا لسنا بحاجة إلى ان نذكر كم من مرة كادت حوادث سوريّة تعرض اوربا إلى مشاكل وخلافات خطيرة قبل وضع نظامات سنة ١٨٤٥ .

ومن ثمه لا يغرب عن الذاكرة ان الغرض الرئيسي الذي توخته الدول من قبول تركيا في مصاف الدول الاوربية في سنة ١٨٥٥ هو اتقاء امكان انفراد دولة واحدة من الدول الموقعة المعاهدة ـ التي اوجدت حقًا عامًا مشتركًا في شؤون تركيا ـ بمسائل مكانية أو وثائق خاصة هي من الاهمية بمكان بحيث اوجبت التدخل بقوة عسكرية .

وبناء على ما تقدم فاذا كان موقف تركية الحالي يرتبط بتنظيمات سنة ١٨٤٥ من جهة الكوائن نرى من الواجب ان تستمد طريقة العمل من شروط معاهدة سنة ١٨٥٦ التي اشتركت بها سردينيا .

بيدَ انه إذا كانت الحجج المدلى بها آنفًا تؤيد اعتقادنا المكين باننا لم نطلب إلاّ حقًا ثابتًا في معاهدة شهيرة فقد سردنا كثيرًا باتفاق الدول حتى نخاطر باثارة خلافات من شأنها بلبلة العمل الخيري الذي صممت اوربا على الاقدام عليه انتصارًا لشعوب حلّت بها نكبات جسيمة أو عرقلته .

ولا نجهل ايضًا ما تقيمه النمسا بمساعيها المتواصلة من العقبات في وجه طلبنا لحرماننا من الاشتراك في اتفاقيات يقتضي ان تكون بمعزل عن كل حسد سياسي وقد شاءت سائر الدول مدفوعة بروح المسالمة ان توليها صفة انتصار للانسانية أوحت به أنبل العواصف وأسماها .

ولذلك فان حكومة سردينيا تعدل الآن عن زيادة الالحاح في طلبها مع الاحتفاظ بالحقوق التي تخولها اياها معاهدة باريس . ومع اتيانها هذا الدليل على حبها المسالمة ازاء مسألة يتوجب فيها على العالم المسيحي باسره ان يبرهن عن تعاضده وتكاتفه واتحاد كلمته فهي واثقة بان ستدعى سردينيا الى الاشتراك في المفاوضات العامة إذا كانت المسألة المعتبرة اليوم موضعية ومحصورة في نظامات سنة ١٨٤٥ تعمم فتلامس العلائق التي اوجدها الحق الحديث المشترك بين تركيا وسائر دول اوربا .

ولك ياحضرة المركيز ان تسلم اللورد روسل نسخة من هذه الرسالة .

(عدد ٦٨ ملحق ١ ص ٤٩ ـ ٥٠)

١٤٣ ـ تشرة امير البحر مصطفى باشا وكيل ايالة صيدا في ١٦ محرم سنة ١٢٧٧ [٤ اب سنة ١٨٦٠]

لما كان قد شاع كثيراً خبر قدوم العساكر الفرنساوية الى بيروت وكان قنصل فرنسا والكولونل دوسمون قد اعلمانا بذلك وهذا الاخير موكول اليه اختيار محل موافق لاقامة الجنود المذكورة بواسطة الحكومة المحلية وقد ابلغنا مهمته شفاهاً وكنّا لا نعلم إذا كان الباب العالي قد رضي بمجيء هذه الجنود أو لا فتعجلنا برفع كتاب مفصل بهذا الشأن الى صاحب الدولة فؤاد باشا ناظر الخارجية المفوض اليهِ ملء السلطة ليقطع مستقلًا في جميع المسائل المتعلقة بهذه البلاد والتمسنا منه ان يمدنا بتعليماته . وقد فهمنا من فحوى جواب دولته انه عرف هذا الخبر من تحارير الباب العالي التي حملها اليه قاسم بك من اركان حرب نظارة البحريّة ومضمونها ان الحكومة الفرنسويّة عرضت على الباب العالي ارسال فرقة من جنودها إلى هذه البلاد وقد دفعها إلى ذلك الاعمال الفظيعة التي اقترفت ولاسيما تجرؤ بعض رعاع شعب دمشق على الغدر بالمسيحيين رعايا الحكومة السنية وقتلهم ونهب اموالهم .

ونرجو ان تقف الاضطرابات ويستتب الامان تماماً قبل وصول هذه الجنود وتقاوم القلاقل وفقاً لموجبات النظام والعدالة بسطوة جلالة سلطاننا الاعظم المؤيد بعون الله ورسوله وتكاتف جميع رعاياه المخلصين العقلاء بحيث لا يبقى سبيل الى استخدام هذه الجنود. ولا يخفى ان اقدام الحكومة الفرنساوية على ارسالها ناشيء عن صداقة وثيقة العرى وولاء تام كائنين بين الحكومتين. ولا تأتي هذه الجنود بأدنى حركة في السلطنة العثمانية دون سبق اتفاق مع موظفي الباب العالي. وعليه فلا سبيل إلى الخوف من خبر قدومها بل يقتضي على مأموري الحكومة السنية ان يسعوا بذاتهم لاجابة مطالبها وتسهيل امورها والقيام بواجبات الضيافة نحوها وفقاً لما أمر بهِ صاحب الدولة فؤاد باشا وزير الخارجية في جوابه.

وقد بادرنا إلى اذاعة هذه النشرة لتطلع عليها جميع طبقات الامة وتنزع من قلبها كل خوف ليتمكن كل فرد من الاهتمام باشغاله وشؤونه الخاصة.

(عدد ٧٦ ملحق ١ ص ٦٩)

١٤٤ — نشرة فؤاد باشا في الجنود التركية في دمشق في ٢٠ محرم سنة ١٢٧٧
[٨ اب سنة ١٨٦٠]

ايها الرفقاء: ان بعض الجنود الفرنسوية والانكليزية ستصل قريباً إلى هذه البلاد. لان دول اوربا لرغبتهن المتواصلة في ان تستمر بلادنا متمتعة بالراحة قد شئن ان يساعدننا على قمع الاضطرابات التي حدثت في هذه البلاد فقبلت الحكومة السنية مساعدتهن اظهاراً لثقتها في حليفاتها.

وغير خافٍ عنكم ان هذه الجنود تخص ذات الدول التي عضدتنا بكل قواها في عهد سابق فعليكم ان تقوموا بواجب الاخاء نحوها فانتم في بلادكم وهي في ضيافتكم فاعملوا بواجبات الضيافة فتشاهد احسانكم خدمة نيّات جلالة متبوعنا

الاعظم المنصرفة الى العدل وانقيادكم العسكري واحترامكم نظام الجندية وشرفها وترى انكم بغنىً عن كل مساعدة على معاقبة سافكي دم المسيحيين مواطنيكم مثلنا والاقتصاص من الجناة باسم الانسانية

(عدد ١٢١ ملحق ٢ ص١٠٦ . ودي تستا عدد ٥٤ ص ١٠١)

١٤٥ – فؤاد باشا الى المستر مور . عن دمشق في ٤ منه

بدأتُ بالعمل هنا وأصبتُ نجحاً . فاني بعد ان اتخذتُ جميع التدابير لارهاب المدينة من جهة وضربها من جهةٍ أخرى إذا حدثت مقاومة تمكنت حتى مساء أمس من القاء القبض على ٣٣٠ شخصاً كان القناصل والمسيحيون سلموني لوائح باسماء بعضهم ودفع إليَّ المواطنون الاخرين . ولا يزال القاء القبض متواصلاً اليوم بحيث يبلغ عدد الموقوفين في هذا المساء الـ ٥٠٠

قد أخذ القوم باعادة المسلوبات ومع انه يتعذر استعادة معظم الاشياء الثمينة المنهوبة فقسم كبير منها صار في يدنا . وتمَّ ذلك دون مقاومة اذ لزم عقلاء المدينة السكون فساعدوا الجنود التي أنزلت الرعب في قلوب الاشقياء بحسن سلوكها مساعدة أدبية . وصار عليَّ الان ان أوقف الاعيان الذين اشتركوا في فتنة دمشق وقد استخدمتهم حتى الان لنجاح خطتي وسأدفعهم قريباً الى يد العدالة. لقد ألفت مجلساً خارق العادة لاستنطاق المقبوض عليهم فشرع بمهمته وسأنفذ احكامه في الحال عملاً بالسلطة المطلقة التي خولنيها جلالة مولاي السلطان . فهذه الوسيلة وسائر التدبيرات التي سأتخذها لانزال أشدّ العقاب في الجناة عبرةً لمدينة دمشق سوف لا تلاقي أدنى مقاومة من قِبل سكانها لان قسماً منهم وهم العقلاء مخلد الى السكون كما سبق لي القول والقسم الآخر أصبح سلس القياد طائعاً على أثر القاء القبض على بعض زعمائه . ولمَّا كنت متيقناً ان كل ما اخبركم بهِ يسرّكم كثيراً وان الصدق في

الرواية من شأنه استدراك العراقيل التي يخشى ان تنجم عن اشتراك الجنود الاوربية في هذه الاعمال رأيت من واجبي ان أوقفكم على كل ما جرى هنا . وأني موفد الى بيروت امير الالاي حسن بك (اوريلي) من اركان الحرب ليقص عليكم وعلى حضرة أمير البحر قائد اسطول جلالة ملكة انكلترة الراسي في مياه بيروت تفاصيل ما فعلناه هنا ويبلغكما شفاهاً بعض ملاحظات خطيرة .

(عدد ٨٧ ملحق ١ ص ٧٣ ـ ٧٤)

١٤٦ – مور الى فؤاد باشا . عن بيروت في ٧ منه

شرفني الكتاب الذي جادت دولتكم عليَّ به في ٤ الجاري فاشكر لكم تلطفكم بايقافي على الوسائل الحازمة التي اتخذتموها في دمشق وارجوكم ان تثقوا باني سررت بها كثيراً .

أمَّا بخصوص الملاحظات الشفاهية التي عهدتم الى أمير الالاي حسن بك بان يبلغنيها وأمير البحر مارتين فانبئكم باني خلوت بامير البحر المذكور وفاوضته بشأنها واسررت إلى حسن بك نتيجة حديثنا ليعيده على مسامع دولتكم .

(عدد ٨٧ ملحق ٢ ص ٧٤ ـ ٧٥)

١٤٧ – المامور فرازر الى اللورد روسل . عن بيروت في ٢ منه

وصلتُ إلى بيروت ليل ٣١ المنقضي فوجدتها هادئة واظن ان الاسطولين الانكليزي والفرنسوي مع الفين من الجنود النظامية التركية بامرة اسمعيل باشا (الجنرال كميتي) كافٍ لاستمرار استتباب الراحة فيها. بيد ان مهاجرة المسيحيين لا تزال متواصلة بكثرة إلى الاسكندرية وازمير واليونان والى أبعد ثغر يمكنهم الوصول اليه معلنين انهم فقدوا كل أمل بالمعيشة باطمئنان تحت ادارة حكومة سوريَّة الحالية.

ان فؤاد باشا بلغ دمشق في ٢٩ المنقضي بعد ان اقام مدة في بيروت كما علمتم سيادتكم من ينابيع مختلفة وفي مدة اقامته هنا ارسل أحمد باشا والي دمشق السابق الى الاستانة سجيناً وكان يجدر به ان يبقيه هنا ويحاكمه حيث توجد الشهود والدلائل المثبتة عليه جنايته فيكتسب ثقة الشعب ويسكن قلقه . وقد ألحقه بخورشيد باشا والي صيدا انما بغير صفة سجين . ولم يفعل ذلك كما علمت إلاّ بعد ان الحّ عليه أمير البحر مارتين والمستر مور . . .

تلقيت الآن رسالة من بلاد الدروز في لبنان مآلها ان الدروز أخذوا بنقل اشيائهم الثمينة وعزموا على الذهاب الى اللجا وحوران الواقعتين في الجنوب الشرقي من دمشق والاعتصام بهما خوفاً من قدوم الجنود الفرنسوية . وانهم يرضون بان تتولى التحقيق حكومة انكلترة فيسلمونها بعض زعمائهم ومع وثوقهم بوعد أمير البحر الانكليزي بجريان محاكمتهم وفقاً للعدالة والنزاهة لا يريدون ان يُحاكموا إلاّ أمام قضاة انكليز . (عدد ٩٠ ص ٧٥ ـ ٧٦)

١٤٨ – خطاب الامبراطور نابوليون الثالث في جنود بعثة سوريا في معسكر شالون بتاريخ ٧ اب سنة ١٨٦٠

جاء في جريدة « المونيتور » لسان حال الحكومة الفرنسوية ما يلي :

عند الساعة العاشرة من هذا الصباح عرض الامبراطور جنود بعثة سورية وقوامها الالاي الخامس بامرة الكولونيل كوبر والـ ١٣ بامرة الكولونيل داريكو والسرية الاولى من فيلق الفرسان الاول بقيادة اليوزباشي ستوكلي . وكانت الجنود كاملة العدة وعليها سيماء الحماسة ومنظرها مهيب . وقبل ان مرّت امام جلالته وزّع عليها بعض الوسامات والانواط وكانت الجنود مصطفة على شكل مربع والاعلام في وسطها فألقى عليها الخطاب الآتي :

أيها الجنود

انكم مسافرون إلى سوريا . ففرنسا تحيي بسرور حملة غايتها الوحيدة نصر حقوق العدالة والانسانية .

لستم بذاهبين لمحاربة احدى الدول بل لمساعدة السلطان على اخضاع رعايا اعماها تعصب الاجيال الغابرة .

ستقومون بواجبكم في هذه الارض السحيقة الغنية بتذكارات مجيدة فتبرهنون على انكم أولاد اولئك الابطال الذين حملوا علم المسيح في تلك البلاد بعز وشرف.

ان عددكم قليل انما انا واثق بان بسالتكم وسطوتكم تغنيانكم عن كثرة العدد لان الشعوب تعلم ان حيثما يجتاز علم فرنسا فهناك غاية نبيلة تتقدمه وشعب عظيم يتبعه اه .

وبعد هذا الخطاب مرت الجنود أمام جلالته هاتفة « فليحيَ الامبراطور » .

(المحررات الانكليزية عدد ٦٢ ص ٤٠ ـ ٤١)

١٤٩ – نشرة المركز دي بوفوار القائد العام عن مرسيليا في ٧ منه

ان الامبراطور المحامي عن كل المصالح النبيلة السامية قد أمر باسم اوربا المتمدنة بأجمعها ان تذهبوا الى سوريا لمساعدة جنود السلطان على الاثآر للانسانية ممن جنى عليها ولطخها بالعار . فهذه مهمة شريفة يحق لكم الافتخار بها وستبرهنون على انكم جديرون بها .

ستجدون تذكارات وطنية مجيدة في تلك الاصقاع المشهورة وهي مهد الديانة المسيحية وقد شرفها غودفريد دي بوليون والصليبيون والجنرال بونابرت وجنود الجمهورية الباسلة .

ان تمنيات اوربا باسرها ترافقكم . ومهما حدث فلي وطيد الامل ان الامبراطور

وفرنسا يبتهجان بسلوككم . فليحيَ الامبراطور ! .

(عن جريدة السيمافور في مرسيليا وعن كتاب سوريّة للاب جوبين ص ٢٢٠)

١٥٠ – الموسيو نوفيل الى الكونت دي برسبني ، عن باريس في ٨ منه

ان حضرة الكونت كاولي سفير انكلترة أخبرني بتعيين اللورد دوفرين عضوًا في لجنة سوريّة الدولية من قِبل حكومته وقد جاء بهِ لزيارتي وقال لي حين عرَّفني بهِ انه مسافر بعد غدٍ إلى الاستانة حيث يتلقى تعليماته من سفير دولته السير بولفر . لم يتصل بي حتى الآن ان سائر الدول عيَّنت مندوبيها وبتُّ انتظر اتفاقهن بهذا الشأن لاطلب موافقة الامبراطور على الشخص الذي سانتقيه .

ولا بدَّ لك ياحضرة الكونت ان تذكر رأي الحكومة الفرنسويّة في مهمة اللجنة وايضاحي وظيفتها في رسالتي المنفذة في ١٦ تموز . فقد قلت لك فيها ان قوامها البحث في الاسباب التي ولَّدت الاقتتالات الحديثة وبيان درجة مسئولية كل من زعماء الفتنة ومأموري الحكومة المحليين وتحديد التعويضات الواجب اداؤها للمنكوبين والنظر في الترتيبات الواجب التعويل عليها ملافاةً لوقوع بلايا جديدة ثم عرضها على الدول والباب العالي لاجازتها . وعندي انهُ اذا أُريد تخويل المندوبين السلطة اللازمة للقيام بالمهمة الموكولة اليهم يجب ان تزودهم حكوماتهم التعليمات كما عينتهم ويظلوا يتلقونها منها مع مراسلتهم سفراء دولهم في الاستانة واستشارتهم . ومن ثمه لا أرى لزومًا الى الاحاطة بكل دقائق هذه المهمة عند كتابة التعليمات المذكورة بل يكفي وضع بعض قواعد تتفق عليها الحكومات ويُعهد بتنفيذها إلى المندوبين

أمَّا الوظائف المهمة الرئيسية التي سيعهد بها إلى اللجنة فهي ذات التي عددتها في بلاغي الاول الموجه إلى الدول وقوامها التوصل إلى معرفة منشأ الكوائن الحديثة واسبابها واجراء تحقيق بالاتفاق مع مندوب الباب العالي الخارق العادة غايته

معاقبة الجناة وانالة العيـال المنكوبة تعويضات ماديّة عن خسائرها على قدر الاستطاعة والتدقيق في التعديلات الواجب ادخالها على نظامات جبل لبنان الادارية الموضوعة في سنة ١٨٤٢ و ١٨٤٥ وتدوينها في لائحة اجماعية .

يهمني ياحضرة الكونت معرفة ما اذا كان وزير خارجية انكلترة يشاطرني رأيي واذا ما كان صدر عن هذه الاراء عند ارساله اللورد دوفرين الى سوريا .وعلى كل من اللازم اللازب ان تتفق الدول على هذا الامر . ولا شك ان اللورد روسل يحكم في مناسبة ابلاغ سائر الدول رأي حكومة جلالة ملكة انكلترة في هذا الصدد وفي تعيين ميعاد اجتماع المندوبين في بيروت .

لقد كتبت إلى حضرة أمير البحر هملين وكيل وزارة الحربية التحرير المرسلة نسخته في طيهِ ليتسنى له تعيين غاية المهمة الموكولة إلى حضرة الجنرال دي بوفور القائد العام لبعثة سوريّة العسكرية في التعليمات التي سيزوده اياها .

(المحررات الانكليزية عدد ٦٦ ص ٤٥)

١٥١ — الموسيو نوفيل الى امير البحر هملين في ٤ منه

حضرة امير البحر ورصيفي العزيز

اني ائتمارًا باوامر الامبراطور وقّعتُ أمس بالاشتراك مع ممثلي الدول العظمى وحضرة سفير تركيا الصك الذي اتشرّف بأرسال نسخة منه في طيه اليكم وهو يتضمن بيان صفة المساعدة الفعّالة التي نبذلها لتركيا بقصد وضع حد في القريب العاجل للاضطرابات السائدة في سوريا مع تحديد دائرة هذا العضد .فهذا الصك مع ايضـاحه الغرض الذي تريد الدول بلوغه يثبت في الوقت ذاته اتفاقهنّ ويشترط عليهنّ ان يتدخلنَ بالاجماع باسم اوربا بعد اتفاقهنّ مع الباب العالي العائد اليهِ قبل غيره أمر الاهتمام بأصلاح شؤونه . فعلى قائد جنودنا العام ان يتخذ روح

هذا الوفاق قاعدة لهُ للجري على سننه ولا ريب في ان دولتكم تستنسبون ان تبنوا عليهِ تعليماتكم إلى حضرة الجنرال دي بوفور دوطبول (١) .

ان غاية المهمة الموكولة الى هذا القائد العام والى قوّاد اساطيل الدول المجتمعة في شواطئ سوريا هي التكاتف على حقن الدماء بوسائل عاجلة حازمة والمساعدة على منع الاعتداءات على المسيحيين إذ لا يمكن تركها دون عقاب. ان المادة الثالثة من الصك المذكور توجب على قائدنا العام ان يخابر مندوب الباب العالي فور وصوله إلى سورية وهذا الشرط قد اوجبته الظروف الحالية ليستمرّ اتفاق الدول متواصلاً بين ممثليهنّ الموكول اليهم بلوغ الغاية التي رمنَ ادراكها . فيترتب على مندوب السلطان وحضرة الجنرال دي بوفور ان يوحدا مساعيهما ويوفقا ترتيب حركات الجنود مع السلطة المطلقة المعطاة للمندوب العثماني وهي تخوله حق الاستقلال بأخذ الوسائل التي تستدعيها الحالة . بيدَ ان الجنرال دي بوفور يبقى مطلق الحرّية في ما يختص بشرف علَمنا وأمان جنود بعثتنا ان تعويلًا على التحوطات وان احتلالاً للمواقع التي يراها موافقة بعد مخابرة ممثل الحكومة التركية .

أوعزت إلى سفير جلالة الامبراطور في الاستانة وقناصلنا في بيروت ودمشق ان يبذلوا ما في طاقتهم لتسهيل تنفيذ المهمة المعهود بها إلى القائد المشار اليه.

(عدد ٦٦ ملحق ١ ص ٤٦ ـ ٤٧)

---

(١) ان اللورد كولي سفير انكلترة في باريس شهد بنزاهة قصد الحكومة الفرنسوية فقد جاء في رسالة انفذها إلى اللورد روسل في ٧ آب (عدد ٦٠ ص ٣٩) ان آخر عبارة خاطب بها الامبراطور الجنرال دي بوفور هي : ان جلالته يستاء كثيرًا اذا لم يتم عود البعثة العسكرية إلى فرنسا في مدى ٣ اشهر .

١٥٢ – اللورد روسل الى القنصل برانت في ١٠ منه

بناء على رسالتكم المؤرخة في ١٦ المنقضي المتضمنة وصف الذبح والنهب والحريق في حي المسيحيين في دمشق بين ٩ و ١٥ منه وما بذله الجزائريون بامرة الامير عبدالقادر من النشاط في انقاذ عدة مئات من الهلاك اوعز اليك ان تبلّغ سمو الامير المشار اليه شكر حكومة جلالة ملكة انكلترة مساعيه النبيلة في وقاية حياة المسيحيين . (عدد ٦٤ ص ٤٢)

١٥٣ – صورة التعليمات المعطاة لمندوب فرنسا في اللجنة الدولية في بيروت (١) في ١٦ منه

انكم تعرفون غاية المهمة الموكولة اليكم بصفة مندوب الامبراطور في سوريّة وتفقهون اني لا استطيع ان اتوقع كل المصاعب التي ستقوم في سبيلكم ولا ان ابيّن لكم مفصلًا المشاكل المتنوعة التي ستعرض لكم وتضطرون إلى حلها وعليه اقتصر على اعطائكم التعليمات العامة التي يقتضي عليكم ان تجعلوها قاعدة عملكم .

فعليكم بعد اجتماعكم بمندوبي النمسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية والسلطان ان توجهوا عنايتكم بداءة بدء إلى البحث بالاتفاق معهم في منشإ الفتنة واسبابها وبيان درجة مسئولية كل من زعماء الثورة ومأموري الحكومة وايجاب

---

(١) كتب الموسيو توفنيل هذه التعليمات في ٩ آب وابلغها سائر الدول فحازت قبولهنّ وزودنَ مندوبيهنّ نسخة منها دون ابدال حرف . أمّا فرنسا فعينت الموسيو بيكلار قنصلها العام سابقاً في الفلاخ والروسية الموسيو نوفيكوف كاتب اسرار سفارتها في الاستانة والنمسا الموسيو دي ويكبكر قنصلها العام في بيروت و بروسيا الموسيو دي رهفيوس كاتب سفارتها في الاستانة أمّا الحكومة الانكليزيّة فعينت اللورد دوفرين كما سبق لنا القول .

انزال القصاص في الجناة . ان تأكيدات حكومة الاستانة والسلطة التي فوّضها السلطان إلى المندوب العثماني لا تترك مجالاً للريب في انكم تجدون لديه المساعدة التي يحق لكم انتظارها منه ليأتي التحقيق الذي تجرونه بالاشتراك معه مطابقاً لما تقتضيه النزاهة التامة والعدالة .

ويفرض عليكم ايضاً تقدير الخسائر التي المّت بالمسيحيين وايجاد الوسائل الكافلة تخفيف شقائهم وتعيين التعويضات الواجب اداؤها الى المنكوبين بقدر الامكان ولنا الثقة بان جميع المندوبين يوحدون مساعيهم لاتمام هذا العمل التعويضي. بيدَ انه يوجد مسألة أخرى جديرة بالفات نظركم اريد بها الترتيبات التي يترآى لكم وجوب وضعها ضمانةً لتوطيد اركان الراحة والامان في سوريّة في الآتي ملافاةً لتجدد ذات الكوارث . وعليكم ان تزنوا بكل نزاهة الكوائن الحديثة واسبابها وتستمدوا منها الانوار اللازمة لاقتراح التعديلات التي يجدر ادخالها على ادارة الحكومة الحالية ولاسيما على تنظيمات جبل لبنان الموضوعة بالاشتراك في سنتي ١٨٤٢ و ١٨٤٥ . وينبغي تدوين هذه التعديلات في لائحة اجماعية يوقعها جميع المندوبين .

فهذه هي التعليمات الوحيدة التي رأيت مناسباً ان امدّكم بها . ان مندوبي النمسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية سيتلقون مثلها فعليكم ان تجتهدوا بان تكونوا معهم على اتم وفاق ولا ارتاب بانكم تجدون فيهم ذات الاستعداد لتوحيد الكلمة .

لقد اوعزت الى جميع قناصل جلالة الامبراطور في سوريا ان يجيبوكم الى طلباتكم ويعضدوكم في اتمام مهمتكم .

واني مبلّغ هذه التعليمات الى حضرة سفير جلالته في الاستانة فعليكم ان ترسلوا اليه جميع الانباء التي يهمه الوقوف عليها وتمتثلوا اشارته .

(عدد ٧٠ ص ٥٢ . ودي تستا عدد ٥٥ ص ١٠٢ ـ ١٠٣)

١٥٤ – مور الى اللورد روسل في ٦ منه

اتشرَّف بان اصدقكم الخبر بخصوص ما اذاعته صحف الاخبار من انه لم يكن في سورياً حين انفجار بركان الفتنة سوى ٤٠٠ من الجنود النظامية . انه وان كان يتعذر الوصول الى حصر عددها بالتدقيق فمع ذلك يمكن سيادتكم ان تعتمدوا على التقدير الآتي :

لقد كان عدد الجنود التركية النظامية في ايالتي بيروت ودمشق عند بدء الاضطرابات وقبل وصول النجدات زهاء اربعة الاف . ففي كل مكان من جبل لبنان حدثت فيهِ مذابح كان فيهِ حاميات من الجنود التركية يتراوح عددها بين ٢٠٠ إلى ٦٠٠ من الرجال الاشدَّاء مع مدافع . ويقدَّر انه حين اشتعلت نار الفتنة في دمشق كان عدد الجنود النظامية بما فيهِ الفرسان والمشاة ١٥٠٠ ومثله من الباشبوزق

(عدد ٨٨ ص ٧٥)

١٥٥ – القنصل برانت الى اللورد روسل عن دمشق في ١١ منه

اتشرَّف بان ارسل اليكم في طيهِ نسخ ثلاث رسائل انفذتها الى سعادة السير هنري ليتون بولفر .

حادثت اليوم فوَّاد باشا لاستطلاع نيَّاته فاوقفكم عليها . فقد تلقى من اعيان كل حي في المدينة لوائح باسماء السفَّاحين والناهبين والمحرِّضين على القتل والنهب والحريق . فقال لي دولته ان الافادات التي جمعها ستمكنه من ختم التحقيق بعد بضعة ايام واصدار الاحكام فينفذها حالاً في جميع الذين اقترفوا جنايات توجب الاعدام مهما كان عددهم وسيقضي على بعضهم بالسجن مدى الحياة وعلى آخرين بالاشغال الشاقة ويُجنَّد قسم كبير ويرسل الى إحدى جهات السلطنة

ليقضي الخدمة العسكريَّة فيها خلا سوريًا. لا يمكن وصف شدَّة استياء دولته من الجنايات والفظائع التي ارتُكبت ومن سوء سلوك معظم الدمشقيين وغدرهم . ثم اخبرني دولته انه ينوي فرض غرامة قدرها ٢٥ مليون غرش أي زهاء ٢٠٠ الف ليرة انكليزيَّة فقلتُ لهُ ان ليس في وسعي تقدير الخسائر انمَّا اعتقد ان خمسة ملايين ليرة انكليزيَّة تكاد لا تكفي للتعويض عن تخريب الاملاك وعن خسارة الاموال والحلى والجواهر والامتعة الثمينة والسلع والملابس .

يؤكدون ان قد ذُبح من مسيحيي دمشق الوطنيين زهاء ٣٥٠٠ نسمة ومن الغرباء الذين لجأوا الى المدينة طلبًا للنجاة نحو ٢٠٠٠ وهذا التقدير قريب من الصحة

وقد أعربت لدولته عن رجائي في انه يتمكن بحزمه وعزمه من اعادة الراحة والطمأنينة وتوطيد دعائمهما بحيث لم يبقَ حاجة الى احتلال الجنود الاوربية . فأجاب انه يبذل جهده لاقناع اوربا بذلك ويؤمل انه لا تمضي بضعة ايام حتى يثبت لها ذلك

وعليَّ ان اشهد بان فؤاد باشا نظرًا إلى المصاعب التي ذللها والحواجز القائمة في طريقه قد برهن على انه كفوء للمهمة التي عهد اليهِ بها سلطانه ولي وطيد الامل بانه لا ينفك عن العمل الذي بدأ بهِ بجدارة ونشاط حتى يتمه. (عدد ١٠١ ص٨٣)

١٥٦ — ومنه الى السير بولفر . عن دمشق في ٤ منه

اتشرف بانبائكم باني زرت فؤاد باشا بعد ظهر اول آب الجاري وسلمته لائحة طويلة الاهداب تتضمن اسماء أهم السفَّاحين والناهبين ولائحة اخرى فيها اسماء الذين ايقظوا الفتنة بتظاهرهم الكاذب بالتدين مع تحريضهم الشعب على ذبح المسيحيين وذكرت ايضًا اسماء بعض كبار القوم الذين احسنوا السلوك . فشكر لي دولته هذه الافادة وقابل بينها وبين الانباء المجتمعة لديه من ينابيع مختلفة فوجدها مطابقة لها بوجه عام . ثم قال لي انه أعدَّ معدَّاته وينتظر قدوم تابورين في ٣ الجاري

ليضرب الضربة القاضية . وبناء عليه لما كانت الجنود قد وصلت فزاد الساعة الخامسة من صباح أمس عدد حرس دور القناصل ومخافر البلدة وكانت المخازن مقفلة والشوارع مقفرة وبدأت الجنود بالقاء القبض على المتهمين واستمرّ الامر طول ذلك النهار واعيدت بعض المسلوبات وسُلّمت الى اصحابها. ويقال ان عدد الاشقياء الذين قُبض عليهم ونُزع سلاحهم وسُجنوا يتراوح بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ فاستولى الرعب على الجميع واخذوا يتذللون الى الاوربيين للحصول على مساعدتهم . ولا يزال القاء القبض متواصلًا اليوم انما لم يوقف أحد من الزعماء ويظهر ان قوام خطة الباشا القاء القبض على الرعاع والسفّاحين قبل ان يمس الزعماء . وقصارى القول ان رعبًا شديدًا سائد بين جميع طبقات المسلمين وقد تبدلت لهجتهم عمّا كانت عليه منذ بضعة أيام ولا يجسر أحد على تهديد المسيحيين بالموت خوفًا من قدوم الجنود الاوربية ونزولها في سورية . فيسرّني ان اقول اننا خطونا خطوة كبيرة الى اعادة الثقة وقد بدأ اكثر المسيحيين جزعًا يعتقدون بانهم أصبحوا بمأمن . وقد ابتهجت بانه لم يتفشّ بين الجماهير المحشورة بين جدران القلعة سوى الرمد ولا وجود للحميّات وداء الزحير وغيره من الاوبئة التي يخشى انتشارها عادة في مثل هذه الاحوال . (عدد ١٠١ ملحق ٢ ص ٨٤)

١٥٧ — ومنه ايضاً في ٩ منه

قد انتظرت اتيان فؤاد باشا بعمل جازم لاخبركم به . فانه بدأ باستقاء الاخبار من كل الينابيع ليصل إلى حقيقة ما جرى فعمله هذا لم يكن بالسهل لان اعضاء المجلس خدعوه وعاكسوه وهمًا منهم بان دولته يجري على طريقة المأمورين السابقين وانهم بعرقلتهم تنقيبه وباعاقته يتوصلون إلى املاله وما عتموا ان تحققوا انهم اغترّوا . ويقتضي عدة ايام لاستخراج بعض الحقيقة من لوائحهم انما اظن ان دولته توفق أخيرًا اليها ومع ان الزعماء المذكورين لم يتصرفوا بصدق اعتقد انه علم منهم

اشياء كثيرة بضغطه عليهم . قد استعيدت الامتعة الضخمة المنهوبة لكنها قليلة القيمة وبلغ عدد المقبوض عليهم بتهمة القتل والنهب أو بالسلب فقط ٧٥٠ شخصاً فبعضهم ثبتت عليهم جناية القتل ولم يُعدم منهم سوى واحد . وفي ذلك اليوم قُتل مسيحي في محلته ومن الشائع في المدينة ان المسلمين مصممون على قتل مسيحي كلما أُعدم مسلم فاحدثت هذه الاشاعة ذعراً شديداً وزادت رغبة المسيحيين في مغادرة المدينة بعد ان بدأت افكار كثيرين منهم تطمئن وظنوا انه يحسن بهم البقاء فيها

ان المحكمة الجزائية التي ألّفها فؤاد باشا لم تتمكن من حمل شاهد واحد على القسم بانه رأى أحد المتهمين يقترف جناية القتل فكثيرون يشهدون ان الشعب اقترف النهب لكن لا يمكنهم ان يؤكدوا ان احداً منهم قتل مسيحياً. ومع انه من الثابت ان زهاء ٥ الاف شخص ذُبحوا في رابعة النهار أو على ضياء البيوت المشتعلة فلا أحد يريد ان يشهد بانه رأى اقتراف جناية أو يتهم أدنى صعلوك بها . اذا كانت طريقة المحاكمة العادية المرعية في السلطنة العثمانية لا تكفي لاكتشاف القتلة فيجب استعمال طرائق غير عادية واعتبار الذين يثبت عليهم النهب انهم ارتكبوا جناية القتل أيضاً. لا يمكن ترك الفظائع التي اقترفت دون عقاب ولا يُسمح بابعاد سيف العدالة عن رقاب الجناة بمثل هذه الحيل فاذا تعذر وجود وسائل غير هذه لاكتشاف الجناة يقتضي استحصال خط شريف يؤذن باعدام كل من ثبت عليه انه ارتكب جناية الحريق أو النهب اثناء فتنة دمشق مع تخويل المحكمة السلطة على ابدال عقاب الاعدام المحكوم بهِ على الجناة بغيره اذا ثبت وجود أسباب مخففة .

(عدد ١٠١ ملحق ٣ ص ٨٤ ـ ٨٥)

١٥٨ – المأمور فرازر الى اللورد روسل . عن بيروت في ٨ منه

لقد سبق لي في رسالتي المنفذة في ٢ الجاري ان اخبرتكم بوصولي إلى سورياً

ووصفت لكم حالة الشؤون بايجاز. قد كنت عزمت على السفر في الحال الى دمشق بيد اني لمّا رأيت ان صاحب الدولة فؤاد باشا طلب نجدات جديدة ليتمكن من القاء القبض على السفّاحين خشيت ان ينشأ عن وصول اوربي اليها في تلك الظروف هياج بين الرعاع فأجلت سفري إلى الغد. أمّا في ما يختص بحالة البلاد العامة فيمكن القول ان السكون الذي بدأ عند وصول فؤاد باشا مستمرّ. ان وجود ٧ الاف جندي في دمشق و٢٠ بارجة حربية في ثغر بيروت وحامية عدد رجالها ١٥٠٠ من شأنه توطيد سلطة السلطان وتأمين المسيحيين بيد انهم لا يزالون عرضة للوعيد والاهانات والنهب في كثير من الانحاء. ان بغض المسيحيين لمتأصل في اعماق قلوب المسلمين ويعرف مقداره من محاولتهم في الاسبوع المنقضي دسّ السم في أرغفة الخبز الموزعة على اللاجئين الى القلعة فذهب بحياة ٧ الى ٨ منهم قبل اكتشاف هذه الدسيسة الشيطانية. ويسرني ان اقول ان قد قُبض حالاً على الخبّاز وسائر المظنون فيهم.

من الشائع انه ينتظر قدوم ٥ الاف جندي من الاستانة. وعند وصولهم يتسنى ايفاد بعثة إلى جوار حاصبيا وراشيا الفخّار غربي سفح جبل حرمون (جبل الشيخ) حيث باق كثيرون من المسيحيين معظمهم من النساء والاولاد عرضة لاعتداءات الدروز او الهلاك قتلاً أو الخوف من ان يصحبوهم معهم اذا ما عمدوا الى الاعتصام بجبال حوران. ويوجد أيضاً الاشخاص الذين فرّوا من القرى المجاورة حاصبيا حين المذبحة فشملتهم شقيقة سعيد بك جنبلاط بحمايتها حتى الان لكنها أمست لا تقدر على مواصلة وقايتهم أو لا تريد.

وصل الى هنا في ٤ الجاري ٣ الاف من المسيحيين الذين كانوا محشورين في قلعة دمشق منذ المذبحة واغلبهم من النساء والاولاد وهم في حالة يرثى لها ولم يزل في القلعة ١٢ الفاً لم يُتمكن من ايجاد لوازم سفرهم وحرس لهم وقد أمسوا بلا

مأوى وفي فقر مدقع لان كثيرات منهنّ فقدنَ رجالهنّ واقاربهنّ الذكور فقد قُتل ٣ الاف ذكر من مسيحيي دمشق خلا ٢٠٠٠ قروي كانوا لجأوا اليها طلباً للنجاة . يرجى ايجاد مراكب وحرس لارسال قافلة أخرى من اللاجئين بعد يوم أو يومين .

بدأ فؤاد باشا في ٢ الجاري بالقاء القبض على بعض الجناة بعد ان ضاعف حرس دور القنصليات وزاد عدد الجنود في شوارع المدينة وقد بلغ عدد الذين قبض عليم حتى الان زهاء الالف ومعظمهم من الغوغاء وان كان قد سجن منذ يوم أو يومين بعض اعيان القوم . يخشى كثيراً من حدوث مقاومة اذا ما عوقب مسلم على ما جنت يداه انما لم تطلق بندقية حتى الان . ويظهر ان السفّاحين كانوا يعتقدون ان الباشا يقتصر على تغريمهم وحبسهم وتجنيدهم وارسال بعض اعيانهم إلى الاستانة أمّا الان فقد قلقت افكارهم وأمسوا يخافون من ان يعاملهم بأشدّ قسوة فمنذ ١٦ سنة لم يكن يُعدم مسلم لقتله مسيحياً ولذلك يصعب عليهم ان يتصوروا بان الامور تبدّلت . ان اعمال دولته حتى الان هي مقرونة بالحذر لكنها حازمة .

قد جُمع قسم كبير من الامتعة الضخمة المنهوبة ذات القيمة التافهة أمّا الثمينة فلم يهتدَ اليها .

قدم بيروت في ٥ الجاري أحد اركان حرب فؤاد باشا واخبر ان قد قُبض على ٤٠٠ من الجناة .

وصلني هذا الصباح كتب من دمشق وفيها انه لم يُعرف ما اذا كان أُعدم احد لان معاملة السجنى جارية تحت طي الكتمان الشديد .

اذاعت الحكومة منذ بضعة ايام نشرة تخبر فيها ان بعثة عسكرية اجنبية تصل قريباً إلى سورياً بناء على رغبة السلطان فيجب ان تقابل بولاء واعتقد ان ذلك يزيل اوهام المسلمين في الداخلية .

ان زعماء الدروز يعقدون الاجتماعات في انحاء مختلفة من الجبل وقد انتدوا أمس في مكان يبعد عشرة أميال عن بيروت وعقد سعيد بك اجتماعاً اخر قرب راشيا قصد الاتفاق على رأي او خطة عامة على ما أرجح. فقد شعروا الان بانه ستلقى على عاتقهم كل المسئولية وأخذوا يجهرون بان أرباب الحكومة العثمانية شجعوهم على عملهم وعضدوهم مع انه ليس لديهم كتاب يثبت ذلك. بيدَ انهُ يوجد أمر جدير بالفات الانظار وهو ان الاماكن التي حدثت فيها أهم المذابح هي التي كان فيها حاميات تركية يؤيد ذلك فواجع حاصبيا وراشيا ودير القمر وصيدا وزحله ودمشق فهذه المدن كانت فيها أهم الحاميات .... حتي ان قربتي بعبدا والحدث الكائنتين قرب بيروت قد حُرقتا بينا كان خورشيد باشا معسكراً بجنوده على مسافة ٣٠٠ يرد منهما وعلى مرأى منه دون ان يبدي أقل حركة لانقاذهما وجل ما فعلته الجنود التركية انها تراكضت كالباشبوزق لنهب بيوت المسيحيين.

علمت من احصاء أجري انه كان في سورية حين اشتعال نيران الفتنة من ٤ الى ٥ الاف جندي ولي الامل باني سأتمكن قريباً من الوقوف على عددهم الحقيقي وكيفية توزيعهم. (عدد ٩١ ص ٧٦ ـ ٧٧)

١٥٩ – اللورد روسل الى الارل كولي في ١٣ منه

لما كان من الممكن ان يطرأ على بال الحكومة الفرنسوية ضرورة الحاق الجنود التي ارسلتها الى سورية بغيرها اكمالاً لعدد الستة الاف جندي المعين في الصك الدولي « برتوكول » الموقع في ٣ الجاري فينبغي عليكم ان توقفوني على رأيها في هذا الصدد. وعند ئذٍ تبحث حكومة جلالة الملكة في ما إذا كان من موجب لتعزيز هذه البعثة فتقوم هي بارسال الباقي من الجنود أو نصفها.

ومما نرغب فيه الان ان لا تذهب فرقة الجنود الفرنسوية الى دمشق لان

الانباء الواردة من هناك تنذر بامكان ايقاظها تعصب المسلمين مجددًا .

(عدد ٧٥ ص ٥٧ ـ ٥٨)

١٦٠ ـ الارل كولي الى اللورد روسل في ١٤ منه

اتشرَّف فاخبركم جوابًا على رسالة سيادتكم بتاريخ أمس بانه لا أثر لرغبة الحكومة الفرنسويَّة في تعزيز جيشها في سوريَّة ولم يجل شيء من هذا في خاطر المسيو توفنيل . ولما بسطتُ لدولتهِ ان هياج الافكار في دمشق يدعو الى الرغبة في عدم ذهاب الجنود الفرنسويَّة اليها أجابني ان ليس في النيـة ان تيممها دون ان يستدعيها فوَّاد باشا وزاد ان على الحكومة الانكليزيَّة ان تثق بان القائد العام دي بوفور لا يأتي حركة من شأنها اثارة هياج الافكار وقد كفله امبراطوره .

(عدد ٨٠ ص ٥٩ ـ ٦٠)

١٦١ ـ السر بولفر الى اللورد روسل . عن طرابلس في ٨ منه

اني مرسل إلى سيادتكم الكتب والتعاليم التي انفذتها الى قناصل جلالة الملكة في سورية .

وعندي انهُ اذا أُريد اعادة الامان دون سفك دماء كثيرة ينبغي ألاَّ يُنظر الى الاحوال من جهة واحدة بل ان نجعل ذواتنا في موقف الطوائف المختلفة السائد بينها الهياج الان . ان المسيحيين يوجسون خيفة من المسلمين وهم محقون انما هناك ايضًا قلق منتشر بين المسلمين بخصوص نيَّات المسيحيين لا اعني المسيحيين الوطنيـين خاصةً بل عمومهم وقد كانوا سبب فوران ثائر المسلمين وتعصبهم واقدامهم على ارتكاب الفظائع الحديثة . لا يمكن انكار كون المسلمين في سوريَّة وفي سائر انحاء تركيَّا قد اعتقدوا حديثًا بوجود خطة يراد بها اخضاعهم لطبقة اعتادوا ان يعدُّوها دونهم مقامًا

وتسويدها عليهم (اقول هذا وانا واجف من سوء مغبة هذا الاعتقاد)

اظن ان عالي باشا تجاوز الحد في مخاوفه من هذا القبيل بيدَ اني اشاطره بعض انجاسه من ان وصول الجنود الفرنسوية إلى سوريا يزيد هذا الاعتقاد المستولي على جميع العقول رسوخًا وان كان فاسدًا. وعلى كل حال أرى ان الطريقة الوحيدة الكافلة تطمين جميع الافكار هي السعي لازالة هذه الريبة من العقول على قدر الامكان. ان ما كتبتهُ الى فناصل جلالة الملكة يرمي الى ادخال هذه الافكار التي اعتقد بصحتها ـ في عقول هؤلاء المأمورين لترشدهم الى الخطة السديدة في وسط المصاعب والمشاكل التي تحيط بهم الان . (عدد ٨٣ ص ٦٣)

١٦٢ ـ السير بولفر الى السر مور في ٨ منه [افطاف]

لئن كان ليس لديَّ اراء خطيرة ابثكم اياها إلاَّ وتوحي بها الحوادث الى نيّرتكم أرى انه يجدر بي ان احدثكم بما عنَّ لي بهذه المناسبة.

ان جل رغبتنا ان تُنتهج في سوريَّة خطة حازمة عادلة وان يتضح ما غمض من أسباب النزاع الذي وقع بين قبائلها المتعادية وفتنة المسلمين التي عقبته أو صحبته وان يُعاقب زعماؤها والنافخون في نارها وألاَّ يفلت احد منهم. أمَّا بخصوص مأموري الحكومة التركية فيجب ان يراعى تفاوت درجات جنايتهم فالذين نهبوا وقتلوا او سمحوا للاشخاص الموضوعين تحت ادارتهم ان ينهبوا ويقتلوا يعدون في مصاف الجناة من الطبقة الاولى اما الذين تواطئوا على القلاقل الاخيرة مباشرة او بالواسطة او شاركوا فيها فيحصون بين الجناة من الطبقة الثانية ويستحقون اشد العقاب والذين لم يقوموا بالواجب المفروض عليهم ان عن ضعف او اهمال يؤلفون طبقة ثالثة فيجردون من رتبهم ويفصلون عن وظائفهم ويُحكم عليهم في بعض الظروف بجزاء شديد يناسب ذنبهم. انما ينبغي ان تراعى العدالة المقرونة بالشدة مع

تحاشي التطرف انتقاماً لئلّا يدفع الفريق المظلوم الى اليأس وان كان يشفي غليل الفريق الآخر .

ان الوشاية والنميمة هما من احط اخلاق الشرقيين .

وأرى ايضاً انهُ يجب سرعة اتمام ما يراد عمله لانه يكون لهُ وقع عظيم وينشأ عنه تأثير مفيد من جهة ويحول دون انتشار الفوضى من جهة أخرى

امّا ما يتعلق بمسألة الدروز والموارنة فسينظر فيها مندوبو الدول الخمس . واجهر انهُ طالما ترآى لي ان الموارنة هم البادئون بالقتال ويظهر ان قد هيّجهم الاعتقاد بان فرنسا ستستولي على البلاد فاحدثوا نفوراً كانت عاقبته عليهم وخيمة . واعتقد ايضاً ان الخطة التي نهجها بعض قناصل الدول وروح التسلط الذي ابدوه كان لهما القسم الاوفر في غليان مراجل الاحقاد التي انفجرت بصورة هائلة في قسم من سوريا ولا تزال فاثرة في سائر انحائها

و يستفاد ايضاً من الانباء التي بلغتني ومن الرسائل المتضمنة المطاعن والمثالب التي عثرت عليها انهُ كان هناك دسيسة لتحريض المسيحيين على المسلمين وبالعكس لاثارة ظنون الفريقين والقاء الشقاق بينهما . فاذا تمكنتم من الوقوف على شيء بهذا الشأن فارغب اليكم ان تبلغونيه على عِلّاته

عرفت من رسالاتكم ورسائل غيركم بوجود ظن في ان الباب العالي شجع على الفتنة الاخيرة فلربما فعل بعض موظفيه ذلك وان كان يستبعد امكان حدوثه لاول وهلة انما يمكنكم ان تتيقنوا ان عالي باشا وفؤاد باشا ليسا شريرين او غبيين بهذا المقدار ليتواطئا على هذه الدسيسة وسيزيلان هذا الوهم اذا كان لهُ ثمة من وجود

اني افقه جيداً ان يكون العقل ميّالاً الى مثل هذه التصورات الهيولية متى كان صاحبه في وسط الكوائن التي احدثت الفواجع الهائلة لكني ارغب اليكم في ان لا تعيروا أخبار الدسائس والمذابح والمبالغ فيها أقل ثقة . ان الخوف في جهة يولد

مثله في الجهة الاخرى ومتى كان فريقان متعاديان يحاذر كل منهما الآخر ـ وان كان لا اساس لهذه المخاوف ـ فاقل حادث يقع يوقد بينهما نار القتال . وكثيرًا ما يبذل الراجمون في الغيب في سبيل تحقيق تكهناتهم وحدسهم ذات الغيرة التي يبدونها عند التفوه بها. هذا وقد قصدت بما تقدم الاخبار التي لا تثبت على السبك.

(عدد ٨٣ ملحق ٣ ص ٦٥ ـ ٦٦)

١٦٣ – السير بولفر الى القنصل برانت في ٨ منه

قرأتُ كل رسائلكم حتى ٢٣ المنقضي فاعرب لكم عن ودّي الخالص لكم واعجابي بكم ان بالنظر للحالة الحرجة التي انتم بها وان ما تجشمتموه من الاتعاب وركبتموه من الاخطار واغتبط كثيرًا اذا كان استحساني سلوككم فيهِ رضاكم

وفي الحقيقة ارى انكم تصرفتم في هذه الظروف الحرجة بسكون جأش وبسالة. ومع كونكم لم تتوقعوا امكان انقضاض هذه الكوارث كبعض رصفائكم فانا متيقن انه لو كانوا جميعهم سلكوا خطة هادئة مثلكم لما انقلب الهياج الذي نشأ عنه اضطرابات غير ذات بال الى فتنة هائلة كهذه .

ان هياجًا عامًّا مثل هذا ينتهي عادة باثارة اهواء الفريق النازع الى المشاغب ويضعف عزائم الفريق الواهن القوى أو الاكثر اعتدالاً متى داهمه الخطر. فهذه هي الاسباب التي تجعل الحكومات ان تتردد والرعاع ينتصرون في الازمات كالتي حدثت في سورية .

بيد انه يتعذر الدفاع عن سلوك احمد باشا لانه لم يظهر انه حرك ساكنًا أو سعى بوجهٍ ما لاطفاء جمرة الاضطرابات التي اججها بارساله عن استخفاف وازدراء بعض الصبيان المسلمين لتكنيس الحي المسيحي. وسيعاد الى دمشق لمحاكمته ونرجو ان نتمكن اذ ذاك من معرفة مقدار ذنبه .

ولا يغرب عن البال انه كان مستاء من الباب العالي وربّما تهاون مدفوعاً برغبته في ان يثبت لهُ صوابية المخاوف التي ابداها لمّا انقصت الحكومة كثيرًا عدد الجنود التي بأمرته. ومن الممكن ان يكون هذا الاستياء قد دفعه الى عدم الاهتمام بالفتنة التي اشتعلت واهمال امرها او قادته الى الارتباط بمثيريها اكثر ممّا كان يريد. وعلى كل فان العدالة ستأخذ مجراها بيدَ انهُ يجب في الوقت ذاته تحاشي الانتقام وألاّ يؤخذ شعب بكامله بجريرة بعض رعاعه.

اني اعلق بعض الاهمية على ما تقدم والحّ به لانه اذا أُثير خلاف ديني الان بين المسلمين والمسيحيين يخشى ان يمتد الى الولايات المجاورة فيجر وراءه كوارث يتعذر تلافيها أو الاثآر لها. وفي رأيي يجب ان تُعد الحرب بين الموارنة والدروز مسألة قائمة بذاتها اذ يمكن وجود مثال لها مع ما اشتهرت بهِ من الفظائع كلما اشتبك القتال بين قبائل حربية وجدت في ذات الحالة وبينها عداء قديم متوارث.

امّا قيام المسلمين على المسيحيين فهي مسألة أُخرى فاكون مسرورًا اذا شئتم ان تبدوا لي رأيكم الصائب في أُصول هذه الفتنة العميقة ودائرة اتساعها والاسباب التي ايقظتها أو على الاقل في دمشق. وأهمّ شيء في جميع هذه الحوادث هو بيان ما اذا كانت فجائية أو نتيجة دسيسة.

ونرجو بان الوسائل التي عوّل عليها فؤاد باشا ستأتي بالفائدة التي اتمناها لها. فرغبته في اصلاح ذات البين بين الفريقين المتعاديين يمكن ان تلاقي نجاحًا في الوقت المناسب انّما يجب اعادة الامن الى نصابه وتوطيد أركان السلطة قبل ان يتسنى له انتهاج سياسة المسالمة والصلح على ما أُرجح. وعليه فنجاح كل شيء معلق على حسن اختيار الزمان الموآتي.

قد علمتم ان قد تقرر أمر التدخل الاجنبي. أما كيفية اجراء هذا التدخل فسيكون موقوفًا على الظروف بيدَ انهُ لمّا كان يجب ألاّ يكون مستمرًا وكان

يُقصد بهِ اعادة هيبة السلطان فيجدر ان تكون هذه الغاية الواضحة المعينة نصب عينه فلا يتجاوزها . ومن ثمه لما كان الشر الاعظم الذي حلَّ حديثًا بالحكومة العثمانية في سوريًا بل في سائر ولاياتها هو ضعفها فكل ما يفعل الان ان كان بواسطة التدخل الاجنبي او بغيره ينبغي ان يوجه الى ازالة هذا الضعف تمامًا واقامة حكومة هذه الايالة على اساس اكثر متانة مما كانت عليه حديثًا بل اكثر مما كانت عليه في كل آن ولم تزل عليه . (عدد ٨٣ ملحق ٤ ص ٦٦ ـ ٦٧)

١٦٤ – القنصل برانت الى اللورد روسل . عن دمشق في ١٣ منه

اتشرف بان ارسل لسيادتكم رواية كبيرة الاهمية كتبها المستر سيريل كراهام وصف بهـا ما شاهده في زيارته حاصبيًا وراشيًا . ليس في طاقتي ان اضيف اليها شيئًا يزيد في اهميتها كما انه لا توجد عبارة تقوى على ان تزيد في هول هذه المشاهد التي مثلها المستر كراهام أمام اعيننا مجسمة .

وانبي سيادتكم ان دولة فؤاد باشا قد اتخذ الوسائل لانقاذ هـذا الشعب المسكين من الخطر الذي يهدده . (عدد ١٠٢ ص ٨٥)

١٦٥ – وصف حالة مسيحيي حاصبيا وراشيا للمستر كراهام بالتاريخ ذاته

لمَّا كان بعض اللاجئين من حاصبيًا وراشيًا قد اوقفوني على اخبار واردة عليهم في ٦ و٧ آب تصف سوء حالة المسيحيين في البلدتين المذكورتين اللتين جرت بهما المذابح حديثًا عزمت على زيارتهما في الحال .

وفي ٨ منه حدثت صاحب الدولة فؤاد باشا بما نويت وطلبت اليه ان يجيز لي ابعاد المسيحيين عن تلك النواحي اذا اقتضى الامر او اتخاذ اضمن الوسائل لتأمينهم ووقاية حياتهم . فاظهر لي الباشا سروره من اقتراحي وقال انه قلق البال كثيرًا على

تلك الناحية ويود الوقوف على أخبار صادقة عمّا هو جارٍ فيها ومع ذلك لم يتمكن من تحقيق رغبته ثم أمر لي في الحال بحرس ووعدني بانه سيبني الوسائل التي سيتخذها لوقاية النواحي الواقعة في سفح جبل حرمون على افاداتي واعطاني ٢٠ الف غرش لاوزعها على المسيحيين التعساء الذين ازورهم .

فغادرتُ دمشق مساء ذلك اليوم الاربعاء ٨ آب وبلغت راشيّا صباح اليوم التالي فقصدت بيت خزاعي العريان أحد زعماء الدروز وبدأت حالاً بالاستقصاء عن عدد المسيحيين الباقين في المدينة وعن حالتهم فتحققت انهم بحالة يرثى لها وان ليس لديهم للاقتيات سوى ما يجود عليهم به الدروز وهو دون الطفيف. اما عددهم فـ ١١٠٠ نسمة فيهم ٧٦ رجلاً لان سائر الذكور قُتلوا وقليل لجأ الى دمشق وبيروت. ولما شئت توزيع المال الموكول الى عنايتي قسمت النساء والاولاد إلى عدة اقسام حسب احياء المدينة التي كانوا يقطنونها وجعلت كل قسم في غرفة وحينئذٍ بدأت بادخال النساء والاولاد عليّ فرداً فرداً فسلّمتهم المال يداً بيد بحيث تسنى لي ان احصي عدد المسيحيين الباقين في راشيّا . على ان الدروز اغتاظوا كثيراً مني وجاء جمهور غفير يسألني عن سبب مجيئي إلى بلدتهم وغايتي وعمّا افعل فيها .

يوجد في حاصبيّا زعيمان احدهما خزاعي آغا العريان المذكور آنفاً والاخر محمد النصار وهذا الاخير لا يلفظ اسمه المسيحيون الاّ بمزيد الرعب والاشمئزاز لانهُ كان زعيم المحرضين والعاملين في مذبحة ١١ حزيران . فجاء لزيارتي في بيت خزاعي آغا وجرى بيننا حديث فظهر لي منه انه لا يزال يعتقد ككثيرين من الدروز ان لا بدّ للحكومة الانكليزية من ان تكون مرتاحة كل الارتياح الى ما فعلوه لظنهم انهم بتقليلهم عدد المسيحيين قد خدمونا لان ذلك يؤول الى ضعف نفوذ فرنسا في هذه البلاد ! فابنت له ضلاله وصرحت له بان العالم المتمدن ارتاع من فظائعهم وان الشعب الانكليزي هو اكثر الشعوب مقتاً وكرهاً لاعمالهم المشنوّة .

واذ ذاك تشوقوا الى معرفة ما يتعلق بالبعثة العسكرية الفرنسوية لاضطراب افكارهم من جرّائها وجهروا بانها اذا نزلت جنودها الى البر وحاولت التوغل في الداخلية يقتلون في الحال من بقي من المسيحيين . ثم خرج الزعيم محمد النصار وقال لبعض الجزائريين اتباع الامير عبدالقادر الذين كانوا بصحبتي ان الدروز سيقتلونني لسوء نياتي نحوهم . وكان قد سبق له ان قال لي تكرارًا انهُ لا يحفل بالسلطان وحكومته ويحتقرهما وان الدروز هم شعب حرّ يعجّزون كل قوّة عن منازلتهم .

وفي ذلك الليل قصدت حاصبيًا مارًّا بقريتي الكفير وميمس اللتين حُرقت فيهما جميع بيوت المسيحيين وقُتل ١١٠ منهم وتابعت طريقي حتى بلغت حاصبيًا وهي ثانية مدن بلاد جبل حرمون . وهناك بحثت ودققت كما فعلت في الاولى واحصيت النساء والاولاد ووزعت الحسنات وتقبلت زيارة وجوهها . فوجدت ان عدد المسيحيين الباقين فيها لا يتجاوز ١٤٣٠ نسمة وقد كان منذ ٣ اشهر لا اقل من ٣٢٠٠ وبعضهم موجود في بيروت ودمشق انّما اخشى ان يكون ذُبح منهم اكثر من ١٣٠٠ . اما المسيحيون هنا فهم في حالة شقاء كاخوانهم في راشيًا وفي كلتا المدينتين يرتجفون خوفًا من ذبح الدروز لهم لانهم عادوا الى هياجهم السابق .

زرت دار الحكومة فوجدتها ملأى بجثث المسيحيين التي لم تُدفن ومن العجيب انه لم يدب اليها الفساد وربّما تكون قد صهرتها شمس سوريّة . ان المشهد لهائل فالجثث مطروحة على بلاط ساحة السراي بهيئات مختلفة وقد صبغ الدم الحجارة البيضاء فامسى لونها قاتمًا . أمّا غرف الطابق العلوي فمنظرها أشد هولاً ففي اكثرها رأيت الجثث متراكمة فوق بعضها الى علو ٥ او ٦ اقدام وممددة كما وقعت . وممّا زاد في هول هذا المشهد الذي تقشعرّ لهُ الابدان ان النساء المنكودات الحظ اللواتي تبعنني اخذنَ يعولنَ ويندبنَ ويذرفنَ الدموع على هذه الجثث ويقدنني من جثة الى اخرى ويخبرنني كيف رأينَ اخوانهنّ واباءهنّ وازواجهنّ واولادهنّ يذبحون

امام اعينهن وسألنني ان اشهد بما رأيت للاخذ بثأرهن . أمّا الدروز الذين صحبوني فاستسلموا لمظاهر الفرح عند مشاهدتهم هذه الجثث وأراني احدهم زوج «غدّارات» مفضضة كسرت احداها بينا كان يشجّ بها رؤوس المسيحيين . فندب غدّارته صارخا : « انها تعطلت من جماجمهم الصلبة الملعونة . »

ان الدروز هنا امسوا أشد ظماء للدماء واكثر جراءة من ذي قبل . وقد سبق لي ان طفت في كل انحاء بلادهم وزرت معاقلهم في حوران فاستقبلت في كل مكان بولاء أمّا الآن فهم يتكلمون بوقاحة مفاخرين بعدد المسيحيين الذين ذبحوهم ويعلنون انهم يبددون شمل كل قوة ترسل عليهم .

ان الامير سعد الدين وقد كان مكروهاً من الدروز قد قطع راسه ورميت جثته الى اسفل جدران القصر . ويقال ان الدروز حين هجموا على داخل السراي واخذوا يذبحون المسيحيين قال بعضهم : « اذا فعلنا كذلك نخسر ثيابهم فدعونا نجردهم منها ثم اقتلوهم . » فانقاد الباقون لهذا الرأي وبعد ان نزعوا عنهم ثيابهم ذبحوهم وهم ناعمو البال . بحثت منقباً في امر المدفع الذي كان مع قائد الجنود في «سراي» حاصبيّا وكم مرة اطلق الخ . . فقال المسيحيون انه أطلق ٢٧ مرة بيد ان جميع قذائفه أصابت بيوت حيهم فحرقتها . لقد صدقوا . ولمّا استوضحت الدروز اجابوني : « نعم قد صوّب عثمان بك قذائف مدفعه الينا لكنه اخطأ احكامه وتسديد رميه فاهلك المسيحيين عوضاً عنّا . » ان عثمان بك فتح أبواب السراي فانقضّ الدروز وبدأوا بذبح المسيحيين اللاجئين اليها .

وفي المساء هددني الدروز بالقتل مجدداً وحدث شجار بينهم وبين احد اتباعي فهجم عليه درزيّان وكادا يقتلانه لولم يتوسط بينهما اخرون . ثم انطلقت مجتازاً بعض القرى المحروقة حيث كان بعض المسيحيين يرتعدون خوفاً على حياتهم وعدت الى راشيّا فزرت دار الحكومة فرأيت فيها ما رأيت في حاصبيّا وغادرتها قاصداً دمشق

فبلغتها صباح ١٢ الجاري .

وكانت نتيجة رحلتي والتحقيق الذي اجريته ان تأكدت الخطر العظيم المحيق بالمسيحيين فلا يجسر أحد منهم ان يخطو خطوة خارج المدن وفي كل اسبوع يُعتدى على كثيرين منهم ويُقتلون فيهددهم الدروز باستئصال شأفتهم إذا ما حاولوا الهرب الى بيروت .

وفي هذا النهار قابلتُ فؤاد باشا مجددًا وقصصتُ عليه تفاصيل رحلتي وعرضت عليه ان يتخذ وسائل عاجلة لابعاد المسيحيين المقيمين حوالى جبل حرمون وعددهم زهاء ٢٦٠٠ نسمة او ان يضمن سلامتهم إذا بقوا هناك وفي كلا الحالين يجب ارسال قوّة كبيرة من الجند. واقترحتُ عليه بخصوص راشيا ان يستدعي اليه الزعيم خزاعي العريان الذي احسن السلوك ويؤمَن منه اذا شاء ان يأتي دمشق وان يتفق معه على حماية المسيحيين فيحدث بذلك انشقاقًا بين حزبي الدروز في تلك المدينة ممّا يمهد للباشا السبيل الى حماية المسيحيين من اعتداء محمد النصّار الزعيم الآخر بارساله قوّة صغيرة من الجند

فاستصوب دولته هذا الرأي وأنفذ في الحال رسولاً الى الشيخ خزاعي وأمر في الوقت ذاته بارسال ١٥٠ جزائريًا الى راشيا بأقرب آن . ان تابورًا من الجنود النظامية آتٍ من بيروت الى حاصبيا . ويصعب معرفة نتيجة هذه الوسائل فربّما احدثت مجزرة على ان المسألة أمست بين أمرين أو ترك المسيحيين عرضةً لاعتداءات الدروز الذين يهددونهم باهلاك الرجال والنساء والاطفال عندما يبلغهم خبر نزول الجنود الفرنسويّة الى البرّ ـ ونحن نعرف ان وعيد الدروز يصحبه انجاز ـ أو ان نخاطر بارسال قوّة من الجند لمساعدة هؤلاء المسيحيين . ارجو بل اعتقد ان الجنود تتمكن بسرعة حركاتها من الوصول الى هاتين المدينتين فجأةً واحتلال داري الحكومة فيهما ونصب مدافعها واذ ذاك يزول كل خطر لانه يمكن جمع المسيحيين

في «السراي» فيتشتت شمل الدروز بتسديد افواه المدافع الى بيوتهم. وقد بذل الباشا نشاطاً وأسرع باتخاذ هذه التحوطات بحيث صار في وسعنا ان نأمل النجاح واذا رؤيَ ان الحالة حرجة فيُرسل المسيحيون إذ ذاك بخفارة قوة كبيرة من الجند الى المدن الواقعة على سيف البحر حيث يستطيعون السفر الى مصر أو قندية كما فعل غيرهم. (عدد ١٠٢ ملحق ١ ص ٨٥ ـ ٨٨)

١٦٦ ـ صور الى اللورد روسل في ١٠ منه

اتشرّف فانبئكم بان أحمد باشا مشير ايالة دمشق ووواليها سابقاً عاد الى بيروت في ٨ الجاري وقد أرسلهُ الباب العالي لمحاكمتهِ في محل جنايتهِ ومن المظنون انهُ سيلحق بهِ للغرض ذاته خورشيد باشا والي بيروت سابقاً (صيدا) فكل ثناء يقصر عن ايفاء هذا العمل حقه. وقصارى القول ان لا شيء يطابق مقتضيات الحالة او يضمن جريان المحاكمة على سننها القويمة اظهاراً للشهادات اللازمة والادلّة الثابتة المفصلة سوى تحقيق محلي.

وائن كان لم يحدث لحسن الجد فتنة جديدة أو اضطرابات ذات بال في مكان ما بيدَ اني اخبركم بان الفوضى سائدة في البلاد وبان الدروز مواصلون اعتداءاتهم على المسيحيين ونهبهم غير مراعين صك الصلح الذي عُقد بينهم. وفي طيهِ عريضة رفعها إليَّ بعض الناجين من مجزرة حاصبيا فتعلمون منها سيادتكم ما هو جارٍ في كل مكان. ولم افتر عن مواصلة مساعيَّ لدى الحكومة التركية للحصول على وقاية هذا الشعب التاعس فاني ملاحق ارباب الشأن كتابةً وشفاهاً انما انا آسفٌ على ان تعللهم باضطرارهم الى استئذان فؤاد باشا الموجود في دمشق يحول دون سرعة اتخاذ التحوطات التي اود بان يعمد اليها في مثل هذه الظروف الحرجة. وقد توقفت بواسطة الحاحي بهذه القضية الى حمل الموظفين المذكورين على ايفاد رسول خاص

الى فؤاد باشا لاطلاعه على حالة مسيحيي حاصبيا اللاجئين ليبادر الى مدّ يد المعونة لهم.

لقد استولى على الدروز قلق وجزع عظيمان منذ وردت اخبار البعثة العسكرية الفرنسوية وقد عقد زعماؤهم حديثاً اجتماعاً كبيراً في العرقوب اقطاعة اسرة عماد للنظر في موقفهم والتعويل على انتهاج خطة لدى الاقتضاء. وقد اخبرني احدهم بواسطة معتمده ان قد استقرّ رأيهم على التوغل في الداخلية عند قدوم الجنود الفرنسوية لمحاربتهم وعلى رفع عرائض الى حكومتي انكلترة وتركيا احتجاجاً على سوء معاملة الجنود لهم . . .

ملحق : ان فؤاد باشا ارسل بناء على ملاحظتي أمراً الى اسمعيل باشا قائد الجنود في بيروت ان يرسل تابوراً لحماية مسيحيي حاصبيا وراشيا وقد أوعز الى هذه الجنود بمهاجمة الدروز اذا استمرّوا على ارهاق المسيحيين والاساءة اليهم.

(عدد ٩٢ ص ٧٨)

١٦٧ – صور الى اللورد جرج روسل في ١٥ منه

اني عطفاً على ما تضمنتهُ رسالتي المؤرخة في ١٠ الجاري بخصوص استمرار الاضطرابات رغماً عن وجود فؤاد باشا وقوّة عسكرية عظيمة والصلح المزعومة بين الموارنة والدروز اتشرّف بان ارسل اليكم في طيهِ ترجمة العريضة التي تلقيتها أمس من مسيحيي البقاع (سهل سورية المجوّفة) وهي تشتمل على وصف ما أتاهُ الدروز من الفظائع بامرأتين مسيحيتين وترجمة كتابين مورخين في ١٣ و١٤ الجاري انفذهما إليّ المستر ابيلا فيس قنصل صيدا عن الحالة الحاضرة في ضواحي هذه المدينة. فقد قتل الدروز منذ بضعة ايام مسيحياً في قرية ارصون بصورة فظيعة جداً وجميع هذا يجري على مرأى أرباب الحكومة التركية الذين لا يحركون ساكناً لوضع حدٍ لهذه الاعتداءات. وقد اوقفت حضرة أمير البحر مارتين على هذه الحوادث فكتب الى

فؤاد باشا في دمشق والى مصطفى باشا هنا محتجاً . أمّا انا فباذل قصارى جهدي في سبيل الراحة وتسكين الافكار انّما الامل ضعيف بارباب السلطة لانهم عوضاً عن ان يقوموا بواجبهم يسيرون وفقاً لروح قائد الجنود في صيدا وهو الذي روى عنه الموسيو ابيلّا في كتابه الثاني انه طلب الى قائد البارجة «نبتون» ألاّ يسمح لضبّاطه ان يدخلوا البساتين الكائنة على مسافة ميلين عن صيدا لانه لا يضمن سلامتهم جاعلاً هذه المدينة مع حاميتها من الجنود النظامية والسفن الحربية التركية الراسية في مياهها عرضةً لاعتداء عصابة صغيرة من اشقياء الدروز في حين يمكنه تفريق شملهم اذا كالمهم بلهجة شديدة .

ملحق في ١٦ منه: بعد انفاذ كتابي السابق علمت بسرور ان الحكومة التركية اتخذت وسائل موآتية فان حاكم صيدا فُصل وأُرسلت الجنود التي فيها مع ضبّاطها الى حاصبيّا وراشيّا بامرة حسن بك (الكولونل اوريلّي) وصدر الامر الى التابور المرابط على حدود القائم مقاميتين الدرزية والمسيحية بصد الدروز واطلاق النار عليهم اذا اقتضى الامر . (عدد ١٠٤ ص ٨٩)

١٦٨ — مسيحيو ثمانية قرى في البقاع الى القنصل مور في ١٤ منه

ان خدمكم سكّان البقاع وقراه وفلّاحيه يبسطون لسعادتكم انهم منذ نشبت الحرب الاهلية بين المسيحيين والدروز في جبل لبنان رفعوا عريضة الى عاشور افندي قائم مقام البقاع التماساً لحمايته متعهدين بالبقاء في بيوتنا متجنبين الاشتراك في حوادث الجبل وقلاقله لاننا رعايا الباب العالي منصرفون إلى اعمالنا ندفع ما يتوجب علينا الى الحكومة ونحترم أوامرها متحاشين كل خلاف . فكان جواب القائم مقام المذكور انه ارسل عريضتنا الى دولة المشير في دمشق ولم يرد لهُ منه جواب . ثم كررنا تقديم مثل هذه العريضة وبقيت حالتنا على ما كانت عليه الى ان بدأ القتل والنهب والحريق

في بعض قرانا فلزمنا بيوتنا الى ان قدم المعلقة حسني بك أميرالاي الفرسان في بعلبك واستدعى الشيخ كنج العماد الزعيم الدرزي المعين من قِبل الحكومة لحماية البقاع .

فجاء الشيخ المذكور الى المرج إحدى قرى البقاع واختلى باميرالاي حسني بك وبعاشور افندي القائم مقام المشار اليهما واستمرّت مفاوضتهم حتى المساء واذ ذاك ذهب كل منهم الى جهته . وفي ذلك الليل قصد الشيخ كنج قرية جب جنين حيث التقى بـ ٨ مسيحيين من كفرحونه فسلبهم جمالهم وبغالهم وكل اموالهم ثم قتلهم . ولمّا نظرنا هذه الاعمال تركنا بيوتنا وكل ما نملكه وهربنا الى المعلقة مقرّ القائم مقام دون ان نصطحب شيئاً من اموالنا وماشيتنا وقصصنا على القائم مقام واميرالاي حسني بك وضبّاطه كل ما جرى لنا فركب القائم مقام في الحال وجاء البقاع حيث توجد قرانا واجتاز الناحية المعروفة بشرقي البقاع حتى أتى قرية القرعون الواقعة على الحدود ثم عاد . وفي تلك الليلة نُهبت جميع قرانا وحُرقت وقُتل من بقي فيها شيوخاً واحداثاً بينهم النساء والاطفال وافتُضت البنات . وقصارى الكلام ان الفظائع التي اقترفت لم يسبق لها مثيل فقد دُمرت كنائسنا مع بيوتنا وسُلبنا كل حيواناتنا .

وقد أنزلت بنا جميع هذه البلايا دون ان نأتي ما يجلب غضب الباب العالي او الدروز علينا واضطررنا الى الهرب من المعلقة بعد ان التمسنا تكراراً على غير جدوى وقاية دمائنا وعرضنا ونحن الان مختبئون في الجبال عراة جياع لا نملك ما نسدّ بهِ رمقنا نذوق أمرّ الموت . فليس لنا ملجأ سوى دولتكم العظيمة ينبوع الشفقة والرحمة للذين يستمدون عونها وقد رفعنا عريضة الى دولة المشير في بيروت تتضمن كل ما حلّ بنا انّما لم نحصل على جواب سوى انها أُحيلت الى اللجنة التي نصحتنا بالعودة الى بيوتنا . لكن بيوتنا خربت ولم يبق مونة او حبوب ولا امان على حياتنا وخلا

ذلك فالشيخ كنج العماد « محامي البقـاع » لايزال يتجول في قرانا يقتل كل من يصادفه . ومنذ ٨ ايام كانت امرأتان من نسائنا ذاهبتين إلى قريتهما صفيتا فقبض عليهما وحرقهما حيتين هذا خلا قطعه اغراسنا وسلبه حريرنا وسائر محاصيلنا وعليهِ لم يبقَ لنا ما نقتات به في قرانا مع اننا دفعنا كل ما علينا للحكومة . فنتطرح على اقدام حكومتكم ونرجوها ان تنظر في حالتنا التعسة فاننا عراة جياع وكثيرون منّا يموتون في كل يوم من جراء فاقتنا وعوزنا ونتجاسر على تكرار طلب المساعدة .

(عدد ١٠٤ ملحق ١ ص ١٠)

١٦٩ – انفس فنصل ايطاً الى صور . عن صيدا في ١٣ منه

اتشرف فاخبركم بان قد وصل الى هنا اول أمس نساء قرية عازور التي نزع الدروز سلاحهنّ ولم يقتلوهنّ كما سبق لي انباءكم . ان طيب البارجة نبتون يعتني بالنساء المشار اليهنّ المنكودات الحظ وقد اخبرننا ان الدروز بعد ان لحقوا بهنّ واخذوا سلاحهنّ كادوا يحرقونهنّ لا كراههنّ على ارشادهم الى المكان الذي خبأنَ بهِ اموالهنّ فاكّدنَ لهم ان قد سبق لهم نهبها وكان بينهنّ فتاة فاساءوا معاملتها وهددوها بافتضاض بكارتها لكنها تمكنت من الفرار ليلاً والالتجاء الى صيدا . وقد روت لي امرأتان ان الدروز ربطوا امرأة من بتدين اللقش لم تستطع اعطاهم الاموال التي طلبوها منها بذنب بغل فجرّها وأخذ يركض بها ويرفسها الى ان ماتت وهؤلاء الدروز الرعاع هم من قرية مزرعة الشوف . وقد وصلت أمس امرأة من جزّين وقصّت ان ضاهر عثمان معتمد سعيد بك جنبلاط أمر بألاّ يُسمح لمسيحي بالذهاب الى صيدا متوعدًا بالقتل كل من يخالف .

ان قائد البارجة نبتون اوعز الى مدير صيدا باتخاذ التحوطات لايقاف الاضطرابات فأجابه ان لا سلطة لهُ على ما هو خارج عن حدود مديريته مع ان

المكان الذي جرَت فيهِ هذه الحوادث لا يبعد سوى نصف ساعة عن صيدا وفضلاً عمَّا تقدم ان امير الاي الحامية افاد قائد البارجة المشار اليها انهُ لمَّا كان الامن مفقودًا في جوار صيدا فيجدر بهِ ألاَّ يسمح لضبَّاطه بالذهاب إلى البساتين الواقعة على ضفة نهر الاولي .

ان تعصب المسلمين زاد في هذين اليومين اكثر ممَّا كان عليه منذ اسبوعين او ثلاثة وان كان في مياهنا بارجتان . فماذا يفعلون اذا غادرتنا هذه البوارج ؟ لا يزال الدروز يقطعون اشجار المسيحيين في اقليم جزّين والخرُّوب وحاصبيًا وراشيًا .

ان فصيلة من الجند تقيم في دير القمر حيث لا يوجد سوى جثث القتلى والخرائب أمَّا في اقطاعة جزّين حيث كثير من المسيحيين المختبئين لا يوجد جندي لحمايتها .

ان الدروز مواصلون نهب قطعان ماشية المسيحيين في جباع ومحاصيل ارضهم والمسيحيون يشكون أمرهم لناظر هذه الاقطاعة لكنه لا يحفل بشكاويهم ولا يحميهم .

وقصارى القول انه يظهر ان الاعتداءات على المسيحيين لم تنقطع في الناحية المجاورة صيدا وان عمال هذه الاقاليم لا يحركون ساكنًا لايقاف تيَّارها .

(عدد ١٠٤ ملحق ٢ ص ٩١)

١٧٠ — ومنه ايضاً بتاريخ ١٤ منه

اتشرَّف فانبئكم بان امرأة مسيحية من قرية المحتقره كانت قد لجأت إلى صيدا ذهبت اليوم مع ابنتها إلى الطاحون الواقع على نهر الاولي لطحن بعض الحبوب وعند عودتهما ووصولهما إلى الجسر هجم عليهما درزي ونهب ما كان معهما من الدقيق وعرَّاهما من ثيابهما منزلاً بهما أقبح الشتائم .

ان مسلمي اقليم الخروب الذين نهبوا كميَّات عظيمة من دير القمر وزحله وجوار

صيدا قد قضوا هذين اليومين مشتغلين بنقل اسلابهم إلى بلاد المتاولة لايداعها فيها. أمّا ارباب السلطة هنـا فلم يمدّوا يد العون لاسترجاع اموال المسيحيين المنهوبة واعادتها الى اصحابها بل انهم يبذلون جهدهم لمنع اعادتها .

(ملحق ٣ ص ٩١ ـ ٩٢)

١٧١ – القنصل مور الى اللورد ج. روسل في ١٦ منه

اتشرّف فاخبركم بوصول الجنرال بوفور دوطبول في هذا الصباح ومعه تابوران من الجنود الفرنسويّة قسم منهما على باخرة من بواخر الميساجري والقسم الاخر على سفينة حربية ونرى عدّة سفن نقّالة غيرها في البحر مقبلة الينا وقد بدأت الان الجنود بالنزول الى البرّ .

ان أحمد باشا مشير فيلق دمشق ووالياها السابق الذي أُعيد من الاستانة الى سوريّة كما سبق لي القول قد أُرسل اليوم الى دمشق ومعه سائر الضبّاط المقبوض عليهم لاجراء محاكمتهم هناك . ويرجى ان تكون محاكمتهم نزيهة والحكم مطابقاً لجنايتهم وينفذ في محل الحوادث .

وقد وصل اليوم ايضاً بارجة نمسويّة أُخرى تدعى « رادتسكي » وبارجة بروسية عليها لواء أمير البحر البروسي . (عدد ١٠٥ ص ٩٢)

١٧٢ – المأمور فرازر الى اللورد ج. روسل عن دمشق في ١٦ منه

بلغتْ دمشق في ١١ الجاري بعد ان اجتزت لبنان ماراً في طريق العجلات التي عُنيت شركة فرنسوية بمدها من بيروت في السنة الماضية وهذه الطريق كاد يتمّ تمهيدها ويكفي ثلاثة اسابيع لجعل القسم الاعظم منها المجتاز قمم لبنـان مع الفروع المتشعبة منها صالحةً لمرور جيش كالجهة الشرقية من سهل البقـاع الواسع

(سورية المجوفة) حيث تستطيع الجنود ان تجول فيها دون صعوبة كبيرة من الشمال الى الجنوب واجراء الحركات في داخلية البلاد . وقد شاهدت الدخان متصاعداً من زحله ومن عدة قرى محترقة ومخيماً فوق سهل البقاع وجماعات من المسلمين منتشرين في السهل محملين الجمال محاصيل املاك المسيحيين الذين فرُّوا أو قُتلوا .

ان وصولي الى دمشق كان عند الفجر فذهبت حالاً الى دار القنصل وسلّمته التحارير التي عُهد اليَّ بايصالها. وعند مروري في الاسواق ألفت انظاري سيماء الحزن والرعب المنطبعة على وجوه سكّانها فاستدللت من ذلك انهم لا يزالون يخافون مع انه لا يوجد سبب لخوفهم وان كانوا شعروا ببعض القلق من جرّاء سجن بعض القوم. زرت أمس صاحب الدولة فؤاد باشا فعرَّفني بهِ المستر برانت فاخبرني انه القى القبض على ٩٠٠ شخص معظمهم من الرعاع وجعلهم قيد المحاكمة وسينفّذ الاحكام بحقهم حين ابرامها . فاجبت اني سررت بسماعي بان الامور جارية وفقاً لرغبة دولته وان عيون اوربا باسرها شاخصة اليه منتظرة بفروغ صبر نبأ يبشرها بان قد أنزل في سفّاحي دمشق عقاب مناسب لجناياتهم . قال انه لا يمكنه ان يسرع اكثر مما فعل لصعوبة وجود شهود . اجبت ان الحالة تتطلب انتهاج طريقة المحاكم العسكرية لا العادية وتسويفها وتأجيلها . قال انه استحسن هذا الرأي ونهج مثل هذه الخطة فأوعز الى المحاكم ان تقبل كل شهادة قريبة من الصواب حتى شهادة مسيحي من عامة الناس على مسلم .

قلت ان هذا ما طالما انتظرناه منه واننا نرجو بألاَّ يفلت جانٍ من العقاب. فذكر دولته اذ ذاك صعوبة مهمته وانه فعل ما في استطاعته لكنه يخشى ألاَّ ترضى بعض الحكومات الاوربية عنه وانه اذا كان يوجد خطة موضوعة فيبذل جهده للسير بموجبها ويعدم الاشخاص الذين تعيّن لهُ عددهم . فأجبتُ ان ليس من حكومة تقدم على وضع مثل هذه الخطة او طلب اعدام عدداً معيناً من الجناة وان جلالة

السلطان خوّل دولته السلطة المطلقة في هذا الشأن وجلّ ما يمكن حكومات اوربا طلبه هو ان يكون العقاب على قدر الجناية وعدد مقترفيها بحيث يرضي ليس فقط العدالة بل يحول دون تجدد مثل هذه الفظائع في المستقبل. فقال انه يشعر بان حفظ شرفه موقوف على هذا الامر وانهُ مصمم على تذليل الصعاب التي تعترض مهمته لكنه يطلب عونًا ونصيحة وسألني اذا كنت اريد ان امدّه بما عندي. فاجبت اني مستعد لخدمته على قدر طاقتي وان كان ليس لديّ تعاليم بهذا الشأن انما اعتقد ان حكومة جلالة الملكة تودّ كثيرًا مساعدته على اتمام المهمة الموكولة اليه. فأبدى دولته استياءه من قرب وصول الجنود الفرنسويّة خوفًا من ان ينشأ عنه اضطراب في البلاد. فاكدت لهُ اني لا اعتقد بانهُ يُسمح لبعثة الجنود الفرنسويّة التدخل الآن في شؤون البلاد الداخلية وان أضمن طريقة لاتقاء هذا التدخل انما هي حلّ المشاكل بطريقة لا تترك لهُ مجالاً. فقال انهُ يخشى ألاّ يُعدم الفرنسيون حجة للتدخل. فذكرت لدولته ان الاحتلال مربوط بصك اتفاقية بحيث لا تستطيع الحكومة الفرنسويّة ان تتجاوز شروطها. فسألني عن سبب عدم مجيء قوّة انكليزيّة فأجبت اني لا اعلم

ان تأجيل دولته اعدام عدّة اشخاص حُكم عليهم بالموت ورغبته في التملص من التدخل الاجنبي وتشوقه الى الوقوف على ما يرضي اوربا كلها اسباب تدعوني الى الظن بانهُ يودّ معرفة عدد الذين يجب اعدامهم لارضاء اوربا اكثر من انزال العقاب بكل جانٍ. ولربّما لم يكن في المسألة ما يدعو الى الاستغراب لان من أصعب الامور اعدامه كثيرين من ابناء مذهبه لقتلهم مسيحيين لان قتل المسيحيين في نظرهم جرم لا يستوجب الموت. ولئن كانت الاخبار شائعة في المدينة بان بعض المسلمين سيعدمون لاقترافهم المجازر الحديثة فان الجمهور لم يزل يعتقد حتى الان بان عدد هؤلاء سيكون قليلاً جدًا أمّا الباقون فيغرمون او يجندون في الجيش أو يُحكم عليهم بعقوبات مختلفة.

وعندي انهُ يقتضي تشجيع دولته لا بل الضغط عليه لحمله على ان يسلك وفقاً لمقتضيات الحالة الحاضرة. فكل تأجيل أو تردد سيكون لهُ وقع سيء في البلاد ولاسيما اذا لم تصل الجنود الاجنبية المنتظرة الان وعلى كل فأنا واثق بانه سيعمل بما عهد فيهِ العموم من الحزم. ان أحمد باشا والي دمشق سابقاً المعاد من الاستانة سيصل اليوم الى هنا ليبدأ حالاً بمحاكمته واظن ان لا ريب بانه سيحكم عليه بالاعدام لان الادلة متناصرة على اشتراكه في المجازر الحديثة ان في دمشق وان في خارجها

اشرت على فوَّاد باشا ان يرسل قسماً من الجنود العثمانية الموجودة في بيروت الى حاصبيًا وراشيًا وجوارهما لانقاذ المسيحيين الباقين هناك بين الدروز وبان يصحب هذه الجنود رجل اوربي يعرف البلاد او مسيحي وطني تطمينًا لافكار اللاجئين فقبل النصيحة وارسل في الليل المنقضي ضابطاً ينظر في الوسائل الواجب اتخاذها. وفي هذا الصباح اوفد مديرين الى حاصبيًا وراشيًا لادارة شؤون هاتين المدينتين وزودهما نشرة مضمونها ان زعماء الدروز مسئولون بسلامة الـ ٣٠٠٠ مسيحي الباقين في بلادهم. وهذا التحوط ضروري لانه اتصل بنا هنا أمس ان في نية الدروز ابقاء المسيحيين كرهينة بين ايديهم وهم يسيئون معاملتهم.

في نية دولته ان يزحف على الدروز متى اتمَّ واجبه هنا ويتعقبهم اذا اقتضى الامر حتى حوران واللجاه ومن المرجح اني ارافقه اذا لم تقع حوادث اكثر خطورة في مكان اخر. (عدد ١٠٦ ص ٩٢ ـ ٩٣)

١٧٣ – القنصل برانت الى السر بولفر في ١٦ منه

اتشرَّف فاخبر سعادتكم ان المشير السابق وصل في الليلة المنقضية الى هنا باسم أحمد آغا ومثل في الحال امام اللجنة لاستجوابه وتجدد استنطاقه هذا الصباح. ان صاحب الدولة فوَّاد باشا يأمل الوصول بهذه الطريقة الى استثبات ما اذا

كانت الفتنة هي نتيجة دسيسة مدبّرة منذ عهد طويل أو كامنة في تعصب المسلمين الذي انفجر بركانه على حين غرّة دون سابق تعمد فكانت المسألة بنت ساعتها

قُبض منذ يومين في هذه المدينة على دعاس آغا أحد الزعماء وقد كان المشير السابق منحه رتبة في فرقة الفرسان الغير النظامية

ان المشير الجديد ذهب بقوّة كبيرة من الجنود الى الجرود حيث لعائلة دعاس المذكور أملاك واسعة ونفوذ كبير فوجد في بيته مقادير عظيمة من الاسلاب فأعادها إلى دمشق وحرق بيته مع عشرة بيوت أُخرى من أصحاب النفوذ الذين كانوا يرودون القرى المجاورة ويبلصون المسيحيين ويسيئون معاملتهم

أُعدم أمس أربعة مسلمين من حوران قتلوا منذ مدة ١٣ شخصاً كانوا ذاهبين لحصد محاصيل ارضهم في قريتي الصنمين وكناكر.

لقد سبق لي القول ان فؤاد باشا سيشرع حالاً بتنفيذ حكم الاعدام في بعض الجناة وانا واثق بان عمله هذا سيلقي الرعب في قلوب المسلمين لانهم لا يعتقدون حتى الآن بانه سيعدم مسلم لقتله كافراً فمتى تأكدوا ذلك ووضح لاعينهم يغيّرون لهجتهم وسلوكهم ويعترفون بما قد حرصوا على كتمانه الى الآن.

(عدد ١١٨ ملحق ١ ص ١٠١)

١٧٤ ـ ومنه اليه في ٢٠ منه

اتشرف فاخبركم باني تلقيت الآن بلاغاً من صاحب الدولة فؤاد باشا مآله بان قد شنق اليوم ٥٧ جانياً في انحاء المدينة وأُعدم ١١٠ رمياً بالرصاص في ساحة جنك ـ الميدان على ابواب المدينة منهم فريق من فرسان الباشبوزق والفريق الاخر من الفرسان الغير النظاميين المعروفين « بالعونية » (معاونين).

ان محاكمة المقبوض عليهم متواصلة وقد وعدني دولته بان يسلمني لائحة باسماء

الذين أُعدموا او سيعدمون والذين فرُّوا و يُحكم عليهم غيابًا .

قد جرَت محاكمة أحمد آغا المشير السابق وحتى الان لم يُعلن الحكم . ولا يزال عثمان بك قائد الجنود في حاصبيًا قيد المحاكمة . استولى الجزع على سكّان المدينة فانهم لم يكونوا ينتظرون شيئًا من هذا ومفاصلهم ترتجف خوفًا مما يمكن ان يحلّ بهم . (عدد ١١٨ ملحق ٢ ص ١٠١-١٠٢)

١٧٥ – فؤاد باشا الى عالي باشا . عن دمشق في ٢٠ منه

أُعدم صباح اليوم علانيةً ١٦٧ من الجناة المحكوم عليهم فشنق ٥٧ منهم في الاحياء المأهولة وأُعدم رميًا بالرصاص ١١٠ من رجال الشرطة في الساحة المسماة «جنك ميدان» وقد استولى الرعب على السكان فلم يبدوا أدنى حركة في خلال اعدام الجناة السابق ذكرهم . وسيرسل غدًا الى بيروت بخفارة الجنود الجناة المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة او بالكورك ليركبوا منها البحر الى الاستانة .

وفي عداد المشنوقين اشقاء اكبر اعيان المدينة واولادهم وانسباؤهم دون ان يحفل بمقامهم ووظيفتهم وسيقبض غدًا على سائر الاعيان المتهمين

ان محاكمة احمد آغا والي دمشق السابق وسائر الضباط متواصلة امام المجلس الحربي وسأُنفذ الاحكام حين ابرامها .

ان الجناة الذين تمكنوا من الفرار بعد المذابح سيحاكمون غيابًا وتنفذ فيهم الاحكام عندما يقبض عليهم .

ان جيش السلطان لهو اطوع من البنان وسالك باخلاص تام ويد العدالة ضابطة الامور

ان السكينة مستتبة في كل شواطيء سوريّة واعيدت مياه الراحة الى مجاريها في صيدا وضواحيها . (عدد ٩٨ ص ٨١ ودي تستا ص ١٠٣)

١٧٦ -- امر سلطاني الى فؤاد باشا في ٣٠ محرم سنة ١٢٧٧ [١٨ اب سنة ١٨٦٠]

علمنا من مطالعة الكتب الواردة منكم بوصولكم إلى دمشق وبتفاصيل ما اجريتموه فيها . ان وقاية حياة كل افراد تبعتي دون تمييز واموالهم وعرضهم هي من اهم فرائض الشريعة الالهيـة فيتوجب ديناً على كل مسلم ان يكون عارفاً بهذه العقيدة من عقائد ديننا . يتعذر عليَّ ان اصف مقدار تأثر قلبي وقلوب جميع المسلمين العاملين بوصاياه تعالى من انقياد عصابة من اشرار دمشق وجهالها الى لوم طبيعتهم وفسادها وشراسة اخلاقهم فخفروا ذمة التعاليم الطاهرة السابقة الذكر والشريعة الالهية وتجرأوا على سفك دم كثيرين من مواطنيهم التعساء وهتك عرضهم وسلب اموالهم .

ان العذاب الاليم المعدّ في الاخرة لمرتكبي هذه الجنايات والفظائع غير خافٍ عن الاعين البصيرة غير انه يقتضي ان ينزل بهم ايضاً في هذه الدنيـا القصاص المفروض في الشريعتين الالهية والمدنية .

وقد رأت حكومتنا الشاهانية ان تعجلَ باعدام الاشخاص الذين يثبت عليهم اقتراف الجناية امام المحاكم وفقاً للسلطة التي خوّلناك اياها.

ان الغيرة التي بذلتها والخدم التي اديتها وهي برهـان على مروءتك الغريزية وفطنتك قد نالت استحساني ورضاي العاليين .

ان دلائل الاخلاص الجديدة والجدارة التي أبداها كل الرؤساء والقوّاد والمأمورين الخاصين وسائر ضبّاط جنودي التي برفقتكم كما اوضحت في رسائلك وفي «المضبطتين» العسكريّتين اللتين رفعتهما الينا قد جاءت مصداقاً لما كان ينتظر منهم ومطابقة للصفات العسكريّة المجيدة والمزايا التي وجدتها دائماً فيهم. فعليك ان تذيع فيهم ان اعمالهم نالت حظوة تامة لدينا . فنسأل الله ان يوفق مساعيك وجميع الذين

يجاهدون امامنا باخلاص ونزاهة . (عدد ١٢١ ملحق ١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦)

١٧٧ – مناقشة في مجلس العموم الانكليزي في ١٧ اب سنة ١٨٦٠

المستر مونسل – يرغب الى حضرة اللورد النبيل رئيس الحكومة ان يطلعه على التعاليم التي زوّدها اللورد دوفرين مندوب جلالة الملكة في سورية ويفيده عمّا اذا كان يعلنها على هذه الندوة. فقد سُلّم حديثاً الى اعضاء هذه الندوة الكرام سلسلة مراسلات جديدة تتعلق بكوائن سوريا المحزنة . وفي جملتها كتاب حري بالاعتبار كامل الوصف دبجه يراع المستر سيريل كراهام وهو الذي سأله ممثلو الدول الاوربية ان يطوف في انحاء لبنان لاستثبات صحة ما جرى فيه من المذابح .

ان المشاهد التي وصفها تتجاوز كل ما يمكن حضرات الاعضاء الكرام ان يتصوروه فالفظائع التي ارتُكبت لفاحشة تستدعي المقت . وقد اكّد المستر كراهام بصريح العبارة المويدة بالادلة ان ارباب السلطة التركية اشتركوا بهذه الجنايات وغمسوا يدهم بالدم . لا اسأل الحكومة عمّا اذا لم يكن في وسعها اتقاء ما وقع لو اعارت نشرة البرنس غورتشاكوف المنفذة في نيسان التفاتة مقرونة بالاهتمام ولا اذا كانت مفاوضات انكلترة مع فرنسا قد حالت دون تدخل هذه الدولة في الوقت المناسب لايقاف تيّار الشر . انما وضح لي من التدقيق في تاريخ العشرين سنة الاخيرة ان انكلترة هي سبب ما جرى هنا لك . فماذا فعلنا ؟ فقد وجدنا ابرهيم باشا والامير بشير ممثل أهمّ اسرة في تلك البلاد يسوس شؤونها ان لم يكن على ما يرغب فيه من حسن التدبير فعلى الاقلّ بطريقة من شأنها ملافاة حدوث مثل هذه الكوارث الهائلة . فسعينا الى ابدال هيئة هذا الحكم نكايةً بفرنسا ومعارضةً لبعض دول اوربا .

فعملنا على التفريق بين الدروز والموارنة وجعلنا على كل فريق زعيماً وسلّطنا

عليهما باشا تركيًّا وقد كانت فرنسا نبهتنا إلى ما ينجم من الضرر عن ابدال سيادة السلطان الاسمية على هذه البلاد بسيطرة مطلقة. واذكر هنا ما قاله الباسل أمير البحر نابيه الذي اشترك في مسائل سنة ١٨٤٠ في اجتماع عُقد في ادنبورغ في سنة ١٨٤٥ فقد صرّح «انه يخجل ان يعترف بان كانت له يد في ابرام الاتفاقية التي نشأت عنها هذه البلايا».

سبق لي ان قلت ان فرنسا نبهت الحكومة الانكليزية في سنة ١٨٤٠. وفي سنة ١٨٤٤ اعترف اللورد ابردين باننا مسؤولون بما جرى. وفي سنتي ١٨٤٥ و١٨٤٧ وقعت كوائن في سوريا بتحريض واليها التركي ومع ان دائرتها كانت ضيقة فلم تخلُ من الفظائع وهاك ما اسأله الان بعد ان تحققنا اخفاق طريقة الحكم التي عوّل عليها بناء على الحاح انكلترة. هل عُهد الى مندوبي الدول الاوربية في لجنة سوريا الدولية ان ينعموا النظر في هذه المسألة مجددًا ويبحثوا في امكان انقاذ سورية من استبداد باشا تركي وايلاتها حكومة تماثل التي كانت متمتعة بها سنة ١٨٤٠؟.

السير شارل نابيه — ان ما قالهُ حضرة العضو الفاضل لهو صحيح فقد قلتُ في الاجتماع الذي عُقد في ادنبورغ وكرّرته فيما بعد على مسامع ندوة العموم اني مخجول من الدور المعيب الذي لعبته في سورية. ان الحكومة أوفدتني الى تلك البلاد بمهمة فقمتُ بها انما عليّ ان اعترف بان سورية كانت في عهد محمد علي هادئة مطمئنة وطرقاتها أمينة وشعبها ناعمًا ببعض السعادة.

ولم يبقَ أدنى ريب بان الاتراك بذلوا جهدهم لحمل اهالي لبنان على شق عصا الطاعة على الحكومة المصرية فلم ينجحوا فكُلفت اذ ذاك بان اعد اللبنانيين بان الاتراك يحسنون معاملتهم اكثر من المصريين ففعلت وكان ان قام جمهورهم على الحكومة المصرية ولولا مساعدتهم لتعذر على الحكومة العثمانية نظرًا لقلة عدد جنودها اصابة النجاح الذي ادركته

أمّا اليوم فان الاتراك قد جاروا واستبدّوا باهالي لبنان اكثر من المصريين . ومع انهُ سبق لهم ان وعدوا غير مرّة بتحسين ادارة الشؤون فقد خفروا ذمة عهودهم في كل آن بحيث لا يمكن الوثوق بهم .

أمّا انا فاجهر اني أوثر رؤية الفرنسويين متبسطين في كل سوريّا ومظللين سكان جبالها التعساء بحمايتهم على بقاء تلك البلاد معرّضة « لتحنن » الاتراك ! !

اللورد بلمرستون — ان حضرة صديقي الفاضل نائب اقطاعة ليمريك قد تكلم في مسألة سوريّا العامّة واهمّا ان الكوائن الحديثة هي نتيجة استبداد الاتراك في حين ان الامر بالعكس فالفظائع التي ارتُكبت نشأت عن عدم وجود سلطة للحكومة التركية مباشرةً . وقد قال حضرته ان تبعة هذه الكوائن واقعة على عاتق الحكومة الانكليزية فانكر ان يكون لي أقلّ حصة في هذه المسؤولية وعلى كل حال فهي لا تقع على حكومة جلالتها . فقد أذيع في اوربا افادات غريبة عن الذين كانوا البادئين في الشرّ . فمن هم المذنبون وما هي درجة ذنبهم ؟ انّما هذه اشاعات لا تثبت على السبك ولا يليق بي ان احدثكم بها عن ثقة

ان حضرة العضو الفاضل يودّ ان يعرف سبب قولي ان لديّ ادلّة تدعوني الى الاعتقاد بان الموارنة كانوا البادئين بالشرّ . فيغمني ان ابحث في هذا الصدد وعندي ان لا فائدة من السعي وراء معرفة من من الفريقين ضرب الضربة الاولى وآسف على ان يكون اكرهني حضرته في الجلسة السابقة الى ابداء رأيي بهذا الشأن. واليكم بالامر : انهُ أذيع بين المسيحيين منذ بضعة اشهر اشاعات تنذر بحدوث كوائن كهذه في سوريّا في فصل الربيع ووُزعت كمية من الاسلحة الاوربية على الموارنة فأنا لا اسأل من أين أتتهم ومن اعطاهم اياها انّما أنا واثق بانهم أعطوا اسلحة غير التي بيعت منهم جهارًا في بيروت .

ان قنصل انكلترة في بيروت افادنا ان القتال بين الموارنة والدروز نشأ عن

هجوم الاولين على بعض قرى مأهولة بكلتا الطائفتين لطرد الدروز منها وان في بيروت لجنة مارونية برئاسة اسقفها سعت الى اثارة الموارنة وحملهم على اغتنام الفرصة لاقصاء الدروز عن البلاد . وقد قال حضرة صديقي الفاضل انه متفشٍ على الالسنة الان بان الحكومة الانكليزية تحمي الدروز مهما اقترفوا من الفظائع فلا استطيع ان اشير الى المنبع الذي استقى منه حضرته هذا الخبر ولم يسبق لي ان سمعت بهِ من قبل بل اقول بجرأة انها تهمة سافلة لا نصيب لها من الصحة معلناً ان الحكومة الانكليزية لم يسبق لها أقل علاقة بالدروز في حين انه من الثابت ان لحكومة غيرها ارتباطاً بالموارنة .

(عن كتاب فرنسا في لبنان لمؤلفهِ لويس دي بوديكور ص ١٧٤ـ١٧٩)

١٧٨ – صور الى اللورد ج . روسل في ٢٢ منه

اتشرف فاخبركم بان قد وصل احمد قيصرلي باشا والي هذه الايالة الجديد واستلم زمام وظيفته ودولته مشهور باستقامته ونزاهته وصدقه ومهارته . وقد تبادلنا الزيارة .

ومنذ بضعة ايام قدم من الاستانة خورشيد باشا الوالي السابق مخفوراً وقد ارسلته حكومته لمحاكمته هنا فحجر عليه في غرفة خاصة وأوقف حرس على بابها

وردت هذا الصباح اخبار مرضية من دمشق حتى ٢٠ الجاري وقد شرع فؤاد باشا بتنفيذ حكم الاعدام في المحكوم عليهم في ذلك اليوم . . . ولا شك ان المستر برانت كتب اليكم بهذا الشأن مفصلاً .

في طيهِ صورة الكتاب الذي انفذه إليّ المستر كراهام وقد عاد من دمشق في ٢٠ الجاري وهو ذيل روايته عن زيارته حاصبياً وراشياً التي سبق للمستر برانت ارسالها الى سيادتكم .

ان الدروز لا يزالون منتهجين ذات الخطة ومصممين على ما سبق لي عرضه .

(عدد ١٣ ص ٨٨)

١٧٩ — ومنه اليه في ٢٢ منه

اتشرف فانبئكم ان وصول جنود البعثة الفرنسويّة إلى بيروت متلاحق فقد نزل إلى البر حتى هذا التاريخ زهاء ٥ الاف جندي في عدادهم ٢٠٠ فارس ومعهم كمية عظيمة من المؤن والذخائر والبغال والخيل لجرّ المدافع وقد جعلوا معسكرهم العام في غابة الصنوبر الكائنة على مسافة ميلين من المدينة في مكان يحاذي طريق العجلات الممتدة الى دمشق . وقد تمّ نزول هذه الجنود في مكان يبعد ٥ دقائق عن المدينة فاجتازتها دون ان تقف فيها منطلقة الى معسكرها تتقدمها موسيقاها صادحةً بلحنها الوطني .

لم اتمكن من معرفة ما اذا كان المسلمون نظروا الى هذا الاحتلال بعين الحنق انّما تلوح على محياهم سيماء الانقباض لدى مرور الجنود وجميع تصرفاتهم عليها طابع الغضب والوعيد فيسخرون بالمسيحيين ويهينونهم ويعتدون على بعض افرادهم عند سنوح الفرصة او يتحرشون بهم . بيدَ انه يجب عليّ ان اثني على احمد قيصرلي باشا الوالي الجديد لما اتخذه من الوسائل الشديدة قمعًا للمشاغب باذاعته نشرة يحظر بها على المسيحيين والمسلمين معًا حمل السلاح بكل انواعه فكان ذلك حائلًا دون وقوع اضطرابات .

ومن جهة اخرى فان المسيحيين لمبتهجون فمنذ نزول الجنود اخذ اللاجئون منهم يحملون بنادقها وعدتها إلى المعسكر العام وغيرهم يقدمون مجانًا ماءً وتبغًا وشرابًا الى غير ذلك . ولا اتمالك من ان اؤكد لسيادتكم ان قد عقب وصول الجنود الفرنسويّة اطمئنان افكار المسيحيين الوطنيين واللاجئين والاوربيين ايضًا فقد كانت

فرائص الجميع ترتعد رعباً لا يعلمون ما سيحل بهم من البلايا ومتى اذ انه لم يكن ليقوى على ازالة مخاوفهم سوى احتلال اوربي كهذا قصير المدة يضمن الامن العام

وقد أسف كثيراً على عدم قدوم جنود انكليزية معها اذ لو أرسلت لاتى وجودها بفائدة كبيرة فسكن حالاً قلق المسلمين واطمأن بالهم .

(عدد ٩٩ ص ٨٢)

١٨٠ – تابع رواية المستر كراهام عن حاصبيا وراشيا في ٢٢ منه

ذكرت في روايتي المؤرخة في ١٣ الجاري اني فور عودتي الى دمشق من زيارة حاصبيا وراشيا جرى لي حديث طويل مع فؤاد باشا فاقترحت على دولته ان يفرّق بين دروز حاصبيا باستدعائه خزاعي آغا العريان الى دمشق وارسال ورقة امان اليه اذا شاء ان يأتيها. وألحت أيضاً عليه بان يرسل قوة كافية وبعض المدافع الى كل من المدينتين المذكورتين لحماية العدد الغفير من المسيحيين الباقين هناك المرتجفين جزعاً في كل دقيقة على حياتهم ورجوته ان يسرع باتخاذ هذه التحوطات قبل وصول الجنود الفرنسوية . فتلطف دولته بقبول هذين الاقتراحين وانفذ في الحال حسن بك (الكولونل اوريلي) الى صيدا ليأتي بتابور ومدفعين الى حاصبيا وأمر نصف تابور قادم من بيروت الى دمشق بالذهاب الى راشيا وكان قد بلغ سهل البقاع . وارسل كتاباً الى خزاعي آغا يستدعيه اليه وكلفني ان اكتب اليه أيضاً وأؤمنه بناء على وعده ولم نهمل وسيلة من الوسائل التي من شأنها ايقاظ حسد حزب محمد النصّار فكللت جميعها بالنجاح . فان خزاعي آغا جاء دمشق بعد ان اتخذ التحوطات لحماية المسيحيين فاقلق ذلك بال الزعيم الآخر فغادر وجميع رجاله المدينة فأصبح المسيحيون في مأمن تحت حماية الفريق الآخر الموالي . وقد كانت المقابلة بين فؤاد باشا وخزاعي آغا خطيرة جداً وانتهت بتعهده بحماية المسيحيين أو ايصالهم

الى صيدا سالمين اذا اقتضى الامر . وفي خلال هذا تبلغ الجنود النظامية محل مقصدها فيطمئن بال المسيحيين فنحمد الله على هذه النتيجة لانه كان لدينا ما يدعونا الى الخوف ألاّ نحصل عليها بدون سفك دماء.

وقد عين فؤاد باشا ايضاً متسلماً لكل من المدينتين فأيّد سلطة الباب العالي في ناحية من انحاء سوريّة الاكثر اضطراباً وقد جعل قيد خدمة متسلم راشيا ١٥٠ فارساً . (عدد ١٠٣ ملحق ١ ص ٨٨ ـ ٨٩)

١٨١ — صفوت افندي الى المسيو موزوروس في ٢٢ منه

كنّا طالعنا بمزيد الامتنان ـ في الرسائل المتتابعة التي رفعتموها الى الحكومة السنية لايقافها على ما كان لحوادث سوريّة من الوقع في انكلترة وانبائها بالبراهين التي اداليتم بها لبيان الاضرار التي تنتج عن تنفيذ مشروع تدخل قوة عسكريّة أجنبية في بلاد السلطنة ـ ان وزارة انكلترة مع قبولها بقاعدة التدخل المذكور علقت تنفيذها على اجازة الباب العالي . كما ان الحكومة السنية من جهتها لم تتقاعد عن اظهار اخطار هذه الوسيلة للدول لكنها اضطرت الى قبولها بناء على نصائح ممثلي الدول وايضاحهم لها امكان نزول جنود اجنبية في اراضي السلطنة رغماً عن رفضنا توقيع الاتفاقية بهذا الشأن فاضطررنا الى ان نختار من الشرّين اصغرهما .ومع اعلاننا اننا قبلنا بها مرغمين بيناً بجلاء للدول العظمى مخاوفنا وكفؤ الاحتياطات التي اتخذناها . فان ما فعله فؤاد باشا في دمشق في مدى بضعة ايام يثبت انه كان في وسعنا قمع الاضطرابات ومعاقبة الجناة . فنجاح ناظر خارجيتنا يؤملنا بان البعثة العسكريّة الاجنبية تجد عند وصولها الى سورية دعائم الراحة موطدة في البلاد.

بيد انهُ اذا كان نزول الجنود الفرنسوية يجب ألاّ يتمّ دون سبب موجب فبالاحرى يقتضي التسليم ان لا سبيل لتوغلها في الداخلية .

ان مساعينا منصرفة الان الى غاية حصر الاحتلال في مكان مناسب من شاطئ البحر منعاً لتقدم الجنود في الداخلية فاذا حلّت هـذه المسألة وفقاً لرغبتنا ينتج عنها ليس فقط استتباب الراحة في سورية عاجلاً بطريقة امينة بل يأتي بفائدة أخرى الأ وهي استدراك سوء تأثير تدخل عسكري اجنبي لم نستطع منعه

(عدد ١٠٨ ص ٩٤)

١٨٢ – خلاصة رسائل فؤاد باشا مؤرخة ٢٣ منه

انه بغية في القبض على السفّاحين وشركائهم في الفظائع قسمت مدينة دمشق الى عشرة دوائر وأقيم في كل منها سريّة من الجنود السلطانية وأُلّفت لجنة من اعيان المدينة برئاسة أحد كبار ضبّاط الجيش . وعدا ما تقدم طُوقت المدينة بالجنود بحيث أمسى كل سكّانها في قبضة يد القوّة المسلحة ثم شرع بالقبض على الجناة في كل من هذه الدوائر وباجراء التفتيش لاكتشاف المسلوبات وبفضل هذه الوسائل تسنى القبض في يوم واحد على ٤٢٨ جانياً دون أدنى مقاومة واسترجع قسم من المسلوبات يقدّر بـ ٦ إلى ٧ الاف حمل كما انهُ أُعيدت كمية عظيمة من الامتعة الى اللجان خلا التي طُرحت في الشوارع ليلاً .

ان مقترفي المذابح والنهب مُثلوا امام محكمة الجزاء الخارقة العادة لاستجوابهم ومحاكمتهم والقضاء عليهم بعقوبات مناسبة لدرجة جريمتهم . أمّا الاشخاص الذين لا يثبت عليهم انهم اقترفوا بيدهم جناية فينفون نفياً مؤبّداً ويُرسل الذين قُضي عليهم بالاشغال الشاقة والكورك الى بيروت لاركابهم السفن السلطانية فتوصلهم الى الاماكن المعينة لهم. وقد وُزعت اعانات على المنكوبين أمّا المرضى والجرحى فوُضعوا في المدرسة العسكرية التي حُولت إلى مستشفى حيث يُعالجون وتُضمد جراحهم .

ان جميع الوسائل المار بيانها نُفّذت بمدى بضعة ايام وكلما نُفّذ حكم من احكام

المحكمة الخارقة العادة يُخبر بهِ الباب العالي . ان الراحة والامن سائدان تماماً في حلب والقدس وسائر انحاء سورياً . (عدد ١١٢ ص ٩٨)

١٨٣ – القنصل برانت الى السر بولفر . عن دمشق في ٢٢ منه

اتشرف فانبئكم ان فؤاد باشا دعاني الى زيارته أمس فصحبني الماجور فرازر وانضم الينا قنصل فرنسا فتناول الحديث كوائن هذه الايام فاخبرني دولته ان قد حُكم على ٤٠ جانياً حكماً غيابياً وقُبض على الشيخ عبدالله الحلبي رئيس علماء دمشق الذي يعتبره المسلمون ولياً وهو في الحقيقة رجل متعصب مفسد ومع كونه يسعى وراء جمع المال بالغش والخداع فله نفوذ كبير على الشعب . وقد كان لالقاء القبض عليه وقع عظيم وقُبض ايضاً على المفتي عمر افندي الغزّي وهو عالم من ذوي النفوذ وعضو في المجلس الكبير شديد التعصب له سطوة كبيرة نظراً لكبر سنهِ ووظيفتهِ ومقامه ويستخدم نفوذه لكسب المال . وقُبض كذلك على محمد سعيد بك ابن شمدين آغا زعيم الاكراد في المدينة ووالده عمره ٩٠ سنة وذو ثروة واسعة . وقد كان احمد باشا قد رقّى محمد سعيد الى رتبة امير الاي مما ساء كثيراً الجيش النظامي وكان بامرته ٥٠٠ فارس (معاون غير نظامي) ولا اعلم بالتدقيق التهمة الموجهة اليه لكنه كسائر الاكراد له شهرة سيئة .

سيُرسل هذا المساء الى الاستانة ٣٠٠ شخص حُكم عليهم بالكورك المؤبد وسيُرسل ايضاً اليها ٢٠٠٠ او ٣٠٠٠ لتجنيدهم في الجيش ولا يُعرف عدد الذين سيحكم عليهم بالاعدام فمحاكمة الجناة والقبض عليهم لا يزالان متواصلين .

لقد أسكنت ٢٠٠ عائلة مسيحية في حي المسلمين المدعو قنوات وهو احسن احياء المدينة ومجاور دار الحكومة . لا يزال عدد غفير من المسيحيين في القلعة ويخشون الخروج منها والمرجح ان يعود اليهم روعهم بعد بضعة ايام فيقبلون بالانتقال

إلى البيوت المعدة لهم .

لقد خاطبنا دولة فؤاد باشا في مناسبة حجز اموال المحكوم عليهم بعد الموافقة القانونية للتعويض على المسيحيين خسائرهم فاجاب دولته ان هـذا الحجز لا يكون شرعياً فالفتنا انظاره الى ان المسألة الحالية خارقة العادة وان من الظلم السماح لعيال الجناة ان تتنعم باسلاب المسيحيين. ويظهر ان دولته لم ينعم النظر في هذه المسألة انما يناسب مراجعته بها في وقت اخر . (ملحق عدد ١١٨ ص ١٠٢)

١٨٤ — القنصل برانت الى اللورد روسل في ٢٥ منه

اتشرف بان ارسل لسيادتكم نسخة الجدول الذي أمر صاحب الدولة فؤاد باشا بانفاذه اليّ وفيه تعداد الاشخاص الذين قُضي عليهم بعقوبات مختلفة حتى ٢٢ الجاري لاشتراكهم في قتل مسيحيي دمشق ونهبهم .

وكنت أؤمل ان لا يخار فكر دولته قفل باب التحقيق لان عدة اشخاص مشهورين بانهم غمسوا يدهم في المذابح والنهب لم يُقبض عليهم ولم يستجوبوا لكن قد ظهر ان نشاط دولته قد ضعف عن ذي قبل ولربّما عدّ ما فعله كافياً . أمّا انا فاخشى الاّ يكون الشعب اتعظ بهذه العبر فيعود إلى اقتراف فظائع اشد هولاً متى آنس ضعفاً من واليه .

ولست أرى ان في الوسع ايلاء هـذه البلاد ضمانة كافلة حسن ادارتها اذا استمرّ على اختيار ولاتها من طبقة الباشاوات وجميعهم غير اكفاء لهذا المنصب .

(عدد ١١٩ ص ١٠٣)

١٨٥ — الموسيو دانيش الى القنصل برانت . عن دمشق في ٢٣ منه

اتشرف بان ارسل لكم في طيهِ جدولاً يشتمل على تعداد الاشخاص المحكوم

عليهم بالاعدام وبالكورك المؤبد والنفي والاشغال الشاقة الموقتة. ولما كانت المحكمة الخارقة العادة التي ألفها صاحب الدولة فؤاد باشا مواصلة باهتمام استجواب السجناء الذين لم يُنظر في قضيتهم حتى الان فسترسل لكم اللائحة النهائية المفصلة المشتملة على اسماء الاشخاص المحكوم عليهم او الذين سيحاكمون حين فروغ المحكمة من اعمالها. (عدد ١١٩ ملحق ١ ص ١٠٣)

١٨٦ – جدول الاحكام

عدد	
٥٦	المحكوم عليهم بالاعدام لقتلهم مسيحيين بيدهم وقد شُنقوا
١١١	المحكوم عليهم بالاعدام لاشتراكهم في الفتنة وهم مسلحون وقُتلوا رمياً بالرصاص بصفة كونهم من الجنود النظامية والضابطة والباشبوزق.
١٣٩	المحكوم عليهم بالكورك المؤبد لاشتراكهم في الفتنة وهم مسلحون وقد أرسلوا الى الاستانة.
١٤٥	المحكوم عليهم بالنفي لاشتراكهم بالنهب وهم عزّل.
١٨٦	المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة او الكورك الموقت وأبقوا في دمشق لتشغيلهم في انشاء الطرقات
٠٨٣	المحكوم عليهم غيابًا بالاعدام وسينفذ الحكم بحقهم حين القبض عليهم
٧٢٠	المجموع (عدد ١١٩ ملحق ٢ ص ١٠٤)

١٨٧ – الماجور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٢٣ منه

اتشرف فاخبركم باختصار ان قد بدئ اخيراً في ٢٠ الجاري بتنفيذ الاحكام المقضى بها على الجناة الذين غمسوا يدهم في مذابح دمشق وقد ثبتت جناية القتل على ٥٧

شخصاً من ١٦٧ محكوم عليهم فشُنقوا في اسواق المدينة وساحاتها عند الساعة العاشرة من ليل ١٩ الجاري بينهم ٤ او ٥ اشخاص من زعماء الجنود الغير النظامية. أمّا عدد الوطنيين الدمشقيين المحكوم عليهم فلا يتجاوز الـ ٤٠ . وبعد ظهر ٢٠ الجاري أُعدم خارج المدينة رمياً بالرصاص الـ ١١٠ الباقين وهم من الجنود الغير النظامية الذين عثر عليهم ينهبون وهم مسلّحون وقد نفذ حكم الاعدام دون اعلانه ولم يحضره إلاّ القليلون . ان حوانيت المدينة كانت ولا تزال مقفلة .

ثم زرت صاحب الدولة فوّاد باشا فاخبرني انه قُضي غيابًا بالاعدام على ٤٠ جانياً أخر وأُرسل ٣٠٠ الى ٤٠٠ سجين إلى الاستانة حُكم على ١٣٨ منهم بالاشغال الشاقة مدى الحياة والباقون قضي عليهم بالسجن والنفي وخلا ذلك سيجند ٣٠٠٠ شاب في الجيش . وزاد ان محاكمة احمد المشير السابق وسائر الضبّاط قد خُتمت وان سائر السجناء مثلوا امام المحكمة وحتى الان لم يقضَ عليهم . فقلت له انهُ اذا كان لم يعدم سوى ٥٧ شخصاً لاقترافهم جناية القتل يستدل من ذلك ان معظم الجناة الذين غمسوا يدهم في المذابح باقون مطلقي الحرّية يمرحون في المدينة وانهُ لا يعقل ان ٥٧ شخصاً او ١٠٠ فقط تمكنوا من قتل ٥ الاف مسيحي خلا النساء اللواتي هُتك عرضهنَّ وسبينَ والامل بانهُ لا يدع باقي الجناة يفلتون من العقاب .

فأجاب : « ان كثيرين باقون قيد المحاكمة والقاء القبض متواصل كما يسهل تحقيق ذلك انما يلاقي صعوبة عظيمة في ايجاد شهود عليهم وانهُ يودّ كثيرًا ان يتحقق فيما اذا كان من وجود لدسيسة كما أُوكد غير مرّة بيد ان مساعيه لم تُكلل بالنجاح وان أحمد باشا المشير السابق انكر حتى النهاية اطلاعه على شيء » . ومع ذلك لم يرتب أحد من الواقفين على ما جرى في المدينة قبل انفجار بركان الفتنة في انه اذا لم يكن ثمه من دسيسة مدبّرة فأقله اتفاق عام بين زعماء القوم في المدينة تواطؤا على المذبحة . فان الامير عبد القادر وقد قابلته أمس اكد لي ذلك وفي عرفه انهُ

يجب قسمة المدينة الى ٢٤ قسماً منها ٢٠ كانت ميالة الى المجزرة أمّا الـ ٤ اقسام الباقية فثلاثة ونصف منها كانت راغبة فيها لكنها لم تحرّك ساكناً والنصف الباقي كان معاكساً. ولمّا ذهب الى المجلس الكبير اثناء المجزرة لمكالمة الاعضاء اضطرّ الى مغادرتهم لاشمئزازه منهم لانهم كانوا يدخنون « غلاييهم » وأبوا ان يفعلوا شيئاً.

واخبرني فؤاد باشا أيضاً بالقاء القبض أوّل من أمس على ثلاثة من كبار القوم وهم عبدالله الحلبي شيخ الجامع الكبير وهو المحرّض الاكبر على الفتنة ومحمد سعيد بك زعيم فرقة الاكراد الاشرار وعمر افندي الغزي من أهمّ اعضاء المجلس الكبير وهو رجل معروف بشدّة تعصبه. وعليّ ان اذكر هنا ان كاتب اسرار فؤاد باشا الذي زارني هذا الصباح اخبرني ان دولته لم يتسنّ لهُ الحصول على شهادة ضد الشيخ عبدالله لانه لا يوجد أحد يجسر على ذلك خوفاً من سوء العاقبة. وكان قد اتصل بي ان في صباح يوم القاء القبض عليهِ قصد بيته جمهور من نساء الذين أعدموا واقاربهم وهنّ يولولنَ ويشتمنه ويلعنه ويتهمنه بانه سبب موت ازواجهنّ واقاربهنّ بتحريضه اياهم على ذبح المسيحيين فنشأ عن عملهنّ قلق في الجوار. ومع ذلك فالحكومة ترعم انها عاجزة عن ايجاد شاهد عليه.

وقد أخبرني دولته أيضاً باستقدامه الى دمشق من إحدى القرى اربعين مسيحياً أرغموا على الاسلام لوقاية حياتهم فقيل لهم انهم احرار بالرجوع الى مذهبهم فصرّحوا برغبتهم في ذلك ورجعوا الى قراهم مسيحيين. ولمّا قال لي دولته ان الرهبة استولت على سكان المدينة منذ تنفيذ حكم الاعدام أجبتهُ انها لم تعمّها لمعرفتي بان جمهوراً من الرجال جاءوا صباح أمس إلى بيت قنصل اميركا ولعنوا القنصل وسبّوا ديانته وحذّروه من ان يقوم في وهمه ان فؤاد باشا يبقى دائماً في دمشق لحمايته وان قد جرى مثل ذلك للامير عبدالقادر وشتم اوربيون في السوق العام. فأظهر دولته

الدهشة وتشوّق الى معرفة هؤلاء الاشخاص . فقلت ان في وسع قنصل اميركا ان يهديه الى بعضهم وأوضحت لهُ انهُ يجدر بهِ اذاعة اعلان ينذر بهِ الاهلين انه يعدّ مثل هذا العمل جرماً كبيراً من شأنه اقلاق الراحة العامة . فأجاب انه سيفعل في الحال وأردف ان الدمشقيين يكرهون الاتراك وان من الضروري القاء الرعب فيهم توطيداً لاركان الحكم العثماني فيتجنبون ركوب متن الفتنة . فاستصوبت رأيه لتيقني انه أصبح أوضح من ذي قبل ان سلطة السلطان غير موطدة في سوريا وانما يحكمها نظراً لتفرق كلمة أصحاب الاقطاع واختلاف طوائفها وتعدد جنسياتها وان لا بدّ من تدويخ البلاد مجدداً . ثم قلت انه اذا أريد القاء الرعب في النفوس كان يجدر ابقاء السجناء المراد ارسالهم إلى الاستانة هنا لان تأجيل ذيوع خبر الحكم عليهم يجعل الاهالي يتوهمون ان قد مضى عهد الاحكام الشديدة وجاء دور القصاصات الخفيفة . فاعتذر دولته بعدم وجود سجن كافٍ لاستيعاب الجميع مع اني اعتقد بانهُ من السهل اعداده

ثم قلت لدولته انه يخلق بهِ اذا كان يشعر ان باستطاعته قمع المشاغب والقلاقل تنفيذ حكم الاعدام جهاراً في ساعة معينة من النهار واعلان الجناية التي قضت باعدام مقترفيها لانه لم يسبق ان أعدم مسلم لقتله مسيحياً . فأجاب دولتـه ان قد عُلقت ورقة على صدر كل مشنوق توضح جنايته ولا يرى فائدة من ذلك لان العدد الاكبر من الوطنيين يجهل القراءة حتى لو دنا من المقتول . واردف ان ليس لديه معاونون يعتمد عليهم ولذلك يتعذر تسوية كل شيء وفقاً للمرغوب لان كل العمل ملقى على عاتقهِ فعليه ان ينظر في قضية كل متهم منذ بدء استجوابه حتى وفي كيفية اعدامه

ثم اشار دولته الى الاتفاقية المعقودة حديثاً فابدى استيـاءه الشديد من اضطراره الى البقاء طويلاً في دمشق في حين ان عليه تسوية مسائل الدروز وقد صار الشتاء على الابواب . ولا يرى وجوباً لاستدعاء الجنود الفرنسويّة الى الداخلية.

لم يحدث اضطرابات جديدة في جوار دمشق سوى مقتل مسيحي ومع ذلك فالمسيحيون في المدينة لا يمكنهم التجول فيها بلا حرس او مرافقة مسلم دون ان يكونوا معرضين للاهانات . فلا يجسر احد منهم على الخروج الى ما وراء الاسوار . أمّا الرعب فمستمر ولاسيما منذ القاء القبض على كبار القوم الثلاثة المذكورين آنفاً . وقد هجر رجال الاكراد حيهم وهربوا عند شيوع خبر اول اعدام جرى .

لانعرف هنا كثيراً من حركات الدروز سوى ان زعيمهم سعيد بك جنبلاط جاء سهل البقاع منذ بضعة ايام لجمع محاصيل املاكه واثمان مواسمه من شركائه والاستيلاء على اموال الذين لا يدفعون له حصته . وقد ارسل هذه الاموال الى اطراف جنوبي جبل حرمون (جبل الشيخ) لنقلها إلى حوران لان من الشائع الان ان الدروز مزمعون على الالتجاء الى تلك البلاد والبقاء فيها الى ان تسكن العاصفة . وقد أرسل سعيد بك عدّة كتب الى فؤاد باشا والامير عبد القادر والمستر برانت قنصل انكلترة هنا جلّ ما فيها انه بذل جهده لملافاة الشرّ وغرضه من ذلك الحصول على جواب يستدل منه على افكارهم نحوه وحتى الان لم يفز ببغيته

يُظن ان المسيحيين المقيمين في بلاد الدروز اصبحوا الآن يستطيعون ان يبرحوها دون ممانعة . ان عدد المسيحيين الباقين هنا يبلغ ٨ الاف وقد ضمن فؤاد باشا سلامتهم واخلى حياً خاصاً بالمسلمين واسكنهم فيه .

لمّا كان قد مرّ على وجودي في دمشق ١٥ يوماً سمعت في خلالها اخباراً عن سلوك بعض وجوهها في خلال الفتنة اعتقد ان سيادتكم تسرّون اذا ما علمتم ان جميع الرجال الصادقين مجمعون على الامتداح من قنصل انكلترة والشهادة بانه القنصل الوحيد الذي اظهر عزماً بينا كان الجميع يرتجفون خوفاً وخاطر بحياته غير مرة مجتازاً الشوارع للذهاب إلى دار الحكومة حيث كان يحثّ المشير على التوسط حقناً للدماء . ولئن لم ينجح في هذا السبيل فقد قدّر الجميع نشاطه وبذل ذاته ولا شك

في انه كان واسطة انقاذ كثيرين . واغتبط بان اقول بانه متمتع بصحة تامة رغماً عما تجشمه من المتاعب اخيراً . (عدد ١٠٩ ص ٩٥ ـ ٩٧)

١٨٨ – برقية الى الامير عبد القادر في ٢٤ منه (١)

الى سمو الامير السيد عبد القادر

قد عهدت إليَّ حكومة جلالة ملكة بريطانيا ان اعرب لسموّكم انها تقدّر الخدم التي اديتموها للانسانية بانقاذكم حياة كثيرين من المسيحيين حق قدرها اذ لولاكم لكانوا هلكوا بيد اعدائهم الاشرار القساة القلوب في مجزرة دمشق

ان حكومة جلالتها عرفت من سلوك سموّكم الفرق الكائن بين الامير المسلم ذي العقل الراجح والجبناء المتظاهرين بالتديُّن الذين عملوا بأثارتهم التعصب على ابادة كثيرين من المسيحيين العزّل .

وافتخر باني اخترت لاكون واسطة ابلاغ سموكم عواطف امتنان حكومة جلالة الملكة كما ان في صدري أسمى عواطف الاعجاب بكم وقد شاهدتُ بعيني انتصاركم للمظلومين وانقاذكم حياتهم . (ملحق عدد ١١٧ ص ١٠٠)

١٨٩ – اللورد دوفرين الى اللورد روسل . عن طرابلس في ٢٤ منه

اتشرف فانبي، سيادتكم باني قد تشرفت البارح في مقابلة جلالة السلطان فقدمني اليه سعادة السير هنري بولفر . وقد شاء جلالته ان يجاملني فتلطف بان قال لي انه سرَّ كثيراً من هذه المناسبة التي مكنته من مشاهدتي قبل سفري الى سورية

---

(١) أمّا سائر الدول فقد اهدت الى الامير المشار اليه اكبر وساماتها مصحوبة بكتب الثناء وقدمت لهُ جمهوريّة الولايات المتحدة « غدارتين » مرصعتين لعدم وجود اوسمة عندها

ثم اعرب عن شدة اشمئزازه مما جرى بعبارة شديدة اللهجة وختم كلامه مؤكداً لي تقديره عواطف الولاء التي اظهرتها نحوه حكومة جلالة الملكة في كل حين حق قدرها . (عدد ١١١ ص ٩٨)

١٩٠ – صور الى السير بولفر عن بيروت في ٢٩ منه

اتشرّف فانبئكم انه لمّا كان الجنرال بوفور دوطبول قائد البعثة الفرنسوية العام راغباً في مفاوضة فؤاد باشا كما هو الشائع سيذهب اليوم أو غداً إلى دمشق يصحبه حرس من الجنود التركية جعله دولته قيد خدمته .

ان الباخرة « كنج » الحاملة ٨٠٠ جندي وضابط تمام عدد الـ ٦ الاف المعين في الاتفاقية لم تصل حتى الان فقلقت الافكار من جرّاء تأخرها .

افادني حضرة القنصل ابيلا ان قد وصل صيدا اكثر من الف مسيحي من حاصبيا وراشيا وجوارهما سالمين بخفارة الجنود .

لم يتبدّل موقف الدروز منذ كتابي السابق وقد اخبرتكم به عن سفر جمهور منهم من الشوف والعرقوب إلى حوران ولا يزالون يعتدون على المسيحيين وأموالهم

اتصل بي ان زعماء الدروز يعدّون عريضة يلتمسون بها حماية جلالة الملكة من كل جور واستبداد مستسلمين لعدالتها .

وصل بيروت منذ بضعة ايام زهاء ٢٥٠ دمشقياً من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة بعضهم مدى الحياة واخرون لبضع سنوات وقد أركبوا اليوم البارجة « شادية » التركية لنقلهم الى الاستانة وقد مرّوا امام دار القنصلية مكتوفي اليدين تخفرهم الجنود . (عدد ١٢٠ ملحق ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥)

١٩١ ـ محمد الله بلمبي شيخ عقل الدروز الى ملكة انكلترة في ١٧ منه

عريضة مرفوعة الى اعتاب عرش جلالة ملكة انكلترة المعظمة أيّد الله ـ تمجد اسمه ـ اركان ملكها وزاد اقتدارها وسطوتها آمين .

يعرض جميع رؤساء الطائفة الدرزيّة في جبل لبنان وعموم افرادها الى اعتاب عرش جلالتها انه منذ انعم الله على هؤلاء العبيد بظل حمايتها المملوءة رأفة وحنانًا نحو جميع خدامها من أيّة طائفة كانوا واين وجدوا امسوا مهددين بالقضاء عليهم جورًا دون شهود . فهؤلاء العبيد ينطرحون امام عرش جلالتها ملتمسين رأفتها وحمايتها والتفاتها السامي ليعاملوا بالعدالة . وهم يتجاسرون على رفع هذه العريضة الى حكومة انكلترة النزيهة الشفوقة نحو عباد الله ويتجرأون على ان يصحبوها بلائحة تتضمن سرد الحوادث التي جرت بينهم وبين الامة المارونية في جبل لبنان لكي تبلغ مسامع جلالة الملكة وتحيط علمًا بتفاصيلها فترأف بهم وتأمر ان يعاملوا وفقًا للعدالة بناء على شهادة شهود نزيهين . ولذلك فانهم يعفرون جباههم على اعتاب عرش عظمتها ضارعين اليها ان تنصفهم وتفاوض الحكومة العثمانية وسائر الدول العظمى في امرهم اتقاء ان يُحكم عليهم بناء على شكاوى اعدائهم الكاذبة او يعاقبوا قبل اجراء محاكمتهم وثبوت ذنبهم . ومعاذ الله ان يأتي الملوك الصادقون عملًا ظالمًا ! .

فهذا ما تجاسروا على عرضه على مواطيء اقدام جلالتها حرسها الله من كل شر آمين

ولمّا كان ليس من عادة الدروز مقدمي هذه العريضة ان ينقشوا اختامًا باسمهم فقد اقتصر هذا العبد الحقير على تذييلها باسمه ومهرها بخاتمه نيابة عنهم جميعًا .

(عدد ١٢٢ ملحق ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧)

(تنبيه) ان هذه العريضة واللائحة المرفوقة بها قد اوصلهما المستر موريس مدير جريدة التيمس الى اللورد روسل وزير خارجية انكلترة في ١٥ ايلول سنة ١٨٦٠ . وجاء في كتابه (عدد ١٢٢ ص ١٠٦) ان مشايخ الدروز سلموهما الى مراسل التيمس الخصوصي في بيروت . وان قد أرسلت نسختان منهما الى سفير جلالة الملكة في الاستانة والى امبراطور فرنسا ولكنه لا يعلم باية واسطة .

١٩٢ – رواية الدروز عن حوادث لبنان

من المشهور لدى الجميع وقد عمّ الخبر كل الاصقاع ان الموارنة وجّهوا مساعيهم منذ سنة ١٢٥٧ هجريّة (١٨٤١ م .) الى طرد الدروز من جبالهم (لبنان الشرقي والغربي) وتوطيد اركان استقلالهم فيها وقد دفعهم الى ذلك اعتمادهم على كثرة عددهم وثروتهم وانقيادهم الى تحريض بعض ذوي الغايات . فبدأوا بالعدوان في السنة المذكورة اعلاه واستأنفوا الكرّة في سنة ١٢٦١ هـ . (١٨٤٥ م .) على أمل ان يدركوا ضالتهم المنشودة لكن الرب خيّب امالهم الشريرة وعاقبهم على سلوكهم حسب استحقاقهم . وظنّ انهم اتعظوا بهذه العبرة فلن يعودوا إلى مثل تلك الاعمال ولن تخطر على بالهم .

بيدَ انهُ لمّا انتخب المطران بولس مسعد بطريركاً على الطائفة المذكورة جدّد تلك الفكرة فيهم وأسكرتهُ خمرة الآمال فأخذ يسعى بالاتفاق مع المطران طوبيّاً وغيره من المطارنة لاعداد ما يلزم لاتمام غايتهم . ففطنوا الى ان الوسيلة الاولى المتوقف عليها نجاح مشروعهم هي توحيد الكلمة فسعوا اليها وما عتموا ان رأوا امكان رفض بعض رؤساء شعبهم الاتحاد معهم اعتماداً على عددهم ولاسيما ان معظم هؤلاء الزعماء أصحاب ثروة واقتدار وفضلاً عن ذلك انهم معروفون بشفقتهم على النساء والاطفال فينفرون من ترميلهنّ وتيتيمهم ناهيك عن حبهم لوطنهم . فأخذ الاساقفة المذكورون

يجدّون في تقويض سيطرة أولئك الزعماء وتقليص ظلّ نفوذهم والغاء حقوقهم ليقيموا مقامهم اشخاصاً يضربون على وترهم فيكونون آلات عماء بيدهم . يؤيد ذلك ما فعلوه ببيت الخازن وبيت حبيش وغيرهم من أصحاب الاقطاعات إذ طردوهم واغتصبوا املاكهم واستبدلوهم بطانيوس شاهين وغيره . وكان ان امتدّت هذه الروح الشريرة الى اقطاعات القاطع والمتن وغيرهما .

أمّا الوسيلة الثانية فقوامها الحصول على ثقة طائفتهم ليستدّ بها ساعدهم . والدليل على انهم اجتهدوا لاحراز هذه الثقة وتوثيق عراها اذاعتهم في عموم سكّان القرى نشرات ممضاة منهم حثًّا لهم على العمل يداً واحدة وشدّ ازر بعضهم البعض والانقياد إلى اشارتهم . وكان ان ذاع منطوق هذه النشرات وعُثر على بعضها فوجدت محتوية على ما تقدم بيانه ونصها واحد .

الوسيلة الثالثة : التحالف مع سائر الطوائف المسيحية . وغرضهم من ذلك ليس فقط زيادة قوّتهم بل الاستئمان من معارضتها لان كثيرين من افرادها أبوا في الفتنتين السابقتين ان يشاركوهم لتيقنهم ان الموارنة بعد بلوغهم غرضهم يقومون عليهم ويعاملونهم كالدروز الاّ اذا اعتنقوا مذهبهم . والدليل على ذلك عنايتهم الشديدة بالتودد اليهم ومجاملتهم واظهار ميل غير عادي الى مسالمتهم عدا عن المناشير والرسائل التي كتبها البطريرك واساقفته الى عموم طائفتهم ليعيشوا مع سائر الطوائف المسيحية كابناء طائفة واحدة والى الخوارنة ليدخلوا كنائسهم ويحضروا حفلاتهم الدينية خلافاً للعادة . وقد شاهدنا جميع هذه الامور في غير مكان واثبتها لنا كثيرون .

الوسيلة الرابعة : تعيين معتمدين في كل اجتماع عام يعقد في أهمّ اماكن ابرشيّاتهم ليكونوا واسطة ابلاغ الجمهور اوامرهم ونصائحهم تعزيزاً لمشروعهم . يؤيد ذلك تأليف جمعيّات في بيروت وزحلة ودير القمر وكسروان وغيرها من الاماكن كما هو مشهور وأهمها جمعية بيروت .

الوسيلة الخامسة : اقامة « مشايخ شباب » يأتمرون بأمرهم ليسهل عليهم انجاز خطتهم . والبرهان على ذلك تعيين هؤلاء المشايخ كما هو مشهور في كل بلدة وقرية ومزرعة حتى في بيروت أيضاً مقرّ الحكومة .

الوسيلة السادسة : تسليح جميع رجال حزبهم لتزداد بهم قوّتهم . يثبت ذلك ان قد شوهد توزيع كمية عظيمة من الاسلحة مرسلة من بيروت الى كل قرية . وقد تمّ هذا التوزيع على يد الخوارنة خاصةً ولمّا سُئلوا عن سبب هذا التسلح وعن كيفية دفع ثمن السلاح نظراً لمحل المواسم وهم في حاجة الى القوت اجابوا انهم ابتاعوها دفاعاً عن حوزتهم وأُعطوا مهلة لدفع ثمنها كما يستفاد من العهود التي كتبوها على انفسهم لكنه وضح فيما بعد ان كتابة هذه العهود ليست سوى حيلة لاخفاء الحقيقة وان جمعية بيروت وهبتهم السلاح لايقاظ الفتنة .

ثم ان المطران طوبيا قضى مدة ٦ اشهر مشتغلاً بتأليف جمعية مسيحية في انطلياس وقد عُلم مما ذاع من سرها ان غايته الرئيسية من تأليفها جمع الشبّان في كل مكان وتسليح من لا سلاح لديه ولمّا رأى تعذر نجاح مسعاه عمد الى خطة أخرى لادراك غايته بواسطة الخوارنة .

وفي جملة الوسائل التي تُذرع بها تمرين الشبّان على الحركات العسكريّة . يثبت ذلك ارسال مدرّبين الى اكثر القرى لتعليم اهاليها لعب السيف والترس والفروسية واطلاق البنادق .

وتوسلوا ايضاً الى غرضهم بابعاد جميع الغرباء عن طائفتهم من بلادهم على قدر الامكان اتقاء ذيوع اسرارهم واراحة لافكارهم . والدليل على ذلك انهم اكرهوا المسلمين والمتاولة القاطنين في كسروان والفتوح على ترك بلادهم او اعتناق مذهبهم لانهم قليلو العدد . وفي الحقيقة ان جمهوراً كبيراً أُرغم على اعتناق المذهب الماروني والذين أبوا حلّت بهم البلايا . وقد اتصلت مساعي المطران طوبيا الى انهُ هدد قرينة

الامير سليمان المتيني وولديها المسلمين ولم ينفك عنهم حتى صاروا موارنة. وحمّس ايضاً الامير مجيد احد حفدة الامير بشير شهاب ووعده بولاية جبل لبنان اذا شاء ان يبدأ بالفتنة وقصده ان يحمله على الرجوع إلى الدين المسيحي ويزيّن له الانتظام في سلك الطائفة المارونية لان الامير المشار اليه كان اعتنق الاسلام في الاستانة. وقصارى القول ان الموارنة لم يهملوا شيئاً من الوسائل التي من شأنها تحقيق غايتهم حتى اذا شئنا تعدادها كلها طال بنا الشرح الى ما لا نهاية لهُ.

ولمّا رأوا ان قد تمت معداتهم وكملت تجهيزاتهم على احسن منوال كما سبق لنا بسطه عمدت جمعية بيروت الى مكاتبة سائر الانحاء مستدعية اليها معتمدي كل ناحيـة. وازدادت ثقتهم بنفسهم ونزعتهم الى الحرب فاكثروا من الالحاح على اخوانهم بالانضمام اليهم ووعدوهم بارباح جزيلة وفوائد عظيمـة ووزعوا عليهم الذخائر والمؤن وكل لوازم الحرب الى ان عمدوا في مدة قصيرة الى الثورة وتظاهروا بالعدوان ونشروا راية الحرب.

فبدأوا اولاً بقطع الطرقات وسلب المسافرين واساءة معاملتهم وبلص السكّان وقد جرى هذا بينما كان الدروز غير منتبهين الى مقاصدهم وزعماؤهم يبذلون مجهودهم لحفظ حياض السلم صافية فالفتوا انظار اعيان المسيحيين المعروفين بتعقلهم الى هذه الاعمال وحثوهم على الاخلاد الى السكينة وردع الاشقياء موضحين لهم سوء العقبى.

فكانت النتيجة ان كثرت اعتداءاتهم وحدث في ليل الجمعـة ١٥ رمضان (٦ نيسان سنة ١٨٦٠) ان مكارياً درزياً من بعقلين التابعة اقطاعة الشوف كان نائماً في خان القصعة الكائن في جوار قرية الحدث من أعمال قائم مقامية النصارى فهجم عليهِ فريق من موارنة القرية المذكورة واطلقوا عليه الرصاص وهو راقـد وقطعوه أرباً بخناجرهم ونثروا اعضاءه. فلم يحرّك الدروز ساكناً واقتصروا على رفع

شكواهم الى الحكومة . ثم انقضت مدّة على هذا الحادث وهياج القوم يزداد يوماً عن يوم وبدىء بتأليف جيش من المقاتلين في كسروان وجوار بيروت وغير مكان

وكان قد حدث في ٢٣ شوّال (١٤ ايار سنة ١٨٦٠) انه بينما كان ثلاثة مكارين دروز من قرية المعاصر عائدين من مدينة صيدا ووصلوا الى قرب جسر المدينة المذكورة هجم عليهم جمهور مسلّح من موارنة قرية قيتولي التابعة جزّين ومن غير اماكن واطلقوا عليهم الرصاص فقتلوا اثنين منهم وتركوا الثالث كميت . فلما اتصل هذا الخبر باقارب القتلى هاجوا كثيراً انّما اتُخذت التحوطات في الحال فسكن فائرهم. وبعد مرور يومين بينما كان جمهور من مسيحيي ناحية جزين مارّين في اسفل قرية الكحلونية الواقعة على حدود اقطاعة الشوف التقوا صدفةً ببعض الدروز فتبادل الفريقان اطلاق الرصاص فقُتل ٣ من المسيحيين .

ولمّا بلغ الخبر اهالي جزين قام فريق منهم واعلن الحرب على قضاء الشوف فرُفع الامر الى الحكومة فأصدرت في الحال أوامرها بايفاد ضابط و٥٠ فارساً وصحبهم مندوبون من قِبل القائم مقام ومن اعضاء المجلس وغيره وعدد كافٍ من الفرسان ليتخذوا التحوطات اللازمة بمعرفة سعيد بك جنبلاط صاحب الاقطاعة . فلما وصلت هذه القوّة الى قرية المختارة مقرّ سعيد بك المشار اليهِ استحسن ايفاد رسولين لمخاطبة اهالي الكحلونية وقيتولي حسب العادة فرضي أهالي الاولى بما اقترح عليهم أمّا اهالي القرية الاخرى فانقادوا لرأي ابي سمرا شيخ شباب ناحيتهم فتسلحوا وطردوا الرسولين المذكورين بعد ان اشبعوهما اهانة. وكان ان بلغ الهياج أشدّه في تلك الناحية ونُشرت رايات الحرب فنخلت لهم النصائح ليعتدلوا ويستقيموا لكنهم ازدادوا تعجرفاً وزرقاً .

ثم ان ظاهر ناصيف وكيل مسيحيي اقليم الخروب تسلح واعلن الحرب وجمع حواليه فريقاً من مسيحيي الاقليم المذكور في قرية البرجين حيث يقيم وفي يوم

الاثنين اول ذي القعدة (٢١ ايار سنة ١٨٦٠) التقى بمسلم من قريته فهجم عليه وجرحه وفي ذلك اليوم هجم فريق من فرسان بلدة زحله على سهل البقاع واساءوا معاملة الدروز الذين صادفوهم هناك وسلبوهم ماشيتهم وأقام هذا الفريق في قرية قب الياس الكائنة في سفح الجبل. وفي اليوم ذاته تألبت الجماهير من كسروان الى نهر الكلب بقيادة طانيوس شاهين .

ويوم السبت الواقع في ٦ ذي القعدة (٢٦ ايار سنة ١٨٦٠) كان بعض دروز قرية بشامون ذاهبين لمشاهدة بعض اقاربهم المشتغلين في بساتين نهر بيروت فلما وصلوا الى جوار بستان زيتون كائن على ضفة النهر لاقاهم المسيحيون المجتمعون هناك وسألوهم تسليم سلاحهم فأبوا لكن المسيحيين ظلوا يلحون عليهم الى ان ادخلوهم بيتاً هناك حيث احاطوا بهم وهددوهم اذا امتنعوا عن تسليم سلاحهم باضرام النار في البيت واحراقهم فيه فسلم كثيرون أسلحتهم أمّا الباقون فقفزوا من النوافذ. وكان ان قدم بعض قوّاسة القناصل فقادوهم الى المدينة وبينا هم سائرون صادفوا ايوب الطرابلسي أحد اعضاء جمعية بيروت ومدبّر هذا الكمين وكان معه جمهور مسلح فاطلق الرصاص على الدروز فقتل احدهم وجُرح آخر جراحاً خطرة توفي على أثرها .

وفي اليوم التالي كان ماروني من دير القمر مسافراً فلما بلغ دكّان عناب التقى هناك ببعض اقارب القتلى فقتلوه ولمّا اتصل الخبر باهالي دير القمر فارّ فارّهم وطفقوا يبحثون عن الدروز فالتقوا بدرزي من كفرفاقود فقتلوه ايضاً .

وفي يوم الاحد (٢٧ ايار) حدث هياج عظيم في اقطاعة الشحّار من جراء هذا الحادث واجتمع الموارنة في قرية المعلقة ونشروا راية الحرب .

وفي يوم الاثنين (٢٨ أيار) اجتمع اعضاء مجلس الولاية واعيان مدينة بيروت برئاسة دولة والي الايالة واستُدعي أيضاً المطران طوبيّا فتناقش الحاضرون في الذرائع

الواجب التوسل بها لايقاف المشاغب وتفريق شمل المسيحيين المجتمعين على حدود بيروت واجبارهم على العودة الى بيوتهم فاستقرّ الرأي على ارسال جنود سلطانية الى الحازمية فذهبت في الحال وعلى ايفاد امين من قِبل دولته ووكيل من قِبل المطران طوبيًا الى طانيوس شاهين لحضّه على الاقلاع عن عزمه وتفريق الجماهير التي التفت حوله . ومع ان المطران اعلن عدم ارتياحه الى هذا التدبير وصرّح بعدم استطاعته اجراء شيء بهذا الصدد رأى الاجدر بهِ ارسال وكيله مع مندوب دولته فذهبا معًا الى طانيوس المذكور ولم ينتج شيء عن ذلك سوى ان جمهورًا من رجال كسروان المسلحين دخلوا ليل ذلك اليوم قرية بعبدا المجاورة قرية الشويفات مقرّ القائم مقام الدرزي وهي تبعد نحو ٥ ساعات عن اقطاعة كسروان فانضمّ اليهم جميع نصارى هذه الناحية .

فاخبر القائم مقام في الحال الحكومة والقناصل اصدقاءه . فأمر الوالي بايفاد أمين لانذار الزعماء المجتمعين في القرية المذكورة بان يمنعوا رجالهم من متابعة قصدهم وان يوعزوا اليهم بالتفرق فأجابوا انهم مصممو النية على اتمام ما بدأوا بهِ استئصالاً للدروز حتى اذا تدخلت الجنود النظامية يقاومونها . وفضلًا عن ذلك فان القائم مقام ارسل ايضًا معتمدًا الى الزعماء المذكورين يسألهم تبديد شمل رجالهم واعادة كل شخص الى بلدته وان يعدلوا عن هذا العمل المسبب اضطرابًا عامًا فكان جوابهم انهم نشروا رايات الحرب ولم يبقَ من سبيل الى طيّها

وفي ذات اليوم زحف جمهور من موارنة جرد كسروان والقاطع الى المروج الكائنة في اطراف اقطاعة المتن . ومن الغد الثلثاء (٢٩ ايار) ترأس خوري البوشريّة الواقعة في سهل بيروت عددًا غفيرًا من المسيحيين ناشرين علَم الحرب وقدم بهم لمهاجمة دروز بيت مري الكائنة في جهة المتن . ولمّا دانوا القرية ذهب ابرهيم آغا (وهو ضابط الجنود المرابطة هناك بأمر الحكومة لملافاة اسباب القتال بين الاهلين

واتقاء تجدد حدوث ما وقع منذ سنوات) ومعه شيوخ الدروز فيها الى الامير يوسف علي أبي اللمع صاحب الاقطاعة وسألوه ان يصدّ الخوري وعصابته استدراكاً للشرّ .

فبذل الامير جهده لتحقيق هذه الامنية ولمّا رأى عدم انقيادهم نصح الدروز باخلاء القرية فتركوا بيوتهم حالاً حبّاً بتجنب اسباب النزاع قاصدين القرى المأهولة بالدروز . ولمّا وصلوا الى خارج القرية شاهدوا هذه العصابة داخلة اليها وقد شرعت باضرام النار في بيوتها ثم عمد رجالها فجأة الى مطاردتهم لاهلاكهم فاضطرّوا إذ ذاك إلى الدفاع عن حياتهم فانتشب القتال بين الفريقين ومع قلة عدد الدروز وأرجحية المسيحيين عليهم لم يطل الوقت حتى انهزم المسيحيون وتمكن الدروز من العودة الى بيوتهم .

وفي ذلك اليوم جاء جمهور الزحليين المرابطين في قرية قب الياس الى الجبل بحثاً عن علي بك العماد الذي كان يقيم في قرية عين داره لحماية طريق دمشق الموكولة اليهِ فلما اقتربوا من القرية المذكورة وعددهم ثلاثة الاف مقاتل خرج عليهم علي بك المشار اليهِ برجالهِ وسكان القرية وكان عددهم مايتين فقط وانتشب القتال بين الفريقين في وادي الدبور المجاور القرية المار ذكرها وكان ان تراكض على دوي الرصاص شجعان القرى المجاورة الى نجدة اخوانهم الدروز واستمرّ الكفاح الى ان تراجع الزحليون الى خان مراد الكائن بجوار قرية قب الياس حيث معسكرهم فلحق بهم الدروز وتجدد القتال وأحاطوا بهم وضيقوا عليهم حلقاته ولم يمضَ قليل من الزمن حتى هزموهم مجددًا فتشتتوا في انحاء زحلة . أمّا عدد الدروز في هذه المواقع فلم يتجاوز الف مقاتل وجُرح علي بك المشار اليهِ وقُتل الشيخ حمود عبدالملك مع انه جاء وحده اعزل لاستطلاع الخبر ومنع الشر وقد كان مشهورًا بحبه السلم .

وفي اليوم السابق زحفت عصابة من مسيحيي دير القمر على العرقوب الادنى وعند وصولهم الى قرية كفرنبرخ مقرّ ملحم بك العماد برز لقتالهم الشيخ المذكور وكسرهم فعادوا القهقرى

وفي اليوم التالي الاربعاء (٣٠ ايار) قصدت الجماهير المتجمعة في بعبدا الغرب الاعلى فلما اتصل الخبر بدولة والي الايالة ارسل ترجمانه اليهم مع عدّة ضبّاط لينصحوهم بالعدول عن عزمهم موضحين لهم سوء عواقب هجومهم فلم يصغوا لهُ وتابعوا طريقهم حتى دخلوا أول اقطاعة الغرب وأخذوا يضرمون النار في عدّة اماكن فتصدّى لهم رجال الاقطاعة المذكورة واستظهروا عليهم واضطرُّوهم الى الفرار ولم يجدُّوا في أثرهم لان دولة الوالي المشار اليهِ اوعز اليهم بالكف عنهم

وفي ذلك اليوم انقضّ جمهور من الموارنة المجتمعين في المتن من زحلة وغير أماكن على القرى الدرزيّة المهجورة الكائنة في جوار النواحي المسيحية واحرقوا قريتي قرنايل وكفرسلوان وغيرهما ثم انتقلوا الى القرى الدرزيّة المأهولة فنهض اهلوها لصدّهم واشتبك القتال بينهم وما كانت برهة حتى انهزم المسيحيون شرّ هزيمة الى بلادهم

وفي اليوم ذاته نشب قتال في قرية حمّانا وبعد حصار شديد لاذ المسيحيون بالفرار ايضاً . وفي ذلك التاريخ سُمع عند منتصف الليل دوي الرصاص في عدّة جهات من سهل الشويفات وقد اطلقه الرقباء المبثوثون غربي القرية استكشافاً لجمهور المسيحيين المحتشد في معلقة الدامور ولمّا كان اطلاق الرصاص علامة متفق عليها مع الرقباء المذكورين عرف اهالي القرية ان العدو قادم لمهاجمتهم فاحتاطوا للامر واستعدّوا للقائهِ وذهب بعضهم للاستطلاع الى جهة الرقباء فوجدوا جمهوراً مسلحاً وأحد الرقباء قتيلاً ولمّا اقتربوا منهم اطلقوا عليهم النار وهجموا عليهم فاضطروا الى مقابلتهم بالمثل وبعد قتال قصير كسر المهاجمون وتراجعوا عن الطريق

المؤدية الى القرية

ومن الغد الخميس (٣١ ايار) تقدم المسيحيون المحتشدون في بيت مري لمهاجمة الدروز في قرية العبادية وقصد المجتمعون في صليما والعربانية وبعبدات وبكفيا دروز قرية رأس المتن فلما اقترب الفريقان من القريتين المراد مهاجمتهما خرج عليهما اهلوهما واستمرّ القتال مدّة ٨ ساعات انهزم في نهايتها المسيحيون مشتتين

وفي اليوم التالي الجمعة (اوّل حزيران) بينا كان بعض دروز المناصف يحصدون حقلًا لهم بجوار دير القمر داهمهم فريق من مسيحيي هذه البلدة واطلقوا عليهم النار وجرَت بين الفريقين معركة

وقصد فريق آخر الاعتداء على قريتي كفرحمل وكفرقطره الدرزيتين التابعتين اقطاعة المناصف فتصدّى لهم اهلوهما وبلغ صدى القتال الانحاء المجاورة فتراكض القوم لنجدتهم ولمّا كثر عديدهم بدأ المسيحيون بحرق بيوت الدروز في دير القمر ثم اشتدّ الكفاح فدارت الدائرة على المسيحيين ولجأوا الى بلدتهم فلحقهم الدروز ودخلوها وظلوا فيها حتى الليل فقدم اذ ذاك بعض زعمائهم ومنعوهم من متابعة القتال فعاد كل منهم الى بيتهِ .

وحدث في ذات اليوم ان فريقًا من مسيحيي جزين زحفوا على دروز نيحا فخرج عليهم اهلوها وانتصب القتال وتراكض اناس من الفريقين لنجدة اخوانهم فحمي وطيسه الى ان هُزم المسيحيون وتفرقوا في تلك النواحي

وفيهِ ايضًا قدم يوسف المبيّض معتمد مسيحيي اقليم التفاح برجاله الى قرية درب السيم لمهاجمة قاسم اليوسف المقيم على جسر نهر الاولي قرب صيدا لحراسة املاك سعيد بك جنبلاط الكائنة هناك فلما اقتربت منه هذه الجموع لاقاها وظفر بها

ونهار الاثنين ١٧ منه (٤ حزيران و١٥ ذي القعدة) هجمت جموع الزحليين المرابطة في حمى كفرسلوان على دروز فالوغا بيدَ انهُ لمّا كان صاحب الدولة والي الايالة

قد عسكر على طريق الشام لمنع احتشاد الجماهير التي كان اتصل بهِ خبرها فقد حظر ارسال نجدة إلى الدروز وانفذ اوامر شديدة اللهجة الى زعمائهم في الجوار ليحولوا دون مد يد العون الى اخوانهم. انما لما كانت قرية فالوغا مجاورة قرية قرنايل قدم جمهور من هذه الاخيرة لمساعدة ابناء مذهبهم قبل وصول الاوامر المذكورة فاشتبك القتال وكُسر المسيحيون. فأرسل دولته في الحال بعض اعيان الدروز لارجاعهم واطفاء جمرة هذه الحادثة

وبعد ان وصل الدروز الى جوار زحلة قدمت قبائل حوران ووادي التيم وضواحيها إلى البقاع نهار الثلثاء ٢٤ منه (١٢ حزيران) فور بلوغهم الاخبار بان الموارنة في جبل الدروز مع اشياعهم من سائر الطوائف نزعوا الى الفتنة بقصد استئصال الطائفة الدرزيّة من جبالها وبسط سيطرتهم عليها فألّفوا عصابات وهاجموا بها الدروز فسرَت في عروقهم الغيرة والحماسة انتصاراً لاخوانهم وجاء جمهور كبير منهم لاستطلاع احوالهم ومعاونتهم.

وفي اليوم التالي الاربعاء (١٣ حزيران) هجم فريق من فرسان زحلة على شرذمة درزيّة مقيمة في قب الياس الكائنة على مسافة ساعة ونصف ساعة من البلدة المذكورة واستمرّ القتال الى ان انكسر الزحليون وتراجعوا إلى الوراء

واذذاك بُذلت المساعي مجدداً لاستدراك وقوع الشر وازالة كل اضطراب واعادة مياه الراحة الى مجاريها. ولمّا كان وجود نجدات حوران في الاماكن المذكورة قد اثار القلق فصرف القائم مقام العناية الى ايقاف زحفها واقناعها بالعودة الى قراها فاوفد اليها الشيخ محمود العيد اكبر مشايخ الدروز سنّاً وهو معروف بحبه السلم والامان موكلاً اليه ان ينصحهم بالاقلاع عن عزمهم ويبذل جهده لادراك هذه الامنية. فذهب اليهم وبعد جدال طويل وعده مشايخهم وزعماؤهم وقوّادهم بالاخلاد الى السكينة مدة ثلاثة ايام مراعاةً للمساعي المبذولة لعقد صلح بين الامتين. ولمّا انقضت

هذة المهلة دون ان يتمّ الصلح جُددت الى اربعة ايام أخرى

بيدَ انه يوم الاثنين في ٢٩ منه وهو الذي صار فيه الاتفاق على هذه المهلة بينا كان بعض فرسان الدروز يتنزهون في ارض سعدنايل الكائنة على مسافة ساعة من زحلة باغتهم فريق من فرسان هذه المدينة وانتشب بينهم القتال فأخذت جماهير الدروز تتراكض تدريجًا على دوي القتال وخرج فريق من زحلة واستمرت نيران الحرب خارج القرية السابقة الذكر ولم يطل الامر حتى تراجعت جموع زحلة الى القرية وتحصنت فيها فأحاط بها الدروز وهاجموها ودخلوها وسيوفهم مسلولة فهرب المسيحيون المحصورون في القرية الى الجبل

وفي يوم الاربعا ٢٠ حزيران اول ذي الحجة ذاعت الاخبار في معظم نواحي الجبل بنشوب الحرب في دير القمر وان قد تمّ حصرها فتراكض سكّان الجوار اليها وعندما بلغتها طلائع المحتشدين أطلق عليهم الرصاص من البيوت وتجندل عدد من الدروز واذ ذاك هجموا على المدينة واستولوا عليها فقتلوا عددًا غفيرًا من المسيحيين المقيمين فيها .

فلما اتصل الخبر بصاحب الدولة والي الايالة امتطى في الحال جواده واخذ معه فصيلة من الجنود النظامية وقصد بهم هذه البلدة مجدًّا في السير ولمّا بلغها أمر الدروز بايقاف القتال والجلاء عنها فاتصلت به إذ ذاك الانباء بحراجة الاحوال في المدينة وجوارها فعاد في الحال بعد ان اعطى الاوامر اللازمة قاصدًا معسكر الجنود النظامية .

وقد اوعز دولته أيضًا إلى قائم مقامي الجبل بالمجيء إلى بيروت مصحوبين بعدد من أصحاب الاقطاعات واعضاء وأعيان الاهالي للتفاوض في ما يجب اجراؤه لتسكين الهياج وتوطيد اركان الراحة

فقدم القائم مقامان وبعض المطلوبين وبعد جدال طويل بين الفريقين في

المسائل المبسوطة آنفاً أجمع رأيهما على عقد الصلح وفقاً للشروط التي كتبت بعد حرب سنة ١٢٦١ ومآلها : ان كل فريق يتناسى ما مضى ولا يقدم على احداث فتنة ويتجنب أدنى اضطراب متحاشياً المطالبة بعوض منذ حدوث الاضطرابات وانتشاب الحرب العمومية إلى الان . وبناء على ما ذكر كتبا بينهما صك صلح .

(عدد ١٢٢ ملحق ٢ ص ١٠٧-١١٤)

١٩٣ – المأمور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٣٠ منه

لم يحدث ما يستحق الذكر منذ انفذت رسائلي السابقة في ٢٣ الجاري الى سيادتكم وفي خلال هذه الفترة وزّعت الحكومة على قناصل الدول لائحة نسختها في طيه تشتمل على تعداد الاشخاص الذين حُكم عليهم مع بيان نوع عقابهم . وقد ألقي القبض على بعض الجناة في الاسبوع المنقضي انما صاحب الدولة فؤاد باشا قضى الاربعة الايام الماضية في تجنيد شبّان دمشق في الجيش . ان مدينة دمشق لم تقم في السبع او الثمان سنوات الماضية بتقديم المطلوب منها سنوياً الى الباب العالي فاوجب عليها دولته تقديمه دفعة واحدة . وقد بلغ عدد الجنود التي جُمعت حتى اليوم الف رجل سيسافر نصفهم هذا المساء الى الاستانة . اما الاهالي فيبذلون جهدهم للتخلص من هذا التجنيد الاجباري ولا تزال الحوانيت وسائر محلّات العمل مقفلة منذ ٢٧ الجاري .

لم يُعدم احد مجدداً ولم تعلن احكام جديدة والناظر الى المحاكمات يرى انها جارية بكل بطء وفؤاد باشا يشكو صعوبة ايجاد شهود ولا ريب في ذلك . قليلون هم المسلمون الذين سيتقدمون للشهادة عن طواعية لكن العقلاء والعارفين باحوال المدينة يرون انه يتعذر التغلب على هذه الصعاب نظراً لكثرة الجنايات .

ان دولته تقبل زيارة كثيرين من زعماء العرب في حوران في الاسبوع المنقضي

وقد سعى الى حمل بعض القبائل على التوطن فيها بقصد استخدامها فيما بعد ضد الدروز اذا اقتضى الامر مع انه من الافضل على كل حال ان تظهر الحكومة بمظهر القادر على اخضاع رعاياها العاصين بقوتها فقط .

ان دولته اعدّ بيوتاً جديدة لاسكان المسيحيين اللاجئين الى القلعة لكنهم مترددون في الاستفادة من ذلك خوفاً من المسلمين الذين لا يزالون يشتمون كل مسيحي يصادفونه منفرداً دون حرس او محام .وارجح انه سينقضي زمن طويل قبل ان يتمكن المسيحيون من الحصول على الراحة في دمشق

أُطلق اليوم مدفع من القلعة ايذاناً بوصول الحجاج من مكة انما لا يعلم اذا كان يسمح لهم بدخول المدينة في هذه الظروف. (عدد ١٢٦ ص ١١٥-١١٦)

١٩٤ - القنصل برانت الى السر بولفر في ٣٠ منه [افتتاف]

اعتقد انه لم يكن ثمه شيء يقوى على ايلاء المشير رباطة جأش . فلو ابدى اقلّ حزم لاتقى الكارثة لكنه لمّا سمح لاصحاب الفتن ان يدسوا دسائسهم دون معارضة وتخلى عن واجبات وظيفته مظهراً الضعف والجبن فلم يبقَ رجاء في صغار مأموريه .

لمّا قلت لاحمد باشا انه كان عليه ان يتخذ تحوطات لخنق كل فتنة في مهدها حين ارساله احداث المسلمين مكبلين بالحديد لتكتيس شوارع المسيحيين أجاب انهُ لو فعل لما اجدى هذا التدبير نفعاً لان المؤامرة كانت مدبّرة من قبل فلو عُدم مدبروها هذه الحجة لاوجدوا سواها . فسألته حينئذٍ عمّا فعل بمراقبيه السرّيين وقد كان سبق لهُ ان امتدح من نشاطهم وفطنتهم فكيف لم يخبروه بسر المؤامرة فلم ينبس ببنت شفة . وقد كان يزعم تارةً وجودها وطوراً ينكرها . أمّا انا فلم اعثر على شهادة صريحة تثبتها لكنه لا ريب في ان المسلمين كانوا مياليين كثيراً إلى نهب

المسيحيين وقتلهم . ومن المجمع عليه انهُ لو قامت الحكومة بواجبها لتمكنت من قمع الفتنة .

أمَّا الجنود المستنفرة في سوريّة فلم يكن يعتمد عليها كما اتضح من سلوكها في حاصبيًا وراشيًا وهي التي عُهد اليها بحماية حي المسيحيين في عيد الاضحى واطفاء جمرة القلاقل . أجل ان ذلك يدعو الى الريبة انَّما اعتقد ان السبب الحقيقي هو ان المشير كان خائفًا منهم فرغب في ابعادهم عن دار الحكومة وفي ابقاء الامناء منهم لحمايته لانه لم يكن يفكر الاَّ بوقاية شخصه .

ان المشير هو الان امام القضاء وعليهِ ان يبرر سلوكه ويبسط اسبابه على قدر استطاعته . ان محاكمته جارية سرًّا ولا يعرف أحد خفاياها سوى اعضاء المحكمة أمَّا الرأي العام فيحكم فيها عند نهايتها وهي جلية اذا روعيت فيها العدالة دون محاباة

اذا كان الشعب مصيبًا في ظنونهِ ستطمس الحقيقة انَّما لااريد ان اقدّر ان لهذه الظنون اساسًا ولا ان اتوقع اقدام دولة فوَّاد باشا على عمل معيب كهذا لاعتقادي ان سلوكه خلا حتى الان من الريبة

وعندي ان أحمد باشا مخطيء في ضعفهِ مع مجلسه وعدم اتخاذه التحوطات التي أُشير عليهِ بها غير مرَّة واصراره على ابقاء رئيس « تفنكجيته » في مركزه مع اشتهاره بعدم الكفاية رغمًا عن تحذير عدَّة أشخاص من جميع الطبقات منه قبل ايقاظ الفتنة بعدَّة اسابيع واهماله انقاذ مسيحيي حاصبيًا وراشيًا نكثًا بوعوده لما أُخبر بالخطر المحيق بهم وتقاعده عن استدراك مهاجمة زحله وقلة اكتراثه بذبح الدروز المسيحيين ان لم نقل بتواطئه . وهو القائل على ما روي انهُ يوجد في سوريّة آفتان كبيرتان هما المسيحيون والدروز فكلما ذبح أحدهم الآخر استفادت الحكومة التركية . وتغافلهِ وعدم تدبره عواقب الحوادث الجارية وعناده في عدم اتيان حركة عندما ساءت الامور وتحرجت الى ان ظهر في آخر الامر ان الخوف قعد بهِ لانهُ لم يُشاهد خارج دار

الحكومة على قيادة جنوده ولم يخنق الفتنة في مهدها ولم يوقف المذابح ولم يستدرك اشتعال جمرتها . فقد استحق ان يُعاقب بأشنع ميتة لاهماله القيام بواجباته وعدم كفايته لمنصبه العالي وجبنه في القيادة وقد سبب قتل عشرة الاف مسيحي تقريباً خلا الشقاء العظيم الذي حلّ بالجرحى والمنكوبين وفقدان الاقارب والانسباء والاموال والحاقه الضرر بسلطانه وتخريبه بلاده ووسمه مذهبه بميسم العار . وقصارى القول لثبوت عدم تدبره شيئاً وقصوره كوالٍ وجبنه كقائد . فلو انقلب هذا النزاع إلى خلاف مذهبي لنجم عنه نتائج سيئة وليس ذلك ببعيد اذا لم يُكره مسيحيو لبنان على الاعتدال فان سلوكهم في السنوات المنقضية طبع بطابع الاضطهاد والتحرّش وقد عادت اليهم اليوم جرأتهم في بيروت على أثر قدوم الجنود الفرنسوية وأخذوا يتطاولون على المسلمين فاذا لم ينههم رؤساء مذهبهم عن هذا التصرف فانه يأتي بعواقب وخيمة .

ان كوائن الحرب التي نشبت بين الدروز والموارنة يجب فصلها عن مذابح حاصبيا وراشيا ودير القمر التي اقترفت عن عمد بعد ان سلّم المسيحيون أسلحتهم لقاء تعهد مأموري الحكومة التركية وضبّاط الجنود بوقاية حياتهم. ومن الممكن ان تكون الحكومة عجزت عن منع نشوب الحرب او ايقاف تيّارها انما كان بوسعها اتقاء المذابح وعليه جاز اتهامها بانها اذنت فيها وهذا مما يولي هذه المذابح صفة فظيعة بعكس الحرب .وليس لمذبحة دمشق علاقة بالحرب سوى انها اوجدت سبيلاً لانفجار بركان الاحقاد على المسيحيين فلما أثيرت اهواء الرعاع وجدت ارضاً صالحة واناساً مستعدين للاشتراك في القتل والنهب فعصفت .

ان البحث في الاسباب التي ولّدت التعصب في الدمشقيين يستغرق وقتاً طويلاً وما هو الاّ جرح مندمل قديماً ففتح مجدداً . ان التعصب كان سائداً في دمشق قبل ان فتح المصريون البلاد ولمّا أُلحقت هذه الايالة بمصر كسرت شوكة تعصبهم

وأصابتهم ضربة رزحوا تحتها لكنه لمّا أُعيدت سوريّة الى حكم السلطان أخذ ارباب الحكومة المحلية يتراخون سنة فسنة فاستيقظ التعصب تدريجاً وبعد انتهاء حرب الروسية تفاقم كثيراً فاستخدم الباب العالي هـذه الروح لتقليص النفوذ الاوربي . وهذا العمل كان جارياً تحت طي الخفاء انما كان واضحاً لاعين اسدج الناظرين لان الستر كان شفافاً الى حد يرى الغرض المقصود من خلاله .

وفي السنتين الماضيتين كثرت الاعتداءات على المسيحيين وتوجيه الاهانات اليهم وصبّ اللعنات على مذهبهم وشوهد احداث المسلمين يرمون المسيحيين والاوربيين بالحجـارة في الشوارع فيمرّ كبار المسلمين ولا يعنفون الاولاد ولا يردعونهم . ولمّا اشتعلت نيران الحرب بين الدروز والمسيحيين تعاظمت غطرسة المسلمين فاكثروا من التعدي والحكومة غافلة فازداد الاشرار جرأة . أمّا كبار القوم فلم يشجعوا على هذه الاعمال على ما اعلم لكني لم اسمع انهم نهوا عنها بل خيل انهم لا يحفلون بها . وكان المسلمون قد نظروا بعين الامتعاض إلى جرس كبير عُلّق حديثاً في كنيسة الموارنة والى دير الاباء اللعازريين الفخيم البناء والى دور المسيحيين أصحاب الثراء المفروشة بأحسن الرياش وأثمنه كما ان نجاح الامة المسيحية أثار حسدهم وحرّك فيهم عوامل الطمع . فان الاشخاص الذين كانوا يديرون شؤون الايالة كانوا مسيحيين وبيدهم حساباتها أثروا من وظائفهم وكان التجار المسيحيون اكثر نجاحاً من المسلمين وقصارى القول ان ذكاء الاولين ونشاطهم جاءا بأثمارهما الطبيعية لكنهما زادا امتعاض الآخرين ونكأا قرحة كلومهم الدامية .

فجميع هذه المسائل اوغرت صدر المسلمين وشعروا بانحطاطهم عن المسيحيين منزلةً وثراء فتحككت الحزازات في صدورهم ولذلك لا ريب في ان هذا الشعب كان يتوق الى اذلال المسيحيين . ولربّما تحكم دولتكم ان الظروف السابقة مع عجز الحكومة المحلية عن قمع اعتداءات المسلمين على المسيحيين كافية لبيـان اسباب

استيقاظ الفتنة دون تقدير وجود مكيدة مدبّرة عندما انفجر بركانها من جرّاء اعمال القسوة التي أتاها « التفنكجي باشي » في غير اوانها . وفضلًا عن ذلك فان ابناء العرب في الجنديّة هيجهم الشوق إلى سبي نساء المسيحيين والطمع في الاسلاب . وقد سبق لهم ان ذاقوا حلاوة كليهما في حاصبيًا وراشيًا ولذلك كانوا أشدّ ميلًا الى تأجيج نيران الفتنة اشباعًا لشهواتهم واطماعهم في الاسلاب .

قد سبق لي القول ان رصفائي لم يتعرّضوا لجريان هذه الامور وعليهِ لا حاجة للعود الى هذا الموضوع ولا إلى القطع فيما اذا كان ما حدث نتيجة عارض او مكيدة مدبّرة وقد افضت بهذا الشأن . أمّا بخصوص فؤاد باشا فيتعذر الحكم في سلوكهِ الآن على انه تصرّف بحزم وان كان يعتقد البعض بان كان عليهِ ان لا يتمسك كثيرًا بتوفر الشهادات في هذه الظروف الخارقة العادة لمعاقبة الجناة بل يكتفي بأقلّ دليل لصعوبة الحصول على كل الشروط المفروضة في الدعاوى العاديّة . وربما قادته الخطة التي نهجها الى اكتشاف كل شيء في آخر الامر كما لو كان جرى بها على طريقة أسدّ من هذه . فيجب الحكم على دولته متى انتهى تحقيقه وظهرت النتيجة . لا يمكن أحد ان يتصوّر مقدار صعوبة الحصول على أدلّة ما حدث ومعرفة عدد كبار القوم المشتركين في الفتنة الذين يعرقلون مساعيه فقد انكشف هذا الامر لعينيه تدريجًا فتحذر وصارت خطته أقل حزمًا ممّا لو اختلفت الظروف . ولي الامل بان دولته يستطيع وصف العلاج الناجع في تسوية هذه المسائل بشدة اذ يجب عليهِ ان يكبح جماح الشعب وتعصبه وقد اججته هذه الفتنة واغلت مراجله .

ان وقت المصالحة لم يحن ومن سوء السياسة بل من الخطر السعي اليها قبل ان تتوطد اركان الحكومة في البلاد . يتعذر معرفة ميعاد استداد ساعد الحكومة متى كان المأمورون المراد استخدامهم عديمي الكفاية . اين الباشاوات ذوو الحزم والدربة؟ اجهر باني لم اجد بعد طول اختباري سوى واحد يجمع في شخصهِ النشاط والالمعية

وهو فؤاد باشا . ان لصفتي؟ باشا شهرة كبيرة بين الدمشقيين فاذا كان متصفاً بهذه الصفات ويمكن اقناعه بقبول منصب الولاية و يُسمح لهُ بالبقاء في وظيفته من ٥ إلى ١٠ سنوات فحسناً تفعل الحكومة . ان الفريق غالب باشا ثاني القواد هنا كان اولاً ضابطاً في جيش ابرهيم باشا وقد سمعت من كثيرين انهُ رجل نزيه رصين حزوم يجدر ان يكون والياً حسن الادارة .

قد بقي عليَّ ان اجيب على النشرات المنفذة مع الرسالة التي اجبت عليها الان انما بعض محتوياتها تتطلب انعام نظر ووقتاً لشرح ما ترغب دولتكم في الوقوف عليه وسأفعل باقرب آن واثقاً بان دولتكم تعذرونني على هذا التأجيل القصير .

(عدد ١٣٨ ملحق ١ ص ١٣١ـ ١٣٤)

١٩٥ ـ اللورد كولي الى اللورد روسل . عن باريس في اول ايلول سنة ١٨٦٠

سألت اليوم الموسيو توفنيل عمَّا اذا كان لديه اخبار جديدة من سورياً فأجابني دولته ان الافادات التي وصلته ليست مرضية ولئن كانت المذابح العامة قد وقف تيَّارها فحوادث القتل الافراديَّة مستمرَّة والبلاد في فوضى . فلو لم تُرسل الجنود الفرنسويَّة لعجز فؤاد باشا عن اتيان شيء فانهُ لم يجسر على تنفيذ الاحكام التي قضي بها الاَّ عند وصولها . وقد اظهر المسيو توفنيل عدم ارتياحه إلى مثل هذه الاجراءات المطابقة لما جرى في جدَّه فان قتل كثيرين دفعة واحدة بهذه الصورة يبدو بمظهر انتقام اكثر من عقاب . وبينا فؤاد باشا يكتفي باعدام الذين كانوا آلات بيد المحرضين فقد هرب هؤلاء . وهو يخشى ألاَّ يكون في نية دولته ان يفعل ما يكون فيه عبرة للجميع كاعدام واحد او اثنين من كبار الضبَّاط المذنبين .

(عدد ١٠٠ ص ٨٢ ـ ٨٣)

١٩٦ــ المأمور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٣ منه

اتشرف فارسل لكم في طيهِ رواية حديث جرى لي أمس مع صاحب الدولة فؤاد باشا وهو يوضح على ما اعتقد حالة الشؤون الحاضرة .

يظهر ان دولته يرغب كثيرًا في ان لا تأتي الجنود الفرنسوية بحركة الان . لم يُعدم احد مجددًا وينتظر اليوم صدور الحكم على ٥ ضبّاط غمسوا ايديهم في مذابح حاصبيًا وراشيًا ودمشق .

قد جُند بعض المطلوبين للخدمة العسكرية انما لم يُجمع العدد المعين وقدره الفا جندي .

لقد قلق المسيحيون من عزم فؤاد باشا على مغادرة دمشق بيدَ اني أرى ان لا موجب لهذه المخاوف لان غياب دولته لا يطول والجنود كافية لحمايتهم . لم يحدث ما يستحق الذكر منذ كتابي الماضي المؤرخ في ٣٠ المنقضي .

(عدد ١٢٧ ص ١١٦ـ١١٧)

١٩٧ – رواية الحديث في ٣ منه

لمّا كان صاحب الدولة فؤاد باشا قد رغب إليّ في مشاهدتي والقنصل برانت وكان حضرته معتلّ المزاج ذهبت وحدي لزيارة دولته . فقال لي انه اراد ان يبلغني عزمه على مغادرة دمشق برهة لزيارة بيروت بنـاء على طلب الجنرال دي بوفور قائد البعثة العسكريّة الفرنسويّة وقد ارسل اليه الكولونل شـانزي فاخبره بان الجنود الفرنسويّة أصبحت مستعدّة للقيام بالواجب الذي يُعهد بهِ اليها وان القائد المشار اليه يتوق كثيرًا إلى ترك بيروت حيث ثبت لهُ ان هواها غير موافق صحة الجنود ولاسيما انها تائقة جدًا الى العمل وقد هيجتها روايات المسيحيين

اللاجئين الى بيروت فيخشى من حدوث مشاجرة بين جنوده وبعض المسلمين وعليهِ فانهُ يعتقد امكان اصابة غرضين اذا أُجيز للجنود الفرنسوية دخول لبنان ومعها اللاجئون المسيحيون لاعادتهم الى قراهم وعلى كل حال فان القائد المشار اليه يكون شاكرًا لدولته اذا انتقى لهُ مكانًا ملائمًا لاقامة الجنود فيه يضمن وقاية صحتهم.

فاجاب دولته انه لا يعارض مساعي الجنرال دي بوفور بحثًا عن معسكر اكثر ملائمةً لكنه اقترح عليه ان يختاره في كسروان الاقطاعة المارونية بيدَ انهُ يمانع على كل حال في ان يجعل هذا المعسكر في بلاد الدروز لانه راغب في تجنب كل قتال الى ان يستقرّ الرأي على خطة العمل ويتم وضعها. وزاد دولته بانه يرى ان من الافضل ألاَّ يعود المسيحيون الى قراهم قبل معرفة ما اذا كان يجب اجراء حركات عسكريّة ضد الدروز او لا حتى اذا كان الاول فجميع القوة الفرنسويّة لا تكون كافية لحماية المسيحيين المنتشرين في قرى عديدة من اعتداءات الدروز. وبناءً على هذه المطالب اقر دولته على الذهاب بذاتهِ الى بيروت في ٦ الجاري للنظر في هذه الشؤون

ثم الفت انظاري الى ان الفرنسويين يلحّون في العمل لكنه يرى موانع تحول دون السماح لهم بالاستقلال في العمل دون مشاركة الجنود العثمانية لانهُ اذا حدث اصطدام بين الفرنسويين والدروز لايعلم الى اين يقود لان دروز حوران سينضمون إلى اخوانهم على ما يرجح كما ان عواطف الولاء والصداقة ستدفع عرب البادية إلى عضد الدروز.

ثم أشار دولته الى محاكمة الجناة فقال ان قد انتهت محاكمة أحمد الوالي السابق وعدّة ضبّاط متهمين بالاشتراك في مذابح حاصبيًا وراشيًا ودمشق وان صغار الضبّاط سيُعدمون عاجلًا انّما يؤجل اعدام أحمد باشا الى ان تتم محاكمة خورشيد باشا في بيروت واعضاء المجلس الكبير في دمشق الذين قُبض عليهم على أمل ان يهتدى

إلى العلائق التي كانت بينهم .

ولمّا كان قد رُفع الى دولته بيان يوضح ان افراد الجنود في حاصبيّا وغير اماكن اساءوا معاملة ارامل المسيحيين المذبوحين وبناتهم وسبوا بعضهنّ اجاب انهُ لم يسمع قبل الان بهذه الشكاوى وان الجنود تفرّق شملها وتوزعت على فيالق أخرى ومع ذلك سيحقق فيها وفي سلوك كل الضبّاط الذين كانوا حاضرين في الاماكن التي حدثت فيها المذابح على اختلاف منزلتهم

ثم قال دولته ان صعوبات جمة حالت دون رغبته في معاقبة الاعيان فقد تلقى تحارير من كل احياء المدينة الحُ كاتبوها بها عليهِ ان يشدد في قصاص زعماء الفتنة. لكنه مع كل رغبته لم يتوفق الى تحقيق هذه الامنية اذ اخفقت مساعيه حتى الان في الحصول على شهادات كافية لاثبات جنايتهم وان كانت شهادات السماع والاشاعات العامة كثيرة . فوقع في حيرة شديدة لان اوربا لا تصدق انهُ يصعب وجود شهود في هذه البلاد على كبار القوم . وقد ودّ تأليف محكمة من القضاة المحلفين (جوري) لو تسنى لهُ ايجاد خمسة اشخاص جديرين بان يعهد اليهم بمثل هذه المهمة لكنه يعتقد انه لو اهتدى اليهم لبرّأوا كل مسلم يمثل امامهم . ولذلك عدل عن هذه الفكرة واضطر حتى الان ان يتولى بذاته التحقيقات الاولية بمعاونة رجال بطانته للقطع في امر الذين يجب اتهامهم وتحويل اوراقهم الى المحكمة الخارقة العادة المؤلفة لهذه الغاية .

فسألني دولته عن رأيي في هذا الصدد فاجبته انهُ اذا شاء ان يوفر وقته الثمين ويلقي عن عاتقه المسئولية يقتضي عليه ان يستقدم مأمورين من الاستانة معتادين على جمع الادلة وتهيئتها فيخصصون وقتهم للقيام بهذا الواجب . واني قد سمعت ايضاً من فم الوطنيين انهُ ولئن كان مختارو الاحياء لا يريدون تقديم قوائم باسماء مجرمي حيهم فلا يرفضون ان يبوحوا باسماء الذين يقيمون في الاحياء المجاورة فتتوفر

لديه عدّة افادات . فقال دولتـه انهُ سيدقق النظر في هذا الاقتراح لكنه يخشى ألاَّ يكون صالحاً لارضاء اوربا ولذلك يرتأي مواصـلة تحقيقاته الحالية ومحاكمة المذنبين الذين يعثر عليهم موجّلاً الحكم عليهم فيرفع اذ ذاك بياناً بما جرى ويعلق رأيه على كل حادثة فاذا حاز قبولاً يقضى عليهم اذ ذاك وُينفذ الحكم والاّ تستانف التحقيقات . بيد انه يرى ان مصلحة الحكومة التركية توجب نفي اعيان دمشق الذين اشتركوا في فتنتها نفياً مؤبداً حتى لو لم يُهتدَ الى ادلة قاطعة تثبت عليهم اعمالهم جهاراً . اما في ما يختص بحجز اموال الذين أُعدموا بمن فيهم الذين اشتركوا في النهب فقد رفع الامر الى الاستانة وحبس اموالهم موقتاً لان القانون العثماني يحظر حجزها ونزع ملكيتها دون حكم .

فاغتنمت الفرصة واخبرته بقرب قدوم مندوبي الدول المحالفة تركيًا الى سورياً واذ ذاك يتسنى لدولته ان يطلعهم على موقفه ويعتمد على نصائحهم الصائبة ومساعدتهم. فاستوضحني دولته عن غرض اللجنة فأجبتهُ باني اجهله انّما استفدت من اقوال صحف الاخبار ان المهمة الموكولة اليها هي التحقيق في اسباب الفواجع السابقة وماهيتها ودائرة اتساعها والبحث بالاشتراك مع دولته في الوسائل الواجب اتخاذها لملافاة تجدد مثل هذه الكوارث . فقال دولته انه لم يقطع بانتهاج خطة معينة بحق الدروز الى ان يقف على مطالب الدول الاوربية بهذا الصدد وانهُ بعد انعام النظر في هذه المسألة ترآى لهُ انهُ لا يوجد سوى طريقتين لحلّها احداهما ان يطلب الى الدروز بعد التروّي القيام ببعض أمور كتسليم بعض زعمائهم واشخاص آخرين لاجراء محاكمتهم ودفع غرامة مالية إلى المسيحيين وتعمير القرى التي دُمرت الى غير ذلـك مع ترك الحرّية لهم باجراء ما تقدم أو عدمه. والاخرى مهاجمتهم في الحال دون سؤالهم شيئاً. ولمّا كان لم يوافق على صك الصلح الذي أُبرم بين بعض الدروز والموارنة ولم يرفضه فلا يزال حرًّا في الاعتراف بهِ أو انكاره . فاستشارني دولته في افضليـة الخطتين

فاجبت اني اوثر الاولى على شرط ان تكون المطالب المفروضة على الدروز كافية لان ذلك اكثر فائدة للحكومة العثمانية ولجميع من يهمهم الامر ولاسيما انهُ يتعذر معرفة مصير الخطة الثانية بل يجب ابقاء بابها مفتوحاً فيما لو رفض الدروز اجابة المطالب الموجهة اليهم . فاستصوب دولته هذا الرأي لكنه لا يريد ان يفعل شيئاً الأ بعد مفاوضة مندوبي الدول . (عدد ١٢٧ ص ١١٧ ـ ١١٩)

١٩٨ -- صور الى السير بولفر في ٣ منه

اتشرّف فاخبركم بان قد وصلتني رسائل المستر لوملي منبئةً بان سعادتكم تلقيتم رسائل برقية من اللورد روسل يجيز لي بها ان اقبض من مصرف هيفود وكينار مبلغ خمسة الاف ليرة لمساعدة السوريين المنكوبين فانبئكم بان قد سبق لي ان اعلمتكم بوصول تفويضكم اليّ استلام مبلغ ٢٧٠٠ ليرة خلا الـ٥٠٠٠ المذكورة آنفاً .

وقد سلّمت لجنة الاحسان في بيروت تحويلين بقيمة الف ليرة وحوّلت ايضاً على اللورد روسل بالمايتي ليرة انكليزيّة التي جادت بها الحكومة (١) .

(عدد ١٢٨ ملحق ١ ص ١١٩)

١٩٩ – ومنه اليه بالتاريخ ذاته

وصل اللورد دوفرين أمس الى بيروت على السفينة العثمانية « كيرو » فصحبت سيادته هذا الصباح في زيارتهِ أحمد باشا والي الايالة وقد كان ارسل لاستقباله على الشاطي، فصيلة من الجند وبعض الفرسان لمواكبته حتى دار الحكومة .

وصل إلى هنا ٥٠٠ شاب من دمشق مصفدين وقد جندهم فؤاد باشا لانهُ قد مضى ٨ سنوات على اهالي هذه المدينة دون ان يؤدّوا الخدمة العسكريّة وأركبوا

(١) أمّا فرنسا فقد تبرّعت بمليوني فرنك خلا نفقات بعثتها العسكريّة

أمس البارجة التركية فاقلتهم الى الاستانة .

وقد قدمت أيضاً أمس السفينتان « كنج وايندوس » الفرنسويتان فتزل صباح اليوم الى البرّ تابور من الالاي الخامس . أمّا السفينة « ايندوس » فحاملة مونة الجيش وذخائره . (عدد ١٢٨ ملحق ٢ ص ١١٩-١٢٠)

٢٠٠ – اللورد دوفرين الى السر بولفر . عن بيروت في ٣ منه

اتشرّف فاخبركم بوصولي بعد ظهر أمس الى هنا على السفينة الخاصة التي اعدّها لي سموّ ألهامي باشا صهر السلطان وصديقي الخاص . حتى الان لم يصل أحد من رصفائي الاوربيين ولمّا غادرت الاستانة لم تكن الحكومة النمسوية عينت مندوبها. أمّا مندوبا الروسية وبروسيا فلا يبرحان الاستانة قبل يوم الاربعاء ٥ الجاري كما ان الباخرة التي ستقلّ الينا الموسيو بيكلار من الاسكندريّة لا تزال راسية هناك وعليهِ لا يُظن ان اللجنة تستطيع الاجتماع قبل ٨ أو ١٠ ايام . ولذلك فقد عزمتُ على ان اقصد صاحب الدولة فؤاد باشا المندوب العثماني واصرف الوقت الذي ينقضي قبل وصول سائر رصفائي بمفاوضتهِ والاشراف بذاتي على حالة البلاد وشؤونها الحاضرة . ولهذا الغرض عزمتُ على الذهاب هذه الليلة الى دمشق وسأمكث فيها ٣ أو ٤ ايام على ما أرجّح ثم اعود الى بيروت لملاقاة رصفائي عند وصولهم . (عدد ١٣٠ ملحق ١ ص ١٢١)

٢٠١ – مور الى السر بولفر في ٥ منه

اتشرف فاخبركم بوصول رسالتكم المؤرخة في ٢٦ المنقضي وبها تعلمونني بوصول اللورد دوفرين الى الاستانة وتوقفوني على غاية مهمته في سوريّة فارجوكم ان تثقوا باني سأجري بموجبها .

قد سبق لي ان انبأتكم في ٣ الجاري بوصول اللورد دوفرين الى بيروت في ٢ منه فاتفقت مع الحكومة المحلية لاحسان استقباله فاوفد أحمد باشا بناء على طلبي مأموراً كبيراً إلى ظهر السفينة لتهنئة سيادته بقدومه.

فشاء اللورد دوفرين ان يستفيد من الفترة التي تنقضي قبل وصول سائر رصفائه فذهب في الليلة الماضية إلى دمشق يصحبه المستر سيريل كراهام وحرس تركي استحصلته له من احمد باشا وغاية سيادته ان يفتقد هذه المدينة ويشاهد فؤاد باشا. أمّا غيابه فلا يتجاوز الاسبوع على ما قال.

أخبر في الكونت دي بنتيفوليو أمس ان حكومة النمسا عينت الموسيو دي وكبكر قنصلها العام في بيروت مندوباً في اللجنة.

علمت من أخبار دمشق الحديثة بانهُ لم يُعدم احد فيها مجدداً انّما فؤاد باشا قبض على اعضاء المجلس الكبير ولا يزال تجنيد مسلمي دمشق متواصلاً. كان ينتظر ان يغادر فؤاد باشا دمشق بعد يومين او ثلاثة ايام قدوماً الى هنا بناء على المطالب التي وجبها اليهِ الجنرال دي بوفور بواسطة رسل خاصين وتكون زيارته قصيرة المدة. أمّا الحكم الذي قضي به على والي دمشق السابق ومشير فيلقها لا يزال في طي الكتمان وقد لهجت الالسن كثيراً باسباب هذا التكتم.

اهدى جلالة السلطان الى الامير عبد القادر الوسام المجيدي طبقته الاولى اشعاراً باستحسانه سلوكه اثناء مذبحة دمشق. وقد قدم بيروت أيضاً المسيو شيفر حاملاً وسام جوقة الشرف طبقته الاولى هدية من امبراطور فرنسا الى الامير المشار اليهِ.

لم يحدث تبدل في موقف الدروز. وفي خلال هذه المدة لم يجسر أحد من المسيحيين اللاجئين على العودة الى بيوتهم وهم باقون على ما كانوا عليه ومن جراء ذلك لا يزال هؤلاء المنكودو الحظ يأتون الوفا الى المدن الواقعة على سيف البحر

متحمات مشقّات الطريق والعوز وهم الان سبب العلة المتفشية في بيروت وضحاياها وقد فتكت خاصةً بمئات من اطفالهم من جرّاء عدم وجود ما يسدُّون بهِ رمقهم .

(عدد ١٢٨ ملحق ٣ ص ١٢٠)

٢٠٢ — اللورد دوفرين الى السر بولفر . عن دمشق في ٨ منه [افتطاف]

اتشرف فاخبركم بوصولي الى هذه المدينة، على اني وان لم اكن اتوقع محذورًا من زيارتي دمشق رأيت من حسن الفطنة ان اوقف دولة فؤاد باشا على عزمي موضحًا له اني آتٍ بصفة غير رسمية حتى اذا رأى دولته ان لا وجوب لقدومي اعدل عنه واني منتظر في الطريق ارادته . فدعاني دولته اليه فدخلت المدينة بعد ظهر نهار الخميس المنقضي . وكنت علمت ان دولته على اهبة السفر الى بيروت فذهبت لزيارته في الحال حتى لا أُؤخره عن السفر فعلمت بارتياح ان أسباب أُخرى حملته على تأجيل سفره حينًا

ثم اخذ دولته يقص عليَّ الطريقة التي نهجها في معاملة الاشخاص المتهمين بمذابح دمشق الاخيرة وقد سبق للمستر برانت ان اخبر سعادتكم بالعقوبات التي حُكم عليهم بها فـ ٥٦ شُنقوا بتهمة القتل و ١١١ جندي غير نظامي قُتلوا رميًا بالرصاص بتهمة الاشتراك في الفتنة و ١٣٩ حُكم عليهم بالاشغال الشاقة مدى الحياة و ١٤٥ نُفوا لثبوت جرم النهب عليهم و ١٨٩ بالاشغال الشاقة لمدة بضع سنوات وحُكم غيابًا بالاعدام على ٨٣ فارٍ ويوجد عدد غفير في السجن ينتظر محاكمته .

وقد اتخذ وسائل أُخرى قاسية وسلمني بيانًا بما اتاه منذ وصوله وفي طيه نسخة منه . انما لم يُعدم أحد منذ ٣ اسابيع .

ولمَّا استوضحته بعض الشؤون بشرني بان قد حُكم بالاعدام على عثمان بك

قائد الجنود في حاصبيا ومحمد علي بكباشي الجند في راشيا وعلي بك الذي كان على قيادة الجنود في حي المسيحيين في دمشق وانهُ سينفذ فيهم الحكم في القريب العاجل على الارجح .

أمَّا بخصوص مصير أحمد باشا فقد ظهر لي ان دولته لا يزال قيد التردد ولمَّا ذكر اسمه اجتهد باطرائه على بعض التحوطات التي اتخذها قبل الفتنة .

ولمَّا تعرَّفت الى دولته صرَّحت لهُ باني لا استطيع ان ابلغه شيئاً بصفة رسمية لان التعاليم التي زُوِّدتها تقضي عليَّ بان أعمل بالاتفاق مع رصفائي واني اذا كنت اقدمت على زيارته فينبغي ان يعتبرها كمجاملة من رصيف الى رصيف . وقد تلطف أمس بان ردَّ لي زيارتي في دار المستر برانت الذي سرَّ من نزولي بضيافته

أرى من المبتسر المخاطرة بابداء رأيي في سياسة فؤاد باشا لانه لم ينفسح لي الوقت لجمع الادلَّة الكافية . انَّما هناك أمر واقع اجرأ على الفات نظركم اليه وهو انهُ لم يُعدم من اهالي دمشق بتهمة القتل سوى ٥٦ شخصاً مع ان عدد المسيحيين الذين ذُبحوا في دمشق قد بلغ ٥ الاف على أقلّ تقدير فمن المحال ان يكون الذين أعدموا هم وحدهم قتلة هذا الجمهور الغفير : اذ لا يبعد ان ٣ مسلمين على الاقلّ تعاونوا على قتل مسيحي لانهُ لم يتولَّ المجزرة عصابات انتقلت تدريجاً من شارع الى آخر بل تمت في وقت واحد في كل انحاء الحي المسيحي . فينتج ممَّا تقدم ان عدد الذين غمسوا ايديهم في دم المسيحيين يناهز ١٥ الفاً.

على ان الجنايات لم تقتصر على القتل بل اضيف اليه النهب والسلب والتدمير حتى اخربت من بيوت المسيحيين وانتهاك عرض كثيرات من نسائهم بطريقة فظيعة تقشعرّ لها الابدان . وعليهِ يظهر جلياً ان لا مناسبة بين اعدام ٥٦ شخصاً وعدد المذنبين والفظائع التي اقترفت .

ملحق : علمت الان ان قد قُتل رمياً بالرصاص أحمد باشا واميرا الالاي علي

بك وعثمان بك والبكباشي محمد علي آغا غير ان اعدامهم جرى سرًّا .

(عدد ١٣١ ملحق ١ ص ١٢٢ ـ ١٢٣)

٢٠٣ – بيان اعمال فؤاد باشا فى ٨ منه

ان صاحب الدولة فؤاد باشا أمر الجنود في غد يوم وصوله باحتلال جميع احياء المدينة وألّف لجان عسكرية في كل منها لالقاء القبض على الثوّار والقتلة والنهابين وغيرهم . فتمكنت هذه اللجان من ايقاف ٨٠٠ شخص تقريباً بعد مرور ٤ أو ٥ أيام فأحيلت اوراقهم إلى المحكمة الخارقة العادة المؤلفة من مأمورين جيء بهم من الاستانة واستمرّ القاء القبض متواصلًا منذ ذلك اليوم . وحوّل المدرسة العسكريّة إلى مستشفى لنساء المسيحيين وخصص المستشفى العسكري بالمسيحيين المرضى والجرحى وانشأ لجنة لتوزيع المأكولات والمال والالبسة على المنكوبين والقى القبض على اربعة اشخاص ذبحوا والد فتاة واشقاءها جاء بها الجناة الى دمشق وقرّرت ان احدهم افتضها ثم تناوب عليها الباقون فشنقوا .

وبناء على قضاء المحكمة الخارقة العادة أُعدم ١١١ مسلماً رمياً بالرصاص وشُنق ٥٦ ونفي ١٤٥ وحُكم بالاشغال الشاقة على ١٨٦ استُخدموا في انشاء الطرقات وقضي غيابًا بالاعدام على ١٨٣ . وفي عداد الذين أُعدموا ١٨ شخصاً من كبار اسرات البلاد واناس ذوي وجاهة . وفي ١٥ آب اذاع في سكّان المدينة وجوارها نشرة ينذرهم بها بوجوب اعادة الرجال والنساء والاولاد الباقين عندهم إلى الحكومة المحلية حتى ولو كانوا اعتنقوا الاسلام وكل من خالف عُدَّ مجرماً بالاخفاء ومستحقاً الاعدام واذن لجميع المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام طوعاً او كرهاً وعددهم ٥٠٠ بالرجوع الى دين ابائهم . واخلى ثلاثة احياء خاصة المسلمين

وأعدّها لسكنى المسيحيين ولا يزالون ينتقلون اليها وهيأ بيتاً ليكون معبداً لجميع الطوائف المسيحية . وأمر بتجنيد الفي رجل من دمشق في الجيش السلطاني واوجب على كبار الدمشقيين خلا الالفين الذين اصابتهم القرعة العسكرية دفع بدل قدره عشرون الف قرش وقد تجاوز عدد الذين ارسلهم الى بيروت لنقلهم الى الاستانة الف رجل . وفي كل يوم يلقى القبض على عدّة اشخاص للتجنيد ويسجن الذين يتهمهم المسيحيون .

ويوم الجمعة في ٧ ايلول اجتمع المجلس العسكري برئاسة فؤاد باشا وحكم بالاعدام على الاشخاص الآتية اسماؤهم بعد تجريدهم من رتبهم :

١ أحمد آغا المشير السابق
٢ القائم مقام علي بك قائد الجنود في الحي المسيحي في دمشق حين المذبحة
٣ القائم مقام عثمان بك قائد حامية حاصبيا
٤ البكباشي محمد علي آغا قائد حامية راشيا

وعدا ما تقدم فقد قضي بتجريد قائد حامية حاصبيا محمد علي آغا من رتبته وبسجنه مؤبداً .

أمّا الضبّاط الذين حُكم عليهم بالاعدام وتجريدهم من رتبهم وأجل تنفيذ الحكم فيهم إلى ما بعد الجمع بينهم وبين المتهمين الموجودين في بيروت فهم :

عبد السلام بك قائد حامية دير القمر
القائم مقام قائد الجنود في بيت الدين
حافظ آغا القائد الثاني في دير القمر

(عدد ١٣١ ملحق ٢ ص ١٢٣ ـ ١٢٤)

٢٠٤ – اللورد دوفرين الى السر بولفر . عن دمشق في ٨ منه [افتطاف]

أصبح من اللازم ان يبرح فؤاد باشا دمشق الى بيروت ولربّما طالت غيبته فيحسن بهِ ان يرطد دعائم الطمأنينة في المدينة مدة غيابه باظهار الشدّة بحيث تتجدد الرهبة التي اوقعها حزمه في القلوب عند اوّل قدومه وأخذ الوقت يمحوها من ذاكرة الاهالي . ومن المرغوب ان يتخذ على عاتقهِ قبل وصول اللجنة الدولية تبعة تنفيذ احكام تضاهي اعدامه المشير السابق فيكون هذا العمل العادل احسن ختام للفصل الاول من المأساة الهائلة التي مُثلت في هذه البلاد . وانا موقن ان فؤاد باشا قد خدم حكومته باعدامه أحمد باشا . فمن الان وصاعدًا كل شدة سترى اللجنة لزومًا الى الالحاح عليه بابرازها ستظهر للعيان انها لم ترغمه عليها بل هي نتيجة الخطة التي نهجها دولته مختارًا . (عدد ١٣١ ملحق ٣ ص ١٢٥)

٢٠٥ – ومنه ايضًا بالتاريخ ذاته [افتطاف]

اتشرف فاخبر سعادتكم اني ائتمارًا بالتعاليم المشتملة عليها رسالة اللورد روسل المؤرخة في ١٤ المنقضي فاوضت فور وصولي الى دمشق فؤاد باشا في حالة النساء والبنات المنكودات الحظ اللواتي سباهنّ المسلمون اثناء الفتنة. فأكّد لي دولته ثقته بان جميع التعسات المار ذكرهنّ أُعدنَ إلى اقاربهنّ وذويهنّ على أثر اذاعته في السكّان وقد توعد فيها بعقاب الموت كل مسلم يبقي عنده امرأة مسيحية . لكني اخشى ان يكون واهمًا كما انهُ يتعذر معرفة عدد المفقودات تمامًا . فان الاسر والعيال المسيحية تشتت شملها بحيث لا يوجد والدة يمكنها ان تؤكد اذا كان ولدها قُتل او سبي . واذا ما رجح هذا الافتراض الاخير يصعب الاهتداء الى المحل الذي وُضعن فيهِ لان كثيرات منهنّ نقلهنّ الاكراد وغيرهم الى مسافات بعيدة وباعوهنّ على

الارجح . وقد اخذت أنقب في بيروت ودمشق لاقف على اسماء البنات والصبيان المفقودين وأحصي عددهم . (عدد ١٣١ ملحق ٤ ص ١٢٥ ـ ١٢٦)

٢٠٦ – اللورد دوفرين الى فؤاد باشا . عن دمشق في ٨ منه

اتشرف بان ارفع لدولتكم نطاقة موجزة بخصوص مقتل المستر كراهام أحد مرسلينا ولا يخفاكم انهُ يوجد بعض الريبة في هوية القاتل ولا غرابة في الامر اذا ما فكرنا في الظروف التي اقترفت بها هذه الجناية فلربما لا يريد أحد من الذين شهدوها ان يرشد الى القاتل ويسلمه ليد العدالة . بيدَ انهُ لا ريب بان في وسع كثيرين ان يوقفوا دولتكم على جلية الحادثة مما يبعث على الامل بان دولتكم تتوصل الى معرفة اسماء الجناة بفضل نشاط رجال الشرطة فتاقي القبض عليهم . وأرجو ان تغض الطرف اذا الححت بوجوب معاقبة قتلة هذا المرسل باشد قصاص لان ذلك يهمني جدًا وفوق كل أمر .

ولا يغبى عن دولتكم انهُ من اللازم اللازب ان يتيقن سكَّان دمشق ان الباب العالي موطد العزيمة على اظلال جميع الاوربيين المقيمين في المدينة بحماية تقيهم من كل اعتداء . ان مسيحيي هذه الايالة يمكنهم ان يعتمدوا على معرفتهم لغة البلاد وعوائدها لتأمين نفوسهم انما ليس لاوربي ضمانة على حياته سوى محافظة الحكومة العثمانية على الحرمة الممنوحة لهُ . واجرأ على ان اعرض لدولتكم انكم اذا توقفتم الى الاهتداء الى قتلة المستر كراهام ينبغي ان يكون اعدامهم علنًا ارهابًا لاهالي دمشق وعبرة دائمة لهم ونذيرًا بسوء مصيرهم اذا تجرأوا على مس اوربي .

أمَّا الان وقد وضعت بين يدي دولتكم حلّ هذه المسألة المكدرة فانصرف الى القيام بواجب يلذ لقلبي كثيرًا الاَّ وهو ابداء الشكر لدولتكم على ما لقيته عندكم من الاستقبال الودي والحفاوة فلساني يعجز عن ايضاح مقدار امتناني مما

أبديتموه من المجاملة نحوي وتقديري الطريقة اللطيفة التي شئتم ان تبينوا لي بها رغبتكم في جعل علائقي مع دولتكم مبنية على اسّ ولاء شديد وصداقة متينة حق قدرها . وفي وسعي ان أؤكد لدولتكم اني لا اهمل شيئاً يؤهلني لاكتساب ثقتكم . فان حكومتي أوصتني حين مبارحتي انكلترة انها راغبة في ان تكون جميع مساعيّ منصرفة الى تأييد دولتكم في اتمام واجبكم المؤلم. ولا حاجة الى ان احقق لكم اني ابادر الى اتمام هذه المهمة من صميم فؤادي . لكني آسف على ان يكون العضد الذي تردّ حكومتي بذله لدولتكم أقلّ نفعاً مما لو كانت انتقت شخصاً اكثر خبرة مني .

قد تنازلتم دولتكم وقلتم لي انكم تجيزون لي ان اخابركم ليس فقط بصفتي مندوب جلالة الملكة بل كصديق خاص لكم . فكلما توجب عليّ ان اوقفكم على اراء حكومتي لا انسى أبداً الاحترام الواجب لشخصكم السامي ومنزلتكم العالية وصفاتكم الممتازة . واذا ما تجرأت يوماً على الاستفادة من اذنكم لي بان اعرض لنيرتكم الوقّادة ارائي الخاصة في بعض الشؤون ارجوكم ان تتذكروا باني فعلت بناء على اذنكم وتشجيعكم لي مقدّرًا هذه المنحة وهذا الامتياز حق قدرهما .

(عدد ١٣١ ملحق ٦ ص ١٢٦-١٢٧)

٢٠٧ — السر بولفر الى عالي باشا . عن طرابلس في ١١ منه

لا شكّ في ان فخامتكم تعلم ان حكومة جلالة الملكة ترى ان حالة نساء المسيحيين المنكودات الحظ اللواتي سباهنّ الدروز وغيرهم من الاشقياء هي في مقدمة المسائل الخطيرة التي تستدعي اهتمام مندوبي الدول المرسلين الى سوريا وقد اوعزتْ الى اللورد دوفرين ان يلحّ على فؤاد باشا وعلى اعضاء اللجنة الدولية بوجوب المبادرة الى التذرع بالوسائل اللازمة لانقاذ النسوة التعيسات من حالتهنّ المحزنة

فان آلامهنّ قد حرّكت عواطف شفقة جميع الامم المسيحية .

وقد وكلتْ إليّ حكومتي ان الحّ على الباب العالي بهذا الصدد وابلغه انها لا تقبل بتأجيل حل هذه القضية وان اسأله في الوقت ذاته ان يرسل الاوامر المشددة إلى فؤاد باشا ليعجل باتخاذ التدابير الناجمة لبلوغ هذا الغرض بالاتفاق مع رصفائه الاوربيين وان يتذرع بالوسائل الكافلة اعالة النساء المشار اليهنّ الى ان يجدنَ بيوتاً لايوائهنّ وكفاف عيشهنّ . (عدد ١٣٢ ملحق ١ ص ١٢٨ـ ١٢٩)

٢٠٨ ـ اللورد دوفرين الى السير بولفر . عن بيروت في ١٣ منه

اتشرّف فاخبركم بان الموسيو بيكلار مندوب فرنسا والموسيو نوفيكوف مندوب الروسية وصلا الى إلى بيروت الاوّل أمس والآخر هذا الصباح . ولمّا كان الموسيو ويكبكر قنصل النمسا العام ومندوبها هو هنا فلم يؤخر انتداء اللجنة سوى غياب المسيو دي رهفوس ممثل بروسيا وقد بلغني انه يصل بعد اسبوع .

على ان صاحب الدولة فؤاد باشا يتوق كثيراً الى ان ترسل الحكومة التركية بعض اشخاص من الاستانة يمثلونها في اللجنة لاعتقاده ان وظيفة الولاية والقيادة العامة تحول دون حضوره اجتماعاتنا . اجهل ماذا يكون رأي رصفائي في تبديل خطته لكني قد كنت شاعراً بانهُ يتعذر على دولته حضور كل اجتماعات اللجنة .

ولمّا حدّثني دولته عن عزمه اقتصرت على القول اني أرى ان من أهمّ الامور ان يمثل تركيا رجل كفوء يستطيع المدافعة عن مصلحتها بنجاح اذ من اللازم ان يُفصل كل خلاف في الاراء في جلسات اللجنة ذاتها استدراكاً لظهور عدم اتفاقه مع ممثلي الدول .

بدأتْ أمس محاكمة خورشيد باشا وسيحاكم طاهر باشا في القريب العاجل .

خاطبت فؤاد باشا أمس في التحقيقات الجارية فأعرب لي بلهجة صادقة عن

عزمه على القيام بواجبه مهما كان صعبا .

أمَّا خطة فؤاد باشا بخصوص اضطرابات لبنان فهي الآتية . فانهُ قد انفذ نشرة يستدعي بها اليه جميع زعماء الدروز في مدى خمسة ايام معلنًا انهُ يضمن سلامة الذين يستطيعون تبرئة ذواتهم من الاشتراك في الفظائع التي اقترفت وانهُ يحكم غيابًا على الذين يتخلفون عن الحضور .

من المرجح ان الزعماء الثابتة عليهم التهمة لا يمثلون بين يديه فاذ ذاك يعلن حبس اموالهم وحجز املاكهم ويبيح هدر دمهم . فهذا التدبير لا يخلو من الحكمة اذ يمهد للابرار ان يفترقوا عن اخوانهم الجناة قبل ان تعصف ريح العاصفة على لبنان فيتأيد رأي القائلين بان من الظلم عدّ الطائفة الدرزيَّة مذنبة بأجمعها في كوائن لبنان الاخيرة . (عدد ١٤١ ملحق ١ ص ١٣٥-١٣٦)

٢٠٩ — ومنه اليه في ١٤ منه [اقتطاف]

اتفق فؤاد باشا مع الجنرال دي بوفور على حركات الجنود الفرنسويَّة . فبعد يوم أو يومين يذهب قسم من الجنود التركية الى مكان قريب في الداخلية بامرة القائد كميتي لاحتلال دير القمر وغير مواقع في انحاء لبنان المختلطة السكان واستقرَّ الرأي على ان فصائل الجنود الفرنسويَّة تذهب في أثرها فتجوب الجبل لمعاونتها

يتعذر عليَّ ان ابدي رأيًا في ما يترتب على هذه الحركات العسكريَّة من النتائج فقد بلغني اليوم ان كثيرين من زعماء الدروز تأهبوا للرحيل الى حوران وربَّما انقاد بعضهم الى انذار الحكومة فيحضرون لاجراء محاكمتهم .

ولا اظن ان احدًا منهم يحاول مقاومة الجنود التركية والفرنسويَّة . وقد أعرب لي فؤاد باشا عن أملهِ بان الحملة ستكون « نزهة عسكريَّة ». ويرتاب كثيرًا فيما اذا كان نطاق القبائل العربية التي جُعلت شرقي جبل حرمون لمنع زعماء الدروز من

الفرار الى حوران تقوم بالمهمة الموكولة اليها . وعلى كل يصعب توقع ما ينجم من الحوادث عن محاولة الجنود الفرنسوية مطاردة الدروز حتى في اماكنهم الحصينة الكائنة في الجبل الشرقي اذا ما صمم الموسيو دي بوفور على الزحف عليهم .

(عدد ١٤١ ملحق ٢ ص ١٣٦)

٢١٠ – مورد الى اللورد روسل في ١٤ منه [افتطاف]

ان فؤاد باشا انفذ اليوم اوامر الى ٣٧ زعيماً درزياً و٣٥ مسيحياً بوجوب الحضور الى بيروت في مدى خمسة ايام حتى اذا تخلفوا حوكموا غيابًا مع ان كثيرين من زعماء الدروز وفي عدادهم بشير بك أبي نكد وخطار بك العماد لجأوا الى حوران مع اهالي بعقلين إحدى كبار قرى الدروز وسكان الناحية المجاورة الذين غمسوا ايديهم في المذابح مع زعمائهم الحماديين. لمّا كان سعيد بك جنبلاط قد أرسل يسألني ان احصل لهُ على تأمين صريح فيما لو جاء بيروت حتى اذا لم انجح يستعد للهرب فاطلعت اللورد دوفرين على كتابه استطلاعًا لرأيه وسأوقفكم عليه في ملحق .

ان مندوب الباب العالي قد ألف مجلساً خارق العادة لمحاكمة المتهمين كما فعل في دمشق . ان كثيرين من مسلمي بيروت الذين اشتركوا في فتنة ٢٣ حزيران الماضي فرّوا خوفًا من استدعائهم للمثول امام هذا المجلس لاستجوابهم عن سلوكهم وقد ثبت انهم انضموا الى الجنود الغير النظامية في نهب القرى الكائنة في سهل بيروت واضرام النار فيها .

ان الجنود الفرنسوية لم تبرح مكانها ولم يتم الاتفاق النهائي بين مندوب الباب العالي وقائد هذه الجنود العام

يؤخذ من لوائح لجنة الاسعاف المحلية ان عدد المنكوبين اللاجئين الى هنا يبلغ ١٢٨٣٣ توزع عليهم يومياً الاعانات و يوجد ثلاثة الاف في صيدا يعتني احد

اعضاء لجنتنا باعالتهم .

يموت كثيرون في بيروت من اللاجئين التعساء وقد توفي أمس عشرون ممن كانوا عرضةً لحرّ النهار وبرد الليل . (عدد ١٤٠ ص ١٣٤ـ١٣٥)

٢١١ – اللورد روسل الى اللورد كولي في ١٥ منه

ارسل لكم في طيه خلاصة رسائل المستر مور والمستر برانت والمستر سيريل كراهام فاطلعوا عليها المسيو توفنيل وترون منها ان ليس احد منهم يثق بالتدابير التي اتخذت ويخشون ان يعود الظلم الى ما كان عليه سابقاً عندما يسكن الرأي العام الاوربي . فيتسنى للحكومة الفرنسويّة ان تقابل بين اخبارها واخبارنا ولها ان تحكم اذا كان في وسع الجنود الفرنسوية ان تعود بعد شهرين او اذا كانت اقامتها هناك تستغرق الستة اشهر المعينة في الاتفاقية .

فاذا كان الثاني فيحسن ارسال القسم الثاني من الستة الاف جندي المذكور في الاتفاقية الى سوريّة . فيمكنك ان تبلّغ الحكومة الفرنسويّة ان كلًّا من بريطانيا العظمى وبروسيا مستعدتان لارسال ثلاثة الاف جندي انما يجب القطع بهذا الامر حالاً نظرًا لاضطراب الحالة في شواطئ سوريّة .

ملحق : عليك ان تخاطب الموسيو توفنيل بهذا الشأن في الحال .

(عدد ١٢٣ ص ١١٤)

٢١٢ – نشرة فؤاد باشا الى المشايخ المسجين في ٢٨ صفر سنة ٧٧ [١٤ ايلول]

من لدن ديوان نظارة الامور الخارجية والمأمورية المخصوصة فوق العادات لاصلاح احوال سوريّة الى افتخار المشايخ الحازنيين .

ان الكيفية المؤلمة التي توقعت في جبل لبنان لمعلومة لدى الجميع فنفوس

عديدة من تبعة الدولة العلية قد تلفت وكثير منهم قد انتهبت بيوتهم واحترقت وهم الآن مهجورون من مأواهم يتعيشون في هذا الطرف باعانة الدولة العليـة فبمقتضى العدالة السنية يلزم البحث عن مبدإ هكذا واقعة ومنشأها ثم النظر في توطين هؤلاء الاهالي الساكين وتأمينهم واصلاح احوالهم وهذا يحصل في محاكمة يتضح بها مبدأ الوقايع ومنشأ احوالها المخصوصة بها وهذه الصورة هي مشتهى كل قبيلة في جبل لبنان وكل شخص يرغب تبرئة ذمته ولذلك أعطي القرار على جلب مشايخ المسيحيين والدروز ورؤسائهم كافة لطرفنا للوقوف على افادات كل فريق منهما واجراء الحقانية غب المحاكمة ولذلك قد دعونا الينا كلًّا من مشايخ الطرفين ورؤسائهما فمن لا يجيب دعوتنا فيكون قد اعلن معترفًا بكونه متهمًا ويحكم عليه في غيابه بالجزاء الذي يعينه القانون فينبغي ان يكون جميعكم بعد خمسة ايام من تاريخ تحريراتنا حاضرين في بيروت وبناء عليه تحررت هذه الشقة وأرسل بها اليكم .

(عن الصورة الاصلية المحفوظة عند معرّبي هذا الكتاب)

٢١٣ – اللورد روسل الى السير بولفر في ١٥ منه

في طيه صورة لائحة انفذها إليّ المسيو موزوروس تتضمن خلاصة رسائل فؤاد باشا حتى ٢٣ المنقضي وقد ارسلها اليه صفوت افندي (ناظر الخارجية)

ولمّا كنت غائبًا عن لندره اوفدت المستر هموند الى المسيو موزوروس ليقول لهُ اني ولئن كنت قد سررت كثيرًا بما أتاه فؤاد باشا حتى ٢٣ آب فقد أسفت على انه لم يفعل المقتضي . فحتى الان لم يعاقب خورشيد باشا مشير صيدا وأحمد باشا مشير دمشق والضبّاط الاتراك الذين اشتركوا في مذبحة دير القمر . فلو كان ألف مجلسًا عسكريًّا لتمكن من استثبات التهم الموجهة الى المذكورين . وانه قد بلغنا

ان محاكمة أحمد باشا قد انتهت انما لم يُحكم عليهِ .

وعهدت ايضاً الى المستر هموند ان يصرح للسفير العثماني انه اذا كان هؤلاء الاشخاص لا يُعاقبون بشدة فالرأي العام في اوربا مع تبرئته عالي باشا الصدر الاعظم ورشدي باشا وفؤاد باشا لا بدَّ لهُ من الاعتقاد بان بعض كبار الموظفين في الاستانة حرَّضوا على هذه المذابح وهم الان يحمون مقترفيها .

فماذا تكون حالة دمشق اذ ذاك ؟ ان مراجل الانتقام تظل تغلي في صدور اقارب الذين أُعدموا ويزدادون حنقاً على المسيحيين ويتصورون انه اذا ثأروا لنفوسهم يجدون دون ريب حماة لهم في بلاط السلطان وان عوقب بعضهم بحيث تسوء حالة مسيحي سورية عن ذي قبل .

فوعد الموسيو موزورس بابلاغ حكومته ما قاله المستر هموند بالحرف الواحد . (عدد ١٢٤ ص ١١٥)

٢١٤ — اللورد دوفرين الى ابرو افندي . عن بيروت في ١٦ منه

يتشرَّف اللورد دوفرين بانباء ابرو افندي انه قد تلقى الان كتاباً من الماجور فرازر في دمشق مآله انه منذ سفر صاحب الدولة فؤاد باشا أمسى المسيحيون عرضةً لوعيد المسلمين فقلق بالهم .

وفي وسع ابرو افندي ان يثق بصحة هذا الخبر لان الماجور فرازر غير ميَّال الى المبالغة ويحذر كثيراً من ارسال انباء مشكوك بها .

ومن نكد الطالع لا يستبعد اغتنام المسلمين الفرصة للانتقام من المسيحيين متى وثقوا انهم لا يُعاقبون . ولربَّما تعذر على رجال الشرطة مهما كان نشاطهم وسهرهم مراقبة كل عداء ووعيد انما في الوقت ذاته لمَّا كان من مصلحة الحكومة اعادة الثقة الى الاهلين واقناع الدمشقيين الفارّين بالعودة الى المدينة فمن اللازم اللازب

اتخاذ تحوطات غير عادية اتقاء حدوث ادنى اعتداء على المسيحيين لان أقل اهانة ينتج عنها لا شك الف تأويل فتثير المخاوف .

وعليه ينبغي ألاّ يدخر شيء في سبيل استدراك تجدد حوادث كالتي اشار اليها الماجور فرازر ومعاقبة المتجاسرين عليها عاجلاً بمنتهى الشدة .

هذا وقد شجع اللورد دوفرين اهالي دمشق اللاجئين الى بيروت على العودة الى بيوتهم حباً بمساعدة الحكومة التي سألته ان يحرضهم على الانقياد لدعوتها . وبناء عليه يرجو ألاّ يستغرب ابرو افندي شدة قلقه على مصير هؤلاء المسيحيين وتجاسره على الالحاح عليه بالفات نظر دولته الى هذه المسألة .

(عدد ١٤٢ ملحق ٦ ص ١٣٩)

٢١٥ – برانت الى اللورد روسل . عن دمشق في ٢٠ منه

عليّ ان اعتذر لسيادتكم من انقطاعي عن مواصلة انبائكم بما حدث . فلقد اشتدّت عليّ العلة عدة ايام حتى منعتني عن الكتابة .

في يوم السبت ٨ الجاري قبل سفر فؤاد باشا الى بيروت أُعدم سرًّا في ساحة الثكنة الداخلية احمد آغا المشير السابق وعلي بك قائد الجنود في حي المسيحيين في دمشق حين حدوث المجزرة وعثمان بك امير الاي الجنود في حاصبيا ومحمد علي بك بكباشي راشيا

لولا وصول اللورد دوفرين الى هنا لأجل فؤاد باشا اعدام احمد اغا الى مدة أخرى لانه لم يكن راغباً باعدام هذا الرجل عاجلاً في حين انه لو قام بواجبه لاستطاع ملافاة مذبحة دمشق بكل سهولة .

لم يحدث ما يستحق الذكر منذ سفر فؤاد باشا سوى انهُ فُتشت عدة بيوت فعثر فيها على امتعة منهوبة والقي القبض على بعضهم

ان جميع المسيحيين انتقلوا الان من القلعة الى البيوت المعدَّة لهم في احيـاء المسلمين .

أُلقي القبض فجر أمس على تسعة من الجناة عثر عليهم الاهالي مختبئين في انحاء المدينة وفي جملتهم قاتل المستر وليم كراهام .

ليس من سبيل الى تطمين بال المسيحيين واعتقد انهم راغبون جميعاً في مهاجرة المدينة فكثيراً ما تُرجم ابواب بيوتهم بالحجارة ليلاً ومع ان الحرّاس يقبضون على المعتدين متى كانوا متيقظين فالمسيحيون قلقون لانهم تحققوا ان هذه الاعتداءات تقع على البيوت التي يقيم فيها رجل واحد بين كثيرات من النساء .

أمَّا الجنود فلم يظهر منها ميل الى حماية المسيحيين وكلما شاهد هؤلاء مسلماً يرتجفون رعباً . وقد علمت ان بعض المسلمين يطمنون خواطر جيرانهم المسيحيين ويمدُّون لهم يد المساعدة ويعيرونهم أواني الطبخ وما شاكل ذلك . انَّما أرى ان الخوف والاشمئزاز مستولين على المسيحيين كما ان ملاك عواطف المسلمين السخط من ضرر وهمي . وينبغي لاعادة حسن العلائق بين الطائفتين انقضاء مـدة سكرين طويلة . وفي الحقيقة لا يرجى عودة مياه الوئام الى مجاريها في عدَّة اماكن ولاسيما حيث قُتل كثير من الرجال ورُمّلت النساء ويُتم الاولاد واقترفت الفظائع .

لا تزال الحكومة المحلية توزع قليلاً من المال والطعام على المنكوبين لكن هذه الاعانة لا تكفي متى جاء الشتاء وقرس البرد فيقتضي اذ ذاك ان يعطوا حطباً للوقود وثياباً صالحة للدف، وفرشاً واغطية .

لقد تفشت العلل ولمَّا كان لا يوجد اطباء للاعتناء بالمرضى وادوية فيتوقع موت كثيرين . وقصارى القول ان قرب فصل الشتاء يقبض القـلوب وينذر بالويل واخشى ان يزيد غلاء المأكولات والحبوب في شقاء المنكوبين .

(عدد ١٤٤ ص ١٤٠)

٢١٦ – ومنه ايه بالتاريخ ذاته

يستفاد من الاخبار الواردة من بيروت انـه يتوقع هجوم الدروز ولذلك استعدت الجنود لمغادرة دمشق ويقال ان تابورين ومدفعين من حاصبيا حيث توجه اسمعيل باشا (الجنرال كميتي) وتابوراً آخر لحقوا بمصطفى باشا في حوران. وهذا جل ما اتصل بي الان . أمّا الدروز فهم في رعب شديد لخوفهم من الهجوم عليهم وقد ارسلوا مسيحيين من حوران لاستطلاع نيّات الحكومة التركية .

ان هياج المسلمين في عكا واللاذقية المنذر بايقاظ الفتنة فيهما يدلّ على ان روح التعصب لم يزل على ما كان عليه وعندي ان لا شيء يقوى على اخماد هذه الروح سوى احتلال الجنود الاوربية سوريّة مدّة. ويخشى اذا حدث اضطراب في مكان ما وكانت الحكومة المحلية عاجزة عن قمعه من ان يتطاير منه شرر فتنة جديدة الى كل سورية فيلفح شواظها قمعها بل تتجاوزها ولذلك فلا اعتقد ان لدى الباب العالي قوّات كافية وضبّاطاً ذوي حزم وعزم لاطفاء جمرة فتنـة عامة يظهر ان المسلمين مستعدون لها في كل مكان . (عدد ١٤٥ ص ١٤١)

٢١٧ – اللورد كولي الى اللورد روسل . عن باريس في ٢١ منه

حادثت الموسيو توفنيل بما اوعزتم بهِ إليّ برسالتكم المؤرخـة في ١٥ الجاري بخصوص قوّات فرنسا في سوريا توصلاً الى معرفة مدة اقامتها هناك وما اذا كان من لزوم لتعزيزها . فقال دولته ان ليس لديه انباء تمكنه من الجواب على سؤالي . وكان قد اتفق لي ان التقيت بالماريشال رندون وزير الحربيـة واستطلعت رأيه بهذا الشأن فكان جوابه كجواب المسيو توفنيل واردف ان الجنرال دي بوفور ذهب الى دمشق لمفاوضة فؤاد باشا ولا بدّ من ان تأتي رسائله مسهبة بهذا الشأن

فيستدل منها على الآتي وانه لا يتوقع لزوم تعزيز هذه القوّات إلاّ اذا اضطرت الجنود الاوربية الى القيام بحركات عسكرية . وان قد قيل ان لدى فوّاد باشا ١٥ الف مقاتل وهي قوّة كافية لتوطيد اركان الراحة في سوريّة .

أمّا المسيو توفنيل فيعتقد ان في وسع اللجنة دون غيرها القطع في تعيين ميعاد رجوع الجنود الفرنسويّة وانهُ يتعذر ذلك في الوقت الحاضر لانه يخشى ان يعقب جلاءها استيقاظ الفتنة .

فألفتُ نظر الموسيو توفنيل الى قرب دخول فصل الشتاء فتمسي شواطيء سوريّة خطرة على بوارج الاساطيل ويتعذر انزال الجنود الى البر. وقلت انهُ اذا ظهر وجوب لارسال نجدات جديدة فحكومة جلالة الملكة مستعدة لتقديمها . فاعرب لي دولته عن مزيد ارتياحه الى هذا الامر . (عدد ١٣٤ ص ١٢٩ ـ ١٣٠)

٢١٨ – اللورد روسل الى اللورد كولي في ٢٢ منه

تلقيت رسالتكم المؤرخة في ٢١ الجاري المحتوية على وصف حديثكم مع المسيو توفنيل بخصوص مدة اقامة الجنود الفرنسويّة في سوريا ووجوب تعزيزها بارسال عدد الجنود المعين في الاتفاقية حتى اذا روئي لزوم لها فحكومة جلالة الملكة مستعدة لتقديم قسم منها . فاجيبكم انه لمّا كان فصل الشتاء على الابواب وشواطيء سوريّة غير أمينة لانزال الجنود فتأمل حكومة جلالتها في انها لا تحتاج الى ارسالها . (عدد ١٣٥ ص ١٣٠)

٢١٩ – اللورد دوفرين الى السر بولفر في ٢١ منه [افتطاف]

اتشرّف فارسل لكم في طيه صورة اللائحة المتضمنة اسماء اعضاء المجلس المعين لمحاكمة خورشيد باشا وقد شُرع بها . (عدد ١٤٢ ملحق ١ ص ١٣٧)

٢٢٠ – اعضاء المحكمة

الرئيس : صاحب الدولة أحمد باشا والي الايالة ووالي ازمير سابقاً

الاعضاء : ١ً : أمير البحر مصطفى باشا وهو يتكلم الانكليزية وتلقى علومه في مدرسة شيرنس وخدم في البحرية الانكليزية

٢ً : مفتي بيروت

٣ً : ابرو افندي احد مستخدمي فؤاد باشا وهو ارمني

٤ً : محاربجي حميد بك محاسب الولاية وهو مسلم

٥ً : امير الالاي حسني بك (الكولونيل اوريلي) وهو ايرلندي خدم في جيش ملك سردينيا السابق وفي الجيش المجاري .

وهذه المحكمة تفضل كثيراً المؤلفة في دمشق ومع انها ليست جديرة بثقة عظيمة فيتعذر وجود احسن منها بين رعايا الباب العالي .

(عدد ١٤٢ ملحق ٢ ص ١٣٧)

٢٢١ – ومنه ايضاً عن بيروت في ٢١ منه

اتشرّف بان ارسل لدولتكم صورة النشرة التي اذاعتها الحكومة في مسيحيي دمشق اللاجئين الى بيروت طلباً للنجاة وعددهم ٨ الاف نسمة تدعوهم بها الى الرجوع الى مدينتهم

وقد اخذ نفر منهم أمس بالاستفادة من التسهيلات التي بُذلت لهم في هذا السبيل وربّما اقتدى بهم آخرون بيدَ اني تحققتُ ان معظمهم لا يبرحون ملجأهم قبل ان يلحّ عليهم مندوبو الدول الخمس .

لم اتمكن من الوقوف على رأي رصفائي في هذا الصدد واعترف اني ميّال الى

تحريض هؤلاء المنكودي الحظ على الرجوع الى دمشق لان وجودهم في بيروت محفوف بالاخطار وينجم عنه اضرار كثيرة اذ يستولي اليأس على النساء والبنات والخمول على الرجال فيعتادون على الكسل والاستعطاء وفضلاً عن ذلك يخشى من تفشي الامراض والحميّات والاوبئة بين هذا الجمهور الذي لا مأوى لهُ متى جاء الشتاء.

قبل براحي دمشق استطلعت ذوي الاراء السديدة فيما اذا كان يخشى حدوث فتنة جديدة فأكد لي المستر برانت قنصلنا والموسيو اوتره قنصل فرنسا وسمو الامير عبد القادر والمستر روبصن المرسل البروتستاني والموسيو مشاقه والموسيو فريج من اعيان المسيحيين الوطنيين والقائد كميتي وغيرهم ان لا سبيل الى القلق ما دام فؤاد باشا في سوريّة. وفي الحقيقة يخيل لي انهُ يستطيع على الاقل ان يوطد دعائم الراحة في دمشق اذا تعذر عليه اجراء كل ما يقتضي.

لو لم يكن ذلك حقيقة راهنة لوجب علينا ليس فقط منع كل فرد من الرجوع الى المدينة المذكورة بل حمل كل مسيحي باقٍ فيها على الالتجاء الى المدن الواقعة على سيف البحر.

ومتى سُئلت رأيي الخاص في هذه المسألة لا احجم عن ابدائه بالصورة المتقدمة ان الموسيو بيكلار مريض وقد علمت ان رأيه مطابق لرأيي.

في طيهِ صورة الكتاب وملحقه اللذين انفذتهما الى الماجور فرازر في دمشق ولهما علاقة بهذا الشأن. (عدد ١٤٢ ملحق ٣ ص ١٣٧ ـ ١٣٨)

٢٢٢ـ نشرة فؤاد باشا في الملجئين في ١ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ [١٧ ايلول]

لقد أعدّت بيوت في بعض احياء دمشق لاسكان المسيحيين فيها على أثر وقع الفتنة فيها بسطوة جلالة السلطان الاعظم وقد نقلوا الى هذه البيوت فلم يبقَ احد

في القلعة السلطانية وهيأ ٨٠ إلى ٩٠ بيتاً لاقامة المهاجرين الذين يودّون الرجوع الى مسقط رأسهم فقد ساد النظام والراحة في المدينة وأصبحت تحت الظل السلطاني الظليل فعليكم ان تعودوا اليها فتجدون فيها كل ما تحتاجون اليهِ من المسكن والمأكل

وقد رأينا مناسباً ان نقدم ٢٠٠ حيوان لكل قافلة تقصد دمشق رغبة في تسهيل عودتكم اليها وضمان راحتكم في الطريق فعلى الذين يودّون الرجوع اليها ان يأتوا الى مركز لجنة الاعانات لتسجيل اسمائهم لتقدم لهم الحكومة عدد البغال اللازمة على نفقتها وتصحبهم بحرس كافٍ .

وسنكتب الى صاحب الدولة والي دمشق ليسلّم العائدين مفاتيح البيوت المعدّة لنزولهم فور وصولهم ويبذل لهم كل المساعدات اللازمة ويوزع عليهم الارزاق. وقد اقررنا على قطع الاعانات عنكم في بيروت بعد مرور ١٥ يوماً انما تُعطونها في دمشق . وعليهِ صدر هذا التنبيه من ديوان نظارة الامور الخارجية والمأمورية الخاصة الخارقة العادة في سورية . (عدد ١٤٢ ملحق ٤ ص ١٣٨)

٢٢٣ – المأمور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٢١ ضه

لمّا كان اللورد دوفرين مندوب جلالة الملكة موجوداً في دمشق حين اعدام أحمد باشا والضبّاط الثلاثة من اركان الحرب الذين اشتركوا في مذابح حاصبيّا وراشيّا ودمشق! لم اكتب اليكم مراعاةً لخاطر اللورد المشار اليه وقد حدّثني بعزمه على ايقافكم على ما جرى . بيدَ ان اعدام المذكورين لم يؤثر في العامة وأسف على القول انهُ كان قليلاً جداً وانسب هذه النتيجة الى انه تمّ خفية في مكان مقفول بعيد عن اعين الاهالي المراد ارهابهم .

وفي ٢١ آب أي في غد اليوم الذي نفذت فيه الاحكام الاولى اوضحت لصاحب الدولة فوّاد باشا وجوب جعل تنفيذها علناً في الآتي لتكون عبرة للاهالي وارهاباً

لهم. وقد سبق لي ان اخبرت سيادتكم بما تقدم في ٢٣ المنقضي. فلم يعوّل على هذا الرأي مع ان الظروف الخارقة العادة توجب الاعتماد عليه. وقد ظهرت سوء نتائج اعدام الجناة سرًّا من الاشاعات المتفشية على ألسنة المسلمين ومآلها ان احمد باشا لم يُعدم بل مُثلت العوبة خُدع بها الحاضرون وقد اصطحبه فؤاد باشا الى بيروت ليلًا. أجل ان مثل هذه الاشاعات لا تُصدَّق لكنها تدل على الريب الباقي في العقول من جراء اعدام هؤلاء الجناة سرًّا وزوال العبرة المرجوَّة.

ان الحكومة المحلية تراخت منذ سفر فؤاد باشا إلى بيروت في ٨ الجاري لكن عاد اليها نشاطها في الخمسة ايام الماضية فقبضت على ٥٠٠ شخص وارسلتهم الى الاستانة لاداء الخدمة العسكريّة ومعهم بعض المذنبين. وفي اليومين السابقين جُند ٢٠٠ من الذين أصابتهم القرعة العسكرية بحيث صار مجموعهم حتى الان زهاء ٢٠٠٠ وقد أُعفي من هذه الخدمة كل من يدفع بدلاً قدره عشرون الف قرش (١٨٠ ليرة انكليزية) ويقال ان اربعين شخصًا استفادوا من ذلك وقام مقامهم اناس من حيهم. ويخشى ان تؤدي هذه الطريقة الى تلاعب الموظفين العديمي النزاهة والى ارتشائهم

وفي ١٨ الجاري شُنق ٩ اشخاص حُكم عليهم منذ مدة طويلة بتهمة القتل وأجل تنفيذ الحكم حتى ذلك التاريخ لاسباب غامضة. وجميعهم من رعاع القوم وهم ثلاثة دروز وكرديّان وقوّاصا قنصلية بروسيا ورجل من حماه وحلّاق من دمشق اعترف انه قاتل المستر وليم كراهام المرسل البروتستاني. انما ذلك يحتاج الى الاثبات لانهُ حُكم عليهِ باقترافه جرائم أخرى ممَّا يدعو الى الظن بان المقصود اخفاء القاتل الحقيقي الجاري البحث عنه.

ان خمسة فقط من هؤلاء التسعة المشنوقين هم من دمشق ومثلهم الاربعين من الستة والخمسين الذين شُنقوا في ٢٠ آب والخمسين من الذين أُعدموا بتهمة القتل. أمَّا باقي المحكوم عليهم فهم من رجال الشرطة أو جنود غير نظامية وقد أُعدموا بتهمة

النهب فقط إلاّ القليل منهم . ولم يُعدم سوى عشرة من ٥٠٠ شخص اتهموا بكونهم اشتركوا في المذابح في احد احياء المدينة . ان المسيحيين يصرّحون بانهُ لا يصعب العثور على الجناة اذا أُجبر مختارو الاحياء على القيام بواجبهم .

لم يُحكم حتى الآن على الاعيان المسجونين منذ شهر وقد ذكرتهم في رسالتي المؤرخة في ٢٣ آب بحجة عدم وجود ادلة كافية . وفي الحقيقة ان معظم الجناة ان من اعيان القوم وان من رعاعه افلتوا حتى الان من العقاب ولا استطيع ان اعلم ما اذا كانت الحكومة سعت الى اكتشافهم او الى اخفائهم . ان محاكمة الجناة التي كانت جارية ببطء اثناء وجود فؤاد باشا هنا اوشكت ان تقف تماماً . فانزال الرعب في قلوب السكّان لا يزال لازماً من جراء طريقة التباطوء التي انتهجت في البحث عن الجناة واعدامهم واراني مضطرًّا الى التصريح باني لا اوّمل اتخاذ وسائل ناجعة في اجراء العدالة عاجلًا واعادة الثقة والامان اذا لم يضغط بعض الاوربيين ذوي النفوذ توًّا او بالواسطة على اللجنة العثمانية الموكول اليها اتمام هذا الواجب . ان المسيحيين الباقين في قيد الحياة وعددهم خمسة الاف قد اخلوا القلعة وتفرقوا في البيوت التي افرغتها الحكومة لهذا الغرض . وقد زرت في الثلاثة الايام الماضية جمهورًا منهم واقول بأسف ان حالتهم ليست على ما يرام وقد تفشت بينهم الامراض ولاسيما الحميات والاوبئة . وقد خُصصت الاموال التي أرسلتها لجنة الاحسان السوريّة الى المستر برانت لسدّ حاجتهم القصوى لكنهم لا يزالون في رعب شديد بين مخالب اليأس ويقولون انهم امتحنوا كره المسلمين الشديد لهم وخداعهم ويخشون تجدد الفظائع السابقة او اضطرابات مماثلة لها . وهم الان قلقون من حركات الجنود في المدينة مع ان حاميتها زهاء خمسة الاف مقاتل ويرغبون في الجلاء عنها الى اي مكان كان ويعربون عن رغبتهم بكلام سادج انما موثر وهو : « ان قلوبنا احترقت وقد أمسينا غرباء عن وطننا فلماذا نبقى فيه ؟ فاتركونا

نرحل عنه. » فزرتهم وشجعتهم وطمنت خواطرهم لكنني لم انجح. فالوقت والتحوطات التي تتخذها الحكومة لحمايتهم تتكفل باعادة الطمأنينة اليهم .

شرع الان بالحركات العسكرية التمهيدية لتأديب الدروز اذا اقتضى الامر فأنفذ ٢٠٠٠ مقاتل وفيهم جنود غير نظامية الى حوران وسافر اليوم ٣٠٠٠ جندي نظامي مع ٣٠٠ فارس كردي مصحوبين بمدفعين الى حاصبيا بقيادة السر عسكر حليم باشا. وقد كنت عزمت على مرافقة هذه القوة ولاسيما لو صحبها صاحب الدولة فؤاد باشا بيدَ انهُ لمَّا كان المستر برانت سيتغيب عن دمشق فقد عولت على استشارة اللورد دوفرين قبل براحي هذه المدينة . (عدد ١٤٨ ص ١٥٢ـ ١٥٤)

٢٢٤ ــ اللورد دوفرين الى السر بولفر . عن بيروت في ٢١ منه

اتشرف فانبئكم انه منذ اذاع صاحب الدولة فؤاد باشا انذاره في زعماء الدروز استدعاء لهم للمثول امامه في مدى بضعة ايام للجواب عن اعمالهم وقد اشرت اليه في رسالتي المؤرخة في ١٣ الجاري عمد سعيد بك جنبلاط اكبر اصحاب الاقطاعات الدرزية واقدرهم الى استعمال الوسائط لدى المستر مور ولديَّ ملحاً بان نكفل له وقايته من كل ضرر فيما لو مثل امام المحكمة . فاتفقنا على رد طلبه ورأينا ان الضمانة الوحيدة التي يمكننا اعطاءه اياها هي انه سيحاكم بعدالة وان سلامتهِ متوقفة على برائته. اذ من المرجح انه اذا ارسلنا اليه مثل هذا الجواب يؤوّله كتعهد من قبل انكلترة باستعمال نفوذها لتبرئته .

وكان المستر مور قبل سقوط زحلة قد سأل سعيد بك باسم الحكومة الانكليزية ان يوقف سفك دم المسيحيين . ولاشك في انهُ لو شاء ذلك لامكنه استدراك الكارثة فتصامَّ عن الاصغاء لكل النصائح المبذولة لهُ فسقطت المدينة بايدي الدروز . وعليه عزمت والمستر مور على رفض مفاوضته وقطع كل علاقة بهِ

وتركه وشأنه شاء الحضور أو آثر الفرار . (عدد ١٤٧ ملحق ١ ص ١٤٨)

٢٢٥ — ومنه ايضاً في ٢٣ منه

اتشرَّف فانبئكم بان قد قدم المدينة من الجبل ١٢ زعيماً درزيًّا وهاك اسماؤهم :

الامير محمد رسلان قائم مقام الدروز . الامير ماجم رسلان . سليم بك جنبلاط . الشيخ اسعد عماد . قاسم بك أبي نكد . الشيخ حسين تلحوق . يوسف عبد الملك . فاعور عبد الملك . قاسم حسن الدين . عثمان بك أبي علوان . الشيخ جمال الدين حمدان .

زرت فؤاد باشا هذا الصباح في مضربهِ فدخل عليه رجل وهمس بعض كلمات في اذنه فالتفت دولته إليَّ واخبرني بان سعيد بك جنبلاط على الباب ينتظر اوامره. أمَّا سائر زعماء الدروز فقد جُعلوا قيد المراقبة منذ وصولهم . وقد اخبرني دولته انه نوى الان ان يحيل دعاويهم على المجلس فيرأسه بنفسه وربَّما اقرَّ على توقيفهم

وقد اتصل بي انه فعل كما قال واوقف جميع المذكورين آنفًا في دار الحكومة. لم اتمكن من معرفة المحكمة التي يمثلون امامها وما اذا كان يؤذن للمندوبين الاوربيين ان يحققوا في التهم الموجهة الى الزعماء المذكورين بكل نزاهة .

ان النظر في طريقة محاكمة هؤلاء المتهمين بالاشتراك في الاضطرابات الاخيرة ان في دمشق وان في لبنان يثير افكارًا مزعجة تقلق البال . ويظهر انهُ يتعذر تأليف محكمة من رعايا الباب العالي جديرة بثقة الشاكين والمشكو منهم .

حتى اذا قضي بالجناية على هؤلاء الذين يتهمهم الرأي العام يسود الاعتقاد بانه وان كان الحكم عادلاً فعلاقته بالجناية عرضية . وان الحكومة التركية رغبةً في ارضاء اوربا عاقبت بعضهم بغية غسل العار عن شهرتها في دم الجناة . وعلى هذا فالمحكمة تعمل تحت الضغط والمدَّعى عليهِ يعتبر ذاته ضحية مقتضيات السياسة والشاكون

يعتقدون انها سياسة استعطاف لم تراعَ فيها أصول العدالة

ان عواطف الانفة الموجودة في كل انسان تنفر من مثل هذه المحاكمة الملتوية

من اللازم اللازب ان يكون الذين سيعهد اليهم بمحاكمة زعماء الدروز اناساً يريدون القضاء بنزاهة بل متصفين بالذكاء والفطنة للتمييز بين الجناة وغيرهم

ان مقدار الاكاذيب التي ستعزز بالقسم الغليظ ستكون كثيرة على ما أرجح والشهادات المتناقضة وافرة والتمييز بينها صعب جداً. وعندي انه يتعذر انشاء محكمة وطنية يزدان اعضاؤها بالصبر وسلامة الضمير واستقلال الرأي وهي خلال لازمة للقضاء بنزاهة في الدعاوى الموكول اليهم النظر فيها

اجهل اذا كانت اللجنة الدولية تعتبر ان لها السلطة على التدخل في هذه الدعاوى انما سيكون من حسن حظها اذا توفقت بحكمتها الى ايجاد علاج لهذا الداء الشديد. (عدد ١٤٧ ملحق ٢ ص ١٤٨ ـ ١٤٩)

٢٢٦- رفعه اليه بالتاريخ ذاته [افتطاف]

اتشرف فانبئكم باني حادثت فؤاد باشا غير مرة في الاسبوع المنقضي وقد تلطف دولته وجاد عليَّ ببعض تفاصيل الخطة التي عزم على انتهاجها في محاكمة دروز جبل لبنان.

وقد سبق لي ان انبأت سعادتكم في رسالتي المؤرخة في ١٣ الجاري بان فؤاد باشا قد شرع بتنفيذها باذاعته نشرة في زعماء الدروز يستدعيهم بها للمثول امامه منذرًا اياهم بالحكم عليهم غيابًا اذا أبوا تلبية دعوته. وفور انقضاء المهلة المعطاة لهم كتب دولته امرًا صورته في طيه عاب به على جميع الزعماء الذين أبوا الحضور سلوكهم معلنًا تجريدهم من وظائفهم ورتبهم والقابهم وحجزه اموالهم لان تخلفهم كان بمثابة اعتراف باقترافهم الجناية.

ثم يأمر دولته باحتلال لبنان بخمسة الاف جندي بامرة اسمعيل باشا (القائد كميتي) وقد جعل صيدا مركزاً لهذه الحركات العسكرية. وسيقوم قسم من جيش دمشق بحركات مثلها فيعسكر في جوار حاصبيا وراشيا غربي سفح جبل حرمون في حين ان قبائل العرب التي سبق لي الاشارة اليها في رسالتي المذكورة آنفاً ستترابط على حدود حوران لمنع الفارين من الالتجاء الى جبل اللجاه.

(عدد ١٤٧ ملحق ٣ ص ١٤٩-١٥٠)

٢٢٧- انذار فؤاد باشا مشايخ الدروز في ٤ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ [٢٠ ايلول]

لما كان جلالة السلطان الاعظم قد امر باجراء محاكمة جميع الذين سببوا كوائن لبنان المحزنة بكمال العدالة وجهنا انذاراً عاماً الى جميع امراء الدروز والمسيحيين ومشايخهم دعوناهم بهِ الى المثول امام لجنة التحقيق الموكول اليها البحث في منشأ الحرب الاهلية والاسباب التي جرّت اليها واعلنّا جميع الذين لا يحضرون في الوقت المعين انهم يُعدون كجناة لانهم بتمنعهم عن الحضور يثبتون صحة الشكاوى الموجهة اليهم فيحكم عليهم ويُعاقبون وفقاً للقانون.

ان كثيرين من زعماء الدروز لم يلبوا نداءنا بعضهم لاتهامهم بانهم من الذين غمسوا ايديهم في الفتنة أو حرّضوا عليها وآخرون لاقترافهم جنايات وجرائم ومعظمهم لانهم خفروا ذمة كل الواجبات المفروضة عليهم بصفتهم من أصحاب الاقطاعات الموكول اليهم حفظ الراحة فيها العامة فخالفوا الاوامر السلطانية والحق العام. فجميع الذين يحدثون قلاقل ويثيرون الاهالي ويحرضونهم على الثورة والذبح والنهب ويقترفون الجنايات والجرائم يجب قصاصهم وفقاً لموجبات القانون. ولما كان الزعماء المذكورون بتخلفهم عن الحضور قد اعترفوا ضمناً بذنبهم فالمندوب السلطاني الخارق العادة في سورية المفوضة اليه السلطة المطلقة قد اتخذ بحقهم الاحكام الآتية:

١ً : أُلغيت رتب والقاب الزعماء المذكورين

٢ً : فصلوا من وظيفة اصحاب الاقطاع وسائر الوظائف التي كانوا يشغلونها.

٣ً : حُجزت جميع اموالهم الثابتة والمنقولة وتبقى محبوسة الى حين صدور الامر السلطاني بشأنها .

٤ً : ان المجلس الخارق العادة المقيم في بيروت سيحكم في درجة ذنب كل من المتهمين ويقضي غيابًا عليهم بالعقاب الذي استحقوه حتى اذا وقع احد منهم بيد الحكومة ينفذ بحقه الحكم . بيدَ انها تترك لهؤلاء المحكوم عليهم الحق بان يأتوا مختارين لتبرئة ذواتهم امام المجلس

٥ً : أمَّا الذين لم يتهموا بشيء فلهم ان ينصرفوا الى اشغالهم فتوقى حياتهم وتُكفل اموالهم ويكافئ الذين حموا المسيحيين في خلال كوائن الجبل وانقذوهم

٦ً : قُسمت قائم مقامية الدروز إلى اربع دوائر وسيقيم في كل منها عدد كافٍ من الجنود السلطانية لاعادة المسيحيين الى بيوتهم وادارة شؤون هذه القائم مقامية . وستسهر هذه الجنود على حفظ السكينة والراحة ليتمتع بفوائدها جميع رعايا الذات الشاهانية دون تمييز . (عدد ١٤٧ ملحق ٤ ص ١٥٠ ودي تستا عدد ٥٧ ص ١٠٤ـ١٠٥)

٢٢٨ـ اللورد دوفرين الى السير بولفر في ٢٤ منه [افطاف]

ان صاحب الدولة فؤاد باشا والجنرال كميتي ذهبا ليلًا الى صيدا حيث حُشد قسم من الجنود التركية وفقًا للخطة التي اشرت اليها في رسالتي المؤرخة في ١٤ الجاري . وستزحف الحملة بمزيد السرعة على الداخلية . وبعد بضعة ايام سيقصد ٣٠٠٠ جندي فرنسوي دير القمر لعضد حركاتها وسيدعى المسيحيون الفارّون الى العودة الى بيوتهم ويشرع بتوطيد اركان الامان في لبنان .

اتشرف بان ارسل لسعادتكم نسخة النشرة التي اذاعها فوّاد باشا حثًّا للدروز الابرياء على الرجوع الى قراهم . وقد اتصل بي ان الرعب مستولٍ على هـذه الطائفة باسرها. واظن ان اعدام احمد باشا والضبّاط اركان حربه كان لهُ وقع في الجبل أشدّ منه في دمشق حيث ينظر المسلمون الى مصيبة رؤسائهم الاتراك بقلة الاكتراث

ورد هذا المساء خبر بان ٢٠٠ درزي قُتلوا بينا هم يحاولون خرق نطـاق صفوف الجيوش التركية الموكول اليها منع التجائهم الى حوران .

(عدد ١٤٧ ملحق ٥ ص ١٥١ ـ ١٥٢)

٢٢٩ – نشرة فوّاد باشا الى الدروز في ٣ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ [١٩ ايلول]

لقد اتصل بنا ان قسمًا من الدروز القاطنين في القرى ارتاعوا من ان يُعاقبوا دون تمييز ولا فرق فاستعدوا للجلاء والتشتت في انحاء البلاد . اجل سينزل القصاص في الذين سببوا القلاقل في جبل لبنان واتهموا باجتراح الجنـايات بعد اجراء محاكمتهم ويكون عقابهم مناسبًا لجرمهم على ان ذلك يجب ألاَّ يحمل الاهلين على الفرار لانهُ لا يُظلم أحد بل يكافى جميع الذين احسنوا السلوك في اثنـاء الاضطرابات وحموا جيرانهم المسيحيين وخدموا الحكومة والانسانية . وبناء عليهِ ينبغي ان ينصرفوا الى اشغالهم واثقين بعدالة الحكومة العثمانية .

(عدد ١٤٧ ملحق ٦ ص ١٤٢ . ودي تستا عدد ٥٨ ص ١٠٥)

٢٣٠ – برانت الى السر بولفر . عن دمشق في ٢٥ منه [افنطاف]

ان حالة سوريّة لمختلفة عن سائر انحاء تركيا فان الحرب التي نشبت بين الطائفتين المارونية والدرزيّة المتعاديتين وانفجار بركان التعصب لم يسبق لها مثيل في العصور القريبة .

ان الباب العالي ارسل أدهى رجاله لاصلاح الشؤون مفوضاً اليه سلطة مطلقة ومعه قوّة كافية فاستعمل صاحب الدولة فؤاد باشا هذه السلطة وتوفق الى اعادة بعض الثقة الى البلاد . بيدَ انهُ قد ضلَّ كل من افترض ان الترضية التي ستبذل مع ما هي عليه من النقص تقوى على شفاء الغلة ومحو ذكرى الفظائع الهائلة والفواحش المنقطعة النظير والمنكرات التي اُقترفت ولم يفقه مقدار الشرور التي نتجت عن فوران التعصب الاسلامي الذي استحلَّ المحرمات واستباح الموبقات .

ان تعويض الخسائر المادية لسهل انّما ليس في طاقة انسان ان يعوض خسارة الرجال والنساء والاطفال الذين ذُبحوا بعد ان أُذيقوا أمرّ العذاب .

بقي علينا ان ننظر في التعويض الذي تؤديه الحكومة عن الخسارة التي شملت الامة المسيحية . ان الاسلاب التي استعيدت جارٍ توزيعها على المسيحيين تعويضاً عمّا فقدوه لكنها تُسعَّر غالية وليس هناك ما يرشد الى كيفية تدوين الحساب . فأصحاب النفوذ يحصلون على احسن الامتعة بأثمانها العادلة في حين ان الفقراء التعساء يضطرُّون مع شدّة عوزهم الى رفض قبول الامتعة الخالية من كل قيمة لانها تثمن فاحشة جداً .

ان التباس سلوك الموكول اليهم الاشراف على توزيع اعانات الحكومة ولوازم المعيشة والثياب والفرش يقلق بال هؤلاء المنكودي الحظ فيرون انهم مظلومون ويقنطون من انصافهم .

انا على يقين من ان مخالفي جلالة السلطان يودُّون عضد حكومته غير ان كيفية هذه المساعدة غير جلية . ولست اشكّ في رغبة فؤاد باشا في توطيد اركان سلطة الباب العالي انّما لا يرجى صلاح اذا استمرّت ادارة زمام الشؤون في يد موظفين من طينة الولاة السابقين وأبقيت طريقة الحكم على حالها

ان الاحوال قد تغيرت كثيراً منذ اشتعال نار الفتنة بحيث امسى الاقتصار على

ادخال بعض اصلاحات غير كافٍ لاقرار الحكومة على دعائم متينة بل يقتضي ابدال طريقة الحكم تماماً وهذا يستدعي انعام نظر مندوبي الدول وتنقيبهم الدقيق

أمّا بخصوص الطريقة المالية فلم اجد لها اثرًا سوى ان المأمورين يبقون في جيوبهم معظم ما يستوفونه من الشعب وما يستنزفونه منه بحيث لا يصل الى خزينة الدولة الا القليل فمثل هذه الطريقة ـ اذا كان يجوز ان تدعى بهذا الاسم ـ غير قابلة الاصلاح بل ينبغي ابدالها تماماً .

ان كثيرين يرون ان فؤاد باشا تباطأ في اعدام الجناة فاضعف التأثير الذي كان يرجى من سرعة تنفيذ الاحكام اذ ان العقاب العاجل يلقي الرعب في قلوب الشعب ويكون لهُ عبرة زاجرة في الآتي . أمّا اعدام الجناة تدريجًا فقد ولّد حنقًا شديداً على المسيحيين وايقظ الحزازات الكامنة في الصدور والرغبة في الثأر فامسى المسلمون والمسيحيون أشد عداوة لبعضهم من ذي قبل .

وعدا ما تقدم فقد عمّ الاعتقاد بان العلماء عوملوا بلطف وقد اعتذر فؤاد باشا عن انه لم يجد شهادة صريحة على المسجونين منهم لكن معظم الشعب يرى ان الادلّة كافية لشنقهم . وقد أتهم الشيخ عبدالله الحلبي والمفتي وغزّي افندي بانهم حرّضوا المسلمين على اجتراح الفظائع فالاول معروف بانه كان زعيم المحرّضين على قتل المسيحيين وعلمتُ من مصادر مختلفة بان قد ثبتت الجناية عليه فداره مملوءة بالمسلوبات لكنها لم تُفتش وهجمت النساء المسلمات عليه مولولات على ازواجهنّ الذين أعدموا ومتهمات بانه كان سبب اعدامهم بتحريضاته . ويعتقد الجميع ان في الوسع الحصول على أدلّة كافية اذا احتيج اليها وان ترك هؤلاء المتهمين يفلتون من عقاب الموت ينتج عنه ضرر عظيم فيمحو حسن تأثير اعدام الجناة قبلًا . ولا ريب في ان التعصب الاسلامي ولّد جميع القلاقل وان في خضد شوكته اقوى ضمانة على اقرار الامن في المستقبل .

وبعد ان يتوفق فؤاد باشا الى توطيد اركان سلطة السلطان ينبغي ان تقوم ادارة نشيطة نزيهة طاهرة الذيل على دعائم هذه السلطة مقام التي جلبت خراب هذه البلاد وكانت خاتمتها المذابح . (عدد ١٥٦ ملحق ١ ص ١٦٠ـ ١٦١)

٢٣١ـ نظافة مندوبي الدول الى فؤاد باشا . عن بيروت في ٢٦ منه

نحن الموقعون اسماءنا أدناه مندوبو النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسية لمّا كان قد تمّ اجتماعنا في بيروت نتشرّف بانباء دولتكم لتتلطفوا وتستعدوا لمفاوضتنا بأقرب آن .

وقد علمنا من الرسائل التي انفذتها الينا سفاراتنا في الاستانة ان دولتكم تشتركون في ابحاثنا وتترأسون جلساتنا . فنحن مستعدون لتلبية دعوتكم لنا بهذه الصفة ونهنيء نفوسنا بهذه الفرصة التي يظهر لنا انها افضل ضمانة لنجاح المهمة الموكولة الينا جميعاً

واذا تعذر على دولتكم الحضور الى بيروت الان فلكم اذا رأيتم مناسباً اخبارنا بذلك واستنابة وكيل عنكم توكلون اليه مجالستنا وفقاً للشروط المتفق عليها في الاستانة بين الباب العالي وممثلي الدول ذوات المصلحة .

التواقيع : وكبكر . بيكلار . دوفرين . رهفوس . نوفيكوف

(عدد ١٥١ ملحق ٢ ص ١٥٦ـ١٥٧)

٢٣٢ ـ الاورد دوفرين الى القنصل برانت في ٢٧ منه

انبئكم ان المندوبين الاوربيين عقدوا اجتماعاً اول من أمس فاقترحت عليهم ان يطلب كل منهم الى قنصل حكومته في دمشق ارسال بيان يتضمن وصف حالة هذه المدينة الصحية وشؤون المسيحيين العامة .

ولما كان رصفائي قد استصوبوا رأيي هذا فاسألك ان تتلطف بايقافي على الاخبار المتعلقة بالامرين المار ذكرهما مما ترتئي انهُ خليق بان يعرض على ابحاث المندوبين مع ما يخطر لك من الاراء فيما يجب على الحكومة فعله لايقاف تيار القلق واعادة الطمأنينة الى المسيحيين اكتسابا لثقتهم . ويجدر بك قبل ان تكتب شيئا بهذا الصدد ان تفاوض رصفائك ليأتي بيانك مطابقا لبيانهم . وربما كان من الافضل الاتفاق على ارسال بيان اجماعي .

كتب لي الماجور فرازر ان روائح كريهة تنبعث عن الجثث الباقية تحت انقاض حيّ المسيحيين . ويخشى من ازدياد خطر تفشي الوباء لو عمد الى اخراجها لدفنها . فالاجدر هدم الجدران التي لا تزال قائمة وردم الفسحة بتمامها وتمهيدها ليصير سطحها متساويا وتكون طبقتها سميكة .

ولاشك في ان المسيحيين يعترضون على هذا العمل بحجة انه يحول دون اكتشاف الاموال التي دفنوها في الجبايا على ان هذا الاعتراض يجب ان يضمحل امام الضرورة القصوى القاضية باتخاذ تحوطات اتقاء انتشار الوباء .

(عدد ١٥١ ملحق ٣ عدد ١٥٧ ـ ٨)

٢٣٣ – الورد دوفربن الى السر بولفر ٢٨ منه

اتشرّف فانبئكم بان اللجنة الدولية عقدت اجتماعها الاول الساعة الثانية بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٦ الجاري في دار الموسيو نوفيكوف مندوب الروسية

وقد كتبت نطاقة فوقّعها المندوبون وأرسلت الى صاحب الدولة فؤاد باشا انباء لهُ بوصولهم واستئذانا بالشروع باعمالهم تحت رئاسته . وفي طيهِ نسخة منها .

ولم يُبتّ في هذا الاجتماع امر آخر ذو بال سوى الاتفاق على الاهتمام عاجلا بحالة مسيحيي دمشق . واتشرف بان ارفع اليكم صورة الكتاب الذي انفذته الى

المستر برانت بهذا الشأن . (عدد ١٥١ ملحق ١ ص ١٥٦)

٢٣٤ — اللورد دوفرين الى السر بولفر . عن بيروت في ٢٩ منه

اتشرّف فانبي . سعادتكم ان قد جاءني مساء الاثنين ٢٥ الجاري حضرة الفاضل الدكتور طومسون أحد اعضاء لجنة الاحسان الانكليزيّة الاميركيةفأوضح لي بأجلى بيان ما يهدد اللاجئين المسيحيين من كثرة الوفيّات اذا لم تبذل المساعي لاستعادة الفرش وسائر الامتعة التي نهبها الدروز . ويظهر ان كمية وافية من الفرش والاغطية هي من اعظم ضروريّات حياة اللبنانيين نظرًا لحالة البلاد الجوّية المعرضة للتغيرات الفجائية في فصلي الخريف والشتاء . فانهُ مهما كانت عائلة لبنانية في حاجة الى سائر اسباب العيش فهذه الامتعة متوفرة لديها حتى اذا حُرمتها تعذرت عليها الحياة .

ولنكد الطالع لا تستطيع لجنة الاحسان المشار اليها ان تقدم هذه الفرش ففي طاقتها ان توزع طعامًا وثيابًا ودراهم أمَّا الفرش فليس لديها اللوازم التي تصنع منها ولا تجد من يصنعها . انما اذا لم تُعطَ هذه الفرش والاغطية للمنكوبين في القريب العاجل يموتون لا محالة فقد قرس البرد في الليل وأخذت النساء والاولاد يطلبون اغطية

وعليهِ سألني الدكتور طومسون عمَّا اذا كنت استطيع حمل فوّاد باشا على اكراه الدروز على اعادة كل الاغطية والفرش التي نهبوها وهي تبلغ على الاقل ٤٠ الف فراش وغطاء

وفي صباح اليوم الذي حدثني بهِ الدكتور طومسون بهذا الامر الخطير اخبرني ابرو افندي الذي انابه فوّاد باشا عنه مدة غيابه عن بيروت بان قد فرغت يداه من المال وانه سعى الى عقد قرض على غير طائل وانه اذا لم يُمدَّ بالمال بمدى ٤٨ ساعة يضطر الى ايقاف الاعانات اليومية التي اجرتها الحكومة على اللاجئين . وسألني عمَّا اذا كنت استطيع بما لي من النفوذ ان اقنع التجار الانكليز باقراضه المال اللازم ؟

فأجبت باختصار ان القرض لاعلاقة له بالنفوذ بل هو مسألة ثقة وان توسطي لا يجدي نفعاً .

وفي الوقت ذاته اتوقع اسوأ النتائج اذا اضطرّت الحكومة الى ايقاف الارزاق المخصصة يومياً للمنكوبين فتضطر لجنة الاحسان ليس فقط الى اعالة عدة الاف من المساكين فوق الذين تحسن اليهم بل ان هذا العمل الخالي من الانسانية والمضاد الدين وان اقترف على غير عمد سيزيل الثقة الضعيفة في نيّات الحكومة وقد كان سلوك فوّاد باشا اعاد بعضها ويتأخر انتظام شؤون البلاد الموقت وتعود الحالة الى ما كانت عليه منذ شهرين .

ولسوء الحظ ان الضمانات الوحيدة الصالحة لكفالة القرض هي عوائد الجمارك انّما لا يُعلم اذا كانت مرصدة سرًّا لاحدى القروض في الاستانة. ان المصرف العثماني والتجار الانكليز هنا لا يتساهلون. بيدَ انهُ اذا لم يُفعل شيء في الحال يتعذر ملافاة الكارثة . ولهذه الاسباب خاطرت بأمر اعتقد انكم لا تلومونني عليه فقد عرضت ان امدّ فوّاد باشا بمالي الخاص فاقرضه في الحال خمسة الاف ليرة على شرط انهُ خلا التأمينات المشكوك فيها التي قدمها يقسم لي بشرفه انهُ يفيني مالي في أجل معيّن. وقد اضفت على ما تقدم شرطاً واحداً وهو ان يتعهد لي فوّاد باشا بشرفه ايضاً بانه يقدم باقرب آن ٤٠ الف فرشة وغطاء فيسلمها الى خمسة اشخاص منهم ٣ مسيحيون وطنيون واوربيان انتخبهم أنا فيذهبون الى دوائر لبنان الخمس باسم لجنة الاحسان ويوزعون هذه الامتعة على اصحابها

ومن ثمه اني بمساعدتي فوّاد باشا والاستفادة في الوقت ذاته من ضيق ذات يده قد ضمنت توزيع الارزاق يومياً على اللاجئين واستدركت افتضاح عجز الحكومة ونتائجه السيئة وانقذت حياة مئات من النساء والاطفال الذين كانوا ماتوا من حاجتهم الى الغطاء في هذه الليالي الباردة . امّا الضرر الوحيد الذي يخشى ان ينشأ عن هذا

القرض فهو اشتهار كون لي بهِ يد وقد احتطت لابقاء هذا السر مكتوماً فلا يذكر اسمي بالمعاملات ويقوم المصرف العثماني بدفع المال ومديره هو صديقي الخاص . أما توزيع الفرش والاغطية على اصحابها فيتم تحت مراقبة لجنة الاحسان الانكليزية الاميركية .

وفي الختام الفت انظاركم الى اني لو انتظرت استطلاع رأي اللجنة الدولية في هذا الشأن لخسرت وقتاً ثميناً لانها لم تنتدِ رسمياً حتى الان . من المرجح ان الدروز الذين فرُّوا يعمدون الى حرق هذه الفرش أو تخبئتها لو لم يزدد فؤاد باشا نشاطاً عن قبل ويعجل باستعادتها منذ اقسم بشرفه .

واجرأ أيضاً على القول اني اتوق كثيراً الى ان تتأكد سعادتكم وحكومة جلالة الملكة باني اتخذت على عاتقي تسليف هذا المال مدفوعاً بعامل الشفقة . لا انتظر ولا اريد ان أُنقذ من الاخطار التي تنتج عمّا اخشى ان يُعدّ بحقٍ مخاطرة تجاريّة . واذا كنت عرضت هذا الامر على سعادتكم فلأني اعتقد ان من واجباتي ايقافكم على دقائق كل مسألة وان تافهة من شأنها ان تساعدكم على الاحاطة بادوار المسألة السوريّة المتتابعة وجلّ ما ارجو ان تجودوا عليّ بتأكيد مضمونه اني لم افعل ما يستوجب لومكم . (عدد ١٥٠ ملحق ١ ص ١٥٤ ـ ١٥٦)

٢٣٥ – ومنه الى السير بولوَر في ٢٩ منه

اتشرف فانبئكم ان فرقتين من الجنود الفرنسويّة قوام كل منهما الفا مقاتل بامرة القائد دي بوفور غادرتا بيروت صباح الثلثاء في ٢٥ الجاري وقد بلغني ان احداهما وصلت الى دير القمر في ٢٨ منه . لكن يسوءني ان اقول ان بعض المسيحيين المرافقين الجنود اجترحوا جنايات فظيعة اثناء مسيرها . فذبحوا رجلاً درزياً اعمى عمره ثمانون سنة في عين عنوب وهي تبعد اربع ساعات عن بيروت ثم قتلوا شاباً

درزياً عمره ٢٥ سنة في قرية بشتفين الكائنة على مسافة قريبة من القرية الاولى .

أمّا افظع جناياتهم فهي قتلهم امرأة درزيّة منكودة الطالع قرب معسكر الجنود الفرنسويّة فان بعض الاولاد لحقوا بها صارخين بالجنود: «هاك امرأة درزيّة! امرأة درزيّة ! » وطفقوا يرمونها بالحجارة حتى سقطت الى الارض دون حراك .

وكان ان انضمت اليهم امرأة مارونية طالبة الانتقام من الدروز فقطعت رأسها

وربما اعتذر عن هذه الاعمال الشائنة بان الدروز اطلقوا الرصاص على الجنود. . انما انا موقن بانه لم يحدث شيء من ذلك .

ولما حدثت المسيو بيكلار عن هذه الكوائن المكدرة تميز من الغضب ووعد بان يكتب الى القائد دي بوفور ليعاقب مقترفي مثل هذه الجرائم .

(عدد ١٥٢ ملحق ١ ص ١٥٨)

٢٣٦- رسم الى فؤاد باشا في ٢٩ منه

علمت بمزيد الاستغراب والامتعاض ان الموارنة قتلوا كثيرين من الدروز العزّل وفي جملتهم امرأة ورجل مسن اعمى في جوار دير القمر وغير اماكن .

يسوءني ان يفتتح عهد اعادة الراحة الى لبنان ونصب ميزان العدل فيه تحت هذه الطلائع المشومة وأبى ان تنتهز فرصة تدخل الباب العالي والنفوذ الاوربي فيتخذان سبيلاً الى تجديد الفظائع التي صبغت بالدم ارض هذه البلاد . ان مقترفي هذه الجنايات بدلاً من افادة اخوانهم في المذهب يبلبلون اصول العدالة ويضرون بمن كان الحق بجانبه ويخسرونهم الانعطاف والميل اللذين استحقوهما بمصائبهم. فاستحلف دولتكم باسم الدين والانسانية ان تضعوا حداً لمثل هذه الشرور . ان حراجة الحالة تعذرني اذا ما الححت في الفات نظر دولتكم الى هذه المسألة المكدرة.

(ملحق عدد ١٥٥ ص ١٥٩ - ١٦٠)

٢٣٧– اعيان الاسرائيليين في دمشق الى السير مونتيفيوري
في ٧ تسري سنة ٥٦٢١ [٢٣ ايلول سنة ١٨٦٠]

إلى السير موسى مونتيفوري المحسن الينا ومنقذنا اطال الله شريف بقائه

نضرع أوّلاً الى الله عزّ وجلّ ان يطيل حياتكم بالرغد والسعادة وان تكونوا متمتعين بحظوة تامة لدى عظماء الملوك والحكّام والامراء وينقذ الامة الاسرائيلية في ايامكم ويظلل يهوذا بالامان .

وبعدُ فقد سبق لنا الشرف ان رفعنا اليكم كتاباً في الشهر المنقضي اشرنا فيه الى ازدياد حنق مسيحيي دمشق على اليهود وقد غلت الآن في صدورهم مراجل الحسد والسخط بحجة انهم قُتلوا ونُهبوا وأُسيئت معاملتهم في حين لم يمس ابناء اسرائيل بضرر .

ان قلوبنا واجفة من ان يدفعهم هذا البغض والحسد الى اتهامنا زوراً بما لم نجترحه . وعليه نلتمس ان تمدُّوا لنا يد العون فتحصلون لنا على اوامر من الحكومة الانكليزيّة لقناصلها وقوّادها البرّيين والبحريين في سوريا ليساعدونا ومن الحكومة التركية الى صاحب الدولة فؤاد باشا ليحمينا وألاّ يسمع على اليهود شكاوى كاذبة ودولته رجل عادل نزيه

والان نخبركم ان المسيحيين تآمروا علينا منذ بدء شهر ايلول ووجّهوا الينا التهم الزوريّة فسُجن كثيرون من ابناء امتنا بتهمة اشتراكهم في المذابح . ان الحكومة تصدق المسيحيين كلما اتهموا احداً فتقبض عليه وتحيله الى المحاكمة ولا تقبل شهادة كرام المسلمين بان المتهمين كانوا في بيوتهم اثناء الاضطرابات ولا تصدق المسيحيين اذا صرّحوا بان اليهود كانوا مختبئين معهم ولم يفارقوهم طول مدة القلاقل واعظم من ذلك لا يُحفل بشهادة الشاكين ذاتهم اذا كانت موافقة لمصلحة اليهود. وحدث

ان امرأة اتهمت يهودياً بقتل زوجها فطلب اليها ان تعزز تهمتها بالايمان فأبت وطلبت الى اليهودي ان يقسم بشريعة موسى انهُ لم يكن الجاني فيطلق سبيله فرفضت المحكمة القبول بحلفه وقد أبت ايضاً قبول شهادة رئيس الحاخامين واليهود باقون في الحبس وقد مات احدهم خوفاً .

فاليك نلجأ ياحضرة السير . فانظر الى اليهود الابرياء الاتقياء الطاهري الذيل يلقون في السجن مع القتلة وكيف تُرد كل الشهادات والادلة التي تبرئهم ولا نعلم ما سيحلّ بشعب اسرائيل متى رأى المسيحيون ان المحكمة تبني احكامها على شكاويهم الكاذبة وان صوت اسرائيل لا يُصغى اليه بل يقال له : لا شفقة على اليهود ولا رحمة .

ان الذين قاموا على المسيحيين وقتلوهم لم يُحاكموا وفقاً لقوانين البلاد العادية بناء على الشهادات المنصوص عليها بل أُلفت محكمة غير عادية وُكل اليها القضاء في هذه الدعاوى ويظهر الآن ان في النية محاكمة اليهود ايضاً امام هذه المحكمة والقضاء عليهم بالموت بناء على شهادة المسيحيين فقط . وهذا يحزننا جدًّا فكيف يمكن المقابلة بين اليهود وبين الذين ايقظوا الفتنة على المسيحيين ؟ ألم يكن اليهود ذاتهم قيد الرعب ومعرضين للاخطار اثناء الاضطرابات ؟ وفي الحقيقة كنَّا على قاب قوسين من الموت او أدنى . فان كثيرين من اليهود اختبأوا مع المسيحيين في بيوت كرام المسلمين وفي الاخية والاسراب . هل يُعقل ان رجلًا ترتعد فرائصه خوفاً على حياته يعمد إلى قتل غيره فالعقل والفطنة يأبيان التسليم بذلك . فمعاذ الله ان يخالج هذا الاعتقاد فكر جلالة ملكة انكلترة المعظمة وحكومتها ونحن لم ننفك منذ عشرين سنة عن الضراعة للعلي المتعال بان ينعم عليها بالسعادة والشرف والمجد .

وفي هذه الازمة نطرح توسلاتنا على اقدامها ملتمسين ان تشمل شعب اسرائيل المضطهد في دمشق بعين شفقتها ورأفتها وهو يرغب اليها ان تمد لهُ يد المساعدة

وتظلله بظل نفوذها العظيم ليحاكم سجني اليهود امام المحاكم العادية وفقاً للعوائد المرعية في البلاد لان شعب اسرائيل شبّانا وشيوخاً بريء من هذه الجنايات ولم يغمس يده في دم المسيحيين .

ولا مراء ان هذا وقت اضطراب وخوف عظيم لان الرعب مستولٍ على كل اسرائيلي قاطن في دمشق ويرتعد فرقاً من ان يتهم زوراً ولا يوجد بين المسيحيين من يردع اخوانه عن ذلك . بل قد جهر بعضهم انهم لا يأذنون لاسرائيلي ان يعيش بسلام وطمأنينة . وقد بدأوا بالتآمر على افضل رجال طائفتنا وأعظمهم شأناً كيعقوب ابولفيا وسليمان فارحي بن اسحق حاييم فارحي (وقد نزلتم حضرتكم بضيافته لمّا جئتم دمشق) وهو شاب عمره ١٤ سنة وحيد لابويه فادعى مسيحي ان اباه قُتل بين داري المشار اليهما .

اذا لم يكن الرب عوننا فماذا يكون مصيرنا ؟ ان المتهم هو تحت حماية فرنسا فقنصلا فرنسا واليونان قد منعا سماع هذه الدعوى في المحكمة ونظرا فيها فأظهر الله براءته .

فما هي الادلّة التي تبنى عليها هذه الشكاوى ؟ اذا وجد رجل مذبوحاً في الشوارع الكبيرة حين هيجان الرعاع في حين كانت جميع شوارع المسيحيين واليهود والمسلمين المجاورة بعضها غاصة بجثث القتلى فهل في طاقة رجل ان يمنع اقتراف جناية امام داره ؟

اتصغى لهُ الغوغاء ؟ من يجسر على ان يقول لهم : لا تقتلوا جميع الذين تصادفونهم في الطريق . هل كان اليهود آمنين على حياتهم ؟

وعليهِ نسألكم ان تأفوا بنا وتصغوا الى رجائنا فتبذلون جهدكم حصولاً على شفاعة حكومات انكلترة وفرنسا وتركيا لدى فؤاد باشا وهو قاضٍ عادل وان تُرسل الاوامر الى قنصل انكلترة في دمشق ليمنع معاملة اليهود كالذين ايقظوا الفتنة

ومحاكمتهم في ذات المحكمة

انت والدنا فهلمَّ لمساعدتنا ! وبما انك انقذتنا سابقاً فخلّصنا الآن وكن واسطة لانهاء محننا .وقد وقّع هذه العريضة الحاخامون والشيوخ واعيان الطائفة في دمشق وهم ينتظرون الجواب بفارغ الصبر .

التواقيع : حاييم رومانو . داود حربي . مناحيم فارحي . يعقوب حليفي . يعقوب برتس . روفائيل حليفي . اسحق ميمون . هارون يعقوب

(ملحق عدد ١٥٧ ص ١٦٢-١٦٣)

تنبيه ان السير مونتيفيوري المشار اليه ارسل هذه العريضة الى اللورد روسل وشفعها بكتاب منه بتاريخ ١٦ تشرين الاول يسأله بها اجابة طلبهم (عدد ١٥٧ ص ١٦١)

٢٣٨- اللورد روسل الى السير مونتيفيوري في ١ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ [افتتاف]

يسرّني ان ابشركم بان هناك اسباباً تدعوني الى الاعتقاد بان قد أُعيدت النساء والبنات اللواتي سباهنَّ مسلمو دمشق اثناء الاضطرابات الى ذويهم سوى واحدة.وقد تحققت بعد كثرة التفتيش في الطوائف المسيحية المتعددة في تلك المدينة ان ابنة صغيرة لم تزل مفقودة واسمها وردة ابنة المدعو حنا الشوس وهو ماروني من دير القمر ذُبح اثناء المجزرة . وكانت هذه الابنة خادمة في بيت مخايل السمّال المسيحي . ولمّا بدأت المذبحة لجأت الى بيت مسلم يدعى أحمد آغا فاعترف انه ودَّ انقاذها فقادها الى باب القلعة وتركها هناك ثم قطعت اخبارها عنه .

ان رئيس كهنة الروم الكاثوليك وبعض اشخاص من هذه الطائفة يرجحون ان بعض نسائهم باقيات في القرى قرب دمشق محجور عليهنَّ انما لمّا كانوا لا يستطيعون بيان اسم كل شخص مفقود يُظن ان تخمينهم خالٍ من كل اساس

ولا يستبعد ان تكون عائلة بأسرها أُبيدت عن آخرها بحيث لم يبقَ احد من

اعضائها المسنين ليستدعي ارجاع انسبائه الذين عفى عنهم السفّاحون نظرًا لصغر سنهم او لجمال صورتهم لكن قليلة هي الاسر التي استُصلت شأفتها على قدر ما استطعت التأكيد.

كان قد عُمل باقتراحي وسئل كل رب عائلة في دمشق عن الاعضاء الذين لم يُقتلوا في المذبحة بل فُقدوا وكانت هذه الطريقة تؤدي إلى معرفة اسم كل شخص فاعتقد اني اصبت بتأكيدي لسعادتكم انه لم يبقَ احد من المسيحيين في يد المسلمين اذا كان باقيًا في قيد الحياة. ولمّا كانت مساعي انسباء المفقودين والقناصل لم تأتِ بفائدة اخشى تعذر الاهتداء الى مخبإ المنكودات الحظ المشار اليهنّ.

بيدَ ان هناك امرًا اخر من شأنه ان يكدر صفو السرور الذي شملني عندما اخبرت سعادتكم بما تقدم اذ من الممكن ان تكون بعض الامهات شئنَ كتم فقدان ابنة لاعتقادهنّ انه يتعذر استرجاعها بدون كشف العار الذي التحق بها.

ولمّا كانت قد عمت طريقة التفتيش هذه الدمشقيين الموجودين الان في بيروت فلي الامل بانها تأتي بذات النتائج. (عدد ١٦٠ ملحق ١ ص ١٦٥-١٦٦)

٢٣٩ – القنصل برانت الى اللورد روسل. عن دمشق في ٥ منه

يسوءني ألاّ استطيع تبشيركم بتحسين الشؤون هنا. فانها ساءت تدريجًا بعد سفر فؤاد باشا وينظر اليها بعين الحذر من جرّاء عدم كفاية الوالي وهي تظهر بجلاء يومًا عن يوم. وقد اتصل بي ان دولته قلق جدًّا على اثر شيوع الخبر بان الدروز جمعوا في حوران ما يستطيعون من رجالهم ومن الاكراد ومن الدمشقيين الذين فرّوا من العقاب وجميع العرب والشرّد الذين ودّوا الانضمام اليهم لمهاجمة المدينة. ويقال انهُ يمكنهم ان يستنفروا ٧ إلى ٨ الاف مقاتل. واجهل نصيب هذه الاخبار من الصحة لا شك في انه مبالغ فيها انّما اثارت قلقًا في البلاد وزاده سلوك الوالي اشتدادًا.

ان والياً بهذه الصفة لمصيبة في غير هذه الاوقات فكيف بهِ بهذه الظروف فانه حاجز قائم في سبيل كل امل بالاصلاح ونذير بالشر. ان شعب دمشق بدّل سلوكه منذ غادر المدينة فؤاد باشا فهو يرفض ان يطيع الوالي ظناً منه بان عليه طاعة زعمائه فقط ويؤكد الجميع انه لا يستطيع انسان الوصول الى حقه دون مال

فقد جرى تلاعب كبير في مسألة المطلوبين للجندية فأُخذت الاموال من اشخاص لم تصبهم القرعة. أمّا الاشخاص الغير الصالحين للخدمة العسكرية لعيوب في اجسامهم فيزعجون في كل آن باستدعائهم كثيراً إلى دار الحكومة حيث يماطلونهم إلى ان يفتدوا ذواتهم ببعض المال للحصول على شهادة كما انه يعفى الاشخاص الصالحون للخدمة بمثل هذه الوسائل.

وقصارى القول ان بعض العوائد السيئة أُحييت بعد ان كانت اضمحلت حين كان فؤاد باشا هنا فقد أُتجر بتوزيع الامتعة المنهوبة على المسيحيين فبعض الموكول اليهم هذا الامر يميزون اناساً على آخرين فيأذنون لبعضهم ان ينتقوا ما يشاءون وان لم تكن هذه الامتعة خاصتهم ولا اعلم بأي سعرٍ يحسبونها عليهم لكني تأكدت ان الفقراء يُعطون امتعة وآنية دون التي فقدوها قيمةً ويحسبونها عليهم بأثمان باهظة حتى اذا تذمروا من هذه المعاملة يجيبونهم انهم ادعوا فقدان اكثر ممّا خسروه حقيقةً

ان مثل هذه المعاملة لاشبه كثيراً بالسياسة القديمة فلا ترضي الشعب ولا تؤمله بتحسن الادارة بل تحمله على ان ينظر الى المستقبل بعين الخوف وتحول دون رجوع ثقته بالحكومة.

تفشت امراض كثيرة بين الجنود لعدم تعودهم على هواء البلاد وافراطهم في اكل الاثمار فيوجد منهم الف في المستشفى. لقد جند زهاء ٢٢٠٠ رجل ولا يزال بحاجة الى ٢٠٠ لاكمال العدد الذي تطلبه الحكومة

ومن المقول ان ٥٠٠ سيتطوعون بحيث يصبح عدد الذين جندوا ٣٥٠٠ . أخبرت بان ٨٠ إلى ٩٠ شخصاً دفع كل منهم ٢٠ الف قرش إلى الخزينة بدل اعفائهِ من الخدمة العسكريّة مع ان الموظفين وزعوا ٣٠٠ شهادة اعفاء والباقون أعفوا لقاء الهدايا التي قدموها وقد دخلت جيوب اعضاء لجنة التجنيد .

تأخر دفع الاعانات المالية إلى المسيحيين فقد مرَّ عشرون يوماً على كثيرين دون ان يقبضوا بارة الفرد وهذا التأخير يزيد في شقائهم وقد اعتذرت الحكومة بان خزينتها فارغة وربّما كان ذلك صحيحاً .

ان وجود فؤاد باشا هنا ضروري اكثر من بيروت ودولته متجول الآن بين دروز لبنان ولم استطع ان احصل على اقل خبر يتعلق بحركاته او اعماله ولم اسمع بحدوث قتال بين الدروز والجنود التركية .

ان فرقة من الجنود الفرنسويّة بامرة الجنرال دي بوفور هي الآن في جوار زحلة لكن حركاتها وموقفها غير معروفين تماماً. أجل ان الاشاعات مطرتنا من كل جهة لكن لم نحصل على افادة يوثق بها ومثلنا الحكومة حتى ولو كانت عارفة تتجاهل .

أمس رُسمت صلبان على بيوت المسلمين المأهولة بالمسيحيين فساد القلق بينهم واستعد كثيرون من أعيانهم للسفر في الحال أمّا خالد باشا فقد طاف اكثر ساعات الليل في المدينة . لقد جُمع شيوخ الاحياء وأمروا بكشف الستار عن راسمي هذه الصلبان الضامرين الشر للمسيحيين انّما لا اعلم اذا كان قبض على أحد منهم .

أرى الآن ان الحالة أشبه بالتي كانت عليه قبل انفجار بركان الفتنة فالوالي خالٍ من كل صفات العزم والحزم وقد استولت على مخيلتهِ المخاوف الهيولية وليس فيهِ الكفاية والدراية لاتخاذ تحوطات لاتقاء الكوارث . وقد شاهدت جنداً لا يفكر بالقيام بواجبهِ واهلين متعصبين قيد الجزع يحرقون الارم على المسيحيين وهم ظمأى إلى الانتقام منهم ورأيت زعيم المحرضين على المذابح مسجوناً غير محكوم

عليه ولا بدّ من ان يكون ازداد حنقاً على « الكفّار » لما حلّ بهِ بسببهم . فاذا ما استدعي فوّاد باشا من سوريّة في هذه الاونة يجب ان نتوقع فواجع أشد هولاً من التي مرّت بنا . (عدد ١٥٩ ص ١٦٤ ـ ١٦٥)

٢٤٠ – اللورد دوفرين الى السير بولفر في ٥ منه

اتشرف فاخبركم بان أبرو افندي زارني هذا الصباح بغية ان يطلعني على رسالة وردت عليه من فوّاد باشا فيستفاد منها ان دولته بعد تركه صيدا زحف على حدود لبنان وسهل البقاع دون ان يلقى مقاومة لان معظم الطائفة الدرزيّة أقرت على انتظار أوامر الحكومة في قراها . وعند وصول دولته إلى حاصبيّا حاول على غير جدوى الاحاطة بجمهور كبير من مشايخ الدروز واتباعهم الذين امتنعوا في معاقل جبل الشيخ ووهاده . لكنه لمّا تأكد انهم لم يقعوا في الفخ المنصوب لهم وانهم توغلوا في شرقي الجبل اكتفى بان عهد إلى سرعسكر دمشق وضبّاط الجنود في سعسع بمطاردتهم وقفل عائدًا إلى لبنان .

لا ريب ان جميع الدروز الفارّين سيتوقفون الى الالتجاء الى حوران من جرّاء نقص تحوطات الجنود التركية . وفي الحقيقة ان المساعي التي صُرفت لقطع السبيل عليهم قاصرة جدًّا بحيث لا يستبعد ان يكون ارباب السلطة التركية رغبوا في تسهيل سبل فرارهم بدلاً من تضييقها .

وقد التقى فوّاد باشا اثناء عودته بالجنرال دي بوفور في جب جنين من أعمال البقاع حيث عسكرت الجنود الفرنسويّة وقد زحفت من بيروت في جهة موازية لزحف الجنود التركية من صيدا .

فشرح للقائد الفرنسوي الوسائل التي تذرع بها لتشتيت شمل العصاة الممتنعين في شرقي جبل الشيخ او القبض عليهم ودعاه الى الرجوع معه الى لبنان. وقد علمت ان

القائد المشار اليه قبل هذه الدعوة على كره منه لانه الان في جوار زحلة وفؤاد باشا قد جعل معسكره في المختاره .

ويسرّني ان اخبركم بان الجنود الفرنسويّة تساعد بكل غيرة ونشاط مسيحي زحلة وديرالقمر على اعادة بناء بيوتهم المدمرة. (عدد ١٦٠ ملحق ٢ ص ١٦٦-١٦٧)

٢٤١ – صك (بروتوكول) الجلسة الاولى التي عقدتها لجنة سورية الدولية في بيروت بتاريخ ٥ تشرين الاول سنة ١٨٦٠

ان الموسيو دي وكبكر مندوب النمسا والموسيو بيكلار مندوب فرنسا واللورد دوفرين مندوب بريطانيا العظمى والموسيو دي رهفوس مندوب بروسيا والموسيو نوفيكوف مندوب الروسية وابرو افندي نائب صاحب الدولة فؤاد باشا مندوب الباب العالي الخارق العادة قد انتدوا اليوم في ٥ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ الساعة الثانيــة بعد الظهر في دار المندوب الفرنسوي لتأليف لجنتهم وفقاً للتعاليم التي زُوّدوها بغية :

١ً : البحث في منشإ كوائن سوريّة واسبابها وبيان درجة مسؤولية زعماء الفتنة وارباب الادارة المحلية والسهر على معاقبة الجناة .

٢ً : تقدير الخسائر التي ألمّت بالمسيحيين والانفاق على الوسائل الكافلة تخفيف شقاء المنكوبين والتعويض عليهم .

٣ً : استدراك تجدد مثل هذه الكوارث وتوطيد اركان الراحة والطمأنينة في سوريّة بايضاح التعديلات التي يناسب ادخالها على نظام الجبل الحالي .

ولمّا كان يحق لفؤاد باشــا ان يترأس هذه اللجنة عملاً بالاتفاقية المبرمة بين سفراء الدول الخمس في الاستانة اجمع الرأي على ان يتناوب وكالة الرئاسة بغياب المندوب العثماني كل من المندوبين حسب تفاوت عمرهم وذلك على مدى

شهر وعليهِ جلس على كرسي الرئاسة الموسيو دي وكبكر مندوب النمسا واعلن افتتاح الجلسة . فتلا نص التعاليم المزوّد بها فوجدت مطابقة لتعاليم رصفائه . ثم سأل اللجنة ان تنظر بداءة ذي بدء في المادة الاولى من التعاليم المذكورة آنفاً اي في البحث عن منشإ الحوادث واسبابها . ولمّا كانت العرائض والرسائل التي رفعت إلى كل من المندوبين لا تختلف عن بعضها كثيرًا اقترح ضمها إلى بعضها تحاشيًا عن ضياع الوقت الذي تستغرقه ترجمة كل منها بمفردها .

فارتأى مندوب بروسيا متابعة الخطة التي نهجها حتى الان فوّاد باشا وطلب ابراز البيانات التي حررتها اللجان المحلية .

فقال مندوب فرنسا جوابًا على اقتراح الرئيس انه لمّا كانت عدة معاهد دينية خاصة الاباء اليسوعيين واللعازريين والارض المقدسة (فرنسيسكان) قد دُمرت وقُتل بعض رهبانها اثناء الاضطرابات فعرائض الشكوى التي رفعها اليه اصحاب المعاهد المذكورة هي من صلاحيته دون غيره ولا يمكن ضمها إلى مجموعة عرائض اللجنة . وعقبه مندوب الروسية وصرّح انه سيحتفظ ايضًا بالعرائض التي سترفع اليه بخصوص تدمير دار وكالة قنصلية دولته في دمشق وقتل ترجمانها وما يتعلق بهذه الحوادث .

وذكر مندوب بروسيا ان قد تم الاتفاق في الجلسة التمهيدية على الفات نظر المندوب العثماني الى بعض مسائل معينة .

وقرأ مندوب فرنسا نطاقة كتبها بهذا الشأن فأُلحقت صورتها بهذا الصك وسلّم أبرو افندي صورة عنها . فصرّح هذا الاخير انهُ لم يتلقَ حتى الان الاوامر من فوّاد باشا لكنه تعهد بابلاغ هذه النطاقة إلى المندوب العثماني المشار اليهِ . واردف انه لا يستطيع ان يعد هذا الاجتماع سوى جلسة تمهيدية وعليه يقبل بلاغات حضرات المندوبين بصفة غير رسمية .

فسأل المسيو بيكلار عمّا اذا كان امير الالاي حسني بك احد اعضاء المحكمة الموكول اليها محاكمة خورشيد باشا هو ذات الضابط الذي كان على قيادة حامية بعلبك . فحقق ابرو افندي لهُ ذلك لكنه اكد انهُ يجهل سوابق حسني بك . فاستغرب المندوب الفرنسوي وجود هذا الضابط في عداد اعضاء محكمة بيروت الخارقة العادة في حين ان الدلائل على سوء سلوكهِ في بعلبك كثيرة .

ثم استوضح المسيو بيكلار ابرو افندي سبب عدم القاء القبض على اميرالالاي نوري بك مع ان اشتراكه في كارثة زحلة يوجب معاملته بهذه الشدة

فأجاب ابرو افندي انه سيبحث في سلوك حسني بك . اما نوري بك فموجود في بيروت ويتعذر عليه مغادرة المدينة بحيث لا حاجة الى سجنه احتياطيًّا وانهُ سيستجوب ويُعاقب اذا اقتضى الامر . وزاد انه يقبل بالشكر كل ما يرى حضرة المندوبين وجوبًا لاخباره بهِ ايقافًا لهُ على ما ينسب الى المظنون فيهم .

فأعرب المسيو بيكلار عن اندهاشه من تمييز نوري بك لتيقنه ان تبعة الحوادث ملقاة على عاتق ارباب الحكومة بالسواء وهو يرتاب في سلوكهم جميعًا .

وطلب المندوب الروسي ايضاحات عن الاذن لشاكر باشا بالذهاب الى الاستانة في حين كان يجب ابقاءه في دمشق ليجيب عن سلوكه . فاحتجَّ ابرو افندي انهُ لم يكن لهُ علم بالشكاوى الموجهة الى شاكر باشا . فسأله الموسيو نوفيكوف عن محاكمة خورشيد باشا التي اوشكت ان تنتهي في حين ان المحكمة الموكول اليها التحقيق لم تستنطق احدًا من الشهود الذين يستطيعون كشف اسرار هذه الدعوى

فأجاب ابرو افندي ان قد انتهى استجواب خورشيد باشا فقط اما الشهادات فيصعب قبولها على والي الولاية

فارتأى مندوب بروسيا وجوب استجواب الدروز عمّا يعرفونهُ من الاعمال المنسوبة الى خورشيد باشا . فاعتذر ابرو افندي عن الجواب مستترًا وراء عدم وجود

اوامر معه بهذا الشأن . فأشار المندوب الفرنسوي الى اعتقاد الجمهور بان المحكمة اقتصرت على استجواب خورشيد باشا دون استدعاء شاهد . فاذا كان الامر كذلك فالتحقيق ناقص . فانه ولئن كان خورشيد باشا قد تولّى ادارة شؤون الولاية فيجب ألاّ تحول الوظيفة التي شغلها دون السعي الى أخذ الشهادات اللازمة على اعماله وجمع الادلّة والبيانات .

فقال الرئيس ان كل دعوى جنائية تقسم الى قسمين مختلفين احدهما التحقيق والآخر دفاع المتهم . وهو يرى انهُ لا يحق للجنة ان تتدخل في القسم الاول من الدعوى وهو من خصائص الحكومة العثمانية دون غيرها

فدار الجدال على هذا الامر فوضع اللورد دوفرين حدًّا لهُ بتذكيره رصفاءه ان حكومة الاستانة اعترفت لهم بهذا الحق

ثم ان المندوب الفرنسوي نقد الطريقة التي نهجها فوّاد باشا في تقدير خسائر اهالي القرى المسيحية وتعيين التعويضات وعقبه كثيرون من اعضاء اللجنة فأيّدوا قوله .

وقد اتضح من جواب ابرو افندي ان قد أُلّفت ست لجان من اصحاب الخبرة أضيف اليهم بعض اللبنانيين ووكل الى كل منها ان تذهب الى ناحية من نواحي الجبل المتضررة وتقدّر النفقات اللازمة للاصلاحات المستعجلة . وقد جعلت هذه اللجان قيد مراقبة جمعية الاحسان المركزية التي يرأسها أبرو افندي وعند اطلاعها على تخمين اللجان يصير توزيع المبالغ اللازمة على المنكوبين ليتمكنوا من اصلاح بيوتهم وجعلها صالحة للسكن وهو ساهر على استعمال هذه الاموال للغرض المخصصة لهُ .

ولا يهتم الان بترميم دور الامراء لانها تكلف كثيرًا بل أُعدّت بيوت لسكناهم في بيروت موقتًا وتوزع عليهم الاموال الكافية سدّ حاجاتهم . وجلّ المقصود ضمانة كفاف عيش المنكوبين موقتًا بتوزيع الاموال التي جاد بها جلالة

السلطان أمّا التعويضات فينظر فيها فيما بعد .

ثم اقرّت اللجنة بناء على اقتراح اللورد دوفرين بعد تعديله على تعيين نوّاب يمثلونها في اللجان الست السابق الايماء اليها . أمّا صفة هذه النيابة فقد شُرحت في فقرة اضيفت على المادة الثالثة من النطاقة الملحقة بهذا الصك .

وبعد ذلك انتقد مندوب فرنسا تأليف محكمة ثانويّة قد غمضت عليه معرفة خصائصها وهي تعمل تحت مراقبة المحكمة الخارقة العادة في بيروت . فاوضح ابرو افندي المهمة الموكولة الى هذه المحكمة وقوامها فحص الجنايات والجرائم التي اقترفها صعاليك القوم في خلال الكوائن الاخيرة مع احتفاظ المحكمة الغير العاديّة باجراء التحقيق . أجل ليس في جملة اعضاء هذه المحكمة سوى مسيحي واحد لكنه الوحيد الذي وجدت الحكومة فيه الكفاية حتى الآن .

فنقض مندوب بروسيا هذا الزعم وبيّن ان اختيار هذا العضو المسيحي الوحيد لم يكن مبنيًا على نزاهته واستقلال ضميره . ثم تباحث اعضاء اللجنة الدولية فيما اذا كان يجدر تعيين رواتب لوكلائهم في اللجان الست المار ذكرها وفي المورد الذي يؤخذ منه . فارتأى اللورد دوفرين استبداء اكفّ الدول فردّ اقتراحه

ثم ان مندوب فرنسا اشار الى انه يمكن الاتفاق مع لجنة الاعانات الاوربية المقيمة في بيروت على افضل وجوه انفاق الاموال الموجودة لديها . وقرأ عريضة رفعتها اليه عائلة بدران ثابت من دير القمر وفيها تشكو من ان محكمة بيروت اوجبت عليها تعيين وصي شرعي على الايتام القصر حسب منطوق الشريعة الاسلامية بحيث يُحرم القصر المذكورون من حق المطالبة بدم والديهم حتى يبلغوا سن الرشد . فجهر ابرو افندي بان هذه القاعدة لا تُنفذ في بيروت لانهُ لم يعمل بها في دمشق .

وقد خُتمت الجلسة عند الساعة الخامسة واستقرّ الرأي على عقد الجلسة الثانية يوم الاثنين في ٨ تشرين الاول في منزل المندوب الانكليزي الذي عرض اعداد

غرفة خاصة لانتداء اللجنة .

نظافة ملحقة

١ً : دمشق – ان اللجنة تطلب الاطلاع على ملفّ اوراق الدعاوى المقامة على الجناة والمتهمين بقصد تنوير افكارها والحكم في ما اذا كان من وجوب لمقاضاة غيرهم . وترى ان من اللازم اللازب على الحكومة ان تسرع بنزع السلاح من ايدي سكّان دمشق .

٢ً : بيروت – ان اللجنة تطلب ايضاحات عن ماهية التحقيق في الدعوى المقامة على خورشيد باشا وسائر المأمورين . فحقها في التدخل بهذا التحقيق هو جلي وهي مستعدة ان تتمتع بهِ منذ الان ان شخصياً وان بواسطة نوّابها . وتطلب ذات الطلب بخصوص التحقيق في الاعمال المنسوبة للدروز المراد اجراؤه او الذي بدئ بهِ

٣ً : المسيحيون – ينبغي ارجاعهم إلى بيوتهم في القريب العاجل ولذلك يقتضي قبل كل شيء الاهتمام بدفن جثث القتلى واعادة بناء البيوت وتدارك سدّ حاجيات المعوزين وضمان راحة الجميع وامانهم .

لمّا كانت الحكومة المحلية قد عهدت إلى ست لجان بالذهاب إلى نواحي مختلفة لتقدير الخسائر فترتئي اللجنة ان تنتقي ستة اشخاص وتضمهم إلى اللجان الست المار ذكرها او تؤلف منهم لجنة خاصة وهؤلاء النواب الستة يقومون بمراقبة اعمال اللجان التي ينضمون اليها .

٤ً : الغاء القائم مقامية الدرزيّة موقتاً – ان اللجنة تحتاج الى بعض الايضاحات عن هذا التدبير حتى لو ثبتت ضرورته لانه لا يجوز ادخال أدنى تغيير وان موقتاً على نظام لبنان الاداري دون مشاركة الدول العظمى ورضائهنّ .

(عدد ١٦٣ ص ١٦٩–١٧٢ . ودي تستا عدد ٥٩ ص ١٠٥ – ١١٠)

٢٤٢ – صك الجلسة الثانية في ٩ منه

يوم ٩ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ اجتمع في بيروت مندوبو الدول العظمى الخمس وابرو افندي نائب صاحب الدولة فؤاد باشا مندوب الباب العالي الخارق العادة في منزل مندوب جلالة ملكة بريطانيا ففتحت الجلسة الساعة الثانية بعد الظهر برئاسة المسيو دي وكبكر وتلي محضر الجلسة السابقة وجرت الموافقة عليه بعد تعديله قليلاً. فأبى ابرو افندي توقيعه بحجة انهُ لم يتلقَّ التعاليم التي سيرسلها اليه فؤاد باشا فدار الجدال في هذا الصدد

وقام مندوب الروسية وتلا نص التعاليم التي ابلغتها الحكومة العثمانية ممثلي الدول ذوات المصلحة في الاستانة ولا بدَّ ان تكون وصلت إلى فؤاد باشا وأوضح لابرو افندي ان المراد من توقيعه اثبات حضوره الجلسة وصحة منطوق محضرها. فقبل بتوقيعه مع سائر المندوبين لكنه كرر ما سبق لهُ الاحتفاظ بهِ مصرحًا ان ما فاه بهِ ليس لهُ صفة رسمية ما دامت تعاليم فؤاد باشا لم ترد عليه.

فسأل اللورد دوفرين ابرو افندي عن تهمة خطيرة موجهة الى حسن افندي متسلم حاصبيًا والى مصطفى باشا قائد الجنود في قرية ميمس. فالاول أمر باطلاق سبيل سجنى الدروز والاخر اطلق سراحهم بعد ان استلمهم.

فقال ابرو افندي ان ليس لديه علم بهذا الحادث ووعد بالبحث عنه ثم تعاقب المندوبون فتكلموا في حق تدخل اللجنة بالدعاوى مع انه لم يتسنَّ لها العمل بهِ في قضية خورشيد باشا وسائر الاشخاص المحالة دعاويهم على محكمة بيروت الخارقة العادة.

فارتأى الموسيو دي وكبكر ان ليس في وسع اللجنة استدعاء الشهود أمامها بغياب فؤاد باشا لاستجوابهم لان ذلك يتجاوز صلاحيتها. فناقضه مندوبا بروسيا

وفرنسا . أمّا أبرو افندي فأيّد رأي المندوب النمسوي وقال ان على اللجنة ان تتحاشى كل ما من شأنه ان يمس سلطة السلطان المطلقة ويضعف نفوذه . فالحكومة باذلة قصارى جهدها وقد استعملت الشدة في دمشق وفؤاد باشا يسعى الان في لبنان الى قصاص الجناة واسعاف المسيحيين .

فوليه مندوب بروسيا واستأنف الكلام في محاكمة خورشيد باشا وكتم ماجرياتها عن اللجنة .

وعقبه الموسيو نوفيكوف واعرب عن اسفه على ان اللجنة لم تتلقَ ايضاحاً من الحكومة في حين انها فاتحتها برغبتها في التمتع بالحق المفوض اليها بحثاً في كل الكوائن التي حدثت في الاشهر الماضية . وبيّن ان الباب العالي اعترف بهِ بقبوله قاعدة التحقيق الاجماعي وجهر بهِ في الاوامر التي انفذها الى مندوبه الخارق العادة . وان اللجنة تعتبر ان تمتعها بهذا الحق بدأ منذ عالنته فؤاد باشا في نطاقتها الثانية بواسطة أبرو افندي .

فأجاب أبرو افندي انه ينبغي انتفسيح لفؤاد باشا في الوقت للجواب على النطاقة التي عالنوه بها نياتهم .

فنهض مندوب فرنسا وأيد مطالب كل من الموسيو دي رهفوس والموسيو نوفيكوف وزاد انهُ ينتظر بفارغ الصبر الوقت الذي تستطيع به اللجنة الاشتراك في التحقيق .

فابدى المندوب العثماني تعجبه من محاولة تقييد حريّة فؤاد باشا وعرقلة اشغاله

فقال الموسيو دي رهفوس ان التعاليم التي زُودها المندوبون لا تقضي عليهم بتأجيل اشغالهم لبعد انتهاء فؤاد باشا من مهمته .

وقال مندوب فرنسا انهُ يرى ان فؤاد باشا لا يتوق كسائر اعضاء اللجنة الى الاشتراك بالعمل في حين انهم مستعدون للاتفاق معه .

فلم يشاطره أبرو افندي هذا الرأي .

وكان ان اقترح الرئيس على اعضاء اللجنة الذهاب إلى المختارة للاجتماع بفؤاد باشا .

فخالفه الموسيو بيكلار وقال انه يسر لو كان فؤاد باشا حاضرًا في بيروت للاشتراك في ابحاث اللجنة الدولية انما يرى ان ليس عليها ان تلحق به الى المختارة بل الاجدر بمندوبي الدول ان يقصدوا دمشق لان الانباء الواردة حديثًا من هذه المدينة تقلق البال فوجودهم هناك يساعد ليس فقط على تطمين المسيحيين بارهاب مثيري القلاقل بل يحمل الحكومة على معاقبة الجناة الحقيقيين الذين لم يُمسُّوا حتى الان . اذ من الضروري ان تستأنف العدالة مجراها بعد ان توقفت عن سيرها منذ مغادرة فؤاد باشا تلك المدينة . بيدَ انهُ يجب ألاَّ تبرح اللجنة بيروت قبل ان تتخذ الوسائل الموأتية لضمان سير محاكمة خورشيد باشا وشركائه في الجناية على سنن قويمة .

فوافقه الموسيو دي وكبكر على فائدة سفر اللجنة الى دمشق انما ارتأى ان تذهب اولاً الى المختاره لمفاوضة فؤاد باشا والاتفاق معه

وقال مندوب بروسيا ان اللجنة لا تستطيع الاهتمام في الدعوى المقامة على خورشيد باشا الاَّ بعد ان يصلها جواب المندوب العثماني وانه لا يفقه الاخطار التي تهدد مسيحي دمشق .

أمَّا المسيو نوفيكوف فاستصوب رأي المسيو بيكلار في ملاءمة سفر اللجنة الى دمشق مع انحيازه الى مذهب المسيو دي رهفوس المؤذن بتأجيل سفر اللجنة إلى دمشق الى ما بعد اشتراكها في التحقيق القضائي الجاري في بيروت

فاعرب مندوب بروسيا عن اعتقاده بان خوف مسلمي دمشق من احتلال الجنود الفرنسوية مدينتهم يجب ان يكون باعثًا على اطمئنان المسيحيين

وقال مندوب فرنسا انه عارف بان مسلمي دمشق يعدُّون احتلال الجنود الفرنسوية مدينتهم تدنيساً لها لكنه حسب حساباً للاحقاد الدينية المتأججة في الصدور اكثر من ذي قبل . وانه غير خافٍ عن احد ان المفتين يراسلون دروز حوران . فاذا ما سُحق رأس حية المؤامرة في حجرها تقطعت اوصالها وتسنى ملافاة الشر . وأيد كلامه بتلاوة فقر من كتابين احدهما رسمي والآخر خاص انفذهما اليه قنصل فرنسا في دمشق وصف فيهما تحرج الاحوال فيها .

ثم قرأ بعض عبارات من رسالة الجنرال دي بوفور تثبت عدم حصول فائدة من وجود فؤاد باشا والجنود العثمانية في جنوبي النواحي المختلطة السكان لان الدروز تمكنوا من الالتجاء الى حوران باجتيازهم المضايق الموكولة المحافظة عليها الى الجيش العثماني وتجمهروا دون ان تمنعهم هذه الجنود

أمَّا المسيحيون فشقاؤهم عظيم فهم في عوز كلي ومعرضون للموت جوعاً فلهذا يقترح المبادرة الى مساعدتهم ان بتوزيع الاموال الموجودة في يد لجان بيروت وان بعقد قرض . وختم كلامه مبشراً بقرب عودة الجنرال دي بوفور الذي سيسرّ بمفاوضة المندوبين مدة اقامته في بيروت .

فأشار الموسيو دي وكبكر بتأليف لجنة اعانة مركزية لمساعدة المسيحيين . فأيَّد الجميع هذا الاقتراح حتى اللورد دوفرين ذاته لكنه نبه الافكار الى ان اللجنة الانكليزية الاميركية ليس لها الحرّية بالانضمام الى سائر اللجان . ثم استأنف المسيو بيكلار الكلام في محتويات رسالة الجنرال دي بوفور فألفت الانظار الى منع اصدار الحبوب من بعلبك وشموله المسيحيين والدروز

فذكر المسيو دي رهفوس تأييداً لاقوال الجنرال دي بوفور في الدروز خبراً اتصل به وهو انهم اخذوا يعودون إلى لبنان من كل الانحاء وان الجنود التركية تحميهم حيث تلتقي بهم .

فأوضح المندوب الفرنسوي ان المذابح لم تجرِ الاّ في الاماكن التي كان فيها حاميات تركية واستشهد بالمسيو دي وكبكر فأيد صحة كلامه

فأكد ابرو افندي ان الدروز الذين عادوا الى لبنان هم الذين اطمأنت افكارهم من اذاعة فؤاد باشا وكلها وجدوا مسيحياً مقيماً في بيوتهم طردوه . فسأله اللورد دوفرين بيان الوسائل التي عوّل عليها فؤاد باشا في المختاره للقبض على الدروز الجناة . فأجاب ابرو افندي ان قد بديء بتنفيذها وان ليس في طاقة فؤاد باشا ان يفعل كل شيء في آن واحد فعلى اللجنة ان تنتظر اطلاعها على نتيجة اعماله قبل ابداء رأيها فيها .

فطلب الرئيس الى اللجنة ان تحكم في اقتراحه واقتراح المندوب الفرنسوي .

فألحّ الموسيو بيكلار بوجوب نقل مركز اللجنة الى دمشق .

فقال مندوب بروسيا ان في الوسع اعادة الثقة الى مسيحيي دمشق بذرائع أخرى لان من الضروري المبادرة الى التدخل في الدعاوى الجاري سماعها في بيروت.

فصرّح أبرو افندي انهُ لا يستطيع ايقاف اللجنة على ماجريات هذه الدعاوى قبل ان يصله التفويض .

وذهب الرئيس الى ان اللجنة لا يمكنها ان تستقل عن فؤاد باشا .

فسأل أبرو افندي عمّا اذا كان تنقيب اللجنة يجري في خلال المحاكمة او بعدها.

فأجيب انه لا يبقى فائدة من تأجيل التنقيب إلى ما بعد المحاكمة.فألحّ الرئيس بوجوب ذهاب اللجنة إلى المختاره لمفاوضة فؤاد باشا . فردّ عليه مندوب بروسيا ان ذهابهم يحط من قدرهم بعد ان جرى ما جرى فشايعه مندوب فرنسا أمّا أبرو افندي فخالفه وقال ان مصلحة الانسانية يجب ان تقدم على غيرها .

وعقبه مندوب الروسية فتكلم في ضرورة شروع اللجنة في العمل وأشار بوجوب التدخل في التحقيق الجاري في بيروت عاجلاً .

ثم اجمع المندوبون على الاعتراف بضرورة ذهابهم إلى دمشق باقرب آن لكنهم لم يحددوا ميعاده .

ثم قدّم مندوب فرنسا عريضة رفعها مسيحيو حوران يشكون بها سوء حالتهم فاستقرّ الرأي بناء على اقتراح الرئيس على البحث في هذه المسألة في الجلسة القادمة وعلى ان الموسيو دي و كبكر يفاوض رؤساء لجان الاعانات في بيروت ويدعوهم إلى حضور الجلسة المقبلة . وختمت الجلسة الساعة الخامسة ونصف ساعة .

(عدد ١٦٣ ملحق ٢ ص ١٧٢-١٧٥ . ودي تستا عدد ٦٠ ص ١١٠-١١٤)

٢٤٣ ـ صك الجلسة الثالثة في ١١ ه

اليوم الخميس في ١١ ت ١ سنة ١٨٦٠ الساعة الثانية بعد الظهر انتدت اللجنة الدولية في بيروت ومعها ابرو افندي برئاسة المسيو دي و كبكر فادخل عليها حضرات مور قنصل انكلترة العام و كناريس قنصل اليونان والكونت دي برتوي وهم رؤساء لجان الاسعاف المنشئة في بيروت . فوّجه مندوب النمسا اليهم الكلام ودعاهم الى مفاوضة اللجنة فقبلوا واستقرّ الرأي على ان يؤلف هؤلاء الرؤساء الثلاثة جمعية رئيسية ينضمّ اليها فيما بعد المسيو دي و كبكر بصفة رئيس لجنة نمسوية يتمّ انشاؤها قريباً وتجعل تحت سيطرة اللجنة الدولية فتوعز اليها بكيفية توزيع الاحسانات التي جاد بها المحسنون . ثم قبلت طلب الموسيو نوفيكوف حفظ وظيفة عضو في الجمعية الرئيسية المشار اليها لرئيس اللجنة الروسية المراد انشاؤها فور وصول الاموال المجموعة في الروسية .

وبعد ذهاب حضرات مور و كناريس ودي برتوي اعلن الرئيس افتتاح الجلسة فتلي محضر الجلسة السابقة فوقعه المندوبون الاوربيون والنائب العثماني بعد تعديله قليلاً

ثم قرأ مندوب فرنسا عريضة رفعها مسيحيو حوران الى اللجنة الدولية وكان

أجل النظر فيها الى هذه الجلسة .

فسأل اللورد دوفرين أبرو افندي عمَّا اذا كان شُرع بمحاكمة سعيد بك جنبلاط .

(أبرو افندي) ـ نعم . (اللورد دوفرين) ـ منذ اي تاريخ . (أبرو افندي) ـ منذ تألفت المحكمة الغير العادية . (اللورد دوفرين) ـ لا ارغب في معرفة تاريخ توقيفه بل اليوم الذي مثل بهِ أول مرة امام القضاة . (أبرو افندي) ـ ان محاكمته بدأت منذ سجنه .

فألفت الرئيس انظار اللجنة الى انه ينبغي بداءة بدء تحديد دائرة اختصاصها وحقها في الاشتراك بالمحاكمات الجارية وقد سبق لهُ الايضاح انها تقسم الى قسمين احدهما التحقيق ولا دخل لها بهِ والآخر الدفاع ولها ان تحضره . انَّما يجب القطع في اي وقت ينتهي التحقيق ويبدأ الدفاع . امَّا الدعوى المقامة على سعيد بك جنبلاط فالظاهر ان قد انتهى تحقيقها لانه مثل امام قضاته . وكان ان جهر ابرو افندي بان قضية سعيد بك أحيلت الى المحكمة . فقال الرئيس انهُ اصبح من حق اللجنة التدخل في الدعوى .

واستوضح المسيو دي رهفوس ما اذا كان النائب العثماني تلقى تعاليم فؤاد باشا . فأجاب ابرو افندي بالايجاب وقرأ محررًا كتبه فؤاد باشا جوابًا على النطاقة الملحقة بصك الجلسة الاولى . فاجمع المندوبون على ضم الجواب المذكور إلى الصك الحالي .

ثم اطلعهم ابرو افندي على أهمّ مواد نظام وقتي وضعه فؤاد باشا لادارة القائم مقامية الدرزية وقد قسمت موقتًا الى اربع دوائر .

فاتفقوا على تأجيل نقد هذا النظام الى ما بعد ترجمته وقام جدال في الرأي الذي بسطه فؤاد باشا جوابًا على المادة الثانية من النطاقة أي في احتجاجه على تدخل اللجنة عاجلًا ومباشرة في سير محاكمة خورشيد باشا وسائر المتهمين امام المحكمة الغير

العادية في بيروت . فتناوب المندوبون الكلام في هذا الموضوع وأعربوا جميعهم عن اعتقادهم بان طلبهم حضور جلسات المحكمة الغير العادية بالذات او بالواسطة لحق ثابت لا يمارى فيه واحتجوا بلهجة شديدة على تميز فوّاد باشا بين التحقيق العام والتحقيق القضائي واعترافه لهم بصلاحيتهم في الاول وانكاره عليهم حق الاشتراك في الآخر واثبتوا حقهم متمسكين بهِ وحثوا أبرو افندي على اقناع فوّاد باشا بيتّ هذا الخلاف على وجه مطابق للتعاليم المتماثلة التي زُوّدوها جميعاً .

فاستغرقت هذه المناقشة معظم مدّة الجلسة وتخللها فترات قصيرة المدة . وفي خلال احداها تلا ابرو افندي على اسماع اللجنة كتاباً من فوّاد باشا يتعلق بقتال نشب بين فريق من الدروز والجنود التي بأمرة مصطفى باشا في مجدل شمس فدارت الدائرة بهِ على الدروز انما لم تُعرف تفاصيله وبه يخبره ايضاً بسفره الى دمشق . ثم اجتهد بتأييد رأي فوّاد باشا في دائرة اختصاص المندوبين فرُدّت حججه فوعد برفع الامر الى رئيسه .

وصرّح جميع أعضاء اللجنة مجدداً بانهم مصممو النية على التمتع بالحق المخول لهم فيحضرون كل تحقيق قضائي أيان جرى لانهم يعدّونه ركناً من أركان التحقيق العام المفوض اليهم اجراؤه . ولشدة ما الحّوا تعهد لهم أبرو افندي بابلاغ فوّاد باشا متمنياتهم واطلاعهم على جوابهِ في الجلسة المقبلة .

ثم بسط مندوب الروسية الانباء التي وردت عليه بجراجة حالة المسيحيين في حوران وأوضح ان مشايخ الدروز نهجوا في خلال المذابح طريقة قوامها قتل المسيحيين الساكنين في النواحي المجاورة ونهبهم محاشين على قدر الامكان المسيحيين القاطنين معهم للتذرّع بذلك الى نوال العفو . وقد سلك هذا المسلك الشقي الكبير اسماعيل الاطرش زعيم مشايخ الدروز في حوران وهو الذي تولّى ادارة مذابح راشيا . فانهُ لمّا كان قد أدّى بعض الخدَم لمسيحيي القرى المجاورة مقرّه في نوره فهو

اليوم يلجئهم إلى الاستشفاع به لدى الحكومة مهددًا أياهم بالانتقام اذا ما أبوا. وقد التفّ الآن حواليه عدد عظيم من دروز لبنان الذين لجأوا إلى حوران ولمّا كان مشهورًا بالهمجية والقساوة فيخشى كثيرًا من ان يحقق وعيده. فأقرّت اللجنة على ايقاف فؤاد باشا على ما تقدم. وختمت الجلسة الساعة الخامسة و ٤٥ دقيقة.

ملحق ١ — جواب فؤاد باشا على نظافة اللجنة الدولية

١ً: دمشق — سيبادر الى اجابة طلب اللجنة الاطلاع على ملفّ اوراق الدعاوى المقامة على الجناة والمتهمين لتقف على سير المحاكمات وسيأمر فؤاد باشا المحكمة الغير العادية والمجلس الحربي اللذين ألّفهما بانبريا اللجنة جرائد ضبط الدعاوى

أمّا فيما يتعلق برأيها في نزع السلاح من أيدي سكّان دمشق فقد كانت الحكومة أقرّت عليه لتوطيد السكينة في المدينة لكنها اضطرت الى تأجيله لطروق مشاغل اكثر خطارة ويصرّح فؤاد باشا بانه متى سنحت له الفرصة بالعودة إلى دمشق واتخاذ التحوطات يعمد إلى نزع السلاح.

٢ً: بيروت — يترتب على المحكمة الغير العادية التي ألّفها فؤاد باشا في بيروت ان تطلع اللجنة على جرائد التحقيق في الدعاوى المقامة على خورشيد باشا وسائر الموظفين. ولا ينكر حق اللجنة في الاشتراك بالتحقيق بيدَ ان تعاليم الباب العالي الموضوعة بالاتفاق مع ممثلي الدول بالاستانة تجعل فرقًا بين التحقيق العام والدعاوى التي تقام بعده على المتهمين من رعايا الحضرة السلطانية. فتدخل اللجنة مباشرة او بالواسطة في التحقيق واشتراكها في اعمال المحكمة الموكول اليها محاكمة المتهمين ومعاقبة الجناة مخالف لمنطوق هذه التعاليم. فينبغي رعاية الفرق الكائن بين التحقيق العام وسير محاكمة الذين سيتهمون افراديًا على أثر هذا التحقيق.

فيرى فؤاد باشا ان على اللجنة ان تهتم أولاً باجراء تحقيق عام في كوائن لبنان

الاخيرة وجمع الانباء الدالة على صفة الحرب الاهلية التي نشبت بين المسيحيين والدروز ويكون ذلك بمثابة قضاء بين الطائفتين تتضح منه أسباب الحوادث ودرجة مسؤلية الدروز وأرباب السلطة الذين أخلوا بواجبهم . وهذا التحقيق العام يمهد السبيل للجنة ان ترشد الحكومة إلى الاشخاص الذين لم يقبض عليهم حتى الآن . ثم على المحكمة الغير العادية المؤلفة في بيروت ان ترى اللجنة ملف أوراق جميع الدعاوى اثباتاً لقيامها بالمهمة الموكولة اليها. ويتخذ ايضاً هذا التحقيق أساساً لفرض التعويضات ببيانه صفة القتال الذي وقع بين شعبي الجبل . وعلى أرباب السلطة المحلية والمحكمة الغير العادية ان يبلغوا اللجنة كل ما تطلبه من الايضاحات ويطلعوها على كل المحررات بواسطة النائب العثماني كما انه على اللجنة ان تبدي رأيها للمحكمة في الدعاوى الجارية امامها بواسطة النائب الموما اليه . فاذا قبلت اللجنة بهذه الطريقة فعلى النائب العثماني ان يعجل بتنفيذها .

٣ً : المسيحيون — ان الحكومة مواصلة اهتمامها باعادة المسيحيين الى بيوتهم وقد دفنت جميع الجثث بما فيها قتلى دير القمر وعنت بترميم البيوت المحترقة . وبدىء بتوزيع الاعانات على اهالي القرى المجاورة بيروت. واوفد فؤاد باشا مأموراً خاصاً الى البقاع ليسهر على اعادة بناء بيوت القرى الكائنة في منحدرات الجبل الشرقية والسهل واذن بقطع الاخشاب اللازمة من املاك المسلمين والدروز في اقليم جزين وسائر النواحي الموجودة فيها غابات . ولما كان ليس في دير القمر احراج وانما تجلب خشبها من بيروت فقد أرصد اسعاف مالي يعطى لسكانها من اصل التعويضات المخصصة لترميم البيوت .

ان الحبوب خاصة زعماء الدروز في البقاع والجبل وقد حُجزت ستعدُّ لاعالة المسيحيين الذين يعودون الى قراهم وقد ارسلت كميات منها الى دير القمر وزحلة على مرتين .

ان فؤاد باشا يعني الآن باسترجاع الامتعة التي نهبها الدروز ولاسيما الفرش والاغطية وهي من ضروريات معيشة المسيحيين . فاللجان تجوب القرى فتجمع منها ما تستطيعه لكنه قليل .

ان الرعب اعاد السكون الى الجبل بيدَ ان الامان لا يستتب تماماً الاَّ بعد مرور برهة من الزمن . وقد اتخذت التحوطات لحماية المسيحيين الذين يعودون الى بيوتهم ومنع الاقتتالات الافراديَّة التي يخشى وقوعها بين الطائفتين الواقفتين الان ازاء بعضهما احداهما موقف الشاكية والاخرى موقف المتهمة .

ان المهمة الوحيدة الموكولة الى اللجان التي الفتها الادارة المحليـة هي تقدير النفقات اللازمة لاعادة بناء البيوت المدمرة فيبنى عليـه تعيين الاموال الواجب اداؤها للمسيحيين لهذا الغرض . امَّا تقدير الخسائر فمسئلة أخرى ينبغي وضع اساس لها وسيتخذ التحقيق العام قاعدة لتخمينها كما سبق القول . ومتى تمَّ وضعه فاللجنة الدولية ترشد الحكومة الى احسن طريقة لتقدير الخسائر . وافضلها في عرف فؤاد باشا ان تعين الحكومة لجانًا مؤلفة من مخمنين ينتقيهم مجلس الولاية ويضم اليهم وكيلين عن كل ناحية حلّت بها الخسائر .

وتنشىء ايضاً لجنة تحكيمية ينتخب اعضاؤها على مثال السـابق الايماء اليها ويكون مقرّها في بيروت ووظيفتها القطع في الاعتراضات على تقدير لجان التخمين . أمَّا الخسائر التي اصابت الاجانب فتؤلف لتقديرها لجان خاصة يكون لقناصلهم وكلاء فيها .

٤ً : الغاء القائم مقامية الدرزيَّة موقتاً — ان توقيف قائم مقام الدروز وبعض ذوي الاقطاع وفرار الباقين الذين أسقطوا من مناصبهم وحقوقهم عملاً بالاوامر التي اذاعها فؤاد باشا حرمت جبل الدروز من ادارة منظمة فوضع موقتاً تحت الحكم العسكري الى ان يتم سن نظام لبنان الجديد بالاتفاق مع الدول العظمى . وقـد

اضطرّ الى ترتيب ادارة موقتة لمنع الفوضى وايجاد سلطة قادرة على ضمان السكينة والسهر على سد حاجات المسيحيين الذين يعودون الى بيوتهم . ولمّا كان يتعذر الآن انتقاء قائم مقام من بين الدروز وذوي اقطاع وتعيينهم عليهم فقد قسم فؤاد باشا هذه القائم مقامية الى أربع دوائر وانشأ ادارة في كل منها وعين مديرًا لها وقد كان اوشك ان يعرض هذه الترتيبات الوقتية على أعضاء اللجنة الدولية فارسل اليوم إلى نائبه نسخة منها لابلاغهم اياها . وهو مهتم الآن بانتقاء المديرين ومتى انتهى من ذلك يبادر إلى تنفيذ هذا النظام .

ملحق ٢ — نظام موقت للقائم مقامية الدرزية

نظام خاص موقت وضعه المندوب العثماني الخارق العادة الموفد لتنظيم شؤون سورية لتنفيذه في القائم مقامية الدرزيّة في الاحوال الحاضرة ضمانة لصالح السلطنة ورعاياها الى ان يتم وضع الترتيبات العامة بعد تمحيصها والتنقيب في جميع وجوهها بغية تمتيع جميع رعايا الباب العالي القاطنين في جبل الدروز بفوائد استتباب الامان تحت ظل عدالة الحضرة الشاهانية .

المادة الاولى : ان القائم مقامية الدرزية وقد ضمت اليها دير القمر فقط قسمت الى اربع دوائر

(اوّلها) قوامه جبل الريحان واقليما جزّين والتفاح وقاعدتها جزين

(ثانيتها) الشوف الحيثي والشوف السويجاني واقليم الخروب وقاعدتها المختاره .

(ثالثتها) العرقوب والجرد والمناصف . قاعدتها دير القمر .

(رابعتها) الشحّار والغربان الاعلى والادنى . قاعدتها عبيه

فكل دائرة من هذه الدوائر تشتمل على الاقطاعات المدوّنة اسماؤها وعدد

قراها في السجل المكتوب على زمن شكيب افندي .

المادّة الثانية : تعين الحكومة مديراً لكل دائرة .

المادة الثالثة : يُعين لدى كل مدير خمسة معاونين يتألف منهم مجلس الدائرة برئاسة المدير .

المادة الرابعة : تحتوي هذه القائم مقامية على سكّان من اربعة مذاهب مختلفة وهم مسلمون ومسيحيون ومتاولة ودروز . واذا وجد في احدى الدوائر المار ذكرها سكان من الطوائف الاربع المشار اليها وكان عدد احداها يفوق الاخرى فينتقى عضوان من الطائفة الاكثر عدداً والثلاثة من الباقيات . واذا لم يكن فيها سوى ثلاث طوائف فينتقى ثلاثة من الطائفة الاكثر عدداً وواحد من كل من الطائفتين الباقيتين وان لم يكن فيها سوى طائفتين فالاكثر عدداً تنتقي ثلاثة والاخرى اثنين . واذا لم يكن فيها سوى طائفة واحدة كان المعاونون الخمسة منها

المادة الخامسة : يتم انتخاب معاوني كل طائفة بواسطة مشايخ طائفتهم اي ان مشايخ صلح كل طائفة يعقدون مجلساً وينتخبون المعاونين الموكول اليهم تمثيل طائفتهم ولا فرق بين ان يكون هؤلاء المعاونين من قاعدة الدائرة او من سكّان القرى . وينبغي ان يكون المراد انتخابهم نزهاء جديرين بكل ثقة ويشترط خاصة ألاّ يكونوا اشتركوا بوجه ما ان بكوائن الجبل الاخيرة وان بغيرها .

المادة السادسة : على مجلس كل دائرة ان يهتم بمصالح بلاده وفُوض اليه القطع في الدعاوى كمجلس قضاء .

المادة السابعة : يكون لكل قرية من قرى الدائرة حسب أهمية طوائفها شيخ لكل طائفة ومعه مختاران ولهم ان ينظروا معاً في مصالح طائفتهم وتسوية الخلافات التي تقع بين ابناء مذهبهم .

واذا حدثت مسألة تتعلق بالمصلحة العامة في القرى المختلطة الطوائف

فلمشايخ ومختاري تلك القرية ان يجتمعوا لفصل الخلاف بوجه حبي .

يشترط انتقاء جميع مشايخ الطوائف والمختارين من بين الذين لم يغمسوا ايديهم في اضطرابات لبنان الاخيرة ولا في غيرها . وعلى المدير ان يسلّم كلًّا منهم تذكرة بمأموريته .

المادة الثامنة : خلا الجنود السلطانية الواجب اقامتها في اماكن الجبل المناسبة لحفظ الامن العام فيه سيستخدم في كل دائرة عند الاقتضاء جنود غير نظامية تجعل قيد ادارة المديرين ويؤخذ نصف هذه الجنود على الاقل من سكّان الدائرة. وعلى كل طائفة ان تقدم عددًا منها بنسبة أهمية عدد نفوسها .

(عدد ١٦٨ ص ١٧٧ ـ ١٨٤ ودي تستا عدد ٦١ ص ١١٤ ـ ١٢٣)

٢٤٤ – برات الى اللورد روسل في ٨ منه [افطاف]

اتشرف فانبي سيادتكم بان الاحوال لم تتحسن منذ رسالتي المؤرخة في ٥ الجاري بل ان الذعر المستولي على المسيحيين اشتد عن ذي قبل وقد رغب بعض اعيانهم في هجر المدينة فلم تأذن لهم الحكومة فبرحوها خفيةً في ٦ الجاري .

ان خالد باشا القائد العسكري طاف بشوارع المدينة في الليالي السابقة وقد أمر بتعليق مصابيح امام البيوت على مسافات متقاربة واوعز ايضًا باصلاح الابواب الفاصلة الاحياء عن بعضها وبقفل ابواب المدينة وحراستها . فنصف الجنود ترقد في الليل والقسم الآخر يجوب المدينة من غروب الشمس حتى شروقها وأعطي الحرّاس قذائف بنادق وأمروا باطلاقها على الرعاع المتجمهرين عند ظهور اقلّ امارة على الفتنة . وقد أُعدت ايضًا مدفعية للعمل والكولونيل جسلر (وهو بروسيوي مدرّب في المدفعية خدمة الجيش التركي) يعترف بانه لا يوجد ضابط ضاهى خالد باشا في اجراء واجباته.

حدث في الليلة المنقضية ان رُسمت مجددًا صلبان على بيوت مأهولة بالمسيحيين ومع التحوطات المار بيانها ارتعدت فرائصهم فرقًا إلى درجة دفعت بعضهم الى المجيء الى دار القنصلية هذا الصباح يرجونني ان اسأل الحكومة ان تقدم لهم بغالاً لهجر المدينة مصرحين ان مخاوفهم عظيمة بحيث يمكنهم القول انهم يموتون كل يوم رعباً لانهم لا يستطيعون النوم او أخذ قسط من الراحة لجزعهم من حدوث مذبحة جديدة .

فبذلت جهدي لتشجيعهم فاخفقت. وقد قالوا ان في طاقة الرجال والنساء المشي امّا الاطفال فلا يستطيعونه وطلبوا مراكب لهم فقط . ثم جهروا بانهم اذا لم يحصلوا على مطاليبهم فالرجال تذهب تاركة النساء والاطفال والعجز والمرضى . ان الشعب الذي يعمد الى مثل ذلك في مثل هذه الظروف الحرجة هو غير جدير بالاهتمام بهِ كثيرًا . واعتقد انه لا يوجد خطر عاجل .

اتصل بي انه أُذن للشيخ عبدالله الحلبي بقبول من شاء من الزائرين في غرفة سجنه وبناء عليه يمكنه ان يدبر دسائسه كما لو كان مطلق الحريّة وعندي ان اعدامه ضربة لازب لاطمئنان الافكار .

ان سلوك ابرهيم بك كرامه . وهو موظف مسيحي تركه فؤاد باشا هنا للسهر على مصالح المسيحيين ويدعي انهُ ممثل دولته لمشين جدًا فيقتضي ابعاده حالاً . فلا يريد ان يراقب الوالي اعماله وأخذ على عهدته اطلاق سبيل السجنى ومن المشهور انه يرتشي ويقبل كثيرًا من الاموال والهدايا ولا ينصف أحدًا دون رشوة فقد اعطى ٣٠٠ شهادة بالاعفاء من الخدمة العسكريّة لقاء عشرين الف قرش عن كل شخص (اي زهاء ١٦٥ ليرة انكليزية) في حين ان ٨٠ إلى ٩٠ شخصاً فقط دفعوا هذا المبلغ لخزينة الحكومة أمّا الباقون من حاملي هذه الاوراق فقد اكتفوا بدفع مبالغ طفيفة ويُظن انها دخلت جيب ابرهيم بك .

ان حاخامي اليهود سألوني ان اساعد بعض ابناء طائفتهم المظنون فيهم المسجونين منذ شهرين وقد توفي احدهم وطلبوا ان يعجل بمحاكمتهم وقد قال رئيس الحاخامين لابرهيم بك كرامه انه يشهد بان لم يكن احد من السجني في بيته حين انفجار بركان الفتنة فأجاب : « ان شهادتكم لا قيمة لها لانه سيقضى على جميعهم بالاعدام » .

(عدد ١٦٩ ص ١٨٤)

٢٤٥ – ومنه الى السير بولفر في ١١ منه [اقتطاف]

اني عطفاً على رسالتي المؤرخة في ٨ الجاري وقد انفذت صورة عنها في اليوم ذاته الى اللورد جون روسل اتشرف فانبيء سعادتكم بان قد أُطلقت المدافع أمس الساعة التاسعة صباحاً ايذاناً بوصول فؤاد باشا ودولته قادم توًّا من المختاره فكان وصوله على غير انتظار . فكتبت اليه في الحال اهنئه واعرب لهُ عن سروري بوصوله في وقت مناسب وسألته ان يعين لي موعداً لمقابلتي فضرب لي ميعاداً الساعة الرابعة بعد الظهر فحدثته في كل المسائل المدونة في رسالتي السابقة وهاك اجوبة دولته عليها :

قد سلّم بوجود الذعر لكنه لا يرى لهُ موجباً ويظن انهُ نتيجة دسائس غير انه لا يستغرب استمرار مخاوف الشعب بعد ما حلّ به من الفواجع ولا يستطيع لومه. ويرى ان بعض المسيحيين رسموا الصلبان بقصد منع رجوع اللاجئين الموجودين في بيروت إلى دمشق بتحريك عوامل الخوف هنا . ولا يعتقد ان مسلمي دمشق يفكرون بايقاظ فتنة جديدة او انهم اذا كانوا جرأوا على اضمار الشر فيرجح ان الموآمرة قديمة العهد .

وعنده ان خالد باشا علّق على هذا الامر أهمية اكثر ممّا يستحق ومع ذلك لا يلومه لان غلطه ـ اذا كان هناك غلط ـ نتج عن مبالغة في التحذر وان كان يعتقد ان هذا التحذر قد زاد القلق

فقلت انهُ لا يسعني الاَّ استصواب سلوك خالد باشا اذ ان المسؤولية كانت ملقاة على عاتقه وحده لان الوالي عديم الكفاءة .

ثم وصل المسيو اوتره فأعاد عليه فؤاد باشا ما قاله لي فكشفنا لهُ كلانا الستار عن اعمال ابرهيم بك كرامه فقال الباشا انهُ سبق لهُ ان اقرَّ على عزلهِ عندما اتصل بهِ سوء سلوكه وانه سيحقق في اعماله .

(وقد نُبئت اليوم بان قد أُوقف ابرهيم بك المذكور) .

والفتنا انظاره ايضاً الى حالة اليهود المسجونين فاجاب دولته ان قد حُكم على اثنين وسيطلق سبيل الباقين . فنبهه قنصل فرنسا الى ان الشهادات لم تسمع كما يقتضي وانهُ اقتُصر على شهادة المسيحيين ورفض غيرهم وان الحاخامين يطلبون ان تقبل الشهادات الموافقة اليهود . فقال دولته انه ظلَّ اثنـاء ٢٤ يوماً متجولاً في لبنان للقبض على زعماء الدروز لكن كثيرين منهم امتنعوا في معاقل حصينـة بين الصخور غير انهم سيُكرهون على الخروج منها عندما يقرس برد الشتاء وتكثر الامطار فيرجو اذ ذاك ان يقعوا جميعاً في قبضة يده .

فسألت دولته ان يهتم بدفع متأخرات الاعانات التي عينتها الحكومة للمسيحيين فأجاب انه سيسعى الى تحقيق هذه الامنية .

ويسرّني ان أقول بان حضور دولته أزال مخاوف المسيحيين تماماً .

(ملحق عدد ١٧٠ ص ١٨٥)

٢٤٦ – صك الجلسة الرابعة في ١٥ منه

اليوم الاثنين في ١٥ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ انتدت اللجنة الدولية بحضور أبرو افندي النائب العثماني في بيروت برئاسة الموسيو دي وكبكر مندوب النمسا . فافتتحت الجلسة الساعة الثانية الاَّ ربع وقرئ محضر الجلسة السابقة ووفق عليه .

ودوّن في الفقرة المتعلقة بتأليف جمعية رئيسية موكول اليها السيطرة على سائر لجان الاسعاف بان قد تمّ انشاء لجنة روسية وان الحكومة الفرنسوية عهدت الى الكونت بتيڤوليو برئاسة لجنة الاسعاف الفرنسوية .

فذكر الموسيو دي رهفوس ان اللجنة جزمت بضم نواب عنها الى لجان التخمين التي ارسلتها الحكومة الى نواحي الجبل .

فأجاب ابرو افندي ان هذه اللجان أُلّفت ليس لتسوية مسألة التعويض بل للسعي في تمهيد السبيل للمسيحيين للعودة الى بيوتهم باقرب آن . وعليه لا يمكن قبول نواب اللجنة في عدد اعضاء اللجان المذكورة الاّ بصفة غير رسمية فتختارهم اللجنة وتعينهم الحكومة .

فرغب اليه اللورد دوفرين ان يوقفه على عدد الذين أُسعفوا حتى الان وعدد البيوت التي رممت والقرى التي اعيد بناؤها . فوعد ابرو افندي ببسط ايضاحات شافية في الجلسة القادمة .

فسأله الموسيو نوفيكوف عمّا اذا كان تذرع بالوسائل لاسكان مسيحيي لبنان الشرقي (انتيلبنان) واعرب عن ارتيابه في امكان اعادتهم الى بيوتهم في مدى هذه السنة نظرًا لقرب فصل الشتاء وعدم وجود أمان في البلاد .

فقال ابرو افندي ان الحكومة ستهتم بذلك وان المسيحيين المذكورين هم الان في بيروت وصيدا وصور . واكد جوابًا على استيضاحات وُجّهها اليه المسيو دي رهفوس واللورد دوفرين ان الحكومة لم تنقطع عن توزيع الاعانات على سكّان راشيًا وحاصبيًا ودير القمر ودمشق ويبلغ مجموعها في الشهر ٥٠٠ الى ٦٠٠ الف قرش خلا سائر النفقات .

فطلب اللورد دوفرين ان تطلع الحكومة والجمعية الرئيسية المنشأة حديثًا اللجنة الدولية عند افتتاح كل جلسة على الاعانات التي وُزّعت وعن الوسائل التي

تذرع بها لاعادة المسيحيين الى قراهم .

فألفت المسيو دي رهفوس مجدداً انظار رصفائه الى لجان التخمين وارتأى ان يخول نوّاب اللجنة فيها الدفاع عن المطالب التي تُرفع اليهم

فأجاب ابرو افندي انهم يتمتعون بالحقوق الممنوحة لسائر اعضاء اللجان . ثم اسهب في بيان المهمة الموكولة الى اللجان المذكورة واوضح انها مؤلفة من خبراء ليس لهم النظر في تسوية مسألة التعويضات وانه اذا شاءت اللجنة الدولية ان تختار ستة اشخاص فيبادر الى تعيينهم . فاستقرّ الرأي على اختيارهم في الجلسة المقبلة

واستوضح المسيو نوفيكوف ما اذا كانت الحكومة اتخذت التحوطات لضمان جناء موسم الزيتون في جوار حاصبيا نظراً لدنو ميعاده .

فقال ابرو افندي انه يظن ان الحكومة احتاطت لهذا الامر

ثم قدم لمكتب اللجنة (١) صورة كتاب انفذه اليه فؤاد باشا من دمشق (٢) صورة تتضمن نص الكلام الذي فاه به في الجلسة الثالثة عند اعلانه سفر فؤاد باشا . وبناء على طلبه ضُمّ هذان المحرران إلى محضر الجلسة الحالية .

وبعد ذلك اعلن ابرو افندي استعداده للجواب على الاستيضاحات التي وُجهت اليه في الجلسات السابقة .

فقال بخصوص شاكر باشا ـ وقد كان الموسيو نوفيكوف ابدى أسفه على الاذن لهُ بالذهاب إلى الاستانة ـ انه علم من الافادات الرسمية التي وردت عليه ان المجلس الحربي في دمشق الذي حكم باعدام أحمد آغا المشير السابق قد برّأ هذا القائد وستقف اللجنة على تفاصيل تبرئته عند اطلاعها على ملفّ اوراق الدعوى .

أمّا فيما يتعلق بطلب مندوب فرنسا إلى الحكومة ان تعامل نوري بك بقسوة فيكرر ما سبق له قوله ان المحكمة الغير العادية استقدمته الى بيروت ولمّا لم تقتنع باجوبته أمرت بتوقيفه .

أمّا حسني بك فلم يسبق اقامة شكوى عليه ولمّا كان قد تصرف بنزاهة واستقامة في محاكمة الضبّاط في دمشق جعل عضوًا في محكمة بيروت الغير العادية. وسأل الموسيو بيكلار ان يبين الشكاوى الموجهة الى هذا الضابط حتى اذا كانت صحيحة تنظر المحكمة حالاً فيها.

وتكلم في اقوال الموسيو بيكلار المشيرة بوجوب القبض على الجناة الحقيقيين في دمشق والاهتمام في استئناف العدالة مجراها فصرّح ان في وسعه التأكيد ان المحكمة الغير العادية في دمشق لم تبطأ في اعمالها بل تواصلها دون انقطاع وتلاحق الاشخاص الذين يشكوهم اليها المسيحيون او يظهر جرمهم من اقرار سائر المتهمين. وقد اعدمت كثيرين اثناء غياب فؤاد باشا. وقبضت على الاشخاص الذين اشار اليهم المسيو بيكلار أي اعضاء المجلس ومعظم اعيان البلاد وبدئ بمحاكمتهم وحتى الان لم يتسنّ وجود أدنى دليل على ما نُسب اليهم رغمًا عن التنقيب الشديد. فاذا لم تتوفر الادلّة الكافية لاعدامهم فينفون موبّدًا من دمشق.

وعدا ما تقدم فقد فُوض اليهِ ان ينبيء اللجنة بان فؤاد باشا مع الاحتفاظ برأي حكومته لا يمانع في حضور اعضاء اللجنة او نوّابهم جلسات المحكمة الغير العادية في بيروت ويؤذن ايضًا لاعيان الاجانب ان يحضروا هذه الجلسات ليتحققوا والمندوبون حسن انتظام سير المحاكمة ونزاهة المحكمة

فقبلت اللجنة بحلّ الاشكال على هذه الصورة مع الاحتفاظ بالقاعدة التي وضعتها. واتفق على انه يحق للمندوبين او نوّابهم ان يحضروا جلسات المحكمة منذ الغد واذا شاءوا نقد سير المحاكمة فلهم ان يبسطوه في جلسات اللجنة ان لمندوب الباب العالي الخارق العادة وان لنائبه.

وقال مندوب فرنسا انه تلقى جوابًا من المسيو اوتري قنصل دولته في دمشق على الاستيضاحات التي طلبها منه بعد الاتفاق عليها مع رصفائه وتلا فقرًا منه وصف فيها

حراجة حالة المسيحيين وكشف مساوىء ابرهيم كرامه وامتدح من نشاط خالد باشا قائد الموقع العسكري ونقد كيفية تنفيذ طريقة اعفاء المطلوبين إلى الخدمة العسكرية لقاء بدل قدره عشرون الف قرش .

فأجاب ابرو افندي ان قد قُبض على ابرهيم بك كرامه بناء على أمر فوّاد باشا

واخبر ايضاً اللجنة بقرب قدوم المندوب العثماني الى بيروت حيث يتشرف بترأس احدى الجلسات المقبلة وبانهُ يستفاد من الانباء الاحدث عهداً ان حالة دمشق مرضية على قدر الامكان وقد اتخذت جميع التحوطات لتطمين بال المسيحيين وتأديب الدروز .

فسأله الموسيو نوفيكوف عن تنفيذ مشروع نزع السلاح . فردّ أبرو افندي ان فوّاد باشا مصمم النية على تنفيذه .

فاستوضحه الموسيو بيكلار عن محاكمة خورشيد باشا ووصفي افندي وأحمد افندي ففاه ببعض تصريحات .

وقد ختمت الجلسة الساعة الثالثة وربع الساعة .

ملحق ١

كان من الواجب اضافة الفقرة التالية الى صك الجلسة الثالثة :

« لمّا علم فوّاد باشا باستيلاء الذعر على مسيحيي دمشق اقرّ على السفر الى هذه المدينة واظن ان قد بلغها الان . ولئن كان أرباب الحكومة في دمشق العسكريون والملكيون قد ضمنوا له حفظ الراحة وبنوا تأكيداتهم على القوّة العسكرية الكافية المرابطة في المدينة وعلى وجود حليم باشا على مسافة أربع ساعات من دمشق فقد ودّ ان يذهب بذاته الى المدينة المذكورة بغية تطمين الافكار فاندهش من اضطرابها . وشاء ايضاً ان يشرف على مطاردة الدروز الجناة الممتنعين

في حوران .

ملحق ٢ – فؤاد باشا الى ابرو افندي . عن دمشق في ١٠ منه

عزيزي أبرو: – غادرت المختارة أمس صباحاً كما حدثتكم بكتابي السابق وبعد ٢٤ ساعة بلغت دمشق فوجدتها قيد السكينة كما برحتها. ان الاشاعات التي أذيعت عن هياج سكانها هي نتيجة دسائس وقد اقرّ كثيرون من المسيحيين الذين استجوبتهم ان بعض أبناء مذهبهم هم الذين رسموا الصلبان على بيوت المسيحيين لرغبتهم في السفر الى بيروت او ابقاء اقاربهم وأصدقائهم فيها وهم يدبرون المكايد لايقاع الرعب في قلوب اخوانهم حملاً لهم على المهاجرة .

فتلطف بايقاف حضرات المندوبين وكل من يحيط بكم على هذه الانباء وأضف اليها اني سررت كثيراً بالسكينة السائدة في المدينة بحيث حكمت بان التحوطات العسكرية الشديدة التي عُول عليها لم يكن لها لزوم .

(عدد ١٧٥ ملحق ١٢ ص ١٧٦–١٧٩ . ودي تستا عدد ٥٢ ص ١٢٣–١٢٦)

٢٤٧ – المأمور فرازر الى اللورد روسل . عن دمشق في ٢٠ منه [افتطاف]

ساءني كثيراً اضطراري الى قطع مراسلاتي عن سيادتكم لابتلائي بمرض شديد ألزمني الفراش مدة شهر من جراء فساد هواء دمشق في هذا الفصل وعدم وجود طبيب للعناية بي ويسرّني ان ابشركم باني قد نقهت الان وان كنت لم ازل ضعيف القوى .

ان المستر برانت قنصل دولتنا هنا غادر دمشق منذ اربعة ايام للاجتماع باللورد دوفرين في بيروت وقد علمت انه اوقف سيادتكم على كل ما جرى حديثاً فلم يبقَ لي ان ازيد سوى القليل . ان فؤاد باشا لم يزل في المدينة وقد ازال وجوده

ذعر المسيحيين ومع تحسن حالتهم كثيراً لم ينقطعوا عن الجلاء يومياً الى بيروت بعد بيعهم فرشهم وآنية الطبخ وكل ما يملكونه ليستأجروا بثمنها مراكب لسفرهم. والظاهر ان بعضهم لم يستطيعوا الافلات من مخالب الذعر الشديد الذي استولى عليهم اثناء المذابح ولم يقوَ التطمين والضمانات والتنشيط على اعادة روعهم اليهم وآخرون قد حتّم وكيل قنصلية اليونان هنا على المهاجرة في حين ان غيرهم صرّحوا ان سبب قلقهم ناتج عن اطلاق فؤاد باشا سبيل كثيرين من السجنى مع انهم كانوا متهمين باقتراف الجنايات. وقد اوضح دولته انه وان كان هؤلاء الاشخاص سُجنوا بهذه التهمة فان متهميهم لم يأتوا بدليل على ما نسبوه اليهم ولم يحضروا فلم يستطع ابقاءهم في السجن. وقد اورد المسيحيون شاهداً آخر على صوابية خوفهم وهو تواطؤ الحكومة والدروز الظاهر للعيان وتصميم فؤاد باشا على عدم معاقبة الدروز الجناة وعليه يشعرون ان لا امان لهم في عهد حكومة تخفي الذين عذبوهم وارتكبوا الفظائع واذاقوهم الاهوال ولا يزالون يخشون شرهم في الآتي.

ان القوة العسكرية التي أُرسلت حديثاً الى شرقي لبنان (انتيلبنان) بين حاصبياً وراشيا لقطع المواصلات بين لبنان وحوران منعاً للدروز من الالتجاء الى هذا الجبل الاخير قد عادت دون ان تأسر درزياً واحداً على ما سمعت. وقد عسكرت هذه الجنود الان في القرى المجاورة دمشق وقدم المدينة قائدها حليم باشا.

وفي خلال هذا ينتقل الدروز بحرية من حوران الى لبنان فقد عاد ٣٠٠ فارس بأمرة ملحم العماد الى اماكنهم منذ بضعة ايام في حين شوهد منذ يومين الف درزي مشاة قاصدين لبنان.

اتصل بي اليوم ان قد أُرسل هذا الصباح الى بيروت عشرة من الاعيان مخفورين وفي عدادهم بعض اعضاء المجلس الكبير حين انفجار الفتنة فارسلت استوضح فؤاد باشا الخبر فورد عليّ منه هذه الساعة الجواب المرسل في طيه.

فاقتصر الان على تعليق رأيي على فقرة من هذا التحرير ـ وسأعود الى البحث فيهِ فيما بعد ـ وهو ان الاوربيين والمسيحيين يعدون الشيخ عبدالله الحلبي رئيس مضللي الشعب ومحرضيه على مذابح دمشق وانه يستحق عقاب الاعدام ومثله المفتي .

(عدد ١٧٣ ص ١٨٦ ـ ١٨٧)

٢٤٨ – فؤاد باشا الى المأمور فرازر . عن دمشق في ٢٠ منه

ان الاشخاص الذين أرسلوا هذا الصباح الى بيروت هم من كبار المدينة وكان بعضهم اعضاء في مجلس الولاية . وقد قُبض عليهم منذ شهر بتهمة انهم حرّضوا المسلمين اثناء الاضطرابات الماضية وقادوهم فاستمرّ التحقيق في الدعوى المقامة عليهم مدة طويلة وسعت المحكمة الغير العادية الى ايجاد دلائل تثبت عليهم الجناية المنسوبة اليهم للحكم عليهم بأقصى درجات العقوبة التي ينصّ عليها القانون وتوصلًا لكشف ما اذا كانت الفواجع الماضية نتيجة دسيسة مدبرة من قبل . ومع انه لم يظهر أدنى دليل حتى الآن على ما نُسب اليهم فقد قضيت على بعضهم بحبس القلعة المؤبد وعلى غيرهم بالموقت وعلى آخرين بالنفي لمدة معلومة . وعدا ما تقدم فقد أُلقيت القبض حديثًا على بعض الاعيان وحكمت عليهم لانهم لم يقوموا بواجبهم كوطنيين ولم يستخدموا نفوذهم في الشعب لايقاف الثورة عن المسيحيين .

وقد ارسلتهم الى بيروت ومن هناك يُنقل المحكوم عليهم بحبس القلعة الى جزيرة قبرس ليكونوا على مقربة مني فيتسنى لي استدعاءهم والقضاء عليهم بعقاب أشد اذا ثبت فيما بعد ان لهم يدًا في الاضطرابات . وفي طيهِ بيان باسماء هؤلاء الاشخاص ونوع قصاصهم ومدته .

(عدد ١٧٣ ملحق ١ ص ١٨٧ ـ ١٨٨)

٢٤٩ – بيان الاسماء

الشيخ عبدالله الحلبي حُكم عليهِ بالسجن المؤبد في قلعة ونفيت عائلته واقاربه من المدينة.

نصوح باشا زاده عبدالله بك وحسيبي زاده أحمد افندي وعظمة زاده محمد بك حكم عليهم بالسجن مدة ١٥ سنة.

المفتي طاهر افندي (مفتي الاحناف) وغزّي زاده عمر افندي (مفتي الشافعية) حكم عليهما بسجن ١٠ سنوات في قلعة.

وعظم زاده عبدالله بك وابنه علي بك وأحمد افندي عجلاني (نقيب الاشراف) وفروق زاده عبدالهادي افندي حكم عليهم بالنفي ثلاث سنوات.

وقد حجزت الحكومة املاك المحكوم عليهم الى ان ترد الاوامر السلطانية.

(عدد ١٧٣ ملحق ٢ ص ١٨٨)

٢٥٠ – صك الجلسة الخامسة في ٢٣ منه

اليوم الثلثاء في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٨٦٠ الساعة الثانية بعد الظهر اجتمع في بيروت أعضاء اللجنة الدولية ومعهم أبرو افندي النائب العثماني برئاسة الموسيو دي و كبكر مندوب النمسا. فقرئ محضر الجلسة السابقة ووفق عليه.

فسأل مندوب بروسيا ابرو افندي عن سبب اجبار بعض اهالي القرى على تسليم لجان التخمين كتابة تؤذن بوصول كل ما يحق لهم عند توزيعها بعض المال عليهم

فأجاب ابرو افندي ان هذه المبالغ ليست سوى اعانات حتى انها لا تعد دفعة من اصل التعويضات امّا الكتابات الاقرارية بوصول هذه المبالغ فليست بمثابة ابراء ذمة بل تشعر بقبض الاعانات المذكورة فقط.

فقام الجدال في هذا الصدد واشترك بهِ جميع أعضاء اللجنة . فقال اللورد دوفرين ان كل الشكوك تضمحل اذا ما ضم نواب اللجنة الدولية الى أعضاء لجنة التخمين وفقاً لما استقرَّ عليهِ الرأي سابقاً . وتساءل الاعضاء عمن يدفع رواتب هؤلاء النواب أو على الاقل نفقات سفرهم وطعامهم . فصرَّح أبرو افندي ان الحكومة تدفع لهم ذات الراتب المرصد لرصفائهم . فلم تقبل اللجنة بهذا التعهد .

فأردف أبرو افندي ان عدد اللجان الآن ثمان فقوام واحدة منها خمسة اعضاء وكل من الباقيات أربعة فيكون مجموعهم ٣٣ عضواً وفي كل لجنة مسلم ومسيحي ونجَّار وبنَّاء لبناني . وبعد مغادرتها بيروت اخذت هذه اللجان تجوب قرى الناحية الموكول اليها أمرها وستفرغ من اشغالها بعد عشرين يوماً .

فقال الموسيو دي وكبكر انه لما كانت الاموال الموزعة الان هي على سبيل الاسعاف فعلى اللجنة الدولية ألاَّ ترسل نواباً عنها الاَّ حين يُبدأ بتخمين الخسائر نهائياً .

أمَّا الموسيو دي رهفوس فأيد ما قاله بخصوص الكتابة الاقرارية التي أُخذت من المنكوبين وان هؤلاء يوقعونها جاهلين ما يخبأه لهم المستقبل وكي لا يُحرموا قبض تعويض وان طفيفاً في الحال .

فسأله أبرو افندي عن اسماء الذين وقعوا مثل هذه الكتابات الاقرارية . فأبى المندوب البروسيوي البوح بها حالياً .

ثم أجلت اللجنة القطع بمسألة تعيين نوَّابها في اللجان المذكورة الى ما بعد زيادة البحث .

وتلا ابرو افندي كتاباً ورد عليه من فؤاد باشا جواباً على مزاعم اشتملت عليها رسالة قنصل فرنسا في دمشق وكان المسيو بيكلار قد اطلع اللجنة الدولية على بعض فقرها وطلب ضم هذا الكتاب الى محضر الجلسة .

فردَّ عليهِ المندوب الفرنسوي انهُ لا يمانع في الحاقه بصك الجلسة لكنه انكر

على فؤاد باشا صحة اعتراضه على اقوال المسيو اوتري واعرب عن تيقنه بان القنصل المشار اليه استقى اخباره من ينابيعها الصافية ومن موارد موثوق بها لا يمكن نفيها .

فألفت الموسيو دي رهفوس انظار اللجنة الى ان الاشخاص المحكوم عليهم في دمشق كعبدالله الحلبي ورفقائه وصلوا الى بيروت بموكب حافل ومعهم حاشية كبيرة محاطين بانواع الرفاه والاكرام خلافاً للطريقة المتبعة عادةً في نقل المجرمين .

فأجاب ابرو افندي ان الاشخاص المذكورين أبعدوا عن دمشق لاسكان قلق المسيحيين في حين لم تثبت عليهم الجريمة المنسوبة اليهم بدليل قاطع وجلّ ما أخذوا بهِ انهم لم يعملوا على منع الاضطرابات في دمشق

فأبدى كل من الموسيو نوفيكوف والموسيو دي رهفوس اندهاشهما من الحكم بالسجن المؤبد أو الموقت على اشخاص ابرياء مراعاة لمقتضيات السياسة .

وقال الموسيو دي ويكبكر ان للجنة ان تشكو خاصةً من عدم ايقافها على الاحكام الحديثة وارتأى ابقاء المحكوم عليهم في بيروت الى ان تطلع اللجنة على ملفّات أوراق الدعاوى المقامة عليهم .

واعلن الموسيو بيكلار انه عزم على تنبيه افكار المندوب العثماني الخارق العادة لدى عودته الى بيروت الى وجوب مقاضاة مقترفي المذابح في صيدا . فحتى الان لم يلقَ القبض عليهم . فاوضح أبرو افندي انه تعذر على فؤاد باشا معاقبة هؤلاء الجناة نظراً لقصر مدة اقامته في صيدا لكنه واثق بان القصاص يعمّ كل الجناة ان في صيدا وان في سائر الاماكن

واعترض مندوب بروسيا مجدداً على جواب فؤاد باشا على نطاقة اللجنة الدولية في ما يتعلق بحق اشتراكها في التحقيق لانه لا يسع اللجنة القبول بتمييزه بين التحقيق العام والتحقيق القضائي الاّ على شرط تأييد حقها في البحث في درجة مسؤولية زعماء الفتنة ومأموري الحكومة وفقاً للتعليمات المتماثلة التي زُوّدها جميع المندوبين .

ومن الجلي انها لا تستطيع التمتع بهذا الحق دون التدخل في سير المحاكمات .

فصرّح ابرو افندي ان ملفّات اوراق الدعاوى ستعرض على اللجنة وبعد تمحيصها يمكنها ابداء رأيها فيها

فانكر مندوب الروسية على الحكومة حق اصدار حكم وتنفيذه دون ان يكون سبق للجنة الاطلاع على جرائد ضبط الدعوى

فاحتفظ ابرو افندي برأي فؤاد باشا المنتظر وصوله في ذلك اليوم الى بيروت في هذا الشأن وجهر انهُ متى تمّ التحقيق في كل الدعاوى تبرم المحكمة احكامها دفعة واحدة لكنه أبى التسليم بان للمندوبين حق اقامة ذواتهم مقام القضاة

واحتجّ المسيو دي رهفوس على كل الاحكام التي تُبرم او تنفذ قبل اطلاع اللجنة على ملفّ اوراق الدعاوى وطلب تدوين احتجاجه في محضر الجلسة تنصلاً من التبعة الملقاة على عاتقه .

فذكر المسيو دي وكبكر ان اقواله السابقة تؤيد احتجاج الموسيو دي رهفوس فقد صرّح دائمًا ان التحقيق الابتدائي من حق المحاكم انما للجنة ان تحضر جلسات المحكمة عندما يمثل امامها المتهم فتتدخل في سير الدعوى فهذا هو الحد الذي يقف عنده حق اللجنة في التدخل على ما يرى

فطال الجدال في هذا الصدد بين المندوبين ـ وهم يريدون ان يكون تدخلهم فعلياً ـ من جهة وبين النائب العثماني ـ الذي ذهب الى ان هذا التدخل يفقد القضاة استقلالهم ـ من جهة أخرى

ثم انتقد الاعضاء طريقة استجواب المتهمين وتقييد حرّية الدفاع . فردّ ابرو افندي على هذه الانتقادات واعلن انه لا يمكن اجبار محكمة تركية على السير على الطرائق المرعية في اوربا

فوافق اعضاء اللجنة على احتجاج الموسيو دي رهفوس . لكن المسيو بيكلار

اشترط الاَّ يكون هذا الاحتجاج باعثاً على تراخي المحكمة فتتخذه حجة لتخفيف العقوبات التي ستقضي بها على المجرمين . فشايعه مندوب بروسيا على طلبه

وقال الرئيس انه يمكنه الافصاح عن رأي اللجنة بالعبارة الآتية :

« تدّعي اللجنة حق التدخل اجماعياً في التحقيقات الرامية إلى البحث في اسباب الكوائن الحديثة ومنشأها بياناً لدرجة مسوؤلية زعماء الفتنة ومأموري الحكومة. »

فألحّ مندوب فرنسا بوجوب التشديد في القصاص وابرام احكام تكون عبرة للقوم وتجنب التلهي في دقائق سير المحاكمة .

وختمت الجلسة الساعة الرابعة وربع الساعة .

ملحق — كتاب فؤاد باشا الى ابرو افندي . عن دمشق في ١٣ منه

لمّا كنت قد قرأت في أحد كتبكم المتضمنة بيان ما جرى في جلسات اللجنة ان الموسيو بيكلار مندوب جلالة امبراطور الفرنسويين تلا رسالة انفذها الموسيو اوتري قنصل فرنسا في دمشق الى صاحب الدولة الموسيو توفنيل تتضمن وصف حالة هذه المدينة رأيت ان استوضح الموسيو اوتري عن بعض انباء بمكان من الاهمية اشتملت عليها رسالته . فبادر الى اصلاح ما نبهته اليه نقلاً عمّا لخصتموه لي من اقواله .

١ً : أشار في وصفه احوال المدينة اجمالاً الى المخاوف التي استولت حديثاً على سكانها انّما لم يكن في نيتهِ ان يقول ان المدينة في خطر وعلى قاب قوسين أو أدنى من حدوث مذابح جديدة .

٢ً : ان قوله ان أعيان دمشق المسجونين لهم علائق بالمدينة لم يقصد بهِ انهم يراسلون عصابات الدروز المسلحة بغية استقدامها الى دمشق لذبح المسيحيين .

٣ً : أراد باشارته الى عمل كرامه افندي تقبيح سلوك هذا المأمور المجحف

بالمحكمة الغير العادية لكنه لم يشأ اتهام هذه المحكمة بالارتشاء .

ولمّا كان قوله الاول مبنيًا على تقدير عام فاقتصر على الافصاح عن رأيي الخاص وعمّا شاهدته هنا فور وصولي . فقد كان أشيع خبر تألب جماهير الدروز للزحف على دمشق . فهذه الاشاعة ورسم الصلبان على أبواب بعض البيوت المأهولة بالمسيحيين قد اقلقا بالهم . لكنّ أعيانهم لم يكتموني ظنونهم في بعض ابناء مذهبهم بانهم مسببو هذا الجزع . وكان ان رأت السلطة العسكريّة ذاتها بين امرين احدهما عدم الاكتراث بهذا الذعر والتحوط له تجنبًا لذيوع الخبر واثباته فتتهم بالاهمال وعدم التدبر والاخر ان تزيد سهرًا ونشاطًا لازالة هذا الذعر فيتخذ اهتمامها حجة على اعترافها بصحة وجود الخطر الموهوم . فآثرت انتهاج الخطة الاخيرة فأطرنت عليها انّما استشهد بها على صوابية قلق المسيحيين. أجل لا يمكن انكار وجود المخاوف لكن لم يكن ثمه خطر يهدد المدينة. ان المسلمين هم قيد الرعب وفي وسعي ان أقول دون مراعاتهم انهم شعروا اليوم بوخز ضميرهم .

أمّا القضية الثانية فليس لي ان ازيد على ايضاحات المسيو اوتري سوى كلمة واحدة . وهي اني عهدت بحراسة المسجونين المذكورين إلى ذات السلطة العسكرية التي اعجب بنشاطها . وقد استقصيت الاخبار فتحققت انه لم يكن لهؤلاء السجنى ـ وهم الان قيد أشدّ المراقبة ـ اتصال بالمدينة او بخارجها الاّ نادرًا من جرّاء تغاضي بعض الجنود الموكول اليها حراستهم .

أمّا بخصوص المسألة الثالثة فان سلوك كرامه افندي اوشك ان يلحق عارًا بالمحكمة الغير العادية وبمن ادعى انه يمثله وانتم تعرفون كرامه وهو ابن بطرس كرامه كاتب سرّ الامير بشير فقد كان موظفًا في قلم الترجمة وقبل حدوث مذابح سوريا أذن له بالذهاب الى صيدا مسقط رأسه لقضاء مدة فيها . وعند وصولي الى بيروت عينته في جملة كتبة اسراري بصفة ترجمان اللغة العربية .

وفي دمشق احصيته في عداد اللجنة الموكول اليها توزيع الاعانات على المسيحيين انما عندما رأيت ان سلوكه اساء هم استبدلته بفرنقو افندي . فبقي في دمشق بناء على طلبه بحجة اعتلال صحته فادعى امام أرباب الحكومة المحلية والقناصل انه نائبي ولما انبأني أرباب الشأن بسوء سلوكه وقد وجدته فوق ما كنت اعتقد امرته بالرجوع إلى بيروت وعدت الى دمشق قبل ان يبرحها .

فالقيت عليه القبض في الحال بتهمة الارتشاء ووجدت عنده المال والهدايا التي قبلها . ولما كان يتظاهر امام الجمهور بانه اعظم شأناً من رئيس المحكمة الخارقة العادة كاد هذا السلوك يزنّ اعمال المحكمة بالعار في حين ان جميع اعضائها معروفون بنزاهتهم واستقامتهم . وقد اسهبت في هذه المسألة لازالة ما علق من الشكوك بالافكار بحق رجال وضعت فيهم ثقتي . ولهذا سررت كثيراً باكتشاف هذه الفضيحة التي مهدت لي السبيل لابيّن ان العدالة الموكول إليّ اجراؤها لا تراعي احداً حتى رجال حاشيتي .

يتعذر عليّ تأمين اسمعيل الاطرش لانهُ اتى اعمالاً فظيعة في كوائن حاصبياً وراشيا . وقد اضطررت الى ان اتذرع بوسيلة أخرى لضمان سلامة المسيحيين فيما لو هاجمت قواتنا زعماء الدروز في حوران وقد انضم اليهم الان اخوانهم في لبنان . ان اسرة عامر وقد امتدح لي منها المسيحيون يمكنها ان تخدمنا في هذا الشأن فعولت على استخدامها لتكون ملجأ لمسيحيي حوران وهم كثيرون على ما اتصل بي .

سافر اليوم حليم باشا قاصداً سعسع لتنظيم القوّات المعدة لمطاردة الدروز وقد تمكنتُ من حشد زهاء ٣ الاف فارس غير نظامي . وسيعود هذا القائد يوم الخميس فاتركه هنا واذهب مساء الى بيروت فابلغها نهار الجمعة أو السبت .

(عدد ١٨٢ ملحق ٥ ص ٢٠٤ـ٢٠٨ . ودي تستا عدد ٥٣ ص ١٢٧ـ١٣٠)

٢٥١ – اللورد روسل الى القنصل برانت في ٢٥ منه

تلقيت من السير موسى مونتيفيوري الكتاب والعريضة المرسلة صورتهما لكم في طيه ويتضح منهما ان مسيحي دمشق يسعون الى تهييج الافكار على اليهود بتهمة انهم اشتركوا مع المسلمين في الفظائع الاخيرة .

لم أرَ في مراسلات موظفي جلالة الملكة في سوريّة ما يثبت هذه التهمة . والعريضة التي رفعها الينا السير موسى مونتيفيوري هي النبأ الوحيد الذي اتصل بنا بهذا الشأن . ولا حاجة بي الى القول انه وان كان يتعذر التصديق ان للتهم الموجهة إلى اليهود اساساً فاقدام المسيحيين عليها يقلل من الثقة بهم وقد كان عليهم الاتعاظ بما قاسوه من الاهوال فيحجمون عن ان يلحقوا باناس ابرياء مثلهم مصائب ونكبات كالتي حلّت بدمشق .

فاوعز اليكم ان توجهوا عنايتكم إلى هذه المسألة وتبذلوا جهدكم لوقاية يهود دمشق كي لا يذهبوا ضحية افتراء ذميم .وعليكم ان تصرّحوا لوالي دمشق ان قد عُهد لسفير جلالة الملكة في الاستانة بان يلفت انظار الباب العالي إلى التهم الموجهة إلى اليهود ويطلب وقايتهم من كل ضرر وتنبهوا الوالي المشار اليه الى انهُ سينقب بسلوكه في هذا الصدد بمزيد التدقيق وان حكومة جلالة الملكة تستعمل كل ما لها من النفوذ لدى الباب العالي ليعامل بشدّة إرباب السلطة التركية الذين يوقعون باليهود ظلماً كما لو كانوا ظلموا المسيحيين . (عدد ١٦٤ ص ١٧٥ ـ ١٧٦)

تنبيه : وقد ارسل اللورد روسل الى السير بولفر سفير دولته في الاستانة كتاباً بهذا الشأن لاستصدار الاوامر لوقاية اليهود وانصافهم من التهم الباطلة والى المستر مور للسعي مع اللورد دوفرين لدى فؤاد باشا إلى تحقيق امنية اليهود .

(عدد ١٦٥ و١٦٦ ص ١٧٦ـ١٧٧)

٢٥٢ – اللورد دوفرين الى السير بولفر في ٢٦ منه [افتطاف]

اتشرّف فانبي، سعادتكم انه عندما علم المندوبون ان الباب العالي خوّلهم حق حضور جلسات المحكمة الغير العادية المؤلفة في بيروت طلبوا في الحال الى ابرو افندي نائب فؤاد باشا وأحد اعضاء المحكمة ان يأمر بحضورهم الجلسات أو نوابهم

فأبى أبرو افندي اجابة طلبهم إلى ما بعد عرض المسئلة على فؤاد باشا الموجود في دمشق . وفي جلسة اللجنة التالية اخبرنا بان دولة المندوب العثماني يعتبر ان حقنا في الاشتراك مقصور على ما دعاه « التحقيق العام » ولا يشمل التحقيق القضائي . فاحتج جميع المندوبين بشدة على هذا التأويل وقلت لابرو افندي اني لمّا كان قد فُوض إليّ حضور سير المحاكمات أرى انهُ يفرض عليّ ان احضر بنفسي الى أبواب المحكمة حتى اذا مُنعت من الدخول تقع المسؤولية على أرباب السلطة التركية . وقد حماني على هذا الانذار ما اتصل بي من ان المحكمة جرت في محاكمة سعيد بك جنبلاط وسائر السجنى على طريقة مشينة . ثم انتهزت الفرصة للالحاح على أبرو افندي مبيناً لهُ عدم فائدة انكار فؤاد باشا حقاً سبق للباب العالي ان اعترف لنا بهِ ورجوته ان يعرض لدولته في الحال ما جرأت على بسطه بهذا الصدد .

ويسرّني ان ابشر سعادتكم ان احتجاج اللجنة لم يذهب سدى فقد حمل الينا البريد الاخير الوارد من دمشق خبر قبول فؤاد باشا بحضور المندوبين أو نوابهم جلسات المحكمة . وعليه فقد عهدت الى المستر نويل مور بان ينوب عني بحضور المحاكمات وزوّدته التعاليم وفي طيه صورة عنها .

بيدَ انه اذا ما أُريد جعل تدخلنا في هذه المحاكمات فعلياً وذا فائدة فمن اللازم اللازب ان يخول نوابنا حق الزام المحكمة بتوجيه السؤالات التي يرون من المناسب طرحها على السجني او الشهود . ولمّا كان اعضاء المحكمة يودّون نقض كل شهادة

تحطّ من هيبة الحكومة التركية ويأبون ان يستفيد السجنى من اثباتهم انهم عملوا باغراء مأموريها فمقتضيات العدالة توجب ان تتخذ مثل هذه التحوطات لاظهار الحقيقة. (عدد ١٧٥ ملحق ١ ص ١٨٩ - ١٩٠)

٢٥٣ – الاوردر دوفربن الى المفتش صور في ١٥ منه

لمّا كان صاحب الدولة فؤاد باشا قد خوّل اعضاء لجنة سوريا الدولية استنابة وكلاء عنهم للسهر على سير المحاكمات الجارية امام المحكمة الخارقة العادة في بيروت اعهد اليك بان تنوب عني في حضور جلساتها. فعليك ان تبادر الى حضور اول جلسة تعقد وتداوم حضور كل الجلسات حتى ختام المحاكمة. وينبغي ان تدوّن بمزيد التدقيق واستقلال الضمير كل ما يجري وتتلطف بابلاغي اياه في ختام كل جلسة. واذا رأيت شذوذاً أو تشيعاً من قبل المحكمة سواء كان موافقاً للمتهمين أو معاكساً لهم فاضف ذلك إلى ذيل رسالتك اليومية في هذا الشأن. فاذا كان هذا الاعوجاج قابلاً التقويم في الحال فسلّم رئيس المحكمة بلاغاً خاصاً تلفت انظاره اليه انما عليك في اجراء هذه الوظيفة ان تكون ساهراً على عدم تجاوز حدود اللياقة. ولك ان تطلب صوراً عن كل المحررات التي يرفعها الى المحكمة السجناء او الشهود وتتذرع بجميع الوسائل التي تمليها عليك فطنتك ليأتي البيان المعهود اليك كتابته عن سير المحاكمات وافياً دقيقاً. وفي الختام ارجوك ان تذكر بان الغرض من حضورك ورصفائك جلسات المحكمة تأمين اوربا ان التحقيق القضائي الموكول الى المحكمة القيام به جارٍ بصورة مطابقة لسنن العدالة والنزاهة. وعليك ان تنقب بمزيد التدقيق في كل اعمال المحكمة وتراقب مجرى التحقيقات بكل انتباه ويقظة وتوقفني على كل الامارات والدلائل التي يلوح لك انها تساعد على كشف الغطاء عن أسباب الاضطرابات الاخيرة اذا أنعم النظر فيها. (عدد ١٧٥ ملحق ٢ ص ١٩٠)

٢٥٤ — اللورد دوفرين الى السر بولفر في ٢٦ منه [افتطاف]

اتشرّف بان ارسل لسعادتكم نسخة بيان تلقيته من المستر نويل مور يتعلق بشذوذ المحكمة الغير العادية عن الاصول في محاكمة سعيد بك جنبلاط المتهم بالخيانة الكبرى .

وفي الوقت ذاته ارفع اليكم صورة النطاقة التي انفذتها إلى صاحب الدولة فؤاد باشا في شكوى المستر مور .

واعتقد ان سعادتكم تحكمون اني لم اعمل سوى ما تقتضيه العدالة باحتجاجي الشديد على دولته. ويستفاد من بيان المستر مور وقد اثبتته شهادة الكولونيل برنابه وفي طيهِ نسخة منها ان أعضاء المحكمة مصممون على التعجل باعدام السجين مذنباً كان أو بريئاً . وهذا التعجل الذميم يمكن نسبته إلى سببين .

أولهما ان سعيد بك جنبلاط ذو ثروة واملاك واسعة فالاستيلاء عليها يزيد اموال الخزينة العسكريّة . والآخر انه اذا روعيت الاصول القانونية في محاكمته يتمكن على الارجح من كشف الستار عن خفايا تشين سياسة تركيًا وتثبت تواطوء أرباب الحكومة على تدبير الفتنة .

ولئن كان من المؤكد ان سعيد بك لم يشترك في المذابح لا يسعني الاعتقاد انه بريء من كل ما حدث لانه لو اراد لامكنه ان لم يكن استدراك الفظائع التي اقترفت فعلى الاقلّ تخفيف وطأتها فالاختبار الماضي يثبت ان الدروز لم يفعلوا شيئاً الاّ بايعاز زعمائهم . ومن المعروف ان سعيد بك كان اكبر هؤلاء الزعماء ثروة واعظمهم نفوذاً .وقد أبرز كتاب أرسله اليه اسمعيل الاطرش الذي قاد الحوارنة الى حاصبيًا والبقاع ينبئه بهِ بوصوله ويسأله ان يمده بتعاليمه ومن الثابت ان سعيد بك ضيّفه عدة أيام في قصره في المختارة عند رجوعه بعد ذبح المسيحيين ويداه

مصبوغتان بدمهم .

وعدا ما تقدم فقد قيل لي انه لو تُركت لسعيد بك الحرّية لاستطاع ان يثبت كونه ساعد كثيرين من المسيحيين وحماهم وانه ونّب على مسمع من الناس اتباعه على ما اجترحوه . لا أُماري انهُ كان من السهل استجوابه في هذين الامرين لو لم يكن احدهما تظاهراً كاذباً والاخر احتياطاً سياسياً . ومهما يكُ من الامر فيجب ان يحاكم بنزاهة ويأتي الحكم مطابقاً للبينات والشهادات المثبتة عليه جريمته .

سترون سعادتكم من مراجعة رسالتي المؤرخة في ٢٣ المنقضي ان ما طلبته اليوم من الضمانات على التزام القضاة سنن العدالة والنزاهة في محاكمة سعيد بك قد سبق لي الاشارة بتعميمه الى سائر المتهمين المسجونين . وفي ذلك التاريخ كان قد ظهر جلياً ان الاتراك مستعدّون لاعدام من تسألهم اوربّا اعدامه فاذا كان أعضاء المحكمة رأوا وجوباً لاثالة خورشيد باشا وهو تركي من طائفتهم وموظف في الحكومة مثل هذه الضمانات فبالاحرى يجب ان يراعوا الاصول في محاكمة سعيد بك واتباعه وهم غرباء عن مذهبهم وجنسيتهم .

ويسرّني ان اخبركم باني تلقيت بلاغاً شفاهياً من فؤاد باشا مآله انه سيؤجل في الحال جلسات المحكمة ويوقف سعيد بك يومياً على جريدة ضبط الدعوى ويخوّله الحرّية بان يبين ما يجد فيها من النواقص وان يدوّن خطاً كل ما يشكوه من طريقة محاكمته كما انه سيعنى في المستقبل بان يُضمن سماع دفاعه وبينات شهوده بكل نزاهة .

أمّا مسألة حسني بك الجالس مع قضاة المحكمة في حين كان من الواجب ان يكون في الكورك لما كانت اللجنة قد تفاوضت فيها رأيت من حسن الفطنة تأخير البحث فيها الى اجتماع اللجنة الآتي وقد تأجل الى يومين بناء على طلب فؤاد باشا .

(عدد ١٧٥ ملحق ٣ ص ١٩٠ـ١٩١)

٢٥٥ ــ نوبل مور الى اللورد دوفرين في ٢٣ منه

أرى انه يُفرض عليَّ انباء سيادتكم بان محاكمة سعيد بك جنبلاط امام المحكمة الغير العادية ليست بجارية بروح النزاهة فان فقرًا من الشهادات الموافقة المتهم لم تُكتب في جريدة الضبط كما أُهمل تدوين كثير ممَّا قاله دفاعًا عن ذاته ولا يترك لهُ الوقت الكافي لتفنيد اقوال الشهود بل يُبتهر كلما جهر بشيء من شأنه ان يعيب سلوك المأمورين العثمانيين

وعليهِ لم استغرب قيام سعيد بك اليوم في وسط الجلسة شاكيًا بأعلى صوته طريقة المحاكمة معلنًا عزمه على عدم الجواب على اسئلة المحكمة والمثول امامها من الآن وصاعدًا بحيث يمكنها ان تفعل كل ما يروق لها وتحكم بما تشاء

وبينا كان سعيد بك يتكلم أخبر اعضاء المحكمة بوصول صاحب الدولة فؤاد باشا فاوقفوا الجلسة حالاً . (عدد ١٧٥ ملحق ٤ ص ١٩٢)

٢٥٦ ــ القائم مقام برنابه الى اللورد دوفرين . عن بيروت في ٢٣ منه [افنطاف]

١ً: اذا لم يؤدِ شاهد شهادته أو جوابه بصورة موافقة لما تريد الحكومة اثباته على السجين

٢ً: اذا كانت الشهادة تشير الى اشتراك مأموري الباب العالي في المذابح الاخيرة .

٣ً: اذا كانت عبارة الشهادة على السجين أو الجواب على السؤال لا تثبت عليهِ الجرم . فالمحكمة تعمد لبلوغ أربها إلى الحيل الاتية :

(ا) انها تظل تخاطب الشاهد الى ان يفقه نوع الشهادة التي ترغب اليه في تأديتها . ومن جرَّاء هذا الالحاح بدل بعض الشهود شهادتهم فجاءت عكس ما

قالوه أولاً

(ب) اذا حدث ان شاهداً ثبت على اقراره الاول فكاتب الضبط يتذرع باحدى الوسائل الثلاث الآتية :

(ت) يهمل تدوين السؤال والجواب

(ث) أو يقتصر على تدوين قسم منهما

(ج) أو انهُ يبلبل تنسيقهما بحيث يتغير معناهما .

٤ً : اذا ظهر دليل من شأنه تبرير السجين يضرب الكاتب عن تدوينه في جريدة الضبط .

٥ً : يدخل أحياناً جملة شهود على المحكمة ويؤخذ استجوابهم في وقت واحد

٦ً : ان كل الشهادات الموافقة السجين لم تُقبل

٧ً : يُخرج السجين من المحكمة حين استجواب الشهود ولئن كانت تُسلم اليهِ جريدة الاستنطاق عند عودته الى المحكمة ليقرأها فان الطريقة السابقة في أخذ هذه الشهادات تحول دون الفائدة التي ربما كانت نتجت عن تفنيد السجين اقوال الشهود وجهاً لوجه

٨ً : ليس للسجين وكيل في المجلس حين المحاكمة للسهر على مصالحه حين يكون خارج المحكمة .

٩ً : ان تحامل المحكمة على السجين ظاهر لكل ذي عينين ولاسيما ان أحد أعضائها هو أمير الالاي حسني بك قائد الجنود العثمانية سابقاً في بعلبك .

(عدد ١٧٥ ملحق ٥ ص ١٩٢)

٢٥٧ – اللورد دوفرين الى فؤاد باشا في ٢٥ منه

اتشرّف بان ارسل الى دولتكم في طيه صورة الكتاب الذي انفذه إليَّ المستر

نويل مور نائب قنصل جلالة ملكة بريطانيا ونائبي في المحكمة التي الفتموها دولتكم في بيروت وقد اوضح لي بهِ ان المحكمة المشار اليها لم تراعِ الاصول في محاكمتها سعيد بك جنبلاط فاسأل دولتكم بالحاح ان تنعموا النظر في اقواله .

إذا استمرّت المحاكمة جارية على النسق الذي وصفه المستر مور فمهما يكُ حكم المحكمة يعدّ باطلًا اذ تفسده طريقة من مثل هذه مخالفة لما يوجبه الانصاف وعدم التشيع .

ومن الفضول ان اقول اني ببسطي هذه الانتقادات لست مدفوعًا بالرغبة في انقاذ سعيد بك جنبلاط . فاذا ثبت عليه انه اجترح الجرائم المنسوبة اليه اكون آخر من يلحّ على دولتكم لتعاملوه برفق لا يستحقه . لكني اجرأ على الفات نظركم الى انه بقدر ما تكون الجنايات فظيعة وعقابها شديدًا فعلى المحكمة ان تزداد تدقيقًا ونزاهة في اجراء التحقيقات . ومما يضاعف قوّة هذا الرأي مئة ضعف ان السجين لا يؤذن له بالدفاع عن ذاتهِ . واذا جاز لي ان اقترح شيئًا بهذا الشأن فاميل الى القول بان العدالة توجب ان يؤذن للمتهم بانتقاء وكيل او محامٍ للدفاع عنه . حتى انه يؤذن بذلك للمتهمين الذين يُحاكمون أمام المجالس العسكريّة . ومن المشهور ان طرائق المحاكمة أمام هذه المجالس تختلف عن طرائق المحاكم العادية بل هي اشد وطأةً من كل القوانين الاوربية .

ومع تيقني ان دولتكم تحكمون مثلي ان لا لزوم لتأييد رواية المستر مور الواضحة فقد رأيت انهُ يحسن بي ان ارسل اليكم في طيه رواية أخرى كتبها القائم مقام العسكري برنابه وهي تثبت كل ما ذكره المستر مور .

(عدد ١٧٥ ملحق ٦ ص ١٩٣)

٢٥٨ – اللورد دوفرين الى السر بولفر في ٢٦ منه [افتطاف]

اتشرف بان ارسل اليكم في طيهِ صورة التعاليم التي زودتها القائم مقام برنابه والمستر جول فريّت بخصوص واجباتهما كعضوين في اللجنتين المختلطتين اللتين عينهما فوّاد باشا للاشراف على اعادة بناء القرى المحترقة في لبنان .

وبياناً لما تقدم اخبركم بان فوّاد باشا فور وصوله الى لبنان قسم النواحي المدمرة الى ثمانية اقسام وعين في كل منها لجنة وطنية عهد اليها ان تدفع لكل صاحب بيت المبلغ الذي يقدر انه لازم لترميمه .

ولمّا كان قد ورد على المندوبين الاوربيين شكاوى عديدة من توانى أعضاء اللجان المذكورة في القيام بمهمتهم وتشيعهم ومحاباتهم وعدم انصافهم اقترحت على رصفائي ان ينتقوا وكيلاً عنهم في كل من اللجان المذكورة ويوافق فوّاد باشا على تعيينه

فقبل الجميع بهذا الاقتراح انما يؤلمني ان اقول انه لم يعمل بالنشاط المرغوب فيه فقد حالت مصاعب جمة دون وجود اشخاص فيهم الكفاية للنيابة عن المندوبين كما تباينت الاراء في حراجة الحالة وضرورة التعجل .

فكانت النتيجة ان التحوطات التي اتُخذت حتى الان لاستدراك حاجات الشتاء واتقاء اهواله غير وافية .فقد قرس البرد كثيراً في الجبل مدة الليل وانتشرت الحميّات بين النساء والاطفال وهم يشكون عدم وجود اغطية وثياب ومأوى لهم فيضطرُّون الى اتخاذ الارض فراشاً والسماء غطاء . فالامراض متفشية في كل مكان وتنذر الاربعة أشهر الآتية بالويل

ولهذا عزمت على ان اسأل حضرة الفاضلين المشار اليهما ان يبدئا في الحال بمراقبة اعمال الترميم في الناحيتين اللتين عينهما لهما فوّاد باشا فأجابا طلبي بطيبة خاطر ولي عظيم الامل بانهما يتمكنان بمساعيهما وفطنتهما من استدراك اضرار تأخير الترميم حتى

اليوم على الاقل في بقعة من البلاد .

وفي الوقت ذاته لا اتردد في الحكم بان الازمة المقبلة توازي بخطورتها ان لم تضارع مدتها تلك التي أصابت ايرلنده في شتاء سنة ١٨٤٦ـ١٨٤٧

لقد بلغ عدد المنكوبين الذين توزع عليهم لجنة الاسعاف الانكليزيّة الاميركية الاعانات في الاسابيع الثلاثة الماضية ١٩ الف الى ٢٥ الف نسمة فالقرى مهجورة غير صالحة للسكنى ولم يُستعد لزرع الاراضي .

وقد وصفت اهوال ما يهيئه المستقبل لهؤلاء المنكوبين بعبارة موثرة ولهجة شديدة في نطاقة انفذتها الى فؤاد باشا . وفي الحقيقة ان دولته لا يستطيع شيئًا اذ ليس لديه مال ولا مأمورون يعتمد عليهم ولا ان يدفع ثمن حطب الوقود ولا اجرة حرث الارض ولا يمكنه ان يجد رجلًا يؤمنه على توزيع فلس

وبناء عليهِ لا اعلم ماذا يفعل . فلو كان في الطاقة عقد قرض تضمنه انكلترة وفرنسا وارصاده لسد حاجات مسيحيي سوريّة المستعجلة تحت مراقبة لجنة اوربية يتسنى التغلب على الازمة . انّما هو اقتراح خارج عن صلاحيتي ولذلك اقتصر على الفات نظر سعادتكم الى هذه الحالة . (عدد ١٧٥ ملحق ٨ ص ١٩٤)

٢٥٩ – وفاته اليه في ٢٦ منه [اقتطاف]

غادر دمشق منذ ٤ الجاري اكثر من ١٢٠٠ نسمة رغمًا عمّا نُخل لهم من النصائح للبقاء فيها . وفي كل يوم يصل الى بيروت قوافل جديدة من اللاجئين . وقد اخبرني المستر برانت انهُ في صباح اليوم الذي برح بهِ المدينة أُنبيء بان اشخاصًا معوزين دفعوا اجرة بغال اكثر منه ليعجلوا في الجلاء دون تأخير .

وممّا يجدر بالذكر ان الرغبة في هجر دمشق مستمرة رغمًا عن عودة فؤاد باشا اليها فجأة والقائه القبض على ٢٣٠ شخصًا في عدادهم عبدالله الحلبي وهو أعظم

المسلمين نفوذًا وغيره من الاعيان واصحاب الثراء .

ومن المقول انهُ اذا بدأت الحكومة بدفع تعويضات كافية يعود الاطمئنان الى الافكار . بيدَ انهُ يتعذر استعمال هذا العلاج لان فوَّاد باشا صفر اليدين ومهما كانت الاموال التي يستطيع الحصول عليها فلا تكفي لترميم بيوت القرى اللبنانية .

وانا موقن ان في وسع اهالي دمشق ان يثقوا بان سلامتهم أصبحت مضمونة في الوقت الحاضر ولا اعتقد بوجود خطر باستيقاظ فتنة ثانية ما دام فوَّاد باشا وجنوده في هذه البلاد

ولربَّما كانت عداوة المسلمين للمسيحيين أشدّ من ذي قبل . انَّما لمَّا كان سكان سوريًا معروفين بخمولهم الصبياني فلا يتوقَّع امكان تجدد الفظائع الماضية بحضرة « اب المشنقة » كما لُقب صاحب الدولة فوَّاد باشا

فاذا كنَّا بالحقيقة مجاهدين في سبيل الحياة يجب ان نعتدَّ بالسنن التي يجري عليها عادةً الجنس البشري بيدَ ان غباوة أرباب السلطة الاتراك وتهوّر الشرقيين هما عاملان يبلبلان كل تقدير بحيث يتعذر التكهن بثقة عن المستقبل متى اجتمعا .

بيدَ انهُ خلافًا لكل صواب ورشد لا نتمالك من النظر الى الشتاء المقبل الاَّ بعين القلق ولاسيما متى سقط الثلج وقطع مواصلات دمشق بمدن الشاطئ . ولا اتردد اذا اقتضى الامر في الذهاب الى المدينة المذكورة والبقاء فيها مدة انقطاع مواصلاتها وانا واثق في الوقت ذاته بان فوَّاد باشا يعمد إلى مساعدتها متى فُتحت الطرقات وسمع بانه لم يحدث شيء في هذه الفترة. (عدد ١٧٥ ملحق ١٠ ص ١٩٥)

﴿ انتهى الجزء الثاني ويليه الثالث ﴾

فهرس

صفحة	عدد	
١	١	ـ ١٤ ك ٢ سنة ١٨٦٠ ـ مور الى السير بولفر ـ تعيين عطا بك مندوب الباب العالي في تسوية شؤون لبنان والياً على جزائر الارخبيل ـ الغاء وظيفة عارف افندي الدفتردار وصبري افندي مدير الشؤون السياسية .
١	٢	ـ ١٨ منه ـ ومنه اليه ـ سؤال خورشيد باشا عن سبب اعادته الامير بشير احمد الى منصب القائم مقامية المسيحية
١	٣	ـ ٣٠ ادار ـ ومنه اليه ـ تفاقم الفوضى في لبنان بعد اعادة الامير ـ اخلاف خورشيد باشا بوعوده للمشايخ الخازنيين ـ اباء السرعسكر ارسال قوة الى كسروان لاعادتهم
٢	٤	ـ ٢ نيسان ـ ومنه اليه ـ تكاثر حوادث القتل والاعتداء في نواحي صيدا ـ اهمال الحكومة التركية ـ اتهام خورشيد باشا حكومة الاستانة بعدم جوابها على طلبه معاقبة الجناة
٢	٥	ـ ٢ منه ـ ومنه اليه ـ عودة صبري افندي مدير الشؤون السياسية الى منصبه بعد الغائه ـ استفحال الفوضى في لبنان من جراء عودة الامير بشير احمد ـ تشتت المشايخ الخازنيين ـ الاعتداء على اهالي علما (قرب صيدا) الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني ـ ورود امر باعادة اسقف صور على الروم الكاثوليك الى كرسيه وتباطوء خورشيد باشا في تنفيذه ـ قطع الدروز والمتاولة السابلة في ضواحي صيدا ـ

صفحة عدد

وقوف حركة التجارة – اقبال المواسم
٣ ٦ – ٨ نيسان – برانت قنصل انكلترة في دمشق الى بولفر – بقاء الامير سلمان الحرفوش في السجن – عرض اطلاق سراحه واعادته الى وظيفته في بعلبك لقاء ٥ الى ٦ الاف كيس – عدم موافقة ذلك وخطر استئنافه اثارة الفتن اذا خرج من السجن .
٤ ٧ – ٢٢ منه – سكين قنصل انكلترة في حلب الى بولفر – جزع اهالي حلب من تعليق اعلانات على ابواب الجوامع في ليل ٢٤ منه تحريضاً للمسلمين على ذبح المسيحيين – تحوطات الحكومة – استياء الشعب من الوالي ورغبته في استبداله بعمر باشا قائد الموقع العسكري
٥ ٨ – ١ ايار – ومنه اليه – دخول المسلمين في انطاكية كنائس المسيحيين وهزؤهم بحفلاتهم الدينية – صبر الطوائف المسيحية على هذه الاهانات – اهتمام الوالي بها – كره المسلمين لليهود الذين هدموا قسماً من الجامع وللقناصل – القاء القبض على عدّة اشخاص متهمين بالصاق النشرات الثوريّة
٥ ٩ – ٩ منه – مور قنصل انكلترة العام في بيروت الى بولفر – عريضة المشايخ الخازنيين المطرودين من كسروان إلى القناصل التماساً للشفاعة بهم لدى خورشيد باشا ليمنع الاهالي الثائرين عن اغتصاب محاصيل املاكهم – مراوغة خورشيد باشا
٦ ١٠ – ٧ منه – حبيب مشاقه ترجمان قنصلية انكلترة الى المستر مور – اعتذار خورشيد باشا عن عدم استطاعته قمع فتنة اهالي كسروان لاباء مشير فيلق دمشق ارسال قوّة عسكريّة واستدعاء كل الجنود الى

صفحة عدد

الاستانة – عزمه على الاستقالة اذا لم ترسل اليه الحكومة القوة الكافية – رغبته الى المستر مور ابلاغ سفير دولته ما تقدم

٧ ١١ – ١٨ منه – مور الى بولفر = اضطراب حبل الامن في القضاء الدرزي – قتل الدروز ٤ مسيحيين فيهم كاهن ماروني اثناء سفرهم من دير القمر الى جزّين – الخوف من انتقام المسيحيين – استعداد الدروز للقتال – قول المطران طوبيا لوفد من دير القمر انه يتولى قيادة المسيحيين اذا هوجموا – بقاء الامير بشير أحمد في بيروت مع وجود قلاقل في قائم مقاميته – السعي الى منع نشوب الحرب الاهلية – ارسال خورشيد باشا ٤٠٠ جندي الى دير القمر لتعزيز حاميتها

٨ ١٢ – ٢٣ منه – ومنه اليه = ايفاد خورشيد باشا وصفي افندي كاخيته لابلاغه شكره على سعيه الى تسكين الهياج في لبنان – نسبته الاضطرابات الى دسائس لجنة مسيحية في بيروت والى بعض حمايا الدول الاجنبية – نسبته عريضة المسيحيين تشكياً من الحكومة التركية الى المطران طوبيا اسقف بيروت الماروني – اهتمام الباشا بان يجمع بين زعماء المسيحيين والدروز .

٩ ١٣ – ٢٠ ايار – عريضة مسيحيي الانحاء المختلطة الطوائف الى خورشيد باشا = شكوى من اعتداءات اصحاب الاقطاعات الدرزيّة عليهم وقتلهم بعض اخوانهم – اجتماع الدروز في المختاره لمنع المسيحيين من الذهاب الى بيروت للتشكي – اعتداء الدروز على مسيحيي المرقوب وغربي البقاع . لياذهم بمدينة زحله – ازدياد جرأة زعماء الدروز من عدم معاقبة الحكومة لهم ولاسيما الشيخ يوسف عبدالملك – ابتزازهم الاموال وحبسهم الاموال الاميرية التي استوفوها – تصميم المسيحيين على التحوط للدفاع عن حياتهم والتخلص من حكم الدروز ذوي الاقطاع .

١٠ ١٤ – ٢٠ منه – عريضة التجّار الاوربيين الى القناصل – طلب وساطتهم لدى الحكومة العثمانية لتعيد الامن الى لبنان وقايةً للمصالح الاوربية المتضررة .

صفحة عدد

١١ ١٥ – ٢٤ منه – مور الى اللورد روسل = ورود الامر بابقاء الجنود في سورية – تسلح المسيحيين والدروز – قتال عين داره – عودة اللبنانيين من بيروت الى لبنان

١٢ ١٦ – ٢٦ منه – ومنه الى السير بولفر = اقتتال بعض الدروز والمسيحيين في جوار بيروت. استئناف القتال حوالى زحله . القلق والهياج في كل مكان . وصول بارجة انكليزية

١٢ ١٧ – ٣٠ منه : ومنه اليه : نشوب الحرب الاهلية في لبنان وخصوصاً في القرى الساحلية المختلطة السكان . سفر البارجة الفرنسوية الى ثغر بيروت . ذهاب خورشيد باشا بالجنود الى لبنان.

١٣ ١٨ – ٣١ منه : ومنه اليه : نشوب الحرب الاهلية . هجوم بعض المسيحيين على قرى صليما وقونايل وبتخنيه وطردهم الدروز. اغارة الدروز على بيت مري واضرام النار فيها مع عدة قرى من المتن وساحل بيروت . اطلاق الجنود التركية النار على المسيحيين في الحدث وبعبدا ووادي شحرور وحرقها. اطلاق خورشيد باشا المدافع . فرار المسيحيين. حريق بيوتهم ونهبها. اشتراك الجنود بالسلب والنهب. حرقهم دور الامراء الشهابيين. قتلهم الامير بشير قاسم. مجيء المسيحيين اللاجئين من الدامور الى بيروت. هجوم الدروز والتاولة والباشبوزق عليهم. قتل ٥٠ منهم وسلبهم امتعتهم احتراق قرى المتن

١٤ ١٩ – التاريخ ذاته : ومنه اليه : تضييق الحصار على دير القمر . وعد وصفي افندي الكاخية بفتح المواصلات . الاشفاق من عدم اقتداره . مبادئة الدروز اهالي دير القمر بالشر

١٤ ٢٠ – ٢٢ منه : المستر برد المرسل الاميركي في دير القمر الى المستر مور : وفود أعيان دير القمر عليه . انقطاع الزاد عن اهليها . الاستغاثة به لارسال قافلة تحمل مؤنة اليهم والاّ خرجوا لمقاتلة الدروز . ثبوت اعتداء الدروز عليهم. كتاب خورشيد باشا الى اهالي دير القمر يعدهم فيه بفتح الطريق . نفاد مؤنتهم

صفحة عدد

١٥ ٢١ — ٣١ منه: مور الى بولفر: نشوب قتال عام في ٣٠ منه في التن بين المسيحيين والدروز. اندحار الاولين. سكون القتال

١٦ ٢٢ — اول حزيران: ومنه اليه: ذهاب قناصل الدول الى الحازمية ليعرضوا على خورشيد باشا مساعدتهم لايقاف رحى القتال. القاؤه تبعة اثارة الفتنة على المطران طوبيا ولجنة بيروت. سؤاله القناصل اقناعهما بالامتناع عن التدخل. تكفله بالدروز. عزمه على القبض على اعضاء اللجنة. معارضة القناصل. اجتماع المستر مور بالمطران طوبيا وأحد اعضاء اللجنة. ادعاؤهما البراءة. تعهد المطران بتسكين المسيحيين. شكواه من افتراءات خورشيد باشا

١٧ ٢٣ — ٣ نيسان: طانيوس شاهين الى وكلاء جبيل واهاليها: الايعاز اليهم بعدم الرضوخ للامر الذي يحمله الامير يوسف والبكباشي بتوليهما ادارة جبيل. ادعاؤه ان الدول السبع وكلت اليه اعتاق المسيحيين من عبوديتهم. ارساله أمرًا إلى الامير يوسف ليعود الى مقرّه حتى اذا أبى يأتي لنجدتهم. تحريضهم على اكثار عدد المنخرطين في سلك الجمعية. انذاره يزبك لحرد بالاقلاع عن خطته

١٨ ٢٤ — ٢٠ ايار: المطران طوبيا الى اختيارية دير القمر: اظهار سروره من نشاطهم واهتمامهم بخير الوطن وتوطيد السكينة تحذيرهم من الانخداع بوعود زعماء الطائفة الدرزيّة. بيانه المناقضة بين هذه الوعود واعتدائهم على مسيحيي اقليم جزين. حثهم على عدم الاستسلام للاطمئنان الاّ بعد فتح طريق جزين. وعده لهم بمساعدتهم على طرد الدروز

٢٠ ٢٥ ... حبيب عكاوي الى سعيد بك جنبلاط: وصوله الى بيروت. حركة الموارنة فيها لاخبار اخوانهم في جبة بشرّاي حتى زحله عن نشوب الحرب بين الدروز ومسيحيي اقليم جزّين واستدعاؤهم لنجدتهم. ارسالهم ٥٠ رجلًا الى الحدث مع طانيوس شاهين والامير ناصيف من جزّين للزحف منها على جزّين. اخباره الموسيو بورتاليس. انباء الحكومة. تهديدها لهم بالنفي. ورود جواب على

المطران طوبيا من موارنة لبنان باستعدادهم لارسال نجدة . انقاذ لجنة بيروت رسلًا الى جبة بشرّاي وجبيل والبترون والى يوسف كرم وطانيوس شاهين ليتهيأوا للاجتماع في المتن . زيارة اسعد جاويش المطران طوبيا . تهديد المطران اهالي دير القمر . ارساله بشاره فرعون الى طانيوس شاهين والشتيري الى المتن والقاطع . زعماء الحركة خليل نقّاش ونعوم قيقانو واسعد تابت . اطلاع كاتب التحرير واسعد جاويش مطارنة الروم الكاثوليك وقنصل انكلترة على المؤامرة . نهي مطارنة الروم الكاثوليك ابناء مذهبهم في زحله عن الاشتراك مع الموارنة . ذهابهما الى الشويفات واخبارهما قائم مقام الدروز . غاية الموارنة تولية الامير مجيد شهاب أميرًا على لبنان . رفض الروم والروم الكاثوليك في بيروت مجاراتهم

٢٢ ٢٦ . . صفر ونيوس اسقف صور وصيدا الى اهالي حاصبيا : انباء لهم باتفاق مسيحيي لبنان على ان يكونوا يدًا واحدة ضد الطائفة الدرزيّة . تحريضهم على التسلح وفقًا لامر البطريرك والشروع بالمدافعة بقيادة الامراء الشهابيين .

٢٣ ١٧ ــ ٢ حزيران : مور الى السير بولفر : حدوث قتال بين الدروز والمسيحيين في جوار صيدا . تضييق الحصار على دير القمر . ارسال كمية من المؤنة اليها . بقاء قائد البارجة فيريفلي في بيروت لمراقبة الشواطيء . ارسال سفينة نمسوية الى مصب نهر الدامور لنقل المسيحيين . تواصل القتال في لبنان . عزم خورشيد باشا على نقل معسكره من الحازمية الى مكان أعلى

٢٤ ٢٩ ــ اول حزيران : يعقوب ايلاً نائب قنصل انكلترة في صيدا الى المستر مور : نهب قاسم يوسف حماده ورجاله دير المخلص وسلبهم ماشية عين الدلب وميه ميه وعريه ومجدليون . مطاردة يوسف المبيض لهم . تراجعه الى صيدا مدحورًا . منع الحنود رجاله من الدخول . جرح جنديين . هياج المسلمين

٢٥ ٣٠ ــ ٣ منه : مور فيس قنصل انكلترة في بيروت الى السير بولفر : هجوم الدروز في اول الجاري على دير القمر وحرقهم ضواحيها . عرض اهاليها الاستسلام على شرط

صفحة عدد

وقاية حياتهم . رفض الدروز . تغاضي قائد الحامية ومتسلم المدينة . عدم ارسال المؤنة المعدة لدير القمر . حراجة احوال صيدا . ذهاب الضابط مانسل قائد البارجة فيريفلي اليها

٢٦ ٣١ ــ ٣ منه : مور قنصل انكلترة العام الى السير بولفر : حديث القناصل مع خورشيد باشا . اخباره اياهم بهجوم الدروز على دير القمر وبارساله مهر داره لايقاف القتال . اعتذار طاهر باشا قائد الجنود عن الذهاب الى دير القمر . اقتراح المستر مور ان يذهب اليها بذاته بما له من نفوذ الكلمة في زعماء الدروز . عدم استحسان رصفائه هذا الرأي . اختلاء الوالي والقائد . مجاهرة طاهر باشا باستعداده للسفر حالاً الى دير القمر . اشارة خورشيد باشا بابعاد اعضاء لجنة بيروت . موافقة القناصل . اعتذار دولته عن الذهاب الى دير القمر بحجة اضطراره الى منع يوسف بك كرم من مهاجمة الدروز . أمر بطريرك الموارنة بقفل الكنائس وحضه المسيحيين على نجدة اخوانهم

٢٨ ٣٢ ــ ٦ منه : ومنه اليه . استسلام دير القمر : نهبها وحرق بيوتها . استعداد اهاليها لهجرها . التزام الحامية حد الحيادة . تجمع المسيحيين في كسروان اصد هجمات الدروز . وصول يوسف بك برجاله الى جونيه ومفاوضته البطريرك . ذهاب الشيخ خليل حبيش برجاله الى زحله . تحريض البطريرك المسيحيين على مقاتلة الدروز وتعيين رواتب للمقاتلين . محاولة الدروز مهاجمة زحلة . توسط القناصل . وعود خورشيد باشا الفارغة صداً لهجوم الدروز

٢٩ ٣٣ = ٣ منه : المستر فورد والمستر ادي المرسلان الاميركيان في صيدا إلى قنصلية اميركا في بيروت : فرار ٣٠٠ نسمة من جزين للالتجاء إلى صيدا . نزع سلاحهم واشتراك المسلمين مع الدروز في قتلهم جميعاً . اغتصاب النساء . زحف الدروز على المسيحيين اللاجئين حوالى قرية المعارية محاولتهم الهرب لجهة صور . صد المتاولة لهم . قدوم الدروز إلى المدينة وشراؤهم الذخائر . رفض البكباشي الاذن للاثنين

صفحة عدد

بدخول المدينة

٣٠ ٣٤ ــ ٤ منه : ومنها ايضاً : خمود الهياج في صيدا على أثر وصول بارجتين انكليزية وروسية . استمرار المجزرة والنهب خارج الاسوار . مقتل خمسة رهبان . اسراف المسلمين بالقتل

٣١ ٣٥ ــ ٤ منه : مانسل قائد البارجة فيريفلي الانكليزيّة إلى أمير البحر فانسهوى : رسو بارجته في مياه صيدا . مفاوضته المدير والمفتي والبكباشي . وعد المدير بارسال قوّة الى الضواحي لايقاف المذابح . موافقة المفتي والبكباشي على تعهده . اجتماع المسيحيين في الخان الفرنسوي . اعتناء الراهبات بـ ٣٠ جريحاً . استقدام قاسم بك يوسف حماده . مقابلته في بيت المدير . توقيعه عهداً بحقن الدماء وزيارته له على ظهر البارجة

٣٣ ٣٦ ــ ٤ منه : برانت الى اللورد روسل : قلق مسيحيي دمشق من ازدياد اعتداء المسلمين تحوطات المشير . الخوف في حاصبيا وراشيا من هجوم دروز اللجاه . استظهار مصطفى باشا على فيصل الشعلان بمساعدة محمد الدوخي . موت فيصل الشعلان وابنه . عدم استطاعة اسمعيل الاطرش نجدة دروز لبنان خوفاً من هجوم الدوخي . اضرام الشيخ كنج العماد النار في قرى البقاع المسيحية . فرار اهليها . اعتداء الامير اسعد الحرفوش على الناحية المجاورة بعلبك ارسال قوة لوقايتها

٣٤ ٣٧ ــ ٨ حزيران : السير بولفر إلى اللورد روسل : ورود نبأ من قنصل ازمير بنشوب الحرب بين الدروز والمسيحيين في سوريا . ايعاز السفراء إلى قناصلهم بتوحيد سعيهم لايقاف القتال . استقدام بارجة انكليزيّة من مالطه . انضمام الجنود التركية الى مسلمي صيدا لقتل المسيحيين

٣٤ ٣٨ = ٦ منه : بولفر الى مور قنصل بيروت : حثّاً له على الاتفاق مع رصفائه لايقاف القتال

٣٥ ٣٩ ــ ١٠ منه : بولفر الى اللورد روسل : انقطاع ورود تفاصيل كوائن سوريّة على

صفحة عدد

الباب العالي. اعتزامه على ارسال بارجة وجنود ومعتمد وقائد الى ذلك الصوب. نبأ المستر مور باقتتال الجنود التركية والمسيحيين اللاجئين الى صيدا

٣٥ ٤٠ — ٩ منه : مور الى بولفر : خروج مسلمي بيروت الى ضواحيها ليلاً على أثر ورود الخبر باندحار المسيحيين في المتن. جزع مسيحيي بيروت. شكواهم الى الحكومة والقناصل. وعد الكاخية بجمع رؤساء المسلمين والمسيحيين وحضهم على منع هذه المظاهرات. حسن معاملة مسلمي بيروت للمسيحيين اللاجئين. هجوم الدروز على حاصبيا وراشيا ونهب هاتين المدينتين وحرقهما وقتل سكانهما. تشيع الجنود التركية للدروز. مدافعة الامير سعدالدين الشهابي وصدّ الدروز عن حاصبيا. هجومهم على قرية رشميا. زيارة مطران جزّين الماروني للمستر مور. وصفه البلايا والفواجع التي حلت باقليم جزين. استنهاض همة سعيد بك جنبلاط لانقاذهم. ذهاب البارجة فيريفلي ثانية الى صيدا وصور وعودها منهما باخبار الطمأنينة. تحريض الحكومة على انقاذ ٦٠٠ الى ٧٠٠ لاجيء محتبئين في جوار صيدا

٣٨ ٤١ — ١١ منه : ومنه اليه : عرائض مطارنة زحلة واهاليها الى القناصل العامين وخورشيد باشا لانقاذ مدينتهم. اجتماع القناصل. رد اقتراح قنصل فرنسا انقاذ كتاب اجماعي الى خورشيد باشا القاء لتبعة انقاذ زحلة عليه. اتفاقهم على الاقتصار على ابلاغه العرائض المذكورة

٣٨ ٤٢ — ١٠ منه : بطريرك الموارنة واساقفته الى خورشيد باشا : حثهم المسيحيين على الانقياد لنصائح دولته وقناصل الدول. اخلاد ابناء مذهبهم الى السكينة. استمرار الدروز على الاعتداء. مفاجأتهم مسيحيي اقليم جزين وديرالقمر والشوف وغربي البقاع والعرقوب والمناصف والشحّار والجرد والغرب وسهل بيروت والمتن واقترافهم الفظائع وحرقهم الاملاك والكنائس والاديار. الالتماس من دواه الاهتمام بحقن الدماء

٤٠ ٤٣ — ٩ منه : اساقفة زحلة الى القناصل العامين : التماس توسطهم لانقاذ زحلة.

صفحة عدد

الخوف من قرب انضمام دروز حوران وحاصبيا وراشيا الى اخوانهم المحاصرين المدينة .

٤١ ٤٤ ــ ١٠ منه : بطريرك الموارنة وخمسة من اساقفته الى مور: بيان انقياد المسيحيين لنصائح القناصل ومواصلة الدروز اعتداءاتهم وسكوت الحكومة عنهم . الاستغاثة به لمنع هذه البلايا

٤١ ٤٥ ــ ١١ منه : القناصل الى خورشيد باشا : ابلاغه عريضة اساقفة زحلة

٤٢ ٤٦ ــ ١٢ منه : خورشيد باشا الى القناصل : اثباته زحف دروز حوران على زحلة . دعواه عدم السلطة عليهم . كتابه الى مشير دمشق ليوقف زحفهم . انذاره دروز لبنان بالعودة الى بيوتهم

٤٣ ٤٧ ــ ١٣ منه : مور الى السير بولفر : قدوم بارجة انكليزية وبارجتين فرنسويتين بقيادة امير البحر لارونسيير دي نوري

٤٣ ٤٨ ــ ١٦ منه : ومنه اليه : ذعر مسيحي دمشق من قدوم دروز حوران وعربها وهجومهم مع مسلمي المدينة عليهم . زيارة القناصل خورشيد باشا . اذنه لخمسة الاف مسيحي في بكفيا بابقاء سلاحهم والى اللاجئين الى بيروت بالتسلح والانضمام الى اخوانهم . ارساله ٥٠٠ جندي لنجدة زحله . تضييق دروز حوران الحصار عليها . تدمير حاصبيا وراشيا حدوث واقعة خارج زحلة في ١٣ الجاري دون نتيجة . مناعة زحلة . الاشفاق من ان سقوط زحلة يجر الى خراب لبنان ودمشق

٤٤ ٤٩ ــ ١٨ منه : برانت الى اللورد روسل : تدمير دروز حوران بقيادة اسمعيل الاطرش راشيا . مقتل الامراء الشهابيين فيها . تشييع الجنود الدروز . التجاء النساء والاطفال الى دمشق . ارتكاب علي بك حماده والشيخ كنج العماد الفظائع في حاصبيا . تظاهر عثمان بك قائد الجنود فيها باطلاق المدافع على الدروز . جمع اسلحة المسيحيين والامراء الشهابيين . ذبحهم . التجاء بعضهم الى دار السيدة

صفحة عدد

نايفة . اخلاف احمد باشا مشير دمشق وعده بانقاذ اهالي حاصبياً وراشيا وتعزيز حامية بعلبك . نهب الامراء الحرافشة لهذه المدينة الاخيرة . اتهام المشير بالرغبة في ابادة المسيحيين وتدمير المدينة . ارسال القناصل كتاباً اجماعياً اليه ليجمع مجلس الايالة . استصواب اعيان المسلمين هذا الرأي

٤٧ ٥٠ ــ ٢ حزيران : رسائل يعقوب ابيلاً قنصل صيدا الى مور: التجاء ٢٠٠ مسيحي الى بيته حريق معمل الحرير خاصته

ــ ٣ منه : صد الحكومة أبي سمرا غانم عن دخول المدينة بـ ٥٠٠ شخص . مطاردة قاسم يوسف حماده المسيحيين في ضواحي المدينة وقتلهم . التصميم على ابادة كل المسيحيين الجبليين . تواطؤ مأموري الحكومة التركية وضباطها مع الدروز . سفر قنصل الروسية . طلب العضد

ــ ٥ منه : وصول قائد البارجة فيريفلي . استكتابه قاسم يوسف تعهداً بحماية المسيحيين . قتل مسلمي صيدا ٣٠٠ نسمة . كتابا سعيد بك جنبلاط اليه . منع الحكومة اللاجئين من دخول صيدا

ــ ٦ منه : اتفاق قاسم يوسف ومسلمي صيدا على ابادة المسيحيين : تحريض المفتي والقاضي والمدير والاعيان المسلمين على الخروج وقتل المسيحيين . اشتراك الجنود بالقتل . حريق دير الخلص وكنيسته . تأمين الدروز المسيحيين اللاجئين الى جباع وغدرهم بهم . هياج مسلمي صيدا . ذعر المسيحيين

ــ ٧ منه : استمرار الدروز على ارتكاب الجنايات في جوار المدينة . الاعتداء على المسيحيين الذين قصدوا بلاد المتاولة واضطرارهم الى الاختباء في الغابات . عوز اللائذين بصيدا . طلبه من الحكومة قوة عسكرية لانقاذ المختبئين في الكهوف . عدم اجابة سؤله

ــ ٨ منه : الامر الى جميع الطوائف بالتزام جانب السكينة ومعاودة الاشغال

ــ ٩ منه : تشيع الحكومة . الحث بوعودها . اباؤها الافراج عن اللبنانيين

صفحة عدد

المحبوسين بدعاو كاذبة

ـ ٩ منه : عريضة الكاهن حنا عازر الجزيني استمرار الدروز على ارتكاب الجنايات والسرقات . الاذن لهم بحمل السلاح . تحظيره على المسيحيين . مواصلة اعتداء الدروز على المسيحيين . ايفاد سعيد بك حسين بركات وه من انسبائه لحماية دير المخلص . نهب موجوداته الثمينة . انقاذ الراهب اسطفان وشقيقه سليم افندي و٥٩ مسيحياً!

ـ ١٠ منه : قتل المسيحيين في المجدل والسامرية . دفع قرية مغدوشة الى عائلة شمس ٧ الاف قرش فدية عنها

ـ ١١ منه : جبن الجنود المرسلة لانقاذ اهالي المجدل . احتراق قرية عريه . حرق غابات جباع . استبدال مدير صيدا بغيره . تعصب المدير الجديد . استياء المجلس والمفتي منه لضبطه السلاح المرسل الى الدروز . اعتداء الشيعيين على اللاجئين اليهم

ـ ١٢ منه : جنايات دروز غريفه والشوف . مقتل الياس سويدي من عريه . اجتياح المقدم محمد الشيعي اقليم جزين . حريق قريتي سربا وجرجوع . رافع عبد الصمد ونهبه الماشية . امتداح اهالي جزين من سلوك حسين بك

ـ ١٣ منه : كتاب اهالي دير القمر الى ابراهيم مشاقه . عريضة اهالي جزين المختبئين في غابات جباع . وصول رجل من حاصبيا ووصفه نكبتها

٥١ ـ ١٥ حزيران : جون هرفه قائد اليخت كليمور الى القنصل فين : رسو سفينته في صور مخاوف المستر عطاالله قنصل انكلترة فيها من هجوم الدروز عليها وسؤاله البقاء فيها . رفضه ثم رضاه بعد ورود تحرير على مطران الروم من احد زعماء الشيعيين انباء له بهجوم الدروز ليلاً . ادناء سفينته من الشاطئ . تصريحه للقنصل انه يكتفي بالتهويل وانه لا يقاتل الدروز لانهم اكرموا ضيافته وهم اصدقاء حكومته . أشارته بنقل النساء والاطفال الى السفن الراسية حواليه متكفلاً

٥٦

صفحة عدد

بحمايتهم . عدول الدروز عن مهاجمة المدينة احتراماً للقوة الانكليزية . خوفه من تغور الدروز من انكلترة . انفاذه كتاب اعتذار الى سعيد بك جنبلاط

٥٩ ٥٢ ـ ١٦ منه : سكين قنصل حلب الى السير بولفر : تظلم اهالي حلب من تغيير اسعار الدراهم . اشتداد المخمصة اساءة حسن جاويش ورجال الشرطة وكاخية الوالي معاملة المسيحيين . مرافقة القناصل رجال الدين الى نادي الوالي . طلبهم القاء القبض على الكاخية وحسن جاويش . رفض المجلس اجابة طلبهم . احتجاجهم . اصرار الوالي والمجلس . رفع شكواهم الى السفراء

٦٢ ٥٣ ـ ١٣ منه : مور الى الشيخ اسمعيل الاطرش : يوعز اليه بالرجوع ورجاله الحوارنة عن مهاجمة زحله وينذره بسوء المغبة

٦٢ ٥٤ ـ ٢٠ منه : مور الى الامير محمد ارسلان : استنهاض همته لرد الدروز عن دير القمر ومنعهم من الحاق الاذى بالمسيحيين الموجودين في قائم مقاميته وفقاً لوعده

٦٣ ٥٥ ـ ١٩ منه : الشيخ اسمعيل الاطرش الى مور : اعلان انقياده لاوامره . تلاوته تحريره على المشايخ . عودتهم الى حوران

٦٤ ٥٦ ـ ٢٠ منه : (مور الى بشير بك نكد) . يحثه على منع الدروز من مهاجمة دير القمر . ويذكره بوعوده

٦٤ ٥٧ ـ ٢٠ منه : (ومنه الى سعيد بك جنبلاط) بالمعنى ذاته

٦٥ ٥٨ ـ ٢٠ منه : (مور الى السير بولفر) . تناقض الاخبار عن حصار زحله . تفاني المسيحيين والدروز في الدفاع والهجوم . خسائر الدروز ١٥٠٠ وخسائر المسيحيين ٧٠٠ . الريبة في سلوك خورشيد باشا وسائر الضباط الاتراك وارباب السلطة . سوء سلوك عثمان بك قائد حامية حاصبيا وحامية دير القمر ومشير دمشق . تحالف الجنود التركية والدروز

٦٦ ٥٩ ـ ١٩ منه : (بيان قناصل الدول في بيروت) . خبر ذهابهم الى معسكر خورشيد باشا في الحازمية للاتفاق معه على حقن الدماء . تجاهله خبر سقوط زحلة .

صفحة عدد

عزمه على عقد صلح بين المسيحيين والدروز على شرط تناسي الماضي . عـدم استصواب القناصل هذا الرأي . اصراره عليه

٦٧ ٦٠ ـ ٢٠ منه : (القناصل العامون الى خورشيد باشا) . معالنته اتفاق دولهم على وجوب وضع حد للاقتتالات الحاحهم عليه باتخاذ الوسائل لتحقيق هذه الامنية

٦٨ ٦١ ـ ٢١ منه : (مور الى السير بولفر) . سقوط زحلة . اشتراك الجنود مع الدروز في مهاجمة المسيحيين . فقدان الثقة في الحكومة التركية . عزم مسيحي بيروت على مغادرتها . شقاء المنكوبين

٦٩ ٦٢ ـ ٢٣ منه : (ومنه اليه) . ذبح الدروز سكّان دير القمر . عفوهم عن النساء والاطفال . التجاء هؤلاء الى الدامور ونقلهم الى بيروت . اشتراك جنود الحامية مع الدروز بذبح المسيحيين بعد أخذ أسلحتهم . الذعر في صور وصيدا . القلق في دمشق . مقتل مسلم في بيروت . وصول بارجة عثمانية تقل ٢٠٠٠ جندي . ابتداء القناصل . القاء القبض على قاتل المسلم والحكم عليه بالاعدام

٧١ ٦٣ ـ ١٦ منه : (عريضة الفارّين من مسيحيي حاصبيّا الى قنصل روسيا) تفصيل مقتل اخوانهم وحريق بلدتهم . اشتراك الجنود وقائدها عثمان بك بهذه المجزرة بعد نزع السلاح من ايدي المسيحيين . حرق قرية الكفير وقتل اهليها . التجاء النساء والاطفال الى دار السيدة نايفه . التماس مساعدة الناجين

٧٣ ٦٤ ـ ... (شهادة شاكر وفتح الله جهامي الحلبيين وكيلي المستر برد المرسل الاميركي في دير القمر) . دخول الدروز دير القمر . جمعهم السلاح من ايدي المسيحيين بمساعدة الجنود التركية . اشتراك الجنود مع الدروز بالنهب والقتل . لياذ المسيحيين بدار الحكومة . المجزرة . تفاصيل هولها . اشتراك الجنود بها . ذهاب الدروز الى ثكنة بتدين وقتلهم اللاذين بها . اضرام النار في بيوت البلدة . وصول خورشيد باشا الى دير القمر . اذاعته نشرة بايقاف النار والذبح . عدم مبالاة الدروز بها . مواصلتهم القتل والسلب والحرق

صفحة عدد

٧٦ ٦٥ ــ ٢٦ منه : (مور الى السير بولفر) . انتشار الفوضى في بيروت . محاكمة المسيحي المتهم بقتل المسلم والحكم عليه بالاعدام وتنفيذ الحكم تحت ضغط الشعب . جبن الحكومة . الاعتداء على المسيحيين الوطنيين وبعض الاوربيين . عزم الدروز والمسلمين على الاعتداء على المسيحيين العزّل اللاجئين الى صيدا . تحوط بحارة البوارج الفرنسويّة والانكليزية لهذا الامر . وصول بعض اللاجئين من دير القمر . ذعر مسيحي بيروت . مهاجرة بعض المسيحيين وطنهم الى مالطه والاسكندرية . وقوف دولاب التجارة

٧٨ ٦٦ ــ ٢٧ منه : ومنه اليه : حرق شيعي نهر ابرهيم بعض بيوت المسيحيين في قرية فتري . ثأر المسيحيين لانفسهم . استمرار الحرب في الجبل . احتشاد المسيحيين في جونيه بامرة يوسف بك كرم . انقاذ القناصل رسالة اجماعية الى احمد باشا وخورشيد باشا . منع الحكومة مهاجرة المسيحيين الى الاسكندرية

٧٩ ٦٧ ــ ١٤ الى ٢٣ منه : (تابع بيانات الموسيو ابيلا الى مور) هجوم الدروز على مرج عيون ونهبها وحرقها . اخلاف محمد بك الاسعد وعده . منع الحكومة المسيحيين من الالتجاء الى صيدا . اذنها للدروز والشيعيين والمسيحيين بدخولها مسلحين . تمنع الحكومة عن انقاذ المسيحيين المختبئين في الغابات . وصول الخوري بطرس معوشي الى صيدا مع بعض اللاجئين التماس اهالي جزين المتشتتين العون . وصول بطريرك الروم الكاثوليك بحفارة الدروز . الذعر والمخمصة . مقتل خليل أبي الروس . حرق الدروز جباع ونهبها وجرحهم الشيخ عبدالله نعمه زعيم الشيعيين . قتلهم بعض الفارّين من اهالي جزين

٨٢ ٦٨ ــ ٣٠ منه : (القنصل برانت الى السير بولفر) صعوبة تثبت الاخبار لتباين مصادرها . اعتذار أحمد باشا مشير دمشق عن عدم اتقائه فاجعة حاصبيا وراشيا باستقدام الباب العالي الجنود من سوريا واضطرار مصطفى باشا الى البقاء في حوران لوقاية الحصيد . اخلاف المشير وعده بارسال قوّة لانقاذ الذين نجوا من

صفحة عدد

المجزرة . حماية السيدة نايفه المسيحيين . رواية بروتستاني من حاصبيا تفاصيل مجزرتها . حصار الدروز حاصبيا . استغاثة المسيحيين بعثمان بك . مراوغته . دفاع المسيحيين . التجاؤهم الى السراي . مجيء السيدة نايفه الى السراي . تسليم المسيحيين اسلحتهم الى عثمان بك لقاء تعهده بحمايتهم . توزيع هذه الاسلحة على الدروز . تضور المسيحيين جوعاً في دار الحكومة . اجتماع عثمان بك بعلي بك حماده في دار السيدة نايفه وصول الشيخ كنج العماد موفداً لانقاذ المسيحيين . قتل جرجس الرئيس . فتح عثمان بك ابواب السراي . المجزرة وفظائعها التجاء الناجين الى دار السيدة نايفه . قلق المسيحيين والمسلمين واليهود في دمشق . ضعف المشير وتردده . نكبة زحلة . اعتداء الحرافشة على بعلبك . المخمصة . عوز المنكوبين . وجوب تعزيز الدولة التركية جيشها لكبح جماح القبائل الهمجية فيها

٨٨ ٦٩ ــ ٢٨ منه : (مور الى السير بولفر) اجتماع القناصل . انفاذ كتاب أجماعي الى زعماء الدروز وتكليف المستر سيريل كراهام بايصاله . ارسال كتاب مثله الى بطريرك الموارنة . مواصلة الدروز الاعتداء في صيدا مع وجود خورشيد باشا فيها . استخدامه قاسم يوسف حماده قاتل المسيحيين

٩٠ ٧٠ ــ ٢٧ منه : (القناصل العامون في بيروت الى زعماء الدروز في لبنان) انذاراً لهم بايقاف المذابح وتحذيرهم عواقب رفضهم الوخيمة

٩٠ ٧١ ــ ٢٩ منه : (المستر كراهام الى القنصل مور) . وصوله الى المختارة . اجتماعه بسعيد بك جنبلاط وبشير بك نكد . اباء سعيد بك استقدام زعماء الدروز للمفاوضة . ايفاد رسول الى المذكورين . اصرار سعيد بك وبشير بك على عدم كتابة تعهد بحفظ السلم . سوء سلوك الحكومة التركية . مشهد دير القمر المفجع . تراكم جثث القتلى . عزمه على زيارة يوسف عبد الملك وحسين تلحوق

٩٣ ٧٢ ــ ٢٩ منه : (رواية مخائيل غبريل عن مذبحة راشيا وجوارها) . قتل الدروز

صفحة عدد

مكاريين من ديرالقمر بجوار كفرقوق شكوى اقاربهما . قبض الامير علي شهاب على اثنين من الجناة . هياج الدروز . اطلاق سراح السجينين . هجوم دروز راشيا على دير القمر وحرقهم بيوتهـا . قتلهم المسيحيين في قرى حوش وبيت لهيا وكفرمشقي . اهتمام اسرة عريان الدرزية بالتوفيق بين المسيحيين والدروز . تعهد الآخرين بالمسالمة . نكثهم عهدهم . هجومهم على راشيا . التجاء المسيحيين الى دار الحكومة . قدوم اسمعيل الاطرش وسائر زعماء دروز حوران . تواطؤهم مع اميرالاي الجند . حريق عيحه . دخول الدروز دار الحكومة . قتلهم المسيحيين ونهب بيوتهم وحرقها

٩٥ ٢٣ ـ ٢٥ منه : (شهادة السيد حمود دريان قواص قنصلية بروسيا في بيروت) . ايفاده الى دير القمر لخفارة خليل الباشا . الحاح القائم مقام عليه في الشويفات بعدم المرور في دير القمر . وصوله الى المختارة . مقتل مسيحيين امام دار سعيد بك . الجنود التركية في المختارة . ذهابه الى دير القمر . خرابها . جثث القتلى في الثكنة العسكرية . التهاء الدروز بنهب ما بقي فيها . افتدائه ابنة خليـل جاويش . مشاهدته جثث القتلى في سراي بتدين

٩٧ ٢٤ ـ اول حزيران : (المطران طوبيا عون الى القناصل العامين) ايعازه الى المسيحيين بالاخلاد الى السكينة . انقيادهم لنصائحه . استئناف الدروز الاعتداء على المسيحيين . تغاضي المشير عن ردعهم . سواغية تأهب المسيحيين للدفاع عن انفسهم

٩٨ ٧٥ ـ ٣٠ منه : (الكونت دي بنتيفوليو قنصل فرنسا في بيروت الى سفير دولته في الاستانة) . شكوى اهالي كسروان من اصحاب الاقطاع . طمع الاكليروس باحراز السيادة . قيام الامراء اللمعيين على نسيبهم الامير بشير احمد . ثورة اهالي كسروان على مشايخهم الخازنيين . رغبة الحكومة في اضعاف كل فريق بواسطة الاخر . انتشار الفوضى في لبنان .

٩٩ ٧٦ ـ ٣٠ منه : (مور الى السير بولفر) بيان عدد القرى المسيحية المحروقة والقتلى

صفحة عدد

والمنكوبين . خسائر الدروز

١٠٠ ٧٧ ــ ٣ تموز : (مقتطفات من بيان المستر كراهام عن مهمته الى زعماء الدروز) . مروره بدير القمر . خرابها . تراكم الجثث في طرقاتها . بلوغه المختاره . أباء سعيد بك دعوة زعماء الدروز الاجتماع في المختارة . معالنته استياء انكلترة من اعمال الدروز . محاولة سعيد بك ايهامه ان لا سلطة له على الدروز . حيله . تظاهر احد اتباعه بعدم طاعته . اعتذار زعماء الدروز عن موافاته الى المختاره . رفض سعيد بك وبشير بك ان يجيبا على كتاب القناصل . اعوجاج سلوكهما . ذهابه الى خطار بك العماد ويوسف عبدالملك وحسين تلحوق . تبرؤهم من التدخل في الحرب ودعواهم عدم السلطة على الدروز . عودته الى بيروت . اثباته خبر فظائع دير القمر . الحاحه على سعيد بك بدفن جثث القتلى . حسن سلوك السيدة نايفه . غدر امير الاي حامية دير القمر . حشره المسيحيين في السراي . ترع سلاحهم . اشتراك جنوده مع الدروز بذبحهم . احترام الدروز النساء

١٠٥ ٨٧ ــ ٣ تموز : جواب زعماء الدروز الى القناصل العامين : ادعاؤهم ان المسيحيين هم البادئون بالشر نسبة حدوث هذه القلاقل الى لجنة بيروت والرئيس الروحي فيها . تبرير نفوسهم مما عُزي اليهم . تظاهرهم بالمسالمة ورغبتهم في عقد صلح نهائية ترضي الفريقين

١٠٧ ٧٩ ــ ٥ منه : (بنتر قائد البارجة اكسموث الى الفيس اميرال مارتين) وقوف الاعمال ودولاب التجارة في المدن الواقعة على سيف البحر . وصف الفظائع التي حلت براشياً من ذبح ونهب وحرق . القلق في دمشق وحلب وحمص . اعتقاد المستر كراهام وجميع الاوربيين ان الحكومة التركية هي التي دبّرت مذابح هذه البلاد . حدوث منازعات في حلب بين المسلمين والمسيحيين . ايداع اعيان النصارى السجن . ازدياد تعصب المسلمين في دمشق . تحظير الحكومة على المسيحيين حمل السلاح . اذنها به للمسلمين والدروز . قتل فرسان الحكومة ٣ مسيحيين على مقربة من

صفحة عدد

ابواب المدينة

١٠٩ ٨٠ — ١٤ منه : (مور الى السير بولفر) جواب زعماء الدروز على كتاب القناصل الاجماعي . عقد الصلح بين المسيحيين والدروز . اجحافه بحق المسيحيين

١٠٩ ٨١ — ٦ منه : عهد صلح بين الدروز والموارنة : تناسي ما مضى . عدم الحق لفريق بمطالبة الآخر بتعويضات منذ بدء الحرب . السعي الى تنفيذ اوامر الحكومة . التعهد ببذل الجهد لتوطيد عرى الالفة

١١١ ٨٢ — ٥ منه : (المستر بيتر ميشولام الى فين قنصل انكلترة في القدس) . وصوله الى بتدين . التقاؤه ببعض الجرحى . الاتفاق بين الدروز والمسيحيين في كفرقطره خراب دير القمر . وصوله الى بعقلين . اجتماع زعماء الدروز في المختاره . ترديد سعيد بك نصائح المستر المذكور على مسمع البكاوات . ازالة اوهامهم في مساعدة انكلترة لهم . انذارهم بالعقاب

١١٣ ٨٣ — ٦ منه : (ومنه اليه) . اعتداء الدروز على قرية المزرعة . قتلهم مسيحيين وجرحهم ثلاثة . تظاهر سعيد بك بعدم امكانه ردع الدروز

١١٤ ٨٤ — ٧ منه : (ومنهُ اليهِ) مفاوضة سليمان بك حماده . زعمه عودة السكون الى البلاد تدريجاً . عدم وجود اسرة لنقل جرحى بتدين . اختباء ٤٠ رجلاً من جزين في الغابات . عزمه على انقاذهم

١١٥ ٨٥ — ١ تموز : (عريضة الناجين من اهالي حاصبيا الى قناصل الدول) . نشوب القتال في ميمس . انقضاض الدروز على حي الحوارنه في حاصبيا . مصادمة اليوزباشي يوسف اغا للدروز . اجتماع عثمان بك بالدروز في شبعه . مرافقتهم الى شويا . خداعه هجوم الدروز ودفاع المسيحيين . التجاء الاخرين الى دار الحكومة . نهب المدينة وحرقها . تعهد عثمان بك للمسيحيين بحمايتهم لقاء تسليم أسلحتهم . وقوعها في يد الدروز . جوع المسيحيين في الثكنة . وعود عثمان بك واستمرار النهب . الاجتماع عند السيدة نايفه . وصول علي بك حماده بـ ٣٠٠ درزي وكنج

صفحة عدد

العباد بقوة من الفرسان . اجتماع اخر عند السيدة نايفه . مقتل جرجس الرئيس واني ملجم مرعي وتعذيبهما . ذبح المسيحيين والامراء الشهابيين في الشكتة . عدد القتلى . التجاء الناجين الى دار السيدة نايفه . الاموال التي اخذها الدروز فدية عنهم . غدر عائلة سيف بـ ١٨ مسيحياً في النبي حمام . نقل عثمان بك الاسلاب الى دمشق وبيعها

١٢٢ ٨٦ — ١ منه : (ميشولام الى فين) اقتناع سعيد بك جنبلاط بارسال سليمان بك حماده لحماية المسيحيين . قتل ٣ منهم في خلايل الغنم . غنارة الدروز المسيحيين العائدين الى قراهم

١٢٢ ٨٧ — ١١ منه : (ومنهُ اليه) عجز المستر ابيلاً عن اهدائه الى مخلص مسيحي جزين . مواصلة الالحاح على سعيد بك بايقاف الاعتداء . تعهده

١٢٣ ٨٨ — ٤ منه : (رواية الاب روسو اليسوعي عن سقوط زحلة وحالة صيدا) حيلة الدروز بأخذ زحلة . نشرهم اعلاماً مسيحية . استيلاء الدروز على زحلة وراشيا والجديدة ومطاردتهم المسيحيين . حراجة احوال صيدا . انقاذ امير البحر الفرنسوي لها . شقاء المسيحيين وعوزهم . غيرة الوسيو دريكللو والوسيو غلياردو والوسيو حبيب ابيلاً وراهبات مار يوسف

١٢٦ ٨٩ — اول تموز : (مريضة الناجين من مذبحة دير القمر الى قناصل الدول الخمس) موقع بلدتهم . تعقل اهاليها . هجوم الدروز الاول عليها . مقاومة النصارى . الهجوم الثاني . التجاء النصارى الى المتسلم . الهجوم الثالث . شكوى النصارى للمتسلم . وصول طاهر باشا باية جندي وعوده الكاذبة . وصول خمسماية جندي . مغادرة طاهر باشا المدينة . تضييق الدروز حصارها . نهب المدينة . ذبح اهاليها . اقتراف المنكرات والفظائع . اشتراك الجنود بها . مجزرة بتدين . تدمير امطوش سيدة التلة وقتل رهبانه . عدد القتلى . وصول خورشيد باشا . ذبح ٣٥٠ مسيحياً في بيت خليل الجاويش . حزن المنكوبين الناجين . شقاء النساء والاطفال الاستغاثة بالقناصل

صفحة عدد

١٣٦ ٩٠ — ٠ ٠ (عريضة ارامل المعاصر وبتدين الى فؤاد باشا) اكراه الجنود التركية النصارى على دخول السراي . حرق قرية المعاصر . دخول الدروز السراي واسرافهم في القتل والنهب وارتكاب الفظائع بمشاركة الجنود التركية . غدر عبد السلام بك وقساوته . حنان قرينته

١٣٧ ٩١ — ١٠ تموز . (القنصل برانت الى القنصل مود) هجوم المسلمين على الحي المسيحي في دمشق — حرقه ونهبه — سوء سلوك المشير والجنود — التجاء القناصل والى دار الامير عبد القادر — حرق دير الاباء الفرنسيسيين وقتل رهبانه

١٣٩ ٩٢ — ٩ منه : (المستر سميلي روبصن الى القنصل برانت) وصفه هياج المسلمين وتحريضهم اخوانهم على ذبح النصارى — الاخطار المحدقة به —

١٤١ ٩٣ — ١١ منه : (الضابط بنتر الى الفيس اميرال مارتين) فتنة دمشق — ذبح خمسماية مسيحي — مقتل قنصل بروسيا — احتراق دور القنصليات والبطريركيات والاديار والمدارس — وصول سفن تركية مقلة جنود — مصطفى باشا وخليل باشا — اسلام سكان قرية مسيحية

١٤٢ ٩٤ — ١١ منه : (القنصل برانت الى السير بولفر) زيارته المشير — جبنه — مشاهدته اللاجئين إلى القلعة — انقطاع الاخبار عن المرسل وليم كراهام — عودة الفتنة في صباح اليوم التالي — انقاذ المستر روبصن — اشتداد القلق والجزع

٤٤ ٩٥ — ١٢ منه : (ومنهُ ايضاً) استمرار القتل والنهب والحرق — نجاة حنا مسك — عشرة الاف مسيحي لاجئين في القلعة — وعد المشير باطعامهم ودفن القتلى — امتلاء دار القنصلية باللاجئين — نفاد مؤنته وماله — مقتل المرسل وليم كراهام — انقاذ عبدالقادر ورجاله الجزائريين النصارى — جبن الوالي وكذبه

١٤٦ ٩٦ — ١٣ منه : (القناصل العامون الى خورشيد باشا) — سؤاله عمَّا اذا كان يمكنه حماية رعاياهم ومدينة بيروت

صفحة عدد

١٤٧ ٩٧ — ١٣ منه : (جواب خورشيد باشا الى القناصل العامين) تطمينهم بناء على ازدياد عدد الجنود ـ عزمه على مصالحة الدروز والنصارى في لبنان — ضمانته حياة الاجانب

١٤٩ ٩٨ — ١٤ منه : (مور الى السير بولفر) ذهاب معمر باشا والي دمشق الجديد وخالد باشا قائد الجند اليها—عدد القتلى في دمشق وتقدير الخسائر . قبح تصرف أحمد باشا ـ مهاجرة النصارى الى بيروت ـ الهياج في حلب

١٤٩ ٩٩ — ١٨ منه : (ومنه الى اللورد روسل) وصول امير البحر جهين الفرنسوي ـ قدوم فؤاد باشا والمشير حليم باشا ـ استقدام متسلم دير القمر وقائد حاميتها ـ ارسال خورشيد باشا الى اللاذقية ـ استمرار الفتنة في دمشق ـ عودة الامن الى حلب

١٥٠ ١٠٠ ـ ١٨ منه : (مقتطفات من رسالة المستر كراهام الى اللورد دوفرين) رواية قلاقل لبنان وسوريا ـ قتال بيت مري ـ اعتداء الدروز ـ عدم اهتمام الحكومة للامر الحاحه على سعيد بك جنبلاط ـ نشوب الحرب في ٢٨ ايار ـ حرق الدروز قرية الحدث بحضور خورشيد باشا ـ مهاجمتهم حاصبيا ـ خدع عثمان بك النصارى وغدره بهم . حشرهم في السراي وفتح ابوابها للدروز . اهوال المجزرة . اشتراك الجنود بها . حماية شقيقة سعيد بك جنبلاط الناجين . قتل الامير سعد الدين شهاب واسرته . مطاردة الدروز المنكوبين . حصار دير القمر دفاع المسيحيين . استسلام الدروز للنهب مدة ٣ ايام . حصار زحله . قدوم اسمعيل الاطرش بدروز حوران وانضمامهم الى دروز لبنان . اهتمام القناصل . تهاون خورشيد باشا . خيانة نوري بك قائد النجدة المرسلة لانقاذ زحله . سقوط المدينة . استئناف الهجوم على دير القمر . خيانة متسلمها وقائد حاميتها التركية . نزع السلاح من ايدي النصارى . حشرهم في السراي . اشتراك الجنود مع الدروز بالقتل والنهب والحرق . مرور الراوي في دير القمر . مشهدها المفجع .

صفحة عدد

عدم دفن جثث القتلى . رياء خورشيد باشا . تظاهره بالاسف . هياج المسلمين في صيدا . تحريض المفتي لهم . وصول بوارج انكليزية وفرنساوية اليها . تدبير مكيدة لاهلاك النصارى . مهاجرة النصارى الى القطر المصري . ايفاد القناصل الوادي بهمته الى زعماء الدروز . انقيادهم لاغراض الباشا . موآمرة على ذبح النصارى في كسروان عقد الصلح بين الفريقين . اجحافها بحق النصارى . ٧٥ الف منكوب . منع الحكومة المهاجرة ٤ الاف قتيل في لبنان . جزع النصارى في بيروت من قدوم بوارج وجنود تركية . متنة دمشق . احتراق قنصلية روسيا وحي النصارى شهامة الامير وعبدالقادر نشاط قنصل انكلترة . خيانة احمد باشا مشير دمشق

١٦٥ ١٠١ — ٦ تموز : (تعليمات الموسيو توفنيل وزير خارجية فرنسا الى فراء دولته) بيان حق الدول في التدخل في شؤون لبنان لايقاف اضطراباته ـ اعتراف الباب العالي بهذا الحق ـ وجوب تأليف لجنة دولية لاجراء تحقيق في اسباب الاقتتالات وبيان درجة مسؤولية زعماء الفتنة ومأموري الحكومة وتعيين تعويضات وتعديل نظام لبنان ـ اهتمام فرنسا منذ القديم بشؤون لبنان بمعرفة الدولة العثمانية ـ نزاهة قصد فرنسا ـ دعوة الدول الى مشاركتها في اعادة الامن

١٦٧ ١٠٢ — ٦ منه : (رسالة الموسيو توفنيل الى المركيز دي لافاليت سفير فرنسا في الاستانة . استياء الحكومة والرأي العام في فرنسا من كواثن لبنان . حق فرنسا في حماية النصارى . استنهاض الحكومة العثمانية للتعجل بحقن الدماء . خيانة مأموريها وجوب ارسال قوة منعاً لامتداد الشر والاقتصاص من المجرمين لئلاَّ تحكم اوربا بعجزها . وجوب اعادة النظر في نظام لبنان

١٦٨ ١٠٣ — ١٦ منه : (رسالة السلطان عبدالمجيد الى الامبراطور نابوليون الثالث) أسفه على كواثن سوريا . عزمه على اعادة الامن ومعاقبة الجناة وايفاده فؤاد باشا ناظر خارجيته بهذه المهمة

صفحة عدد

١٦٨ ١٠٤ — ١٧ منه : (الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني سفير فرنسا في لندره) بيان اتساع دائرة الفتنة في سورية . اعتقاده بعجز الحكومة العثمانية عن قمعها . اقتراحه ارسال فيلق من الجنود الاوربية لهذه الغاية . استطلاع رأي انكلترة بهذا الشأن

١٧٠ ١٠٥ — ١٨ منه : (الكونت دي برسيني الى الموسيو توفنيل) . قبول انكلترة اقتراح فرنسا ارسال جنود اوربية إلى سورية . اعتذارها عن عدم ارسال جنود انكليزية . وعدها بتعزيز قواها البحرية في سوريا

١٧١ ١٠٦ — ٨ منه : (المركيز دي لافاليت الى الموسيو توفنيل) بيان ضعف الحكومة العثمانية وعسرها المالي . مخاطبة جلالة السلطان فؤاد باشا والعهد اليه بتسوية مسائل سوريا ولبنان . تسليمه الطغراء السلطانية . قول فؤاد باشا لقنصل فرنسا حين سفره . اقتراح السفير المشار اليه تقديم الاهتمام بايقاف المذابح على النظر في نظام لبنان

١٧٣ ١٠٧ — ١ تموز: فرمان السلطان عبد المجيد الى فؤاد باشا : تخويله السلطة المطلقة للاقتصاص من المجرمين واعادة الطمأنينة الى البلاد

١٧٥ ١٠٨ — ١٩ منه : (نشرة فؤاد باشا) اعلان العموم السلطة المفوضة اليه . تكفله باعادة المنكوبين الى اوطانهم وسدّ حاجاتهم المعاشية . انذار مقترفي الجنايات بانزال العقاب فيهم استعداده لسماع شكاوى المتظلمين

١٧٦ ١٠٩ — . . تموز : أمر سام الى ولاة كردستان وخربوط والموصل وبغداد ومرعش واطنه وسيواس وانقره وطرابزون وارضروم ومشير فيلق الاناطول : الامر الى الولاة المذكورين بوجوب السهر على حفظ الراحة ومنع كل اعتداء على النصارى والاجانب مع تخويلهم حق تأليف قوة من رجال الدرك لدى الحاجة دون استئذان

١٧٧ ١١٠ — ١٨ منه : (الكولونيل اوربلي الى السير بولفر) ايعاز فؤاد باشا له ايقاف السفير على حالة البلاد . عقد هدنة بين الدروز والموارنة . ذهاب خورشيد باشا

صفحة عدد

الى اللاذقية واميرالبحر مصطفى باشا الى عكا لتطمين الافكار واعانة المنكوبين.
توالي الاعتداء على نصارى دمشق . سعي كرام المسلمين الى ردع الاشرار .
استقدام المشير احمد باشا الى بيروت . محاكمة عثمان بك وعبد السلام بك
قائدي حاميتي حاصبيا ودير القمر

١٧٩ ١١١ — ٢٠ منه : خلاصة عريضة مسيحي دمشق الى القناصل . المؤامرة الاولى
على ذبحهم حيلة احمد باشا في اثارة المسلمين . نهب دار قنصلية روسيا وحرقها .
الامير عبدالقادر منقذ النصارى . ذبح ٣ الى ٤ الاف مسيحي . سبي النساء
وهتك عرضهن . اشتراك الجنود التركية في القتل والفظائع حماية سليم بك
سكان حي الميدان . قتل اسرة عنحوري . غيرة الموسيو لانوس وكيل قنصلية
فرنسا . شقاء الاحد عشر الف مسيحي الملتجئين الى القلعة . وقوف المذابح .
عدد القتلى

١٨٤ ١١٢ — ٢٠ تموز : (نطاقة الباب العالي الى سفيري فرنسا وانكلترة) بحث مجلس
النظار في مطالب الموسيو توفنيل الاربعة . قبوله بايفاد لجنة اوربية الى سوريا
لاجراء التحقيق وتعديل نظام سنة ١٨٤٥ اللبناني

١٨٥ ١١٣ — ٢١ منه : (الدوق دي مونتيبلو سفير فرنسا في بطرسبرج الى الموسيو توفنيل)
قبول الروسية باقتراح فرنسا ارسال بعثة عسكرية الى سوريا . اجازة البرنس
غورتشاكوف الى سفير دولته في باريس توقيع اتفاقية بهذا الشأن . الحاح
امبراطور الروسية باضافة مادة الى الاتفاقية تتعهد بها الدول بارسال قوات الى
سائر انحاء السلطنة كلما اعتدي على النصارى

١٨٦ ١١٤ — ٢٢ منه : (الارل كولي سفير انكلترة في باريس الى اللورد روسل) طلب
الحكومة الانكليزية تأجيل ارسال البعثة العسكرية الاوربية لورود خبر عليها
بانعقاد الصلح بين المواربة والدروز . ارتياب الموسيو توفنيل وعدم اعتداده بهذه
الصلح . الحاحه بارسال البعثة المحكي عنها . قبول انكلترة بايفاد لجنة تحقيق

صفحة عدد

١٨٧ ١١٥ ــ التاريخ ذاته : (ومنهُ اليهِ) . ورود رسالة من سفير فرنسا في الاستانة على الموسيو توفنيل يفيده بها عن تأجيل عالي باشا اعطاءه الجواب الى ما بعد مفاوضة رصفائه واستئذان السلطان محاوفه من حدوث فتنة اذا نزلت جنود اوربية في سوريّة . اصرار الموسيو توفنيل على عدم تأجيل ارسال البعثة العسكرية

١٨٨ ١١٦ ــ ٢٣ منه : (اللورد روسل الى الارل كولي) . قبول انكلترة بارسال جنود اوربية الى سورية عندما وردت عليها رسائل قناصلها مثبتة فواجع سوريّة ولبنان وسوء سلوك مأموري الاتراك . اشتراطها عقد اتفاقية بهذا الشأن بين الباب العالي والدول ووجوب جعل مدة الاحتلال ستة اشهر . ضرورة اعفاء تركيا من نفقات البعثة . ارسال انكلترة اسطولها الى ثغور سوريا . وجوب العدول عن ارسال الجنود الاجنبية اذا ثبت خبرٌ وقوف رحى الاضطرابات

١٩٠ ١١٧ ــ التاريخ ذاته . (الارل كولي الى اللورد روسل) . اعتزام الموسيو توفنيل على الايعاز لسفيره في لندره ان يحتج على عدول حكومة انكلترة عن قبولها ارسال بعثة عسكرية فرنسوية الى سورية . حق فرنسا في الانفراد بحماية رعاياها والمسيحيين . ميلها الى مشاركة الدول

١٩١ ١١٨ ــ التاريخ ذاته : (ومنهُ اليهِ) بيع الاسلحة من الدروز والموارنة . ايجاب الموسيو توفنيل انزال العقاب في مسببي الفواجع لانهُ كان يُقصد بها ابادة جميع المسيحيين . رسالة قنصل فرنسا في بيروت المثبتة دسيسة احمد باشا والي دمشق

١٩٢ ١١٩ ــ ٢٣ منه : (الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني) استغرابه عدول انكلترة عن قبولها ارسال الجنود الفرنسوية ارتيابه بعقد الصلح بين الموارنة والدروز . عدم قيمة هذا الصلح الاكراهي . الخوف من امتداد فتنة دمشق الى سائر الولايات المجاورة . بيان المفاوضات التي جرت . موافقة انكلترة على مسودّة الاتفاقية ثم عدولها . حق فرنسا بالانفراد بالتدخل ورغبتها عنه . سؤاله انكلترة العودة الى قولها السابق

صفحة عدد

١٩٥ ١٢٠ ــ ٢٤ منه : (اللورد روسل الى السير بولفر) تأجيل ارسال البعثة العسكرية . نصح السلطان باستشارة اوربا والتعجل باعادة الامن اشتراط انكلترة تعيين مدة الاحتلال واعفاء جلالته من نفقات البعثة

١٩٥ ١٢١ ــ ٢٤ منه : (الارل كولي الى اللورد روسل) ابلاغه الموسيو توفنيل عدم رجوع انكلترة عن قبولها ارسال البعثة العسكرية واقتصارها على طلب تأجيلها . عقد مؤتمر في باريس لتوقيع الاتفاقية . رضا فرنسا باعفاء تركيا من دفع نفقات البعثة

١٩٦ ١٢٢ ــ ٢٥ منه : (الكونت دي برسيني الى الموسيو توفنيل) اقرار الحكومة الانكليزية على ان ترسل فرنسا بعثة عسكرية الى سورية لقاء بعض الشروط

١٩٧ ١٢٣ ــ ٢٦ منه : (الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني) رفض فرنسا قبول شروط مجحفة بحقوقها وامن جنودها

١٩٨ ١٢٤ ــ ٢٨ منه : (اللورد روسل الى الارل كولي) رفض انكلترة اقتراح الروسية اضافة مادة الى الاتفاقية المتعلقة بارسال بعثة عسكرية الى سوريا

١٩٨ ١٢٥ ــ ٩ منه : (الامبراطور نابوليون الثالث الى الكونت دي برسيني) ازالته سوء ظنون انكلترا . رغبته في مسالمة جيرانه . نزاهة قصده من احتلال سوريا . سياسته في ايطاليا . ضغط الرأي العام عليه في بلاده للتدخل في شؤون سوريا

٢٠١ ١٢٦ ــ ٢٩ منه : (البابا بيوس التاسع الى بطريرك الطائفة المارونية واساقفتها) . حزن قداسته على مصائب المسيحيين في الشرق وعلى تصويب اعمال رجال الثورة . تعزية المسيحيين وتشجيعهم . الاحسان اليهم . وجوب تضافر الملوك المسيحيين على مقاومة الاشرار في الشرق والغرب . تمنياته وبركته للمنكوبين

٢٠٣ ١٢٧ ــ (آية دمشق الى مسلمي سورية) . تقبيحهم مساواة المسيحيين بهم . تحليل قتلهم وهتك حرمة عرضهم واغتصاب اموالهم . استشهادهم ببعض الفتاوى واقوال قرآنية مفاوضتهم بعض اركان الدولة . انتظامهم في سلك الجمعيات السرية في الاستانة . اقرارهم على خلع السلطان ومبايعة شقيقه

صفحة عدد

عبد العزيز . تصميمهم على ابادة جميع مسيحي لبنان وسورية

٢٠٦ ١٢٨ ــ ٢٩ منه : (رواية الموسيو شارل اوبانل عن مذابح دمشق الى الجمعية الشرقية) مكيدة مسلمي دمشق النصارى تآمرهم مع الدروز والاكراد . استدراك الامير عبد القادر الامر . انزال المسلمين الاهانات بالمسيحيين . تشبيه ملوك اوربا بالكلاب . رسم الصلبان في الازقة ودوسها ارسال المشير راسميها لتكنيس شوارع الحي المسيحي . هياج المسلمين . المذبحة وفظائعها . اشتراك الجنود بها . شهامة الامير عبدالقادر . انقاذه اكثر من عشرين الف مسيحي . حريق الحي المسيحي وبعض دور القنصليات ودير الاباء الفرنسيسيين ومقتل رهبانه واللائذين به . استشهاد الاب انجلو كاهن اللاتين وشيخ من اسرة مسابكي . الامتداح من سلوك الامير عبدالقادر . جود فرنسا

٢١٠ ١٢٩ ــ (رواية ضابط تركي في دمشق) . بسط اسباب الفتنة . تجنيد الرعاع . حججه على ان الفتنة مدبرة من قبل . اسراف الباوكباشي سليم آغا بالقتل والنهب والحرق . تأثر المسلمين والبدو والدروز على المسيحيين . نصب اعلام على بيوت المسلمين . اشتراك الحرس والجنود واعضاء المجلس الكبير وزعماء القوم واعيان المدينة بالمؤامرة . فظائع المجزرة . شهامة الامير عبدالقادر وانقاذه جمهورًا غفيرًا من المسيحيين . تنكر كثيرين من مشايخ المسلمين واعيانهم بازياء مختلفة ونهبهم بيوت المسيحيين

٢١٤ ١٣٠ ــ ٢٦ ايلول : (اللورد دوفرين الى اللورد روسل) ارساله رواية المستر روبصن عن مذبحة دمشق وشهادته بصدق كاتبها

٢١٥ ١٣١ ــ ... (رواية المستر روبصن) ازدياد اعتداء المسلمين وخوف المسيحيين . صبر هؤلاء على الضيم . نشوب الفتنة على أثر اكراه صبيان المسلمين على تكنيس شوارع الحي المسيحي . اسراف الباشبوزق بامرة سليم آغا المهايني ومصطفى بك الحواصلي ومحمد سعيد آغا الكردي بالقتل والنهب والحريق . اقدام مسلمي

صفحة عدد

الصالحية على القتل والنهب بقيادة الشيخ عبدالله الحلبي تفاصيل المجزرة وفظائعها . سبي النساء وهتك عرضهن واكراه بعضهن على الاسلام . تقدير عدد القتلى والخسائر المادية . بيان اسباب عدم قتل الاطفال . اعتقاد شعب دمشق ان كل ما فعله كان برضا مأموري الحكومة واعيان المدينة ورؤساء الدين ومطابقاً لشريعتهم . شهامة الامير عبدالقادر واميرالاالاي صالح بك

٢٢٧ ١٣٢ ــ ٢٧ منه : (عالي باشا إلى أحمد وفيق افندي سفير باريس) قبول الباب العالي بايفاد لجنة اوربية الى سوريا للتحقيق في كوائنها . قبوله ايضاً بارسال بعثة عسكرية على شرط تعيين عدد الجنود وتحديد وقت جلائها والعمل بالاتفاق مع مندوب الباب العالي

٢٢٨ ١٣٣ ــ ٣٠ منه : (موزوروس افندي الى اللورد روسل) . سؤاله عدول انكلترة عن قبول ارسال بعثة عسكرية الى سورية والتهويل بحدوث فتنة اذا ما أرسلت هذه الجنود

٢٢٩ ١٣٤ ــ ٣١ منه : (الارل كولي الى اللورد روسل) اقتراح سفير الروسية اضافة مادة الى الوثيقة تجعلها شاملة سائر انحاء السلطنة . رفض سفير تركيا هذا الاقتراح . اعتراض وزير خارجية فرنسا عليه . تعديل سفير الروسية اقتراحه . ممالئة سفير انكلترة سفير تركيا . قبول سفيري النمسا وبروسيا باقتراح الروسية

١٣٢ ٢٣٥ ــ ٢٦ منه : (فؤاد باشا الى المستر مور) . معالنة تناصل الدول في بيروت كف يد خورشيد باشا عن وظيفته والعهد بادارة شؤون الايالة بالوكالة الى امير البحر مصطفى باشا

٢٣٢ ١٣٦ ــ ٢٨ منه : (مور الى السير بولفر) . سفر فؤاد باشا الى دمشق . عزمه على استعمال الشدة فيها . وصول بارجة من الاستانه تحمل كتباً اليه توجيه فرنقو افندي والمطران طوبيا الى كسروان لعقد الصلح بين فلاحي كسروان ومشايخهم الخازنيين

صفحة عدد

٢٣٣ ١٣٦ ــ ١٩ تموز : (ملاتيوس مطران الروم الكاثوليك في بعلبك الى القنصل مور). وصفه البلايا التي نزلت به وبابناء رعيته في بعلبك . هجوم المتاولة والمسلمين عليهم وقتلهم ونهب اموالهم وحرق بيوتهم . عدم اهتمام عامل بعلبك للامر مع وجود قوة كافية لديه . هجوم عصابات اللصوص برئاسة الامراء الحرافشة على فارس آغا قادر عامل بعلبك وقتل بعض اتباعه . فرار سيادته مع بعض ابناء رعيته . هجوم حسن آغا يازجي برجاله على المسيحيين الباقين اسرافهم بالقتل والنهب وهتك العرض . هجوم المسلمين والمتاولة على القرى المجاورة بعلبك ونهبها وحرقها وقتل مسيحييها تقديره خسائر ابناء طائفته وسائر المسيحيين . استغاثته بحكومة انكلترة

٢٣٦ ١٣٧ ــ ٣٠ منه : (اللورد روسل الى اللورد دوفرين). تعيين اللورد دوفرين ممثلاً لانكلترة في اللجنة . ايقافه على غرض اللجنة

٢٣٦ ١٣٨ ـ اول اب : (الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني). ارتياب انكلترة بامكان تنفيذ الوسائل التي تقرر اتخاذها في سورية . سعي فرنسا الى ازالة هذه الريبة . قبول انكلترة ان تضيف الروسية اقتراحها الى الاتفاقية . سعي فرنسا في التوفيق وحقن الدماء

٢٣٨ ١٣٧ ـ اول اب : (اللورد روسل الى السير بولفر). قبول انكلترة بمقترحات فرنسا بناء على ما رأته من سوء سلوك المأمورين الاتراك والجنود

٢٣٨ ١٣٨ ــ ٣ اب : (صك « بروتوكول » جلسة المؤتمر المعقود في باريس) . اجتماع ممثلي الدل وتوقيعهم اتفاقية قوامها ٧ مواد : ١ً ارسال بعثة عسكرية اوربية الى سورية : ٢ً رضا فرنسا بارسال هذا الجيش : ٣ً مخابرة القائد العام مندوب الباب العالي والاتفاق معه : ٤ً وعد الدول بارسال قوة بحرية : ٥ً جعل مدة الاحتلال ٦ اشهر : ٦ً تعهد الباب العالي بتسهيل تموين هذه البعثة : ٧ً توقيع هذه الاتفاقية بمدى خمسة اسابيع

صفحة عدد

٢٤٢ ١٣٩ ــ ٣ منه : (قرار آخر) تصريح الدول في عدم رغبتهنّ في الاستيلاء على بعض اراضٍ او اكتساب نفوذ او امتياز . تذكيرهنّ الباب العالي بوعوده بوقاية المسيحيين واصلاح احوالهم

٢٤٣ ١٤٠ ــ ٢ منه : (الارل كولي الى اللورد وسل) زيارة اللورد دوفرين للسيو توفنيل . الحاحه في تزويد جميع المندوبين تعاليم متماثلة حذرًا من وقوع خلاف بينهم

٢٤٤ ١٤١ ــ ٤ منه : (اللورد روسل الى الارل كولي) ارتياب انكلترة بامكان الاتفاق على وضع هذه التعاليم في باريس

٢٤٤ ١٤٢ ــ ٣ منه : (الكونت كاڤور رئيس وزارة سردينيا الى المركيز دي ازيليو سفير دولته في لندره) . طلب حكومة سردينيا الاشتراك مع دول اوربا والتدخل في شؤون السلطنة وفقاً لمعاهدة سنة ١٨٥٦

٢٤٧ ١٤٣ ــ ٤ منه : (نشرة امير البحر مصطفى باشا وكيل ايالة صيدا) اعلانه قرب قدوم العساكر الفرنسوية . ازالته المخاوف من مجيئها

٢٤٨ ١٤٤ ــ ٨ منه : ١ نشرة فؤاد باشا في الجنود التركية في دمشق) . اعلانه قرب وصول الجنود الاوربية وغايتها . حثه جنود دولته على حسن معاملتها

٢٤٩ ١٤٥ ــ ٤ منه : (فؤاد باشا الى المستر مور) اعلاماً له بالقائه القبض على ٣٣٠ سفاحاً . استعادته بعض المسلوبات . اعادة السكون الى المدينة . تأليفه مجلساً خارق العادة لمحاكمة المتهمين وعزمه على تنفيذ احكامه . ايفاده امير الالاي حسن بك ليقصّ عليهِ ما فعلهُ ويبلغه بعض امور

٢٥٠ ١٤٦ ــ ٧ منه : (مور الى فؤاد باشا) شكره على التدابير التي اتخذها . اسراره الى حسن بك ببعض امور

٢٥٠ ١٤٧ ــ ٢ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) . السكون في بيروت . مهاجرة المسيحيين وصول فؤاد باشا وارساله احمد باشا والي دمشق سجيناً الى الاستانة وابعاده خورشيد باشا . التجاء الدروز الى حوران ونقلهم اشياءهم الثمينة

صفحة عدد

٢٥١ ١٤٨ ــ ٧ منه : (خطاب نابوليون الثالث في بعثة جنود سورياً في معسكر شالون) . بيانه الغرض من ارسالهم . حثهم على حفظ شرف علم فرنسا

٢٥٢ ١٤٩ ــ ٧ منه : (نشرة المركيز دي بوفور القائد العام) ذهابهم لمساعدة جنود السلطان على الاثآر للانسانية . تذكيرهم بغودفريد دي بوليون ونابوليون

٢٥٣ ١٥٠ ــ ٨ منه : (الموسيو توفنيل الى الكونت دي برسيني) عدم استصواب الحكومة الفرنسوية تلقي المندوبين تعاليمهم من سفرائهم في الاستانة . وجوب اتفاق الدول على وضع تعاليم متماثلة مبنية على اقتراحاته السابقة وتزويدهم اياها توًا

٢٥٤ ١٥١ ــ ٤ منه : (المسيو توفنيل الى امير البحر همليز) . وجوب الايعاز الى الجنرال دي بوفور ان يجري بالاتفاق مع فؤاد باشا

٢٥٦ ١٥٢ ــ ١٠ منه : (اللورد روسل الى القنصل برانت) . ابلاغ الامير عبدالقادر شكر حكومة انكلترة

٢٥٦ ١٥٣ ــ ١٦ منه : (صورة التعليمات المعطاة لمندوب فرنسا في اللجنة الدولية في بيروت) البحث في منشأ الفتنة واسبابها . بيان درجة مسؤولية زعماء الثورة ومأموري الحكومة . انزال القصاص في الجناة . تقدير خسائر المسيحيين . تعيين التعويضات الى المنكوبين . تعديل نظام لبنان

٢٥٨ ١٥٤ ــ ٦ منه : (مور الى اللورد روسل) اثبات وجود ٤ الاف جندي في سوريا حين المذابح . حدوث المجازر في مراكز الحاميات التركية

٢٥٨ ١٥٥ ــ ١١ منه : (القنصل برانت الى اللورد روسل) نيأت فؤاد باشا . عزم دولته على تنفيذ الاحكام بحق السفاحين والجناة وعلى فرض غرامة قدرها ٢٠٠ الف ليرة انكليزية تقدير الخسائر بخمسة ملايين ليرة . تقدير قتلى دمشق بخمسة الاف

٢٥٩ ١٥٦ ــ ٤ منه : (ومنه الى السير بولفر) تسليمه فؤاد باشا لائحة باسماء السفاحين والناهبين وموقظي الفتنة . القبض على ٣٠٠ الى ٤٠٠ شقي . اعادة بعض

صفحة عدد

المسلوبات . رعب المسلمين

٢٦٠ ١٥٧ - ٩ منه : (ومنه ايضاً) انباؤه بمعاكسة اعضاء المجلس فؤاد باشا . اعادة بعض الامتعة المنهوبة . القبض على ٧٥٠ شقياً . ذعر النصارى ورغبتهم في المهاجرة . اباء المسلمين اداء الشهادة على القتلة

٢٦١ ١٥٨ ــ ٨ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) . وصفه حالة البلاد . وجود قوة كافية لتوطيد الامن . استمرار انزال الاهانات في المسيحيين ونهبهم . دس الخبازين المسلمين السم في الخبز الموزع على اللاجئين الى القلعة . شقاؤهم وموت بعضهم . امله بانقاذ الناجين من مذبحتي حاصبيا وراشيا . القبض على ٤٠٠ جانٍ . اجتماعات الدروز . حدوث المجازر في الاماكن التي فيها حاميات تركية

٢٦٤ ١٥٩ ــ ١٣ منه : (اللورد روسل الى الارل كولي) . استطلاع رأي فرنسا بخصوص اكمال عدد جنود البعثة . عزم انكلترة على ارسال العدد المطلوب . رغبته في عدم ذهاب الجنود الفرنسوية الى دمشق

٢٦٥ ١٦٠ ١٤ منه : (الارل كولي الى اللورد روسل) . انباؤه بعدم رغبة فرنسا في تعزيز جيشها في سورية وعدم ذهاب هذا الجيش الى دمشق الا بطلب فؤاد باشا

٢٦٥ ١٦١ ــ ٨ منه : (السير بولفر الى اللورد روسل) . صوابية مخاوف المسيحيين من المسلمين . حنق المسلمين على المسيحيين واتهامهم بالنزوع الى الاستقلال . حذر عالي باشا من نزول الجنود الفرنسوية في سورية

٢٦ ١٦٢ ــ ٨ منه : (السير بولفر الى المستر مور) رغبته في انزال العقاب بزعماء الفتنة قسمة جنايات المأمورين الذين اشتركوا بها الى ثلاث طبقات . العهد الى مندوبي الدول النظر بمسألة الدروز والموارنة . اعتقاده بوجود دسيسة غايتها القاء الشقاق بين المسلمين والمسيحيين ظنه بان الباب العالي شجع على الفتنة الاخيرة . نفي هذه التهمة عن عالي باشا وفؤاد باشا

صفحة عدد

٢٦٨ ١٦٣ — ٨ منه : (السير بولفر الى القنصل برانت) الثناء عليه . تقبيحه سلوك أحمد باشا وتقدير اسبابه . تمييزه بين حرب لبنان الاهلية وفتنة دمشق سؤاله رأيه في الاسباب الاخيرة . ضرورة تأجيل فؤاد اصلاح الفريقين الى ما بعد ارتكاز السلطة . سعي اوربا في ازالة ضعف الحكومة العثمانية

٢٧٠ ١٦٤ — ١٣ منه : (القنصل برانت الى اللورد روسل) . ارساله له رواية المستر سيريل كراهام عن مذابح حاصبيا وراشيا

٢٧٠ ١٦٥ — التاريخ ذاته : (وصف حالة مسيحيي حاصبيا وراشيا للمستر كراهام) . ايفاد فؤاد باشا اياه لاستطلاع حالتهم وتوزيع عشرين الف غرش عليهم شقاء المنكوبين وعددهم . توزيعه الحسنات عليهم . حنق الدروز عليه واعتقادهم بارتياح انكلترة الى اعمالهم نفيه هذه الاوهام . تهديد محمد النصار زعيم المحرضين اياه بالقتل في دار خزاعي اغا العريان . عتو الدروز . تراكم الجثث في دار الحكومة وعدم فسادها . زيارته حاصبيا . اعانته منكوبيها . مشاهدته جثث القتلى في دار الحكومة تآمر الدروز على قتله . حراجة موقف النصارى . عودته الى دمشق استصواب فؤاد باشا رأيه بارسال قوة الى ذلك الصوب والعهد الى خزاعي آغا العريان بحماية المسيحيين

٢٧٥ ١٦٦ — ١٠ منه : (مور الى اللورد روسل) . عودة احمد باشا لمحاكمته في دمشق . مواصلة الدروز اعتداءاتهم . عريضة الناجين من مجزرة حاصبيا . ايقاف فؤاد باشا على حالتهم قلق الدروز من قدوم الجنود الفرنسوية . عقدهم الاجتماعات وعزمهم على الاعتصام بحوران . ارسال فؤاد باشا الجنود الى حاصبيا وراشيا لحماية مسيحييها

٢٧٦ ١٦٧ — ١٥ منه : (مور الى اللورد روسل) عريضة مسيحيي البقاع بيان اعتداء الدروز عليهم . غض الحكومة الطرف عن مقترفي الجنايات وتشجيعها اياهم على التمادي في الاعتداء . فصل حاكم صيدا عن مأموريته . ارسال جنود

صفحة عدد

هذه المدينة الى حاصبيا وراشيا

٢٧٧ ١٦٨ – ١٤ منه: (مسيحيو ٨ قرى في البقاع الى القنصل مور) عدم التفات عاشور افندي قائم مقام البقاع الى شكواهم . اجتماع القائم مقام المذكور بحسني بك اميرالاي الفرسان والشيخ كنج العماد . قتل الشيخ كنج المذكور بعض مسيحيي كفرحونه وسلبه دوابهم واموالهم . حريق القرى المذكورة ونهبها وقتل من فيها . هربهم واختباؤهم في الجبال . عدم اكتراث المشير بشكواهم . حرق الشيخ كنج امرأتين حيتين . فاقتهم استغاثتهم بانكلترة

٢٧٩ ١٦٩ – ١٣ منه: (الفيس قنصل ابيلا الى مور) وصول نساء عازور الى صيدا . اساءة الدروز معاملتهن . مواصلتهم الاعتداء في جوار المدينة . قطعهم اشجار المسيحيين في اقليم جزين والخروب وحاصبيا وراشيا . نهبهم ماشية مسيحيي جباع ومحاصيل ارضهم . عدم التفات مأموري الحكومة لشكوى المسيحيين

٢٨٠ ١٧٠ – ١٤ منه : (ومنه ايضاً) . اعتداء درزي على امرأة مسيحية من قرية المحتقره . نقل مسلمي اقليم الخروب الاسلاب الى بلاد المتاولة . اهمال مأموري الحكومة اعادتها الى اصحابها

٢٨١ ١٧١ – ١٦ منه : (القنصل مور الى اللورد روسل) . اعلامه بوصول الجنرال دي بوفور مع قسم من الجنود . ارسال احمد باشا مع بعض الضباط الى دمشق لمحاكمتهم

٢٨١ ١٧٢ – ١٦ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) وصوله الى دمشق . مشهد اسواقها مقابلة فؤاد باشا . حديثه معه . بذله الجهد لحمل دولته على انتهاج طريقة المحاكم العسكرية وانزال العقاب في جميع الجناة . تشوق دولته الى معرفة عدد الذين تطلب اوربا اعدامهم . اعترافه بصعوبة مهمته . خوفه من حدوث اضطراب ينشأ عن وصول الجنود الفرنسوية . وعده باتمام المهمة الموكولة اليه . وجوب تشجيع دولته . الاشارة عليه بارسال جنود الى حاصبيا وراشيا لانقاذ النصارى الباقين فيها . عمل دولته بهذه الاشارة

صفحة عدد

٢٨٤ ١٧٣ ١٦ منه : (تقتصل برانت الى السير بولفر). وصول احمد آغا المشير السابق ومشوله امام المحكمة . القاء القبض على دعاس آغا الجبروري احد زعماء الفتنة اعادة المشير الجديد الاسلاب من بيت دعاس آغا المذكور وحرق بيته مع حرق ١٠ بيوت أخرى من اصحاب النفوذ . اعدام ٤ مسلمين من حوران . عزم فؤاد باشا على تنفيذ حكم الاعدام في بعض الجناة

٢٨٥ ١٧٤ — ٢٠ منه : (ومنه اليه). اعلامه بشنق ٧٥ جانياً واعدام ١١٠ رمياً بالرصاص . محاكمة احمد آغا المشير السابق وعثمان بك قائد حامية حاصبيا

٢٨٦ ١٧٥ — ٢٠ منه : (فؤاد باشا الى عالي باشا) اعلامه باعدام ١٧٦ جانياً . عزمه على ارسال المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة او بالكورك الى الاستانة . محاكمة أحمد آغا الوالي السابق وسائر الضباط . محاكمة الفارّين غياباً . طاعة الجنود . عود السكينة

٢٨٧ ١٧٦ — ١٨ منه : (أمر سلطاني الى فؤاد باشا) استياء جلالته من فظائع سوريا . اظهاره مخالفتها الشريعة . امره فؤاد باشا بالتعجيل بتنفيذ حكم الاعدام بمقترفيها . ثناؤه عليه وعلى المأمورين والجنود الذين برفقته

٢٨٨ ١٧٧ — ١٧ منه : (مناقشة في مجلس العموم الانكليزي). استطلاع المستر مونسل اللورد بلمرستون عن التعاليم التي زودها اللورد دوفرين . رواية المستر سيريل كراهام عن فواجع سورية المثبتة اشتراك ارباب السلطة التركية في سفك الدماء . اتهامه الحكومة الانكليزية بانها سبب هذه الشرور بتفريقها بين الدروز والموارنة واسقاطها الامير بشير ونزع سورية من يد ابراهيم باشا . ندامة امير البحر نابيير (جواب السير شارل نابيير). ترديد اسفه على مساعدته الاتراك في سنة ١٨٤٠ على استرجاع سورية بفضل عضد اللبنانيين . ثناؤها في عهد الحكومة المصرية . شقاؤها في حكم الاتراك . ايثاره استيلاء فرنسا عليها اللورد بلمرستون : تبرئته الحكومتين التركية والانكليزية من تبعة احداث الفتن .

صفحة عدد

اتهامه الموارنة بالابتداء بالشر. انكاره علاقات انكلترة بالدروز

٢٩١ ١٧٨ – ٢٢ منه: (مور الى اللورد روسل) وصول احمد قيصرلي باشا الوالي الجديد. عودة خورشيد باشا من الاستانة لمحاكمته

٢٩٢ ١٧٩ – ٢٢ : منه (ومنه اليه) وصول ٥ الاف جندي فرنسوي و ٢٠٠ فارس. حنق المسلمين. ابتهاج المسيحيين

٢٩٣ ١٨٠ – ٢٢ منه : (تابع رواية المستركراهام عن حاصبيا وراشيا) قبول فؤاد باشا اقتراحه. عهد دولته الى خزاعي اغا العريان بحماية مسيحيي حاصبيا. ارساله الميرالاي حسن بك ليأتي بقوة من صيدا الى راشيا. اطمئنان النصارى. فرار محمد النصار

٢٩٤ ١٨١ – ٢٢ منه : (صفوت افندي الى موزورس) شكر الباب العالي لحكومة انكلترة. قبوله مرغماً بارسال البعثة العسكرية الفرنسوية. اقتدار فؤاد باشا على قمع الاضطرابات. طلبه منع الجنود الفرنسوية من التوغل في داخلية سوريا

٢٩٥ ١٨٢ – ٢٣ منه ٤ (خلاصة رسائل فؤاد باشا) التحوطات التي اتخذها. شروعه بالقبض على الجناة وباستعادة المسلوبات. تأليفه محكمة غير عادية. بيانه انواع العقوبات التي سيحكم بها

٢٩٦ ١٨٣ – ٢٢ منه : (القنصل برانت الى السير بولفر) قبض فؤاد باشا على عبد الله الحلبي والمفتي عمر افندي الغزي ومحمد سعيد الكردي. ارساله ٣٠٠ جانٍ محكوم عليهم الى الاستانة و ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ لاجل تجنيدهم. اسكان النصارى في حي قنوات. الاقتراح على دولته حجز اموال المحكوم عليهم

٢٩٧ ١٨٤ – ٢٥ منه : (القنصل برانت الى اللورد روسل) . ارساله جدول المحكوم عليهم. فتور همة فؤاد باشا. عدم جدارة الباشاوات لادارة شؤون سورية

٢٩٧ ١٨٥ – ٢٣ منه : (الموسيو دانيش الى القنصل برانت). ابلاغه جدولاً يتضمن بيان العقوبات المختلفة المحكوم بها على ٧٢٠ شخصاً

صفحة عدد

٢٩٨ ١٨٧ ــ ٢٣ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) اعدام المحكوم عليهم دون سبق اعلان . زيارته فؤاد باشا . تعداد دولته المحكوم عليهم وبيان سائر اجراءاته . طلب الماجور ان يعم القصاص كل الجناة اذ لا يعقل ان الـ ٥٧ جانياً الذين أعدموا قتلوا وحدهم ٥ الاف مسيحي . اعتذار دولته عن عدم وجود شهود لاثبات الجناية على المتهمين . انكار احمد باشا تدبير الفتنة . اثبات الامير عبدالقادر سبق التصميم عليها . قبض فؤاد باشا على الشيخ عبدالله الحلبي وسعيد بك الكردي وعمر افندي الغزي . هجوم نساء المحكوم عليهم على دار الشيخ عبدالله المذكور . اتهامه بتضليله ازواجهنّ . رجوع ٤٠ مسيحيًا الى مذهبهم . استمرار اعتداءات المسلمين . سببهم قنصل اميركا والامير عبد القادر وبعض الاوربيين . كلام فؤاد باشا في كره الدمشقيين الاتراك ووجوب ارهابهم لتوطيد السلطة العثمانية . اقتراح الماجور وجوب تنفيذ حكم الاعدام جهارًا واعلان موعده . حجة دولته واستياؤه من قدوم الجنود الفرنسوية . عزمه على عدم استقدامها الى دمشق . استمرار رعب النصارى هرب الاكراد . مجيء سعيد بك جنبلاط الى البقاع وجمعه امواله وارسالها الى حوران . كتبه الى فؤاد باشا والامير عبدالقادر والمستر برانت . بقاء ٨ الاف مسيحي في دمشق . اهتمام فؤاد باشا باسكانهم في حي المسلمين اجماع القوم في دمشق على الامتداح من المستر برانت قنصل انكلترة

٣٠٣ ١٨٨ ــ ٢٤ منه : (برانت الى الامير عبد القادر) . ابلاغه شكر حكومة انكلترة له على شهامته

٣٠٣ ١٨٩ ــ ٢٤ منه : (اللورد دوفرين الى اللورد روسل) . مجاملة جلالة السلطان له واظهاره امتنانه من انكلترة

٣٠٤ ١٩٠ ــ ٢٩ منه : (مور الى السير بولفر) . عزم الجنرال دي بوفور على الذهاب الى دمشق لمفاوضة فؤاد باشا . وصول بقية البعثة الفرنسوية . وصول الف مسيحي

صفحة عدد

من حاصبياً وراشياً الى صيدا . مهاجرة الدروز الى حوران وتواصل اعتداءاتهم . اعتزامهم على رفع عريضة الى ملكة انكلترة . سفر ٢٥٠ جانياً الى الاستانة

٣٠٥ ١٩١ — ١٧ منه : (حمدان بلميني شيخ عقل الدروز الى ملكة انكلترة) . التماس وساطتها لدى الحكومة العثمانية وسائر الدول ليُحاكم الدروز بانصاف . الفات نظرها الى عريضة ابناء طائفته

٣٠٦ ١٩٢ — ... (رواية الدروز عن حوادث لبنان) نزوع الموارنة الى الاستقلال وطرد الدروز من لبنان منذ سنة ١٨٤١ . حطمة الموارنة في سنة ١٨٤٥ . احياء البطريرك بولس مسعد والمطران طوبيا وسائر المطارنة فكرة الاستقلال . تهييجهم اهالي كسروان على مشايخهم الخازنيين والمشايخ الحبيشيين لمعاكستهم مشروعهم اذاعتهم نشرات في عموم سكّان القرى . تحالفهم مع سائر الطوائف المسيحية . تأليف جمعيات في بيروت وزحلة ودير القمر وكسروان . اقامتهم مشايخ شباب في كل قرية تسليحهم جميع رجال حزبهم . حبوط مسعى المطران طوبيا بتأليف جمعية في انطلياس . تمرين الشبّان النصارى على الحركات العسكرية . اكراههم المسلمين والمتاولة في كسروان والفتوح على المهاجرة او اعتناق مذهبهم . تهديد المطران طوبيا قرينة الامير سليمان المتيني وولديها . اقناعه الامير مجيد بشير شهاب بالرجوع الى النصرانية لقاء وعده بتوليته على لبنان . ابتداء المسيحيين بالاعتداء فور اكمال عدتهم . قتلهم مكاريًا درزيًا في قرية الحدث . اعتداء موارنة قيتولي على ٣ دروز قرب صيدا . قتل الدروز ٣ مسيحيين من جزّين في الكحلونية . هجوم اهالي جزّين على الشوف . توسط سعيد بك جنبلاط . رفض اهالي قيتولي الصلح انقيادًا لرأي ابي سمرا . اعتداء ظاهر ناصيف مع مسيحيي اقليم الخروب على الدروز . اعتداء بعض المسيحيين في نهر بيروت على بعض دروز من بشامون . مقتل ماروني في عيناب ودرزي في كفرفاقود . هياج اهالي دير القمر وسكّان اقطاعة الشحّار . اجتماع المواربة في

صفحة عدد

المعلقة ونشرهم راية الحرب عقد خورشيد باشا مجلس الولاية في بيروت . ارسال دولته والمطران طوبيا مندوبين الى طانيوس شاهين ليفرق رجاله . هجوم اهالي كسروان على قرية بعبدا . رفضهم امتثال اوامر الوالي . زحف موارنة كسروان والقاطع على المروج . هجوم مسيحيي سهل بيروت بقيادة خوري البوشرية على بيت مري . انتصار الدروز عليهم . هجوم الزحليين على قرية عين داره لمقاتلة علي بك العماد . انكسارهم . تراجعهم الى خان مراد . هجوم المسيحيين وانكسارهم في كفربخ والغرب الاعلى وحمانا والشويفات والعبادية وراس المتن وكفرحمل وكفرقطره ونيحا فوز قاسم يوسف على يوسف البيض في درب السيم . استظهار دروز قرنايل وفالوغا على مهاجميهم الزحليين . قدوم دروز حوران الى زحلة لنصرة اخوانهم اللبنانيين . تحرش فرسان زحله بهم . ايفاد القائم مقام الشيخ محمود العيد الى دروز حوران لاقناعهم بالعودة الى بلادهم . قبولهم عقد هدنة . هجوم فرسان زحله على الدروز في سعدنايل . انتصار الدروز . نشوب الحرب في دير القمر . فوز الدروز . عقد الصلح بين الفريقين على اساس تناسي ما مضى

٣١٨ ١٩٣ ٣٠ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) . توزيع فؤاد باشا بيانات بعدد المحكوم عليهم . تجنيده شبان دمشق . بطء المحاكمات . قدوم بعض زعماء العرب في حوران على دولته . الحاحه عليهم بالتوطن فيها . خوف المسيحيين من الاقامة في بيوت المسلمين . وصول الحجاج

٣١٩ ١٩٤ ٣٠ منه : (برانت الى السير بولفر) . تهاون احمد باشا في استدراك الفتنة . اعترافه بوجود مؤامرة ثم انكارها . ثبوت اعتزام المسلمين على قتل النصارى . جريان محاكمة المشير سرًا الادلة والامارات عليه كذبه . قصوره كوالٍ وجبنه كقائد وجوب التمييز بين الحرب الاهلية بين الدروز والموارنة ومذابح حاصبيا وراشيا ودير القمر . ثبوت تواطوء الحكومة على ايقاظ الفتنة . استيقاظ

صفحة عدد

تعصب مسلمي دمشق بعد عودة سورية الى الحكومة العثمانية . استخدام تركيا هذه الروح لتقليص النفوذ الاوربي . تعاظم غطرسة المسلمين بعد انتصار الدروز على المسيحيين في لبنان . حسدهم المسيحيين على ثروتهم . طمعهم فيها . حزم فؤاد باشا وتروّيه . كفايته لادارة شؤون سورية . جدارة سنطي باشا وغالب باشا لمنصب الولاية

٣٢٤ ١٩٥ ـ اول ايلول : (اللورد كولي الى اللورد روسل) اعتقاد الموسيو توفنيل ان فؤاد باشا لم يجسر على تنفيذ حكم الاعدام في الجناة الأبعد ارسال الجنود الفرنسوية . عدم ارتياحه الى اكتفاء دولته باعدام صغار القوم وتركه كبار المحرضين . وجوب اعدام اثنين من كبار الموظفين المذنبين

٣٢٥ ١٩٦ ـ ٣ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) حديثه مع فؤاد باشا . قلق المسيحيين من مغادرة دولته دمشق

٣٢٥ ١٩٧ – التاريخ ذاته : (حديث فؤاد باشا والماجور فرازر) عزم دولته على الذهاب الى بيروت لمفاوضة الجنرال دي بوفور . ايفاد هذا الاخير الكولونيل شتزي اليه طالباً اجازته للجنود الفرنسوية مرافقة اللاجئين الى قراهم في لبنان . طلب دولته تأجيل ذلك الى ما بعد الاتفاق على خطة العمل . حذره من الحاح الفرنسويين بالاستقلال بالعمل عن الجنود العثمانية . خوفه من حدوث قتال بين الجنود الفرنسوية والدروز . صدور الحكم على أحمد باشا وضباط حاميات حاصبيا وراشيا ودمشق بالاعدام . تأجيل اعدام المشير الى ما بعد محاكمة خورشيد باشا في بيروت . رغبة دولته في معاقبة اعيان دمشق المتهمين وتعذر وجود شهادات عليهم . اعتزامه على تفيهم مراعاة لمصلحة تركيا . سؤاله الماجور عن غرض اللجنة الدولية . بسطه طريقتين في معاملة الدروز احداهما تخييرهم بتسليم زعمائهم المذنبين ودفع غرامة الى المسيحيين وتعمير القرى والاخرى مهاجمتهم . ايثار الماجور الطريقة الاولى

صفحة عدد

٣٢٩ ١٩٨ ــ ٣ منه : (مور الى السير بولفر). قبضه ٧٥٠٠ ليره لمساعدة المنكوبين

٣٢٩ ١٩٩ ــ التاريخ ذاته :(ومنهُ اليهِ). قدوم اللورد دوفرين الى بيروت واستقباله

٣٣٠ ٢٠٠ ــ ٣ منه . (اللورد دوفرين الى السير بولفر) .وصوله الى بيروت تأخر وصول باقي المندوبين . عزمه على زيارة فؤاد باشا

٣٣٠ ٢٠١ ــ ٥ منه : (مور الى السير بولفر) . ذهاب اللورد دوفرين الى دمشق . تعيين النمسا دي وكبكر قنصلها في بيروت مندوباً في اللجنة . قبض فؤاد باشا على اعضاء المجلس الكبير . اهداء السلطان وامبراطور فرنسا الامير عبدالقادر الوسامين المجيدي وجوقة الشرف طبقتها الاولى . استمرار جلاء النصارى عن دمشق

٣٣٢ ٢٠٢ ــ ٨ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) . وصوله الى دمشق . مقابلته فؤاد باشا . بيان ما اتاه دولته . عدم امكانه ابداء رأيه في سياسة فؤاد باشا . استغرابه حصر عدد القتلة بـ ٥٦ شخصاً وتقديره اياهم بـ ١٥ الفاً . اعدام احمد باشا واميرالالاي علي بك وعثمان بك والبكباشي محمد علي بك

٣٣٤ ٢٠٣ ــ ٨ منه : (بيان اعمال فؤاد باشا) . قبضه على ٨٠٠ ناهب وقاتل . تحويله المدرسة العسكرية الى مستشفى لنساء المسيحيين وتخصيص المستشفى العسكري بالرجال الجرحى والمرضى . انشاؤه لجنة لتوزيع المأكولات والالبسة على المنكوبين . اعدام ١١١ مسلماً رمياً بالرصاص وشنق ٥٦ ونفي ١٤٥ والحكم بالاشغال الشاقة على ١٨٦ . اعادته ٥٠٠ مسيحي أُكرهوا على اعتناق الاسلام الى دينهم . اعداده ٣ احياء للمسلمين لسكن المسيحيين تهيئته معبداً لهم . تجنيده ٢٠٠٠ دمشقي في الجيش السلطاني . ايجابه دفع ٢٠ الف قرش بدلاً عسكريًا . الحكم بالاعدام على المشير السابق وبعض ضبّاط الحاميات

٣٣٦ ٢٠٤ ــ ٨ منه : اللورد دوفرين الى السير بولفر) وجوب اقدام فؤاد باشا على اعدام كبار الجناة قبل وصول اللجنة الدولية تلافياً للظن انه فعل مرغماً

صفحة عدد

٣٣٦ ٢٠٥ ــ التاريخ ذاته : (ومنه اليه) دعوى فؤاد باشا انه اعاد جميع النساء والبنات المسبيات إلى اقاربهنّ . ريبة اللورد بذلك

٣٣٧ ٢٠٦ ــ ٨ منه : (اللورد دوفرين الى فؤاد باشا) طلباً للبحث عن قاتلي المستر كراهام . شكره لدولته على مجاملته له . تزلفه اليه

٣٣٨ ٢٠٧ ــ ١١ منه : (السير بولفر الى عالي باشا) الفات نظر الباب العالي الى وجوب التعجل بانقاذ النساء اللواتي سباهنّ الدروز وغيرهم من الاشقياء

٣٣٩ ٢٠٨ ــ ١٣ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) وصول المسيو يكلار مندوب فرنسا والمسيو نوفيكوف مندوب الروسية . انتظار قدوم المسيو دي رهفوس مندوب بروسيا . رغبة فؤاد باشا في ان يعين الباب العالي مندوباً مكانه في اللجنة . اصرافه عن قصده البدء بمحاكمة خورشيد باشا . اذاعة فؤاد باشا نشرة في زعماء الدروز استقداماً لهم

٣٤٠ ٢٠٩ ــ ١٤ منه : (ومنه اليه) اتفاق فؤاد باشا والجنرال دي بوفور على حركات الجنود الفرنسوية . اعتزام زعماء الدروز على الرحيل الى حوران . اشفاقه من حدوث قتال بين الجنود الفرنسوية والدروز اذا طوردوا حتى جبل الشيخ وحوران

٣٤١ ٢١٠ ــ ١٤ منه : (مور الى اللورد روسل) استقدام فؤاد باشا زعماء الدروز والمسيحيين وانذاره المتخلفين بالمحاكمة غياباً . تأليفه مجلساً خارق العادة لمحاكمة المتهمين . فرار بعض مسلمي بيروت الذين اشتركوا بالفتنة

٣٤٢ ٢١١ ــ ١٥ منه : (اللورد روسل الى اللورد كولي) ارساله خلاصة رسائل المستر مور والمستر برانت والمستر سيريل كراهام عدم ثقتهم جميعاً في التدابير التي اتخذت . خوفهم من عود الظلم الى ما كان عليه . تصويبه ارسال القسم الثاني من جنود البعثة

٣٤٢ ٢١٢ ــ ١٤ ايلول : (نشرة فؤاد باشا الى المشايخ المسيحيين) استقدام المشايخ المذكورين وانذار من يتخلف منهم بالحكم عليه غياباً

صفحة عدد

٣٤٣ ٢١٣ ــ ١٥ منه : (اللورد روسل الى السير بولفر) ابلاغه موزورس باشا سفير تركيا ضرورة مبادرة فؤاد باشا الى معاقبة خورشيد باشا واحمد باشا وضباط الحاميات لئلا تتهم الدول بعض كبار الموظفين في الاستانة بتدبيرهم الفتنة

٣٤٤ ٢١٤ ــ ١٦ منه : (اللورد دوفرين الى ابرو افندي) قلق النصارى بعد مغادرة فؤاد باشا المدينة . استنهاض الحكومة اتقاء حدوث اعتداء على النصارى لاخذ التحوطات اللازمة

٣٤٥ ٢١٥ ــ ٢٠ منه : (برانت الى اللورد روسل) اعدام المشير السابق وضباط الحاميات سرًا . تفتيش بعض البيوت والعثور على امتعة منهوبة والقبض على ناهبيها . انتقال النصارى من القلعة الى البيوت المعدة لهم في حي المسلمين . القبض على بعض الجناة . رغبة النصارى في المهاجرة . تواصل الاعتداء عليهم . فاقتهم . تفشي العلل بينهم

٣٤٧ ٢١٦ ـ التاريخ ذاته : (ومنه اليه) خوف الدروز من هجوم الجنود عليهم . هياج مسلمي عكا واللاذقية . الخوف من حدوث فتنة يتطاير شررها الى كل سوريا

٣٤٧ ٢١٧ ــ ٢١ منه : (اللورد كولي الى اللورد روسل) استطلاع نيات فرنسا بخصوص معرفة مدة اقامة جنودها في سوريا . عدم تصريحها بهذا الشأن . استعداد انكلترة لتقديم نجدات لدى الاقتضاء

٣٤٨ ٢١٨ ــ ٢٢ منه : (اللورد روسل الى اللورد كولي) عدول انكلترة عن ارسال جنودها الى سوريا نظرًا لقرب حلول فصل الشتاء

٣٤٨ ٢١٩ ــ ٢١ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) . تأليف مجلس لمحاكمة خورشيد باشا

٣٤٩ ٢٢٠ ــ ... اعضاء المحكمة . احمد باشا ومصطفى باشا ومفتي بيروت وأبرو افندي وحميد بك وحسني بك

٣٤٩ ٢٢١ ــ ٢١ منه : (ومنه اليه) تحريض الحكومة الـ ٨ الاف دمشقي اللاجئين الى

صفحة عدد

بيروت على العودة الى دمشق . عودة بعضهم . عدم الخوف من حدوث فتنة جديدة

٣٥٠ ٢٢٢ ــ ١٧ ايلول : (نشرة فؤاد باشا في اللاجئين) . حضهم على العودة الى دمشق . اعداده لوازم سفرهم وبيوتاً لايوائهم . ضمانته سلامتهم

٣٥١ ٢٢٣ ــ ٢١ : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) عدم تأثير اعدام احمد باشا وسائر الضبّاط في المسلمين لحصوله سرّاً . اعتقادهم ان المشير لم يُعدم بل اخذه فؤاد باشا معه الى بيروت . تراخي حكومة دمشق بغياب فؤاد باشا . شنق ٩ مجرمين . معظم الذين أعدموا هم من خارج دمشق . عدم الحكم على الاعيان المتهمين . وجوب ضغط اللجنة الدولية على فؤاد باشا . شقاء المنكوبين وتفشي الامراض بينهم . ذهاب القوات لمطاردة الدروز

٣٥٤ ٢٢٤ ــ ٢١ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) . رفضه تأمين سعيد بك جنبلاط لعدم انقياده لنصائح المستر مور حقناً للدماء .

٣٥٥ ٢٢٥ ــ ٢٣ منه : (ومنهُ اليهِ) قدوم ١٢ زعيماً درزيًا وتوقيفهم . عدم ثقة الشاكين والمشكو منهم في الحكومة التركية . اتهامها بالميل الى قتل بعض زعماء الدروز لستر خفايا المكيدة . وجوب تدخل اللجنة الدولية

٣٥٦ ٢٢٦ ــ التاريخ ذاته : (ومنه اليهِ) تجريد فؤاد باشا زعماء الدروز العاصين من وظائفهم ورتبهم وحجزه اموالهم . عزمه على ارسال قوات لمطاردتهم ومنعهم من الالتجاء الى حوران

٣٥٧ ٢٢٧ ــ ٢٠ ايلول : (انذار فؤاد باشا مشايخ الدروز) الغاؤه القاب زعماء الدروز المتمردين ووظائفهم وحجزه اموالهم ومحاكمتهم غيابياً . تطمينه الابرياء قسمته قائم مقامية الدروز الى ٤ دوائر عسكرية

٣٥٨ ٢٢٨ ــ ٢٤ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) زحف فؤاد باشا واسمعيل باشا بقوة عسكرية على الدروز . لحاق الجنود الفرنسوية بهم على خط موازي . نشرة فؤاد باشا في الدروز

صفحة عدد

٣٥٩ ٢٢٩ ــ ١٩ ايلول : (نشرة فؤاد باشا الى الدروز) حثه ابرياء الدروز على الرجوع الى قراهم

٣٥٩ ٢٣٠ ــ ٢٥ منه : (برانت الى السير بولفر) عدم مضاهاة العقاب الفظائع التي ارتُكبت . سوء تصرف مأموري الحكومة بتوزيع الاعانات . وجوب اصلاح تنظيم سوريا ادارةً ومالية . انتقاد الرأي العام فؤاد باشا على تباطؤه في اعدام الجناة مع اشتهار فظائعهم

٣٦٢ ٢٣١ ــ ٢٦ منه : (نطاقة مندوبي الدول الى فؤاد باشا) سؤاله الحضور لترأس جلسات اللجنة او استنابة احد عنه

٣٦٢ ٢٣٢ ــ ٢٧ منه : (اللورد دوفرين الى القنصل برانت) سؤال المندوبين قناصل دولهم في دمشق كتابة بيان في حالة المدينة . وجوب ردم انقاض الحي المسيحي على جثث القتلى اتقاء تفشي الوباء

٣٦٣ ٢٣٣ ــ ٢٨ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) اجتماع اللجنة الدولية . نطاقتها الى فؤاد باشا . اجماعها على الاهتمام بحالة مسيحيي دمشق

٣٦٤ ٢٣٤ ــ ٢٩ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) . بيان الدكتور طومسون حاجة المنكوبين الى الفرش والاغطية . فراغ المال من يد فؤاد باشا . اباء المصرف العثماني والتجار الانكليز اقراضه مالاً دون ضمانة . خطر انقطاع توزيع الاعانات على المنكوبين . مخاطرته باقراضه فؤاد باشا خمسة الاف ليره على شرط استرجاع الفرش والاغطية من الدروز

٣٦٦ ٢٣٥ ــ ٢٩ منه : (ومنهُ الى السير بولفر) . ذهاب الجنود الفرنسوية الى دير القمر . قتل المسيحيين المرافقين لها رجلين وامرأة درزيّة

٣٦٧ ٢٣٦ ــ ٢٩ منه : (ومنهُ الى فؤاد باشا) سؤاله معاقبة قتلة الدروز المار ذكرهم

٣٦٨ ٢٣٧ ــ ٢٣ ايلول : (اعيان الاسرائيليين في دمشق الى السير موتتيفيوري) تظلماً من اتهام المسيحيين اياهم زوراً بالاشتراك في المذابح والنهب . حبس الحكومة

صفحة عدد

اخوانهم . عدم قبولها شهادة الحاخامين . التماس وساطة حكومة انكلترة

٣٧١ ٢٣٧ ــ ١ تشرين اول : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) اعادة جميع نساء دمشق المسبيات الى اقاربهنّ الاّ وردة ابنة حنا الشوس . امكان كتمان بعض الامهات اسماء بناتهنّ المفقودات تلافياً العار

٣٧٢ ٢٣٩ ــ ٥ منه : (القنصل برانت الى اللورد روسل) سوء الحالة في دمشق بعد سفر فؤاد باشا . مخاوف الوالي من هجوم الدروز على المدينة . عدم جدارته . ارتشاء مأموري تجنيد الدمشقيين . الاتجار بتوزيع المسلوبات . تفشي الامراض بين الجنود . تأخر دفع الاعانات . هلع المسيحيين من رسم صلبان على ابواب بيوتهم . تيقظ القائد خالد باشا

٣٧٥ ٢٤٠ ــ ٥ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) . حبوط سعي فؤاد باشا في الاحاطة بجمهور الدروز في جبل الشيخ . تسهيل ارباب السلطة التركية سبل الفرار لهم . التقاء فؤاد باشا بالجنرال دي بوفور في جب جنين . مرابطة الجنود الفرنسوية في جوار زحله . مساعدتها اهالي زحله ودير القمر على اعادة بناء بيوتهم

٣٧٦ ٢٤١ ــ ٥ تشرين الاول : (صك الجلسة الاولى التي عقدتها لجنة سوريا الدولية في بيروت) اقرارها على تناوب اعضائها وكالة الرئاسة . ترأس مندوب النمسا . تلاوة تعاليم دولهم المتماثلة . بحث اللجنة في المادة الاولى من تعاليمها . طلب مندوبي فرنسا والروسية حق الاستقلال بالنظر في شكاوى رعايا دولتيهما . نطاقة مندوب فرنسا ادعاء ابرو افندي النائب عن فؤاد باشا عجزه عن الجواب رسمياً على مطالب المندوبين لعدم وصول التعاليم اليه . اعتراض مندوب فرنسا على تعيين امير الالاي حسني بك قائد حامية بعلبك عضواً في المحكمة وعلى عدم القبض على نوري بك قائد الجنود في زحلة . احتجاج مندوبي الروسية و بروسيا وفرنسا على عدم استجواب الشهود على خورشيد باشا . دعوى الرئيس ان ليس للجنة حق التدخل في التحقيق بل في المحاكمة . بيان مندوب انكلترة اعتراف

صفحة عدد

الباب العالي بكليهما . نقد مندوب فرنسا كيفية تأليف فؤاد باشا ست لجان لتقدير اكلاف ترميم البيوت المدمرة . اقرار اللجنة على تعيين نواب عنها فيها . طعن مندوب الروسية بالعضو المسيحي في محكمة التحقيق . وجوب اتفاق اللجنة الدولية مع لجان الاحسان الاوربية . عريضة عائلة بدران والوصاية على القاصرين

(نطاقة ملحقة) : طلب اللجنة الاطلاع على ملفّ اوراق الدعاوى في دمشق والتعجل بنزع السلاح . عزمها على ارسال نوّاب لحضور استجواب خورشيد باشا والدروز المتهمين . وجوب التعجل بدفن جثث القتلى وترميم البيوت لاسكان المنكوبين فيها انتقاء ٦ نوّاب عن اللجنة في اللجان الموكول اليها تقدير الخسائر . الاحتجاج على الغاء القائم مقامية الدرزيّة دون اشارة الدول

٣٨٢ ٢٤٢ ــ ٩ منه : (صك الجلسة الثانية) اصرار المندوبين على طلب التمتع بحقهم بحضور التحقيق . استغرابهم تخلف فؤاد باشا عن حضور جلساتهم . اقتراح الرئيس ذهابهم الى المختاره للاجتماع بدولته . رفضهم وايثارهم السفر الى دمشق لحراجة حالتها . تباين الاراء . رسالة دي بوفور في تقاعد الجنود التركية وفرار الدروز الى حوران اجماع اللجنة على انشاء جمعية احسان رئيسية . حماية الجنود التركية الدروز . اقرار اللجنة على السفر الى دمشق . عريضة مسيحيي حوران

٣٨٧ ٢٤٣ ــ ١١ منه : (صك الجلسة الثالثة) . الاتفاق على انشاء جمعية رئيسية للاحسان مؤلفة من روساء جميع لجان الاحسان الاوربية . الشروع بمحاكمة سعيد بك . ورود التفويض الى أبرو افندي . تأجيل نقد نظام القائم مقامية الدرزية الى ما بعد ترجمته . احتجاج المندوبين على انكار فؤاد باشا حقهم بحضور التحقيق القضائي . الفات فؤاد باشا الى تهديد اسمعيل الاطرش مسيحي حوران اذا لم يشفعوا به لدى الحكومة

ملحق ١ : (جواب فؤاد باشا على نطاقة اللجنة الدولية) . اعترافه بحق اللجنة الدولية في

صفحة عدد

الاطلاع على جرائد ضبط الدعاوى في دمشق وبيروت وانكاره عليها حق حضور التحقيق القضائي تصميمه على نزع السلاح من ايدي الدمشقيين لدى الفرصة. وجوب جريان المفاوضات بين اللجنة والمحكمة بواسطة أبرو افندي. اهتمام الحكومة بدفن جثث القتلى وترميم البيوت واعداد الارزاق واسترجاع الامتعة المنهوبة. مهمة اللجان الست الموكول اليها تقدير نفقات ترميم البيوت. عزمه على انشاء لجنة تحكيمية ولجان مختلطة لتقدير خسائر الاجانب. بيانه سبب الغائه القائم مقامية الدرزية الى ان يتم وضع نظام لبنان الجديد

ملحق ٢ : (نظام موقت للقائم مقامية الدرزية) قسمتها الى ٤ دوائر وتعيين مدير ومجلس لكل منها. كيفية انتخاب هذه المجالس ومشايخ القرى وبيان دائرة اختصاصهم. اقامة جنود سلطانية في هذه الدوائر وتجنيدهم وطنيين لدى الاقتضاء.

٣٩٥ ٢٤٤ ــ ٨ منه: (برانت الى اللورد روسل) ذعر المسيحيين من رسم صلبان على ابواب بيوتهم ورغبتهم في المهاجرة. سهر خالد باشا. الاذن للشيخ عبدالله الحلبي بقبول زيارة من شاء. سوء سلوك ابرهيم بك كرامه. طلب اليهود المساعدة.

٣٩٧ ٢٤٥ ــ ١١ منه : (ومنه الى السير بولفر). عودة فؤاد باشا من المختارة. ظن دولته بان الذين رسموا الصلبان على بيوت المسيحيين هم اخوانهم. لوم خالد باشا والامتداح منه. عزل ابرهيم بك كرامه الفات نظر دولته الى حالة سجنى اليهود. محاولة القبض على زعماء الدروز. سؤاله دفع متأخرت الاعانات

٣٩٨ ٢٤٦ ــ ١٥ منه : (صك الجلسة الرابعة). اختيار ٦ نواب عن اللجنة الدولية في لجان تخمين نفقات ترميم البيوت. جواب أبرو افندي على الاستيضاحات عن شاكر باشا ونوري بك وحسني بك. دفاعه عن محكمة دمشق وعزمها على نفي الاعيان المتهمين لعدم وجود شهود عليهم. قبول فؤاد باشا بحضور اعضاء اللجنة او نوابهم جلسات المحكمة الغير العادية. تلاوة كتاب الموسيو اوتري قنصل فرنسا في دمشق عن حالة المدينة. اعلان ابرو افندي القبض على ابرهيم بك كرامه

صفحة عدد

وقرب قدوم فؤاد باشا الى بيروت

ملحق ١ : بيان سبب سفر فؤاد باشا الى دمشق تطميناً لافكار اهليها وللاشراف على مطاردة الدروز

ملحق ٢ : (فؤاد باشا الى ابرو افندي في ١٠ منه): اعلام المندوبين بسيادة السكينة في دمشق . اتهام المسيحيين برسم الصلبان على بيوت اخوانهم

٤٠٣ ٢٤٧ ــ ٢٠ منه : (الماجور فرازر الى اللورد روسل) . ذعر المسيحيين ورغبتهم في الجلاء عن دمشق . قلقهم من اطلاق سبيل السجنى المتهمين باقتراف الجنايات وخوفهم من تواطوء الحكومة مع الدروز . عودة الجنود من شرقي لبنان وعدم قبضها على احد من الدروز . عودة الدروز الفارين الى لبنان . ارسال ١٠ من الاعيان مخفورين الى بيروت

٤٠٥ ٢٤٨ ــ ٢٠ منه : (فؤاد باشا الى الماجور فرازر) الحكم على بعض اعيان دمشق بعقوبات مختلفة وارسالهم الى بيروت مع انه لم تثبت عليهم تهمة التحريض على الاضطرابات . الحكم على بعض الاعيان الآتية اسماؤهم لانهم لم يوقفوا الثورة وحجز املاكهم

٤٠٦ ٢٤٩ ــ (بيان الاسماء). الشيخ عبدالله الحلبي . نصوح باشا زاده عبدالله بك . حسيبي زاده احمد افندي . عظمة زاده محمد بك . المفتي طاهر افندي . غزي زاده عمر افندي . عظم زاده عبدالله بك . ابنه علي بك . احمد افندي عجلاني . قاروفي زاده عبد الهادي

٤٠٦ ٢٥٠ ــ ٢٣ منه : (صك الجلسة الخامسة) اتهام المندوبين لجان التخمين بخدعها المنكوبين . تأجيلهم تعيين نوابهم فيها . جواب فؤاد باشا على اقوال قنصل فرنسا في دمشق . اثبات مندوب فرنسا صحتها . اعتراض مندوب بروسيا على دخول عبدالله الحلبي ورفقائه بيروت محاطين بمظاهر الاجلال . طلب مندوب فرنسا معاقبة مقترفي المذابح في صيدا . اصرار المندوبين على المطالبة بحق التدخل فعلياً

صفحة عدد

في التحقيق . تأجيل ابرو افندي فصل المسألة الى ما بعد وصول فؤاد باشا . الحاح مندوب فرنسا في تشديد العقاب

٤١٠ ـ ١٣ منه : ملحق (كتاب فؤاد باشا الى أبرو افندي) . تصحيح رواية اوتري قنصل فرنسا عن حالة دمشق . تفيه اشاعة استعداد الدروز للهجوم على دمشق . عدم صوابية ذعر النصارى . انكاره علائق المسجونين بالدروز . عزله كرامه افندي واحالته على المحاكمة . نزاهة سائر اعضاء المحكمة . تعذر تأمينه اسمعيل الاطرش . استخدامه زعيم اسرة عامر . ذهاب حليم باشا لاعداد حملة على الدروز

٤١٣ ٢٥١ ـ ٢٥ منه : (اللورد روسل الى القنصل برانت) وجوب سعيه في انصاف اليهود المسجونين وتحذير الوالي من سوء عقبى ظلمهم

٤١٤ ٢٥٢ ـ ٢٦ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) احتجاج المندوبين على انكار فؤاد باشا حق اشتراكهم في التحقيق القضائي . تهديد اللورد ابرو افندي بدخول المحكمة جبرًا . رضا فؤاد باشا بحضورهم او نوابهم المحاكمة . ميل المحكمة الى منع الشهادات المثبتة تواطوء مأموري الحكومة على الفتنة

٤١٥ ٢٥٣ ـ ١٥ منه : (اللورد دوفرين الى القنصل مور) . انابته عنه في حضور جلسات المحكمة . وجوب مراقبة سير المحاكمات والاعتراض على كل زيغ وتقديم بيان يومي

٤١٦ ٢٥٤ ـ ٢٦ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) تحامل المحكمة على سعيد بك جنبلاط طمعاً باخذ امواله وخوفاً من ان يكشف الستار عن تواطوء ارباب الحكومة على تدبير الفتنة . الدلائل على سعيد بك وسلوكه المريب . وعد فؤاد باشا بايقاف سعيد بك على جريدة ضبط دعواه . تأجيل اللورد اعتراضه على وجود الضابط حسني بك بين القضاة

٤١٨ ٢٥٥ ـ ٢٣ منه : (نويل مور الى اللورد دوفرين) . جور المحكمة على سعيد بك واسكاته كلما شهد على ارباب الحكومة التركية واحتجاجه عليها

صفحة عدد

٤٠٨ ٢٥٦ ـ ٢٣ منه : (القائم مقام برنابه الى اللورد دوفرين) . بيانه عدم عدالة المحكمة في محاكمة سعيد بك جنبلاط ومخالفتها الاصول وكيفية تزوير كاتب الضبط جريدة الاستنطاق

٤١٩ ٢٥٧ ـ ٢٥ منه: (اللورد دوفرين الى فؤاد باشا) الفات نظره الى تحامل المحكمة على سعيد بك جنبلاط . عدم رغبته في انقاذه . اقتصاره على طلب جريان العدالة على سننها . وجوب الاذن للسجين بانتقاء محام عنه

٤٢١ ٢٥٨ ـ ٢٦ منه : (اللورد دوفرين الى السير بولفر) تعيينه القائم مقام برنابه والمستر جول فرّيت عضوين في اللجنتين المختلطتين الموكول اليهما اعادة بناء القرى المحترقة . عدم اتخاذ الحكومة التحوطات الكافية لايواء المنكوبين وسد حاجاتهم في الشتاء . المخاوف من اشتداد الضيق . الفاته نظر فؤاد باشا الى شقاء المنكوبين . فراغ يد دولته من المال مناسبة عقد قرض بضمانة انكلترة وفرنسا لاتقاء الازمة

٤٢٢ ٢٥٩ ـ ٢٦ منه : (ومنهُ اليهِ) . استمرار جلاء المسيحيين عن دمشق . عدم توقعه تجدد الفتنة . تعذر التكهن بثقة عن المستقبل . القلق من ازدياد شقاء منكوبي دمشق ابان الشتاء المقبل

ملحق

تنبيه : لمَّا كنَّا قد ذكرنا في الجزء الاول من المحررات ص ١٣٢ و١٤٦ و ٣٩٨ و ٣٩٩ صكوكاً تتعلق بمسألة اعفاء اهالي كسروان من المال الاميري مدَّة ثلاث سنوات تعويضاً عمَّا خسروه في سنة ١٨٤٠ رأينا ان نلحق المحرر الآتي بهذا الجزء لاسباب اهمها انه يثبت ما جاء في بيان المطران نقولا مراد الى اللورد ابردين (ص ١٣٢ ج ١) وينقض مزاعم المستر اليسون أحد مأموري سفارة انكلترة في الاستانة الذي انكر على المطران المشار اليه صحة اقواله (ص ١٤٦) ثم لانهُ يبرّئ اسرتنا الخازنية ممَّا اتهمها به المفسدون زوراً واتخذوه ذريعة لاثارة أهالي كسروان عليهم سنة ١٨٥٨ . فقد اتضح بجلاء ان الاموال الاميرية التي جمعها المشايخ اوائذ دفعت في حينها للامير حيدر أبي اللمع ثم اضافوا اليها مبلغاً آخر استدانوه ودفعوه لباشا بيروت لقاء تسليمهم فرمان الاعفاء .

الخوري ارسانيوس الفاخوري والخوري عبدالله اصاف
الى الشيخين كنعان وكسروان الخازن في ١٠ ايلول سنة ١٨٤٣

نعرض لجنابكم سرًّا

غب اهدا ما وجب ولاق بوفور الاحتشام والاحترام انهُ تقدم لجنابكم التخبير عن إحضور الفرمان لسعادة المشير المعظم في ترك ميري كسروان عن سنة ٣ وعن اننا طلبنا من سعادة افندينا الامير حيدر الافخم ترجيع الدراهم التي قبضها من أصل مطاليب كسروان مع غزير ايضاً وان سعادته عمال يدبر لنا ذلك وان ترسلوا لنا الوصولات التي بيدكم من سعادته بما قبضه منكم وان ترسلوا لنا غلاقة المبلغ وهو

ستين الف قرش الذي بدنا نوزّع منه اللازم توزيعه كما بعلمكم . والان نخبركم ان سعادة الامجد محمد باشا اخرج لنا الامر من سعادة المشير الموما اليه لسعادة الامير المرقوم مضمونه ترك الميري المذكورة عن سنة ٣ وانه لا يطلب من كسروان ذلك الخ . ونحن وقفنا على الامر المذكور وهو منظوم جداً بحسب المرغوب والمادة انتهت من كل الاوجه وانما هذا الامر باقي مع سعادة الامجد المذكور لا يسلمنا اياه حتى نسلمه المبلغ الذي صار عليه الوعد ولحد الان ما حضر لنا الجواب منكم ولا غلاقة المبلغ حتى ندفع المتوجب والمبلغ الذي من سعادة الامير الذي استرجعناه منه لا يكفي للمبلغ الذي صار عليه الوعد حتى ندفعه لسعادة محمد المرقوم ونأخذ الامر منه فلذلك بادرنا بترقيمه مع ناقله مخصوص نرجو ارسال غلاقة الستين الف حالاً مع حضرة ولدنا الشيخ بيوس الحاج أو غيره يكون أميناً وان كان للان ما تدبرت معكم الغلاقة من الاهالي فيقتضي ان تستقرضوا هذه الغلاقة وتتناولوها مناولة من كم واحد وترسلوها حالاً حالاً من كل بد حتى ندفع المبلغ لسعادة محمد المذكور حالاً بالتمام لانه لا يصح ان ندفعه له دفعة بعد دفعة بل يجب دفعه له دفعة واحدة نحرّج عليكم بذلك حتى ندفعه له تماماً لكي لا يغتاظ ولا يزعل لانهُ نافع النصارى جداً لاسيما جنابكم وأهالي كسروان وان اغتاظ فيصير بعده لكم وللاهالي ضرر لان من المعلوم ان بعد لكم مصالح كثيرة يلزم مساعدته بها فلذلك لا نقدر ان نغيظه وهو الان محرّج علينا جداً بالمطلوب وبهذا القدر كفاية ويلزم ان تسرعوا بارسال الغلاقة كون احدنا الخوري عبدالله صار مراده يطلع لكسروان وما بقى يمكنه العاقة في بيروت ولا يقدر يطلع قبل ان يصرف سعادة المذكور ومن جهة توزيعه وكيفيته فعند رجوع المذكور وطلوعه لعندكم تفهمون منه الكفاية والتوزيع للمبلغ المذكور هو باطلاع سيادة المطران طوبيا الكلي الاحترام واطلاع جناب الشيخ بشاره الخازن واطلاعنا اثنينا فلذلك كونوا براحة بال من هذا

القبيل ونكرر اهدا ما وجب تكرارًا . في ١٠ ايلول سنة ١٨٤٣

(مكان الختم) اخوكم الداعين لجنابكم

بشاره الخوري ارسانيوس الفاخوري

(مكان الختمين) والخوري عبدالله اصاف

صح : محرر هذه الحاشية يهدي حضرتكم البركة الالهية مع ما وجب ولاق

والمحرر هو بعلمه (مكان الختم) طوبيا عون

مطران عكا

(نُقل بالحرف عن الاصل الموجود عند الشيخ حرب نادر الخازن)

تنبيه

لقد استعملنا كثيرًا في هذا الكتاب كلمة استدعى بمعنى استقدم . وقطن المدينة بدلاً من قطن فيها . ومسّ مكان اذى . وارسل لهُ عوضاً عن ارسل اليه . فاقتضى التنويه

ثم اننا لقينا صعوبة في نقل اسماء العلم الواردة في الكتابين الانكليزي والفرنسوي مغلوطة فتحرّينا تصحيحها انّما بقي بعض اسماء لم نقطع بصحتها ولا بدَّ لنا من الاشارة إلى اثنين منها هنا

فقد ورد في رواية ميخائيل غبريل عن مذبحة راشيًا ص ٩٣ ان دروز راشيًا ذهبوا الى دير القمر وحرقوها وعادوا في اليوم ذاته الى قرية بيت لهيا . فنرجح انه يجب ابدال لفظة دير القمر بضهر الاحمر المجاورة القرية المذكورة

وجاء في رواية الموسيو يعقوب ابيلاً ص ٨٠ اسم القس حنا عازر وصوابه الخوري حنا عازر وهو الذي سبق ذكره في الجلد الاول انه سافر الى اوربا بعد نكبة سنة ١٨٤٥

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٢	عشين	عشرين
٤	٢	اربعةوعشرين	اربع وعشرين
٦	٧	عن مكنون	مكنون
٦	١٠	شرزمة	شرذمة
٩	٣	٢ ايار	٢٠ ايار
١٥	١	كلما	كل ما
١٦	١٤	اوّل	اوّلا
١٩	١٠	كلما	كل ما
٢٥	٢	نفاذ	نفاد
٣٧	١٧	نفذ	نفد
٤٢	١٠	كانت	كانت عليه
٤٨	٧	الموتي	الموتى
٥٣	١٨	الاسلام	المسلمون
٥٦	٢	فأخدوا	فأخذوا
٦١	٨	يعاملون	يعاملان
٦٢	١٤	تجبوني	تجيبوني
٦٤	١٦	من حالة	على حالة
٦٧	١٧	سبب	ريب
٩٦	٥	على زعمآء	في زعماء
٧٤	٢	حبيب ديان	حبيب باحوط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٣	٢٢	نفاذ	نفاد
٨٤	١١	من رجل	رجل
١١٦	١٩	انه	بانه
١١٧	١٦	وقعت عليه	وقعتهُ
١١٨	٢١	انه	بانه
١٢٤	٥	الجبال	في الجبال
١٣٠	١٣	اسواق	في اسواق
١٣١	٤	المدينة	في المدينة
١٣١	٩	المدينة	في المدينة
١٤٤	١٦	فاشكركم	فاشكر لكم
١٤٦	٨	لاكتب له	لاكتب اليه
١٤٩	١١	سوء تصرف	تصرف
١٧٤	٢٠	استقليت	استقللت
١٧٨	٢	اهديكم	اهدي اليكم
١٨٤	١٥	تفويض	التفويض الى
١٨٨	١٢	اصحابها	اصحابه
١٩١	١٧	ابتداء	الابتداء في
١٩٤	٤	اللورد	الى اللورد
١٩٦	٨	بحضرة	بحضره
١٩٧	٢-٣	الى الى	الى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٩٨	٣	مفوضاً بتوزيع	مفوضاً اليه توزيع
٢٠٠	١٤	متحاشين	متحاشون
٢٠٢	١٢	بيد	يد
٢٠٤	٣	عوائدهم	عاداتهم
٢١٤	١	للبحت	للبحث
٢١٨	٢٢	دخلها	دخلها
٢١٩	١٠	ويأخذوهنّ	ويأخذونهنّ
٢٢٢	١٦	أخذ	أُخذ
٢٢٣	١٢	بقيوا	بقوا
٢٤٧	٣	يبرهن عن	يبرهن على
٢٥٦	٩	مندوت	مندوب
٢٧٠	١٢	اتخد	اتخذ
٢٩٥	٨	عشرة	عشر
٣١٩	١٦	لتكتيس	لتكنيس
٣٢٤	١٩	الضباط	المتوظفين
٣٣٢	١٧	فارٍ	فارًا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣٩	٩	الى الى	الى
٣٤٤	٥	المذابع	المذابح
٣٤٦	١٢	مستولين	مستوليان
٣٥١	١	هُيأ	هُيءَ
٣٦٣	٢	علي	على
٣٦٦	١٩	بعص	بعض
٣٧٧	٦	عن ضياع	من ضياع
٣٨٠	٣	فقذ	فقد
٣٨٣	٩	حدثث	حدثث
٣٩٠	١١	خطارة	خطورة
٣٩٤	١٤	المعاونين	المعاونون
٤٠٠	٢٠	فيما	في ما
٤٠٥	١٥	عن المسيحيين	على المسيحيين
٤٠٦	٨	فروق	قاروني
″	١٦	النفود	النفوذ
٤١٩	٧	تبرير	تبرئة

Date Due

AUG 3 0 1973			

Demco 38-297

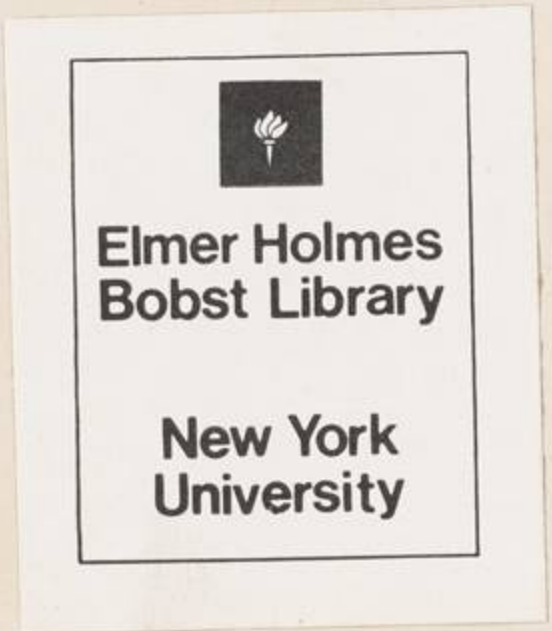
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University